الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

العنوان
حي الورود - شارع حمد الجاسر ٤٦٢١٢٢٣
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ١، ٢ س ٢٦ رجب/شعبان ١٤١١هـ - كانون ٢/شباط (يناير فبراير) ١٩٩١م

وفي مطلع العام الـ(٢٦)
تتحدث «العرب» إلى قرائها

أَصْبَحَ عادةً مألُوفةً - وإن لم تكن محبوبة - التَّحَدُّثُ عن العمل، أيَّ عمل كان، في معرض الإدْلاَل به، والإظهار لِلْمُعْجِبِ المستحْسَن من جوانبه، والإبْراز إلى حد المبالغة لما قد يعترض من الصعاب سبيل السير لبلوغ الغاية المتوخاة، ثم الحديث عن اجتياز تلك الصعاب.

وتلك سُنَّةٌ سارت عليها أكثر المجلاتِ، وماكانت مجلةُ «العرب» بِدْعًا منها، إلا أنها لم تكن لتسلك ذالك النهج مختارةً، فقد لجأتْ إليه مضطرة مَرَّاتٍ أربعا، مُعْذِرَةً إلى من لهم أُنْشِئَتْ، ومُعْتَذِرَةً لمن بمساندتهم ومؤازرتهم لاتَزَالُ تَسْتَمِرُّ في الصدور، فمن حقهم أن يدركوا من جليَّةِ أمرها مايقوي الصلة بينهم وبينها.

وتلك المرات هي:

١ - حين صدر جزؤها الأول في شهر رجب سنة ١٣٨٦هـ (تشرين الأول ١٩٦٦م) كان لابد من الإشارة إلى الغاية من إصدارها: (أفلا يجدر بنا وقد أدركنا اللُّهَاثُ وَرَاءَ المادة، وقسرها في سيرنا لِتَطَلُّبِهَا - أن نغفي إغفاءة في ظل الماضي، لعلنا نستروح من راحة العقل وهدوء الضمير مايبعث في نفوسنا شيئاً من الطمأنينة التي لاتطيب الحياة بدونها؟!

مُنًى إنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْـمُنَى ... وَإلاَّ فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدَا

وكانت المجلة من أول نشأتها تطبع في بيروت لاستكمال وسائل الطباعة في تلك البلاد مع مناسبة أجورها، ولقلة توفر المطابع في المكان المقرر للمجلة، ولارتفاع تكاليف الطباعة في المنطقة الغربية. وقد سبق أن حدثتْ لي تجربةٌ حين أنْشَأْتُ مجلة «اليمامة» في آخر عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م)، كان من أثَرِ تلك التجربة أنْ أدركتُ أنه ليس بإمكان مجلة ضعيفة الموارد دفع تكاليف الطباعة لمطابع هي مشغولة بما يُدِرُّ عليها من الربح الوفير ماهي بحاجة إليه، فطبعت جزءين من مجلة «اليمامة» في القاهرة، ثم بعد مَشُوْرَةٍ مِنْ أَحد المشرفين على (مطابع البلاد السعودية) في مكة وكَلْتُ إليها طبع المجلة ولكن لم يصدر أربعة أجزاء منها - مع تعثر العمل وتأخر صدور المجلة في وقتها وارتفاع أجرة الطبع - إلا وقد اتضحت الحاجة إلى البحث عن مطبعة أخرى، وكانت (مؤسسة الصحافة والطباعة والنشر) قد أُنشئت في جدة وهي على درجة من القوة، قل أن تضاهيها مطبعة أخرى في البلاد في ذالك الزمن. وبواسطة وطني ثَرِيٍّ أبدت هذه المؤسسة استعدادها لطبع المجلة، فَقُدِّمَ لها الجزء السابع (وهو جزء رجب سنة ١٣٧٣هـ) ولكنه لم يصدر إلا بعد مقاساة الأَمَرَّيْنِ من جَرَّاء تأخر صدوره بحيث اضطررت إلى أن أتَّجِه بالمجلة للطبع في بيروت، فصدر الجزء الثامن وماقبله لايزال تحت الطبع. عن هذه التجربة أدركت ضرورة إصدار مجلة «العرب» بطريقة تكفل لها السير دون تعثر، والصدور في أوقاتها المحددة، فكان أن اتجهت إلى مدينة بيروت، ثم اضطررت للاستقرار في هذه المدينة حتى عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) بعد أن قطعت المجلة من مراحل سيرها تسعة أعوام، فحدثت الحرب وقد هُيِّئَ من سنتها العاشرة عدة أجزاء، إذْ من عادتي أنْ أُعِدَّ أَجْزاءَ المجلة قبل أوقات صدورها بزمن، لأنني كثيرًا ما أُسافرُ إلى بلاد أخرى سفرًا قد يستغرق مدة ينبغي للمجلة أن تصدر خلالها، فتكون قد أُعِدَّتْ وهُيِّئَتْ للصدور.

ولكن آثار تلك الحوادث السيئة أتت على كل شيء لي في هذه المدينة.

٢ ــ كان العود - والعَوْد أحمد - إلى الرياض، واستئنافُ صدور المجلة في رجب سنة ١٣٩٦هـ (آب ١٩٧٦م) بعد احتجابها عامًا كاملًا بدون اختيار، وبعد طبع معظم أجزاء السنة العاشرة في بيروت فعدت عليها عوادي الفتنة التي قامت

في تلك السنة فذهب ماطبع منها كان أمامي أمران:

إعادة طبع الأجزاء التي تأخر وصولها إلى القراء مع استئناف إصدار أجزاء السنة الجديدة، إلاَّ أنَّ إسعاف المطابع في مدينة الرياض لن تحظى بِهِ مجلةٌ لاتبلغ أجرة طبع نسخها القليلة من نفوس أصحاب المطابع ماتبلغه أجور المطبوعات الضخمة للجهات الحكومية القوية، ولكن ما أبداه الأستاذ الكريم الدكتور محمد عبده يماني وزير الإعلام ـ في ذلك العهد ـ قد بعث في النفس من الحوافز ما قَوَّى الأمل لاستئناف العمل، وان تكن عقبة الطباعة الكأداء لايزال اجتيازها مستعصيًا، فكان البحث عن مطابع أيسر كلفة، ولم يكن ذالك بدون الذهاب إلى القاهرة بعد أن طُبع نصفُها بين (المطابع الأهلية) و(مطابع الرياض) ومن جُزْءَيْ (محرم/صفر السنة العاشرة ١٣٩٦هـ/شباط ١٩٧٦م)، بدأت الطباعة في مصر حيث أُكْمِل طبعُ السنة هناك بين مطبعتين (نهضة مصر) و(المطبعة العربية الحديثة).

وكانت السنة الحادية عشرة (رجب ١٣٩٦هـ ـ تموز ١٩٧٦م) قد بديِّ طبعها في الرياض في الوقت الذي كانت أجزاء السنة العاشرة تطبع متنقلة بين الرياض والقاهرة، واستمر الطبع في (المطابع الأهلية) حتى جزء محرم من السنة الحادية عشرة، حيث انتقل طبعُ المجلة إلى مصر، بقية أجزاء تلك السنة وجميع أجزاء السنتين الثانية عشرة (رجب ١٣٩٧هـ ـ تموز ١٩٧٧م) والثالثة عشرة (رجب ١٣٩٨هـ ـ تموز ١٩٧٨م).

وكان هناك من المعوقات مما يتعلق بالتصدير مع عدم إتقان الطبع ماكان سبباً للعودة إلى الرياض، ابتداءًا من الجزء الأول من السنة الرابعة عشرة (رجب ١٣٩٩هـ ـ تموز ١٩٧٩م) حيث تم الاتفاق مع (المطابع الأهلية) واستمر إلى وقتنا هذا، مع الارتياح إلى حسن المعاملة، والتقيد بالمواعيد.

٣ ـ وفي استعراض أستاذنا الجليل الدكتور علي جواد الطاهر لبعض مراحل سير المجلة الذي استفتحت به السنتان الـ (السابعة عشرة رجب ١٤٠٢هـ ـ ايار ١٩٨٢م) والعشرين (رجب ١٤٠٥هـ ـ نيسان ١٩٨٥م) مايوضح جوانب من تعثُّرِ

سير هذه المجلة قبل الاستقرار في الرياض، إلا أن حفاوته بها وقد كان ممن أولاها من رعايته وعونه واهتمامه ما برز أثره جليًا فيما صدر من أجزائها منذ سنتها الخامسة، كان من أثر تلك الرعاية المتواصلة الكريمة أن دفعه اشفاقه على صاحبها إلى أن يجأر بحرارة وشفقة - «العرب» ٢٠/١١ -: (لقد أدّى الرجُل الواجبَ وتعدّاه إلى تضحيات الهواة (الغواة) وعاد حُرًّا في اتخاذ القرار بين تكاليفَ فوق الْوُسْعِ، وتَمَهُّلٍ مع الرفق، أو أدنَى جُزْءٍ من معنى التسلية. - أتراني بلَّغْتُ؟ أشكُّ!).

وكان التوسط - بالنسبة للـمَعْنِـيِّ بالحديث - خَيْرَ الأمور.

٤ ــ ثم حدث من تأثر الناحية الاقتصادية العامة في هذه البلاد ماعم وشمل، ولم تكن الصحافة بِمَنْأًى عنه، فكان أن هبطت الاشتراكات في المجلة بأكثر من نسبة ٤١٪ في السنة الحادية والعشرين (١٤٠٦هـ) أُضِفْ إلى هذا: أن الإعلانات وهي عَصَبُ الحياة في هيكل الصحافة لاتحظى مجلة «العرب» منها إلا بقدر ضئيل جدًّا لأسباب:ـ

١ ــ أنها لاتنشر داخل صفحاتها أيَّ إعلان كان، إذْ خصصت للاعلاناتِ ثلاثَ صفحات من صفحات الغلاف والرابعة لفهرس الجزء.

٢ ــ وهذه الصفحات كثيرًا ما شغلتها المجلة نفسها - من قَبيل سَدِّ الفراغ - بإعلانات عن بعض منشورات «دار اليمامة» الدار التي تنشر المجلة، إذ لايصل إليها منها مايشغلها، ومثل هذا الحيِّز الضيّق من المجلة وهو لايزيد على ثماني عشرة صفحة سنويًا (٣ صفحات × ٦ أجزاء = ١٨ صفحة) قد يبقي أكثره خاليًا من الإعلانات التجارية.

وزاد الطيب بَلَّةً - كما يقولون - أنِ ارتفعت تكاليف الطباعة حتى بلغت الزيادة الآن ٤٦٪ عما كانت عليه وقت الاتفاق مع المطابع.

كل هذا عن الاشتراكات وانخفاضها، وقلة الإعلانات، وارتفاع تكاليف الطباعة، ماكاشفتُ به اخًا ذا منزلة أثيرة في نفسي، وماكنت شاكيًا متألمًا، ولكنني كنت متحدثًا إلى أخ حبيب إلى النفس، دفعته الغيرة على هذه المجلة ليعبر عن ذالك في مجلة «الحرس الوطني» - عدد ٣٧ ربيع الأول ١٤٠٦هـ - تعبيرًا كان ذا

صدًى واسع من أثره أن نشرت الصحف لصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب بتاريخ ١٢/٣/١٤٠٦هـ مانصه: (أعرب صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب عن استعداده، واستعداد الرئاسة لاتخاذ كافة الإجراءات التي تضمن استمرارية صدور مجلة «العرب» وتطويرها، إيمانًا بأهميتها ودورها الثقافي الكبير، الذي تقوم به داخل المملكة وخارجها، وعبر سموه عن اعتقاده بوجوب دعم هذه المجلة، لما لها من أهمية، ولكونها صورة مشرفة للنشاط الثقافي بالمملكة. جاء ذالك خلال اجتماع سموه بصاحب مجلة «العرب» ورئيس تحريرها الأديب والمؤرخ الأستاذ حمد الجاسر، عقب مانشر في بعض الصحف والمجلات حول هذه المجلة. وأكد الجاسر لسمو الأمير فيصل أنه لاتوجد أية مشكلة تحول دون استمرار صدور المجلة وأنه عازم على استمرارها).

وكان أنْ أبدى الأدباء والكتاب من كريم الشعور ماكان متوقعًا وغير مستغرب منهم، إلا أن المجلة افتتحت سنتها الحادية والعشرين (رجب ١٤٠٧هـ - آذار ١٩٨٧م) بأن (العرب لن تحتجب) وأن تلك المشاعر الكريمة التي بدأها أمير الشباب، وتبارى في التعبير عنها أولئك الإخوة من الأدباء والكتاب وغيرهم، كانت من أقوى الحوافز ليبذل صاحب المجلة مايستطيع من جهد في مواصلة إصدارها، وله من كريم الشعور الذي غمره فيما عبر به كل مَنْ عُنِي بشأن المجلة التي هي (يد بيضاء من أيادي الدولة الكريمة) ولن يرزأ صاحبها أَحَدًا من ذوي الشهامة والمروءة بشيء مًا، مادامت الدولةُ تَرْعَى بعطفها صحافة البلاد بصفة عامة ولهذه المجلة نصيبها من ذالك العطف، وهو قانع القناعةَ التامَّةَ، وراضٍ الرضا كله بذالك النصيب.

وأما بعد: فهاهي «العرب» تَدْلُفُ إلى سنتها السادسة والعشرين لم يَبْدُ في نهجها الذي سارت عليه منذ أنْ أُنْشِئَتْ أيُّ تغير، ولم يَعْتَوِر ذالك السير خور ولا ضعف، من قبل المشرفين عليها وفي حدود طاقتِهم، وهي في مستقبل أمرها تكل الأمر إلى من بيده تصريف الأمور؟

حمد الجاسر

بين الفصحى والعامية المصرية

[كان (مجمع اللغة العربية) قد قرّر أن تكون الأبحاث التي تعرض في دورته الـ (٥٦) التي عقدت في شهر رجب من العام الماضي تتعلق باللهجات العامية .

وقد تبارى عدد من أعضاء المجمع من مختلف الأقطار العربية في تقديم أبحاث في الموضوع ، وكان من بين تلك الأبحاث بحث الدكتور شوقي ضيف ، الأمين العام لمجمع اللغة العربية وعنوانه (بين الفصحى والعامية المصرية) أورد كثيراً من الشواهد من اللهجة المصرية ، وجُلُّهَا ـ أو كثير منها ـ يتفق مع اللهجة النجدية .

ومن المعروف أن اللهجة النجدية هي أقرب اللهجات إلى الفصحى بل ليس من المبالغة القول بأن جل الكلمات المستعملة في اللهجة العامية في نجد هي فصحة ، وإنما تغيرت منذ عشر الخمسين من القرن الماضي ، حيث كثر الاختلاط بين السكان حين وحدت أجزاء المملكة ، ثم قوى الاتصال بالعالم الخارجي ، مما سبب انتشار كثير من الكلمات الأعجمية في اللهجة النجدية .

وفي بحث الدكتور شوقي ضيف إشاراتٌ إلى أصول كثير من الكلمات العامية وهذا مادعا إلى نشر هذا البحث الممتع] .

نشأت عندنا منذ أواسط القرن الماضي فُصْحى عصريةٌ تخلو من الألفاظ الـحُوشِيَّةِ الغريبة ، ومن الألفاظ المبتذَلةِ ، فصحى وُسْطَى بين لغة الخاصة الذين يستخدمون السجع ويفسحون لبعض الألفاظ الغريبة في كلامهم ، ولغة العامة التي تمتلئُ بالمبتذل من الألفاظ ، والركيك من الأساليب ، فصحى تقترب من لغة الحياة اليومية ، بحيث لا تعلو عن أفهام الناس ، وبحيث تحتفظ بشيْءٍ من جمال الفصحى بحيث يسيغها الناس لسلاستها . وكان للصحف التي نشأتْ في القرن الماضي أثر عميق في شيوع هذه الفصحى العصرية ، التي أخذت تُشِيعها وتَعْرضها يومياً على الجماهير المصرية ، وأخذ الإتِّساعُ بالتعليم الذي اقترنَتْ به يساعدها في تمكينها من الانتشار والذيوع ، لافيها فحسب بل أيضاً فيما أخذ يترجمه وينقله إلى العربية أفذاذُ المترجمين ، وأيضاً ما يكتبه أفذاذ الكتاب والشعراء .

وكلما مضينا شطراً في القرن العشرين أخذتْ هذه الفصحى تزداد تمكناً واستقراراً في الألسنة عن طريق كتابات أمثال المنفلوطيِّ ، وخطابة الخطباء

السياسيين البارعين : سعد زغلول وأقرانه ، وأخذ النثر المصري في نهضة رائعة ثَبَّتَ أركانَها أربعةٌ من كبار كتابنا الصحفيين السياسيين : المازني ومحمد حسين هيكل والعقاد وطه حسين ، بما كتبوا من مقالات أدبية وسياسية واجتماعية ، وما ترجموا من عيون الأدب الغربي وقصصه ومسرحياته ، وما أنتجوا هم أنفسهم من أعمال قصصية وغير قصصية ، وكل ذالك كتبوه بالفصحى العصرية الـمُبَسَّطة ، وحاكاهم في الكتابة بها جيل الأدباء الذي عاصرهم وما خلفه من أجيال . ولم تلبث الجامعةُ الحكومية أن تأسست ، وخرَّجَتْ صفوةً من شباب الأدباء والعلماء ، أخذت تسهم في استخدام هذه الفصحى العصرية المبسطة ، وسرعان ما نشأت الإذاعة المصرية وأخذتْ بدورها في الاتساع بنطاقِ الفصحى العصرية .

ومع كل ما حققته الفصحى العصرية من نهضة كبيرة في المقالة على اختلاف ألوانها سياسيةً واجتماعية وأدبية ، وفي القصص والأقاصيص والمسرحيات ، سوى ما حققته في الشعر عند حافظ وشوقي وجيلهما والأجيال التالية ، مع ذالك كله لاتزال العامية لغتنا اليومية في البيت وفي السوق وفي المصنع ، ومن يتابعها ـ منذ أوائل هذا القرن العشرين إلى اليوم ـ يجدها اقترضت كثيراً من ألفاظ الفصحى العصرية في السياسة وفي الاجتماع وفي كثير من شؤون حياتنا ، فهي تلوذ دائماً بالفصحى ، وتحاول اللحاق بها . وليس بصحيح أن هناك قطيعة بينهما ، بل إن العامية لتلتحم بالفصحى في مئات بل في آلاف ـ من الألفاظ ، وممن تنبه إلى ذالك الأستاذ المرحوم إبراهيم عبدالقادر المازني فاستخدم في مقالاته وقصصه كثيراً من الألفاظ الشائعة على ألسنة العامة ، والتي تَمُتُّ إلى الفصحى بنسب صحيح . ومنذ أوائل هذا القرن يتجرد نَفَرٌ لِدِراسة ألفاظ عاميتنا لتبين الفصيح منها والنص عليه ، على نحو ما صنع محمد علي الدسوقي في كتابه : «تهذيب الألفاظ» وأحمد تيمور في كتابه : «معجم تيمور الكبير» وأحمد عيسى في كتابه : «المحكم في أصول اللغة العامية» ومحمود تيمور في كتابه : «العامية الفصحى» وعبدالمنعم سيد عبد العال في «معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية» ومحمد داود التنير

في كتابه «ألفاظ عامية فصيحة» .

وقد عرضوا جميعاً مئاتٍ من الألفاظ التي يظن أنها عامية ، وهي تَمُتُّ إلى الفصحى بنسب صحيح ، وعرضوا بجانبها ألفاظاً فصيحة الأصل ، أصابتها العامية ببعض التحريف في الحركات أو في الحروف . ومن زمن بعيد ألف (المجمع) لجنةً للنظر في اللَّفْظِ والأسلوب اللَّذَيْنِ تجري بهما أقلام الكتاب ، مما يُظَنُّ أنهما غير فصيحين بينما هما فصيحان ، إذْ أُثِرَا في المسموع الوثيق من العربية ، أو أنهما بشهادة الأعلام من اللغويين يدخلان في دوائر الفصحى بما قرروا لها من القواعد والأحكام ، والمجمع يأخذ في ذالك بما تقتضيه سنن التطور اللغويِّ من النُّمُوِّ والتجدد ، وأيضاً بما تقتضيه حاجاتُ الاستعمال الحديث عند الأدباء ذوي الحسِّ اللغوي الدقيق ، واستطاعت اللجنةُ أن تصدر مجلدين تصحح فيهما مئات من الألفاظ والأساليب مُدَلَّلَةً على أنها فصيحة أو تجري على سنن الفصحى وأقيستها الدقيقة ، وكانت كلما انتهت من بحث أسلوب أو لفظة عرضتهما على (مجلس المجمع) فإذا أقرهما عرضتهما على (مؤتمر المجمع) لإصدار قراره بالقبول أو الرفض .

وليس من ريبٍ في أنَّ هذا الصنيع المجمعيَّ من شأنه أن يزيل جانباً من الحواجز بين بعض ألفاظ الغامية والفصحى ، وهو ماجعلني أفكر في أن يُعْنَى علماؤُنا اللغويون بدراسة عاميَّاتِ بلداننا العربية ، وحَصْرِ صُور التحريف فيها ، والنص على ذالك بصورة استقصائية ، حتى يُمْحَى كل مادخل على الألفاظ الفصيحة من تحريف وخلل محواً تامًّا ، فإننا بذالك نُسْرِع في رفع السدود القائمة بين الفصحى وعاميات البلدان العربية ، ونَمْحُوهَا محواً ، وفي رأيـي أنه لابُدَّ أن تتضافر الجهودِ حتى تنقرض العاميةُ وتزول من الألسنة إلى غير رجعة ، وقد أَكْبَبْتُ على عاميتنا أُحاول أن أحصر ماحدث في الألفاظ الفصيحة بها من فروق ومغايرات لأصولها الصحيحة وبدأْتُ بحصر مايجري من تحريف لايرجع إليها من حيث هي ، إنما يرجع إلى القبائل التي نزلت مِصْرَ ، مع الفتح العربي ، أو توافدت عليها ، وكانت لهجاتها تختلف من بعض الوجوه مع الفصحى لغة قريش

والقرآن الكريم ، التي تربط بين شعوبنا العربية من الخليج إلى المحيط . ثم ذكرتُ مانشأ في العامية المِصرية من تحريف نشأةً مستقلة . وأضفتُ إلى ذالك التغيرات في الحركات والإبدالات في الحروف والتبديلات في الهيئة ، ليوضع ذالك كله تحت أبصار من يحاولون تخليص العامية من تحريفاتها حتى تتحد بالفصحى ، وحتى تَنْعَدم هذه الازدواجية أو الثنائية اللغوية في ألسنتنا ، فلا تظل لنا لغةٌ للصحف والكتابة الأدبية والعلمية ، ولغةٌ للسوق والبيت والمصنع والحياة اليومية .

فقد الإعراب في العامية : وقبل أن نخوض في بيان تحريفات العامية ينبغي أن نذكر فقدَ الإعراب فيها جملة ، وهو من أهم الخصائص في الفصحى ، إذْ يقف المتحدثون باللغة اليومية على آخر الكلمات بالسكون ، ولم يُعْرَفْ ذالك عن أي قبيلة من قبائل العرب في الجاهلية ، وكل ماقيل في هذا الموضوع أنَّ رَبيعة كانت تقف بالسكون على المفعول به الْـمُنَوَّنِ في مثل : رأيت زَيْدًا ، فتسكن في هذه العبارة (زيد) غير أنها كانت تعرب بقية الكلام في الجمل مثل بقية العرب ، والحقُّ أنَّ فقد الإعراب في العامية لا يخص العامية المصرية وحدها ، بل يشمل جميع العاميات العربية التي أخذت تظهر في البلاد المفتوحة ، التي لم تكن تعرب الكلام في لغاتها الأصلية ، فلما اتخذت العربيةُ مكانَها أخذتْ تهمل منها الإعراب ، وتَمَّ ذلك خلال قرون متفاوتة بتفاوت الشعوب التي دخلت الإسلام ، واتخذت العربية لساناً لها .

ومن المؤكد أنَّ عاميتنا ـ مثل بقية (العاميات) أخذتْ تهمل الإعرابَ تدريجاً حتى أهملته كُلِّيَّةً ، ومن يرجع إلى موشحات ابن سَنَاءِ الملك في القرن السادس الهجري في كتابه : «دار الطراز» يجده يهمل الإعراب في غيْر موضع من موشحاته ، من ذالك قوله في الموشح السادس : (فرجعت خابِبْ . . حين مَرَّ هَارِب) وقوله في الموشح الثامن عشر : (غزالاً فاترَ الأَجْفَانِ فاتِنْ) وفي الموشح رقم ٢١ : (قولاً صحيح) وفي الموشح رقم ٢٣ : (كنت غادِرْ . . طَرْفاً فاتِرْ . . سَيْفاً بَاتِرْ قَلْباً مقتول) وفي الموشح رقم ٢٤ : (ما أراني راضي) وفي الموشح رقم ٣٥ :

(لم أكن ذاهِلْ . . لم أكن قائِلْ) ولعل في ذالك مايدل على أن فقد الإعراب في العامية المصرية كان قد أخذ يعم في الألسنة منذ عصر ابن سناء الملك .

وأنا أعرض طائفة من تحريفات العامية المصرية ، بادئاً منها بما يرجع إلى لهجات القبائل النازلة بمصر ، أو إلى مجيئه في بعض الصيغ القبلية مما ينحرف عن الفصحى لغة قريش والقرآن الكريم .

تحريفات في العامية مرجعها إلى لهجات القبائل :

أولًا : في الأفعال : ١ ــ كسر أحرف المضارعة : اشتهرت قبيلة بَهْرَاءَ القُضَاعية التي كانت تنزل شماليَّ ينبع إلى العقبة ، بأنها تكسِرُ أحرف المضارعة ويُسَمِّي اللغويون هذه الظاهرة باسم تَلْتَلَة بَهْراء ، وفي كتاب «الصاحبي» لابن فارس وهو يتحدث عن فصاحة قريش أنها لم تكن تنطق بالكسر في مثل نِعْلَمُ ونِعْلَمُون ، وفي كتاب سيبويه ٢٥٦/٢ و«المخصص» لابن سِيْدَه ٢١٥/١٤ أن جميع العرب ماعدا الحجازيين (ومنهم قريش) يكسرون أحرف المضارعة ماعدا الياء في الفعل السالم . والعامية المصرية تُعَمِّمُ الكسرَ في أحرف المضارعة ماعدا الهمزة ، استثقلتْ كَسْرَهَا لِأَنَّ مخرجها من الحلق ، وينبغي أن نبرأ من ذالك ونتبع قانون الفصحى الذي يوجب فتح أول المضارع فيما عدا الرباعي فإنه يضم في مثل يُكْرِمُ ويُسَلِّمُ .

٢ ــ إلحاق علامة الجمع بالفعل مع الفاعل المجموع : تلحق العاميةُ علامة الجمع بالفعل مع الفاعل الظاهر فتقول : (حضروا الطلاب) متابعة في ذالك لَهْجَةَ أَزْدِ شَنُوْءَةَ وطَيِّءٍ والعامية المصرية تستخدم هذه اللغة من قديم ، ففي كتاب «المكافأة» لابن الداية المصري المتوفى سنة ٣٤٠ للهجرة هذه العبارة : (اشْتَهَوْا عَلَيَّ صِبياني حَلْوَى في العيد) والفصيح (اشتهى عليَّ صبياني) بدون سبق الفاعل الظاهر بضميره وينبغي أن تتخلص العامية من هذه اللغة .

٣ ــ قلب كسرة صيغة فَعَلَ المنقوص فتحة وياءه ألفاً : تفتح عاميتنا عينَ فَعَلَ المنقوص ، وتقلب ياءه ألفاً فتقول في مثل بَقِي ، بَقَا ، تَمَاماً مثل طيِّءٍ

وهي قديمة في عاميتنا ، إذ نجد ابن سناء الملك في القرن السادس الهجري يقول في موشح له : (فمن زمن نَسَاكَ). وحَرِيٌّ أن تَعْدِلَ العاميةُ عن هذه الصيغة لحاقاً بصيغة الفصحى في هذا الفعل .

٤ ــ **إضافة ياء إلى الحرف الاخير في الفعل المضعف** : تضيف العامية إلى الحرف الأخير في الفعل المضعف فتقول : ظَنِّيت ، وجَرِّيت الْحَبْل ، والعربية تعمد إلى ذالك في مثل تَظَنَّنْتُ فتقول : تَظَنَّيت ، وقَصَّيْتُ أظفاري بدلاً من قَصَّصْت ، والأولى الأخذُ بالكثير الشائع في الفصحى دون قلب الحرف الأخير في الفعل المضعف ياء، أو زيادة ياء عليه .

٥ ــ **حذف نون المضارع المجموع والمخاطب به الأُنثى** : تحذف العامية حذفاً مطلقاً نون المضارع المجموع في مثل (يقرؤون ـ يكتبون) وكذالك تحذف نون المضارع المخاطب به الأنثى مثل : (تقرئي ـ تكتبي). ويذكر السيوطي أن حذف نون المضارع المجموع والمخاطب به الأنثى ورد في النثر والنظم ، ويذكر في الحذف مع المضارع المجموع حديثاً ومع المضارع المخاطب به الأنثى مثَالاً حذفت فيه النون ، وفي كتاب «المكافأة» لابن الداية عبارة (ماتسمعيه) بدلاً من (ماتسمعينه) وكَأَنَّ ذالك قديم في عاميتنا وينبغي أن نبرأ منه .

٦ ــ **إسكان التاء في صيغتي تَفَعَّلَ وتفاعَل مع إدخال همزة وصل عليها** : تسكن العامية التاء في صيغتي تَفَعَّل ـ تَفَاعل مع إدخال همزة وصل عليها ، فتقول : (اتْأَجَّلَ إتْعَلَّم) في (تأجل ـ تعلم) كما تقول : (اتْبادل ـ اتعاتب) في (تبادل ـ تعاتب) ، وينبغي العدول في الصيغتين عن ذالك اتباعاً للفصحى إلا إذا أُدْغمت التاءُ فيما بعدها فيمكن حينئذ استخدام الصيغتين في مثل : (اسَّمَّع ـ اصَّدَّع) في (تَسَمَّعَ ـ تَصَدَّع)، وفي مثل: (اسَّاهل ـ اصَّالح) في (تساهل ـ تصالح).

٧ ــ **كسر فاء فعل بكسر عين الفعل** : تنطق العامية أكثر الأفعال من صيغتي فَعَل يَفْعَلُ وفعل يفعل بكسر فاء الفِعْل فتقول في : (حَزِنَ ـ عَلِمَ ـ غَضِبَ)

هكذا : حِزن ـ عِلم ـ غِضب وكما تقول في : (يَئِسَ ـ وَرِثَ) يِئْس وِرث ، ويقول أحمد بن فارس في كتابه «الصاحبي» إن قَيْساً تكسر أول الكلام وينبغي أن تتخلص العامية من ذالك لحاقاً بالفصحى .

٨ ـ **زيادة ياء مع تاء المخاطبة المتصلة بالفعل الماضي** : تزيد العامية ياء على تاء المخاطبة الموصولة بالماضي ، فتقول : (وجدتّيهِ) مثلاً ، ويقول اللغويون أن هذه اللغة لغة ربيعة ، ونجدها في كتاب «المكافأة» لابن الداية على لسان تاجر يكافئ سيدة على جميل قائلاً : (هذا جزاء ما قدمتيه) ، وهي بذالك قديمة في العامية المصرية ، وينبغي أن تتخلص منها بتاتاً .

٩ ـ **تسهيل الهمزة في كثير من الأفعال** : تكثر العامية من تسهيل الهمزة في الأفعال فتقول : (جا ، يجي) متابعة في ذالك لغة الحجازيين ويلقانا منه أمثلة مختلفة في موشحات ابن سناء الملك مثل : (هنوني ـ يدفيني) بدلاً من هنئوني ـ يدفئني ، وينبغي أن نلتزم بهمز الأفعال المهموزة في الفصحى .

ثانياً : **في الأسماء** : ١ ـ **صيغة مَدْيُوْن** : تحذف الفصحى الواو من اسم المفعول المشتق من الثلاثي المعتل العين اليائي فتقول (مَدِيْن) من دان يدين و(مَعِيب) من عاب ، بينما تقول العامية (مَدْيُون ـ مَعْيُوب) مبقية الواو متّبعة في ذالك لغة تميم ، وينبغي أن تعدل عنها تمسكاً بالفصحى .

٢ ـ **اطراد جمع المذكر السالم بالياء والنون في جميع الأحوال** : تلتزم العامية المصرية في جمع المذكر السالم نطقه بالياء والنون في جميع الأحوال ، ويذكر أبو حيان أن المُبَرِّد قال : إن ذالك مذهبٌ للعرب لا يختص بالشعر والإعراب فيه على النون وقبل النون الياء . وينبغي أن تتخلص العامية من ذالك حتى يُلْغَى هذا الحاجز الصَّفيق بينها وبين الفصحى .

٣ ـ **لحاق نون الوقاية باسم الفاعل** : تلحق العامية نُوْنَ الوِقَاية باسم الفاعل أسوة بالفعل، فكما يقال في الفصحى (خاصمني ـ سامحني) تقول العامية : (مسامحني ـ مخاصمني) . ويذكر اللغويون بعض أمثلة شاذَّةً لذالك ، وينبغي أن

تبرأ منه العامية .

٤ ــ **استعمال ام الحميرية اداة للتعريف** : تنسب إلى حِمْيَرَ (أم) أداة للتعريف بدلاً من (ال) وقد نزلت منها في مصر عشائر كثيرة ، وعنها شاعت في العامية كلمة (امبارح) بدلاً من (البارحة) وينبغي استخدام الكلمة الفصيحة .

٥ ــ **كسر الحرف الأول في الصفتين المشبهتين : (فعيل ـ فعل)** : يكثر أن تكسر العامية الحرف الأول في الصفتين المشبهتين : (فعيل ـ فعل) فتقول : كِبير ـ بِعيد ـ شِريف بكسر الأول ، كما تقول : (إنف ـ عِكِر) بكسر الأول ، ومر بنا أن ابن فارس يقول : إن بعض قبائل قيس تكسر أوائل الكلمات ، وكأنما أخذت ذالك عنها عاميتنا في هاتين الصيغتين وينبغي أن نتمسك فيهما بقانون الفصحى .

٦ ــ **القصــــر** : تكثر عاميتنا من القصر في الأسماء الممدودة ، ويبدو أنه قديم فيها ، إذ نجد ابن سناء الملك يكثر منه في موشحاته ، فيقول ـ كما تقول عاميتنا المعاصرة ـ السما في السماء والشتا في الشتاء ، والدوا في الدواء ، والوفا في الوفاء ، وينبغي أن تتابع عاميتنا الفصحى فيما تمده وتقصره .

٧ ــ **تسهيل الهمزة** : تكثر عاميتنا من تسهيل الهمزة في الأسماء ، ومن ذالك المطرد مثل صيغة الفاعل من الفعل الأَجْوَف فتقول : (بايع ـ زايد ـ ضايع) . ومن ذالك قلب الهمزة الساكنة إلى جنس حركة ماقبلها مثل بِير في بئر ، وراس في رأس ولوم في لؤم ، وهي تتابع في ذالك قبيلة تميم ، وترى التسهيل عندها في كلمات كثيرة مثل : (مراته) في امرأته و(ميتين) في مئتين و(فاس) في فأس . وينبغي أن تلتزم بمتابعة الفصحى فيما تسهله وتكتفي به .

ثالثاً : في الضمائر : تشديد الضمير في : (هو) و(هي) :

تشدد العامية ضمير المذكر الغائب : (هو) وبالمثل تشدد ضمير المؤنثة الغائبة (هي) ويقول اللغويون : إن هذه اللغة لغة هَمْدَانَ ، التي نزلت في الفتح الجِيْزَةَ ، وكأنها هي التي أشاعتها في مصر ، وتشدد العامية الضمير : (هم)

وينبغي أن تتخلص من ذالك كله أسوة بالفصحى .

رابعاً : في اسم الموصول : اللِّي : تستخدم العامية لفظ (اللِّي) اسماً موصولاً عامًّا للمفرد والمثنى والجمع وللمذكر والمؤنث ، وهو بذالك يقوم مقام جميع أسماء الموصولات ، ولذالك أصل في العربية ، فقد ذكر النحاة (أل) بين الأسماء الموصولة ، وقالوا : إنها تستخدم مكان لفظ الذي وفروعه ، ومثلوا لها داخلةً على جملة فعلية وأخرى اسمية وظرف ، وقال ابن مالك : إنها تستخدم في النثر مثل الشعر ، والعامية زادت عليها لاَماً وياءً ، وينبغي أن تتخلص منها وتعود إلى الأسماء الموصولة : الذي وفروعها .

خامسًا: في حروف الجر: ١ ــ كسر لام الجر مع الضمائر: تكسر العامية لام الجر مع الضمائر مثل : لنا ـ لك ـ لها ـ لهم ، والفصحى ـ كما هو معروف ـ تفتحها وتتابع العامية في ذالك لغة خزاعة ، وينبغي أن تتخلص منها .

٢ ــ **حذف نون (مِنْ) الجارة** : تحذف العامية نون (من) الجارة إذا وليها ساكن مثل (خرجوا مِ الْمدرسة ـ رجعوا مِ الجامعة) وهي بذالك تتابع لغة خَثْعَم وَزَبِيْد من القبائل اليمنية التي نزلت بها ، وينبغي أن تتخلص من ذالك لحاقاً بالفصحى .

٣ ــ **حذف اللام والألف من (على) الجارة** : تحذف العامية اللام والألف من (على) الجارة إذا وليها ساكن فتقول : (جلست عَ الكرسي ، ركبت عَ الفرس) وهي لغة قبيلة بني الحارث بن كعب اليمنية ، وينبغي أن تتخلص منها العامية .

٤ ــ **الوقوف على : (لا النافية) بالهمز** : تنطق العامية (لا) في الجواب على المتكلم : (لأ) بإلحاقها همزة ، ويبدو أن العامية المصرية نقلت ذالك عن بعض من نزل بها من طيء وشاع بين سكانها .

تحريفات في العامية لكلمات الفصحى

ليس لها أصل في اللهجات القبلية

أولاً : في الأفعال : ١ ــ دخول الباء على المضارع : تدخل العامية المصرية الباء على الفعل المضارع للدلالة على حدوث الفعل في الزمن الحالي ، وتظل مكسورة فيما عدا المضارع للمتكلم فإنها تفتح فيه ، فيقال : بَافْهَم - بِتِفْهِم - بِيَفْهَم وليست هذه الباء هي الباء الجارَّة لأن حروف الجر لا تدخل على الأفعال ، ولم يسمع ذالك عن العرب في أي لهجة من لهجاتهم ، وربما كانت هي الباء الزائدة ، وقد ذكر ابن هشام في «المغني» أنها تزاد أحياناً : مع المبتدإ والخبر ، والفاعل والمفعول . وقد تكون العامية المصرية زادتها مع المضارع للتأكيد ، أو ربما كانت متقطعة من كلمة مثل (بِوُدِّي) وهي لحن ينبغي أن تبرأ منه العامية برءًا تامًّا .

٢ ــ العامية لا تُثَنِّي الأفعال : لا تلحق العامية الأفعال ألفَ التثنية فتقول في : (كتب ـ يكتبان) : كتبوا يكتبوا ـ وينبغي تَخَلُّصُ العامية من هذه الظاهرة التي تتعارض مع الفصحى تعارضاً شديداً .

٣ ــ إدخال الحاء على المضارع للدلالة على وقوعه قريباً : تستخدم العربية مع المضارع حرف السين للدلالة على قرب وقوعه في مثل سأكتب ، وتستخدم العامية المصرية مكانه الحاء فتقول : (حَاكْتُب) وربما كانت هذه الحاء مقتطعة من كلمة (رايح) وهو لحن ينبغي أن تتخلص منه .

٤ ــ إدخال(ما)على المضارع للتاكيد : تدخل العامية على المضارع ما لغرض التأكيد مثل : (مَاتاكل ـ ماتشرب) ؟ وهي اختزال من (أَمَا) الدالة على العرض والطلب . وينبغي أن تعود العامية إلى استخدام (أما) كاملة دون اختزال .

ثانياً : في الأسماء : ١ ــ التسوية في المثنى وجمع المذكر السالم بين حالة الرفع وحالتي النصب والجر : تُسَوِّي العامية المثنَّى في حالة الرفع بحالتي

النصب والجر فتقول (معي كتابين ـ أخذت كتابين ـ نظرت في كتابين) فالمثنّى تلزمه دائماً الياء والنون مع كسر ماقبلهما ، وينبغي العودة به إلى أحواله في الفصحى فيقال : (معي كتابان ـ أخذت كتابين ـ نظرت إلى كتابين) مع فتح الباء في حالتي النصب والجر ، وبالمثل تسوى العامية جمع المذكر السالم بحالتيه في النصب والجر ، فتقول : (المتفوقين حضروا ـ عرفت المتفوقين ـ تحدثت إلى المتفوقين) والمثالان الأخيران صحيحان بخلاف الأول ، فهو في الفصحى (المتفوقون) لأنه مبتدأ ، وينبغي أن تعود العامية إلى استخدامه الصحيح في حالة الرفع مثل الفصحى فتلحق به الواو والنون .

٢ ـ كسر الميم في اسم الفاعل واسم المفعول من الفعل الرباعي ومابعده :
تكسر العامية الميم في اسم الفاعل واسم المفعول من الفعل الرباعي والخماسي والسداسي فتقول (مِعَلِّم ـ مِسامح) بكسر الميم في اسم الفاعل وهي مضمومة في الفصحى دائماً كما تقول : (مِفَتَّح ـ مِغَمَّض) بكسر ميم اسم المفعول وهي مضمومة في الفصحى دائماً ، وينبغي أن تنطق بالميم في الصيغتين مضمومة مثلهما .

ثالثاً : الضمائر : ١ ـ نقل ضمة هاء الضمير إلى ماقبلها مع حذفها : يَطَّرِدُ نقل هاءِ الضمير وحذفها مع الأفعال ، في مثل كتبه ، تقول العامية (كتبو)، ومع الأسماء في مثل كتابه ، تقول العامية (كتابو) ومع الحروف في مثل (له ـ عنه) تقول العامية (لو ـ عنو) وينبغي أن تتخلص العامية من ذالك وتبقي ضمير الهاء مع رفعه كما تقضي بذالك قواعد الفصحى .

٢ ـ استعمال الواو و (هم) مع جماعة الإناث الحقيقيين وغير الحقيقيين:
تستخدم العربية الواو وهم مع جماعة الذكور بينما تستخدم مع جماعة الإناث نون الإناث وهُنَّ فتقول: (الطالبات حضرن ـ رأيتهن) والعامة تسوى بين الإناث والذكور فتقول (الطالبات حضروا ـ رأيتهم) كما تقول: الإبل ساروا، والكتب قرأتهم، بينما تقول الفصحى : الإبلُ سارتْ ـ الكتب قرأتها . وكل ذلك ينبغي أن تتخلص منه العامية.

٣ ــ **تشديد ياء المتكلم مع اللام الجارّةِ** : تقول الفصحى : (لِي) بالفتح أو السكون بينما تشدد العامة الياء ، وهو لحن ينبغي أن تبرأ منه ، ويبدو أنه فيها من قديم إذ نجده في موشّحةٍ لعلي بن وفا في القرن الثامن إذ يقول فيه (رُدَّهَا لِيَّا) وينبغي أن تعدل عنه .

٤ ــ **نقل حركة كاف المخاطب والمخاطبة إلى الحرف السابق لها** : تقول الفصحى : (هذا كتابُك) ـ بفتح الكاف للمخاطب المذكّر وكسرها للمخاطبة المؤنثة ، بينما العامية تقول : (هذا كتابَك) للمذكر بنقل حركة الكاف إلى ماقبلها ، و(هذا كتابِك) للمؤنثة بنقل حركة الكاف إلى ماقبلها ، وينبغي أن تلتزم بالنطق الصحيح الفصيح .

رابعاً : الحــروف : ياللتَّخْيِيْر: تستخدم الفصحى للتخيير إما ، فتقول مثلاً : (ادرس إمَّا الشعرَ وإمَّا النثر)، بينما تقول العامية : (ادرس يَاالشِّعر يا النثر). وينبغي أن تلتزم الفصحى في حالة التخيير بَإمَّا وتترك (يا) فيه نهائياً .

إبدال في الحروف : **١ ــ إبدال الهمزة** :

أ ــ عينا : ويسمى ذلك عنعنة تميم تقول في إنك عِنَّكَ ، وفي أُذْن ، عُذْن ، ومن أمثلة ذالك في العامية : جعْر في جأر ، فقع عينه في فَقَأَ .

ب ــ واواً : وهي تبدل منها كثيراً في العربية مثل بُوْس في بؤْسٍ ، وواخَيْتُ في آخَيْتُ ، وأوادم في آدم ـ ومن أمثلة ذالك في العامية : وَجُّتِ النار ، في أَجَّتْ ـ وَدَاه ، في أداه ـ إدَّن في أَذن بتسهيل الهمزة وقلب الذال دالاً ـ وَرَّاهُ في أَرَاه ـ وزُّه في أَزَّهُ ـ وَاساه في آساه ـ وُقَّةٌ في أُقَّة ـ وَلِيْفة في أَليفة ـ وِيَّاك في وَإِيَّاكَ بتسهيل الهمزة ـ وِيَّانَا ، في وَإِيَّانَا .

جـ ــ هاء : ولها أمثلة مختلفة في العربية مثل هَيَا في أيا للنداء ـ هَرَقْتُ الماء في أرقت . ومن أمثلة ذالك في العامية : لهف الشيء ، في لأفَهُ ـ هِيْه هِيْه في إِيْه إيه ، (للاستزادة في الكلام) .

٢ ـ إبدال الباء :

أ ـ ميما : تبدل الباء ميما في أمثلة ذكرها اللغويون . من ذالك كَمَحَ الدابة في كبحها ـ والنكمة في النكبة ـ وبنات مَخْر ، في بنات بخر أي السحاب ، والبخر مشتق من البخار ، وحكى أبو عمرٍو الشيبانيُّ قولهم : مازالَ رَاتِماً على كذا ، في راتباً أي مقيماً ـ وفي «اللسان» : شرب نُغَماً في شرب نُغَباً أي جَرْعَاتٍ من الماء . ومن أمثلة ذالك في العامية : تَمَخْتَرِي ياعروسة ، في تَبَخْتَرِي .

ب ـ فاء : تبدل الباء فاء ، لقرب مخرجهما في الشفتين ، ومن أمثلة ذالك في العامية : التهفت النار ، في التهبت ـ لهفه بالعصا ، في ألهبه .

٣ ـ إبدال التاء طاء :

أ ـ تبدل التاء طاءً في صيغة افتعل ، إذا كانت فاء الفعل صادًا أو ضاداً أو طاءً أو ظاء مثل : اصطبر ـ اضطرب ـ اضطهد ـ اطَّرَد .

ب ـ وتبدل التاء طاءً بعد الضاد وأخواتها السالفة في مثل : ـ نهضت ـ خبطت ـ حفظت ـ فالتاء فيها جميعاً تنطق طاء . ومما جاء من نطق التاء طاء في العامية: طُرْبة في (قبر في تُربة ـ تَـمَـتَّـقَ، في تَـمَـطَّـقَ).

٤ ـ إبدال الثاء :

أ ـ تاء : يكثر ذالك في العامية المصرية ، ومن أمثلته : تار ، في ثأر بتسهيل الهمزة ـ اتَّاوِب ، في تثاءب بقلب الهمزة واواً ـ تَخِين ، في ثَخِين ـ تُعْبان ، في ثعبان ـ تعلب في ثعلب ـ تقل ، في ثقل ـ تَلْج في ثلج ـ اتنين ، في اثنين ـ تفل ، في ثفل ، تلاته وتلاتين ، في ثلاثة وثلاثين ـ تلت ، في ثلث ـ توب ، في ثوب ـ تُوْم في ثوم ـ عتمان في عثمان كُرَّات في كراث ـ كمتْرَى في كُمَّثْرَى .

ب ـ دَالاً : من ذالك : أَلْدَغ في أَلْثَغ .

جـ ـ سينا : من ذالك : سَقب في ثقب ـ سريٌّ في ثري ـ سروة في ثروة ـ سُـمَّ في ثـم ـ سواب في ثواب .

د ــ شينا : من ذالك : شَرٌّ الماء في ثَرٌّ ـ شُلَّة في ثلة .
هـ ــ طاء : من ذالك : شبط في شبث وتشبث.

٥ ــ إبدال الجيم :

أ ــ همزة : من ذالك : رأله بالعصا في رجله ـ المِئَشَّة في المِجَشَّة .
ب ــ شينا : من ذالك : اشْتَرَّ الحيوان ، في اجْتَرَّ ـ وَشّ ، في وَجْه .
جـ ــ هاء : من ذالك : فالوذج في بالوظة بإبدال الياء فاء .

٦ ــ إبدال الحاء عينا : من ذالك تَعْتَعة في تَحْتَحَة وحركة .

٧ ــ إبدال الخاء غينا : من ذالك غِفر الزرع ، في خفره ، ومنها غَفِير ، في خَفير ـ نَغَزَهُ ، في نَخَزَه .

٨ ــ إبدال الدال :

أ ــ تاء : من ذالك زغرتة ، في زَغَردة.
ب ــ زايا : من ذالك زَغْزَغَةُ ، في دَغْدَغَهُ .

٩ ــ إبدال الذال دائماً :

أ ــ دالاً ويكثر ذالك في العامية ، ومن أمثلته : إلاَّ دَا ، أَوْدَهْ ، في إلاَّ ذَا أَوْذَه ـ دَابَ ، في ذَاب ـ دَاق في ذاق ـ دبحه في ذبحه ـ دبل في ذبل، دُبَّان في ذُبَّان ـ دراع في ذراع ـ دقن في ذقن ـ دهب في ذهب ـ ديب في ذئب ـ بادنجان في باذنجان ـ حدفه في حذفه ـ نَدْل ، في بذل ـ ندر في نذر .

ب ــ زايا : وهو كثير مثل : زاك ، في ذاك ـ زاته في ذاته ـ زخيرة في ذخيرة ـ الزرية في الذريّة ـ الزكا في الذكاء ـ الزم في الذم ـ الزمة في الذمة ـ الزل في الذل ـ الزهن في الذهن ـ زعاف في ذعاف ـ تبزير في تبذير ـ رزيل في رذيل ـ المزياع في المذياع ـ عزاب في عذاب .

جـ ــ ظاء : وذالك مثل بالوظة في فالوذج .

١٠ ــ **إبدال الزاي سيناً** : من ذالك كُسْبُرة في كزبرة .

١١ ــ **إبدال السين** :

أ ــ زاياً : من ذالك فُزْدُقٌ في فستق .

ب ــ صاداً : يكثر ذالك في العامية ومن أمثلته : الخص في الخس ـ صخه في سخه ـ اخص في اخسأ ـ أخرص في أخرس ـ الجعيص في الجعيس ـ لَغْوَصَ في لَغْوَسَ .

جـ ــ ظاء : من ذالك ألماظ في الماس .

١٣ ــ **إبدال الشين سيناً** : من ذالك سجيع في شجيع .

١٤ ــ **إبدال الشين صادًا**: من ذالك الصِّيْص في الشيص.

أ ــ زاياً : من ذالك قزدير في قصدير .

ب ــ سيناً : من ذالك سرخ في صرخ ـ سايغ في صايغ ـ سَكَّ الباب في صَكَّ ـ سحن في صحن ـ سدع في صدغ ـ سمغ في صمغ ـ مُسْتَكَى في مُصْطَكَى بقلب الطاء تاء .

١٥ ــ **إبدال الضاد دالًا** : من ذالك دحك ، في ضحك ـ مَدَغَ الطعام في مضغ .

١٦ ــ **إبدال الطاء تاء** : من ذالك مُسْتَكَى المارَّة ـ حانوتي في حانوطي ـ تنبل في طنبل .

١٧ ــ **إبدال الطاء** :

أ ــ دالًا : من ذالك مندرة في منطرة .

ب ــ ضاداً : من ذالك : الضل في الظل ـ الضهر في الظهر ـ الحفض في الحفظ ـ الحنضل في الحنظل ـ فلان على اللَّضا في اللظا أي النار ـ اللماضة (الفصاحة) في اللماظة نضف في نظف ـ الضفر في الظفر .

١٨ ــ **إبدال العين** :

أ ــ همزة : من ذالك دألج الكرة في دَغْلج .

ب ــ حاء : في مثل بحتر في بعثر بقلب الثاء تاء - انكشح في انقشع .

جـ ــ هاء : دَهَسَ رجلي في دَعَسَهَا - دَعْوَرَهُ (قذفه في هوة) في دَهْوَرَهُ .

١٩ ــ **إبدال الغين عيناً** : من ذالك لَدَعَهُ العقرب في لَدَغَهُ .

٢٠ ــ **إبـدال الفـاء** :

أ ــ باء من ذالك بالوظة في فالوظة ، بُوْلاد ، في فولاذ .

ب ــ طاء : من طرقع في فرقع .

جـــ واو : من ذالك يا لَهْوَتِـي ، في يالَهْفَتِي .

٢١ ــ **إبدال القاف همزة إبدالًا عامًّا** .

أَبْدَلَتِ القاهرةُ القافَ في كلمات العربية همزة منها إلى التخفيف ، وتَبِعَتْها في ذالك الدلتا ، أما الصعيد فَيُبْدِلُها ، غالباً جِيما . ومن أمثلة قَلْبِهَا همزة : آل ، في قال - قاول مقاولة - آول مؤاولة - أَبَّحَ عليه في قبح - أرَى ، في قرأ - الأُرابة في القرابة - إدر، في قِدْر، آرَب في قارَب - إرْد في قرد - أُرْرُوْهُ في قُرْرُوْهُ - إرْش في قِرْش - أرًّا عليه، في قرق - الأَرَف، في الْقَرَفِ - أُشّ في قش - إشْطة في قِشْطة - أَطَمْ لأمَةً - قَطَمَ لقمة - الأطايف في القطايف - الأطيفة في القطيفة - الأفش في القفش - الأُفَّة في القفة - أَرْن في قَرْن - أُراع في قُراع - أَعَدَ في قَعَد - زوًّا في زوَّقَ - لأف في لقف - النَّأل في النقل - أَمَصَ الفرسُ في قَمص - أُوام في قوام - النَّأْرَشَة في النقرشة - النُّؤْطة في النقطة - أَهَرَه في قَهَره - أُمْع في قُمع - أَلْب في قَلْب ، إلى غير ذالك مما يخرج عن حدِّ الاستقصاء .

٢٢ ــ **إبـدال الـلام** :

أ ــ راء : من ذالك : رغى رغياً في لَغَى - دِرْفِيل في دِلْفِيْن ، مع إبدال النون لاماً .

ب ــ نوناً : من ذالك : الْبَنُور في الْبَلُّوْر ـ حَبٌّ هان ، في حب هال ـ فِنْجان في فنجال .

٢٣ ــ إبــدال الميـم :

أ ــ باء: اشتهرت قبيلة مَازِنٍ الشيبانيةُ بأنها تبدل الميم باءً، ولذالك حين استقبل الرشيد المازنيَّ إمام النحو المشهور قال له: بَاسْمُكَ؟ تظرُّفًا معه، يريد: ما اسمك ؟ : من ذالك: السيدة الباتِعة في الماتعة، أي الغاية في خصال الخير ـ بتاع فلان في متاعه، أي ما يخصه من أي شيء ـ بَقْدُوْنس في مقدونس.
ب ــ نوناً : من ذالك زنهر (أحمر) في زَمْهر .

٢٤ ــ إبــدال النــون هــاء : من ذالك : هش الذباب في نَشٌّ .

٢٥ ــ إبـدال الهـاء حـاء : من ذالك الحلّوف في الْهِلُّوف .

وبعد : هذه كلمة موجزة عن إبدالات العامية في الأفعال والأسماء والحروف ، ووراءها تغيرات كثيرة في الحركات ، وهي كثيرة كثرةً مفرطة ، سوى ما أحدثت العامية من حذف الهمزة في أفعال كثيرة مثل حَبُّهُ في أحبه فَطَر في أَفْطَر ـ قفل الباب في أقفله ، وأيضاً ما أحدثت من القلب في الأفعال والأسماء مثل : اتْلَمَّ في الْتَمَّ ـ اتْكَسَى في اكتسى ـ أهبل في أبله ـ جلاليب في جلابيب ، وسوى ما أحدثته من نحت وهو فيها كثير مثل : أَكْمِنُّهْ زَعْلَان ، في كما أنه ـ إِنْهُو ، في أين هو ـ بَايِنْك ، في باين أَنَّك .

وفي رأيي أنه ينبغي أن تحصر كل هذه الفروق بين الفصحى العامية المصرية وبينها وبين العاميات في بلداننا العربية ، ولا بأس أن تكتب فيها كتبٌ تعليمية للناشئة ، حتى نسرع الخُطَى في رفع الحواجز بين عامياتنا وبين الفصحى ، وحتى تَمَّحِي هذه الازدواجيَّةُ أَوِ الثُّنائية بين لغة لنا عامية نَتَدَاوَلُهَا في حياتنا اليومية ، ولغة فصيحة نتداولها في حياتنا الأدبية والعلمية .

د. شوقي ضيف
الأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة

في تاريخنا الحديث:

حول معركة الصريف وحصار الرياض الأول

سنة ١٣١٨هـ

كنت في زيارة لسمو الأمير عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود، وكان الحديث عن أداء الواجب في زيارة الأقارب وشبههم وحق الكبير، وورد الحديث عن حق كبيرة من قريبات سموه ولدت منذ وقعة الصريف.

وحدث النزاع هل كانت الوقعة عام ١٣١٨هـ أم عام ١٣١٩هـ فدلفت إلى مكتبة سموه وكان أقرب مصدر يواجهني كتاب «شبه الجزيرة» لخير الدين الزركلي وإذا به يقول: (يوم ١٧/١١/١٣١٨هـ فاز ابن رشيد - يعني في وقعة الصريف - وانهزم ابن صباح إلى الكويت بمن بقي حياً من رجاله)[1].

ثم قال: (وجاءه أبوه الإمام عبدالرحمن بعد هزيمة الصريف فاستقبله عبدالعزيز على أبواب الرياض. واتفقا على العودة إلى الكويت بمن معهما).

قال أبو عبدالرحمن: وأنكر سمو الأمير عبدالرحمن بإصرارٍ وقَطْعٍ أن يكون الإمام عبدالرحمن جاء للرياض بعد وقعة الصَّريف عام ١٣١٨هـ أثناء حصار عبدالعزيز للرياض.

وسموه أعلم بأحوال جَدِّهِ وتاريخ أسرته.

وقلت في نفسي: إذا كانت معركة الصريف تاريخاً قريباً، وكان المؤرخ كالزركلي قريباً من المصادر الموثوق بها ومع هذا يحصل الاختلاف: فإن قضايا التاريخ فيما قبل ذلك ستستخلص بالمناقيش إن أسعفت!!

وهالني أن أجد أكثر من اختلاف في هذه المعركة.

وقد أسفرت مراجعاتي العاجلة عن عدة تساؤلات لحوحة:

ماهو خط سير الإمام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود منذ هزيمة الصريف؟

ومتى وقعت هذه المعركة؟

وماهي القصة الكاملة لحصار الملك عبدالعزيز رحم الله جميعهم الرياض للمرة الأولى عام ١٣١٨هـ.

وكم هو عدد جيش الفئتين في معركة الصريف؟

وكم هم رفاق عبدالعزيز في حصار الرياض؟

وأين هو حضور الرواية الشفهية، والشعر العامي ، والوثائق في التاريخ النجدي ؟

ولماذا يحصل الاختلاف في تاريخنا النجدي الحديث وهذه الأحداث تُرْوَى مشافهة عن معاصريها المصطلين بها ؟

وأذكر الوثائق لأنني رأيت التاريخ النجدي في حيص بيص عن الحادثتين الآنفتي الذكر ، ولم أجد تاريخاً دقيقاً باليوم والساعة عن إحدى الحادثتين ككتاب «العلاقة بين نجد والكويت» لخالد السعدون .

فقد حدد خروج الحملة من الكويت بشعبان سنة ١٣١٨هـ ، وذلك يوافق ٢٢ ديسمبر ١٩٠٠م .

قال أبو عبدالرحمن: يكون اليوم يوم السبت الموافق ١٣١٨/٨/٣٠هـ وهو أول يوم من فصل الشتاء .

ثم تحركت الحملة من حفر الباطن مجتازة الدهناء والباطن حتى وصلت إلى القصيم في ١٢ فبراير ١٩٠١م وذلك يوافق يوم الثلاثاء الموافق ١٣١٨/١٠/٢٢هـ .

وحدد المعركة بالسابع عشر من مارس عام ١٩٠١م .

قال أبو عبدالرحمن: وذلك يوافق يوم الأحد الموافق ١٣١٨/١١/٢٦هـ ، ويكون فصل الشتاء قد انسلخ وأقبل فصل الربيع[٢].

وحدد عودة مبارك الصباح إلى الكويت بشهر ذي الحجة من العام الموافق ٣١ مارس ١٩٠١م[٣].

قال أبو عبدالرحمن: وذلك يوافق يوم الأحد ١٣١٨/١٢/١٠هـ وما تأَتَّتْ هذه الدقة إلا بالله ثم بمراجعة الوثائق من خطابات وتقارير زَيَّنَ بها حواشي كتابه .

وعندما أذكر الوثائق لا أعني أنها مسلم لها بإطلاق بل هي قابلة للتمحيص ثبوتاً ودلالة لا سيما أن كانت بعيدة عن مكان الحادثة .

فعلى سبيل المثال : (تقرير وكيل الأنباء المقيم في الكويت) من مصادر السعدون، ولكن لا نُسلم تفصيلاته المنافية للمشهور من تفاصيل المعركة لبعده عن مكان الموقعة .

ومن أوهام ذلك التقرير أن المعركة التحمت من شروق الشمس إلى ماقبل الغروب[٤] .

والواقع أنها التحمت من زوال الشمس إلى الغروب، وحددت بخمس ساعات .

ومن أوهام ذلك التقرير دعوى أن مبارك الصباح وجه عبدالعزيز في شوال من القصيم لفتح الرياض[٥] .

والواقع أن عبدالعزيز اتجه من غدير الشوكي[٦] .

لقد ذكر هذه الوقعة ابن ناصر في ذي القعدة، وذكر أن عبدالعزيز استأذن والده في الهجوم على الرياض وهم في طريقهم إلى الصريف في غدير الشوكي[٧] .

وذكر خالد الفرج أن عبدالعزيز طلب من مبارك قوة يسير بها نحو الرياض ليفتحها، وأنه سير معه من الشوكي مقدار ألف رجل[٨] .

ويضيف محمد صبيح أن مبارك بن الصباح أوفد عبدالعزيز لكي يطوف بقبائل نجد ويثيرها على ابن رشيد[٩] .

قال أبو عبدالرحمن : هذا التعليل ادعاه بعضهم تعليلاً لأحداث عام ١٣١٩هـ عندما استولى الملك عبدالعزيز رحمه الله على الرياض نهائياً .

ولا أرى هذا التعليل للحدثَيْن أو أحدهما صحيحاً لأن عبدالعزيز ليس رجل شرطة لابن صباح ، وإنما طَمُوحُ عبدالعزيز إلى تغيير الواقع نهائياً لتتحد الأمة على راية واحدة كما اتحدت على قبلة واحدة ، وطموح إلى إعادة هذه الوحدة التي كانت تاريخاً لسلفه .

ويظهر من سياق الأحداث في الشوكي أنه لم يكن في برنامج مبارك بن صباح

تجنيد ابن سعود لفتح الرياض ، وإنما اصطحب آل سعود ليتقوى بقبائلهم والموالين لهم وليفيد من ثقلهم التاريخي .

أما أهل القصيم فكان في خطته احتلالهم للقصيم ليتقوى بهم على ابن رشيد من جهة ، وليضعف ابن رشيد من جهة أخرى حيث لن يكونوا من صفه .

وبهذا تصحح التحليلات التي جعلت محاصرة الملك عبدالعزيز للرياض في برنامج مبارك مسبقاً .

قال عبدالعزيز الرُّشَيْد عن القبائل والزعماء الذين كوَّن منهم مبارك جيشه: (رأى مبارك أن يعاجل ابن الرشيد في عقر داره لئلا تكون له فرصة يستعد بها ، فسافر إليه بجيش عرمرم ضم كثيراً من العربان كمطير والعوازم والعجمان وعريب دار والمنتفك والمرة وبني هاجر وثلة من الظفير ونحو ثمان مئة مقاتل من أهل الكويت ، وكان مبارك هو القائد له بنفسه، وفي معيته حمود وخليفة وصباح بن حمود من آل الصباح ، والإمام عبدالرحمن الفيصل آل سعود وابنه عبدالعزيز سلطان نجد وآل سليم أمراء بريدة ، وبعد خروج الجيش تبعه سعدون السعدون أيضاً[١٠]) .

ثم قال معللاً مصاحبة آل سعود وأهل القصيم لمبارك: (وكان الغرض من مسير عبدالعزيز السعود وآل سليم وآل مُهَنَّا هو احتلال الرياض وعُنيزة وبريدة لاشتغال ابن الرشيد بخصمه وقد نجحوا في خطتهم باديءَ الأمر فإن آل سليم دخلوا عنيزة، واحتل آل مهنا بريدة وذهب عبدالعزيز إلى الرياض وقبض عليها بمخلبه، غير أن أميرها عبدالرحمن بن ضبعان تحصن في قصرها واعتصم بحماه فشرع إذ ذاك ابن السعود في حفر خندق يتصل إلى القصر لينسفه به نسفاً بعد أن يملأه باروداً ، ولما لم يكن بينه والقصر إلا أذرع قليلة بلغه آنذاك هزيمة مبارك ومن معه في حادثة الصريف ، فاستعجل بخروجه من الرياض قبل أن يشعر بالحقيقة أحد وهكذا كان خروج من دخلوا عنيزة وبريدة فاتحين)[١١] .

وعندما أقول: ليس تجنيد مبارك لعبدالعزيز لاحتلال الرياض في برنامجه مسبقاً فإنما أقول ذلك لأنَّ منطقة الرياض بعيدة عن منطقة المعركة التي قدر أن تكون

حول بلد ابن رَشِيد أو في القصيم فمصاحبة الجند الذي سيصحب مباركاً أعظم غناء من ثلمه بفرقة تفتح الرياض ، وإنما حصلت القناعة أخِيراً لمبارك في الشوكي لما رأى جيشه عرمرماً .

كما أن مجرى الأحداث في الشوكي دل على أن محاصرة عبدالعزيز للرياض ليست في الخطة مسبقاً .

وأما الإمام عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز فما خرجا مع مبارك وجمعا أعوانهما إلا بهدف استرجاع التاريخ السعودي ، ولهذا كتب الإمام عبدالرحمن لنقيب البصرة في شهر ربيع الثاني سنة ١٣١٨هـ قبل خروج الحملة الخطاب التالي : (ما يخفى شريف علمكم قدم خدماتنا للدولة العلية ، أدامها رب البرية ، من وقت الآباء والأجداد ، وتعديات ابن الرشيد على بلداننا وعشائرنا وظلمهم إياهم وهو ليس له حق في ذالك ، وبمقتضى تعدياته وظلمه أكثر علينا أهل نجد الإلحاح أن نتوجه لأجل استنقاذهم من يده ، وتوجهنا لذلك ، فنرجو من تفضلاتكم أن تسترحموا لنا من حضرة والي ولاية البصرة أن يكتب لابن الرشيد أن لا يتعرض لنا ولا يحرك أحداً من عشائره علينا حذراً أن تقع فتنة قتل ومقتول وسفك دماء المسلمين، وهو السبب في ذالك ونحن خدام الدولة قَدِيْمِيْنْ ، وعلى هذا عهد الله وميثاقه أننا لا نزال نؤدي الخدمات اللازمة لحضرة أمير المؤمنين، أدام الله مجده وعزه ، ونحامي أتم المحاماة على جميع أطراف الدولة العلية الأحساء والقطيف وعشائرهما الخ)[١٢] .

قال أبو عبدالرحمن : واتحاد هدف ابن صباح وابن سعود على حرب ابن رشيد لا يعني تعليل أسباب الحرب وبواعثها بأهداف مشتركة .

فالأسباب لحرب الصريف نتيجة هدف قديم لدى مبارك وهو طموحه للسيطرة على نجد ، ونتيجة حدث معروف وهو لجوء يوسف آل إبراهيم إلى حائل .

ويوسف هذا خَال محمد وجراح أخوي مبارك اللَّذَيْنِ قتلهما مبارك نفسه .
ويشرح مقدمات الصريف مؤرخ الكويت عبدالعزيز الرشيد فيقول: (يقال إن يوسف في أثناء ماكان يستنجد بابن ثاني في قطر على غزو مبارك كان أيضاً يستنجد

بمحمد آل الرشيد في حائل ، وأن محمداً تظاهر بالميل له بإجابة طلبه . ولا يبعد أن يحصل هذا من محمد ، فإنه كان يضمر لمبارك كرهاً شديداً لا لشيء إلا لأنَّ مطامعه كانت تزاحم مطامعه ونفسه لا تصغر عن نفسه وآماله العظيمة تضيع في فضائها آمال محمد ، فكان مبارك يطمح إلى فوق ما يطمح إليه من نفوذ الكلمة في البادية في نجد . وقد أحس بذلك منه أيام أخويه عبدالله ومحمد بل زاد الطين بلة أن مباركاً قتل جملة من تجار أهل حائل خفية بعد أن خرجوا من الكويت ببضائعهم ، وبعد أن بعدوا عنها .

ولم تخف الخافية على محمد وإن أخفاها مبارك .

ويدلنا على ماكان يضمره له من الكراهية استنكاره عليه قتل أخويه بكتاب شديد اللهجة حاد التأنيب . ومهما يكن فقد قيل: إنَّ محمدا أوشك أن يهم بتجهيز الجيش لغزو الكويت من الشمال في الوقت الذي هم ابن ثاني بذالك من الجنوب ، ولكن بمعاجلة المنية للأول، وبكف الحكومة للثاني وقع عن ظهر الكويت ومبارك حمل ثقيل .

وعندما حضرت محمد آل الرشيد الوفاة سنة ١٣١٥هـ في رجب أوصى خلفه عبدالعزيز بالتيقظ لمبارك ، وحضه على التنبه له، وعلى مقاومته بكل ما في وسعه . وقال له: إنه هو الذي قتل تجار أهل حائل الذين خرجوا من الكويت وهو العدو اللدود لآل الرشيد عموماً . أوصاه بذلك ونحن نعلم أن عبدالعزيز ليس في حاجة إلى من يوصيه، وقد علم ما تنطوي عليه نفس مبارك الكبيرة من المطامع والآمال .

يعلم عبدالعزيز أن مباركا هو الشبح المخيف في جزيرة العرب ، وهو الرجل الوحيد الذي إن ترك وشأنه قوض منها خيام كل أمير ورماه بما ينزل من حالة عزه إلى الحضيض الأسفل بما له من همة وإباء ، وماله من عزم وحزم لإخماده ، يعلم ذالك منه علم اليقين ، فكان من جرائه لايزال يترصد الوقت المناسب لإخماد أنفاسه ومحو اسمه من ظهر الأرض .

أما مبارك فمع آماله البعيدة لم يفته ماكان يجول في خاطر عبدالعزيز آل الرشيد

نحوه فكان لايفتأ ينظر إليه بعين الحذر ، ويراقب حركاته عن كثب ، ويود معاجلته بما يخضد شوكته ويقطع شأفته .

غير أنه ظل تلك المدة الطويلة بعد وفاة محمد آل الرشيد وهو ملازم للهدوء والسكون ، ولم تبد منه حركة ضده ، وما ذاك إلا لأن أمامه من هو أولى بالاهتمام ، أمامه عدو ماهر ، عدو قوي قريب ، نوّع عليه المشاكل وأكثر عليه التهم والاختلاقات ، أمامه يوسف آل إبراهيم البلاء المنزل ، والصاعقة المحرقة ، الذي لم يدع له وقتاً يتفرغ فيه لسواه .

إذًا فلا غرابة إذا ما رأينا مباركاً أعطى ابن الرشيد أُذُناً صَـمَّاءَ ، واشتغل بيوسف دونه إلى أن أبطل كل حيلة قام بها الأخير ، ونقض كل غزل قد فتله .

هناك رأى الوقت قد حان لتنفيذ خطته سيما وقد علم أن يوسف حلق بجناحيه إلى حائل لإغراء ابن الرشيد على حربه)[١٣].

إذن لم يخرج مبارك في الصريف ليرد أجزاء من الجزيرة لآل سعود ، ولم يخرج آل سعود مع مبارك مجرد جنود لتحقيق حلم مبارك بالسيادة في الجزيرة .

فهدف عبدالعزيز ما أسلفته من إعادة التاريخ السليب المشرق ، وتحقيق نعمة الأمة في الوحدة .

والأحداث فيما بعد أوضحت طموحات مبارك في نجد ، وأنه يريد ابن سعود عاملاً له وظلاً ، والحق التاريخي لعبد العزيز يأبى ذالك . قال عبدالعزيز الرُّشَيْد : (يقال إن مباركا هو المبتدئ ، بالعداء ، وذلك لأنه عقد اتفاقاً مع خصم ابن سعود اللدود عبدالعزيز الرَّشِيد ، في شوال سنة ١٣٢٣هـ على يد خالد باشا العون في زيارته للكويت تلك السنة ، وكان من جملة مواد الاتفاق أن مباركاً يلازم الحياد فيما يدور بينه وبين ابن سعود من الحروب ، ويتبنى في ذالك الاتفاق فوز ابن الرَّشيد وانتصاره على عدوه . وتلا هذا أن مباركا كتب إلى ابن الرَّشيد يحرضه على غزو ابن سعود وأفهم أهل نجد بتخليه عن نصرته . وقد تبع هذا أيضاً الدور الذي مثله مبارك في الوقت الذي تقرر فيه اجتماع الوفد التركي برئاسة السيد طالب باشا النقيب بابن سعود في الكويت للبحث معه بشأن القطيف

والأحساء بعد احتلال ابن سعود لها فإن مباركا عارض أولاً في عقد المؤتمر في الكويت ، ثم اجتمع ثانياً بالوفد التركي وأخذ يشرح له نبذاً من أعمال ابن سعود المختلفة . يعني المخالفة لمصالح الدولة ، وأبان له غلط الحكومة العثمانية في تقديرها قوة ابن سعود بأكثر مما تستحق ، وتأسف لكون الحكومة لم تفوض إليه عقد الصلح معه ، وقال: لو أنها فوضت إليَّ ذالك لأجبرته على الخروج من الأحساء والقطيف .

ثم أخذ بعد هذا الخداع يحذر ابن سعود أيضاً من الإصغاء إلى مطالب الوفد ، وقبول شروطه ، ويضعف قوة الحكومة العثمانية أمامه .

ويقال: إن مباركا لم يمثل هذا الدور إلا بدافع من انكلترا التي ترى اتفاق ابن سعود مع الأتراك ضرراً على سياستها في الجزيرة وإزهاقاً لأملها بالاتفاق معه سيما وقد أخذ نفوذه يمتد إلى قلب الجزيرة .

وكان آخر الأدوار التي مثلها مبارك على مسرح المكر الدور الذي قام به في تجهيز ابنه سالم ومن معه من آل الصباح إلى الأحساء نصرة لابن سعود على العجمان ، فقد سيره بجيش عرمرم في رمضان سنة ١٣٣٣هـ وقال له: إني لم أرسلك لقتال العجمان ولا نصرة حقيقية لابن سعود . وأنا جهزتك صورة أمام الناس ، ثم حذره أشدَّ التحذير من الاشتباك مع العجمان في قتال . وقد علم ابن سعود بذالك ، بل علم بلوم مبارك الشديد لسالم بعدما سار إلى ساحة الوغا وبعدما اشتبك مع العجمان في بعض الوقائع فقد قال له في عتابه: قد نهيتك فلم تنته وحذرتك فلم تسمع . أنت لست تابعاً لابن سعود ولا هو بأفضل منك وأكبر ، فإيَّاكَ إيَّاكَ أن تعود لمثل ماعملت فمثل هذا التلاعب يضطر ابن سعود إلى التغير على مبارك)(١٤) .

وذكر أبو حاكمة إضافة إلى ذالك مسألة الحدود وهي جزء من طموحات مبارك . قال: (ولكننا ذكرنا أن الشيخ مباركا كان يطمح أيضاً في أن يصبح سيد الجزيرة ، إذن كان طبيعياً أن تصطدم المصالح بين الأميرين على الرغم من وشائج القربى التي تربط آل صباح وآل سعود .

ولعلنا نذكر في هذا المقام أيضاً سبباً آخر قيد تحركات ومن ثم تطلعات مبارك

فيما وراء ماصار يعرف بحدود الكويت ، وذالك السبب هو أن الانجليز منذ أن عينوا أول معتمد سياسي لهم بالكويت جعلوا منه رقيباً على تطلعات مبارك ، وحدوا من معاداته لجيرانه في الشمال والغرب ، لأنهم كانوا لا يريدون أن يدخلوا في صراع مع بَدْوِ الصحراء إلى الغرب من الكويت أو جنوبها ، سواء كان الحاكم من آل سعود أو من آل رَشِيْد . وكانت هذه سياسة تقليدية لحكومة الهند البريطانية منذ أن عقدت معاهدة ١٨٢٠م مع الساحل المهادن والبحرين ومسقط ، إذْ كَان هَـمُّ تلك السياسة هو المحافظة على الأمن والسلم في مياه الخليج ، وليس على سواحله البريه ، أي الاقتصار على البحر دون البر[١٥].

ونعود إلى أوهام الوثائق فمن أوهامها مانقله (فاسيلييف) من أن الجيش الكويتي حقق نصراً وتمكن من الاستيلاء على الرياض نفسها .

ومن هناك تحرك مبارك ظافراً نحو حائل[١٦].

قال أبو عبدالرحمن : وعمدته تقرير بعيد عن الحوادث وهو (آداموف) قنصل روسيا في البصرة .

وما مر مبارك بالرياض ولا حائل .

وقال (ج. ج سلدانها) عن مبارك : (غادر الكويت أخيراً في بداية شهر فبراير تاركاً وراءه ابنه جابر ليشرف على إدارة البلاد ، وقد اصطحب معه عبدالرحمن بن فيصل ، وعبدالعزيز بن عبدالرحمن ، وعدداً كبيراً من رجال القبائل الذين وقفوا إلى جانب عبدالرحمن . وفي ١٢ فبراير وردت التقارير بأنهم وصلوا على مسيرة يوم واحد من الرياض ، وقد تم الاستيلاء على هذه المدينة في حوالي منتصف شهر فبراير وعرضت جميع قبائل نجد الاستسلام ، وتم تعيين الشيخ عبدالعزيز بن فيصل حاكماً على الرياض ، وكذلك طلب السلام أبناء الشيخ حمود أقارب ابن الرَّشيد .

ومن الرياض زحف الشيخ مبارك إلى حائل والتقى بابن الرَّشِيد في معركة ، ولكنه هزم هزيمة نكراء ، ووردت التقارير تفيد في باديْ الأمر بأنه قتل ، وعندما سمع وزير الخارجية بذلك أمر بضرورة توجه (الكولونيل كمبول) على الفور إلى الكويت للتأكد من الحقائق ، وإذا صدقت هذه الأنباء فعليه أن يرسل تقريراً

عنها ، واقترحت البرقية المرسلة من قنصل بريطانيا في البصرة إلى السير (ن. أكنور) إبرام اتفاقية مع جابر الذي كان يرجح أنه سيخلف مبارك إذا كان قد قتل بالفعل .

وقبل أن يتوجه الكولونيل (كمبول) إلى الكويت وصلته أنباء تفيد بأن مباركاً عاد إلى الكويت في ٣١ مارس ، وتوجه الكولونيل (كمبول) إلى الكويت يوم ٣١ مارس على ظهر السفينة (لورانس) وأجرى حديثاً مع مبارك . وقد قدم له الشيخ تقريراً يشوبه الارتباك عن القتال، وكان يريد منه أن يصدق أنه هزم ابن الرَّشِيد ، ولكن الكولونيل (كمبول) يلاحظ : (أما بالنسبة لتقرير الشيخ مبارك عن القتال فلا يمكن تصديقه، وليس هناك أدنى شك في أنه تلقى ضربة قاسية ، وتقطع كل الاحتمالات بأن قواته دحرت وتفرقت . وإليكم هذا التقرير عن القتال الذي حصلت عليه أثناء وجودي في الكويت عن طريق مصدر أثق تماماً في صدقه وأمانته : وبعد أن توغل مبارك حتى بلغ الرياض والعارض يبدو أنه حصل على وعود بالمساعدة من بعض القبائل البدوية التابعة لأمير نجد ، وأنه تفاهم مع ربيعة (؟) رئيس عنيزة الذي وعده هو وأهالي بريدة بمساندته في حالة الضرورة . وهكذا تشجع واتجه نحو حائل ومعه ٥٠٠٠ رجل ليس من بينهم الْبَدْوُ التابعون لابن الرَّشيد الذين انضموا إليه ، وعندما وصل إلى موقع غير بعيد عن حائل ، هاجمه أمير نجد في ٢٥ من ذي القعدة الموافق ١٧ مارس .

ويقال إن القتال استمر لمدة ساعة ونصف فقط وحاقت الهزيمة بالشيخ ، وهنا سارع بَدْوُ نجدٍ الذين كانوا مع الشيخ مبارك إلى الانقضاض على معسكراته ونهبها .

وتبعه الأمير ليواصل مطاردته ولكنه كف عن ذالك عندما رأى ربيعة (؟) على رأس ٤٠٠ فارس قادمين لمساندة الشيخ مبارك ، ثم توجه ابن الرَّشيد إلى بريدة ، حيث يقال إنه ألقى القبض على ربيعة وقتله هو وابنه ، وفرض على المنطقة غرامة مقدارها ٣٠,٠٠٠ دولار . ويقال إن عدد القتلى من جانب مبارك كان مرتفعاً للغاية حيث قتل حوالي ٢,٠٠٠ أثناء القتال وهلك الباقون في الصحراء . بينما يقال إن عدد القتلى في جانب الأمير لم يزد عن ٤٠٠ قتيل من بينهم شقيقه طلال ،

واثنان من أبناء عمومته وبعض رجاله البارزين ، وكان من بين القتلى أيضاً شقيقه حمود وابن عمه خليفة بن عبدالله صباح .

ومن الصعب الاطمئنان إلى صحة هذه البيانات ولكنني أعتقد أنها أكثر صدقاً من التقرير الذي قدمه الشيخ مبارك بهدف أن يخفي في طي الكتمان حقيقة الكارثة التي حلت به وهو ما سنعرض له فيما بعد .

ووصل مبارك إلى الكويت في ٣١ مارس ولم يرجع معه في وقت زيارتي إلى الكويت إلا ١٠٣ من مجموع الرجال الذين خرجوا معه في البداية ويقال إن عددهم بلغ ١٢٠٠ .

ويقال إن عبدالرحمن بن فيصل موجود في الكويت رغم أن مبارك أخبرني أنه خارج المدينة . بينما يقيم الشيخ سعدون مع حوالي ٧٠٠ رجل في مخيم على بعد حوالي ١٠ أميال من الكويت)[١٧].

قال أبو عبدالرحمن : أوهام هذا السياق دعوى احتلال الرياض ، والواقع أنه لم يحصل للرياض احتلال بالكامل ، ولم يصل مبارك إلى الرياض قط ، وإنما حاصر الرياض عبدالعزيز كما مر ، وكما سيأتي بناء على كتب التاريخ المحلي والرواية الشفوية .

وبرقية وكيل بريطانيا السياسي في البحرين إلى المقيم البريطاني في الخليج ، وتقرير وكيل الأنباء المقيم في الكويت هما اللذان بنى عليهما خالد محمود السعدون تاريخه لمراحل الحملة فيما أسلفته من كلامه ، وهو الموافق في جزئياته للتاريخ المحلي والرواية الشفوية .

وأما أن الحملة وصلت على مسيرة يوم واحد فذلك تقدير مقارب لأنهم وصلوا إلى الشوكي في طريقهم إلى القصيم ، ولم يكن ذالك في ١٢ فبراير بل ذالك تاريخ وصول الحملة إلى القصيم .

ولم يصل مبارك إلى حائل بل كان منتهاه الطُّرْفِيَّة ، وفيها استقر كما استقر ابن رشيد في الصَّرِيف وكان الحرب بين هذين المكانين .

وفي كلام (ج. ج سلدانها) مالم يفهم بعد وهو قوله: وكذالك طلب السلام أبناء الشيخ حمود أقارب ابن الرشيد.

ومما لا يفهم ولا يعلم كلامه عن ربيعة شيخ عنيزة ؟!

ومن الأوهام جعله المعركة قرب حائل.

ومصدر (ج. ج سلدانها) يثق به تماماً مع أنه في موضع آخر شكك في صدق بياناته. ولم يذكر هوية ذالك المصدر وإنما ذكر أنه حصل عليه أثناء وجوده في الكويت. والأرجح أن هذا مصدر شفوي من فلول الهزيمة تتناقل الأخبار من شاهد عيان، إلى رَاوٍ غير واعٍ لما رَوَى، إلى ثالث عنده شهوة السمر بالإضافة والنقص. ولهذا جاء التقرير منافياً للواقع في جزئياته كما أسلفت تفصيله، وجاء في هذا التقرير أن جيش مبارك خمسة آلاف، وأن القتال استمر ساعة ونصف فحسب. ويظهر من تقارب الصياغة للأحداث الموهومة أن مصدر (آداموف) قنصل روسيا في البصرة ومصدر (ج. ج سلدانها) إشاعات شفوية واحدة.

وقال يوسف حمد البسام: (في أوائل سنة ١٣١٨هـ قام الأمير عبدالعزيز المتعب الرَّشِيد بحشد قواته مستعدًّا للحرب، وقد أدرك الشيخ مبارك الصباح أنه أصبح بين أَمْرَيْنِ: إما الحياة وإما الموت، فأخذ يعمل للاستفادة من العشائر النجدية المناوئة لآل رَشِيْد، كما وجد أن الحاجة تدعوه للاستعانة بآل سعود فقرر شد أزرهم في استعادة إمارتهم على الرياض.

ثم عزم الشيخ مبارك الصباح على مهاجمة الأمير عبدالعزيز الرَّشِيد فكتب إلى سعدون باشا آل سعدون يخبره بما عزم عليه، ويطلب منه الحضور إليه بمن معه بأسرع ما يمكن، وكان الأمير عبدالعزيز الرَّشِيد قد أرسل سالم الحمود الرَّشِيد إلى سعدون باشا يطلب منه البقاء على الحياد، إذا ما أعلن الشيخ مبارك الحرب عليه، ولكن سعدون باشا أبى ذالك وفضل الحرب إلى جانب الشيخ مبارك والإمام عبدالرحمن الفيصل السعود لاتفاق سابق بينهم. هذا بالإضافة لما يكنه سعدون باشا من الحقد على الأمير ابن رَشِيد بأسباب المعارك السابقة بينهم في

الخميسية وتَلّ جبارة وغيرها سنة ١٣١٧هـ . لقد لبّى سعدون باشا طلب الشيخ مبارك الصباح وسار مع أتباعه قاصداً الْـجَهْرَا للالتحاق بجيوش الشيخ مبارك ، وقد أرسل الشيخ مبارك إلى القبائل الموالية له يستنهضها للاشتراك معه في الحرب .

وبعد أن اجتمعت لدى الشيخ مبارك تلك الجيوش سار يقودها هو بنفسه لمنازلة ابن رشيد ثم وصل العارض فحاصرها أياماً ثم فتحها بدون قتال . وأسند إدارة أمورها إلى الأمير عبدالعزيز آل سعود واتَّجَهَ قاصداً مدينة عنيزة ، فحاصرها ثلاثة أيام ، فصالحه أهلها فأمر باعتقال عامل ابن رشيد وأسند الأمر فيها إلى عبدالعزيز العبدالله آل سُلَيْم (سليم لقب يطلق على سليمان بن يحيى بن علي بن عبدالله بن زامل) فأولاد سليمان هم المعروفون بآل سُلَيم .

وبعد أن احتل الشيخ مبارك الصباح بلدة عنيزة توجه نحو بريدة فضيق عليها الحصار لمدة سبعة أيام فسلمت إليه صلحاً فأسند الرئاسة فيها إلى ناصر بن حسن أَبَا الْـخَيْل ، بعد أن سجن عامله المعين من قبل ابن رَشِيد . ثم اتجه الشيخ مبارك من بريدة يطلب ابن رشيد فوصل إلى الطُّرْفِيَّةِ ، وهي قرية تبعد عن بريدة خمسة عشر ميلاً .

جرى ذالك كله والأمير عبدالعزيز الرشيد لا علم له فيه حيث كان يومئذ مقيماً في محل يدعى الحسجي (؟) ولما وقف على الأمر أمر في الحال بجمع الجيوش وتحشيد القبائل، وضرب لهم موعداً للاجتماع في محل يدعى عَيْنَ ابنِ فُهَيْد ، وقد أنَّبَ وزيره سبهان العلي لعدم أخذه الحذر .

اجتمعت في عين ابن فُهَيد قبائل شمر أفواجاً أفواجاً بين فرسان وركبان وتحشد إليه الأعراب من كل حدب وصوب . وبعد ثلاثة أيام اقتاد الأمير عبدالعزيز الرشيد تلك الجيوش ونزل شرق الطُّرْفية ، ثم ارتحل ونزل في محل يدعى فيلة الأسياع (؟) بالقرب من معسكر الشيخ مبارك ، وكان يفصل بين المعسكرين تل

من الرمل ، ثم أخذ الأمير عبدالعزيز الرَّشِيد يحرض جيشه ، فاندفعت الفرسان والمشاة ، وتسلقت ذالك التل ، وحينما أبصرتهم جيوش الشيخ مبارك بادرتهم بإطلاق الرصاص ثم أصدر الشيخ مبارك أمره بالهجوم مرة واحدة فهجموا فاشتبكت الحرب ، وثار القتال بين الطرفين، وكانت بوادر النصر في أول الأمر للشيخ مبارك .

وبعد أن تلاحم الجيشان وَدَنَا بعضهم من بعض ، ثم أوقف إطلاق الرصاص واستعملت السيوف والخناجر ، وكان الأمير عبدالعزيز الرشيد يحرض جيشه ويخوض المعركة في نفسه فتراه تارة في الميمنة وطوراً في الميسرة ، وحيناً في القلب ، وبقيت الحرب دائرة الرحا لمدة خمس ساعات قاتل الفريقان خلالها قتال المستميت كل فريق يأمل كسب المعركة بينما كانت السماء تمطر مدراراً وتحول ماء المطر إلى دم أحمر .

وقد انجلت تلك المعركة عن هزيمة الشيباني رئيس عشيرة عُتَيْبَة ، فتابعه بقية القوم في الانهزام فحدثت البلبلة في جيش الشيخ مبارك فانقضَّت عليهم جيوش الأمير عبدالعزيز الرَّشيد ، فانهزم جيش الشيخ مبارك ، تاركين أموالهم وخيامهم وأسلحتهم .

وبقي الأمير عبدالعزيز الرَّشيد مخيماً في الطُّرُفية لمدة سبعة أيام ، ثم رحل من الطرفية ونزل بريدة . أما الشيخ مبارك فقد فر طالباً النجدة ثم لحق به سعدون باشا آل سعدون ، ومن معهم من الرؤساء وقصدوا بلدة الزُّلْفِي ، وفي صباح اليوم الآخر قصدوا الصَّمَّان ، ومن هنا توجه الشيخ مبارك إلى الكويت ، وتوجه سعدون باشا إلى مقره في الخميسية .

أما الإمام عبدالرحمن الفيصل السعود وولده عبدالعزيز كانا قد وصلا الرياض ، وضربوا عليها الحصار ، ثم استولوا عليها ، ولم يستعص عليهم شيء غير عامل الأمير عبدالعزيز الرَّشيد المدعو عبدالرحمن بن ضَبْعَان حيث تحصن في

القصر وامتنع عن التسليم .

فعزم الأمير عبدالعزيز السعود على نسف القصر وفي أثناء ذالك وردت عليه الأخبار باندحار الشيخ مبارك في معركة الطرفية ، وتمزيق جيشه ، فاستعجلوا الخروج من الرياض خشية مداهمة الأمير عبدالعزيز الرشيد لهم . وكذلك كان الأمر في بلدتي عنيزة وبريدة فقد تركها أميراها المعينان من قبل الشيخ مبارك لنفس السبب .

وقد وقعت هذه المعركة في ١٦ شباط سنة ١٩٠١م الموافق ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣١٨هـ وتعرف هذه المعركة بمعركة الطُّرفية نسبة إلى قرية الطرفية التي نزل فيها الشيخ مبارك الصباح كما تسمى معركة الصَّريف نسبة إلى آبار ماء في القصيم نزل عليها الأمير عبدالعزيز الرشيد وبينهما كانت تلك المعركة الهائلة)[١٨].

قال أبو عبدالرحمن: هذا النصُّ فيه زيادة معلومات بيد أنه أفاد من مصادر الشائعات الشفهية التي ذكرت احتلال مبارك للرياض ، وأضاف وهماً آخر وهو مصاحبة الإمام عبدالرحمن لابنه عبدالعزيز في حصار الرياض .

وقال خزعل : (بعد فرار مبارك بقي الأمير عبدالعزيز الرَّشيد مخيماً في الطرفية لمدة سبعة أيام يرسل سراياه إلى البادية ، وكل من ظفروا به من جيوش الشيخ مبارك قتلوه . وبعد ذالك رحل عن الطرفية ونزل بلدة بريدة ، وأمر بهدمها وقطع نخيلها فتوجه إليه بعض من أهالي بريدة الذين كانوا بمعيته في أثناء الحرب وحضر لمساعدتهم العلماء الشيخ صالح بن عَمْرو، والشيخ ابن جاسر والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام وكلهم من شيوخ عنيزة ، وبصحبتهم أخوه فهد وابن عمه ومن يلوذ بهم من المتقدمين عند الأمير عبدالعزيز الرَّشيد ، وأحضروا المصاحف ووضعوها بين يديه طالبين منه أن يكف عن قطع النخيل وهدم البلد فقبل منهم الرجاء وكف عما عزم عليه)[١٩].

ومن النصوص النادرة عن الصريف ما أورده سيف مرزوق الشملان قال: (رأى الشيخ مبارك أن يغزو الأمير عبدالعزيز المتعب الرَّشيد الفارس المغوار (قتل

في حربه مع ابن سعود في شهر صفر سنة ١٣٢٦هـ ـ سنة ١٩٠٦م وكان جباراً عنيداً سفاكاً للدماء وقد قال فيه الجنرال صدقي باشا القائد التركي حينما رأى بطولته: هذا فارس كعلي ، ويعني به الإمام علي بن أبي طالب) قصد الشيخ مبارك ابن رشيد بجيش كبير مكون من أهل الكويت والبادية وأهل نجد وعدد الكويتيين نحو (٨٠٠) وهذه أسماء القبائل التي اشتركت في الحرب مع الشيخ مبارك وأسماء رؤسائها .

١ ـ الإمام عبدالرحمن الفيصل السعود وابنه الملك عبدالعزيز ومن معهما من أهالي نجد .
٢ ـ آل سُلَيْم أمراء بلدة عُنَيزة في نجد
٣ ـ آل مُهَنَّا أمراء بلدة بريدة في نجد .
٤ ـ المنتفك ورئيسهم سعدون باشا المنصور .
٥ ـ الظَّفِير ورئيسهم جُعَيلان بن سُوَيْط .
٦ ـ مُطَيْر ورئيسهم سلطان الدُّوِيش .
٧ ـ العُجْمان ورئيسهم أبو الكلاب محمد بن حِثْلَيْن .
٨ ـ بنو هاجر ورئيسهم ابن شافي .
٩ ـ الْـمُرَّة ورئيسهم ابن فنيخير (؟)
١٠ ـ العوازم ورئيسهم مبارك بن دريع .
١١ ـ الرشايدة ورئيسهم محمد بن قرينيس .
١٢ ـ سبيع ورئيسهم ظرمان أبو اثْنَين .
١٣ ـ السهول ورئيسهم ابن جلعود .
١٤ ـ عتيبة . ١٥ ـ قحطان . ١٦ ـ الرولة .

كان المرحوم دهام بن مثقال الظفيري قد اشترك في معركة الصريف ، وقد نقلت عنه صفة المعركة ، وإليكم ذالك على لسانه : لما جاءنا حمود الصباح عرضوا[٢٠] عند المنتفك والظفير واجتمع خلق كثير ، وكان ابن سُويط له علاقة مع ابن الرَّشِيد ، فأرسل ينذره حيث أنه شَدَّ إلى نجد ، وتَالِـي رجع حمود إلى

الكويت ، ثم خرج مبارك في جيشه ولحقه سعدون باشا المنصور ، ومعه مئة خيال من الظفير والمنتفك وكان مع مبارك عدة قبائل .

كنت مع خالد وقيلان بن شهيل بن منديل بن سويط الظفيري ، وكان فارساً وأنا على ناقةٍ ومعنا خيال من كبار آل سويط هو هزاع بن سويط ، ومعنا حمدان بن ضويحي من الظفير ومناور بن هضيبان العازمي ، وعجيمي باشا السعدون وإخوانه ثامر وحمد ، ومعهم خالهم ابن سبت ومعنا عطب الشريقي وهزاع بن عقاب وخيطان بن سيدان ، ووصلنا عند مبارك في بلدة بريدة ولما أصبحنا شدينا ونزلنا ، ولما جاء العصر وصلتنا سبورنا التي تبحث عن ابن رَشيد ، حيث وجدوه نازلاً على عينِ ابنِ فُهَيْدٍ . ولما أصبحنا نزلنا الطُّرْفية وابن رشيد نزل الصَّرِيف ، وصار طراد الخيل بيننا وبينهم ، وانهزمت خيل ابن الرَّشِيد ، ووقفت خيلنا عند خيامه ، في ذالك الوقت ساق علينا ابن الرَّشيد المسيوق[٢١] وقوته قبل الظهر .

وكان ابن الرشيد يريد أن يؤخر الحرب إلى اليوم الثاني ، ولكن مبارك العذبي الصباح نصحه بالإسراع في مقاتلتهم، وحذره من أنه إذا أمسى المساء فإن العجمان تهجم عليهم في الليل .

وقال له مبارك الصباح : مبارك اليوم ماله عز ، لأن البارحة تاريخ قتله لإخوانه[٢٢] .

ودارت المعركة بيننا وبينهم ، وبعدها انكسرنا ، وصارت قومنا تنهب بعضها بعضاً ، ولولا نزول المطر كان ابن الرَّشيد أخذنا كلنا .

وأخذ ابن الرشيد المخيم ، وكل شيء حتى غداءنا وذبائحنا أكلتها شمر قوم الرشيد . وكان مبارك الصباح قبل المعركة يشرب القهوة مع سلطان الدُّوِيش وماعنده علم بأن ابن الرشيد سيقاتلهم اليوم . فما شعروا إلا بالمسيوق يسوقه عليهم ، وهرب مبارك مع سلطان الدويش ، وأنا كنت مع ذلولي ركبتها وهربت . وقبل المغرب بنصف ساعة أخذ العجمان ذلولي ، وما شعرت إلا بخالي قيلان وسعدون باشا المنصور وهزاع بن عقاب لاحقِيْنَ حيث فكينا الذلول من العجمان وأَمْرَحْنَا تلك الليلة ، وكان برد ومطر في الخلا ، والصبح شَدَّيْنَا ولفينا

على بلدة الزُّلْفِـي وطَرَدْنَا أَهْلُهَا خوفاً من ابن الرَّشيد . وتركنا في حوطة فيها زرع وقصيل للخيل نأكل العشب ومعنا مبارك الصباح ، والفجر هجَّيْنا ، ومبارك ترك حصانه نسيناه من الخوف ، ولما فقدوه قال مبارك : لا أحد يرجع له حيث أخذه رجال ابن الرَّشيد والذي يروح يقتل . وبتنا تلك الليلة في البرد معنا مبارك ، وذبحنا ناقة وأكلناها . وفي الصبح صبحنا مطير على الصَّهّان ونزلنا عندهم فعملوا لنا وجبة . والصبح مبارك انحدر إلى الكويت ، ونحن أشملنا إلى أهلنا ، ما نأكل إلا العشب وكان أهلنا نازلين على أم رَضَمَة(*) شمال الحفر فوصلناهم بعد أيام منهزمين .

هذا ماذكر لي دهام عن معركة الصريف حرفياً ، وقد استفدنا منه معلومات كثيرة عن هذه المعركة منها : أنها وقعت يوم ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣١٨هـ .

وأخبرني محمد بن حمادة العجمي وكان قد اشترك في الصَّرِيف ولا يزال على قيد الحياة وكان عمره آنذاك حوالي سبعة عشر عاماً ، يقول : إن المعركة بدأت بمناوشة الخيل ، وكانت خيل ابن الرَّشيد عدتها الرماح فقط ، فانكسرت وعاد الفرسان إلى ابن الرَّشيد وقال لهم : (أنا أخو نورة كسروكم)!! قالوا له: مالقينا خيالة رماح لقينا بُوَارِدِيَّةً أصحاب بنادق .

قال: يالله زَمِّلُوا وحُطُّوا ردَايِف .

ولما أقبلوا على جيش مبارك ظنوا أنهم على حسب العادة فسرعان مانَزَّلُوا الردايف ، وبعد ذالك ساق ابن الرَّشيد الـمَسْيُوقْ وخلفه الخيالة والمشاة . يقول ابن حمادة: إن المسيوق يتكون من حوالي ٤٠ ناقة بيضاء صخرية ، ولم يعد منها سوى ٧ نياق مجروحات وقد شاهدها .

ويقول: إنه لم يثبت للقتال سوى الحضر من أهل الكويت فقط ، أما البدو فقد هربوا ، وقتل من الحضر كثيرون والباقي أسر .

ويقول : إنه شاهد ابن الرشيد وهو يندب أهل لبدة(*) من حائل ، لأنهم أبلوا بلاء حسناً في القتال فيقول من قصيدة :

يَـاحَـرُّ قَلْبـي هَـلَ الـلّبْـدَهْ   الـلِّ عَـلَ الْـمَـوْتِ دَلَّاقَـهْ

وبمناسبة كلامنا عن ابن الرَّشيد والصَّريف أحب أن أورد هذه الحادثة العجيبة وأتحدث عن ذالك الرجل الشهم الهمام الذي لم يضع فيه المعروف بل كافأ صاحبه مكافأة حسنة .

كان العوفي مشتركاً في الصَّريف مع الشيخ مبارك ، وقد جرح جرحاً بليغاً في ظهره ، فَأُخِذَ أسِيْراً وأُلْقِـي في الحجرة وكانت طويلة مملوءة بالأسرى الكويتيين ، وكل يوم يخرجون منهم جماعة ، ويذهبون بهم إلى ابن الرَّشيد ويقول : إنه يجلس تحت المسجد ويضعون الأسرى أمامه يقتلهم أحد العبيد بالسيف بعدما يقول لكل واحد منهم عَلِّبْ(٢٣) .

ويقول: إن بعضهم لا يخرج منه إلا دم قليل جدًّا نظراً للخوف الشديد والجوع .

المهم أنه ألقي معهم في الحجرة ، وبعد ذالك أخرج جماعة على نية قتلهم ، وكان معهم العوفي فلم يقتل ذالك اليوم بل أُرْجِعَ مع عدد من الأسرى الجدد على نية قتلهم غداً أمام ابن الرَّشيد .

ويقول : إنه إذا فتح العبيد باب الحجرة يركض من فيها إلى الداخل خوفاً من أخذهم للقتل ، فبينما هم كذالك إذْ فتح الباب وأَخَذَ العبد يصوت العوفي. فخرج إليه وهناك تعلق به رجل يعرفه وقال: أخرج معك !!

قال : سأقتل .

قال له : أريد أن أقتل معك .

فخرج الرجل معه وهو لا يعرف ماذا سيجري عليه .

كان واقفاً على الباب مع العبد رجل من أقرباء ابن الرَّشيد فاستلم العوفي وقال: أنا فلان الفلاني ، وإذا به ذالك الرجل الذي جاء الكويت قبل الصريف بمدة ، وقد أكرمه العوفي فعمل له وليمة في بيته .

فلما أبصر العوفي أسيراً عرفه وطلب من قريبه ابن الرشيد أن يعطيه إياه فوافق ابن الرشيد على ذالك .

فذهب به إلى بيته وأطعمه ، ولما جن الليل أخذ يئن من ألم الجرح فسمعت والدةُ الرجل أنين العوفي فسألته عن ذالك ، فأخبرها الخبر . وهناك أخذت تعالجه بنفسها حتى بَرِئَ من جرحه . وبعد ذالك أرسله الرجل إلى الكويت .

ازرعْ جميلاً ولو في غير موضعه فلا يَضِيْعُ جميلٌ أينما زرعا[٢٤]

ومن الأوهام قول الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة خلال وصفه للجيش والمعركة : في شهر ديسمبر عام ١٩٠٠م توجه مبارك وعبدالرحمن بن فيصل على رأس جيش قوامه عربان العوازم والرشايدة ومطير والعجمان وبني هاجر وبني خالد ، ونحو ألف من أبناء مدينة الكويت ، قاصدين غزو عبدالعزيز الرَّشِيد في عقر داره بنجد وَشَمَّر .

ولقد فتحت القوات الغازية نجداً دون مقاومة تذكر ، ونصب مبارك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل حاكماً على الرياض ، وبعد ذالك تقدم الجيش الغازي نحو حايل بقصد فتح منطقة جبل شَمَّر غير أن عبدالعزيز آل رَشِيد قد هزم جيش مبارك في الصَّرِيف على بعد عشرين ميلاً شمال شرقي بريدة بالقصيم ، واضطر مبارك للانسحاب من المعركة بِفُلُولِ الجيش الكويتي يوم ١٧ مارس ١٩٠١م ، بعد أن خسر معظم مقاتليه من أهل مدينة الكويت ، إذ قدر عدد قتلاهم بسبع مئة رجل .

ولقد أشار بعض المؤرخين إلى نتيجة هذه المعركة قائلاً بأنها شهدت انهيار آمال مبارك آل صباح في بناء دولة كبرى في جزيرة العرب[٢٥] .

قال أبو عبدالرحمن : أما الحلم ببناء دولة كبرى فمر الحديث عنه وأما أنه نصب عبدالعزيز حاكماً على الرياض فلم يفتحها بعد حتى ينصبه وإنّما حاصرها عبدالعزيز .

وأما مسألة بداية الحرب وأنها بدأت منذ زوال الشمس وليس من غروبها فقد

نص على ذالك عبدالعزيز الرُّشَيْد وهو يصف الحرب وينقد تصرف ابن الرَّشِيد بعد المعركة . قال: (التحم الجيشان، وتقابل الفريقان، واستمر القتال من قبل الظهر إلى قبيل العصر ، وقد تقهقر ابن الرَّشِيد مرتين من مركزه ، ولكنه في كل منهما كان يتمكن من التقدم إلى الأمام وقد قدم أمام جيشه صفوفاً من الإبل جُنَّةً لتقيه النبال فكانت كهشيم المحتضر . وأخيراً بعد قتال عنيف وعراك شديد ذهبت فيه أرواح لا تحصى وزهقت نفوس غير قليلة تم الانتصار لابن الرَّشيد على خصمه ، وشرب كأس العز قبله .

ولكن مما يسطر له بمداد الخزي والعار على صفحات الانتقاد المر تعقبه المنهزمين من الكويتيين بعد المعركة ، وإجهازه على الجرحى منهم بعد أن وضعت الحرب أوزارها وإعماله السيوف في رقابهم بدون رحمة ولا شفقة، ووصيته لقومه أن لا يعتقوا أَحَداً من الكويتيين لا أبيض اللون ولا أسود . فكان من جراء ذالك لم يفلت منهم إلا النفر القليل ولقد كانوا يخرجونهم من المساجد والكهوف والمدن والقرى ويذبحونهم أمام إخوانهم ذبح الشياه الواحد تلو الآخر .

نحن نعذر ابن الرشيد في بعض ما أتى لاعتداء مبارك عليه ، ولكن لا نعذره ولا يعذره الله والتاريخ في تلك الأعمال الوحشية التي مثل بها أدوار الحيوانات المفترسة ، وهو يعلم أن أهل الكويت مكرهون .

على أن ماسود به صحيفة تاريخه مخالف لجميع الشرائع والقوانين ، فلا المسلمون يبيحونه حتى مع مخالفيهم في الدين ، ولا المخالفون يستعملونه حتى مع المسلمين ، ولكن الجهل له سلطة على من حرموا من العلم وحجبوا نوره[٢٦].

ومن الأوهام عن حصار الرياض أن خالد السعدون ظن أن أمير الرياض عجلان وإنما هو ابن ضبعان[٢٧].

ووجدت الدُّخِيْلَ يزعم أن الواقعة كانت في محرم عام ١٣١٨هـ ، ووجدته يبالغ في تقدير جيش ابن صباح ، وإنما هول ليضخم انتصار ابن رَشِيد ، لأن هواهُ كان رشيدِيًّا ، وجيش ابن صباح ضخم بلا ريب ولكنه أخلاط بادية ذات أطماع ، وأكثر تقدير له لايزيد على عشرة آلاف[٢٨].

والزركلي لما اختصر كتابه عن الملك عبدالعزيز لم يذكر مجيء الإمام عبدالرحمن للرياض، بل قال: (ودعاه أبوه للعودة إلى الكويت)[٢٩].

وكلمة (دعاه) تحتمل التوصية بواسطة رجل، أو بالمكاتبة.

قال أبو عبدالرحمن: ويعتبر أمين الريحاني كابن عبدالظاهر في كتابة «سيرة بيبرس»، لأن الملك عبدالعزيز أملى عليه جُلَّ كتابه، والريحاني ذكر حدوث المعركة في ١٣١٨/١١/٢٦هـ، وتابعه ابن عُبَيْدٍ والمحققون.

وذكر أن عبدالعزيز بن سعود لما علم بوقعة الصريف أخلى الرياض التي احتلها أربعة أشهر فقط، وعاد برجاله إلى الكويت.

ولم يذكر الريحاني كيف علم عبدالعزيز[٣٠].

وما أرى الأربعة أشهر صحيحةً إلا إذا حسبنا مدة المسير والمقاتلة قبل تسلق الأسوار، وتقصر المدة مع ذالك، لأن عبدالعزيز غادر الشوكي خلال شهر رمضان أو شوال عام ١٣١٨هـ وغادر الرياض آخر ذي القعدة.

وحدثني أحد مواليد عام ١٣١٤هـ الشيخ محمد بن عبدالله المرشد أن المدة ثلاثة أشهر.

ويظهر أن الزركلي نقل نقلاً سريعاً مُـخِلاًّ عن ابن عيسى عندما ذكر أن عبدالرحمن مَرَّ بالرياض فقد ذكر أن المعركة سنة ١٣١٨هـ في ١٧ ذي القعدة، وذكر سقوط الرياض في يد عبدالعزيز وحصاره لحامية ابن رشيد في القصر. وقال بالحرف الواحد: (وانهزم عبدالرحمن بن فيصل إلى الرياض فلما قرب منها أرسل ابنه عبدالعزيز وأعلمه بالخبر، فخرج عبدالعزيز هو ومن معه من الرياض، فسار هو وأبوه ومن معهم إلى الكويت)[٣١].

فما قاله سمو الأمير عبدالرحمن صحيح، وهو أن الإمام عبدالرحمن لم يدخل الرياض.

وما قاله الزركلي نقل سريع عن ابن عيسى، إذا تَوَهَّمَ أن انهزامه جهة الرياض

يعني دخوله فيها . وفاته تنصيص ابن عيسى على أن عبدالرحمن لما قرب من الرياض أرسل لابنه .

قال أبو عبدالرحمن: ومن انهزم إلى الكويت من القصيم فحلوله بجهات العرمة يعتبر قريباً من الرياض . ولعله يوجد في الرواية الشفهية الموثوقة تحديد للمكان الذي راسل منه الإمام عبدالرحمن ابنه ، ولعل شيخنا العلامة حمد الجاسر يحقق ذالك .

ومن العجائب أن الدكتورة مديحة أحمد درويش عزت إلى الحيدري في كتابه «عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد» أن عبدالعزيز بن رَشِيد تطلع إلى ضم الكويت ، وأن ابن صباح طلب من عبدالعزيز بن سعود أن يشن هجوماً عسكرياً على ابن رَشِيد في الرياض[٣٢] .

قال أبو عبدالرحمن: لا يوجد هذا الكلام عند الحيدري، ولا يمكن أن يوجد ، لأن حصار عبدالعزيز للرياض عام ١٣١٨هـ ، وولاية عبدالعزيز بن رشيد عام ١٣١٥هـ وتأليف الحيدري لكتابه كان في عام ١٢٨٦هـ؟؟

أما نتائج الفتح عام ١٣١٩هـ فقد كانت بالله ثم بجيش سعودي خالص كما هو معلوم للقاصي والداني .

وذكر يوسف أن عبدالعزيز في صحبة الجيش الذي جهزه مبارك عندما ذهب مبارك إلى الزبير في ١٨/٧/١٣١٨هـ[٣٣] .

وذكر أن عبدالعزيز حضر معركة الصريف[٣٤] وذالك وهم .

ويذكر يوسف إبراهيم يزبك أن عبدالعزيز حاصر الرياض ستين يوماً ، ثم بدأ يحفر خندقاً تحت السور ليصل إلى قصر الحاكم وهو يومئذ عبدالرحمن بن ضبعان عامل الرَّشيد[٣٥] .

قال أبو عبدالرحمن: سمعت من فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ عبدالرحمن المبارك ومن غيره أن أبرز من كان يحفر الخندق ابن هدهود وأن أمير الرياض من قبل ابن رشيد آنذاك قطع إحدى يديه عندما فك ابن سعود

الحصار[٣٦]. واسمه سليمان بن هدهود من أهل قرية المصانع جنوب منفوحة .

وهذا سياق مهم للشيخ إبراهيم بن عُبَيْد قال : (لما كان في ٢٦ من ذي القعدة التقى الجمعان في ذالك الموضع واشتبكا في القتال ، وكان الحاكم عبدالعزيز بن متعب معه من الجنود ما يكافيء به خصمه فمعه عشرة آلاف مقاتل أو يزيدون ، فجرت الملحمة طيلة ذالك اليوم ، واستعرت نار الوغى واصطلى بها الفريقان، ثم إنها انفصلت الواقعة بهزيمة ابن صباح وجنوده فولوا الأدبار بعدما قتل منهم مقتلة كبرى . وكانت الواقعة من أعظم وقعات العرب الحديثة ودارت فيها الدوائر على ابن صباح ومن معه وأخِذَ منهم شيْء كثير من عتاد الحرب والأموال ، وعاد منهزماً بمن سلم معه من الجيش إلى الكويت لا يلوي أَحَدٌ على أَحَدٍ ، وقتل أخوه وابنه وقتل من الأعيان خلق كثير .

ولما ظفر ابن رشيد ذالك الظفر كان قاسياً عتياً فتتبع الفلول المنهزمين ، وأوقع بهم إيقاعاً شديداً ، وقتلهم صبراً ، واستعمل شراسة نفرت القلوب من حكمه لأمر يريده الله تبارك وتعالى . ثم زحف ونكل بأهالي نجد من البلدان الذين أظهروا الميل إلى ابن سعود تنكيلاً فظيعاً ، وكان الأمير على بريدة من قبل ابن رشيد الرجل المدعو بالحازمي ، وكان لما سمع بقدوم ابن صباح إلى الموضع المعروف (بِـخَـبِّ العِكْرِش) على قدر ميلين من بريدة إلى جهة الشرق ، قام من مجلسه في فسحة ترادف المسجد الجامع من الشمال مبادراً إلى قصر الحكم ، فدخله وجنوده ، وأغلقوا الباب ، فقام أهل بريدة يرحبون بالإمام عبدالرحمن بن فيصل ، وصفت الجنود للاستعراض ، ودخل عبدالرحمن خلفه الجنود يصفقون فرحاً ثم ساروا إلى موضع الواقعة . ولما انفصلت عن تلك الصفة التي ذكرنا أزال ابنُ رَشِيدٍ الحازميَّ وجعل مكانه سالم بن سبهان لما يعرفه عنه من شدة العسف والجبروت . ولما انهزم ابن صباح وجنوده وولوا الأدبار لا يلوي أحد على أحد أقام ابن رشيد أميره سالم بن سبهان وأمره أن يتبع الفلول حتى جمع خلقاً كثيراً فأودعوا في الحبس . ثم نصب الأمير سالم خيامه بين بريدة والصَّرِيف بعدما امتلأت السجون، فكان يقتل من وجده ولا يرقب فيهم إلاًّ ولا ذِمَّةً ، وكانت القتلى في حال الوقعة لا تزيد عن ثلاث مئة ثم إنه جلس الحاكم عبدالعزيز بن متعب على

دكة وأمر بالأسرى أن يصبروا بين يديه وكانوا أربع مئة فجيْءَ بهم ، يسحبون بين يديه على وجوههم ، وقتلهم واحداً بعد واحد ، وسخَّرَ أُناساً يسحبونهم بعد القتل وهو ينادي: لا تدفنوهم مع المسلمين . وقد حدثني ثقة من المسخرين قال : كنت ضئيل الجسم إذ ذاك وأدركتني الرحمة فكنت لا أتمالك من البكاء وعجزت عن العمل فشتموني وطردوني .

ثم إنه أُتِـي ابنُ رشيد برجل شاب من أهالي الكويت يريد أن يفتدي نفسه بعشرة آلاف ريال فأبى أن يقبلها ، وقلب فيه النظر قائلاً : نحن لا نريد الفلوس إنما نريد الرقاب ثم قتله . وممن قتل فيها من أعيان أهالي بريدة دحيم بن محمد الرِّبْدِي ، وقتل ابنه سلمان[٣٧] . وأسهب الشيخ ابن عبيد يذكر ظلم ابن رشيد وسالم السبهان .

وذكر كرامات لمن أراد سالم قتلهم صبراً ولم أسمع بهذه الأخبار ولم أقرأها عند غيره .

وجمع ابن عبيد بين حدثين: حدث محاربة عبدالعزيز لقبائل تبع ابن رشيد بإذن من والده عبدالرحمن ، وحدث ذهابه بإذن مبارك لاحتلال الرياض ـ وذكر احتلال مبارك لكثير من بلدان نجد في طريقه إلى القصيم بدون قتال[٣٨]، ولهذا حديث في الكلام عن معركة الشعر العامي .

وتحدث الشيخ ابن خميس عن الصَّرِيف منطلقاً من التصورات التي طرحها مؤرخ الكويت عبدالعزيز الرُّشَيْد عن هرب ابن رشيد ، وملاحقة ابن صباح له ـ وهذا غير مشهور ولا معروف وإنما ذكر بعض المؤرخين أنه استطرد له إلى شرق بريدة .

والأكثرون والرواية الشفوية تذكر أنه نازله منذ علم بقدومه إلى القصيم ، وعاتب الذين قصروا وغفلوا عن مجيء ابن صباح بهذا الجيش .

وجعل المعركة قبل الظهر إلى مابعد العصر ولم يذكر مصدره[٣٩]، وقال الأمير ابن هذلول: (وكان أغلب جنود ابن صباح قد سقطوا في قرى القصيم

والزُّلْفِي ، لا يجدون من يطعمهم أو ينقلهم إلى بلادهم ، فبعث ابن رَشِيدٍ زبانيةً من قبله يجمعون كل من وجدوه منهم فكانوا يجمعون الثلاثين والأربعين من الأسرى ويربطونهم بالحبال ، ثم يسوقونهم كالأغنام إلى بريدة ثم يأمر ابن رَشِيْدٍ جَلّادِيْهِ فيقتلونهم أجمعين .

لقد حدثني من رجال أهل القصيم من شاهد هذا المشهد المريع قال : كان الزبانية من جنود ابن رَشِيد يأتون بالثلاثين ، والأربعين ، ثم يربطون الجميع في حبل واحد ، ثم يأمر عبيده القساة فيقتلونهم جميعاً وقد أنتنت الآبار خارج مدينة بريدة من جثث القتلى(٤٠).

وبعد فك الحصار ومعركة الصَّريف ذكر عبدالله فلبي أن ابن رَشيد أوفد سالم السبهان إلى الرياض لينكل بأهلها(٤١).

وفي دخول الرياض عام ١٣١٨هـ كانت أُحْدِيَةُ عبدالعزيز :

يَـادَارنَـا لا تَـرْهَـبِـيْنَ لابُـدَّ مـا نَـرْجِـعْ عَـلَيْـك

وبعض المؤرخين الذين تناولوا معركة الصريف استغلوا أسلوب الروائي للرواية التاريخية الأسطورية كسيرة عنترة والزِّير كقول أحدهم عن الجيش عندما خرج من الكويت: (سار الجيش وقد أثقلت وطأته الأرض وملأ الفضاءِ كثرة وعدداً . سار تردد الجبال صداه وترتعد من زئيره الأسود)(٤٢).

والدارس المحقق في هذا العصر ليس بحاجة إلى مثل هذا الأسلوب لأنه ليس المقصود السَّمَر وشحْنَ الخيال بالذهن . وإنما المراد تحقيق الوقائع وتعليلها . والمؤرخ الجاد إذا لم يستطع أن يقول كل ما يعلم فيسكت عما لا يقدر على قوله فلا يكون ملوماً . وإنما الملوم حقاً من يزيف التاريخ ويكذب في سرد وقائعه أو يضلل في تفسيره ولا مكره له على ذالك ، وإنما هو الهوى أو طلب الخبر الخبيث كالبقرة تخلل بلسانها .

ومثل الأسلوب الْـحَكَوَاتِـي إجمال القول في أمور يعلم الناس تفصيلها كقول بعضهم عن نفس الجيش: (أما ابن الرَّشيد فذعر من سيره ذعراً أطارَ لُبَّهُ وأعدمه

رشده ، وود أن لا يلتقي به ولا يشتبك وإياه في قتال ، ولكن مباركاً كان يطارده في رؤوس الجبال وبطون الأودية ، ويسأل عنه السهل والوعر . . . إلخ)[٤٣].

قال أبو عبدالرحمن: رؤوس الجبال وبطون الأودية والسهل والوعر لها أسماء تاريخية وعرفية ، والمطاردة فيها ستنتج أحداثاً فكان من المهم ذكر الأسماء وتفصيل الأحداث .

ومبارك لم يحاصر قرى نجد ويحاربها ويعرج عليها ، وإنما كان ينهب السير لمواجهة خصمه ابن رشيد . أما أنه لم يجد من أهل نجد مقاومة فهذا صحيح لأنه لم يعرج عليهم محارباً . وأما أنه وجد أهل نجد يرحبون به فهذا صحيح ، لأنهم يرحبون بالإمام عبدالرحمن ونجله عبدالعزيز الذي هب إلى الرياض .

وشدة تنكيل ابن رشيد بأهل نجد بعد معركة الصريف دليل على ذالك . واحتلال نجد بهذا المعنى أشاعه مبارك وجعله كائناً عن حرب ، ولهذا عارض الشعر العامي الذي خاض معركة الصريف فقال أبو جراح السبيعي عن مبارك :

وطفحت للديرة ركاب يـلالِنْ تقول خذت (أم الجماجم) نْهَابَهْ
وأم الجماجم سبع قلبان يصرّنْ خسرتْ جيرانك على غير ثابـهْ
وفَوَّهت بَاخْذَةْ نَجْد والعِلْم عَنْ من تفلِجْ وخصمك ماحضر للطلابهْ

وقال عن القتلى :

الفين بين القـاع والحزم عـدَّنْ من غير شَـيٍّ ما ضَبَطْنَا حسابه

قال أبو عبدالرحمن: أكثرهم من الأسرى .

وذكر حمود الناصر البدر نزول مبارك في روضة التّنْهات وتجمع جيوشه فقال:

في عشب خَدٍّ زايف بالخضـارا في روضة التنهات نـاوِين مثيار

ولكن السبيعي يعلل تغافل ابن رشيد عن التجمع على هذا العشب بقوله:

خلاك ترعى العشب يبغيك تَسْمَنْ

وذكر العوني مدة بقاء الحملة في نجد فقال :

أحسْبَ ايَّـامنـا تسعـين يـوم ونجـد لـه تتقي بـاللجـايـا

قال أبو عبدالرحمن : ومعركة الشعر العامي أوعب من ذلك عند ابن جمهور وابن هويدي وابن عيد راعي البرة وغيرهم . وإنما هذا هو ما تسمح به هذه المناسبة .

وليس غرضي من هذه النبذة إلا سرد الأحداث على وجه الصحة .

أما تفسير الأحداث فعمل فكري ، ومن أهم عمل تفسيري زعم الرحالة الإنجليزي (كنت وليمز) أن حصار ابن سعود للرياض عام ١٣١٨هـ كان قبل الأوان وأنه سبب في تعزيز مكانة ابن الرَّشيد(٤٤) .

وعندي أن هذا الحصار جرأ عبدالعزيز، ورسم له الهدف في يوم الفتح النهائي عام ١٣١٩هـ .

ومن قضايا التفسير التي تثبت بالأرواح حكم محمد جلال كشك في كتابه «السعوديون» بأن هزيمة الصَّرِيف من مصلحة ابن سعود .

قال أبو عبدالرحمن : وهذا صحيح بعد أن تحقق فتح الرياض على يد عبدالعزيز بعناية الله ثم بجيشه السعودي الخالص بعد الصريف بسنة وبناء على ماعرف من طموح مبارك في نجد .

قال أبو عبدالرحمن : ترتب على هزيمة مبارك أن وقفت منه الدولة العثمانية موقفاً حصره في ثلاثة خيارات :

إما أن يسافر إلى الاستانة فيعين عضواً في مجلس الشورى .

أو يسكن في أية بلدة عثمانية يختارها والحكومة تقوم بما يحتاجه أو تستولي الدولة على الكويت بالقوة .

وكان الشيخ مبارك ينكر حتى ذلك التاريخ أن تكون بينه وبين بريطانيا معاهدة حماية ، فلما تلقى التهديد العثماني اضطر إلى إعلان المعاهدة ، فأنذر القائد

البريطاني الوفد العثماني الذي جاء من البصرة بالرحيل . ثم اتفقت الحكومتان البريطانية والعثمانية على إبقاء الوضع الراهن على حاله فيما يتعلق بالكويت . لكن التوتر استمر بين مبارك والحكومة العثمانية فأرسلت بريطانيا خمس سفن حربية رابطت أمام الكويت ، وضغطت على وزارة الخارجية العثمانية التي لم ترغب بالتورط في صدام مع بريطانيا بسبب خلافات قبائل ، فطلبت من ابن رشيد العودة إلى بلاده ، وقدمت له ترضية مالية مقدارها أربعة آلاف ليرة ذهبية(٤٥).

قال أبو عبدالرحمن: هذا الحدث وغيره من الأحداث علم منه الملك عبدالعزيز أنه لاغناء في الدولة العثمانية إذ عجزت عن تحقيق غرضها من مبارك ، وعجزت عن نصر حليفها ابن رَشِيد .

فتكوَّن لدى عبدالعزيز وَعْـيٌ بالمتغيِّرات العالمية .

وصلى الله على محمد ،،،

كتب لكم:

ابو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري

ـ عفا الله عنه ـ

الحواشي :

(١) «شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز» ٧٦/١ .

(٢) اعتمدت في استخراج أسماء الأيام والتاريخ بالهجري على كتاب «التوفيقات الإلهية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنجية».

(٣) «العلاقات بين نجد والكويت» ١٣١٩ ـ ١٣٤١هـ لخالد محمود السعدون ص٥٣ ـ ٥٦ .

(٤) العلاقات بين نجد والكويت ص ٥٦ .

(٥) العلاقات بين نجد والكويت ص ٥٥ .

(٦) غدران الشوكي كثيرة ، ولا أدري أيها يعني ، واشهرها وأكبرها غدير (أبو الرخم). والشوكي أحد أودية العرمة الشمالية ينحدر من قمتها مشرقاً حتى يصب في روضة التنهات، انظر عنه «معجم اليمامة» ٦٣/٢ .

(٧) «عنوان السعد والمجد» .

(٨) «أحسن القصص» ص ١٥ وتابعه ابن عبيد في تاريخه «تذكرة أولي النهي والعرفان» ٣١٨/١ .

(٩) ابن السعود ص ٤١ .

(١٠) تاريخ الكويت ١٦١/٣ ـ ١٦٢ .

(١١) «تاريخ الكويت» ١٦٢/٣ و«آل سعود» لجبران شامية ص ٩٣ .

(١٢) «تاريخ الكويت» ١٦٢/٣ وانظر خطاباً مشابهاً كتبه الإمام عبدالرحمن للنقيب في ١٣٢٠/٢/٤هـ عندما

أراد الخروج إلى نجد ، وذلك في «تاريخ الكويت» ٣/١٧٩ .
(١٣) «تاريخ الكويت» ٣/١٥٩ ـ ١٦٠ .
(١٤) «تاريخ الكويت» ٣/٢١٠ ـ ٢١١ .
(١٥) تاريخ الكويت الحديث ص ٣٣٣ .
(١٦) تاريخ العربية السعودية ص ٢٤٩ .
(١٧) «التاريخ السياسي للكويت» ١١٧ ـ ١٢١ .
(١٨) كتاب «الزبير» ص ١٨٤ ـ ١٨٧ .
(١٩) «تاريخ الكويت السياسي» ٢/٤٨ وانظر «تاريخ الكويت» ٣/١٧٣ .
(٢٠) عرضوا: غنوا غناء العرضة .
(٢١) المسيوق: إبل مربوطة تساق على العدو ويتقي بها المحارب .
(٢٢) إنما كان الحادث سنة ١٣١٣هـ في شهر ذي القعدة . فالمراد أن هذه الليلة من عام ١٣١٨هـ توافق ليلة قتله لأُخَوَيْهِ عام ١٣١٣هـ .
(×) انظر عن تحديد موقعها «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم شمال المملكة .
(×) انظر عن تحديد موقعها «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم شمال المملكة .
(٢٣) أرخ علباءك للسيف .
(٢٤) من «تاريخ الكويت» ص ١٤٣ ـ ١٤٨ .
(٢٥) «تاريخ الكويت الحديث» ص ٣١٢ .
(٢٦) «تاريخ الكويت» ٣/١٦٣ .
(٢٧) «العلاقات بين نجد والكويت» ص ٢٥٠ .
(٢٨) «القول السديد» ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .
(٢٩) «الوجيز» ص ٢٣ .
(٣٠) «تاريخ نجد» ص ١١٩ .
(٣١) «تاريخ بعض الحوادث» ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .
(٣٢) «تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين» ص ٧١ .
(٣٣) «الزبير» ص ٢٦٨ .
(٣٤) «الزبير» ص ٢٦٩ .
(٣٥) «ليلة المصمك» ص ١٢ .
(٣٦) ثم وجدت هذا الخبر في «السعوديون والحل الإسلامي» ص ٢٧٥ .
(٣٧) «تذكرة أولي النهى» ١/٣١٨ ـ ٣٢٠ .
(٣٨) «تذكرة أولي النهى» ١/٣١٧ ـ ٣١٨ .
(٣٩) «تاريخ اليمامة» ٦/٣٥٢ ـ ٣٥٣ .
(٤٠) «تاريخ ابن هذلول» .
(٤٢) «تاريخ نجد» ص ٢٧٧ .
(٤٢) «تاريخ الكويت» للرشيد ٣/١٦١ .
(٤٣) «تاريخ الكويت» ٣/١٦١ .
(٤٤) «ابن سعود» ص ٢٦ .
(٤٥) «آل سعود» لجبران شامية ص ٩٤ وعن رسم موقع المعركة يراجع «بلاد القصيم» للشيخ العبودي عن الصريف والطرفية .

أربعة كتب.... وملاحظات

١ ــ ابن طفيل «حي بن يقظان»

قدم له وحققه فاروق سعد. بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة الطبعة الثانية ١٩٧٨م (الأولى ١٩٧٤م) ـ ٢٤٤ ص، منها ١٠١ ص للمقدمة.

١ ــ لاشك في قيمة المقدمة، وقد ألفها فاروق سعد من مصادر ومراجع كثيرة. وهي ـ أي المقدمة ـ تقوم على «حي بن يقظان» القصة الفلسفية تلخيصاً وتأثراً وتأثيراً، وترجماتها وماكتب عنها، ومكانها من الأدب المقارن وصلتها، خصوصاً بقصة دانيل دفو «روبسن كروزو».. والإحالة إلى طبعاتها العربية السابقة. ولكن يبقى القارئ ـ أيُّ قارئ ـ محتاجاً إلى صفحات عن المؤلف (ابن طفيل) أو إلى صفحة واحدة تعرفه في ولادته ونشأته وآثاره ووفاته.

يبحث القارئ عن شيء من ذالك فلا يجد أكثر مما ورد على (ص ٦): الأديب والعالم والطبيب والفيلسوف الأندلسي أبوبكر محمد بن طفيل، ومعلوم أن (طفيل) ليس اسماً لأبيه، أبوه: عبدالملك، وطفيل جَدُّ أبيه، ولد عام ٤٩٤هـ وتوفي سنة ٥٨١هـ. ثم لم هذه الواوات العاطفة وابن طفيل واحد هو الأديب العالم الطبيب.... الخ.

٢ ــ يطالعك غلافا الكتاب بـ (... قدم له وحققه فاروق سعيد) ولا معنى (لحققه) هنا لأن فاروق سعيد لم يصدر عن مخطوطة ومقابلة نسخ مخطوطة، والكتاب مطبوع قبله مراراً، ولم يقابل حتى بين المطبوعات مقابلة علمية، وإذا قابل قال: (في بعض الطبعات)، فأية طبعة أو طبعات هذه؟ ولم ترد هذه المقابلة إلا أربع مرات، وليس هذا من التحقيق، وحاول أن يبدو محققاً بأن يشرح مفرداتٍ ترد في النص، ولكنه لم يوف هذا الشرط، واكتفى بصفحات من البدء وصفحات من الختام لا يبلغ مجموعها العشرين، لا يكاد يزيد المشروح فيها على كلمة واحدة، وليس هذا شرحاً، وليس الشرح ـ لو وقع ـ تحقيقاً.

كان هذا في حواشي الصفحات، زاد عليه (٦٥) تعليقاً أُحال عليها في آخر

الكتاب. فلم هذا الفصل؟ التعليقات نافعة ولكنها مهما تكن، لاتُعَدُّ تحقيقاً.

٣ ــ لم يتحدث عن الطبعات السابقة مبيناً المحاسن والمساوئ، أو الأحسن، وقد عرفنا من هذه الطبعات لدى الرجوع إلى (المصادر والمراجع والتعليقات):

(١) ــ مانشره أحمد أمين ـ «حي بن يقظان» لابن سينا، وابن طفيل أو السهروردي، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة ١٩٦٦م.

(٢) ــ حي بن يقظان لابن طفيل الأندلسي، قدم له بدراسة تحليلية جميل صليباً وكامل عياد مكتبة النشر العربي دمشق ـ الطبعة الأولى ١٩٣٥م، الطبعة الثانية ١٩٣٩م ــ.

٤ ــ ابن طفيل طبيب، ويمكن أن نراه خلال «حي بن يقظان» جَرّاحاً، فقد شقَّ الصدر ومضى إلى القلب يدرسه، لابد من ملاحظة هذه الخطوة في التراث والحضارة، لقد تحدث حديث جراح يشرح...

٥ ــ للدارس اللغوي موضوعه في «حي بن يقظان» ومن ذالك:

(أ) هذه النون في الجسمانية (١٧٨، ١٨١، ١٨٤، ٢٠٠) وفي الروحانية (٢٠٥، ٢١٨) والربانية (٢١٦).

وصحيح أنه لم يكن الأول فيها، ولكن الصحيح أنها من مواد (الفلسفة) وحق (الفيلسوف) في أن يتصرف لبيان الفرق بين الجسمي والجسماني، والروحي والروحاني، والربي والرباني.

ويجد المعاصرون لنا في ذالك سنداً حين يقولون: الشخصاني، والشكلاني، والعلماني ليزيدوا فرقاً فلسفياً أو معرفياً على الشخصي والشكلي والعلمي (الدنيوي).

(ب) استعمالات أخرى: لعلك أن تجد (٢٠٧)، بالكلية (١٦٧)، المشاهدة الصرفة (١٩١) ويتطوف (٢٢١)، التضرع والتواجد (٢٢١) بحيث (دنا منه بحيث يسمع ٢٢١) خنس عنه وتوارى له (٢٢١)، اكترى مركباً تحمله (على التأنيث) (٢٢٠)، التزمه وقبض عليه (أمسك به) ومسك به (٢٢٢)، يتملق إليه

(٢٢٢)، تعلم أكثر الألسن (اللغات) (٢٢٢)، تناول ما سنح من الغذاء (٢٢١) ماكان عزم عليه من التناهي في طلب العزلة (٢٢١)، التطرف، الحيوانات التي كان قد عاينها (رآها) (٢٢١)، الذات (٢١٤)، الذوات (٢٢٢)، أخروية (نسبة إلى الأخرى السعادة الأخرويّة ٢٣٢)، البواطل (٢٢٨ جمع باطل مقابل الحق)، أجمع على أن يرتحل (٢٢٠ قرر عزم على ..)، انقدحت نار خَاطره (٢٢٦)، الكل (لا يتمسكون. . .، ٢٣٢) لعل الله أن يسني لهما عبور البحر (٢٣٠).

وصحيح أنك تجد مثل هذا في كتب فلسفية أخرى، ولدى الصوفية خاصة، ولكن الصحيح كذالك أن لغة الفلاسفة عموماً ـ ولغة الصوفية خصوصاً ـ تتطلب عناية خاصة من الدارسين وقد يجدون فيها فوائد كثيرة.

٦ ـ لدى التبويب والتصنيف: الجنس أوسع من الضرب، (نظر في الأجناس فرآها ثلاثة أضرب) (ص ١٩٤).

٧ ـ طريقة في تعليم اللغة من لايعرفها (ص ٢٢٣) (شرع أَسَالَ) في تعليمه الكلام أولاً بأن كان يشير له إلى أعيان الموجودات، وينطق بأسمائها، ويكرر ذالك عليه، ويحمله على النطق، فينطق بها مقترناً بالإشارة، حتى علمه الأسماء كلها، ودرجه قليلاً قليلاً حتى تكلم في أقرب مدة.

٨ ـ وتبقى الفائدة المنصوص عليها في طريقة (التجربة)، للوصول إلى حقيقة يطمئن إليها الباحث نفسه في (الأقل).

٢ ـ **«نحو القلوب الصغيرة»** ـ للأستاذ الإمام عبدالكريم القُشَيْري:

قدم له وحققه وعلق عليه دكتور أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب (ليبيا ـ تونس) ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) ٢٥٣ + ٤ ص:

١ ـ لم يذكر لنا المحقق مَنْ لَقَّبَ القُشَيْرِيَّ بالأستاذ الإمام؟ من؟ ومتى؟ ـ إن وُجِدَ ذالك وإلا فليس لمحقق أن يمنح الألقاب، وفي نظرة إلى مخطوطة الكتاب، نقرأ (تأليف الأستاذ) ونظرة إلى أخرى نقرأ (الإمام) ـ والمخطوطتان متأخرتان في تاريخ النسخ.

٢ ــ ص ٢٣: وُلِدَ القُشَيري (عبدالكريم بن هوازن) في بلدة (أُسْتُوَا) وكان سكانها من العرب الذين قدموا من خراسان، (سنة ست وسبعين وثلاث مئة في شهر ربيع الأول وتوفي عام ٤٦٥).

(أ) رأيت أن المؤلف لم يُفد كثيراً مما جاء عن ترجمة القشيري في المصادر، كما في «وفيات الأعيان» مثلاً.

(ب) لم يعين المحقق مكان وفاة القشيري، قال ابن خلكان: (توفي صبيحة يوم الأحد قبل طلوع الشمس، سادس عشر ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربع مئة بمدينة نيسابور، ودفن بالمدرسة) يوصف القشيريُّ بأنه صوفي معتدل.

(جـ) لم يذكر ولده، قال ابن خلكان: (وكان ولده أبو نصر عبدالرحيم إماماً كبيراً أشبه أباه في علومه ومجالسه) والمنطقي أن يكون الابن في تلاميذ الأب.

٢ ــ النحو نحوان ص٧٧ : نحو العبارة ونحو الإشارة، أو نحو الظاهر ونحو الباطن، وأن الأول يدرك بِالعقل، والثاني يدرك بالقلب، ولهذا سماه القشيري «نحو القلوب».

قال القُشَيْرِيُّ في مفتتح كتابه ص ١٢٠: (النحو عبارة عن القصد، والناس مختلفون في المقاصد، ومفترقون في المصادر والموارد، فواحد تقويم لسانه مبلغ علمه، وواحد تقويم جنانه أكثر همه، فالأول صاحب عبارة، والثاني صاحب إشارة...

باب أقسام الكلام ـ قال أهل العبارة: أقسام الكلام ثلاثة: اسم وفعل وحرف، وقال أهل الإشارة: الأصول ثلاثة أقوال وأفعال وأحوال.

فصل (ص ١٣١): الأفعال ثلاثة: ماضٍ وحالٌ ومستقبل، وأحوال القوم مختلفة: فمنهم من فكرته في السابقة، ومنهم من فكرته في الخاتمة، ومنهم من اشتغل بإصلاح وقته الذي هو فيه، عن الفكرة في مستقبله وماضيه.

فصل (ص ١٣٢) الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، فلما رأى العارف ألَّا فَاعِلَ إلَّا الله تعالى عَظَّمَ قدره ورفع ذكره وخضع لجلاله، وتواضع عند شهود

كماله، ورأى نفسه مفعولاً فانتصب لعبادته ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾.

(أ) الملاحظ في أقسام الكلام أن القشيري لم يذكر (الأمر).

(ب) أورد المحقق عَظُم ـ بضم الظاء ـ والأولى أن تكون عَظَّمَ ـ مشددة مفتوحة ـ.

٣ ـ للقشيري كتاب آخر اسمه «نحو القلوب الكبيرة» وقد حققه الجندي بالاشتراك مع الدكتور إبراهيم بسيوني، وقال ص ٣١ ـ وسيقدم إلى الطبع قريباً .

٣ ـ **«الحالي والعاطل تتمة لملحق امل الآمِل»**: تأليف الدكتور عبدالرزاق محيي الدين سنة ١٩٦٩م، مطبعة الآداب في النجف ـ ١٩٧١/١٣٩١م ـ ٣٧٦ ص:

(١) «أمل الآمِل في ذكر علماء جبل عامل» للشيخ الحر العاملي، وملحق «أمل الآمِل» لجد المؤلف الشيخ جواد .

(٢) ص ٥٨ : يعدد مدنا من إيران ويذكر (همدان) ـ بالدال ـ والصحيح أنها همذان ـ بالذال ـ.

(٣) ص ٥٩ : (له عقب يسمى عليا بن رضي الدين): يسمى علي بن رضي الدين.

(٤) ص ٥٩/٦٠: (مجازا. . . من قبل الشيخ حسن): أجازه الشيخ حسن.

(٥) ص ٦٣ : (مشيخة الإسلام. . . انيطت. . . بالعلامة. . .): نيطت. . . لأن الفعل (ناط) ثلاثي.

(٦) ص ١١٩ : (معركة الخميس، أو بداية النهضة الأدبية الشعرية في العراق في حدود ١٢٠٠هـ) وهنا أريد أن أقرر رأياً ملخصه: أن النهضة الأدبية في العراق سبقت النهضة العربية العامة، وأن أسبابها تختلف عن الأسباب التي ذكرت لنهضة مصر والشام، كما أن آثارها تختلف كذالك، وأنها التقيا في طلائع

القرن العشرين).

هذه الفكرة ربما تكون جديدة على مؤرخي الأدب العراقي، وهي حتى الآن لم تتضح معالمها كل الوضوح . . .

ولكن الذي ألاحظه أن الاتصال بين نهضة الأدب العراقي ونهضة الأدب في مصر والشام جاء متأخراً أكثر من قرن، وأن النهضة الأدبية في العراق ظهرت، بشكلٍ يختلف عن النهضة في القطرين الآخرين..).

حسناً فعل حين قال: (ربما) هذه الفكرة ربما تكون جيدة) لأنها ليست جديدة فقد استوفاها جيداً الدكتور محمد مَهْدِي البصير في كتابه «نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر» ١٩٤٨م .

(٧) ص ١٥٣ : (وممن قَرَّضَ شعره ومدحه) وتتكرر تنظر مثلاً ص ١٩٦ . لابأس في (قرض) بالضاد ولكن الأنسب قرظ ـ بالظاء .

(٨) ص ٢٤٩ : (الشيخ نعمة محيي الدين أخ الشيخ موسى..) أخو .

(٩) ص ٣٢١ : تحدث المؤلف عن نفسه وعدد مؤلفاته، فذكر ـ فيما ذكر وذالك حقه ـ «المطالعة العربية للمتوسطات» ـ بالمشاركة «تاريخ الأدب العربي للمتوسطات» بالمشاركة.

(١٠) ص ٣٢٥/٣٢٦ : ذكر مصادر نقد آثاره، ولكنه لم يذكر الكتاب (الكتيب) الذي ألفه السيد محمد الحيدري في نقد كتابه «أدب المرتضى» رسالة دكتوراه، بعنوان «مع الدكتور محيي الدين في أدب المرتضى» ـ بغداد ـ مط . الزهراء ١٩٥٨م ـ ٨٩ ص.

٤ ــ «**دراسات في حضارة الإسلام**»: تأليف هاملتون جب، تحرير ستانفورد شو، ووليم بولك ـ ترجمة الدكتور إحسان عباس، والدكتور محمد يوسف نجم والدكتور محمد زايد، بيروت. دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م (كانت الأولى ١٩٦٤م) بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين:

١ ــ كان مناسباً أن يترجم المترجمون مقدمة المؤلف، وهي في صفحتين وأقل من نصف صفحة.

٢ ــ الكتاب في أصله مقسم إلى ثلاثة أقسام تتوالى خلالها (١٥) مادة سماها المترجمون فصولاً. وقد احتفظ المترجمون بالأقسام الثلاثة ولكنهم تصرفوا بالفصول:

(أ) نقلوا الفصل الثاني عشر من القسم الثاني إلى القسم الثالث.

(ب) وكان القسم الثالث يتألف من ثلاثة فصول هي: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، ترجم المترجمون الفصل الثالث عشر فقط، وأهملوا الفصلين الأخيرين وهما الثالث عشر والرابع عشر. موضوع الثالث عشر: رد الفعل في الشرق الأوسط ضد الثقافة الغربية، وموضوع الفصل الرابع عشر: قضايا (أو مشكلات) تاريخ الشرق الأوسط. وكان المناسب أن يصارحوا القارئ العربي بذالك ولا يكفي رفع النجمين من الفهرس (الانكليزي).

٣ ــ الفصل الثاني عشر: خواطر في الأدب العربي، قوامه مادتان: الأولى: بدء التأليف النثري، الثانية: نشأة الإنشاء الأدبي، تقعان في طبعة بيروت في ص ص ٢٩٣ - ٣١٦ = ٢٣ صفحة. وقد كتبا ونشرا أصلا باللغة العربية بين PP220 - 241 ولم ينص المترجمون على هذه الحال.

٤ ــ ذيل الأصل بفهرس لِآثارِ الأستاذ جب بين ١٩٢٣ - ١٩٦١، ويوضع تحت كل سنة الآثار التي نشرت خلالها، وقد أثبتها المترجمون كما هي بلغتها في ذيل النص المترجم، وكان المناسب أن يترجموا منها ماكان داخلاً في الكتاب، أو في الأقل تثبيت تاريخ كتابة المادة من المواد المترجمة في ذيل الترجمة العربية.

ونذكر هنا مثلاً - أن المادة الأولى من خواطر في الأدب العربي (أي بدء التأليف النثري) كتبت سنة ١٩٤٣م، ونشرت في مجلة «الأدب والفنون» العدد الأول، لندن.

ونشرت المادة الثانية سنة ١٩٤٥م، في العدد الثالث من المجلة نفسها.

ونذكر أن في الفصل الثالث عشر أربع مواد تواريخها هكذا: القرن التاسع ←

رسالة الضمدي

إلى الإمام سعود بن عبد العزيز

أحمد بن عبدالله الضمدي: نسبه ومولده: هو: أحمد بن عبدالله بن عبدالعزيز ابن حسن بن حسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عمر[1] بن محمد بن يوسف الضمدي[2]، ولد: في هجرة ضمد[3] سنة ١١٧٤هـ/١٧٦٠م[4].

نشأته، وتعليمه الأولي: نشأ في حجر وَالِدَيْهِ على الطاعة والعفاف[5]، إذ قرأ القرآن الكريم على يد والده ببلدته ضمد[6]، ثم حفظ المتون العلمية على اختلاف أنواعها، وتفقه على عدة من علماء الهجرة[7] الضمدية، حيث لازم فريد عصره خاله القاضي العلامة عبدالرحمن بن الحسن البهلكي[8][9].

رحلته في سبيل العلم: رحل في سبيل العلم إلى مدينة زبيد[10] في عام

← عشر، سنة ١٩٢٨م المنفلوطي والأسلوب الجديد ١٩٢٩م، المجددون المصريون في السنة نفسها ١٩٢٩م، والقصة المصرية - يقصد الرواية - في سنة ١٩٣٣م، ولِتَوارِيخ الكتابة أُهَمِّيَّتُهَا .

٥ ـ لاتقلل هذه الملاحظات من قيمة الكتاب، والجهد الذي بذله الأساتذة المترجمون، ولكنها ترمي إلى الكمال .

من موضوعات الكتاب «التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى» ولصلاح الدين مكان بارز منه ومنها النظم، وللماوردي منزلة مهمة فيها .

٦ ـ يحيل أنور الجندي في كتابه «المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مئة عام ١٨٤٠ - ١٩٤٠م» (القاهرة، مطبعة الرسالة ١٣٨٠/١٩٦١م) - ينظر مثلاً هامش ص ٨٥٧ ، إلى تقرير جب ، عن الأدب المصري، منشور في «السياسة الأسبوعية، ١٩٣١م»، فأين مكان هذا التقرير من كتاب «دراسات في حضارة الإسلام»؟ وكم كان مناسباً أن يقف القارئ العربي عليه .

بغداد ـ د. علي جواد الطاهر

١١٩٧هـ/١٧٨٢م حيث أخذ عن جملة من علماء مثل: الشيخ عبدالخالق المزجاجي[١١]، والشيخ عبدالله الخليل[١٢]، والحافظ عبدالرحمن بن سليمان الأهدل[١٣]، ثم رحل إلى صنعاء، فأخذ عن الشيخ عبدالقادر بن أحمد بن عبدالقادر[١٤]، وعدد من علماء صنعاء المعروفين[١٥]، وعاد إلى وطنه عندئذ وقد صار وعاءً من أوعية العلم وإمامًا في كل فن من الفنون[١٦]، ولكنه على الرغم من تصدره في وطنه للتدريس لم يهل داعي الهجرة في سبيل العلم، حيث طلبه مرة أخرى في: مكّة المكرمة، والمدينة المنورة، وصنعاء وكوكبان، ورجال ألمع[١٧]، وصعدة[١٨].

تلاميذه: درّس بمدينة ضمد جماعة من أهلها[١٩]، حيث تخرج على يديه جملة من أبنائها، كان من أشهرهم: الحسن بن خالد الحازمي[٢٠]، وعبدالرحمن بن أحمد البهكلي[٢١]، إذ يقول عاكش: أن لا شيخ للحازمي غير الضمدي[٢٢].

مكانته العلمية: يقول فيه ولده عاكش في معرض حديثه عنه في كتابه «الديباج الخسرواني»: انتهت إليه رحمه الله تعالى رياسة العلم وشدت إليه الرحال، ولم يزل متطوراً بعين الاحترام والاجلال، يقدمه الأمير والمأمور على من سواه، ويرون له الحق مالم يبلغ غيره إلى أدناه، يستند في المشكلات إليه، ويُعَوَّلُ في المعضلات عليه، إذا برزت فتواه في مقام العلماء الأعلام[٢٣]، وصفه الشوكاني: بأنه: برع في الفقه والحديث والعربية[٢٤]، وأنه: صار المرجع إليه في التدريس والافتاء في ضمد وغيرها، كصبيا وأبي عريش[٢٥].

مؤلفاته: له عدد من المؤلفات المفيدة، منها: «مشارق الأنوار شرح دلائل الأزهار» للإمام المهدي[٢٦]، وله «منحة الإعراب شرح ملحة الإعراب» في النحو[٢٧]، وله شروح على أراجيز مفيدة «منسك جليل مربوط بالدليل»، وفتاوى كثيرة. . . وله رسائل مفيدة في مراجعات بينه وبين علماء وقته وله رسالة في حكم التنباك[٢٨].

وفاته: توفي رحمه الله تعالى: في شهر جمادى الآخرة[٢٩] رابع الشهر ليلة الجمعة[٣٠] سنة ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م[٣١].

ظروف النص وتاريخه: من الواضح أن هذه الرسالة تمثل واقع الحياة السياسية في المخلاف السليماني بتهامة أواخر العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، إذ يتبين فيها دخول هذه البلاد في الحكم السعودي الأول، حيث دانت تلك الأنحاء لهذا العهد، فلقد تَـمَّ هذا الولاءُ منذ سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٢م بعد معامع وحروب طاحنة[٣٢]، مما يشير إلى أن الشريف حمود بن محمد أبو مسمار[٣٣] لم يذهب مع الوفد الذي حمل هذه الرسالة في سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م، إذ يبدو أنه قد تباطأ في هذا الشأن خشية العتب من الإمام سعود بن عبدالعزيز[٣٤]، وأن الضمديَّ بمنزلته العلمية قد التمس له في كتابه هذا العذر في البقاء، وطلب الحفاوة بالوفد المبعوث إلى نجْد.

ومن الملامح السياسية الظاهرة في هذه الرسالة بلوغ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٣٥] إلى بلدان جنوبي الجزيرة العربية، وأن رأس الوفد المرسل إلى نجد كان السيد الحسن بن خالد الحازمي في جملة من أشراف تهامة الذين حظوا بثناء الضمدي وشفقته، مما يشير إلى وجود خلاف مسبق بين الطرفين، قد يظهر محاذيره موقف أمير عسير حينذاك من شريف تهامة أبي مسمار، ويؤكد ذالك تخلف الشريف حمود عن صحبة الوفد، ومشاركة أمراء تهامة وعسير الوفادة إلى الدرعية، وقد بَرَّرَ الضمدي هذا العمل بأن الشريف حمودًا قد فضل البقاء من أجل الحفاظ على أمن البلاد وسلامة الرعية، وبخاصة من غزوات يام الشهيرة المعهودة.

ومهما يكن الأمر فإن الحال لايعدو ماقيل، وأنه قد مثل الواقع السياسي المشهود في تهامة حينذاك، مما يدلل أن الرسالة قد كتبت في سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م وأنها حررت من أجل دفع الظنون التي قد تحيط بتخلف الشريف حمود عن مسايرة الوفود القادمة من: تهامة، وعسير إثر طلب الإمام سعود بن عبدالعزيز لها، ويؤكد هذا القول كله ماورد في كتاب: «نفح العود» للبهكلي، إذ قيل: (.. وبينما هو في أثناء هذا التردد وافاه جماعة من أهل نجد قد أرسلهم سعود لافتقاد القضية في أمرهم بإيصال الأمراء إلى حضرته: عبدالوهاب[٣٦] والشريفين حمود ومنصور[٣٧] وعرار[٣٨][٣٩]. وقد أضاف البهكلي إلى ذالك قوله: إن الشريف حمود: لما خلا به الركب الواصلون أخبروه بما يطلبه سعود من وصوله ووصول عرار فعظم عليه

الأمر، ولو تمكن من المخالفة والمشاقة لفعل، ولكن لم يسعه إلّا الامتثال، واعتذر من نفوذه بنفسه، وبذل نفوذ ولد أحمد بن حمود[٤٠] لأجل الامتثال لأن ولد الرجل كنفسه، وقصد بذالك أن يقبل سعود معذرته في التخلف فإنه اعتذر بمشاغلة أهل اليمن، وحفظ البلد التي افتتحها أن تغتالها أيدي أمراء الإمام[٤١] وأحسن المعاملة للوفد الواصلين، وجعل أمر محاجته عبدالوهاب والإجابة عليه فيما يدعيه من موالاة عرار على لسان السيد العلامة الحسن بن خالد. . . وفعل الشريف حمود ماقدر عليه من الإلانة في الخطاب، وإرسال ماحسن وطاب من الهدايا العجاب[٤٢]. إذ تم وصول الوفد إلى الدرعية في هذه السنة نفسها التي كتبت فيها الرسالة، حيث يعتقد أنهم وصلوا قبل شهر رمضان من سنة ١٢٢٠هـ، وأنهم عادوا بعد هذا التاريخ بقليل، إذ ورد في كتاب «نفح العود» نفسه أن الشريف حمود في أوائل شهر رمضان سنة عشرين بعد المئتين والألف[٤٣] اتجه إلى مدينة باجل[٤٤] ليستقر فيها؛ إذ قيل: إن الشريف حمود: أقام بباجل يعمر الحصون، ويحفظ الظهور والمتون. وفي إقامته تلك وصل إليه الركب الذي نفذ إلى الدرعية[٤٥].

توثيق النص ووصفه: **اولاً توثيقه**: تشير المصادر التي بين أيدينا الآن أن هذه الرسالة للشيخ أحمد بن عبدالله الضمدي، وأنه أرسلها في سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م إلى الإمام سعود بن عبدالعزيز في الدرعية يستوصي فيها خيرًا بالوفد المبعوث إلى نجد عندئذ، ولقد أتى على ذكرها، وإيراد شيء منها الأستاذ علي بن محمد أبوزيد الحازمي في مجلة «المنهل» ح ٦، مج ٢١ (جمادى الثانية ١٣٨٠هـ) ص ٤٢٣ تحت عنوان (رجال العلم بضمد)، مما يؤكد نسبتها للضمدي، ويزيد في توثيقها، هذا بالإضافة إلى مكانة صاحبها، وأنه يستحق هذه المنزلة العلمية التي أهلته إلى أن يشفع في أولئك النفر من الأشراف، ويستوصي بهم خيراً لدى ولاة الأمر، والقائمين على إمامة المسلمين.

ثانياً: **وصفه**: لقد تم تحقيق هذه الرسالة على نسخة خطية حديثة واحدة، إذ تم الحصول عليها من الأستاذ محمد علي أبي زيد، إذ يبدو أنه استنسخها لنفسه من إحدى المكتبات الخاصة ببلدته ضمد، حيث كان النسخ بقلمه ورسمه، إذ كان

مكتوباً بخط نسخي معتاد، ويقع في صفحتين، في كل صفحة ستة وعشرون سطراً، في كل سطر نحو ثلاث عشرة كلمة، قد تزيد في بعض السطور، وقد تنقص في بعضها، فضلاً عن وجود بعض معالم الغطش في تلك السطور، علماً بأن الرسالة لم تكن كاملة، بل يدل نسخها على نقص في آخرها، وأنها لم تكن مؤرخة بتاريخ معلوم، ولا مختومة بخاتم صاحبها.

قيمة هذا النص وفائدته: تبرز قيمة هذا الأثر الأدبي في فائدته المعنوية، وقيمته الأدبية. أما الفائدة المعنوية فقد ظهرت من خلال ما اشتملت عليه الرسالة من معان جادة، ذات قيمة تاريخية، إذ أشارت إلى أحداث مرحلة مهمة من تاريخ الجزيرة العربية في عصرها الحديث، حيث اشتملت على ذكر نفر من علماء تهامة وعسير وأمرائها، كما دللت على مواقفهم من ظهور الاتجاه السلفي في جزيرة العرب عندئذ، وماجرى في ميدانه من أحداث وردود، فلقد شايعت الدولة السعودية الأولى ذالك الاتجاه، وسعت في نشره وتحقيقه مما يعد من آثارها المعهودة، فالحق أن تأييد هذا الاتجاه الّذي دعا إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب من مآثر أمراء تلك الدولة، وبخاصة إذا أُدرك الأثر الذي حققته تلك الدعوة السلفية، ومدى دفعها لكثير من الاتجاهات الدينية، والفرق الضالة، ناهيك عما اشتملت عليه تلك الرسالة من أخبار تاريخية مهمة، مثل ذكرها لأخبار اليامِيِّيْنَ التاريخية، وماكانوا عليه من فوضى، وعدم استقرار.

أما القيمة الأدبية التي يمكن الإشارة إليها في هذه الرسالة، فإنها لا تعدو الإحاطة بمرحلة التدوين التي مرّ بها تاريخ الأدب في عصره الحديث، إذ كتب هذا الأثر الأدبي في آخر العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، تاريخ البعث الأدبي الحديث، وبداية النهضة الأدبية الحديثة، إذ تعد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من أسباب تكوينها، على الرغم مما اشتملت عليه من ألوان بديعية، ومظاهر أسلوبية متكلفة، إذ يبدو أن الضمدي قد عمد إلى إظهار قدرته الأسلوبية، وما تنطوي عليه من ملامح التلاعب اللفظي، والتكلف البديعي، فلا غرو في ذالك فهو في رسالته هذه يقتدي سنن من قبله في ميدان الكتابة والتدوين، حيث يتبين في هذه الرسالة سعة مقدمتها، وقدرة كاتبها على التحرير

الأدبي، والاقتباس الأسلوبي من آيات القرآن الكريم، والحديث النبوي، والشعر العربي.

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المستحق للحمد والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وبعد فهذه صورة كتاب الشيخ العلامة
الإمام شيخ الإسلام أحمد بن عبد الله الضمدي رحمه الله تعالى رحمة واسعة إلى الأمير سعود بن عبد
العزيز [illegible]

من أحمد بن عبد الله الضمدي إلى من أقام الله به الحق في هذه الأعصار وانتشر العدل بحسن سعيه
في جميع الأقطار وملأت هيبته قلوب أهل البوادي والأمصار وقمع أهل البغي والفساد
بسيفه البتار حتى استقام من قناة الشريعة اعوجاجها وخلص خلاصة النميري [illegible]
وأحيا [illegible] الأمير سعود بن عبد العزيز حفظه الله الملك العلام وتولى عونه في إقامة
والاجتهاد واحتذ بناصيته الخير القول والعمل وبلغه من إقامة دين الله [illegible]
والهمة السداد وبصره الرشاد وجعل قيامه خالصاً لرب العباد وفتح به الثغور
وأصلح به أحوال الجمهور وأغاث به المستضعفين وجعله قرة عين للصالحين [illegible]
بلطفه الخفي وأياديه ومسح على صدره بيد توفيقه وهدايته. فقد لا [illegible]
الصلاح في [illegible] مبادي الأمل منا إلى ذلك بحي على الفلاح والسلام عليكم ورحمة الله

(٢)

[illegible] فإن الأمور المرجحة لجلوسة على الوفود [illegible] لا [illegible]
[illegible] الطعام لوسائر [illegible] حرم أهل الإسلام [illegible]
[illegible] الشريف [illegible]

والناس ألف منهم كواحد ... وواحد كالألف إن أمر عنى

[illegible] الغائب والمؤمن مرآة أخيه فإن [illegible]
فإني إن شاء الله تعالى ما آثرت إلا رضى الله تعالى [illegible]
ومن طلب رضى الله بما يسخط عليه الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن
طلب رضى الناس بما يسخط الله سخط الله وأسخط عليه الناس [illegible]
[illegible] واحد

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

في كل شيء إذ ضيعته عوض ... وليس لله إن ضيعت من عوض

اللهم فانصر الحق وأظهر الصواب وابرم لهذه الأمة أمراً رشداً يعز فيه أهل طاعتك
[illegible]

«الصفحتان الأولى والأخيرة من الرسالة»

النص:

بسم الله الرحمن الرحيم[٤٧]

من أحمد بن عبدالله الضمدي إلى من أقام الله به الحق في هذه الأعصار، وانتشر العدل بحمى سعيه في جميع الأقطار، وملأت هيبته قلوب أهل البوادي والأمصار، وقمع أهل البغي والفساد بسيفه البتار، حتى استقام من قناة[٤٨] الشريعة اعوجاجها، وخلّص فراتها النمير من زعاق البدعة وأُجاجها، الأخ الأمير سعود بن عبدالعزيز حفظه الله الملك العلام، وتولى عونه في إقدامه والإحجام، وأخذ بناصيته إلى خير القول والعمل، وبلغه من إقامة دين الله غاية الأمل، وألهمه السداد، وبَصَّرَهُ الرشاد، وجعل قيامه خالصاً لرب العباد، وفتح به الثغور، وأصلح به أحوال الجمهور، وأغاث به المستضعفين، وجعله قرة عين للصالحين، وتولاه بلطفه الخفي، وإعانَتِه، ومسح على صدره بيد توفيقه وهدايته[٤٩]، فقد لاحت منه لوائح الصلاح. فَحَيْعَلَ مُنَادي الأمل مِنَّا إلى ذالك بِـحَـيٍّ على الفلاح.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فإني أحمد الله إليك الله[٥٠] الذي لم يزل يبعث لهذه الأمة من يجدد لها دينها، ويحملها على أحكام الكتاب والسنة ويدنيها[٥١]، وأصلي وأسلم على سيد الموحدين، وعلى آله أئمة الدين، وأصحابه الراشدين.

وإن صدورها[٥٢] لِأداءِ[٥٣] مسنون السلام، ولاستمداد[٥٤] صالح دعواتكم، لاسيما بالتوفيق وحسن الختام، وأحوال البلاد صالحة إن شاء[٥٥] الله، وقد حصل فيها من الجدب، وحصل الفرج بعد الشدة، كما جرت عادة الله في خلقه، وإذا صلحت أمور الدين، فذالك غاية مقصد الموفقين، من أهل الإيمان واليقين، وإلا أما الدنيا فعليها العفا[٥٦]، وليست لخلاصة الموحدين بدار صفا، وفق الله الجميع لما يرضيه آمين، اللهم آمين.

اللهم واعن لهذا القائم الناصر لدينك، وتوله بتوفيقك، وتسديدك، واهدنا جميعاً الطريق الموصلة رضاك، الذائدة عن تعدي حدودك، اللهم وأتم لعبادك هذا النور الطالع، وأثلج صدورهم بصلاح هذا الأمر الذي هو للخبير جامع.

صدرت بيد الشريف العلامة، حسن بن خالد الحازمي ومن في صحبته من الأشراف، أصحبهم الله السلامة والكرامة، وبلغهم الأمل من صالح العمل وهم ممن عرفتم يستحقون الرعاية والإجلال، فأنزلوهم منازلهم على حال يكون الكل منهم طامعاً إن شاء الله[٥٧] تعالى في شفقتكم ورحمتكم وحنوكم عليهم، وكذالك إيناسهم وبسط الوجه، فاستوصوا بهم إن شاء الله خيراً وأُنسا، وأنتم من أعلم الناس بحقوق أولاد رسول الله وتميزهم على غيرهم برفع المنزلة وقبول الكلمة. وذالك ثابت لهم بنصوص الكتاب والسنة.

وتأمل قوله ﷺ[٥٨]: «انظروا كيف تخلفوني فيهما[٥٩]، وقول الصديق رضي الله عنه: ارقبوا محمداً في أهل بيته[٦٠]، وغير ذالك كثير طيب مما لايعزب عن ذهنكم، وهذي مني نصيحة لله عز وجل، لا لاتباع هوى في غير ما أذن الله سبحانه، وتأمل قوله ﷺ: «والمستحل من عترتي[٦١] ماحرم الله»[٦٢] يعني في أبدانهم، وترك تعظيمهم، فإن لهم على الأمة حقاً لا يجهله إلا من غطى[٦٣] الشقا على نور بصيرته، وكذالك المستحل من غير العترة اثم، إلا أنهم لما كان حقهم آكد. وقد علم الله سبحانه أنه يكثر لهم الأعداء والحساد، فخصهم[٦٤]، وكذالك[٦٥] خاصتهم والمتعلقين بهم التعلق الخاص فأنعوهم(؟) وارعوهم واجبروهم إن شاء الله تعالى[٦٦].

كذالك الشريف حمود مستقيم بقدر الاستطاعة ولا يقوم غيره مقامه في البلاد، ولو سافر إليكم لظهر في الأرض الفساد، ولتمادى[٦٧] في الضلال أهل العناد، يا سبحان الله لو تحققتم الحال الذي هو فيه لأوجبتم عليه ترك السفر لو أراد، فإن جلوسه في البلاد متحتم لا يسوغ له الخروج إليكم، فإن الأمور المرجحة لجلوسه على الوفود[٦٨] إليكم لا يتسع لإيرادها المقام، منها: مطرح يام[٦٩] الطغام لو سافر إليكم لهتكوا حرم أهل الإسلام، ولا يردهم عن ذالك رادٌ إلا الله سبحانه. ثم هيبة الشريف حمود، لما يعلمون فيه من شدة الإقدام:

والنــاسُ أَلْفٌ مـنهُمْ كَـوَاحـدٍ   وَوَاحِدٌ كَالأَلْفِ إِنْ أَمْرٌ عَنَا[٧٠]

والحاضر يرى مالا يرى الغائب، والمؤمن مرآة أخيه، فكن على يقين منشرح الصدر فإني إن شاء[71] الله تعالى ما آثرت إلا رضا[72] الله تعالى عن رضا[73] من سواه، ومن آثر رضا الله آثر الله[74]، ومن طلب رضا[75] الله بما يسخط عليه الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس، ومن طلب رضا الناس بما يسخط الله سخط الله وأسخط عليه الناس[76]، وفي رضا الله كفاية عن رضا كل واحد:

فَلَيْتَكَ تَحْلُو[77] والحَيَاةُ مَرِيرَةٌ   وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ غِضَابُ[78]
في كلِّ شيءٍ إذا[79] ضيعته عِوضٌ   وليس لله[80] إنْ ضَيَّعْتَ مِنْ عِوَضِ[81]

اللهم فانصر الحق، واظهر الصواب، وابرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل. . .[81].

الهوامش والتعليقات:

(١) الحسن بن أحمد عاكش، «الديباج الخسرواني» ٣٥.
(٢) محمد بن محمد زبارة، «نيل الوطر» ١/١٣٥.
(٣) انظر أخبارها في: «النهاية» لابن الأثير ٣/٩٩، و: «نفح العود» للبهكلي ١٥، و«عقود الدرر» لعاكش ١٧٧، و«المعجم الجغرافي لمنطقة جازان» للعقيلي ٢٦٥.
(٤) الحسن بن أحمد عاكش، «حدائق الزهر» ٢.
(٥)و(٦)و(٧) المصدر نفسه ٢.
(٨) انظر ترجمته في: «نيل الوطر» ٢/٢٦.
(٩) الحسن بن أحمد عاكش، «حدائق الزهر» ٢.
(١٠) انظر أخبارها في: «معجم البلدان» لياقوت ٣/١٣١، و: «مجموع بلدان اليمن وقبائلها» للحجري ٢/٣٨١.
(١١) انظر ترجمته في: «البدر الطالع» للشوكاني ٢/١١٤.
(١٢) لم أقف على ترجمة له فيما بين يدي من مصادر.
(١٣) انظر ترجمته في: «نيل الوطر» لزبارة ٢/٣٠.
(١٤) انظر ترجمته في: «البدر الطالع» للشوكاني ١/٣٦٠.
(١٥)و(١٦) الحسن بن أحمد عاكش، «الديباج الخسرواني» ٣٦ و: «حدائق الزهر»، ٢، ٣.
(١٧) من بلدان تهامة عسير في جنوبي المملكة العربية السعودية.
(١٨) الحسن بن أحمد عاكش، «حدائق الزهر» ٢، ٣.
(١٩) الحسن بن أحمد عاكش، «الديباج الخسرواني» ٣٦.
(٢٠) انظر ترجمته في: «حدائق الزهر» لعاكش ١٧.
(٢١) انظر ترجمته في: «نيل الوطر» لزبارة ٢/٢٣.

(٢٢) الحسن بن أحمد عاكش «حدائق الزهر» ١٧.
(٢٣) ٢٦. (٢٤) «البدر الطالع» ٧٧/١.
(٢٥) المصدر نفسه ٧٧/١، يقول الشوكاني في كتابه هذا: وسألني بمسائل عديدة أجبت عليها بجواب سميته: «العقد المنضد في جيد مسائل علامة ضمد» ٧٧/١.
(٢٦) الحسن بن أحمد عاكش، «حدائق الزهر»٣.
(٢٧)و(٢٨) الحسن بن أحمد عاكش، «الديباج الخسرواني» ٣٧.
(٢٩) كذا في: «الديباج الخسرواني»، وفي: «حدائق الزهر»: (ثالث الشهر).
(٣٠) الحسن بن أحمد عاكش، «الديباج الخسرواني» ٣٥.
(٣١) الحسن بن أحمد عاكش، «حدائق الزهر» ٧.
(٣٢) انظر في ذالك: «نفح العود» للبهكلي.
(٣٣) انظر ترجمته في: «نيل الوطر» لزبارة ٤٠٨/١.
(٣٤) انظر ترجمته في: «الأعلام» للزركلي ٩٠/٣.
(٣٥) انظر ترجمته في: «المصدر السابق» ٥٧/٦.
(٣٦) عبدالوهاب بن عامر المتحمي، انظر أخباره في: «تاريخ عسير» للنعمي.
(٣٧) منصور بن ناصر الحسني، انظر أخباره في: «نفح العود» للبهكلي ٩١، ١٠١.
(٣٨) عرار بن شار الشعبي، انظر أخباره في المصدر السابق.
(٣٩) ١٨٣، ١٨٤. (٤٠) انظر أخباره في: «الديباج الخسرواني» لعاكش.
(٤١) إمام اليمن. (٤٢) «نفح العود» ١٨٤.
(٤٣) عبدالرحمن البهكلي ١٨٩.
(٤٤) انظر أخبارها في: «مجموع بلدان اليمن وقبائلها» ١٠١/١.
(٤٥) عبدالرحمن البهكلي، «كتابه السابق» ١٩٣.
(٤٦) عبدالله أبو داهش، «الحياة الفكرية والأدبية في جنوب البلاد السعودية» ١٣٩.
(٤٧) قيل بعد البسملة: الحمد لله المستحق للحمد والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله، وبعد هذ[ه] صورة كتاب للشيخ العلامة الإمام شيخ الإسلام أحمد بن عبدالله الضمدي رحمه الله تعالى رحمة واسعة إلى الأمير سعود بن عبدالعزيز النجدي.
(٤٨) في الأصل: (قنات). (٤٩) كذا في الأصل.
(٥٠) كذا في الأصل، ولعله أراد بتكرار لفظ الجلالة: التأكيد، والإيضاح.
(٥١) كذا في الأصل، ولعل قراءتها كما أثبت.
(٥٢) كان ذالك في غضون سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م.
(٥٣) في الأصل: (لأدا). (٥٤) كذا في الأصل.
(٥٥) في الأصل: (انشا).
(٥٦) قال الرازي: العَفَاء بالفتح والمد التُّرَاب، قال صفوانُ بن مُـحْرِز: إذا دخلتُ بيتي فأكلتُ رغيفاً، وشربت عليه ماءً فعلى الدنيا العَفَاءُ. «مختار الصحاح» ٤٤٢.
(٥٧) في الأصل: (انشا). (٥٨) في الأصل: (صلى الله عليه).
(٥٩) في الحديث: «... أذَكِّرُكم الله في أهل بيتي، أذَكِّركم الله في أهل بيتي» أخرجه مسلم انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير ١٥٨/٩.
(٦٠) أخرجه البخاري: ولفظه: «... عن ابن عمر رضي الله عنهما قال أبو بكر: ارقبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته» ٢١٧/٤، انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير ١٦٠/٩.

(٦١) قال الرازي: عترة الرجل نسله ورهطه الأدنون: «مختار الصحاح» ٤١٠، وقال ابن منظور: عترة الرجل أقرباؤه من ولد وغيره، وقيل هم قومه دِنْيًا، وقيل هم: رهطه وعشيرته الأدنون» «اللسان» ٦/٢١١.
(٦٢) وفي الحديث: عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر، وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي...» أخرجه الترمذي، انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير ١/٢٧٨.
(٦٣) في الأصل: (غطا). (٦٤) في الأصل: (وفخصهم).
(٦٥) في الأصل: (وكذى لك). (٦٦) في الأصل: (انشا). (٦٧) في الأصل: (لتهادا).
(٦٨) يشير إلى وفود: تهامة، وعسير من الأمراء والأعيان.
(٦٩) قال الحجري: يام من قبائل همدان، ثم من حاشد، وهو يام بن أصبا، وقد ذكروا في نجران، إذ هي بلادهم، وكان لهم من قبل: جبل يام ما بين بلاد تهم والجوف، وهو جبل واسع، قال الهمداني: وهو بلاد يام القديمة. «مجموع بلدان اليمن وقبائلها» ٢/٧٧٤.
(٧٠) من مقصورة ابن دريد المشهورة.
(٧١) في الأصل: (انشا). (٧٢) في الأصل: (رضى).
(٧٣) في الأصل: (رضى). (٧٤) كذ في الأصل. (٧٥) في الأصل: (رضى).
(٧٦) وفي الحديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: «... سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَن التمس رضى الله بسخط الناس، كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضى الله بسخط الله وكله الله إلى الناس...» أخرجه الترمذي، انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير ١١/٧٠٠.
(٧٧) في لأصل: (تحلوا).
(٧٨) بيت لأبي فراس الحمداني (٣٢٠-٣٥٧هـ). قصيدته الموسومة بـ: «بني عمنا»، والتي يقول في مطلعها:

أَمَا لِجَمِيلٍ عِنْدَكُنَّ ثَوَابُ ... وَلا لِمُسِيءٍ عِنْدَكُنَّ مَتَابُ؟

انظر: «ديوانه» ٢٧.
(٧٩) في الأصل: (إذ)، والصواب ما أثبت.
(٨٠) وفي رواية: (في الله).
(٨١) وقد ورد: من كل شيء إذا ضيعته عوض ... وما من الله إن ضيعته عوض

وهذا البيت يرد في المصادر بكثرة دون نسبة لقائل، انظر مثلاً: كتاب: «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» لابن القيم ٨١، ٢٣٦.
(٨١) ومابعد كلمة، (ويذل) غير موجود لنقص في الرسالة، ولعل هذا القول من مظاهر خاتمتها، إذ يبدو أن الرسالة أوشكت على نهايتها.

تحقيق د. عبدالله بن محمد أبو داهش
استاذ الأدب المشارك بكلية
اللغة العربية - ابها

مواضع بين الخرمة ورنية

- ٢ -

[انظر «العرب» س ٢٥ ص ٢٢٢]

وبعد ٤٦ كيلاً نصل إلى وادي السِّدْرِي بعد اجتيازنا وادي الْـمَشْقَرِ ، حيث نرى إلى اليمين الْأُسَيَّاف ، وأمامنا جبال سود تسمى العاقر ، وإلى اليسار مما يلي مطلع الشمس جبل أحمر يسمى عُنيزة . . ووراءه عن بعد جَبَلُ تِيْنٍ المعروف . . . والذيُّ يُعَدُّ من معالم المنطقة .

السِّدْرِيُّ : وادٍ يسيل من حرة الجوهرية وجبال الْـمَشْقَرِ ، والْأُسَيَّاف ، ويمر جبال العاقر متجهاً من الغرب ، وله روافد من الجنوب ، مروراً بعنيزة وكُحَيْلٍ ، مباطناً لوادي الْـمَشْقَرِ شرقاً منه ، ويجاوره ويبعد عنه خمسة أكيال . يحفه وادي السُّدَيْرِي الذي تقع عليه آبار السُّدَيْرِيَّةِ . وغرباً منه جُبَيْلَاتُ حُمَّرَةَ ، وبالقرب منه سناف المرخة ، وينساح السِّدْرِيُّ في فرشة من الأرض بالقرب من الغضا في وادي سُبَيْعٍ . وهو يسير تاركاً الْـمَشْقَرَ والهتيميات والْـمُعَيذرات إلى يساره ، وبالقرب منه شعيبات (أبو غضا)... وأبو غضا ثلاثة أودية تنساح في الفرشة .

قال أحد شعراء القُرَيشات من سُبيع يصف راحلته :

تسرح من السِّدْرِي قَبْلِ شَلْعَةَ النُّوْرْ ولا تَمْسِـي إلَّا حول قِيْزَان بَرُّوْدْ[1]

وقال ابن مزيد :

وُدِّي بِعِرْقِ سْبَيْع والقلبْ شفْقَان والْـخِرّ والسِّدْرِي وَشَوْفَتْكِ يَا تِيْنْ[2]

اما السدرية : فهي آبار ومناهل لبني ثور من سبيع ، شمالاً عن جبل تِيْنْ ، بينها وبينه خمسة أكيال ، وسميت بذالك لأنها تقع على وادي السُّدَيْرِي المتفرع من وادي السِّدْرِي ، وهي في أرض منخفضة طينية ، عند التقاء وادي السُّدَيْري بوادي الْـخُرْمَةِ ، حولها أشجار رِمْـثٍ كثيرة ، وغضا وأشجار مختلفة ، وشمالاً عنها آبار الشواوي[3] في وادي سُبيع ، وشرقاً شمالياً منها آبار الْقُنْصُلِيَّةِ التي تبعد

عنها أربعة أكيال ، وكل هذه الموارد لقبيلة بني ثور ، وتقترن السُّدَيْرية بجبل تِيْنٍ المعروف .

قالت إحدى شاعرات بني ثور حينما تركت حياة البادية :

سكنت غْثَاهْ يا منصورْ والحالْ من عقبكم سَيَّهْ
نسيت الطَّرْش والْمَظْهُوْرْ نسيت ضِلْعَ السُّدَيْرِيَّهْ

وقال آخر :

سلام ياضِلْعَ السُّديريهْ سلاَمْ ياضلع حبِّك عليه الله وكيلْ
أرضك فقار وانْتَ له مِثْلَ السنَامْ وبْطانِكَ الْوادِي عسى سيله يسيلْ

وبالقرب من السدري سرحة كبيرة تسمى سرحة خشمان(٤).

غثـــاة : أما غثاة فهي قرية زراعية ، تقع شمالاً عن الخرمة على ضَفَّةِ وادي سبيع الغربي ، يربطها بالْـخُرْمَةِ خط مبلط طوله ٢٠ كيلاً تسكنها قبيلة بني ثور ، وآبار غثاة وفيرة المياه ، عذبة ، تربتها صالحة وجيدة للزراعة ، بينها وبين الخرمة عدة قرى مثل (أبو جميدة) والوطاة ، والدغمية والحرف ، ومن أوديته المحتفر وأبو طليح ، وأبو وهيط والقوزيات ، قال الشاعر سعد بن باتل بن هذلول :

يـالله في نَوٍّ لَيْلٍ رَاكِدٍ وَبْلِهْ يسقِي جوانبْ شَعَفْ وِغْثَاهْ يَاطَاهَا

عنيزة: وعُنَيْزَة جبل بالقرب من العاقر شرقًا من وادي السدري، لونه يميل إلى الحمرة ، مستطيل ، دونه حزون ومرتفعات جبلية ، وأودية ترفد وادي السدري ، كثير الأشجار والأعشاب البرية ، قال الهجريُّ : عُنَيْزَةُ في غير موضع(٥) انتهى . وللمتقدمين كلام كثير حول عُنَيْزة ، إذا الاسم يطلق على عدة أمكنة كما قال الهجريّ .

وبين جبيلات غُرَّبٍ وعنيزة مسيرة يوم للإبل ، إذ لم يفصلهما سوى وادي سبيع . وقال عمران بن مكنف الحرملي من عوف بن عامر :

فَلَمَّا تـلاحقنـا بِنَعْفِ عُنَيْـزة ضُحَيًّا وقرن الشمس رخص جديدها(٦).

وهذا البيت ورد من أبيات ورد فيها ذكر الْـخَلّ والقوس[٧]، وهي جبال قريبة من عُنيزة في بلاد سبيع .

وقال الشاعر الشعبي :

تـراه لامِنّـه تَعَـدَّى اليعـايم[٨] وخلا عْنَيْزَهْ عن يسـاره مْسَيَّانْ
يعطي دروبٍ كلٌّ أبوها خرايمْ ناوِيه يَشْرَبْ مِنْ موارد كتيفان[٩]

كحيـل : وكُحَيْلُ ـ بضم الكاف وفتح الحاء المهملة وسكون الياء المثناة ثم لام ساكنة ـ جبيل أسود غير مرتفع ، بجوار وادي السِّدْرِي ، يبعد عن تِيْنٍ إلى الغرب ١٥ كيلاً ، وعن الْـمَشْقَرِ تسعة أكيال بجواره زريبة صغيرة تسمى باسمه .

العاقـر : جمعها عُقَّرٌ . . وينطقها أبناء المنطقة بالإفراد والجمع ، وهي تمتد من جبال حرة نواصيف (الناصفة) حتى تصل إلى نهايتها بالقرب من تينٍ ، بينها وبينه ١٥ كيلاً ، وتمتد على طول الطريق إلى وادي وادي الناصفة بطول ٢٢ كيلاً ، وتبعد عن وادي الْـمَشْقَرِ ستة أكيال ، وسميت بذالك لأنها تعقر الجبال أي تمنعها وتبدأ بعدها أرض سهلية منبسطة سوى بعض الجبال المنفردة مثل تين . وفي «معجم البلدان» ـ رسم الأغر ـ:

سَقْيـاً لِـمرتبـعٍ تَـوَارَثَـهُ الْبِـلَى بَيْنَ الْأَغَرِّ وبَيْنَ سُوْدِ الْعَاقِرِ[١٠]

وقال أبو علي الهجري في أبحاثه ـ ٣٨٢ ـ: ومن الدارات دارة العقر ، وهي أقرن بين رَنِيَّة وتُرَبَة ، ولقد صدق الهجري في كلامه ونفى ذالك ابن جنيدل في كتابه «معجم عالية نجد» وقال: بأنها لا تقع بين رنية وتُربة ، ولكنها شمالاً منها في بلاد بني أبي بكر بن كلاب ، وهي تابعة لإمارة عفيف جنوباً على بعد ١٤٠ كيلاً .

والصحيح أنها بين تربة ورنية شمالاً عنها قليلاً في بلاد سبيع في منطقة إمارة الخرمة ، انظر «العرب» ٢١/ ٥٥٣ ـ.

وقال الشاعر بخيت بن ماعز الْعَطَاوِيُّ :

في لبة العاقِرْ جَرَا لي تَفَـاكِيْرْ مـابـين تِـيْنْ وحَـرَّة الجـوهـريـهْ

والأودية في جهة العاقر الجنوبية يكون اتجاهها إلى الشرق بميل نحو الجنوب ، ثم تتسع الأرض والأودية في تربة جيدة ذات نبات .

ويشاهد إلى اليمين آبار الناصفة في واد فيه طلح وسلم ، وفيه شجر الحرمل ، بينما تقل الجبال إلى اليسار ، ويمتد النظر إلى جهة تين ، فهو إلى الشمال تماماً ، وتبعد رنية من هنا ٧٧ كيلاً ، ثم نصل إلى وادي الناصفة والذي يبعد عن الْـمَشْقَرِ ٢٨ كيلاً ، تسيل روافده من حرة الجوهرية ورايان وماجاورهما .

الجوهرية: والجوهرية منهل معروف منذ القدم ، يقع في وسط حرة الجوهرية ، بالقرب منه عدة جبال منفردة يقال لواحدها الأصفر نسبة إلى لونه .

وخَفَقُ الجوهرية المجاور للآبار عبارة عن مَلْزَم ٍ ماءٍ ، يمتد بمسافة كيلين إلى أرض طينية مستوية ، مخلوطة بحجارة سوداء ، وقاع صلب يمكث فيه الماء أشهراً .

قال عبدالله بن خميس حينما ذكر الحرة[١١]: الحرة هي حرة بني هلال قديماً، وحرة الجوهرية . . وحرة البقوم . انتهى ، والجوهرية تبعد عن جبال العاقر ١٣ كيلاً بينهما شعاب القويعيات وجبل الحمة[١٢] وخَبْرَاءُ أُمِّ سُلَيْم ٍ ، التي تبعد عن العاقر سبعة أكيال بين جبال صفراء تجاورها الأودية والشعاب التي تنحدر إلى الناصفة وشعابها ، تربتها رملية حمراء ، بجوارها جبال وحزون ومرتفعات تنبت أرضها الأشجار المختلفة والمتنوعة ، وتكثر فيها الطيور ، كالحجل والشُّوَّل ِ والحمام ، وآبار الجوهرية لقبيلة الصُّمَلَةِ من بني عُمر من سُبَيع .

واسم الجوهرية يطلق على بِئْرَيْنِ طول كل منهما عشرة أمتار ، ماؤهما مُرٌّ ، مرصوصتان بالحجارة ، تتسع الكبيرة منهما لستة أشخاص في أسفلها ، وقد أكثر سكان تلك الجهة من حفر حوالي ١٥٠ بئراً بجوار الخفق ، وخاصة جهته الجنوبية والغربية وكل هذه الآبار مطوية ووضع بجوارها خزانات مياه ، وعلى حافتها آلات لسحب المياه تردها الإبل والحيوانات الأخرى ، وتردها الأعراب من كل مكان . ومن الأودية القريبة منها: الرميثة من الجنوب الغربي ، والرميلة من الجنوب الشرقي ، والسِّـرُّ[١٣] من الجهة الجنوبية ، ويحيط بالجوهرية جبال منها

جبل نُعْمِـي في جهة الشرق ، ويبعد عن الآبار خمسة أكيال ، بجواره رياض وأودية ودارات تحيط بها الأودية ، ويقترن جبل نعمي دائماً بجبل سَفِيرَة المعروف ، حيث يقول أحد الشعراء متهكماً :

لولا الحيا جَوَّزْتْ نعْمِـي سَفِيرةْ وأرسلت للمصلوخ يرعى غنمها[١٤]

وقال آخر :

اشرب من اصْفَا وَعوِّدْ به على نُعْمِي ارْعِ الْكَدَاد وتَوَطَّ الضِّلْعِ والْـحَرَّةْ

ويقع جبل سَفيرة إلى الجنوب الشرقي من الجوهرية ، كما يقع جبل رايان إلى الجنوب ، ويبعد عن الآبار ١٥ كيلاً يسيل منه وادي السِّـرِّ إلى خفق الجوهرية . وبالقرب من الجوهرية خفق أم العجلة وخبراء الرويبي ، وتبعد بئر وَبْدَا إلى الجنوب الغربي مسافة كيلين تقريباً تحيط بها القيعان والبرق والنفود والجبال الصفراء وعنها جنوباً قاع محطوبا .

قال الشاعر :

فـوق بـير الجــوهــريــهْ دَلَــهْ لاعتــه من سمــوم أريــاحهــا
عِـزِّتـي لــه مِـتْعِـبِـيْـنِـه هَـلَهْ يجــذبَ الـدُّلْـو مِنْ مَيَّـاحهـا

وحرة الجوهرية جزء من حَرَّةِ بني هلال ، فهي تشكل الجهة الشمالية منها ، تجاورها حرة الناصفة (نواصيف). قال الشاعر بَخيت بن ماعز الْعَطَاوي :

كسبت ذَوْدٍ فيـه رَمْسَ المغاتِـيرْ مابينْ تِـيْنْ وحَرَّة الجـوهريـهْ[١٥]
وَلْحَقُوا هَلَ الْبِل فوق قُبَّ مشاهِيرْ في راي ابن جَرْشَان زبن الْوَنِيَّه[١٦]

وقال الشاعر حسين بن رزاح :

مع صلاة الصبح مع صُلْب اعْتَلَيْنَا مَـا عَقَبْنـا شَـرْبَـةٍ بـالجـوهـريـهْ
بَشْرِ الْغَـالِـيْنْ جِيْنَـا بـالخـلايـا كـلِّ قَـرْمٍ مخلفِيْنْه عن نِـوِيِّـهْ

ويقول مدغم بن هاضل السبيعي في قصيدة أرسلها لعليان بن جروة وهو على الجوهرية :

ياراكبٍ من فوق مَا يِعْجِبَ الْعَيْنْ	مـافوقـه إلا قِرْبِتِـهْ مَعْ زهَـابِـه
يسرح من الصَّمَّان ويمسي الْغُوَيْشِيْنْ	والقَابْلَهْ مَسْمَى ذُرَيِّعْ هَبَـابِهْ[١٧]
وصُبْح أَرْبعٍ عَرِّضْ قُعُودِكْ عَلَى تِينْ	وتمسي لنـا عِـدٍّ عَـذِيٍّ شَرَابِـهْ
عِدٍّ عليه العَرَبْ دَايِـمْ مَعَاطِينْ[١٨]	الْـجَوْهرِيهْ مِثْلِ وَبْـلَ السحابَـهْ

وبالقرب من الجوهرية عدة آبار مثل وَبْدَا وغُلْوَة ، وقيعان مثل قاع محطوباً وبعض الجبال المنفردة والهرمية . . . والخباري وملازم المياه وغيرها .

غلــوة : وغُلْوَةٌ بئر مطوية بالأحجار ، ماؤها حلو ، وطولها عشرة أمتار تقريباً ، تقع في أعلى وادي الرُّميلة الذي يأتي من الجنوب ، وتكثر فيه نباتات الحرمل والأشجار المتنوعة ، وتبعد عن الجوهرية أحد عشر كيلاً ، تربتها حجرية صعبة المسلك ، بجوارها آبار شَقْلَب ، وحولها جبال صفراء ودارات من الأرض السهلة ، وأودية تسيل إلى الرميلة .

ويرفد الوادي من أعلاه رِيْعَانِ (ريع غلوة وريع مقعد) تحيط بالوادي من الشرق آكام جبلية ، وجبال مثل نعمي الذي يبعد عن الوادي أربعة أكيال إلى الشرق ، وغلوة من آبار قبيلة الصُّمْلَةِ من بني عُمَر من سُبيع .

محطوبـــا : وقاع محطوبا : قاع مستدير الشكل ، مرتفع وسطحه مستو ، فيه عدة جبال لها أسماء مختلفة يطلق عليها الأهالي الأصفر ، وفي جهته الغربية آكام من الجبال السوداء ذات الحجارة النخرة .

ومحطوبا بين آبار غلوة وجبل رايان[١٩] والطريق بين غلوة ومحطوبا صعب المسلك يعبر (شَقْب غُلْوة) الضيق بينهما دارات سهلية ، وزوايا لأرض سهلة محاطة بالجبال فيها أودية تغذي وادي الرُّميلة ونبت محطوبا أخضر يقع شرقاً من رايان ، والجبال هنا هلالية الشكل وهرمية ، وتفيض أوديتها في شَقْب غُلْوة المتعرج ، ويكثر فيه أشجار التُّنْضُب ، وخصوصاً جهته الجنوبية وكذالك الخضب والسرح والطلح وغيرها .

ونعمي يقع شرقاً من القاع ، وسفيرة إلى الجنوب الشرقي .

قال الشاعر مُجَرِّي الركيبي وهو يرثي زوجته عندما عاد وبلغوه بوفاتها في هذا القاع :

يَابَكْرَتِـي تَزْهَى حَسِينَ الدباديب ما دَفَّعوها في المبايع والاسْوَاقْ
تِلْحِـي ليا جا في الخباري تشاريب ولهـا على قـاع مُحْطُوْبَا تِفِهَّـاقْ
ياليتها يوم انْثَرَوْا فوقها الطِّيْب واسودّ وجهٍ عقب ماهو بـبَرَّاقْ
إنّي لها حاضِرْ واجِيْبَ الطَّوالِيْب واجْلِبْ لها من لَيِّنَ الْـخَدْ بِرْقَاقْ
أَعْوِلْ عَلَيْهَا مِثْلِ مايِعْوِلَ الذِّيْبْ مَرْمِـي، وَمَصْيُوبٍ عَلَى ثُوْ·ةَ السَّاقْ

رايـــان : أما جبل رايان فهو قريب من القاع إلى الغرب منه قال الشاعر :

دَمْعِـيَ اللِّيْ سَيَّلَ الضِّلْعِ رَايَانْ وانْبَتَ الْعِشْبِ بِالْقِيْعَانِ يَرْعُونـهْ

وهو جبل له رأس مائل كالراية ، مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب ، حوله جبال وحرة سوداء ، في أعلى بعض الجبال أبراج تحيط بها مبان وأسوار من الأحجار السوداء ، أما المباني فهي دائرية ومربعة الشكل ، ينسبها السكان إلى بني هلال ، والبعض الآخر أقامه سكان المنطقة أوقات غارات اللصوص في عهد ماقبل تأسيس المملكة .

وتكثر الذئاب الآن في رايان وماحوله من جبال، واتخذت من كهوفه ملاجيْ لها في النهار، تهاجم الناس ليلاً، وقد عمل لها سكان محطوبا ونعمي والذيبة والجوهرية أخيلة لطردها.

الناصفـــة : والناصفة حرة سوداء وواد كبير ، له روافد كثيرة من جهة الحرة ، ثم تجتمع في واد يسيل إلى الشمال مروراً بجسر الناصفة ، ثم يتجه إلى يَعَايِم في جهة الشرق، وتجتمع إليه أودية الـجِزْعَة وحراضة والشعران والبترة عن مورد الشعران، انظر «**العرب**»: ٢١/٥٥٣، قال ابن خميس في «معجم جبال الجزيرة»[٢٠]: حرة النواصف تقع في القسم الشمالي من حرة بني هلال القديمة، وتشرف على بلدة تربة من الشرق، وتتصل بها من الجنوب حرة البقوم.

وقد وقع ابن خميس في خطإٍ واضح حيث أن حرة الناصفة تشرف على بلدة

الخرمة من الشرق وليس تربة. وقال أحد شعراء الـخُرْمة :

سال مَشْقَر شعيب الناصفة مع حَثَاقْ   وزادهم وادي الْـمَدْسَمْ مع اللِّي وراه

عن حثاق والمدسم انظر «العرب» ٢٥/ ٢٣٠ ـ.

وتكون الأرض إلى اليمين جبيلات صغيرة ، وحرة سوداء ، وحزون وحرج وأودية وفي خلفها جبال عالية مثل نعمي . . . وسفيرة[٢١] (انظر «العرب» ٧/ ٧١٣) .

وعلى اليسار يشاهد جبل تين يبعد ٢٠ كيلاً تقريباً مواز لوادي الناصفة . وأبرق الهيج في وسط الحرة[٢٢]. قال الشاعر فهد بن ناجم بن عنيزان السبيعي حينما قامت وزارة المواصلات بتنفيذ طريق الخرمة إلى رنية ونصبت مُخَيَّماً في وادي الناصفة وكان يعمل هناك :

أَنَا يَمِّ (كَنْبَ) الناصفهْ واشتغل بالقار   بعيد عن الديرهْ وعن شوف خِلاَّنِـي

وقال أحد شعراء بني ثور من سُبيع :

عسى داركم ياذْعارْ بالْغيث والأمطار   على الناصفة وأرض المراخه وذيغان[٢٣]

وتذكر كتب الجغرافيا والخرائط الصادرة من وزارتي التخطيط . . . والبلديات بأن حرة نواصيف تقع بين الخرمة ورنية قرب وادي الشعران والْـمَشْقَر ، وهي تنصف الطريق بين الخرمة ورنية إلى ٧٠ كيلاً بالقرب من مشاش النويصفة وجبال العاقر وعنيزة وحِرَّة (بتشديد الراء وفتحها) وعن حمرة والمشقر (انظر «العرب» ٢٥/ ٢٣٢) .

وقال شبيب المطيري :

يَازِيْن تَمْشِّي بِالْفِيَاضْ ٱلأَطَانِيْفْ   وَقْتَ الرَّبِيعْ اللِّي تَعَاقَبْ بَنَدْهَا
مِنْ دُون مَكَّهْ لَيْنْ حَرَّةْ نَوَاصِيفْ   أَرْضٍ بْهَا الزُّمْلُوقْ يَسْمِكْ عَمَدْهَا
يَفْرِحْ بِهَا رَاعِ البِكَارَ الـمَشَاعِيْفْ   قِـدَّام لا يكْـثَرْ بِهَـا مَنْ وَرَدْهَـا

وذكر فؤاد حمزة بأن حرة سُبيع على يمين المسافر من الخرمة إلى رنية ، وبهذا

تكون حرة نواصيف وحرة الجوهرية جزءاً من حرة بني هلال قديماً والتي تعرف باسم حرة نجد ، ويسكنها الآن سبيع والبقوم من كَرَا حتى كراع الجزعة . وانظر «صفة جزيرة العرب» - ٢٦٢ -.

الخرمة: عبدالله بن سعد الـخُضْبي السبيعي

الحواشـي :

(١) بَرُودُ: - بفتح الباء وضم الراء مشددة بعدها واو فدال مهملة - مشاش يقع في خبة واقعة في وسط نفود عِرْق سُبَيْع شمالاً من جبل مُحَيْطٍ في بلاد سُبَيْع التابعة لإمارة الخرمة («عالية نجد» ٢٢٦) وقد ذكره سعد بن عبدالله بن جنيدل في معجمه بالتثنية برودان والأصح بُرُود . وهو الآن بئر ماء للقريشات من سبيع طوله ١٠-١٥ متراً ماؤه مرٌّ ، تشربه الأنعام يقع جنوباً غرباً من الكدرة ، والكدرة رملة في أسفلها ملزم ماء وبجواره عُبَيْلة تسمى باسمه ، ويقع جبل أراض إلى الجنوب الشرقي منه بمسافة سبعة أكيال وهو يبعد عن جبل مُحَيط ١٥ كيلاً ، حول برود رملات لها مسميات مختلفة مثل قوز الصَّانِعْ ومُفَرَّقْ وأقرب الموارد إليه الدويحي وكتيفان وهو يبعد عن جبل حَسَنٍ ٤٥ كيلاً تقريباً قال الشاعر :

يـاتُـوقْ لَـوْمـك عَـلَى حَمْـدَان صَـيِّـفْ ورَبِّـعْ عَـلَى بَـرُودْ

اراض: كان يسمى قديماً أورال (انظر «العرب» ٢٣/٨١٩) وذكر أصحاب المعاجم أن أورال ثلاثة أجْبل سود في جوف الرمل حذاؤهن ماءة قال عُبَيد بن الأبرص :

وَكَـأَنَّ أَقْتَـادي تَـضَـمَّـنَ نِـسْعُـهـا مِـنْ وَحْشِ أَوْرَالٍ هَـبِـيطٌ مُـفْـرَدُ
بَـاتَـتْ عَـلَيْـه لَـيْـلَةٌ رَجَـبِـيَّـةٌ نَـضْـبـاً تَـسُـحُّ الـمَاءَ أَوْهِـيَ أَبْـرَدُ

وأراض جبال سود بينها عروق رمل ، عنها شمالاً مَمْلَحُ مشهور ووراءه الكَدْرَة ونَخلُ النِّيص ، ويقع أراض بين آبار بَرُوْد وجبل مُحَيْطْ يبعد عن كل منها ثمانية أكيال بالقرب منه قوز الصانع وبينه وبين مُحَيط جبل أسود متصل بجبال أخرى تسمى أم الصقور ، وهو يبعد عن حَسَن ٤٥ كيلاً في الشمال الشرقي في خُبَّةِ الشُريفيَّة .

(٢) الخـر . . . وهو خر الخشبي يسيل من وادي سُبَيْع إلى الأخضر (الخضر) شرقاً منه صُلَيْع البَهَمِ وظَلْما وبالقرب منه جبال ذُرَيْرَات والاضفارة وتقع القنصلية عنه إلى الجنوب الشرقي .

(٣) الشُوَاوي منهل ماء معروف عذب ، ترده الأعراب قديماً في وسط وادي سُبَيْع بالقرب منه آبار الحنفاء وحنيفان والحجيف (انظر «العرب» ٢٥/٢٣٦) وكلها من موارد قبيلة بني ثور .

(٤) خَشْيَان هو خَشْيَان بن شارع بن هُلَيْمة من كبار قبيلة بني ثور ومن أهل الرأي والكرم والشجاعة كان مثالاً بأمانته وصدقه ، وحسن أخلاقه وكرمه ووفائه ، وكان فارساً من ذوي المكانة في قبيلته ، أخوه مُفَرِّح فارس مشهور ، شارك في معركة تربة عام ١٣٣٧هـ ، وفتوحات الحجاز مع مؤسس هذه الجزيرة ومن أبنائه الحميدي شيخ شمل قبيلة بني ثور الآن ، أما خَشْيَان فقد اتخذ من سرحته مكاناً ومقرًا لاستقبال الضيوف وإكرامهم .

(٥) أبحاث الهجري : ٣٤٧ . (٦) المصدر : ٣٦٢ .

(٧) الخل والقوس جبال تقع في حرة بني هلال مما يلي الخرمة سوف أتحف القراء بدراسة شاملة عن هذه الجبال وماحولها قريباً إنْ شاء الله .

(٨) اليعايم جمع يعومة (انظر «العرب» ٤٢٦/٢٠) قال أحد شعراء سبيع :

يــاطَـيْر يَـالـلِّي في يَـعُـومَـة تَـنْـقِّي دُوْنَكَ الْلَّحم أَزْهُـوهْ رَبْـعٍ مَـنَـاعِـيرْ

(٩) كُتَيْفان : بضم الكاف وفتح التاء المثناة وسكون الياء المثناة وآخره ألف بعدها نون : ماء مُرٌّ واقع في غربي نفود عرق سُبَيْع غرباً شمالياً من حَوْضى ، وهو لقبيلة القُريشات من سُبَيْع (انظر «عالية نجد» ص ١١١٢) وهو يبعد عن جبل حَسَن ١٨ كيلاً إلى الشمال الشرقي بالقرب من جبل مُخَيْط ومنهل الدويحي للقريشات كذالك بجوار خل الشريفية .

(١٠) الأغَـرُّ : شعاب تقع شمالاً غرباً من مدينة رنية تبعد عنها مسافة عشرة أكيال وقد سمي نادي رَنْيَة الرياضي باسم هذه الشِّعَاب ، قال أحد الشعراء يمتدح لاعبيه في قصيدة رياضية طويلة :

حَـقِّ الأَغَـر الـلِّي خَـذ الـمَـارِيَّـهْ غَنِّ عَـلَ عِـزِّ الـفَـخـر بـالْـحَـانِ

وعن الأغر والغران (انظر «العرب» ٥٧٣/٤ ، ٧١٣/٧) .

(١١) «معجم جبال الجزيرة» ـ ٩٢/١ ـ.

(١٢) الـحَمَّةُ : جبل أسود بالقرب من الناصفة على يمين المسافر إلى رنية بمسافة كيلين مقابل جبال العاقر جنوباً منها بجواره أودية وشعاب تصب في وادي الناصفة ، وحوله جبال منفردة صفراء بينه وبين الجوهرية عشرة أكيال . وقد ذكره فؤاد حمزة في كتابه «بلاد عسير» ص ٤٥ وقال : ضلع بقرب عُنيزة والناصفة يبعد عن الأخيرة ثمانية أكيال . والحَمَّةُ: هي الجبل الأسود مأخوذة من الحمم وهو السواد .

(١٣) السُّـرُّ : وادٍ يسيل من جبل رايان إلى الجوهرية ينبت أشْجَاراً مختلفة ونباتات يقال لبعضها (العنب) كما يسميه الأهالي .

(١٤) السَمَصْلُوخ : من جبال رَنية سوف يأتي الحديث عنه في بحثنا القادم إنْ شاء الله .

(١٥) في الحلقة القادمة سوف أتحف القراء بدراسة شاملة عن جبل تين وماحوله.

(١٦) ابن جرشان هو قاعد بن جرشان البقمي من أمراء البقوم ، رجل شجاع ، وصاحب رأي وحكمة ، وكان فارساً وقائداً مشهوراً ، له من الأخبار والقصص ما تتناقله الرواة من أبْناء قبيلته والقبائل المجاورة .

(١٧) ذُرَيْع : اسم لجبلين صغيرين يقال لهما في الجاهلية ذراعان، بعد القاعية وجبال النِّير بقربهما أكمة سوداء فاحمة شمالها يميل نحو الشرق تدعى حَمَّةُ ذُرَيْع ، وبالقرب من ذُرَيْع ماء يحاك حوله خرافة وهي أن بهذا الماء ثعابين ملازمة له ، وقد جرت قصص لبعض الأشخاص حول ذالك ، انظر «المجاز بين اليمامة والحجاز» ـ ص ١١٥ ـ.

(١٨) المعاطين : هي الإبل تشرب من الماء ، ثم تطعن حول مورد الماء ، يقال عطنت الإبل : شربت فرويت ثم بركت ، وعطن الجمال أراحها بعد الشرب لتعود فتشرب .

(١٩) مجلة «العرب» ـ ٢٣٥/٢٥ ـ. (٢٠) ٨٨/١ .

←

بـرك الغمـاد

[من مقال مطول للأخ إبراهيم بن علي بن مفرح ، صَدَّره ببحث عما ورد في كتب المتقدمين عن برك الغماد ، بما هو متيسر لكل باحث الاطلاع عليه ، قال من خلال النقول المتقدمة ومناقشتها] .

موقع برك الغماد : ترجَّحَ لدي بما لم يعد معه إشكالٌ بِأَنَّ بِرْكَ الغِماد المذكور في الأخبار والأشعار القديمة ، يقع في الإقليم الجنوبي الغربي من المملكة جنوب مكة المكرمة وراء القُنْفذة ، على نحو (١٢٥) كيلاً جنوبًا، ويعرف الآنَ باسم (البِرْك) بين بلدتَيْ حَلْيِ بْنِ يعقوب والْقَحْمَة ، على شاطيْ البحر الأحمر مباشرة ، يتربع على قُلَّةِ حَرَّةٍ سوداء صخرية ، يطل منها على مياه البحر ، وتصعد تلك الحرة شرقاً إلى أن تتصل بسفوح جبال الحجاز على شكل حاجز يفصل تهامة ، ويقدر عرض تلك الحرة بنحو تسعين كيلاً ، ذالك هو موقع برك الغماد .

وقد اختصر الاسم فاقتصر على (البرك) .

سكان البرك في العصر الحاضر : يرأس بلدة البرك في عهدنا أسرة عريقة الأصل ، كريمة الأخلاق تدعى (آل عبدة) من قبيلة بني هِلاَل ، قد توارثوا إمارة البرك أولهم الشيخ علي بن عبدة الهلالي ، وفي العهد الحاضر الشيخ إبراهيم بن عبدالرحيم آل عبدة ، وهو الثامن ممن تولى الإمارة .

وتكاد تنحصر إمارة البرك في قبيلة بني هلال ، التي تمتد مساكنها على شواطيْ

---

(٢١) سَفِيرة هضبة عالية هرمية الشكل في الجنوب الشرقي من جبل رايان بالقرب منها عدة أودية يسيل بعضها إلى الشمال الشرقي ، وإلى الشرق مثل الشعران وحراضة والجزعة والبتيرا وحولها آبار مثل إضْفًا وبقيع ، وكلها آبار لقبيلة سُبَيْع ، قال أحد شعراء الخرمة :

نَبْنِي مَنَازِلَنَا مَعْ أَيْسَرْ سَفِيرَهْ ... وبْيُوتْنَا مَا تَخْتَفِي فِي الشُّعِيْبِ
ولاَجَتْ خَرَايِبْ يِشْعَلُونَ السَّعِيْرَهْ ... نَلْطِمْ مْعَادِينَا وَعَيْنَ الْخَرِيبِ

(٢٢) قال الهجري - ص ٣٨٨ - هما هيجان جبلان بأسفل رنئة، وقال في - ص ٢٠٠ - جبلان بالحرة ، حرة بني هلال ، أسودان بسواء الحرة ، - انظر «العرب» - ٢٣/ ٦٩٥ -.

(٢٣) أرض المراخة وذيغان: أودية بعد وادي الناصفة بالقرب من يعومة ووادي الشعران قال فؤاد حمزة في «بلاد عسير» بعد أرض المراخة تبدأ أرض تعرف بأرض شعيب الجزعة بقرب رجمه من الصخور قائمة وسط السهل .

البحر الأحمر من حدود (شَفْقَة) شمال الْبِرْك ، إلى حدود القَحمة جنوب البرك ، وتنتشر مساكنها شرقاً إلى قرب بحر (أبو سْكَيْنَة) غرب مُحَايِل من بلاد عسير ، ومن تلك القبيلة أحياء ذوو زراعة وسَكَنٍ حول مدينة محايل التي لهم نشاط تجاري في سوقها ، وهم تابعون للبرك إداريًّا ، وإمارة البرك من إمارات مكة المكرمة .

ويحلُّ بلاد البرك وضواحيها خمس قبائل ترجع في أصولها إلى بني هلال ، ولكل قبيلة شيخها مع ارتباطها بإمارة البرك .

وتلك القبائل هي :

١ ـ آل علي ومنها أسرة أمراء البرك .

٢ ـ آل مقاري . ٣ ـ آل يحيى .

٤ ـ آل جابر . ٥ ـ بني صبيح .

وتتفرع تلك العشائر إلى بطون ، تنتشر مساكنهم على شواطيِّ البحر الأحمر ، امتدادًا من ساحل البرك ، وشرقًا إلى وادي مُقْلَم في مساقط جبال القَتَب غربي بحر (أبو سكينة) ثم في أودية تَظَبِّي ، وأَغْصَانٍ ، وعَدنان وأبو نَغَفَة ، وهي أقصى ديار الهلاليين من جهة الشرق ، ولعلي أتمكن من كتابة نبذة جغرافية عن تلك الديار .

والمعروف عن أصل قبيلة بني هلال انتسابها إلى قبيلة أبي زيد الهلالي ، وقد ظهر لي أن في هذا الانتساب خلافًا عند بعض المؤلفين ، مما يستلزم الرجوع إلى كتب الأنساب ، فهناك عدد من القبائل يطلق عليها اسم بني هلال ، ومن هاؤلاء :

١ ـ بنو هلال بن عامر من هوازن .

٢ ـ بنو هلال بن عامر بن ربيعة بن ثعلبة من ضبة .

٣ ـ بنو هلال بن عامر بن زيد مناة من ربيعة ؟

٤ ـ بنو هلال بن عمرو بن كعب بن الغطريف من الأزد .

٥ ـ بنو هلال بن عمرو بن جشم بن عوف بن النخع من النخع .

٦ ـ بنو هلال بن جشم بن القين من قضاعة .

ولعل أشهر هذه البطون بنو هلال بن عامر بن صعصعة من هوازن ، ومن هاؤلاء تكونت قبيلة بني هلال الشهيرة الغنية عن التعريف .

ولشهرة هذه القبيلة تجد الانتساب إليها كثيرًا .

ويستغرب بعض المثقفين وجود هلاليين في الجزيرة العربية، نظرًا لنزوحهم منها إلى المغرب .

وممن رأيته ذكر بني هلال من المؤلفين المتأخرين الشيخ القاضي حمد الحقيل في كتابه «كنز الأنساب» حيث قال : قبيلة بني هلال تمتد مساكنهم من حدود ربيعة التهم ، وأهل حلي ومحائل ، إلى قرب البرك على ساحل البحر ، وأهم أقسامها آل أم جمعة ، آل مسيحر ، آل خرفش ، أهل البرك .

وقد ذكرهم صاحب «معجم القبائل العربية القديمة والحديثة» بنحو ماذكر الحقيل ، ثم قال : وتنقسم إلى الأفخاذ الآتية : أهل البرك : آل أم جمعة ، آل مسجر ، الأخرش .

وأرى أن المؤلفين لم يأتيا بشيء زائد عما هو معروف ، كما أن بعض أسماء الأفخاذ المذكورة وقع فيها تصحيف أو خطأ ، وقد يكون صوابها :

١ ـ آل أم جمعة : صوابها : الـمَجْمَعَة .
٢ ـ آل مسيحر أو آل مسجر : صوابها آل مُشْهر .
٣ ـ آل خرفش أو الأخرش : صوابها آل ختارش .

ونسبة بعض الأفخاذ المذكورة إلى بني هلال فيه نظر ، إذ القبيلة المعروفة بهذا الاسم ليس فيها من الأفخاذ من يسمى بتلك الأسماء التي حاولنا تصحيحها ، وإذا كان الحق ماصوبناه فالروابط التي بينهم وبين قبيلة بني هلال ليست روابط نسب ولكنها :

١ ـ المجمعة : لاتمت إلى قبيلة بني هلال بنسب ، بل هي من قبيلة ربيعة من تهامة .

٢ ـ آل مسهر وآل ختارش : عشيرتان مستقلتان لا تجتمعان في بني هلال بنسب فيما أعلم ، وإنما تجتمعان بحلف أيام انتشار الحروب بين القبائل ، فيجتمعان في (بيرق الصيحة) كما يقولون .

وتصحيف الأسماء السابقة قد يكون سببه الأخذ برواية بعض التهاميين الذين توجد فيهم بقية من لغة الحميريين ، مثل إضافة (أم) في بداية كلامهم ، فمثلاً : إذا أراد أحدهم أن يقول (المجمعة) قال : (أمْ جمعة) وكما وقع لمؤلف كتاب «بين مكة واليمن» حيث قال ـ ص ٣٠٥ ـ: قبيلة (هلتين) قبيلة تجاور ولد أسلم من الشرق وتتحد معها في النسب وكانتا قبيلة واحدة تسمى أسلم وهلتين . الخ .

وأرى أن الصواب : (أهل لَتِيْنْ) بالإضافة إلى وادٍ يسمى (بوادي لَتِيْنْ) قطنت فيه بطون من المسالمة ولد أسلم فنسبوا إليه فقيل (أهل لتين) واحدهم لتيني ، كانوا مشهورين بالطرب والسامري ، ولازالت تسجيلاتهم متداولة في أسواق تهامة .

وجاء في كتاب «بين مكة واليمن» عن بني هلال : قبيلة متوسطة الحجم تضرب قوساً حول البرك ، وتشمل مساكنهم معظم حرة كنانة .

وقال : لم أر من ذكر هذه القبيلة من المتقدمين ذالك أنها فيما يبدو كانت فرعاً من كنانة فلما تضعضع أمر كنانة استقلت بنفسها في هذه الحرة .

وأشار إلى ماجاء في كتاب «صفة جزيرة العرب» ـ ص ٢٥٩ ـ نشر دار اليمامة ـ عن حرة بني كنانة بأنها من بلد بني حرام من كنانة ولم يذكر بني هلال ، فلعلها كانت فرعاً صغيراً بحيث نجزم أنها من كنانة مع احتمال أنها من بني حرام ـ.

ولكن الجزم بنسبة القوم إلى كنانة ـ بمجرد ماذكر من الأدلة ـ لا أراه واردًا إذ يعوزه دليل التسلسل .

أما كون الهمداني لم يذكر بني هلال في الأماكن التي ذكرها في مساكنهم اليوم مما يدل على أنهم ليسوا سكانها الأصليين ، فقد يكونون نزحوا إليها ، وهذا مما لم أتوصل إلى دليل يؤيده حتى الآن .

الجبيل: إبراهيم بن علي بن مفرح الهلالي

الشعر والشعراء
في «النوادر والتعليقات» للهجري
ـ ٥ ـ

٣٥ ــ جابر بن عباس الأعقلي

وأنشدني[١] لجابر بن عباس الأعقلي من جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ ، في امرأته وله ابنٌ منها يدعى عياضاً :

١ ـ وَإِنَّ بِفَيْفِ (الـوهق؟) أُمَّا حَفِيَّةً   مِنَ الْبِيْضِ كَـانَتْ يَـاعِيَاضُ تَـزِيْنُ
٢ ـ مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبِيْضِ أُمَّا حَلِيْلُهَا   فَـرَاضٍ وَأُمَّـا غَـيْـبُـهَـا فَـأَمِـيْنُ
٣ ـ أَلَا لَيْتَنِـي قَبْـلَ اقْتِسَامِيَ مَـالَهَا   إِلَى الـربـع ... ...
٤ ـ كَـأَنِّي وَقَدْ أَلْقَيْتُهَا فَـوْقَ نَعْشِهَا   رُمِـيْـتُ ... ...[٢]

٣٦ ــ جابر الغاضري

وَأَنْشَدَنِي قَالَ[٣]: أَنْشَدَنِي جابرٌ الغاضِرِيُّ، غاضِرَةُ قَيْسٍ :

١ ـ رَمَتْنِي كَعَـاباً نَـاشِياً ثُمَّ عَقَّبَتْ   بِـرَمْيٍ عَـلَى حِـيْنَ انْتَهَتْ وَأَسَنَّتِ
٢ ـ فَلَمْ أَرَ فِي الرَّامِيْنَ يَرْمِي كَرَمْيِهَا   وَلَمْ يَـرْمِ قَبْلِي مِثْلَهَـا حِـيْنَ ثُنَّتِ
٣ ـ تَـرِيْشُ بِوَرْدِ الـزَّعْفَرَانِ سِهَـامَهَـا   وَبِـالْإِثْمِـدِ الْغِـرْبِيْبِ وَالْـمِسْكِ سَنَّتِ

وله أيضاً :

١ ـ فَـإِنِّي وَإِنْ لَمْ تَجْـزِنِي أُمُّ طَيِّبٍ   لَمُسْتَخْـبِرٌ عَنْهَـا بِنُصْـحٍ وَسَـائِـلُ

(١) (٤٧٩هـ) ـ الأعقلي : جاء في كتاب «أنساب البلبيسي» : الأعقليُّ في جشم بن معاوية بن بكر: الأَعْقَلُ بن بكر بن عَلَقَةَ بنِ جُذَاعَةَ بن غَزِيَّةَ بن جشم، ذكر أبو علي الهجريُّ صَمُوْتَ الأعقليَّةَ، وذكر لها شعرًا، وذكر جابرَ بن عباس، ولم يزد، وهذا فيما يظهر مما نقل عن كتاب الرشاطي.

(٢) إلى هنا تنتهي الصفحة والتي بعدها لا تتصل بها من حيث المعنى.

(٣) ١٨٧هـ وأقرب مذكور هو أبو سليمان الهذلي. قال البلبيسي في «الأنساب»: الغاضريُّ ـ بضاد معجمة قال ابن دريد، غاضرة من الغَضَارة وهي نَضْرة الشباب، ونضارة العيش: نعمته ولينه. ذكر الرُّشاطي هنا غاضرة في خزاعة وذكر فيها عمران بن حصين. . . وقال وفي أسد خزيمة غاضِرة، وذكر فيها زِرّ بن حُبَيْش. . . ثم نقل عن ابن حبيب: في قيس عيلان غاضرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن. وفي كتاب أبي عبيد: هو غالب بن صعصعة، وأمه غاضرة بها يعرف.

وقال ابن حبيب: وفي هوازن غاضرة وهو سحمة بن مرةبن صعصعة فيهم من أصحاب النبي ﷺ، عبدالله بن معاوية، شامي له صحبة من غاضرة قيس. انتهى ملخصًا، وغاضرة الأخير لم يرد في كتاب ـ ابن حبيب المطبوع «مختلف القبائل ومؤتلفها».

٢ - وَأَعْلَمُ عِلْماً لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّمَا تَجَاوُرُ أَهْلِيْنَا لَيَالٍ قَلَائِلُ
٣ - دَنَتْ دَنْوَةً حَتَّى إِذَا مَاتَلَبَّسَتْ بِقَلْبِكَ مِنْهَا الْمُسْتَهَامِ الْحَبَائِلُ
٤ - نَأَتْ فَكَأَنْ لَمْ تَلْقَ لَيْلَى فَحَبَّذَا أُولَاكَ اللَّيَالِي اللَّيِّنَاتُ الظَّلَائِلُ

أيضاً :

١ - أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا حُبَّ أُمِّ أَبَانِ وَقَدْ لَامَنِي فِيْهَا أَخِي وَلَحَانِي
٢ - وَقَدْ لَامَنِي فِيْهَا ابْنُ عَمِّي وَلَوْمُهُ عَلَيَّ وَشَيْنُ الْوَجْهِ مُوْتَسِيَانِ

أيضاً :

١ - وَأَنَّ ابْنَ سِتٍّ وَابْنَ عِشْرِيْنَ حِجَّةً مِنَ الْقَوْمِ فِينَانَاً تَعَلَّلَ جَاذِبُهْ
٢ - رَأَتْ غُصْنَهُ رَطْباً وَغُصْنِيِ تَعَلَّلَتْ بِهِ الْحُدْبُ(١) حَتَّى شَالَ واغْبَرَّ جَانِبُهْ

٣٧ ــ جبر بن عقبة الأزرقي السلمي

وأنشدني الأزرقي(٢):

١ - فَلا خَطَتِ الرِّجْلَانِ مِنْكَ يَسُوْقُهَا وَلَا رَفَعَتْ مِنْكَ الْيَدَانِ عَصَاكَ
٢ - فقد جِيْتَ مَعْرُوشَ الْعِرَاضَيْنِ مُصْفِياً حِجَاجَيْكَ تَسْرِعِيْا أَغَمُّ قَفَاكَ
٣ - جَلِيْلُ الْعَصَا دِلْهُوثَةٌ كُنْتَ تَعْتَنِي بِفَتْلِ اللِّحَاءِ أَوْ بِحَوْكِ رِشَاكَ(٣)

ليس له من الحسب إلا الرَّعْي .

وقال(٤): أنشدني الأزرقيُّ لنفسه :

(١) في الهامش: (الحدب الإبل).
(٢) (٣١٩هـ) الأزرقي جبر بن عقبة بن مرداس بن مطهر بن طلق بن عمرو بن مالك - وهو الأزرق بن عوف بن عصية بن خفاف سليم (٣٤٨هـ).
وأورد اسمه مرة أخرى : عقبة بن جبر أحد بني خثيم (٣٠٩هـ) مع أنه قال (٣٤٨هـ): الأزرق هو : مالك بن عوف ، وقال هناك : وخثيم بن عوف أخو مالك بن عوف .
والهجريُّ يروي كثيراً عن الأزرقيِّ لغة وشعراً ، ومن الشعر ماهو منسوبٌ إلى قائله ، ومنه غير منسوب يكتفي بقول : (وأنشدني الأزرقي) وقد يكون من شعر الأزرقي نفسه كما صرح في بعض المواضع (٣٣٢هـ) وقد يكون مما رواه لغيره ، ولم ينصَّ على ذالك ، وقد رأيت إيراد كل ذالك الشعر منسوباً إليه ، إذ هو رَاوِيْهِ إن لم يكن قائله.
(٣) كلمة (بحوك) ليست واضحة وقد تكون (بجول). (٤) (٣٣٢هـ).

١ ـ وَهُمْ هَجِرٌ يُمَارُ وَهُمْ بُحُورٌ فَهُمْ كَالْغَيْثِ يُنْجَعُ فِي الْجِدَابِ
٢ ـ إذَا مَا الْجِرْبِيَاءُ غَدَتْ وَرَاحَتْ وَشَارَكَهَا الشَّمَالُ مَعَ الإِيَابِ[1]
٣ ـ وَرَاحَ الشَّوْلُ يُزْعِجُهَا شِهَابٌ مِنَ الْعَوَّاءِ أَنْجَمَ لِلْغِيَابِ
٤ ـ وَصُرَّادٌ يَبُلُّ لَهَا ذُرَاهَا بِلاَ مَطَرٍ وَلَيْسَ مِنَ الضَّبَابِ
٥ ـ وَرَاحَتْ كُلُّهَا خُلُجاً وَعَادَتْ مَرَايَاهَا تَجَرَّمُ بِالْعِصَابِ

جَمْعُ خَلُوج : مات ولدها بعدما شرب اللبن . والسَّلُوبُ : تطرحه قبل تمام خَلقه . والْمَرِيُّ : التي تَدُرُّ على غير ولدٍ ، يَمْسَحُ صاحِبُهَا ضَرْعَها فتدِرُّ . والعَصُوبُ: التي لا تَدُرُّ حتى يُعْصَبَ أنْفُهَا فَتَدُرُّ إِذَا وَجَدَتِ الوجعَ .

٦ ـ تَلاَ أَوْلاَدُهُنَّ فَمَا تُبَالِي عَلَى أُمٍّ لَهُنَّ وَلاَ علـى اب[5]
٧ ـ فَلَوْ قَالَ الْمُشَايِعُ: جِيْهِ يَامِ لَهُنَّ لَمَا الْتَقَيْنَ إِلَى الهِيَابِ
٨ ـ فَلَيْسَ صِقَابُهُنَّ بِوَاهِيَاتٍ لَهُنَّ وَلاَ يَلِهْنَ عَلَى الصِّقَابِ
٩ ـ وَتُلْفِي فَحْلَهُنَّ وَهُنَّ حُولٌ قَلِيْلَ الْهَدْرِ مُنْقَطِعَ الضِّرَابِ
١٠ ـ تَمَاسَكَ نُوقُهَا وَجِمَالُ مِنْهَا وَطَاحَتْ كُلُّ حَاشِيَةٍ وَنَابِ
١١ ـ وَحَارَدَ دَرُّهَا وامْلَحَ مِنْهَا وَصَارَ الطُّرْقُ مِنْهَا فِي الصِّعَابِ

الحِرَادُ : ذهابُ الدَّرِّ في وقته ، وأَكْثَرُ مايكون في الشِّدَّةِ . وحارد القوم : ذهب حَسْبُهُمْ ، لأنَّ الإبلَ إذا هُزِلَتْ عَادَ لبنُها مثلَ طعم الملح .

١٢ ـ فَهُمْ نُحَارُهَا وَمُجَزِّرُوهَا إِذَا مَا الْبُرُّ قَطَّ مِنَ الجِلاَبِ

قَطُّ السِّعْرُ غَلاَه وَقَطْعُهُ ، وقال :

ولا يُقَطُّ نَدَاه قَطُّ أَسْعَار .

والجلاَبُ والواحدةُ جَلَبَةٌ ـ محركَةُ الكُلِّ ـ التي تَسير في البحر للصغير من السفن ، ومن كل شجرة عظيمة . وقال الكَنَهْبُلُ ـ مفتوحة النون مضمومة الباء ،

(١) فوق هذا السطر ـ ولعل المراد (الجربياء) في الهامش: (قال: هي أحد النكب، وأنشد : نكباء بين صبا وبين شمال) .
(٢) في الهامش فوق (على آب) كلمة (صل).

والكَنَهْبَلُ بفتح النون والباء جميعاً .

١ - وَكَمْ مِنْ عَاذِلٍ لِيْ فِيْ هَوَاهُمْ وَوَاشٍ فِيْ مَحَبَّتِهِمْ وَشَانِي[١]
٢ - مَرِيْضٍ لَا يَصِحُّ ولا أُبَالِيْ كَأَنَّ بِشِقِّهِ وَجَعَ الْجُنَابِ
٣ - إِذَا مَاقُلْتُ صَحَّ وَهَلْ تَرَاهُ إِذَا بِهِ تَعُدُهُ مَرَضُ الْقُلَابِ[٢]

وأنشدني : جَبْرُ بن عقبة الأَزْرقي[٣]:

١ - أَلَا لَيْتَ شِعْرِيْ كَيْفَ وَجْدُ حَبَايِبِي عَلَيَّ إِذَا النَّاعِي لَهُنَّ نَعَانِيَا
٢ - أَيُصْبِرْنَ أَمْ يُبْدِيْنَ وَجْداً وَعَوْلَةً عَلَيَّ وَيَشْقُقْنَ الْحَبِيْرَ الْيَمَانِيَا

وأَنْشَدَنِي :

١ - أَقُولُ لِعَمْرٍو وَالْمَطِيُّ خَوَاضِعٌ بِـ(نَخْلَة) يَخْلِطْنَ الْوَجِيْفَ بِلِيْنْ
٢ - أَيَا عَمْرُو مَا أَغْنَاكَ فِيْ رَوْنَقِ الضُّحَى عَلَى أَثَرِ الْأَظْعَانِ مِثْلُ حَزِيْنْ
٣ - أَجَلْ لَا وَلَا أَبْكَاكَ مِثْلُ صُبَابَةٍ أَجَلْ، لَا وَلَا أَنْسَاكَ مِثْلُ يَقِيْنْ

٣٨ ـ جَبْهَاء بن جُمَيْمَةَ الْأَشْجعي

أَنشدني الأشجعيّ لِجَبْهَاءَ بن جُمَيْمَةَ الْأَشْجَعِي[٤]:

١ - جُشِّمْنَ دَابِرَةَ الظَّهِيْرَةِ بَعْدَمَا هَجَّرْنَ[٥] والْحَدَقُ الْكَثِيْرُ خُشُوعُ
٢ - فِي ظِلِّ مُنْسَدِلِ الرِّوَاقِ كَأَنَّهُ نَسْرٌ يُرَنِّقُ قَدْ دَنَا لِوُقُوعِ

---

(١) لم أدرك مناسبة ذكر هذا البيت .

(٢) ثم أورد كلاماً طويلاً عن مرض الْجُناب ومرض القُلاَب وأمراض الإبل الأخرى .

(٣) (٤٤٣م) .

(٤) (٢٧٣هـ)، وجبهاء ويقال: جبيهاء لقب لهذا الشاعر ، واسمه يزيد بن عبيد ، ويقال : يزيد بن حميمة بن عبيد بن عقيلة بن قيس بن روبية بن سحيم بن عبيد بن هلال بن زبيد بن بكر بن أشجع ، هكذا نسبه صاحب «الأغاني» ـ ١٨ / ٣٩ ط الثقافة ـ وعند الآمدي في «المؤتلف والمختلف» ـ ١٠٤ ـ: جبهاء بن حيمة بن يزيد أحد بني عقيل بن هلال بن خلاوة بن سبيع بن بكر .
ويلاحظ الاختلاف في اسم (جميمة) و(حميمة) و(خثيمة) عند الأستاذ الزركلي في «الأعلام» وكذا اسم (غفيلة) عند الهجري و(عقيلة) عند صاحب «الأغاني» الذي وصف الشاعر بأنه بدوي نشأ وتوفي في أيام بني أمية ، وقد ذكر أنه لاقى الفرزدق . ومن ظريف شعره قصيدة في وصف عنز مَنَحَهَا تَيْمِيًّا أوردها المُفَضَّلُ الضَّبِّيُّ في «المفضليات» والآمِدِيُّ ، وقصيدة وردت في «المناسك» المنسوب إلى الحربي .

(٥) في الهامش: (قال والرواية: عَرَّسْنَ)، ومعناه رحلن باكراً ولَـمْ يُنِيْخُوا بالقائلة ـ والبيتان مع آخرَيْن في

وقال[1]: جَبْهاء بنُ جُمَيْمَة بن يزيد ، أحد بني غُفَيْلَةَ بن هِلَال بن خَلَاوة بن سُبَيْع بن بَكْر بن أشجع ، شاعِرٌ مُجِيْدٌ وَأَوْرَدَ الْبَيْتَيْنِ (٢٧٩م): لِجُبَيْهَاءَ بن جميمة الأشجعي ، قال أبو علي: يقال إنَّ الفرزدق كان يعجب بهذه الأبيات :

١ ـ غَرَسْنَ دائِرةَ الظَّهِيْرَةِ بَعْدَمَا   وَغَرْنَ وَالْحَدَقُ الْكَثِيْرُ خُشُوْعُ
٢ ـ في ظِلِّ مُطْرِدِ الرِّوَاقِ كَأَنَّهُ   نَسْرٌ يُرَنِّقُ قَدْ دَنَا لِوُقُوعِ

جُبير بن سُليم العائذيُّ

وأَنْشَدَنِي الـمُغَاوِرُ لِجُبَيْر بن سُلَيْم العائذيُّ من رَبِيْعَةَ بِنْتِ عُقَيْلٍ ، وهو صاحب طلة أم المعلَّل[2]:

١ ـ أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ كُلَّمَا هَبَّتِ الصَّبَا   وَأَشْرَفَ نَشْزاً هَمَّ أَنْ يَتَصَدَّعَا
٢ ـ إِذَا رَاءَ يَأْساً أَوْ تَرَاخَتْ بِهِ النَّوَى   بَكَى لَيْعَةً مِنْ رَوْعَةٍ ثُمَّ رَجَّعَا
٣ ـ وَلِلْقَلْبِ رَوْعَاتٌ بِأُمِّ مُعَلَّلٍ   يَرُعْنَ فُؤَادًا بِالشَّقَاءِ مُرَوَّعَا
٤ ـ يُهَيِّجُ عَلَيْهِ لَيْعَةَ الشَّوْقِ وَالْهَوَى   تَفَرُّقُ الْأُلَافِ الْحَبِيْبِ فَوَدَّعَا
٥ ـ وَمَا ذَنْبُهُ إِذْ رَا تَفَرُّقَ نِيَّةٍ   وَوَاجَهَ يَأْساً أَنْ يَلِيْعَ وَيَجْزَعَا

كتاب «نقد الشعر» ـ ٩ ـ برواية أخرى.

(١) (٤٤٤هـ) وأقرب مذكور هو (الأشجعي).

(٢) (٣٩٣هـ): مغاور ممن روى عنهم الهجري بِقِلَّةٍ فقد ورد ذكره مع أبي نافذ ـ ٢٣٥هـ ـ في رواية قصيدة لزهير بن أحمد الحمالي العقيلي، فلعله عقيلي.
وتكررت نسبة العائذي في كتاب الهجري إلى عُقَيْل، فهو هنا قال : من رَبِيعة بنت عقيل ـ والصفة في (بنت) ترجع للقبيلة، وذكر هذه النسبة ص (٢١٣/ ٢٢٠/ ٢٢٥/ ٢٢٨/ ٣٥٦/ ٣٩١/ ٣٩٣) من النسخة الهندية، وفي موضع آخر: العائذي أحد بني مطرف من ربيعة عقيل. ص (٣٦٢هـ) وفي موضع ثالث: العائذي إلى خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل. ص (٧٩/ ٩٨) من النسخة المصرية.
ومن تلك النصوص يتضح أن قبيلة عائذ التي كانت انتشرت في نجد قبل عهد ياقوت صاحب «معجم البلدان» ـ انظر رسم (الوشم) من كتابه هذا ـ ترجع في نسبها إلى عقيل وقد انتسبت أخيراً إلى قحطان ككثير من القبائل المنتشرة في نجد .
ولا أعرف عن هذا الشاعر شيئاً .
ويأتي عابث من هاؤلاء (الدكاترة) فيورد في كتاب له عن شعراء بني عُقَيْلٍ ـ ١/ ٢٤٨ ـ أنَّ جبير بن سليم هذا : من شعراء آخر الدولة الأموية . . . وقد توفي جبير في آخر العصر الأموي ، وربما كانت وفاته في حدود ثلاثين ومئة. ـ كذا قال !! ـ أمَّا المصدر فيحيل إلى كتاب «النوادر والتعليقات» حيث موقع هذه القصيدة الذي لم يرد فيه سواها ، ولم يكتف بما حرف من بعض كلماتها، بل لجأ إلى الإيهام

٦ - يَهِيجُ عَلَيْهِ لَيْعَةً بَعْدَ لَيْعَةٍ خَيَالٌ طَوَى رَكْباً بِزِيْزَاءَ هُجَّعَا
٧ - وَقَالَ وَلَمْ يَرْدُدْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فَحُيِّيتُ تَسْلِيمَ الْهَشَاشَةِ أَجْمَعَا
٨ - فَلَمَّا تَجَلَّى الْوَهْمُ وانْكَشَفَ الْكَرَى إِذَا الشَّخْصُ عَنَّا بِانْصِرَافٍ قَدَ ازْمَعَا
٩ - فَلَمْ أَرَ يَاأُمَّ الْمُعَلَّلِ فَرْحَةً كَهَذِي وَلَا رَدًّا لَهَا كَانَ أَسْرَعَا
١٠ - وَلَا مِثْلَ لَيْعَاتٍ عَلَيْكِ وَجَدْتُهَا أَشَدَّ الْتِيَاساً بِالْفُؤَادِ وَأَوْجَعَا
١١ - وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ لِيْ وَلَا مِثْلَ لَيْلَةٍ بِشَطِّ الْغَضَا لَمْ يُبْقِيَا لِي مَدْمَعَا

ابن جَحْفَلٍ اللُّبَيْنِي

وقال ابن جحفل اللُّبَيْنِي ، وكان عَارِمًا ، وهو أَحَدُ بَنِي بَيْهَسٍ[١]:

أَلَا لَيْتَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ سُورَةً عَلَى النَّاسِ أَلَّا يَمْنَعُوا عَزَباً فَضْلا
وَأَلَّا يَغِيبَ الدَّهْرَ بَعْلُ مَلِيْحَةٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا اسْتَبْدَلَتْ بَعْدَهُ بَعْلَا

جحيفة الضِّبَابِيَّة

أَنْشَدَنِي النُّمَيْرِيُّ لِجُحَيْفَةَ في ابنتِها ، وَزَوْجتهَا في بني نُمَيْرٍ فَلَمَّا اسْتَهْدَاهَا زوجُها شاقها ذَهَابُه ، فقالت[٢]:

(١) (٩٤م) ولم أرَ لابن جحفل اللُّبَيْنِي هذا ذكراً ، ولكنَّ ابنَ الثُّغّاء اللُّبَيْنِيّ هجا ابنَ عم له يدعى جحفلاً فقال - (٩١م) -:

وَضَعْتُ مَدِيْحِي فِي قَفَا الْعَيْرِ جَحْفَلٍ وَكُلُّ مَدِيْحٍ فِي قَفَا الْعَيْرِ ضَائِعُ

مع أنه مَدَحَهُ بِأَبْيَاتٍ جاء فيها - (٩١م) -:

أَرَى جَحْفَلا يُعْطِيْ الْجَزِيْلَ ابْنَ عَمِّهِ وأَحْمَدُ يُعْطِي نَعْجَةً حِينَ حلَّتِ

ولا أستبعد أن يكون ابنُ جحفلٍ الشاعر له صلة بجحفل هذا ، وهو من بني بَيْهَسٍ إحدى فصائل الأعور بن قشير بن كعب وأمه لُبَيْنَى بنتُ الوحيد بن كلاب .
والعارم : الشديد الشَّرِسُ الخبيث الشرِّيْرُ من الرجال .
ولا أعرف شيئاً عن هذا الشاعر ، أما قول صاحب «شعراء بني قشير» - ٣٢٦/١ - عنه : شاعر إسلامي مُقِلٌ وقد عاش حياته فقيراً . فلا أعرف من أين استقى هذا الكلام ، إذْ ليس في المصدر الذي أحال إليه .

(٢) (٢٠٩هـ): وجحيفة الضبابية (من الضِّباب بن كلاب بن ربيعة بن عامر) يظهر أنها عاشت في عهد يقرب من عهد الهجري، فقد أورد في كتابه أخباراً تتعلق بأسرتها ، فذكر أنَّ لها ابْنَيْنِ هما رُويمي والشُّهّاق واسمه نهار بن سنان (١٠٧م و ٢٠٥هـ) وأن نهاراً هذا شاعر ومن شعره قصيدة يمدح القاسم بن محمد بن ←

١ - صَحَا الْقَلْبُ إِلَّا عَنْ ظَعَائِنَ فَاتَنِي ... بِهِنَّ نُمَيْرِيٌّ لِـ(تَيْمَنَ) قَارِبُ[1]
٢ - عَلَيْهِنَّ مِنْ حَوْكِ الْعِرَاقِ مَزِيَّةٌ ... وَفِيهِنَّ غِزْلَانُ الصَّرِيمِ الرَّبَائِبُ
٣ - إِذَا قُلْتُ قَدْ أَرْتَعْنَ أَنْزَلْنَ حَادِياً ... قَضَى وَطَراً مِنْ خَلْفِهِ فَهْوَ هَارِبُ
٤ - فَعَهْدِيْ بِهِمْ وَالْآلُ يَزْهَى حُمُولَهُمْ ... وَقَدْ كَلَّ طَرْفُ الْعَيْنِ عَمَّا أُرَاقِبُ
٥ - وَقَدْ جَعَلُوا (دَمْخاً) شِمَالاً وَجَاوَزُوا ... (بَتِيلًا) وَحَادِيْهِمْ عَلَى (النِّيْرِ) وَاظِبُ[2]
٦ - تَكَشُّفَ أَحْشَاءُ الْفُؤَادِ لِبَيْنِهِمْ ... تَكَشُّفَ وَحْشِيٌّ بِهِ الْحَبْلُ نَاشِبُ

معناه: اضطرب، والتكشُّفُ في البرق وغيره الاضطراب.

٧ - إِذَا مَا ضَمِيرُ القَلْبِ مَنَّاكِ قُرْبَهَا ... فَقُولِي لَهُ يَاقَلْبُ إِنَّكَ كَاذِبُ
٨ - وَكَيْفَ التَّلَاقِي لا ضمِيرٌ يَضُمُّنَا ... وَلَا مَحْضَرٌ فِيْ الصَّيْفِ مِنْهَا يُقَارِبُ

جُحَيْفَة الضرابية في فزارة[3]:

١ - تَمَنَّيْتُمُ أَنْ تَرْجِعَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا ... فَدُوْنَكُمُوْهَا لَاقِحاً قَدْ أَقَرَّتِ
٢ - تَمَنَّيْتُمْ شَهْبَاءَ تَقْدَعُ بِالْقَنَا ... إِذَا مَاعَلَتْ رُؤسَ الْحُزُوْمِ اقْشَعَرَّتِ
٣ - نُسَائِلُ عَنْ حَيَّيْ عَدِيٍّ كِلَيْهِمَا ... وَعَنْ مَازِنٍ أَيُّ الْبِلَادِ اسْتَقَرَّتِ
٤ - فَأَمَّا بَنُو شَمْخٍ فَمَعْرُوفَةٌ لَهَا ... مَنَازِلُ مِنْ نَجْدٍ إِذَا الْحَرْبُ هَرَّتِ

عبدالرحمن بن القاسم بن (الحسن) بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ويطلب منه إخراجه من السجن، وذكر بنيَّاتِه وأمَّهُ الوحيدة ووصف أبواب المخيس دونه مظاهرةَ الأركان قُفْلاً على قفل.
والقاسم هذا مات جده القاسم (بن الحسن) بن زيد في حبس المنصور كما ذكر ابن عِنَبَة في «عمدة الطالب» والمنصور تولى الخلافة فيما بين ١٣٦/١٥٨هـ والفترة الزمنية للرجال الثلاثة تقارب قرناً من الزمن.
ولجحيفة هذه أختٌ اسمها شُرَيقَة، شاعرة أورد لها الهجري شعراً (١٧م و ٢٠٥هـ).
ومما ذكر الهجري المهاجاة بين جحيفة وبين ابن الدُّهَيِّ الفزاري وأن زوجها قرة (أو عقبة) بن عياض اللُّبِيدي (أحد بني مالك بن أهيب بن عبدالله بن قنفذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بُهْثَة بن سُلَيم) - عن أنساب البلبيسي رسم اللُّبِيدي - وأنه وقع بينهما خلاف وكان شيخاً ففركته (٢٨٧م) وهجته في رجز سيأتي في بابه، قالته وهي تُنَقِّزُ ابنَها منه واسمه مكرم، وأنه توعدها إن قالت شعراً أن يقتلها، فقالت الأبيات التي أوردها (٢٨٩م) ومما أورد من شعرها يتضح أنَّها ذاتُ نَفْسٍ متمكِّنٍ في الشعر.

(١) في الهامش: (تيمن بلد من شِقِّ الكلاب) انتهى. وتعرف الآن باسم (تَيَّما) شرق جبل ثَهْلَان بقربه.
(٢) في الهامش: (جبلان).
(٣) (٢٧٦هـ): كذا، وتقدم الضبابية ولاشك في أن (الضرابية) خطأ.

ثم ذكر جوابَ ابنِ الدُّهَـيِّ المازنيِّ :

أَتَـانِـي ... مِنْ جُحَيْفَـةَ رَاعَـنِـي ... ... غـرت

ولها وقد أَوْعَدَهَا عُقْبَةُ بن عياض إنْ قالَتْ بَيْتاً أَنْ يَقْتُلَها[1]:

١ - دَعُـوْنِـيْ وأَبْيَـاتـاً أُقُلْهُنَّ وَيُحكُمْ ... وَإِنْ أَجْمَعَتْ حَـرْبـاً سُلَيْمٌ وَعَـامِـرُ
٢ - نَعَمْ أَنَا عَنْ (هضْبِ الْقَلِيْبِ) و(جُزْجُزٍ) ... وَعَنْ (طِخْفَـةَ) الشَّـمَّاءِ لأَبُـدُّ نَـافِـرُ
٣ - كَمَا نَفَرَتْ صَهْبَا عَنِ الْبَوِّ قَادَهَا ... إِلَى غَـيْرِ شِبْهِ بِـالْخِنَـاكَـةِ عـاسِرُ

يَعْسِرُهَا ويعصبها .

وأَنْشدني لِجُحَيْفَةَ الضِّبَابِيَّةِ[2]:

١ - أَلَا يَـاخَلِيْـلَيَّ اللَّذَيْنِ هُـمَـا هُـمَـا ... وَلِيَّـيَّ إن لَيَّـامُ أَحْـدَثْنَ بِـيْ غَـدْرَا

ولي في موضع نصب ، وقال : إذا جاءت الإضافةُ إنْ شئت كَسَرْتَ وإن شئت فَتَحْتَ هذا في الباب :

٢ - فَمُرًّا عَلَى جِـزْعٍ (الْجُنَيْنَةِ) حَيِّـيَا ... مَنَازِلَ أَضْحَتْ بَعْدَ مَنْ حَلَّهَا قَفْرَا
٣ - مَنَازِلَ مِنْ بَيْضَاءَ لَيْسَتْ بِسَمْجَةٍ ... وَلَا سَلْفَـعٍ سَوْدَاءَ مُشْعَـرَةٍ كُفْـرَا
٤ - وَلَكِنَّهَـا غَرْثَى الْحَشَـا عَبْلَةُ الشَّوا ... تُرَى الْحَاسِدَاتُ الْبِيْضُ مِنْ قُرْبِهَا زُعْرَا
٥ - سَقَى دَارَهَا وَاهِـي الْكُلَى عَمِدُ الثَّرَى ... يُـطَيِّرُ عَنْ أَعْلَامِهَـا الْقُتَمَ الْغُـبْرَا
٦ - مِنَ الدَّلْوِ أَوْ نَوْءِ الثُّرَيَّـا تَهَمَّرَتْ ... بِـهِ ضُـبَّرٌ مِـلْ غَـوْرٍ مَبْلُوْلَـةٌ حَـذْرَا
٧ - تَرَى الْعَيْنُ فِي آثَارِهِ بَعْدَ خَمْسَـةٍ ... زَرَابِـيَّ حَـوَّاكٍ وأَرْدِيَـةً صُـفْـرَا

جريـــــــر

وأَنْشَدَ أَبُو الْـمَيْمُونِ بَيْتَ جَرِيْرٍ[3]:

---

(١) ٢٨٩م . (٢) ٤٠١هـ وأقرب مذكور (الْـمُرِّي) .

(٣) (١٠٨م): أبو الميمون: يحيى بن عبادة بن جحاف القشيري أوصل نسبه. إلى قشير (٥٨م) وروى عنه شعراً ولغة . ولم يتضح لي مناسبة إيراد هذا البيت ، إذ لا ارتباط له بما قبله ولا بما بعده - إلَّا إذا كان المراد رواية (يعتري) بدل (إذ دَعَوْ) وورد في الأَصْل: (بيتَ جُرَيٍّ) والبيت من قصيدة لجرير ، نقيضة لقصيدة للفرزدق ، ومَطْلَعُ قصيدة جرير :

بلــدة صفينــة

تقع بلدة صُفَيْنَة في عالية نجد، غربيها حَرَّةُ سُلَيْمٍ، أول السراة والحجاز، وموقعها عن المدينة المنورة في الجنوب الشرقي قَصْدًا على مسافة (١٨٥) كيلاً، وفي الشمال الشرقي من مكة المكرمة على بعد (٢٢٥) كيلاً، وتقع عن مهد الذهب جنوباً بنحو (٤٥) كيلاً.

ومن أشهر أوديتها من الشمال الغربي وادي بَيْضَان، وفيه موقع يعرف باسم الصَّحْنِ، وورد في «السيرة النبوية» أن أهله ممن شارك في غزو هوازن يوم حنين، وجاء في «معجم البلدان»:

جَلَبْنَا مِنْ جَنُوبِ الصَّحْنِ جُرْداً عِتَـاقـاً سِـرُّهَـا نَسْـلاً لِنَسْـلِ

كَـأَنَّـكَ لَـمْ تَشْهَـدْ لَقِيْطًا وَحَـاجِبـاً وَعَمْرَو بْنَ عَمْرٍو يَعْتَزِيْ يَالَ دَارِمِ

شاو متقرف من كل مكان ومتطرف، واحد القرائف والطرائف.

أَلاَ حَيِّ رَبْـعَ الْمَنْـزِلِ الْمُتَقَـادِمِ وَمَـاحُـلَّ مُـذْ حَلَّتْ بِـهِ أُمُّ سَـالِمِ

وهي قصيدة الفرزدق في «النقائض» ونَصُّ بَيْتِ جرير:

كَـأَنَّـكَ لَمْ تَشْهَـدْ لَقِيْـطًا وَحَـاجِبـاً وَعَمْـرَو بْنَ عَمْرٍو إِذْ دَعَـوْا يَا لَـدَارِمِ

قال الهمداني في «شرح الدامغة»: (حدثني أبو علي الهجري مؤدب أولاد طاهر بن يحيى الحسيني بمكة، أن بعض بني تميم بالبحرين خبره عن أشياخه، قال: قيل لجرير - في عمرو بن لَـجَـإ - لِـمَ لَـمْ تَهْجُهُ؟ فقال جرير: لم أجِدْ شرفاً فأضعه، ولا حسباً فأطبعه، وعنه قال: لما أفحم الطرماح الفرزدق بشعره مشت رجال من بني تميم إلى جرير فقالوا له: إن الطرماح قد أسقط بني تميم، فأنشأ يقول لهم وللفرزدق:

جـديـلةُ والحيُّ الـذيـن هـجـوتهـم كـرام، ومـامـن عـابهـم بـكـريـم
أتجعـل يـا ابن القـين أوسـا وحـاتِـا كـذي مِرْجَـلٍ - عند استه - وقَدُوْمِ

هذا من أعجب العجب، ولا يخلو أن يكون خاف لسان الطرماح، أو عرف فضل طيء على تميم. انتهى كلام الهمداني.

وقد ورد ذكر جرير في كلام الهجري حين سأله قاسم بن ثابت السرقسطي صاحب كتاب «الدلائل» عن معنى بيت قاله جرير، وليس النص الآن بيدي وقد استدركه فيما بعد. وقد يكون الكلام في «شرح الأمثال» للبكري.

فَــوَافَيْنَــا بِهَــا يَــوْمِـيْ حُنَـيْنٍ   رَسُـولَ اللهِ جِـدًّا غَـيْرَ هَــزْلِ

ويبعد الصَّحْنُ هذا عن صُفينة نحو (١٥) كيلاً، وفي أعلاه في الشمال الغربي منه ماء الهباءة الذي له ذكر في أيام العرب بين عَبْسٍ وذُبْيان، وشمال صفينة على نحو ثمانية عشر كيلاً جبل شُوَيْحِط بالقرب من السُّوَارِقِيَّةِ، على نحو عشرة أكيال منها، وفيه يوم من أيام العرب .

وتسمى الهباءة الآن (هباء) وفيها هِجْرَةٌ لِلْطُّرَسَةِ قوم سُويعد بن غالب، من بني عزيز ، وقد وُزِّعَتْ أرضُ باحةِ وادِي بيضان الواقعة جنوب الهباءة على قبائل بني عبدالله من مطير . وآبار صفينة العادية على السواني بعمق يتراوح بين (٨ ـ ١٤ متراً). وتلك الآبار قديمة ومطوية بالأحجار المنسقة .

وأغلب مزروعات بلدة صفينة النخيل، وأطيب ثمارها المسماة بـ (الْبَيْضَاء) ويظهر أن بلدة صفينة مشهورة بالنخيل كما يبدو من قول القتال الكلابي الشاعر الذي عاش في عهد بني أمية :

كَــأَنَّ رِدَاءَيْـهِ إِذَا قَــامَ عُلِّقَــا   عَلَى جِذْعِ نَخْلٍ مِنْ صُفَيْنَةَ أَمْلَدَا

ومعلوم أن النخلة من آثار التحضر والاستقرار خاصة إذا كانت تسقى بماء مستخرج من الآبار . وتزرع الحبوب وأنواع الخضراوات والذرة والأعلاف .

وأحياء المدينة القديمة تسمى القُصَير ، والقلعة، والنزلة، والجديدة، والشام، ومشرفة، والرفيعة، والـمُنَقَّى . وفي بلدة صُفَينة مدارس للبنين وللبنات، ومركز للإمارة، ومركز صحي، ومكتب بريد .

وكانت صفينة من العهد الجاهلي إلى فترة قريبة غنية بالمياه حتى كانت شركة المهد (نقابة التعدين) حفرت شمالها آباراً ارتوازية لتغذية المعمل والسكان في المهد بالماء المدفوع عبر الأنابيب، ولما كثر العمل لحفر الآبار الارتوازية للزراعة فيها، وفي ضواحيها نَضَبَ ماء أغلب الآبار القديمة، وتسبب هذا الجفاف في موت أغلب المزروعات والنخيل .

وقد يستدرك هذا الأمر لو أقيم سَدٌّ في واديها الشمالي وادِي بيضان .

ومعروف أن بلدة صفينة كانت مقر آل الشَّرِيْدِ السُّلَمِيِّيْنَ ، ومنهم معاوية وصخر ابنا عمرو بن الحارث اللذان قتلا قبل البعثة النبوية، وأختهم الخنساء تماضر بنت عمرو التي أدركت الإسلام، وهاجرت وكذا زوجها عباس بن مرداس، وهو من شعراء الرسول ﷺ ـ هاجر ـ للمدينة المنورة، ولهذه الصحابية منزلة عند الرسول ﷺ وكان يقول لها: « أنشدينا ياخناس» وللخنساء مواقف جهادية معلومة منها مرافقة القائد الفاتح المظفر سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ وجنده، وأبناؤها لفتح العراق سنة ١٦ هجرية، بمعركة القادسية واستشهادهم بهذه المعركة وقولتها المشهورة عند ابلاغها استشهادهم واحداً بعد الآخر : ـ (أرجو من الله الذي رزقني باستشهادهم في سبيله أنِ يرزقني بشفاعتهم عنده يوم القيامة).

تقول الخنساء عندما نعَى لها ابن نهيك وفاة أخيها صخر من أثر ارتجاع إصابته بسهم من أحد بني أسد في عام سابق لوفاته ـ عندما غزاهم للأخذ بثأر أخيه معاوية لأن بني أسد حلفاء غرمائه غطفان ـ قالت:

طَرَقَ النَّعِيُّ عَلَى صُفَيْنَةَ غُدْوَةً فَنَعَى الْمُعَمَّمَ مِنْ بَنِي عَمْرِو
حَامِي الْحَقِيْقَةِ وَالْمُجِيْرُ إِذَا مَاخِيْفَ حَدُّ نَوَائِبِ الدَّهْرِ

أما سكان صفينة وحاضرتها في عهدنا الآن فهم : ١ ــ قبيلة الْوَسَامَا ، وهم من واصِلٍ من فروع بُرَيْةٍ ـ الجذم الثاني من قبيلة مُطَيْرٍ المعروفة، وصفينة هي مركز استقرار الوساما من القرن العاشر الهجري ، أو قبل ذالك كما يبدو من وثائق العقارات والمنازل القديمة للممتلكات من نخيل ومزارع ومواريث، وأحلاف تضامنية بينهم وبين سكانها من قبائل أخرى، ولا زالوا بها، ومشيختهم مستقرة بها، إلاّ أنه نزح منهم فروع لِلْعُمَقِ، شَرْقاً، بل ونفذت فروع للمنطقة الشرقية كحفر الباطن والقيصومة وإلى الكويت في الخليج العربي، ومن عوامل النزوح الانتشار والتوسع بالقبيلة عدداً وعدة، للاكتساب في حواضر نجد بالزراعة والمواشي بربوع نجد وفيافيها ورياضها، وممارسة التجارة في بلدة كالكويت كما سيأتي، وهذه حالة شملت حاضرة نجد ذاتها في القصيم والزلفي وسُدَيْرٍ ، كما

لا يخفى ومن أسباب النزوح الخصومة لحد الاقتتال بين أبناء العمومة منهم، كالشباعِيْن والْغُبُون، قبل القرن الماضي أي قبل استتباب الأمن في هذه البلاد .

وقبيلة الوساما ـ نسبة للجد الأقصى الذي استقر في صُفَينة، وبسط حِمًى من المضب ٤٠ كيلاً إلى حصاة ابن وَسْمِيَّة ـ المنسوبة إليه ـ غرباً عن صُفينة ٤٠ كيلاً لتوفير المراعي لسوانيهم وممتلكاتهم من الماشية من غنم وبقر وإبل وخيل . وأي اعتداء بين المكانين على عابري السبيل يلتزم أهل صفينة مع شيخهم سند بالدفاع عنه، حفظاً للذمار على جاري عادة العرب قديماً وحديثاً ، مع أن الإسلام أعطى حماية أقوى لعابري السبيل ودماء المسلمين وأموالهم عموماً بسلطان الامام والدولة الشرعية كما نتمتع الآن بظل حكومتنا السنية أيدها الله ، ولكن الإشارة لعمل هاؤلاء عن مدى التزام العرب بالذود عن الجار وحماية الذمار ودفع العار من العادات القديمة عند أهل المروءات ومكارم الأخلاق .

ومن سند هذا تفرعت فخوذ الوساما كما سيأتي، ولهم نخوة عند الاعتزاء واللقاء هي (أولاد صندل) ويشاركهم بهذه النخوة عموم سكان صفينة حتى من كان من غير القبيلة ذاتها بل ومن غير قبيلة مطير عموماً .

وكانت رئاسة وإمارة بلدة صفينة للوساما منذ ذالك التاريخ من سند الأول بن وسمية وحتى الآن في الغبون ـ منهم : سلطان الأول بن غبن بن سند بن سعدي ابن سند الأول ثم ذريته إلى أن انقرضت السلسلة وآخرهم حظيظ بن عبدالله بن سعد بن مطلق بن سلطان الثاني (ويقال لهم الشيوخ) وبعد وفاة حظيظ في عشر الأربعينات. ١٣٣٤-١٣٣٩هـ، من القرن الماضي وفد على الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ عويض بن علي الزِّبْر ، وجماعته الوساما والعوارض ملفي بن عبد ربه ورفاعي الْبِنِّـي ، وحمود التُّوَيْم ، وغيرهم طالبين الأمان لجماعتهم وبلدتهم ، والمشاركة بالانضمام لراية التوحيد ، فأجاب طلبهم وأعطاهم الراية (البيرق) وأرفق معهم أفراداً من جماعة محسن بن جبرين من الْعُوَنَة من مطير ، وعين عويض بن علي الزير في الإمارة على جماعته، ومن عام ١٣٣٩هـ ـ ١٣٤٠هـ ، انتقلت الرئاسة من الغبون للزيرة الوساما ، كما سلف ، ولما قُتِلَ عويض تولى

عبدالله بن زايد الزير إمارة جماعته، وواصلوا المغازي حتى استتب الأمن والأمان تحت قيادة المؤسس الملك عبدالعزيز، ثم رأى الجماعة اختيار ابن أخيه سعود بن سعد بن زيد الزير أميراً عليهم، لأن عمه عبدالله أبدى شدة وغلظة في خصومة مع أحد فخوذهم، بعد مقتل أميرهم السابق عويض بن علي الزير بسبب إحراقه (غترة) أحدهم لتكرر تغيبه عن صلاة الفجر، وهو يافع شاب، حديث السن، فالتف على رأسه شَيْلَةً (بخنقا) وجلس وسط الجماعة نكاية لِلتحريض، وقيل لأسباب أخرى، وتم صلح الفئتين وتسامحهم بعد تبادل القتل ومقابلة القتلى بعضهم ببعض، ومن هنا اختاروا سعود بن سعد بن زايد الزير أميراً لهم، وبعد وفاته عين ابنه مساعد ثم توفي وعين مسعد بن سعد الزير وبعد وفاته عين محمد ابن سعود الزير لمشيخة بلدة صفينة، لوجود مركز إمارة بموظف حكومي، وبعد وفاته عام ١٤٠٥هـ عين بدلاً عنه أخوه حمود حيث لايزال.

١ ـ الغبون: واحدهم غبني ذرية سلطان بن غبن بن سند بن سعْدَي بن سند بن وَشْمِيَّة وهم:

* الشيوخ: ذرية سلطان الثاني انقرضوا آخرهم حظيظ بن عبدالله توفي بين سنتي ١٣٣٤-١٣٣٩هـ.

* ذوو نايف بن مطلق بن سلطان الأول موجودون بها ومنهم الشيخ عوض الغبني أمير السوارقية حالياً.

* آل مهيلب: واسمه مثب بن مطلق بن سلطان الأول وغلب على ذريته لقبه ويسمون المهالبة، نزحوا من صفينة، وفيهم إمارة الوساما بنجد، والشرقية والكويت، ومقر مشيختهم الآن أبو قعر ـ بحفر الباطن ـ ومنهم سلطان بن مطلق ابن مهيلب، مندوب مفاوض عن فيصل الدويش بعثه للملك عبدالعزيز، واستبقاه الملك عنده ـ انظر كتاب «شبه الجزيرة» للزركلي ـ ص ٤٩٩ ـ.

* المراعبة: منهم ذوو عبد ربِّه، ومنهم مُلْفي سالف الإشارة بطلب الأمان والمشاركة لتوحيد تراب الوطن، مع وفد جماعة أهل صفينة على الملك عبدالعزيز، ومنهم البتال، انتقلوا من صفينة في القرن الماضي واستقروا في الشعراء، وأخيراً في الدوادمي حيث لازالوا بها الآن.

٢ ـ ومن الوساما الزُّبَيْرةُ : واحدهم الزُّبْيَر ـ ذرية محمد الزير ـ مديهين تنسب إليه مرابط الخيل ، خارج السور القديم للبلدة (ويسمى حصن مديهين) وهو أحجار كبيرة مرصوص بعضها إلى بعض، وبين كل حجرين فجوة لربط الفرس ، وأعلى هذه الأحجار مستوي وصالح للجلوس الجماعي أشبه بالدكة في أسواق نجد ومجالسها، ويمكن الجلوس عليها بفراش أو بدونه ، وشاهدت في صِغَرِي كبار السن والرواة والشعراء الشعبيين وغيرهم يتجمعون بالجلوس عليها وحواليها، يتبادلون الأشعار والأحاديث والسمر في الليالي المقمرة، وهاؤلاء الزيرة ذرية محمد الزير مديهين هم :

* آل زايد : ومنهم عبدالله بن زايد الذي تولى الرئاسة في المغازي بعد مقتل أميرهم عويض بن علي الزير ، إلى أن اختار الجماعة سعود بن سعد بن زايد الزير أميراً عليهم ، وآل زايد هم ذرية عايد بن عمرة ـ أمه ـ وكانت العرب في جاهلية وإسلام تنسب إلى الأم مثل قس بن ساعدة قديماً ، وفي العصر الحالي ابن خُثَيْلَة وابن الجبعاء وابن شَوْية وابن فَضْلِيَّة .

فزايد بن عايد هذا بن عبدالله ـ بِمَـدِّ اللام ـ بن محمد الزير مديهين صاحب الحصن المذكور ، ومنهم خؤولتي .

* القِهَادِيَّة : ذرية عياد بن عبدالله بن محمد الزير مديهين ، واحدهم قُهَيْدِي ، كان جدهم عياد يصطاد طيور القَهَد ، طيور وافدة من البر الفارسي وإفريقيا أثناء مواسم الأمطار وكثرة الغدران ، ولقب بالقُهَيْدِي وغلب لقبه على ذريته ، ويوجدون في الحفر والقيصومة والكويت .

* الصعانين : واحدهم صعينيني يلتحقون بجدهم عبدالله بن محمد الزير مديهين .

* ذوو دخيل الله بن محمد الزير مديهين : منهم ذوو جُمَيِّع بضم الجيم .

٣ ـ ومن الوساما ـ الشباعين ـ: واحدهم شبيعاني ـ وهم :

* آل نامي الشبيعان : في صفينة والقصيم والحفر والكويت .

* آل عريعر الشبيعان في صفينة وبعضهم الآن في المهد وجدة .

٤ ــ ومن الوساما ـ الحواضرة: وهم الجذم الأقرب للشباعين، وهاؤلاء انتقلوا بالكامل من صفينة إلى نجد والمنطقة الشرقية بالحفر والقيصومة والكويت ، منهم الشيخ ناصر بن محمد السائر أحد تجار الكويت وأعيانها ومؤسسة السائر هي الوكيل المعتمد لوكالة سيارات (تويوتا) في الكويت والخليج العربي .

٥ ــ ومن الوساما الزريعات: واحدهم زريعي ـ وهم :

* المداهشة في صفينة ومنهم نشا بن جنيفان الزريعي وأولاده، كانوا في القوعي بالرس بالقصيم ثم انتقلوا للرياض والشرقية .

* الصنادحة ـ ذرية صنيدح في صفينة وقليل منهم بالكويت .

وأسْلَفْنَا أن الاعتزاء للوساما عند النخوة هي (أولاد صندل) والنسابون يربطون بينهم وبين أبناء عمومتهم قديماً (الصنادلة من سبيع أهل رنية) لرابط العزوة والانتخاء ، ورابط آخر علامة الوسم على الابل وهي المطرقان من الجهة اليمنى، واحد على خد الناقة والآخر في الرقبة في النصف الأقرب للرأس إلا أن الفئات المنحدرة منهم لنجد كابن مهيلب وجماعته جعلوا الكي بالوسم للمطرقين على الفخذ والرقبة، للنهي عن الكي بالوجه بالنار الوارد في الأثر الشريف .

ومعلوم للجميع أن أغلب القبائل قبل الإسلام وبعده تَعُدُّ الأحلاف من أسباب المنعة والقوة .

* العوارض: واحدهم عارضي حلفاء الوساما منهم ذوو عبدالله الشقران، مستقرون بقاران في السوارقية وفخوذ العوارض هي :

(١) الدماسين انتقلوا من صفينة لنجد مع ابن مهيلب وجماعته الوساما، ومن العوارض صنيدان العارضي من أصحاب الشجاعة وأحد الرماة المشهود لهم ـ انظر ص ٢٧٢ من كتاب «شبه الجزيرة» للزركلي، وصنيدان هذا هو شاعر نبطي مجيد، وهو أحد أصحاب المطايا العشر من العوارض والوساما الذين عجزت سرية كاملة لابن رشيد عن الاستيلاء عليهم، وقال قصيدته المشهورة ومنها :

ما اتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع
للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)
ـ ٦٨ ـ
حـرفُ الـخـــاء
٢٩٥ ـ بَابُ خَاخٍ ، وحَاجٍ [١]

أَمَّا ٱلأَوَّلُ ـ: بِـخَائَيْنِ مُعْجَمَتَيْنِ ـ: رَوْضَةُ خَاخٍ عِنْدَ الْـمَدِيْنَةِ، وَبِـهَا وَجَدَ عَلِـيٌّ ـ رضي الله عنه ـ الظَّعِيْنَةَ الَّتِـي مَعَهَا كِتَابُ حَاطِبِ بْنِ أَبِـي بَلْتَعَةَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ[٢].

وأَمَّا الثَّاني ـ: أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ وَآخِرُهُ جِيْمٌ ـ: ذَاتُ حَاجٍ بَيْنَ الْـمَدِيْنَةِ ←
وَالشَّامِ[٣].

→ مِنْ شَرِيْق الضحَى ياغافر التَّوْبَهْ لين غابَتْ وحنًا هَوْش وِاقْتَـال

(٢) ذوو عبدالله ـ الشقران مستقرون بأم لِـحْيَيْنْ، إحدى قرى قاران بالسوارقية، ومنهم الشيخ سعد بن ماطر بن هديهد المعتمد للتعريف على جماعته.

٣ ـ الفقهاء ومنهم:

* البنانية واحدهم بِنِيّ، منهم رفاعي البنّي المتقدم ذكره مع جماعته الذين وفدوا على الملك عبدالعزيز مع عويض الزير.
* المطاوعة: واحدهم مطوع.
* آل زرير.

(٣) من الأسر المستقرة بالتحضر في صفينة من مئات السنين لهم عقارات مملوكة بالشراء وبالتوارث من الأسر الأخرى، المورقة من الروقة من عتيبة وهم:

١ ـ اليِذْيَان واحدهم أَيْذا ومنهم فرع في قاران بالسوارقية.

٢ ـ الحماضين واحدهم حميضاني ومنهم فرع في قاران بالسوارقية كذالك، وهم مُعَرِّفٌ معتمد في قاران بالسوارقية والموجودون بصفينة تابعون مشيختها.

الرس: محمد بن حمد المطلق الغفيلي

٢٩٦ ـــ باب خَازِر، وَجَازِر(١)

أَمَّا ٱلْأَوَّلُ ـ: بَعْدَ ٱلْأَلِفِ زَايٌ وَآخِرُهُ رَاءٌ ـ: نَهْرٌ كَبِيْرٌ بَيْنَ الزَّابِ ٱلْأَعْلَى وَبَيْنَ الْـمَوْصِلِ، وَهُنَاكَ كَانَتْ الْوَقْعَةُ بَيْنَ ابْنِ زِيَادٍ وَأَصْحَابِ الْـمُخْتَارِ، وَفِيْهَا قُتِلَ ابْنُ زِيَادٍ(٢).

وَأَمَّا الثَّانِـي ـ: أَوَّلُهُ جِيْمٌ وَالْبَاقِـي نَحْوَ ٱلْأَوَّلِ ـ: نَاحِيَةٌ بِالْعِرَاقِ، مُجَاوِرَةٌ لِأَبْيَضِ الْـمَدَائِنِ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ الْـحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْـحَسَنِ الْـجَازِرِيُّ، رَوَى عَنِ الْقَاضِـي أَبِـي الْفَرَجِ النَّهْرَوَانِـيِّ وغَيْرِهِ(٣).

---

(١) في كتاب نَصْرٍ: (بابُ خَاخٍ وخَاخٍ).

(٢) عِنْدَ نَصْرٍ: ذُو خَاجٍ وادٍ لِغَطَفَانَ ـ فِيْمَا أَظُنُّ ـ وَبِالْـخَاءِ: مَوْضِعٌ قُرْبَ الْمَدِيْنَةِ. انتهى. وكَانَ حَاطِبُ بن أبي بَلْتَعَةَ اللخمي، الصَّحَابِيُّ الجَلِيْلُ كَتَبَ إلى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ بِتَجَهُّزِ رَسُولِ الله ﷺ لِغَزْوِهِـمْ، فأَنْزَلَ الله فِيْهِ: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ الآية ـ وَبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ عَلِيًّا وَمَعَهُ اثْنَانِ مِنَ الصَّحَابَةِ فَأَدْرَكُوا الْـمَرْأَةَ الَّتِي حَمَلَتِ الكِتَابَ بِرَوْضَةِ خَاخٍ بِقُرْبِ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ عَلَى نَحْوِ عِشْرِيْنَ كِيلًا مِنَ الْـمَدِيْنَةِ، فأَخَذُوْهُ. وَلَايَزَالُ اسْمُ خَاخٍ يطلقُ على وَادٍ من رَوَافِدِ النَّقِيْعِ، وللهَجريِّ في الْكَلَامِ عَلَى حِمَى النَّقِيْعِ، ولِصَاحِبِ «معجم البلدان» وللسُّمْهُودِيِّ في «وَفَاءِ الوفاءِ» كلامٌ عَنْ خَاخٍ يَحْسُنُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ لِـمَنْ أَرَادَ التَّوَسُّعَ.

(٣) قَالَ نَصْرٌ: ما أَوَّلُهُ خَاءٌ وآخِرُهُ جِيْمٌ ـ: ذَاتُ حاجٍ بَيْنَ الْـمَدِيْنَةِ والشَّامِ. وذُوْ خَاجٍ وَادٍ لِغَطَفَان ـ فِيْمَا أَظُنُّ ـ وَلَمْ يَزِدْ يَاقُوتُ عَلَى كَلَامِ نَصْرٍ ـ بَعْدَ حَذْفِ (فِيْمَا أَظُنُّ). الْـحَاجُ ـ بِتَخْفِيْفِ الجِيْمِ ـ نَوْعٌ مِنَ النَّبَاتِ، ويَظْهر أَنَّ الْـمَوْضِعَ سُمِّيَ بِهِ، وذَاتُ الْـحَاجِ تقع في شَمَالِ الْـمَمْلَكَةِ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ الْـحُدُوْدِ الْأُرْدُنِيَّةِ، كَانَتْ عَلَى طَرِيْقِ حَاجِّ الشَّامِ، ولِهَذا ذُكِرَتْ كَثِيْرًا في رِحْلَاتِ الـحجِّ، وسَمَّاهَا بَعْضُ الرَّحَّالِيْنَ (ذَاتَ الْـحَجِّ) تَوَهُّمًا أَنَّ جِيْمَهَا مُشَدَّدَةٌ، وكَانَتْ مِنْ مَحَطَّاتِ سِكَّةِ حَدِيْدِ الْـحِجَازِ، وتَقَعُ في وَادٍ يَنْحَدِرُ مِنْ حِسْمَا دَاخِلَةً في طَرَفِ سِلْسِلَةِ جِبَالِهَا (بِقُرْبِ خَطِّ الطُّول ١٠ / ٣٦° وخَطِّ العَرْضِ: ١ / ٢٩° ـ وانظر (قسم شمال المملكة) مِنَ «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية».

(١) عِنْدَ نَصْرٍ في حَرْفِ الجِيْمِ.

(٢) قَالَ نَصْرٌ: وأَمَّا بِالْـخَاءِ ـ: مَوْضِعٌ عِنْدَ الزَّابِ الْأَعْلَى، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْـمَوْصِلِ يَوْمَانِ، هُنَاكَ قُتِلَ عُبَيْدُ الله بْنُ زِيَادٍ.
وفي «معجم البُلْدان»: إشارةٌ إلى الاختلافِ في ضَبْطِ الزَّاي ـ بَيْنَ الْفَتْحِ والْكَسْرِ ـ وأَنَّهُ نَهْرٌ بَيْنَ إِرْبَلِ والْـمَوْصِلِ، وعَلَيْهِ كُوْرَةٌ يُقَالُ لَهَا نَحْلَا، وأَهْلُ نَحْلَا يُسَمُّوْنَ الْـخَازِرَ (بَرِيْشْوَا) وَذَكَرَ مَبْدَأَهُ إِلَى أَنْ ذَكَرَ أَنَّهُ يَصُبُّ في دِجْلَةَ، وأَنَّ وَقْعَةَ قَتْلِ ابْنِ زِيَادٍ سنة ٦٦ بِقِيَادَةِ إِبْرَاهِيْمَ بْنِ مَالِكِ بْنِ ٱلْأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ.

(٣) عِنْدَ نَصْرٍ: أَمَّا بِالْـجِيْمِ ـ: صُقْعٌ بِالْعِرَاقِ، مُجَاوِرٌ لِأَبْيَضِ الْـمَدَائِنِ. انتهى. ومِـمَّا قَالَ يَاقُوتُ عَنْ جَازِر: قَرْيَةٌ مِنْ نَوَاحِـي النَّهْرَوَانِ مِنْ أَعْمَالِ بَغْدَاد، قُرْبَ الْـمَدَائِنِ، وقَالَ عَنْ مُحَمَّد بن الْـحُسَيْنِ. . بْن بَكْرَانَ وُلِدَ سَنَة ٣٦٤ وتُوفِّي سنة ٤٥٢ وَرَوَى عَنْهُ أَبُو نَصْرٍ ابن ماكُوْلَا، وأَبُو بَكْرٍ الْـخَطِيْبُ، وأَوْرَدَ شِعْرًا لِعُبَيْدِالله بْنِ الْـحُرِّ الْـجُعْفِيِّ:

أَقُـولُ لِأَصْـحَـابِي بِـأَكْـنَـافِ جَـازِرٍ ... وَزَاذَانِهَا: هَـلْ تَـأْمَـلُوْنَ رُجُـوْعَـا؟
فَقَـالَ امْرُوءٌ: هَيْهَاتَ لَسْتُ بِـرَاجِـعٍ ... وَلَـمْ تَـكُ لِـلتَّـفْـنِيْطِ مِـنْـهُ بَـدِيْـعَـا
فَـجَـلَّلْتُـهُ سَـيْـفِـي وَذَالِـكَ حَـالَـتِـي ... لِمَنْ لَـمْ أَجِـدْهُ سَـامِعًـا ومُـطِـيْـعَـا

٢٩٧ ـ بَابُ خَبْرٍ، وحِبْرٍ، وحِبِرٌ[1]

أَمَّا الْأَوَّلُ ـ: بِفَتْحِ الْخَاءِ وَسُكُوْنِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ، وآخِرُهُ رَاءٌ ـ: قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ شِيْرَاز، يُنْسَبُ إِلَيْهَا الْفَضْلُ بْنُ حَمَّادٍ الْخَبْرِيُّ صَاحِبُ «الْمُسْنَدِ الْكَبِيرِ» حَدَّثَ عَنْ سَعِيْدِ بْنِ أَبِي مَرْيَم، وَسَعِيْدِ بْنِ عُفَيْرٍ وَغَيْرِهِمَا[2]، وأَبُو الْعَبَّاسِ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ إِبْرَاهِيم الْخَبْرِيُّ بْنُ بِنْتِ الْفَضْلِ بْنِ حَمَّادٍ.

وَأَمَّا الثَّانِي: أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَكْسُورَةٌ، وَالْبَاقِي نَحْوَ الْأَوَّلِ ـ: وَادٍ لَهُ ذِكْرٌ فِي الشِّعْرِ[3].

وَأَمَّا الثَّالِثُ: ـ بِكَسْرِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْبَاءِ وَتَشْدِيْدِ الرَّاءِ ـ: جَبَلٌ فِي دِيَارِ سُلَيْمِ بْنِ مَنْصُورٍ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: حِبِرٌّ مَوْضِعٌ مَعْرُوْفٌ فِي الْبَادِيَةِ، وأَنْشَدَ شِمْرٌ عَجُزَ بَيْتٍ: فَقَفَا حِبِرٌّ[4].

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ فِي حَرْفِ الْحَاءِ: (بَابُ حِبِرٌ، وحِبْرٍ، وَخَبْرٍ، وخَيْرٍ، وخُثْنٍ).

(٢) قَالَ نَصْرٌ عَنْ خَبْرٍ: وَمَا بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَالْبَاءِ سَاكِنَةٌ أَيْضًا ـ: مِنْ بُلْدَانِ فَارِسَ، قَرِيْبٌ مِنْ شِيْـ ز. وَقَالَ يَاقُوتُ: وَخَبْرٌ عَلَمٌ لِبُلَيْدَةٍ قُرْبَ شِيْرَاز، بِهَا قَبْرُ السَّعِيد أَخِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْـ عرِيّ، وذَكَرَ الْمَنْسُوبِينَ إِليها.

(٣) قَالَ نَصْرٌ عَن حِبْرٍ: مَا بِسُكُوْنِ الْبَاءِ: وادٍ. وَقَالَ يَاقُوتُ ـ حِبْرٌ بِالْكَسْرِ ثُمَّ السُّكُون ـ: اسْمُ وَادٍ قَالَ الْمَرَّارُ الفَقْعَسِيُّ يَرْثِي أَخَاهُ بَدْرًا:

أَلَا قَاتَلَ اللهُ الْأَحَادِيثَ وَالْمُنَى … وَطَيْرًا جَرَتْ بَيْنَ السُّعَافَاتِ وَالْحِبْرِ

مِنْ أَرْبَعَةِ أَبْيَات أَوْرَدَهَا ـ

(٤) عِنْدَ نَصْرٍ: حِبِرٌّ ـ: مَا بِكَسْرِ الْحَاءِ وَالْبَاءِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ ـ: جَبَلٌ فِي دِيَارِ سُلَيْم بْنِ مَنْصُور. وَقَالَ يَاقُوتُ: حِبِرٌّ ـ بِكَسْرَتَيْنِ وَتَشْدِيْدِ الرَّاءِ، وَمَا أَرَاهُ إِلَّا مُرْتَجَلًا ـ: جَبَلَانِ فِي دِيَارِ سُلَيْم قَالَ ابْنُ مُقْبِل:

سَلِ الدَّارَ مِنْ جَنْبَيْ حِبِرٍّ فَوَاهِبٍ … إِلَى مَا يَرَى هَضْبَ الْقَلِيْبِ الْمُضَيَّحُ

وَقَالَ عَبِيْدُ:

فَعَرْدَةٌ فَقَفَا حِبِرٌّ … لَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ عَرِيبُ

حِبِرٌّ ـ الْجَبَلُ لَايَزَالُ مَعْرُوْفًا ولكِنَّهُ يُنْطَقُ بِتَخْفِيْفِ الرَّاء، يَقَعُ غَرْبَ بَلْدَةِ عَفِيف بِمَا يُقَارِبُ مِئَةَ كِيْلٍ لِلْمُتَّجِهِ إلى الدَّفِينَةِ، يُشَاهَدُ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا بِنَحْوِ خَمْسَةٍ وعِشْرِيْنَ كِيْلًا. وعَرْدَةُ أَبْرَقُ بِقُرْبِهِ جَنُوبِيه يُدْعَى الْآنَ عَرْدَانَ ـ حِبِرٌّ بِقُرْبِ دَرَجَةِ الطُّولِ: ١٥/٤٢° ودَرَجَةِ الْعَرْضِ: ٣٥/٢٣° وعَرْدَةُ: ١٠/٤٢° طولاً و٥/٢٣° عرضًا. وَمِنْ زِيَادَاتِ نَصْرٍ:

١ ـ خَيْر: قَالَ ـ وَمَاهُوَ ضِدُّ الشَّرِّ: خِطَّةُ بَنِي خَيْرٍ بِالْبَصْرَةِ، مَنْسُوبَةٌ إِلَى فَخِذٍ مِنَ الْيَمَنِ، تَلِيْ بَلْعَم. انتهى. ولَمْ يَزِدْ يَاقُوتُ عَلَى هَذا.

٢ ـ خُثْنٌ قَالَ ـ: وَمَا بِضَمِّ الْخَاءِ ثَاءٍ مُثَلَّثَةٍ سَاكِنَةٍ ونُونٍ ـ: مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ يَوْمَانِ، وتَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فِي بَابِهِ مِنْ حَرْفِ الْحَاءِ.

آل ماجد من آل فايز من النواصر

كتب إلى «العرب» الأخ محمد بن عبدالله بن ناصر الماجد ، منبهاً على وقوع خطأ في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ـ ص ٧٠٧ ـ حيث نسب أمير الأحساء في عهد الامام سعود ، فيما بين سنتي ١٢١٤ ـ ١٢١٩هـ ، وهو سليمان بن محمد بن ماجد ، نسب إلى الهزازنة .

والصحيح : أنه من آل فايز من النواصر من بني عمرو بن تميم ، وطلب أن يصحح مافي ذالك الكتاب بهذا النص :

آل ماجد : في ثادق والغاط والقصب وحريملاء .

في القصب يعرفون بالماجدي ، وفي حريملاء بآل تركي وبآل موسى ، منهم سليمان بن محمد بن ماجد ، الذي عينه الامام سعود أميراً في الأحساء من سنة ١٢١٤ ـ ١٢١٩هـ .

المذكورون من آل فايز من النواصر من بني عمرو بن تميم .

تعشار... آل بكر... الدوشان

كان الأخ عبدالله بن سعد آل بكر قد نشر كلمة في مجلة «العرب» ـ س ٢٥ ص ٢٧٤ ـ: قال فيها عن مزروع جد المزاريع من بني تميم ، ومنهم آل بكر قال : ومزروع قدم إلى سُدَير عام ٧٩٠هـ تقريباً ، وهناك قصص تفيد انتقال مزروع من العراق أو أحد أجداده ومنها قصته مع الدوشان ـ آل الدويش ـ من مطير حيث قتلهم هو وبعض بنيه في منطقة تعشار ورماهم في قلبانها ، وسميت بعد ذالك بأم الجماجم .

وقد كتب الأخ عيد بن مساعد بن هجَّاج المطيري معلقاً على هذا بما ملخصه :

١ ــ ان الدوشان لم يكن لهم وجود إلا بعد ذالك التاريخ ، ومحمد الملقب

بالدويش الذي منه تفرع الدوشان كان عاش في القرن الحادي عشر الهجري .

وعلل الأخ عيد ماذكره الأخ ابن بكر بأن الرواة كثيراً ما يخلطون في الأخبار لقصد أو لغير قصد .

٢ ــ تمنى الأخ عيد أن الكاتب الكريم أبدى من الأدلة ما يؤيد ذالك أو على الأقل أولى القصة من التفكير العميق في ملابسة ظروفها وزمنها ليدرك الحقيقة .

المضابرة : سكان أبانين

نشر لي مقال في مجلة «العرب» عدد (رجب/شعبان ١٤٠٥هـ ص ١٢٥) عن قبيلة بني رشيد (ديارها وفروعها) جاء فيه عن المضابرة سكان (أبانين) مانصه : (وشيخ شمل هؤلاء مساعد بن سعدون) وهو ما أثار انتقادًا قويًّا لدى المضابرة كلهم .

فحدثني الشيخ صلحان بن فلاح آل بدوي قائلاً : إن المضابرة ـ في تاريخهم ـ لم ينقادوا لأحد منهم قط إلّا لابن بدوي وذالك قبل توحيد سكان أهل هذا البلد الكريم على يد موحد كيانه الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ ولـمّا استتبّ الأمن والاستقرار في ظل حكم الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ برزت من المضابرة كغيرهم من القبائل الأخرى وجوه كريمة من الشيوخ المعتبرين من بينهم ابن سعدون الذي مثله في شيخة المضابرة كمثل غيره من الشيوخ الآخرين ، خلافًا لما جاء في وصفك اياه بأنه شيخ شامل للمضابرة ، وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أنني أقلل من مكانته الاجتماعية بين بني قومه ، ولكني وجدت نفسي مدفوعاً لأقول الواقع الملموس بعيداً عن أية مغالطة ولكيلا ينشأ من هذا الموضوع مفهوم خاطئ مستقبلاً . انتهت ملاحظات ابن بدوي (صلحان) .

والحق أني كنت قد ذكرت ابن سعدون بما سبقت الاشارة إليه ظنًّا مني أنه كذالك ، ولكن هذا هو الذي خطّأني به خاصة وعامة المضابرة الذين يتفقون مع من يقول : قديماً كان المضابرة ملتفين حول ابن بدوي أمّا الآن فالوضع مختلف جداً أي إن من يذكر شيخاً من دون آخر كمن لم يقصر عن قول الجهل ويصدق

عليه قول الشاعر :

إذا أنتَ لم تُقْصِرْ عن الجهلِ والخنا أَصَبْتَ حَليمًا أو أصابك جاهلُ

وعلى هذا فإني استدرك مافات نشره عن المضابرة آملاً نشره تلافيًا للخطإ والله الهادي إلى سواء السبيل .

عطا الله بن ضيف الله الرشيدي

رامتان : من أجمل أسماء المواضع
وليس معناهما (بيت الراحة)

مِنْ أغرب ماقرأت ماجاء في إحدى صحفنا الكريمة وهي «المسائية» بتاريخ غرة صفر ١٤١١/٢/١هـ (٢١ آب ١٩٩٠م) من أن الدكتور مؤنس ابن عميد الأدب العربي طه حسين ، قرر أن يسكن دارة والده التي رغبت وزارة الثقافة المصرية في تحويلها متحفاً ، وأضافت الصحيفة : (رامتان معناه بيت الراحة) .

لا أدري بأية لغة فسرت الصحيفة كلمة رَامَتَيْنْ - مُثَنّى رامة - هذا التفسير الغريب .

ورامة مُؤَنَّثُ رَأْم بعد الراء ألف مهموزة ثم ميم ، وقد يخفف الهمز ، والرأم في اللغة هو ما تعطف عليه الناقة ليدر حليبها ، ويسمى الرأم أيضاً (الْبَوّ) على ماذكر ياقوت في «معجم البلدان» وقد يكون الاسم مشتقاً من (روم) كما في كتب اللغة بمعنى رام الشيء يرومه طلبه ، وأورد صاحب «اللسان» وغيره اسم رامة تحت هذه المادة . إذَنْ فاشتقاق الكلمة إما من (الرأم) وهو العطف والميل ، أو (الرِوم) وهو الرغبة والطلب ، وكلها معان حسنة .

واسم (رامة) أطلق على مكان في بلادنا ، واقع في منطقة القصيم ، وكان قديماً من منازل الحجاج القادمين من شرق البلاد ، المارين بالقصيم ، فهو من منازل حاج البصرة ، وورد اسمه في الشعر العربي القديم بكثرة .

وكثيرًا ما يضاف المكان إلى ما بقربه ، فيطلق على الموضعين اسم الموضع الأول

من قبيل التغليب ، فيقال في رامة بالإضافة إلى موضع مجاور لها (رَامَتَانِ) .

ومن لطيف ما يحكى أن امرأة مَرَّتْ بهذا الموضع فطلبت من زوجها أن يطعمها سَلْجَمًا ، والسلجمُ هو مما يضاف إلى الأطعمة من أنواع الخضر ، ويسمى في بعض الأقطار الآن (الشلغم)، فقال لها زوجها : وأين السلجم هنا ؟ وأنشأ يقول :

تَسْـأَلُنِي بِـرَامَتَـيْنِ سَـلْجَـمَا
يَـاهِنْـدُ لَـوْ سَـأَلْتِ شَيْئـاً أَمَـمَا
جَـاءَ بِـهِ الْكَـرِيُّ أَوْ تَيَـمَّـمَا

فبلغ هذا الكلامُ محمدَ بنَ سليمان بن علي العباسي ، أمير البصرة ، فيما بين سنتي (١٤٦ ـ ١٧٣هـ) فأمر بأن تزرع الرامتَانِ عن آخرهما سلجما ، كذا ورد في الخبر ، وقد نُسِب إلى أحد أبناء البادية ، وأراه بالحضر ألصق ، فقد تكون التي طلبت السلجم إحدى السيدات المتنعمات المترفهات ، التي اعتادت في مدينتها أن تأكل مع طعامها أنواع الخضر والفواكه ، فاشتهت السلجم ، أما البدوية فإنها لا تعرفه ، وتجد في نباتات البادية الأخرى ما يغنيها عنه ، على أن البكريَّ في «معجم ما استعجم» أورد خبرًا لعله أصح من الخبر المتقدم ونصه : قال الأصمعي : قيل لرجل من أهل رامة إنَّ قاعكم هذا طيب ، فلو زرعتموه ؟ قال: قد زرعناه ، قال: ومازرعتموه ؟ قال: سلجما ، قال : ماجرأكم على ذالك ؟ قال : معاندةً لقول الشاعر ـ وأورد الرجز ـ

ولاتزال رامة معروفةً تقع في الجهة الجنوبية الغربية من مدينة عُنَيْزَةَ ، وفي الجنوب من بلدة البدائع على مسافة تقرب من عشرين كيلاً ، وهي واقعة في الجنوب الشرقي من مدينة الرَّسِّ ، ويطلق الاسم الآن على كثيبين مرتفعين من الرمل ، ويسميها العامة (رامات) جمع رامة ، إذ العامة ينطقون الاسم المثنَّى مجموعًا مثل (أبانات) وهما أبانان اثنان . قد يقال : الكثيبان لا يصلحان للزراعة ، ولكن يلاحظ أن الاسم كثيراً ما يطلق على المكان وماحوله ، فاسم رامة شمل الكثيبين والأرض التي بقربهما .

وقد أُحييت الأرضُ بغرب رامتين ، فحفرت فيها آبار ارتوازية وزرعت . أما لماذا أطلق عميد الأدب الدكتور طه حسين على دارته في القاهرة هذا الاسم ؟، فليس بدعا أن يختار هذا العميد اسماً لموضع من أشهر المواضع في بلاد العرب اسْـمًا لدارته، وهو الْـحِـفِـيُّ بالأدب العربي وتاريخه .

ومن غريب مايروى أن وفداً ثقافياً من هذه البلاد زار القاهرة في عشر الثمانين من القرن الماضي برئاسة معالي الأستاذ الشيخ ناصر بن حمد المنقور ، فزار الوفد الدكتور طه حسين في دارته تلك ، فسأل أحد الوفد وهو الأستاذ عبدالله بن أحمد المنيعي من كبار موظفي وزارة المعارف في ذالك العهد ، سأل الدكتور طه عن معنى (رَامْتَان) وسكن الميم قائلاً: مامعناه باللغة الفرنسية ؟ فتبسم الدكتور طه ، وقال : صواب الاسم هكذا ، وهو اسم موضع مشهور في بلادكم ورد كثيرًا في الشعر العربي القديم !!

ويطلق اسم رامة أيضاً على بلدة في فلسطين على ماذكر ياقوت في «المعجم» .

أما التفسير الغريب لهذا الاسم العربي فيظهر أن صحيفتنا الكريمة تلقفته من إحدى وكالات الأنباء أو نقلته عن صحيفة لا تعنى بما يتعلق ببلادنا من مواضع ، ولعل الابن الكريم الذي نقل الخبر يسره أن يعرف ما يتعلق بهذا الاسم الذي يطلق على موضع في بلاده العزيزة .

حمد الجاسر

آل ناجم في الجنيفي

ورد في الكلام على أسر العرينات ص ٥٣٩ من كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ذكر أهل قرية الجنيفي في سدير: (آل سليمان وآل سلوم) .

وقد سقط سهوا اسم آل ناجم ، نَبَّهَ إلى هذا الأخ محمد بن عبدالعزيز بن عبدالمحسن الناجم وأشار إلى أنهم أمراء الجنيفي سابقاً ، ولايزالون في هذه القرية ، ومنهم من انتقل إلى الخفقي والكويت .

آل علي (الجناع) من الفضول

كتب الأخوان مبارك بن محمد بن علي الفضيل وعبداللطيف بن سعد بن أحمد ابن علي الفضيل إلى «العرب» تعليقاً على مانشر في السنة الـ (٢٤) ص ٨١٣ من أن آل جِنَاع ـ بتخفيف النون ـ ليسوا من آل بويت، وأنهم ينتسبون إلى الفضول كتبا يقولان: إننا نحن المعنيين بهذا ، ولهذا نوضح بأن (جناع) لقب وليس اسماً صحيحاً وإنما اسم البطن آل علي ، وعلي خلف عودة جد آل سالم آل علي ، وأولاد أحمد بن عودة آل عواد ، وآل عايد يلقبون بآل حسن ، وأبناء عمهم أبناء أحمد (الجناع) وهاؤلاء يطلق عليهم آل علي ، ويسكنون الآن قرية الـمِرَاح قرب العيون الشمالية في الأحساء ، وكانوا يسكنون العيون ، وقبل العيون كانوا يسكنون في الجوف . وقد ذكر القلقشندي أن آل علي بطن من آل فضل ، وذكر من بلادهم الجوف إلى تيماء .

وأرفق الأَخَوانِ بما كتبا وثيقة موقعة من عبدالله بن عبدالعزيز الـحِصَان ، ومحمد بن عبدالعزيز الحصان ، وحمد بن محمد الحصان وعبدالله بن حمد بن دعيلج وسعد بن حمد بن دعيلج ومصدقة من قاضي محكمة الشعيب بتاريخ ١٣٨٦/٧/٤هـ يقررون فيها أن آل علي الملقبين بالجناع الساكنين قرية المراح : أبناء عمهم .

آل وزرة .. من هذيل

لقد اطلعت على كتابكم النفيس «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ولكنه والكمال لله ـ لم يذكر في طيّاته : نسب واصل آل وَزْرَة ، تلك الأسرة الهُذَلية التي ستسكن في الوقت الحاضر وادي الدواسر ، وقد قدم جدها الأعلى سعيد بن وزران بن عبدالله ابن إبراهيم بن عائذ السَّعِيْدِي إلى وادي الدواسر سنة ١٢٢٩هـ على أثر انهزام طوسون في تُرَبَة ، على يد غالية البقمية ، حيث كان هو وأخوه عبدالله من بين أفراد من قبيلة السعايدة الهذلية التي انضمت إلى جيش طوسون من أهل الطائف .

واستقر عبدالله في الخرمة ، ولازال نسله فيها حتى الآن .

أما جَدُّنا سعيد فرحل إلى وادي الدواسر ، وسكن اللِّدَام ، ثم تركها على أثر نزاع ، وسكن القُوَيْز وتزوج هناك من قحطانية من آل شائب ، فولد له منها إبراهيم ، ثم تزوج إبراهيم من آل غانم .

ورزق سبعة من الولد وهم :

بعيان وعلي ، وحمدان ، ومحمد ، وحماد ، ومرفع ، وعبدالعزيز وكلهم خلفوا وتناسلت أبناؤهم في وادي الدواسر ، ماعدا مرفع فمات ولم يتزوج وعبدالعزيز سكن الـحَمر (الأحمر) في الأفلاج ، وقد انقطع نسله .

هذه خلاصة تاريخ هذه الأسرة المتحضرة من هذيل أحببت أن أراها إن شاء الله في الطبعة الجديدة .

مبارك بن إبراهيم بن محمد إبراهيم بن سعيد بن وزرة

] ملاحظـة :

المعلومات عن هذه الأسرة تلقيتها من :

١ ـ آبانا كبار السن الذين كانوا يتداولون هذه المعلومات عن أنسابهم .
٢ ـ بعض الأوراق عند عمنا علي بن إبراهيم بن سعيد بن وزرة .
٣ ـ اعتراف السعايدة أنفسهم بأن منهم أخوة سكنوا وادي الدواسر .
٤ ـ القبائل الموجودة في وادي الدواسر تشهد لهم أنهم من سعايدة هذيل ، وقد جاءوا إلى وادي الدواسر من زمن طويل .

قطر... وقطري... والأعدان

استفدت مما قرأت في «المجلة العربية» ـ جزء صفر ١٤١١هـ (سبتمبر ١٩٩٠م) ص ٩٨ ـ مما كتب الأخ علي بن عبدالله الفياض في قَطَر ، عن تاريخ الشعر في ذالك القُطْر ، استفدت من حديثه عن الزُّبَارة ، وصلة عدد من الشعراء المتأخرين بتلك البلدة التي درست ، وقد تحدثت عنها في قسم المنطقة الشرقية (البحرين قديماً) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

ولكنني وقفت عند قوله : (وتؤكد المصادر القديمة أن قطري بن الفُجَاءَة من سكان قطر ، وأورد قول صاحب «معجم البلدان» عن قطري هذا أنه قال لأخيه : أرأيت إذ كنت أنا وأنت نتدافع على ثَدْيِ أُمِّنَا بِالأَعْدان ، وذكر ياقوت بعد ذالك

أن الأعدانَ ماء لبني مازن ، مِنْ تَمِيم ، وأضاف : وأعتقد أن الأعدان هو الاسم القديم لـ(معدان) وهي روضة كبيرة بها آثار قرية قديمة تقع شمال قطر . انتهى .

وكنت أتطلع ليورد نصوصاً من المصادر القديمة التي (أكدت) - حسب قوله - أن قطريًا من سكان قطر ، ولكنه لم يذكر سوى الخبر الذي أورد ياقوت ، مع ما أضافه هو عن الأعدان .

ولعل الأخ الكريم يسره أن يُشَارَكَ في بحث هذه المسألة التي طرقها ، بل لعل من بين قراء هذه المجلة من يُسَرُّ بهذه المشاركة .

إن مما يوضح مواقع الأمكنة في جزيرة العرب البحث لمعرفة سكانها في القديم ، ثم الاستنارة بتلك المعرفة لتحديد الموقع ، وإذن فينبغي أن نعرف إلى من يُنْسَبُ قَطَرِيُّ بن الفُجَاءَةِ إليه من القبائل ، لكي نعرف مواقع منازلها من الجزيرة .

قطريٌّ هذا هو : ابن الفُجاءة بن يزيد بن زياد بن حُنْثُر بن كابِيَة بن حُرْقُوص ابن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، فهو من بني مازِنٍ ، أحد فروع بني عمرو ابن تميم .

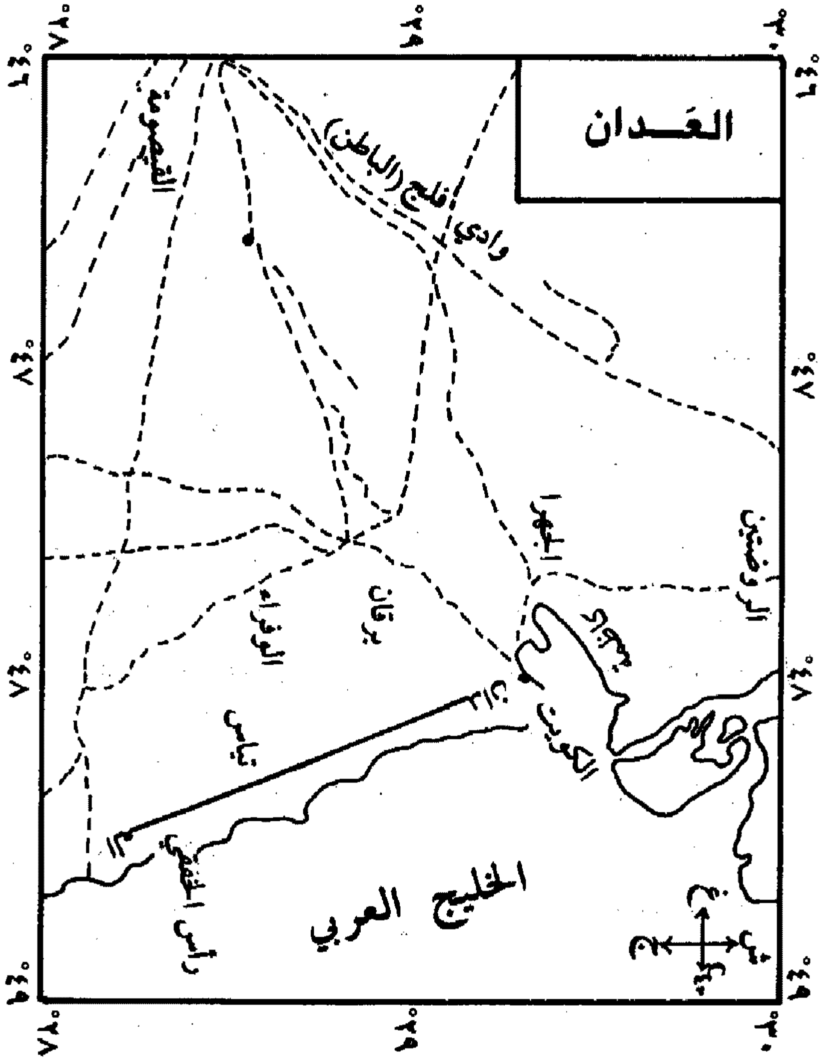
وبلاد بني تميم في صدر الإسلام قد اتسعت في الجزيرة ، وانتشرت فيها فروع القبيلة ، فكان من بلاد بني عمرو هاؤلاء (الْعدّان) وهي الأرض الواسعة الممتدة على سيف البحر من كاظِمة شمالاً إلى قرب القَطيف ، ولكنَّ بني عمرو هاؤلاء امتدت منهم فروع على طريق الحج البصري في وادي فَلْجٍ (حَفَر الباطن) إلى بلاد القصيم ، فانتشرت تلك الفروع على ذالك الطريق ، ومنهم بنو العنبر ، وبنو مازن قوم قَطَريٍّ بن الفُجَاءة ، ومن بني مازن قوم قطري مالك بن الريب المازني الشاعر المشهور ، وكان منزله في وادي فَلْج (الباطن) بقرب الحفر المعروف قديماً بحفر أبي موسى ، وأُنْشِئَتْ في عهدنا فيه مدينة حديثة عرفت بـ(الحفر) وقد كان منزل مالك في (الرَّقْمَتَيْن) على شفير الوادي - انظر كتاب «المناسك» - ٥٨١ - وخالط تلك الفروع ، فروع تميمية أخرى .

والأعدان التي هي من مياه بني مازن قوم قطري ، يظهر أنها من مياه العدان إذ من عادة العرب تسهيل الهمزة بحذفها في بعض الكلمات ، والعدان هذه هي التي ورد ذكرها في شعر النابغة الجعدي ـ مقرونة بـ (أُوارة) المعروفة الآن باسم (وارة) :

جَلَبْنَا الخيلَ من تَثْلِيْث حتى أَتَيْنَ على أُوَارَةَ فَالْعَدَانِ

ونسب صاحب «تاج العروس» في رسم ـ عدن ـ البيت ليزيد بن الصعق وهو بقول النابغة أشبه .

والْعَدَانُ (الأعدان) أرض واسعة، ممتدة على ساحل الخليج من الكويت شمالاً إلى قرب (عينين) الـجُبَيْل جنوبيًا.



أما اسم قطري فلا تستلزم صيغته أن يكون منسوباً إلى قطر البلاد المعروفة، إذ كثيرًا ما تسمي العرب أسماءً بصيغة النسبة، ولا يُراد حقيقة نسبتها مثل: رومي، وتركي، ويثربي، إلى غير ذالك من الأسماء.

وهذا لا ينفي النسبة إلى بلاد قطر، كالثياب القطرية، والنجائب القطريات، والنعام القطرية.

وعلى ذكر قطر ينبغي ملاحظة وجود مدينة قديمة باسم قطر، قبل (الزبارة) خَرَّبَها القرامطة كما خربوا غيرها، قال الأزهري: بسيف البحر بين عمان والبحرين مدينة يقال لها قطر، خربها القرامطة - انظر «المعجم الجغرافي» - قسم المنطقة الشرقية - (البحرين قديماً) ص ١٤٤٢ -.

والقول بأن الأعدان هي (معدان) ليس له ما يؤيده، فمعدان ليست من المواقع المعروفة التي لها ذكر في المؤلفات القديمة، ومن المستبعد إبدال الهمزة بالميم في اللهجات العربية الحديثة، إذ لا تقارب بين مخرجي الحرفين. والعدان (الأعدان) لاتزال معروفة.

حمد الجاسر

عروة بن أذينة الشاعر المدني

قام الصديق الكريم الدكتور يحيى الجبوري بجمع شعر عروة بن أذينة المدني الذي عاش في العصر الأموي، إذْ توفي في حدود الثلاثين ومئة على ماذكر الدكتور الجبوري، فعمد إلى ماورد منه في كتاب «منتهى الطلب» ويحوي من شعره خمس مئة وتسعة وخمسين بيتاً، ثم تتبع كتب الأدب والتاريخ واللغة وغيرها وأضاف إلى ذالك شعراً كثيراً، ومنه مانسب إليه وإلى غيره من الشعراء.

ومما ورد فيما جمعه الدكتور أربعة أبيات - ص ٣٤٤ - أولها:

واسْقِ الْعَدُوَّ بِكَأْسِهِ واعْلَمْ لَهُ   بِالْغَيْبِ إنْ قَدْ كَانَ قَبْلُ سَقَاكَهَا

نقلها من «عيار الشعر» و«الصناعتين» و«المثل السائر» و«حماسة البحتري».

وقد اطلعت على ثلاثة أبيات يظهر أنها من تلك المقطوعة وردت في كتاب «الإشراف» لابن أبي الدنيا - ص ٣٣٢ - ونص ماورد في ذالك الكتاب: (قال عباس بن الفرج الرياشيُّ: حدثنا أيوب بن عُمَر الغفاري عن يحيى بن عروة بن أُذينة ، قال: رآني أبي وأنا أَرْمِي حَمَاماً ، فقال : يَابُنَيَّ أَمَا سمعت قولي :

وتَرَى لِئِيْمَ الْقَوْمِ يَتْرُكُ عِرْضَهُ دَنِساً ويَمْسَحُ نَعْلَهُ وَشِرَاكَهَا
خَرِقاً إذَا رَامَ الأُمُوْرَ بِنَفْسِهِ مِثْلُ الْعَدُوِّ لَهَا يُرِيْدُ هَلاَكَهَا
أَكْرِمْ صَدِيْقَ أَبِيْكَ حَيْثُ لَقِيْتَهُ وَاحْبُ الْكَرَامَةَ مَنْ بَدَا فَحَبَاكَهَا

ولعَلَّ البيت :

واسْقِ الْعَدُوَّ بِكَأْسِهِ واعْلَمْ له - الخ -

تَابِعاً للثلاثة الأبياتِ التي أوردها ابن أبي الدُّنيا .

حِمَى بني الحارث بن كعب

لفت انتباهي حين تصفحي لمجلة العرب س ٢٥ ص ٥٤٣ ج ٧ ، ٨ لشهري محرم وصفر ١٤١١هـ تحت عنوان (ما اتفق لفظه وافترق مسماه) باب حما وحُمى ماورد عرضاً عن حما بني الحارث بن كعب ، حيث جاء في هامش تلك الصفحة أن الهمداني ذكره من أعداد مياه بني الحارث التي تصالي الهجيرة بأطراف جبال غاذ بين مري والغائط . . الخ . وأحب التأكيد أن هذا الوصف ينطبق إلى حد كبير على حما المعروف الآن في منطقة نجران الشمالية وهو منهل ماء قديم أصبح فيما بعد مركزاً حكومياً فيه إمارة وعدد من المنازل المبنية من صفيح الزنك ، ومسجد حديث ، ويقع حما هذا في منتصف الطريق بين بلدة يدَمَة ووادي حبونا ، وهو إلى حبونا أقرب ، وسيله يصب في وادي حبونا ، ويبعد عن مدينة نجران بحوالي مئة وعشرين كيلاً شمالاً مع انحراف يسير ناحية الغرب ، وعن الهجيرة بوادي تثليث بحوالي مئة «أربعين كيلاً تقريباً .

وسبق أن تطرقت إلى ذكر حما في موضوعي الذي نشر في مجلة «العرب» س ٢٢

ص ٨١٠ تحت عنوان: (رحلة في بلاد يام) وأكاد أجزم أن حما الذي أشار إليه الهمداني هو حما الذي لايزال يحمل نفس الاسم ، والذي يقع على طريق الحاج القديم بين نجران وتثليث ضمن قرى شمال نجران ، والذي أصبح في السنوات الأخيرة مركزاً حكومياً تابعاً لإمارة منطقة نجران .

وزيادة في الإيضاح فإن حما المعروف الآن يقع في أطراف السلسلة الجبلية التي تمتد بين أعالي وادي تثليث ووادي حبونا أي في أطرافها الشرقية ، وربما كانت تعرف هذه السلسلة قديماً بجبال غاذ وهو في منطقة وسط بين سلسلة الجبال الغربية العالية والسهول الشرقية التي ربما كانت تعرف باسم (الغائط) وسكان هذه المنطقة من الْوَعَلَة من قبيلة يَام . وأرجو أن أكون قد وفقت في تحقيق مكان هذا الموضع الذي يظن الكثير أنه من المواضع التي اندثرت ، ولم تعد معروفة بأسمائها القديمة ، وإذا صح هذا الكلام فإن ذالك ربما يدل على إمكان تحديد أماكن بعض المواضع الأخرى . والله الموفق ،،

وادي جاش (تثليث): فراج بن شافي بن ملحم

العضيلات من الصعبة

كتب الأخ عيد بن مساعد بن هجاج المطيري إلى «العرب» بأن كلمته التي نشرت في «العرب» - ص س ٢٥ ص ٤٣٩ - وقع فيها تطبيع (أخطاء مطبعية) كما يلي :

الصفحة	السطر	الخطــــأ	الصــــواب
٤٢٩	١٣	الضيران أبناء العفين	الفيران أبناء العفين
٤٢٩	١٤	السعامين أبناء سعمان	السحامين أبناء سحمان
٤٢٩	١٥	واصعق لسعمان	واصعق لسحمان
٤٣٠	١٥	ذوو هاوي بن عمير	ذوي ماوي بن عمير

و«العرب» تلفت النظر إلى أن التطبيع (الأخطاء المطبعية) ينشأ من عدم وضوح كتابة الكاتب .

الرايع: من مُتَبَدّى المدنيين

كان الأستاذ الفريق يحيى بن عبدالله المعلمي قد استوضح حين قرأ في «العرب» ـ س ٢٥ ص ٢٩١ ـ: (أن ثابت بن الزبير بن خبيب بن ثابت كان يَتَبَدَّى بالرائع) في البحث الممتع الذي كتبه الأستاذ المحقق الشيخ عبدالعزيز بن أحمد الرفاعي ، عن خارجة بن فُلَيْح المللي ، استوضح الفريق عن كلمة (الرائع) التي وضعت علامة الاستفهام بجوارها فكان مما قلت للفريق: أنَّ الاسم ورد في كتاب «جمهرة نسب قريش» ـ ص ١٠٨ ـ: بصورتين: (الرائع) في إحدى المخطوطتين و(الرابع) في الأخرى ، وألحق أستاذنا الشيخ محمود شاكر في الحاشية ماجاء في كتاب «وفاء الوفاء» ـ ١٠٢٥ ـ: (رائع بهمزة بعد الألف ـ فناء من أفنية المدينة قاله ياقوت كذا قال المجد ، والذي رأيته في «المشترك» لياقوت أنه بباء بعد الألف غير مهموزة) انتهى كلام السمهودي . وأضاف الأستاذ محمود : فهذا موضع تحقيق . من هنا وضعتُ علامة الاستفهام لمحاولة التثبت من صحة الاسم فأُنسِيت هذا حتى ذكرني به الأخ الكريم .

يتضح مما تقدم الخلاف في ضبط الاسم ، والذي اتضح لي أن صوابه (الرايع) بالياء المثناة التحتية بعد الألف (رايع) من الروعة .

أما ماورد في كتاب «وفاء الوفاء» من جملة : (والذي رأيته في «المشترك» لياقوت أنه بباء بعد الألف غير مهموزة) فكلمة (بباء) صوابها (بياء) كما في كتاب «المشترك» ـ ص ١٩٩ ـ.

ويؤيد هذا صنيع ياقوت حيث أورده بالياء ، وعنه نقل صاحب كتاب «المغانم المطابة» : (رايع : فرس رايع أي جواد وشيء رايع أي حسن كأنه يروع لحسنه أي يبهت ويشغل عن غيره وهو فناء من أفنية المدينة) . انتهى .

وأرى أن وضع الهمزة في مطبوعة «معجم البلدان» فوق الياء من صنيع أحد النساخ أو الطابعين .

والرايع هذا كما يفهم مما جاء في كتاب «وفاء الوفا» موضع بقرب الْـجَمَّاء ، قال ـ ص ١٠٥٠ ـ: قصر عنبسة بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وهو إلى جنب الجمّاء بعد أن تجاوز المصعد يريد البطحاء وهو الذي قيل فيه :

يـاقَصْرَ عنبسةَ الَّـذي بـالـرايـع لازلتَ تُؤْهَـلُ بِالْـحَيَـا المتتـابـع
يـاربَّ نَعْمَـةِ ليلةٍ قـد بِتُّهَـا بفنـائك الحسن المنيف الـواسـع

وجملة (تجاوز المصعد يريد البطحاء) أرى صوابها (بعد أن يجاوز المصعد بريد البطحاء) أي المكان الذي فيه علامة البريد في البطحاء ، ولعل مما يوضح هذا قول السمهودي أيضاً في «خلاصة الوفا» عن رايع : وهو بالعقيق لقول بعضهم في قصر عنبسة بن عمرو بن عثمان وهو إلى الجمّاء مما يلي طريق البطحاء . انتهى .

وذكر الفيروزآبادي في «المغانم» جَرّ هشام : هي سقاية اصطنعها هشام بن إسماعيل بالرايع ، كانت توضع فيها جرار كبار يستقي منها الناس ، مر هشام بن عبدالملك عليها ، فقيل له : يا أمير المؤمنين هذه جرار جَدِّكَ هشام ، فأمر بمصلحتها ومايقيمها من بيت المال ، فكانت توضع هناك جرار يستقي بهن الناس ، وزاد في «خلاصة الوفا» : وهي جرار رايع كانت توضع هناك .

وهشام بن إسماعيل جد هشام بن عبدالملك لأمه هو هشام بن إسماعيل بن الوليد بن المغيرة الأموي ، عامل عبدالملك بن مروان على المدينة ، وكان عبدالملك قد تزوج ابنته فهي أم هشام بن عبدالملك («نسب قريش» ـ ٤٧ ، ٣٢٨ ـ الطبعة الثانية) .

وكان أهل المدينة يتبدون في نواحي العقيق إذ كان هذا الوادي من أخصب البقاع وأنزهها وأكثرها بساتين ، وفي كتاب «وفاء الوفا»: فصل خاص يتعلق بتلك القصور وطريف أخبارها ـ من ص ١٠٤٢ إلى ١٠٧١ ـ.

وقد تجاوز عمران المدينة الآن ضفَّتي العقيق إلى مابعدهما .

حمد الجاسر

آل معيقل في القراين وفي الخرج

بعث الأخ عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله المعيقل، برسالة مطولة إلى مجلة «العرب» حول مانشر في عدد - ٥/٦ س ٢٥ - ص ٤٠١ - لفضيلة الشيخ عبدالله بن سليمان بن منيع، عن (آل معيقل) ومما جاء فيها:

١ ــ قول الشيخ عبدالله بأن آل معيقل بطنان، بطن ينتسب إلى شمر وبطن من الحراقيص من بني زيد.

إن آل معيقل أهل زميقة في الخرج كان لنا لقاء معهم، ودار البحث حول نسبهم، فأكدوا لنا أنهم يرجعون إلى شمر، وأن أقرب الناس إليهم آل معيقل الذين في القراين، وقد اطلعت على ورقة مبايعة عند آل معيقل هاؤلاء يرجع تاريخها إلى سنة ١٠٨٧، تدل على قدم حملهم لقب آل معيقل، فكيف يعدون من بني زيد.

٢ ــ أما قول الشيخ عبدالله بأن عبدالله بن محمد بن معيقل، أمير شقراء من الحراقيص من بني زيد، فقد اطلعت على صورة ورقة موجودة في مكتبة شقراء صورها لي الأخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن أبو بطين، ورد فيها: آل معيقل ونسبهم من شمر وأكثرهم مناصيب للشيوخ آل مقرن، وفيهم طلبة علم، منهم الأمير محمد بن معيقل ومنهم عبدالله بن محمد بن معيقل، ومنهم إبراهيم بن معيقل، أمير في الخرج، وأكثرهم قتل مع آل سعود في حروبهم، والورقة مؤرخة في ٢٠ صفر سنة ١٣٦٦هـ.

حول كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد»:

آل عاصم وآل روق

كتب الأخ عبدالله بن أحمد بن عبدالعزيز الـمَنِيع بأنه وقع في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» في طبعته الثانية - ص ٦٦٥ سطراً - مانصه: (آل قاسم من آل علي من آل روق من قحطان).

وأضاف الأخ الكريم يقول: آل روق من آل محمد، ومحمد وعاصم أخوان،

من آل سلمان من الجحادر ، ولهذا فآل قاسم من آل علي ، وآل علي من آل عاصم ، ولا ينسبون إلى آل روق .

والعـــرب : توجه الشكر للكاتب الكريم ، وتستزيد منه ، ومن الاخوة كل ما يصحح أو يكمل أو يوضح شيئاً مما ورد في ذالك الكتاب .

الفياحين من الرّوَبة من سُبَيع

نشرت جريدة «أخبار اليوم» بتاريخ ١٤١٠/١٢/٢٥هـ - ص ٦ - كلمة للأستاذ محمد بن عبدالرحمن بن حسين آل إسماعيل ، حول كتاب «صفحات من تاريخ الأحساء» جاء فيها مانصه : (صفحة ٣٩ وفي حديثه عن دارين قال : وشرقي القلعة يوجد المسجد الذي قام ببنائه محمد بن عبدالوهاب الفيحاني من أهل دارين في القرن الثالث عشر. . .) الخ.

أقول : إن محمد بن عبدالوهاب بن ناصر الفيحاني من الفياحين من قبيلة سُبَيْع ، وليس هو من أهل دارين ، بل سكنها آخر حياته وسبب انتقاله إليها - كما ذكر صاحب كتاب «إمارة قطر العربية بين الماضي والحاضر» - ص ١٢٠ - ١٢٣ - ذكر عنه بأنه رجل ثَرِيٌّ وذَكِـيٌّ طموح ، وكان يسكن الْـمُحَرَّقَ في البحْرَيْنِ ، وله مصاهرة مع آل ثاني ، ومع آل (أبو كُوَّارة) فحصل بينه وبين الشيخ قاسم بن ثاني نفرة وعداوة ، طلب بعدها من متصرف الأحساء من قبل الدولة العثمانية بأن يسكن دَارِيْنَ ، هو ومن معه من آل (أبو عينين) وذالك سنة ١٣٠٣هـ ، وله صلة نسب بآلِ سُوَيْلِـمٍ كما أفادني الوجيه عمر بن عبدالعزيز آل سويلم - رحمه الله -. انتهى .

وقد وجهت «العرب» سؤالاً للأخ الأستاذ فُهَيد بن عبدالله بن تركي السُّبيْعي ، وهو من المعنيين بالبحث في الأنساب ، والعارفين بنسب قبيلتِهِ سُبَيْع ، عن هذا القول فكتب ماهذا موجزه : (سؤالكم عن (الفياحين) لقد ذكرت هاؤلاء ضمن قبيلتهم (الرُّوَبَة) في البحث المقدم لكم عن قبيلة سبيع [انظر «العرب» س ٢٥ ص ٦٥١].

ولكن بعد ورود رسالتكم ذهبت إلى شَيْخ شَمْلِ تلك القبيلة المتفرعة من قبيلة سبيع أهل (رَنْيَة) وهو مُتْرِكُ بن نايف بن قريَّان الرُّوَيْبِي السُّبَيْعي . فأجاب بقوله : إن (الفياحين) هم الفرع الثالث من فروع قبيلته الرُّوَبة ، وأنَّ أُسَراً من مختلف أفخاذ الفياحين موجودة منذ زمن بعيد ، وأخرى من عهد قريب ، ولا تزال في الأحساء من المنطقة الشرقية وذكر أن الأفخاذ من الفياحين هم :-

١ ــ الْبُعَجَة . ٢ ــ آل مُطلق . ٣ ــ آل هُوَيْدِي .

٤ ــ آل مرعث وبعض هذه الأفخاذ الأربعة في الأحساء .

٥ ــ الْـمَغَالِيْثُ : واحدهم مَغْلُوثٌ وجميعهم في حزم المبرز ، وحي محاسن في الأحساء والعمدة هناك منهم .

٦ ــ الجهَايمَة ـ آل جُهَيْمَة ـ .

٧ ــ آل عَجَّاب : في دولة قطر وكانوا قبل ذالك بالأردن .

حول مقال (سبيع: بطونها وبلادها)

وقد وقع تطبيع في هذا المقال المنشور س ٢٥ ص ٦٥١ وهذا تصحيحه :

الصفحة	السطر	خطــــــأ	صــــــــواب
٦٥١	١٢	فهم اخوالي	أخوال والد كاتب هذه السطور
٦٥٢	الأخير	وهذه فروع الزكور	هذه فروع قبيلة الزكور ومن لف لفهم في رنية
٦٥٧	١١	الغوالية	الغوالبة ـ بالباء ـ.
٦٥٧	١٣	الملوح واحدهم مليحي	الملوح واحدهم ملحي
٦٦٠	٢	الغريف من وادي رنية	الغريف من وادي تربة
٦٦٠	١٧	يبدون تقايا (؟)	يبدون تَقَارُباً
٦٦٢	٢٢	القودة	العودة ـ بالعين المهملة والواو المفتوحة فدال
٦٦٢	٢٢	مذكر بن ثفيل القويد	مذكر بن ثُفَيِّل العويد ـ بضم الثاء وفتح الفاء ثم ياء مثناة مشددة فلام .

حول قبيلة سبيع

قرأت ما كتب به الأخ فهيد بن عبدالله بن تركي السبيعي س ٢٤ ص ٦٥١ من مجلة «العرب» فلاحظت في هذا المقال :

عند ذكر المشاعبة من آل عُمَيْر الفرع الذي انتسب إليه من القبيلة لم يذكر الأخ: -

١ - آل مسيرة والجماعين.

٢ - العودة وآل خضر والخصاوين بيوت قليلة العدد وليست بأفخاذ، وكلهم ينحصرون في فخذ من فرع المشاعبة، وإليك تفصيل المشاعبة - واحدهم مشعبي - وهم خمسة أفخاذ:

١ - المسيرة: وكانت المشيخة سابقاً عندهم على قبيلة المشاعبة، حيث كان أميرهم كَمِيٌّ الطارش ثم من بعده فريج بن جخيان ومنهم الشاعر الشعبي المعروف خدعان، وفيهم الآن النائب محمد بن راجح بن مقحم.

٢ - النوابت: وفيهم الآن مشيخة قبيلة المشاعبة، حيث الشيخ مذكر بن ثُفَيِّل العويد، ومن فرسانهم وشجعانهم: مفرج العويد والقريني اللذان تقول فيهما الشاعرة رجحا السعدية الأكلبية:

الله يـورينـا القـريـني عـين وَإلاَّ العـويـد مفرج بـالـراس
من شان نقضي به رموس الدين نَجْلى العمسْ من خاطر مِحْسَاس

٣ - آل مسفر: ومنهم الشاعر محمد بن منيس.

٤ - الجماعين: ومنهم ابن حريمل الفارس المغوار وله قصص وشعر.

٥ - الحجلة: ومنهم ابن داهم المشهور بالكرم.

والمشاعبة تسكن في بيشة خاصة في عطف الجبرة وحليبة والرقيطاء وعقيلان ماعدا فخذ الجماعين ففي الأملح من رنية، ومنهم من يعيش في البادية أصحاب إبل.

أما عن السهول: فمنهم نزيعة من المشاعبة وهم لا ينكرون ذالك، وهم ممن يعتز بهم وهم:

١ ـ آل محيميد من السهول وأميرهم ابن جلعود، وهم من المشاعبة من فخذ المسيرة.

٢ ـ آل عبيد من السهول وهم من فخذ الجماعين من المشاعبة.

٣ ـ الزقاعين من السهول وهم من فخذ المسفر من المشاعبة.

٤ ـ آل منجل من السهول وهم من فخذ النوابت من المشاعبة.

٥ ـ المخلف من السهول وهم من فخذ الحجلة.

ومما يدل على أن السهول نزيعة من المشاعبة قول أميرهم ابن جلعود من قصيدته المشهورة التي لا يحضرني منها إلا هذا البيت:

حِنّ مشاعبة ولا حن بالهفايا تِرْثَةَ الأجواد من نسل مسيرة

الحرس الوطني ـ جدة: عبدالله بن سعد السبيعي

آل بطي من الأساعدة

بعث إلى «العرب» الأخ سليمان بن علي الأسعدي العتيبي رسالة مفصلة عن سكان بلدة بقعاء في منطقة حائل، وأنه لم يرد ذكر لأنسابهم في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» وقد ذكر أنهم من الأساعدة من قبيلة الروقة من عتيبة وذكر من تلك الأسر:

١ ـ آل بطيان في ضِرَاس إحدى قرى بريدة ويعرفون بلقب البطي، وفي بريدة باسم (البقعاوي) ومن الأسر القريبة منهم:

١ ـ عائلة الدخيل القبلان
٢ ـ عائلة المسيطير
٣ ـ عائلة الفوزان سكان خضيراء
٤ ـ عائلة المطلق سكان خضيراء
٥ ـ عائلة القرياني.
٦ ـ عائلة الذكير
٧ ـ عائلة الرشودي
٨ ـ عائلة الشلاش
٩ ـ عائلة القنامي

١٠ ـ عائلة الصقري

وأرفق الأخ سليمان برسالته ورقة موقعة من أمير بلدة نفي الأمير عبدالله بن عمر بن ربيعان مؤرخة في ٢٥/٧/١٤٠٢هـ تؤيد أن سليمان بن علي بن بطي أسعدي من عتيبة.

ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه؟!

سأل أحدُ القراء عن قائل هذا البيت:

وسائِلَةٍ أَيْنَ ارْتِحَالي وَسَائِلٍ؟ وَمَنْ يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ أَيْنَ مَذَاهِبُهْ؟

«العــرب»: هذا البيت من مقطوعة لأبي النشناش المخربي التميمي، وكان من مُلأَّصِ بني تميم، أي الذين يتعرضون لطرق القوافل، فظفر به بعض عمال مروان بن الحكم فحبسه وقيده، ثم تمكن من الهرب، ويظهر أنه أُمسِك مرة أخرى، وقتل كما يفهم من قصته التي أوردها صاحب «الأغاني» - ١٢/١٦٧ - طبعة الثقافة، والمقطوعة هي على مانقل البلبيسي في «الأنساب» رسم - المخربي - عن «نوادر ثعلب» وأورد صاحب «الأغاني» مع اختلاف في بعض الكلمات:

وسائلةٍ أَيْنَ ارْتِحَالِي وَسَائِلٍ وَمَنْ يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ أَيْنَ مَذَاهِبُهْ؟
مَذَاهِبُهُ أَنَّ الْفِجَاجَ عَرِيْضَةٌ إِذَا ضَنَّ عَنْهُ بِالنَّوَالِ أَقَارِبُهْ
وَطَامِسَةٍ الْأَعْلَامِ مَخْشِيَّةِ الرَّدَى سَرَتْ بِأَبِي النَّشْنَاشِ فِيْهَا رَكَائِبُهْ
وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنْ قُعُوْدِهِ عَدِيْماً ومِنْ مَوْلًى تَدِبُّ عَقَارِبُهْ
إِذَا هُوَ لَمْ يُسْرِحْ سَوَاماً وَلَمْ يُرِحْ عَلَيْهِ وَلَمْ تَعْطِفْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهْ
فَدَعْ عَنْكَ مَوْلَى السُّوْءِ وَالدَّهْرَ إِنَّهُ سَتَكْفِيْكَهُ أَيَّامُهُ وَنَوائِبُهْ
وَيَكْفِي عَدُوًّا مَنْ سِوَاكَ يَرُدُّهُ إِلَيْكَ فَتَلْقَاهُ وَقَدْ لَانَ جَانِبُهْ
وَلَمْ أَلْقَ مِثْلَ الْفَقْرِ ضَاجَعَهُ الْفَتَى وَلَا كَسَوَادِ اللَّيْلِ أَخْفَقَ صَاحِبُهْ

الصفوق من المحانية من مطير

كتب الأخ بجاد بن محمد الصفق في إدارة التعليم في شقراء إلى «العرب» ما ملخصه:

يسرني أن أبعث لكم تعريفاً عن أسرة (الصفُوق) - مفردها (الصَّفْق) - وأنا أحد أفرادها. منهم من يسكن الْعَمَار بمنطقة القصيم، ومنهم من يسكن مدينة شقراء منذ أكثر من ٤٠ عاماً وقسم يسكن مدينة الرياض، وهم من المحانِيَةِ من فروع ذوي عون من بني عبدالله من قبيلة مُطَير، وجَدُّ الصفوق والذي عليه التسمية (لَفَّايْ) وله من الأبناء خمسة هم: صقر، ومرزوق، وعلي، وضاحي، ومُضْحِـي، وهو لَفَّاي بن مرزوق بن بشر بن بشير، وبشير جد المحانية وهو أخٌ لجبرين جد الجبارية من الأب، وينتسبون إلى سُوَيْعد من ذوي عون من بني عبدالله (القبيلة الغطفانية) من مطير.

حول كتاب «جمهرة أنساب الأسر»:

آل مغيرة والفضول

كتب الأستاذ الكريم محمد بن عبدالله بن فهيد إلى مجلة «العرب» ما ملخصه:

١ ـ ذكرتم أن (آل مغيرة) من (الفضول) والفضول من (بني لأم) من (طـيْ).

والذي عرفته من خلال قراءتي ومما أسمعه من كثير من المتكلمين في أنساب القبائل أن (آل مغيرة) و(الفضول) و(الكثران) إخوة، وجميعهم من بني لأم من طـيْ.

بل جاء في كتابكم «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ٢/٤٧٠ من الطبعة الثانية ما يشير إلى ذالك وهو: (ولا يعرف الآن من الأسر المتحضرة في نجد

من ينتسب إلى القبيلة ٱلأُمِّ (طيء)، وماهو معروف ينتسبون إلى (شَمَّر) وإلى (بني لأم) كالفضول وآل كثير وآل مغيرة. .) انتهى. وقد حيرني هذا الاختلاف ولاسيما وأنني طالب حقيقة، وأنتم من أهل هذا الشأن.

٢ ــ لم يرد في كتابكم المذكور ذكر لأسرتين معروفتين من آل مغيرة:

أولاهما: أسرة (آل طِرّاد) ـ بالمهملات على وزن كتاب ـ أهل فرعة الحوطة بوادي يُرَيْكٍ، وهم أسرة معروفة ومشهورة في الحوطة، ومذكورون في بعض المصنفات كـ «المنتخب» للمغيري و«الكنز» للحقيل وغيرهما.

ولتلك الأسرة ممثل لدى قبيلة (آل مغيرة) وهو الشيخ عبدالله بن علي آل طِراد.

والأخرى: أسرة (آل هِنْدِي) أهل السَّلَمية بالخرج، وهم مشهورون بها ومذكورون في بعض المصنفات، ولهم ممثل لدى قبيلة (آل مغيرة) وهو الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الهندي.

«**العــرب**»: تقدم للأستاذ الكريم جزيل الشكر وتأمل أن يلاحظ مؤلف الكتاب عند إعادة طبعه ذكر الأسرتين الكريمتين.

أما عن نسبة آل مغيرة إلى الفضول، فمن المعروف عند العرب منذ القدم الانتساب إلى الأخ وإلى ابن العم عندما تطغى شهرة احدهما، ولايزال هذا معروفاً إلى عهدنا الحاضر.

ولكن بعض المتقدمين من علماء النسب أشاروا إلى أن آل مغيرة يعدون في آل مراء وآل مراء إخوة آل فضل [انظر «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري]، ولهذا ينبغي تصحيح ماورد في مطبوعة كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» بِعَدِّ آلِ مُغيرة وآل فضل وآل كثير من بني لأمٍ.

[رأى بعض الإخوة من القراء أنَّ ماتنشره «العرب» في هذا الباب عن إخبار بما يصدر من الكتب يأتي متأخراً عن وقته، لتأخر صدور أجزاء المجلة، وحَبَّذ الاكتفاء بالتعريف ببعض تلك الكتب مع التعليق على ما يحتاج إلى تعليق فيه فتكون الفائدة مزدوجة، وعلى هذا ستسير المجلة في مستقبلها].

* **الأشــــــراف:**

وأتحفني الأخ الكريم محمد بن فهد الحمدان صاحب (مكتبة الرشد للنشر والتوزيع) في الرياض بنسخة من كتاب «الأشراف» للحافظ أبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا: (٢٠٨/٢٨١هـ) والذي قام بتحقيقه الدكتور نجم عبدالرحمن خلف، الأستاذ المساعد في الجامعة الإسلامية والباحث في مركز خدمة السنة والسيرة النبوية في المدينة المنورة.

ومؤلفات ابن أبي الدنيا - وإن كانت الصبغة الدينية تطغى عليها - إلا أنها تحوي معلومات واسعة ونصوصاً تتعلق بالأدب والتاريخ وغيرهما مما لا نجده في كثير من المصادر التي بين أيدينا، كما تحوي مقطوعات شعرية لشعراء متقدمين، ولهذا تعد مؤلفات ابن أبي الدنيا مع إيجازها من المصادر الأولى للثقافة العربية الشاملة.

وقد عُني في كتابه «الأشراف» بجانب مهم مما يعد من مقومات الأخلاق، فقد حاول أن يورد في هذا الكتاب نصوصاً وأشعاراً تتعلق بالصفات التي بها يَشْرُفُ الإنسان، وكما ألَّف البلاذري أحمد بن جابر المتوفى سنة ٢٧٩ المعاصر لابن أبي الدنيا كتاب «أنساب الأشراف» أو «معاليم الأشراف» فإن البلاذري في هذا الكتاب - وإن استرسل في سرد أنساب القبائل العربية - إلَّا أن الغاية عنده هي التبسط في تراجم من شرفوا بأفعالهم أو أخلاقهم وأحسابهم، ولهذا فهو عندما يعرض له أحدهم يتوسع في الحديث عنه وليس هكذا ابن أبي الدنيا، فإنه لم يعن بالأشخاص أنفسهم وإنما عني بذكر الصفات التي يتحلى بها كل شريف، وإن لم يكن ذَا نَسَبٍ.

وكتاب ابن أبي الدنيا موجزٌ جِدًا، على نمط مؤلفاته الأخرى، فهو في إحدى مخطوطاته لا يبلغ مئتي صفحة.

وقد توسع المحقق في التعليق على هذا الكتاب فأورد له مقدمة تقع في ٩٥ صفحة وتلاها متن الكتاب (من ص ٩٧ إلى ٣٤٠) في نحو مئتين وأربعين صفحة، ثم الفهارس التي بلغ بها الكتاب ٤٥٤ صفحة، والطباعة حسنة، إلا أن طريقة الإخراج ليست متقنة وقد صدر هذا العام (١٤١١هـ).

ومع ما بذله المحقق الفاضل من عناية برزت آثارها بكثرة الحواشي ومنها مالا محل له إلا أن أوهاماً كثيرة وقعت في أصل الكتاب، وهناك عبارات كثيرة أيضاً وردت فيه غير مفهومة مما يدل على عدم مطابقتها للأصل الصحيح.

ومن الصعوبة بمكان محاولة تصحيح جميع ذالك، ولهذا فسأكتفي بإشارات موجزة عن بعض ماعرض لي:

الأولى: اسم الكتاب: «الإشراف في منازل الاشراف».

كان مما وقفت عنده أثناء تصفح هذا الكتاب الاسم، فما علمت أن متقدمي العلماء من أهل القرن الثالث فما قبله يستعملون السجع في أسماء مؤلفاتهم، ومع أن المحقق الكريم حاول أن يثبت صحة هذه التسمية حين قال في المقدمة ـ ص ٢٠ ـ: (عنوان الكتاب وصحة نسبته لابن أبي الدنيا: اتفقت المصادر التي تعرضت لذكر مصنفات ابن أبي الدنيا على تسمية الكتاب تسمية واحدة، فأسموه كتاب «الإشراف في منازل الأشراف»، وقد يختصر البعض فيكتفي بقوله كتاب «الاشراف». وهذه التسمية ثابتة على طرة نسخة تشستربيتي، ونسخة الظاهرية الخطيتين، وكذا في ثبت السماعات. وقد تفردت نسخة مكتبة تشستربيتي الخطية بتفصيل العنوان، فجاء بطوله على طرتها). انتهى.

وهنا تساؤل: كيف يصح التعبير بكلمة: (اتفقت المصادر)؟!

فالإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» سماه «الأشراف»، وأوثق مخطوطة اعتمد عليها المحقق ـ وهي نسخة الظاهرية ـ ورد اسم الكتاب فيها مكررًا:

كتاب «الأشراف» في الطرة وفي سماعات الجزء الأول، كما أن النسخة الثانية التي قال المحقق الفاضل: إن العنوان ورد بطرتها في طوله، لو أمعن النظر لوجد أن كلمة (في منازل الأشراف) ملحقة وليست بخط كاتب الأصل، يضاف إلى هذا أننا حين نستعرض أسماء كتب ابن أبي الدنيا لا نجد بينها اسماً مسجوعاً، وقد أوردها الحافظ الذهبي مرتبة على حروف المعجم - «سير أعلام النبلاء» - ١٣/٤٠١ - وسمى من بينها «الإشراف» بدون سجع، كما سردها صاحب «الفهرست» ومن بعده صاحب «هدية العارفين» ١/٤٤٢ - ولم يرد بينها اسم مسجوع، وليت المحقق ذكر من مترجمي المؤلف من أورد اسم كتابه مسجوعاً، فجل مترجميه لم يذكروا الكتاب بين مؤلفاته.

الإشارة الثانية: هناك نصوص لا يعذر المحقق الكريم - وهو باحث في مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - أن يقف منها موقفه في هذا الكتاب، مثل:

أ ــ ص ١٦٨ : (أن الحسن كان يقرأ (أَمَّرْنَا مترفيها) يريد: أكثرنا).

بصرف النظر عن عدم السير على الطريقة المعروفة من وضع الآيات القرآنية داخل قوسين مُمَيَّزَيْنِ ﴿ — ﴾ إذ المحقق لم يسر على استعمال علامات الترقيم المعروفة لا في الآيات ولا في الأحاديث النبوية - بصرف النظر عن هذا فقد أورد قراءة الحسن وفق قراءة الجمهور، ولو كانت كذالك لما خصصها المؤلف بذكر، ولو رجع إلى كتب القراءات أو إلى كتب اللغة لوجد أن قراءة الحسن تخالف قراءة الجمهور فقد قال الفراء: (وقرأ الحسن ﴿ آمَرْنا مترفيها ﴾ وروى عنه (أَمِرْنَا) على مثال عَلِمْنَا أي أكثرنا، واستدل الجوهري على هذا المعنى بالأثر: «خير المال سكة مأبورة، أو مهرة مأمورة» - انظر «لسان العرب» رسم (امر) -.

ب ــ ص ١٧٦ : (سئل ابن عباس: «قد جعل ربك تحتك سريا»، قال: أما سمعت بقول القائل:

سلام ترى الدالي منه أزورا إذا يعج في السرى هرهرا)

هذا البيت لا يستقيم وزناً، ولو رجع إلى مظانه من الكتب لوجد أن صوابه:

سَلْم ترى الداليَ منه أزورا إذا يَعُبُّ في السَّرِيِّ هَرْهَرا

ـ انظر «تهذيب اللغة» للأزهري ٥/٣٦١، و«لسان العرب» رسم (هرهر).

جـ ـ ص ٢٧١ : (سمعت أبا عمرو بن العلاء يقرأ «وإذا مسهم طائف من الشيطان» وقال: أما سمعت قول حسان بن ثابت). ثم أورد بيتين من شعره.

هذه القراءة التي وردت في المطبوعة هي قراءة الجمهور، وقراءة أبي عمرو ﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ وفسر أبو عمرو (الطيف) بالوسوسة، كما في «تفسير ابن جرير» وهو هنا استدل بقول حسان:

جِنِّيَّةٌ أَرَّقَنِي طَيْفُهَا تَذْهَبُ صُبْحاً وَتُرَى في الْمَنَام

ولم يدرك المحقق الفاضل الفرق بين قراءة أبي عمرو وقراءة الجمهور.

د ـ ص ٣١٦ : (قال: ألا ترى أنه لقد جاءهم رسول منهم) بعد إيراد الآية الكريمة: ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً ﴾.

وصواب الجملة: ألا ترى آية: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُوْلٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوْهُ ﴾ أي أن هذه الآية تفسير للآية التي قبلها.

هذه أمثلة تتعلق بالقرآن الكريم.

هـ ـ ص ١٦٠ : (عن أنس أن النبي ﷺ أتى بتمر فجعل يأكل منه ويبقي منه الشيء).

أي معنى لهذا الحديث بهذه الصورة؟!

كان ينبغي على المحقق الفاضل أن يرجع إلى مظانه في كتب الحديث ليجد مثلاً في «تهذيب سنن أبي داود» ـ ٥/٣٣١ ـ: «عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أُتِـي النبيُّ ﷺ بتمر عتيق فجعل يفتشه يخرج السوسَ منه».

إذَنْ فابن أبي الدنيا روى الحديث بالمعنى (وينقي منه السوس)، وبهذا يتضح المعنى، وأنه لابأس بأكل التمر الْمُسَوَّس.

و ـ ص ١٨٩ : حديث عمر بن الخطاب أنه لما انصرف من الصلاة (قال: أعْزم على صاحبها الإمام فتوضأ وأعاد الصلاة).

ما معنى هذا ؟! إن صواب الخبر: (أعْزِمُ على صاحبها إلاَّ قَام فتوضأ) وهو خبر رجل أحدث في صلاته.

ي ـ ص ١٢٠ : ومما يتعلق بعلماء الحديث والمحقق الفاضل كما يتضح مما علق به في التراجم قد عُني بهذا الجانب ولكن فاته أشياء : -

ص ـ ١٢٠ : (قال سمعت هاشم بن الكلبي، قال: الحسين مولى امرأة من الأنصار) وعلق المحقق: (كذا في الأصل!! ويبدو أن في النص نقصاً).

والصواب: هشام بن الكلبي يقول: الحسن مولى امرأة من الأنصار.

والحسن هذا هو البصري العالم المشهور.

ص ٢١٢ : (عن سلمة بن وهدام عن عكرمة).

(وهدام) هنا صوابه (وهرام) وهو سلمة بن وهرام اليماني الذي يروي عن عكرمة - انظر «تهذيب التهذيب» ٤/١٦١ .

هذه أمثلة مما لا يعذر المحقق بالجهل به، وهو من المعنيين بالسيرة النبوية.

الإشارة الثالثة: أمَّا ماقد يُعْذَرُ فيه مما يتعلق بالنصوص الأدبية أو اللغوية فهذا مما يصعب حصره، وسأكتفي بذكر ما اتضح - إذا ظهر - لي وجه الصواب فيه، ومالم يتضح وجه معناه ولا وجه صوابه فقد يحتاج إلى دراسة واسعة، مع مراجعة مخطوطة (الظاهرية) التي قد تكون أصح مما اتخذه المحقق أصلاً، وهو مخطوطة (جستربتي) وقد رجعت إلى مصورتها فوجدتها كثيرة الخطإ، وهاهي أمثلة مما حاولت تصحيحه وجُلُّه من أخطائها، أو من (التطبيع):

١ ـ ص ١١٨ : (فقال ابن الزبير:

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي مازودتني زادي)

وعلق المحقق: أنَّ ابن حجر أورده في «الإصابة» في ترجمة خالد بن الوليد،

وقد استشهد به طلحة بن عبدالله في حق خالد.

وفات المحقق إدراك أنَّ هذا البيت ليس لابن الزبير، بل لِعَبِيْدِ بن الأبرص كما في «الأغاني» ٤١٨/٢٣ طبعة الثقافة ـ بيروت، وديوانه، ص ٥٧ جمع الدكتور توفيق أسعد برواية: (لا أعرفنك).

٢ ـ ص ١١٩: (رجلا أحمر من حمدان).

الصواب: رجلا أحمر من همدان.

٣ ـ ص ١٢٤: عارف اللحم.

الصواب: عارق اللحم ـ بالقاف.

٤ ـ ص ١٤٣: (تهوة تترك في الحلم).

الصواب: قهوة تترك في الحلم.

٥ ـ وفي الصفحة نفسها:

(من أباريق تراها لثما تمر عكافا)

وصواب البيت:

من أباريق تراها لُثَّمًا ثُمَّ عِكَافا

٦ ـ وفي نفس الصفحة: (بنو مجد تيم بن غالب).

الصواب: بنو مجد بنت تيم بن غالب ـ كما في المخطوطة ـ.

٧ ـ ص ١٤٩: (فحفظت من قوله: ينازعها خالد استةٌ وتنازعه).

وعلق المحقق مستشكلاً الكلام بقوله: (كذا هي في النسختين).

والصواب: فحفظت من قوله:

يُنَازِعُها جِلْدَ اسْتِهِ وتنازعه

انظر «ديوان حسان» ١٣١/١ ـ وهو عجز بيت صَدْرُهُ:

فَقَدْ أَنْزَلَتْهُ بِنْتُ سَعْدٍ فَأَصْبَحَتْ

٨ ــ ص ١٥٠: (ولو رضيت رمح استه لاستقرت).

وعلق المحقق: (كذا في الأصل !!).

وعَجُزُ البيت صحيح كما ورد في كتاب «النقائض» - ٨٠٥ - في خبر طويل عن التجاء النوار زوج الفرزدق إلى ابن الزبير وأنَّ ابْنَ الزبير قال:

أَلَا تِلْكُمُ عِرْسُ الْفَرَزْدَقِ جامِحًا وَلَوْ رَضِيَتْ رُمْحَ اسْتِهِ لَاسْتَقَرَّتِ

على أنَّ البيت ورد منسوباً إلى جرير في هجو الفرزدق ونصه:

أَلَا تِلْكُمُ عِرْسُ الْفَرَزْدَقِ جَامِحًا وَلَوْ رَضِيَتْ رَشْحَ اسْتِهِ لَاسْتَقَرَّتِ

انظر «ديوان جرير» ٨٨ جمع الصاوي.

٩ ــ ص ١٥٠: أورد ابن أبي الدنيا شعرًا لَسُحَيْمِ بن وَثِيْلٍ برواية الأصمعي، وهذا الشعر هو أول كتاب «الأصمعيات» ولو رجع المحقق إلى هذا الكتاب لما وقع في الشعر تحريف مثل: -

ان بداهتي وحراء حول

والصواب: إنَّ بَدَاهَتِي وجِرَاء حَوْلي

وقد فسر محققا «الأصمعيات» معنى كلمة (جراء) بكسر الجيم: المجاراة مصدر جاراه أي جرى معه.

١٠ ــ ص ١٥١: وأن قناتنا مشط شظاها.

والصواب: فإنَّ قناتنا مَشِظٌ شظاها - بالظاء المعجمة في الكلمتين - وقد فسرها صاحب «الأصمعيات» بقوله: يقال مسست شيئاً فَمَشِظَتْ يدي، وهو أَنْ تَمَسَّ جِذْعًا فيعلقَ في يدك شيء من شَظَاه.

١١ ــ ص ١٥١: (لم يبلغ احسابنا).

وعلق المحقق على هذا: (كذا في الأصل!)

وصواب الكلمة: لم نُلْغِ أَحْسَابَنَا.

١٢ ـ ص ١٨٤: (إذا جاء يوما حل في مالنا نذر).

والصواب: إذ جاء يوما حل في مالِنا نزر ـ والنزر القلّة أي لم نتعلّلْ بقلّة مالِنا.

١٣ ـ ص ١٨٥:

(إذا أنـا دلاتي الـذين أحبهم بملحـودة زنـخ جـوانبهـا غـبر)

والصواب:

إذا أنـا دَلَّانِي الَّذِيْنَ أُحِبُّهُم بِمَلْحُودَةٍ زَلْجٍ جَـوَانِبُهَـا غُـبْرُ

١٤ ـ ص ١٨٥: (وكلا سقانا بكأسها الدهر).

وهذا لا يستقيم وزناً، والصواب كما في «ديوان حاتم»:

وكُلًّا سَقَانَاهُ بِكَأْسِهِـمَا الدَّهْرُ

١٥ ـ ص ١٩٣: (عن شرفي بن قطامي).

الصواب: عن شرقي بن قطامي ـ بالقاف ـ وهو أخباري معروف.

١٦ ـ ص ١٩٧: (سوادة بن عامر).

الصواب: سواءة بن عامر ـ بالهمز لا بالدال ـ

١٧ ـ ص ١٩٧:

(كثير لغم تـراك، لا معجب بها تواسع من اخلاقه وتوجدا)

وصواب البيت:

كَثِيْرٌ (نَعَمْ) تَرَّاكُ (لَا) مُعْجَبٌ بِـهَا تَـوَاسَـعَ مِنْ أَخْـلَاقِـهِ وَتَجَـوَّدَا

١٨ ـ ص ٢١٠: (ولم يطلب التراث بمثل تميم).

وعلق المحقق: (في الأصل: (تطلب) والتصويب من عندنا).

ولكن تصويب المحقق خطأ، إذ الصواب: ولم تُطْلَبِ التِّرَاتُ بِمِثْلِ تميم.
والتِّرَاتُ جمع ترة كما هو معروف.

١٩ ـ ص ٢١١: (انا ابن بطحاء مكة كديا فكداها).

والصواب: أنا ابن بطحاء مكة كُدَيِّها وكَدَائها.

وكُدَيٌّ وكَدَاءُ موضعان معروفان في مكة.

٢٠ ـ ص ٢١٣:

(يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا ماالستثقلت بالكافرين المضاجع)

عجز البيت ليس مستقيمًا، وصوابه:

يَبِيْتُ يُجَافي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْكَافِرِيْنَ الْـمَضَاجِعُ

٢١ ـ ص ٢١٨: (قال لدابته عدي فقبضت على لجامه).

(عدي) تصحيف كلمة (عَدَسْ) وهي كلمة تُزْجَرُ بها البغال.

أما كلمة (لجاء) الواردة في هذه الصفحة فصوابها (لجأ) الهمزة ليست مفردة، وشعر عمر بن لجإ في أوله تحريف ولعل صوابه:

يجوب البلاد لكسب الفخار

٢٢ ـ ص ٢٢٠: (أن اياس بن معاوية لما استقضى أباه الحسن).

الصواب: أن إياس بن معاوية لما استقضي أَتَاهُ الحسن.

وفي الصفحة نفسها: (ورجل ماله به الهوى).

والصواب: ورجل مال به الهوى.

٢٣ ـ ٢٢٢: (تطاول هذا الليل ما تمري كواكبه).

ولعل الصواب حذف (ما).

وفي الصفحة نفسها: (بدا قمرا في ظلمة الليل حاجبه).

وفي المخطوطة: بدا قمر - ومعناه مستقيم.

٢٤ ــ ص ٢٢٣: (لا أجهز رجلا أكثر من ستة أشهر).

وفي المخطوطة: (لا أُجَمِّرُ) الخ، والتجمير: إبقاء الجند في ثغر العدو، دون الإذْنِ لهم بالقفول إلى أهلهم، وروى الربيع أن الشافعيَّ أنشده:

وَجَمَّرْتَنَا تَجْمِيرَ كِسْرَى جُنُودِهِ ... وَمَنَّيْتَنَا حَتَّى نَسِيْنَا الْأَمَانِيَا

٢٥ ــ ص ٢٢٥: (فرس معلمة محذقة).

صواب (محذقة): (محذفة) بالفاء بعد الذال - أي مقصوص من شعر أذنابها.

٢٦ ــ ص ٢٢٥: (ماكل مايعطى الغَنِيُّ يبتني العلى).

كذا ورد صدر البيت، ولعل صوابه:

ما كل مَنْ يُعْطَى الْغِنَى يَبْتَنِي الْعُلَى

٢٧ ــ ص ٢٢٨: (لما استباح يحيى بن محمد بن علي الموصلي، عدا رجل من أصحابه) إلى آخر الخبر ولم يرد ذكر المستباح.

وصواب العبارة: لما استباح يحيى بن محمد بن علي بن عبدالله الموصل. إذ يحيى هذا عباسي جده عبدالله بن العباس، وقد استباح الموصل في عهد السفاح سنة ١٣٣، وتفصيل ذالك في كتاب «تاريخ الموصل» ص ١٤٥ - ١٥٠ والقصة فيه كاملة.

٢٨ ــ ص ٢٣٠:

(وعليك من حالاه واحدة ... في العسر ما كنت واليسر)

يستقيم عجز البيت بزيادة (إمَّا) قبل (كنت) كما في الأصل و(حالاه) صوابها (حَالَيْهِ).

٢٩ ــ ص ٢٣٤: (إذا المرء لم يطلب معاشا).

مختل الوزن وصوابه كما في المخطوطة:

إذَا مَا الْـمَرْءُ لم يطلُبْ معاشا

٣٠ ــ ص ٢٣٦ : (وكنا نستطيب إذا مرضنا).

الصواب: (وكنا نَسْتَطِبُّ إذَا مرضنا).

وفي الصفحة نفسها: (واني لايكن للكريم الذي أرى).

ولعل الصواب: (واني لأَرْثِـي لِلْكَرِيم الذي أرى).

وفيها أيضًا: (وأرى له من موقف عند بابه).

والصواب كما في المخطوطة:

وأرْثِـي لَهُ مِنْ مَوْقِفٍ عِنْدَ بَابِهِ

٣١ ــ ص ٢٣٧ : (في يدِ احدهما محجز).

الصواب: في يدِ احدهما محجن. وهي العصا المعكوفة الرأس.

٣٢ ــ ص ٢٣٨ : تكررت كلمة (الأرجاء) في هذه الصفحة ثلاث مرات.

والصواب: (الأرحاء) جمع (رحى) ويقصد بها هنا القبائل التي تستقل بنفسها وتستغني عن غيرها كما في «اللسان» رسم (رحا) وقال ابن عبد ربه في «العقد الفريد» ٣/٢٨٩ ط دار الكتب في بيروت: إنما سميت أرحاء لأنها أحرزتْ دُوْرًا ومِيَاهًا لم يكن للعرب مثلها، ولم تبرح من أوطانها، ودارت في دورها كالأرحاء على أقطابها، إلاَّ أنْ ينتجعَ بعضُها في الْبُرَحَاءِ وعام الجدب وذالك قليل منهم.

٣٣ ــ ص ٢٣٩ : (وان القفا: ربيع)

وان القفا ربيعة.

وفي الصفحة نفسها: (بنو نهش).

وهي: (بنو نهشل).

٣٤ ــ ص ٢٤٢ :

(يارسول المليك ان لساني زائق   مــا فـتـفـت إذًا أنـــا بـــور)

والصواب:

يـارَسُـولَ الْـمَلِيْـكِ إِنَّ لِسَـانِـي   رَاتِقٌ مَـا فَتَقْتُ إِذْ أَنَـا بُـوْرُ

٣٥ ـ ص ٢٤٥: (شبر من المشابر حين يشبر).

والصواب: شِبْرَيْنِ لِلشَّابِرِ حِيْنَ يَشْبِرُ.

٣٦ ـ ص ٢٤٦: (أربعين عناقا).

صوابها: أربعين عِنَانًا - أي فرسًا -

٣٧ ـ ص ٢٤٧: (من فارس كره الكُماة يصرني).

الصواب: مَنْ فَارِسٌ كَرِهَ الْكُمَاة يُعِيْرُنِـي.

٣٨ ـ ص ٢٥١: (كما تفصل الفخذ من سائر الجذور).

وكلمة (الجذور) صوابها (الجزور) بالزاي - وسيأتي الخبر - ٢٩٤ -

٣٩ ـ ص ٢٥٢: (تطن في حقة).

وهي: قطن في حقة.

وفي الصفحة:

فــان اضــطـر إلـيــه   رأى مـنــه مــا يسـؤه

والصواب:

فــان اضــطـر إلـيــه   رَاءَ مِـنْـهُ مَـا يَسُـوْءُ

٤٠ ـ ص ٢٥٣: (لاتراني آخر الدهر   تسال افؤه).

وعلق المحقق: (كذا وقع في الأصل).

والذي في الأصل:

لَا تَــرَانِــي آخِــرَ الــدَّهْــ ـــرِ بِــتَــشْـــآلٍ أُفَـــوُهُ

٤١ ـ ص ٢٥٤: (حسب سعيد بن سروق).

وهو: سعيد بن مسروق، مترجم في «تهذيب التهذيب».

٤٢ ـ ص ٢٥٥: (اجيب إذا المولى اعتز بي اين يشعب).

والصواب: أُجِيْبُ إِذَا الْـمَوْلَى اعْتَزَى بِـيَ يَشْعَبُ.

٤٣ ـ ص ٢٥٥: كتب المحقق الفاضل تعليقًا على ماورد في ص ٢٥٥ (انشدني أبو البداح لأخته الشُّمُوْس) ثم أورد لها شعرًا، فأوضح أن أبا البداح هو ابن عاصم بن عدي البلوي مات سنة عشر ومئة، وقال عن الشموس: (عفيرة بنت عباد من بني جديس شاعرة جاهلية) إلى آخر ماذكر.

كيف تكون أخت أبي البداح الذي عاش في القرن الأول الهجري هي الشاعرة الجاهلية؟!

لاشك أن الشموس البلوية هذه من أهل القرن الأول الهجري وهي من قبيلة بَلِيٍّ التي لاتزال معروفة في مساكنها القديمة في شمال الحجاز، وليست الشموس الجديسية التي عاشت في زمن الجاهلية.

٤٤ ـ ص ٢٦٠:

(ليس بغث الحديث إن نطقت وهـوى بنيهـا مستـــطرف أنف)

ولعل الصواب:

ليستْ بِغَثِّ الْـحَدِيْثِ إِنْ نَطَقَتْ وَهْــوَ بِفِيْهَــا مُسْتَـطْرَفٌ أُنُفُ

وفي الصفحة نفسها: (لما أتى سليمان بن عبدالملك بيزيد بن المهلب أبي مسلم، قال: اكتب مالك؟). مع تعليق للمحقق يستغرب كنية (أبي مسلم) ظَنًّا أنها ليزيد بن المهلب، مع أن كلمة (المهلب) في المخطوطة مضروب عليها.

وصواب العبارة: لما أُتي سليمان بن عبدالملك بيزيد بن أبي مسلم.

ويزيد هذا غير يزيد بن المهلب، هذا كان ولي خراج العراق للوليد بن عبدالملك سنة ٩٥، وعزله سليمان سنة ٩٦ وقتل سنة ١٠٢ واليًا على افريقية - انظر «تاريخ ابن جرير» ٤٩٣/٥ - ٦١٦.

٤٥ ـ ص ٢٦٢:

(مـا وجهي يرد عـزب لسـاني   دون مـاقـد أردتم من بيـاني)

وصواب البيت:

مَاءُ وَجْهِـي يَرُدُّ غَـرْبَ لِسَانِـي   ــــــــ الخ.

وفي الصفحة نفسها: (والمكافئون بابتذال اللسان).

هذا غير مستقيم وزنًا وصوابه كما في المخطوطة:

والْـمُكَافُوْنَ بِابْتِذَالِ اللِّسَانِ

٤٦ ـ ص ٢٦٧: (سكا تحسبها نعامه).

والصواب: سَكَّاءُ تَحْسِبُهَا نَعَامَهْ.

وفيها أيضًا: (وشرت بردا ليتني).

ولعل الصواب: وشريت بردا ليتني.

وفيها:

هـامـه تـدعـو صـدى   بـين المـشـهـر فـالـيـمامـه

والمعروف:

أو هـامـة تَـدْعُـو صَـدًى   بَـيْنَ الْـمُـشَقَّـرِ وَالْـيَمَـامَـة

٤٧ ـ ص ٢٦٨: (أو كان لي مألفا وكنت له).

وفي المخطوطة: وكان لي مألفا وكنت له.

٤٨ ـ ص ٢٧١: (ياصاح حسان رسوم المقام).

والصواب: (مَا هَاجَ حَسَّانَ رُسُومُ الْـمُقَامْ).

كما في «ديوانه» ص ١٠٦.

٤٨ ـ ص ٢٧٧:

(ألا لاتميسي في ثيابك والبسي   وشـدي فـوق ذاك بمـنـطق)

عجز البيت مختل الوزن ويستقيم بإضافة كلمة (أَبِيًّا) في أوله كما في المخطوطة.

٤٩ ـ ص ٢٧٨: (فخذي لأخر نحو أهلك تقبل).

وكلمة (تقبل) صوابها (مقبل) في المخطوطة، ويبقى الشعر مختل المبنى والمعنى.

وفي الصفحة نفسها: (مفهفهة الأعلى رداح المورز)

والصواب: مُهَفْهَفَةُ الْأَعْلَى رَدَاحُ الْـمُؤَزَّرِ.

٥٠ ـ ص ٢٨٦: (مَذْربة).

والصواب: (مُذَرَّبة) ـ بضم الميم وفتح الذال بمعنى (محددة) والبيت من قصيدة أوردها ابن هشام في «السيرة النبوية» ٢/١٣٣.

٥١ ـ ص ٢٨٧: (أول من خد الأخدود: نَوَّاس).

الصواب: أول من خَدَّ الأُخدود: أَبو نُوَاس ـ بضم النون وفتح الواو مخففة وهو الملك الـحِمْيَرِيُّ الذي خد الأخدود في نجران، فأحرق فيه المؤمنين كما في سورة (البروج).

٥٢ ـ ص ٢٨٩: (وكنت جباري).

الصواب: (وكنت حُبَارَى) أي جبان، وطير الـحُبارى يضرب به المثل في الجبن.

وفي الصفحة نفسها: (فر من رجف).

والصواب: (فَـرَّ من زَحْف).

٥٣ ـ ص ٢٩٤ : (كما يفصل الرجلُ من سائر الجزور).

والصواب: (كما تُفْصَلُ الرِّجْلُ من سائر الجزور).

٥٤ ـ ص ٢٩٨ : (فناداه).

والصواب: (فنادوه) إذ هم جماعة.

٥٥ ـ ص ٣٠٢ : (والقرقنية بالفلفل).

والصواب: (والقرقفية بالفلفل) والقرقفية معروفة.

٥٧ ـ ص ٣٠٤ : (عليما بموت الأحنف الخير ذَاخِرٍ).

والصواب: عليم بموت الأحنف الخير ذَا خُبْرِ.

٥٧ ـ ص ٣٠٦ : (يمينك فانظر أي كف تبذل).

لا أدري كيف اختار المحقق كلمة (تبذل) على كلمة (تُبَدِّل) ـ بتشديد الدال المهملة ـ التي بها يستقيم الوزن، وقد عرفها في «نوادر القالي».

وفي الصفحة: (إذا لم يكن صفحة السيف معدل).

والصواب: إذا لم يكن في صفحة السيف معدل.

٥٨ ـ ص ٣٠٧ : (أغر أروع يهادل أخو ثقةٍ).

والصواب: أغر أروع بُهْلُولٌ أَخُو ثقةٍ.

وفي الصفحة نفسها: (يزيد ذا الشيب شيبه كرما).

ويستقيم البيت: يزيد ذا الشيب مِنْهُمْ شيبه كرما.

وفيها أيضًا: (أغنى بها أهل بيت انهم).

ويستقيم: أغنى بها أهل بيت إنْ هُـم افتقروا.

وفيها:

(وما صاحبت من قوم واخبرهم إلا يـزيـدهم حبـا إليَّ هم)

المعروف:

لم ألق بعدهم حيا فأخبرهم إلا يزيدهم حُبًّا إليَّ هُمُ

وهذا البيت لزياد بن حمل على مافي «حماسة أبي تمام».

٥٩ ـ ص ٣٠٨:

(كن كسليمان الذي قال الإله له كن في البرية فازجرها عن القَيْدِ)

وعلق المحقق: (غير واضحة في الأصل وما اثبتناه أقرب إلى الرسم في الأصل).

وصواب البيت:

إلاَّ سليمان إذْ قال الإلهُ لَهُ قُمْ في البرية فَاحْدُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ

من قصيدة النابغة الذبياني التي مطلعها:

يادار مية بالعلياء فالسند أقْوَتْ وطال عليها سالف الأمد

والخبر بطوله أورده صاحب «جمهرة أشعار العرب».

٦٠ ـ ص ٣٠٩: (لنا بيعة كانت تقينا فروعها).

والصواب كما في المخطوطة:

لنا نبعة كانت تقينا فروعها

وفي الصفحة: (وتنزل أخرى مرة ما تذوقها).

والصواب: وتَتْرُكُ أُخرى مُرَّةً ما نَذُوقُها.

وأبيات حارثة بن بدر فيها تحريف.

٦١ ـ ص ٣١٤: (حبذا محمدًا من جار).

الصواب ويه يستقيم الوزن:

يَاحبَّذَا محمدًا من جارِ

٦٢ ـ ص ٣١٥:

(إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وحالفهما في بيت نوب عوامل)

وصواب البيت:

إذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَـمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخَالَفَهَا فِـيْ بَيْتِ نُوْبٍ عوامِلِ

وهو لأبي ذؤيب الهذلي ـ انظر «شرح أشعار الهذليين» ص ١٤٤.

٦٣ ـ ص ٣٢١:

(وقولي وقد نالت لعيني حمولها بواكر تجدي لايكن آخر العهد)

والصواب:

وقَوْلِـي وَقَدْ زَالَتْ لِعَيْنِي حُمُولُهَا بَوَاكِرَ تُحْدَى: لاَيَكُنْ آخِرَ الْعَهْدِ

٦٤ ـ ص ٣٢٢: (ذعرا تنفر).

والصواب: (ذعراء تنفر) كما في المخطوطة.

وفي الصفحة نفسها: (إلام ما تلتفتون).

والصواب: حذف (ما).

٦٥ ـ ص ٣٢٣: (كان أهل معد من بني سليم يلقون خبطا وقرعا من الجن).

والصواب: (كان أهلُ مَعْدِنِ بني سليم يلقون خبطا وقرعا من الجن) كما في المخطوطة.

٦٦ ـ ص ٣٢٦: (هذا الذي نجده في كتابنا يخرجنا ثم ديارنا).

كلمة (ثم) صوابها (من).

٦٧ ـ ص ٣٢٨: (رأيت ان اسايرك فيَّ).

والذي يظهر في المخطوطة: (أن أشاورك في) وبعد كلمة (في) بياض وعلى هذا فلعل الصواب: (رأيت أن أشاورك في ذالك).

٦٨ ـ ص ٣٢٩: (اجعل فرجا ومخرجا).

والصواب: (اجعل لي فرجا ومخرجا) كما في المخطوطة.

٦٩ ـ ص ٣٣٠: (وتطوينا فتخلننا).

والصواب: (وتطوينا فتخلقنا).

٧١ ـ ص ٣٣١: (فتخترمه).

صوابها: (فيخترمه) والضمير يرجع إلى الموت.

٧٢ ـ ص ٣٣٢: (فحياكها).

الصواب: (فحباكها) بالباء الموحدة.

وفي هذه الصفحة علق المحقق الفاضل على قول المؤلف: (انشدني شيخ من الأزد لرجل من بني ضبة يعاتب بني تميم) ـ علق المحقق: (بنو ضبة جماعة، ففي مضر ضبة بن أد، وفي قريش ضبة بن الحارث، وفي هذيل ضبة بن عمرو) وأحال إلى «الأنساب» للسمعاني، ولاداعي لهذه الحاشية فبنو ضبة المذكورون هم أعمام تميم كما في الشعر: (ابني تميم إنني أنا عمكم) وهاؤلاء هم ضبة بن أُدّ بن طابخة، إذ تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة.

٧٣ ـ ص ٣٣٣: (وأول لَوم القوم لَوْم الجلائل).

والصواب: وأول لُؤمِ القوم لُؤْمُ الحلائل.

وفي الصفحة نفسها: (ألا أنشدك؟ قال: فغلبه).

والصواب كما في الأصل: (ألا أُنشِدُك؟ قال: لا. قال: فغلبه).

٧٤ ـ ص ٣٣٧: (تكون ولا غـمّـا إلا تجلت).

(غما) صوابها (غماء) بها يستقيم الوزن.

ويعد فاراني قد اطلت السير فأمللت القارئ ومع ذالك فلاتزال الرغبة تراود نفسي لكي أستطيع فهم المستغلق من العبارات الواردة في المطبوعة مما لم أجد في مخطوطة (جستربيتي) مايفتح مستغلقها.

ولعلي أجد ذالك في مخطوطة (دار الكتب الظاهرية) التي أراها أصح وأوثق من تلك المخطوطة، وان لم اطلع إلاّ على وصفها في مقدمة المحقق الكريم الذي آمل أن ينظر إلى هذه الملاحظات نظرة مجردة من كل غاية سوى الحق.

والله الموفق، **حمد الجاسر**

* **طيب السمر في أوقات السحر:**

هذا مؤلف يحوي تراجم أدباء وشعراء من اليمن وغيره في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، ألفه القاضي أحمد بن محمد الحيمي المتوفى سنة ١١٥١هـ وقام بتحقيقه الأستاذ الصديق المحقق عبدالله بن محمد الـحِبْشِي، فصدر جزءه الأول يحوي تراجم مايزيد على ستين شاعراً وأديباً يمنيًّا، وليس الكتاب على نمط التراجم المعروفة وإنما هو أقرب إلى النهج الذي سار عليه العماد في «الخريدة» يتحدث عن الشاعر فيورد نماذج من شعره ثم يستطرد في الحديث عما يستظرفه مما أورد، مستشهداً بأقوال الشعراء والأدباء من قدماء ومحدثين، فهو كتاب أدب وتاريخ. وجهد المحقق الفاضل الأستاذ عبدالله الـحِبْشِي يتجلّى في صفحات هذا الجزء الذي رجع في تحقيقه إلى ثلاث مخطوطات وصفها في المقدمة بعد أن ترجم المؤلف وتوسع في الحديث عن مؤلفاته نوعاً ما، وأشار في المقدمة إلى أن الكتاب يقع في أربعة أقسام:

القسم الأول: في إيراد محاسن كوكبان، ترجم فيه لأربعة وستين من أعلام الأدباء والشعراء في هذه الجهة.

القسم الثاني: ذكر فيه أفاضل صنعاء فترجم لاثنين وثمانين أديباً من أهلها.

القسم الثالث: في فضلاء ما خلف مدينة شبام وعد منهم سبعة وخمسين أديباً.

القسم الرابع: في ذكر أفاضل ما يسامت بلاد كوكبان من الثلاث الجهات إلى منتهى بلاد صعدة يضم الحديث عن تسعة وأربعين أديباً.

وألحق الكتاب بتراجم أدباء من بلاد أخرى غير بلاد اليمن كالشام وغيره، ومنهم ابن فتح الله الحموي وابن معصوم، ومحمد كبريت المدني، وعلي السنجاري المكي، وأحمد بن محمد الخفاجي قاضي جدة ومحمد بن دخيل المكي وغيرهم.

ووقع الجزء المطبوع في ٣٩٦ من الصفحات والطباعة حسنة ولم يذكر مكان الطبع أما تاريخه فهو ١٤١٠هـ (١٩٩٠م).

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للافراد و ٥٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات : يتفق عليها مع الادارة
ثمن الجزء : ١٧ ريالاً

العنوان
حي الورود - شارع حمد الجاسر هـ ٤٦٢١٢٢٣
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٣، ٤ س ٢٦ رمضان/شوال سنة ١٤١١هـ ـ آذار/نيسان (مارس/أبريل) سنة ١٩٩١م

إلى امير الشباب وراعي الثقافة:

إنشاء مجمع لغوي مما تحتمه حماية كيان الأمة، وصيانة لغة القرآن الكريم

ليس الجهل بما تقوم به المجامع اللغوية من أعمال، ومالها من غاياتٍ، مقصوراً على عامة المثقفين، بل قد تتصف به الخاصة منهم، ولذالك أسباب لعل من أهمها: أن تلك المجامع تعيش في شِبْهِ عُزْلَةٍ عن القارئ، فلا تُعْنَى وسائلُ النشر المختلفة بما يتعلق بها من أنباء وشؤون، ولا تُنْشَرُ مطبوعَاتُها في نطاق واسع ليتمكن الراغبون في الاطلاع عليها مما يرغبون، ولا يكون لأعضائها وللعاملين فيها من الارتباط والاختلاط بغيرهم ما يثير إحساساً أو إدراكاً للأعمال التي يقومون بها، لاسيما وأنَّ جُلَّ من يعمل في المجامع اللغوية ممن تقدمت به السن تقدماً أثَّرَ في قوته ونشاطه، فأصبح لا يتحرك ولا يعمل إلا في مجال ضيق، لهذا فلعل من المناسب الِاسْترسال في هذه المقدمة لإيضاح بعض جوانب تتعلق بتلك المجامع.

ولعل من أقوى بواعث هذا أنْ تَوَجَّهَ إليَّ أَحَدُ مثقفي هذه البلاد بهذا الاستيضاح: (ونحن إذا نستشرف آفاق المستقبل الحضاري لهذه البلاد نتحسس الرُّؤى التصورية لهذا المشروع الرائد، وماهي ضرورته في الثقافة المحلية والعربية؟).

ليس هذا السائلُ الكريمُ بِدْعاً بين مثقفي الأمة بصفة عامة، ممن لم يُعْنَ عنايةً تمكنه من إدراك ما للمجامع اللغوية من غاياتٍ وأهداف، ولهذا فهو لايزال يرغب أن يتحسَّسَ الرُّؤى التَّصَوُّرِيَّة لإنشاءِ مجمع في هذه البلاد، متطلعاً لإدراك أثره في الثقافة، ومستوضحاً عما إذا كان إنشاؤُهُ مما تقضي به ضرورةٌ ذاتُ أَثَرٍ في إمداد تلك الثقافة في محيطها المحلي أو مجالها العربي - بِرَوَافِدَ تُنَمِّيْهَا وتزيدها قوة.

قد يكون لهذا السائل ولكثيرين غيره بَعْضُ العذر - بل الْعُذْرُ كُلُّهُ - في توجيه مثل تلك الأسئلة، فالحياةُ المعاصرة لكل إنسانٍ - المثقف وغيره - تَقْسِرُهُ قَسْراً للتوجه لأمور أخرى، إنها تدفعه دفعاً للانصراف والاشتغال بما هو في أشد الحاجة إليه مما هو ألصق بطبيعته من حيث الحفاظ على حياته، والسعي بما يُنَمِّي مقدرته، ويوجه سلوكه، لكي يُهَيِّءَ لنفسه من وسائل الاستقرار والراحة ما يجعله يعيش مطمئناً راضياً مادام باقياً في هذه الحياة.

من هنا فما أكثر الذين يعيشون في مثل هذه العزلة، بعيدين عما لا يرتبط بحياتهم، أَوْ أَنْ يَكُوْنُوا ذَوِي أَثَرٍ فيها بالنسبة لهم خاصة، وما أكثر الذين يجهلون كثيراً من أحوال عالمهم الذي يعيشون فيه، وإن كان من تلك الأحوال ماهو عميق الصلة بمستقبل أمرهم، عظيم الأثر بالنسبة لوجود عالمهم وَهُمْ جزء منه، ولكنهم في هذا ينقادون لما رُكِّبَ في الطبيعة البشرية، وتلك سنة الله في خلقه.

ولعلي في هذا أُقَرِّرُ أمْراً يتجلَّى من خلال تقريره العذرُ واضحاً واسعاً لأولئك المنصرفين إلى ما يعنيهم من شؤونهم الخاصة:

فَمُكَلِّفُ ٱلْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِّبٌ فِي ٱلْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ

إذ لاشكَّ أن من يطمع أن يكون شبابُ الأمة المثقف الواعي على درجة متساوية من حيث الإلمام التام بمختلف علوم العصر، وبجميع اتجاهات الفكر والإدراك، وبأنواع التخصصات العلمية، كل من يطمع في ذالك من أولئك الشباب لا يكون مُنْصِفاً في حَقِّهم، ولا عادِلاً في حكمه، ولا صادقاً مع نفسه، إذْ يُبَرِّئُهَا من وصمة ذالك البعد وذالك الانعزال الذي وصم به الآخرين من حيث الجهل بشؤون المجامع اللغوية.

ولعلَّ اندفاعي في هذه المقدمة ناشيءٌ عن الإحساس العميق بأن الأمر يتعلق بناحية من نواحي حياة الأمة، ليس من المبالغة القولُ بأنَّ تلك الناحية تُكَوِّنُ السياجَ القويَّ المحكم لبناء الأمة نفسها، لا من الناحية الاجتماعية فحسب، بل من جميع النواحي الحيويةَ وجُوداً وفِكْراً.

لقد اختار الله الْعَربَ من بين شعوب الأرض، فاصطفى منهم أشرفَ خلقه لتلقي رسالته التي كلفه بأن يبلغها العالم، ولتقوم أمتُهُ بنشرها بين الأمم، وأنزل كتابه الذي فَرَقَ به بين الْـحَقِّ والباطل، وجعله أساسَ شريعةِ تلك الرسالة الخالدة، ونِبْرَاسَهَا، بلغة تلك الأُمَّةِ التي اختصها بِالإصْطِفاءِ والاختيار، وستبقَى اللغةُ العربيةُ لُغَةَ الدين الحنيف ما بقي هذا الدينُ الذي تكفل الله بحفظه وبقائه ببقاء كتابه القرآن العربي الـمُبين : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ فالْعَرَبُ هُمْ أُمَنَاءُ الله على وَحْيِهِ، باختيار لُغَتِهِمْ نَاطِقَةً به، وهم خِيْرَةُ الله من خلقه، باصطفاء خاتَمِ أنبيائه منهم، وهم تَرَاجمةُ ذالك الْوَحْي، ومُبَلِّغُوه لغيرهم من شعوب العالم ممن لا يستطيع فَهْمَهُ فَهْماً تَامًّا ـ كما نزل من السماء ـ بدون معرفة تلك اللغة التي نزله بها، وهي لغة العرب.

وأوجب ـ فيما أوجب من شرائع ذالك الدين القويم ـ على كل مسلم أن يَتَّجِهَ في اليوم والليلة إلى بيته المطهَّر الذي اختاره في بلاد هذه الأمة الكريمة ـ في اليوم والليلة ـ خمسَ مرات فأكثر، كما أوجب حَجَّ هذا البيت على كل قادر في العمر مَرَّةً، فلماذا يَتَّجِهُ وَيَتَطَلَّعُ وَيَقْصُدُ المسلمون من جميع أنحاء العالم هذه الوجهة التي اختار الله لهم ، لو لم يكن أهلُها وسكانُها الناطقون بتلك اللغة الكريمة هم وسائل الإرشاد والهداية، والتوجيه لإدراك ما تهدف إليه رسالة السماء من صلاح وخير.

كل هذا مما يبرز ما لهذه اللغة من منزلة ـ لأبين اللغات فحسب ـ بل في توجيه شعوب العالم كلها، وهدايتِها وإرشَادِها إلى ما شرعه الله واختاره لجميع خلقه، من نهج قويمٍ يبلغ سعادة الدارَيْن.

من هنا كانت العناية بهذه اللغة مما يجب على كل عربي مسلم القيام به، لكونه من الأعمال المكملة لأَدَاءِ متطلبات دينه وخُلُقِه، فضلًا عن أن اللغة هي السياج

القوي لكيان الأُمة، فأيَّةُ أُمَّةٍ من الأمم تفقد هذا السياج، لا يلبث كيانُها أن يتداعَى ثم ينهار، وَإِنِ اسْتعاضت عن لغتها بلغة أخرى، فكيف بأمة أوجب الله عليها - وجوباً ضِمْنِيًّا - أن تتمسك بلغتها التي بها الحفاظ على دينها الذي لا حياة لها إلا بالتمسك به، وأوجب على من عداها من الأمم والشعوب التي تدين بذالك الدين أن ترعى تلك اللغة، وأن تحافظَ عليها بقدر حفاظها على ارتباطاتها الدينية والخلقية بالأمة العربية التي بها استقام ذالك الكيان، وبِقُوَّتِهَا يَقْوَى ويبقى.

كل هذا من الأمور الْبَدَهِيَّةِ التي يدركها كل عاقل بفطرته، كما يدرك ارتباط أُمتنا ارتباطاً دينيًّا واجتماعيًّا بكل ما يعزز مكانَتَنا بين الشعوب الإسلامية المنتشرة في أنحاء العالم، بحيث اختارها الله للقيادة والرِّيَادة، وميَّزَ لغتها الكريمة بكونها لغة أعظم كتاب أُنزله على خير رسله، وأشرف خلقه، فكانت بلادُنا بفضل ما منحها الله من ميزةٍ، وبما كَرَّمها به من اختصاصٍ، قِبْلَةَ تلك الشعوب تتجه نحوها مُسْتَشِفَّةً مُسْتَشْرِفَةً من أنوار الهداية ما أضاءَ أنحاءَ المعمورة في أَوَّلِ عهدها، ولاتزال تتطلع إليها بصفتها مصدر الإشعاع الفكري، الموجهة لجميع سبل الخير، أفلا يجدر بنا ونحن بهذه الصفة أن نَبْذِلَ الْوُسْعَ كُلَّه للحفاظ على تلك اللغة الكريمة، وبلادنا هي مهدها، ومِنَّا حُماتها الأوائل، الذين لم يجدوا طريقاً يسلكونه لتدوينها بعد أن اتَّضَحَتْ شِدَّةُ الحاجة إلى التدوين سوى الرجوع إلى هذه البلاد ليتلقوا ما أُثِر عن شعرائها الأقدمين، وما حُفظ في صدور رواة ذالك الشعر من المتأخرين، ما يجمعون منه شَتَاتَها الْـمُتَفَرِّقِ، ليدونوه وليبنوا عليه أسس قواعدها حتى تكامل عملهم بما أودعوه هذه الثروة الضخمة من المؤلفات اللغوية التي وصلت إلينا.

لقد اتخذ علماءُ اللغة شعراءَ هذه البلاد مصادِرَهُمُ الأُولى لتدوينها، ولإِرْسَاءِ القواعد للحفاظ عليها، أفلا يجدر بنا والحالة هذه أن نُعِيدَ لهذه البلاد مكانتها الأولى في الصدارة في كل ما يطمح إليه متطلع إلى الخير، وراغب في الاستنارة والاهتداء، ومن ذالك العناية بِأقوى دعامةٍ تُقَوِّي الارتباط والاتصال بأؤلئك

الذين لايزالون يتطلعون إلى المزيد مما نبذله في سبيل إرشادهم وهدايتهم وإسعادهم.

مما تقدم يتضح أن بلادنا ينبغي أن تكون أَوَّلَ من يُعْنَى بالحفاظ على لغة القرآن الكريم بمختلف الوسائل، ولا شكَّ أن ضرورة العصر تُحَتِّمُ إنشاء مجمع لغوي لتلك الغاية.

ومن المدرك بداهة أن كل أمْر يراد تحقيقه ينبغي السير نحو القيام به بصورة تدريجية حسب الطاقة وبقدر الْوُسْعِ، إذْ محاولةُ بلوغ الكمال من أول المراحل أمْرٌ مُحَالٌ، ولهذا فالطريقة المثلى هي التدرج في العمل وَإنْ قَلَّ حتى بلوغ الغاية المتوخاة.

وهذا ما لاحظته عندما فكر بعض الأُدباءِ في بلادنا وأخذوا في الدعوة إلى إنشاء مجمع لغوي، وذالك في عشر التسعين من القرن الماضي، ولكنني كنت أُدْرِكُ أن كل أمر لا يقوم على أسس قوية من الاستعداد والترتيب، واتخاذ العدَّة بجميع ما يتطلبه بحيث ينشأ قويًا قوةً تمكنه من الاستمرار والبقاء فإنه لا شكَّ سيقوم هزيلًا لا يلبث أنْ يعيا عن المسير، ولهذا كنت ممن اعترض على فكرة إنْشَاءِ مجمع لغوي في بلادنا مالم يوجد علماء متخصصون في علوم اللغة العربية وما يتصل بها من لغات أخرى لها صلة قوية بها كالسُّرْيانية والْعِبْرِية والْحَبَشِية وغيرها من اللغات التي تُعَدُّ من أصل واحد، وكان من أثر ذالك أنْ نشرتُ في إحدى صحفنا سنة ١٣٨٥هـ ما خلاصته: (أثار بعض كتابنا ـ في الآونة الأخيرة ـ موضوع إنشاءِ مجمع لغوي في بلادنا، وسُئِلتُ في الموضوع فكان مما أجبت به: عدم استطاعتنا إنشاء مجمع لغوي يكون له أثرٌ في خدمة اللغة العربية، ذالك أننا لا نجد بيننا من المتمكنين في اللغة العربية من يقدر على القيام بأعباءِ ذالك المجمع. بل قلت فيما قلت: إنه لا يوجد بيننا الآن من يستطيع المشاركة في الدراسات اللغوية بدرجة تجعل مشاركته ذات فائدة).

قلت ذالك لأنني أعلم أنَّ أولئك الإخوة هم بين رجلين: رجلٍ مدفوعٍ إلى الدعوة لإنشاء مجمع لغوي بدوافع كريمة، فهو يريد لبلادنا أن تشارك غيرها من

مختلف الأقطار العربية التي عُنِيَتْ بالنواحي الثقافية العربية، فأسهمت في تلك المجالات إسهاماً نافعاً، وبلادنا بحكم مركزها وبحكم كونها مَهْدَ العروبة والإسلام، يجب أن تكون السَّبَّاقَةَ إلى كل عمل يقوم عليه كِيَانُ الأمة العربية والإسلامية، ويعود عليها بالنفع والفائدة، ومن ذالك العناية بلغة القرآن الكريم بإنشاء مثل ذالك المجمع، وهذا الشعور النبيل هو شعور كل عربي مسلم، لا يختص به فردٌ دون آخر، ولا يقف عند ناحية واحدة من النواحي التي تقوم عليها حياة الأمة، بل يشمل جميع النواحي من ثقافية واقتصادية، روحية كانت أو مادية، قديمة كانت أو حديثة، ولكنَّ الأَمْرَ في هذا لا يتوقف على مجرد الرغبة والشعور والعاطفة، إنه يتطلب أمراً آخر وهو القدرة والاستطاعة على العمل، فكيف نستطيع إنشاء مجمع لغوي وليس بيننا من أبناء بلادنا من له من المؤهلات ما يحملنا على الاعتقاد بقدرته على القيام بأعمال المجمع قياماً مثمراً؟

وأما الرجل الثاني - الداعي إلى إنشاء مجمع لغوي - فقد اتخذ من تلك الغاية الكريمة التي قصدها الفريقُ الأول - وسيلَةً للوصول إلى غايات أُخرى، فراح مندفعاً للدعوة بمختلف الوسائل، تصريحاً وتلميحاً، آونَةً بمظهر المدافع عن اللغة العربية، وأُخرى بزِيِّ الباحث اللغوي، المُخَطِّيِّ لهذا القول والـمُصَحِّحِ لذالك، والـمُحَرِّمِ لهذا الاستعمال، والـمُحَتِّمِ بوجوب التقيد بهذه الصيغة، وهو في كل ذالك يخبط خبط عشواء، ويسير بلا دليل.

وكان مما أشرتُ إليه جهلنا بالنسبة لما يتطلبه إنشاء مجمع لغوي جهلاً يجعلنا غير قادرين على أن نُسْهِمَ في مجال الدراسات اللغوية إسهاماً يؤهلنا لأن نقيم في بلادنا مجمعاً لغوياً، بل لا نجانب الحقيقة إنْ قُلْنَا: إنَّ كثيراً من الداعين إلى هذا الأمر يكادون يجهلون كثيراً من الْكُلِّيات العامة، والأُسُسِ التي تقوم عليها الدراسات اللغوية، فضلاً عما يجب أَنْ يختصَّ بإدراكه الباحث اللغوي من معرفة كثير من جزئيات اللغة ودقائقها وأسرارها.

ثم أوردت شواهد على ذالك وقلت: وبعد أَنْ بدأَتْ جامعات بلادنا تؤتي ثمارها بتخرج شباب متخصص في مختلف العلوم، ومنها اللغة العربية، كنت من

أول من دعا إلى إنشاء مجمع علمي عربي، على غرار المجمع العلمي العربي في دمشق، ونشرت في مجلة «العرب» ـ س ٦ ص ٤٨٣ بتاريخ شهر المحرم ١٣٩٢هـ ـ موضحاً أن في بلادنا وُجِدَتْ نواةُ المجامع العربية، وكان مما قلت: من فضول القول التحدثُ عما لأسواقِ العرب من أثر في حياة اللغة ونُمُوِّها، وصقلِها وانتشارها، ومن هذه الأسواق: عُكَاظُ في عالية نَجْدٍ، وذُوْ الْمَجَاز بجوار عَرَفَة، ومَجَنَّةُ بِمَرِّ الظَّهران بقرب مكة، وحُبَاشَةُ في تهامة بقرب القنفذة، جنوب اللِّيْثِ، ودَوْمَة الجَنْدل المعروفة بالجوف، وسوق هجر المعروف، وسُوْقَا دَبَـا وأُدَم في عُمَان، والرَّابيةُ في حضرموت، وهي أسواق لا يجهلها كل مَعْني بتاريخ العرب، وفي الإسلام كان سوق الْـمِرْبَدِ بقرب البصرة، ولم يُضْعِفْ من أَثَر هذه الأسواق في إحياء اللغة عَدَمُ تنظيمها تنظيماً يتلاءم مع ماهو معروف في هذا العهد، ذالك أن كل أَمْرٍ في بدايته يَعْتَوِرُهُ النقْصُ، وينتابه الخلل.

ومع ذالك رأيت الْبَدْءَ بالدعوة لأنشاء مجمع علمي عام، إذْ هناك فرق بين مجمع ينشأ خاصًّا باللغة العربية، ومجمع علمي عام يُعْنَى بكل ما يتعلق بالأمة من تراث، دراسةً وجمعاً وتحقيقاً وحفظاً، وهذا هو ماهَدَفَتْ إليه المجامع العربية في أول إنشائها، فقد أُنْشِئَ (المجمع العلمي العربي) بدمشق سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) الذي عُرِفَ بعد أربعين عاماً من إنشائه باسم (مجمع اللغة العربية) وعُقِدَتْ أولى جلساته في ٣ ذي القعدة من السنة المذكورة (٣٠ تموز ١٩١٩م)، وكان الهدفُ من إنشائه في أول أمره:

(١) العناية باللغة العربية من حيث التعريب ونشر الكتب المتعلقة بها.
(٢) جمع المخطوطات وصيانتها بإنشاء دار كتب عامة.
(٣) صيانة الآثار وجمعها في متحف.
(٤) إصدار مجلة تنشر فيها أعمال المجمع وأفكاره لتكون رابطة بينه وبين المؤسسات الثقافية العامة.

وقد أنشيء (المجمع العلمي العراقي) في المحرم سنة ١٣٦٧هـ (تشرين الثاني ١٩٤٧م) وكانت أهدافه:

(١) العناية بسلامة اللغة العربية والعمل بجعلها وافية لمطالب شؤون الحضارة الحاضرة.
(٢) العناية بأدب العرب وتاريخهم وحضارتهم.
(٣) حفظ المخطوطات والوثائق العربية النادرة وإحياؤها بالنشر.
(٤) تشجيع الترجمة والتأليف في العلوم والفنون وبث الروح العلمية في البلاد.

وأُنشيءَ (المجمع العلمي اللبناني) سنة ١٩٢٨، والغاية منه المحافظة على اللغة العربية، والعناية بالمباحث والأعمال المتعلقة بأصولها وآدابها وعلى الآثار، ودراسة تاريخ لبنان وجغرافيته.

وفي سنة ١٩٦١م أنشيءَ (المجمع العلمي الأردني) يهدف أولَ ما يهدف إلى شؤون التعريب والترجمة والنشر، ثم في سنة ١٩٧٦م حول اسمه إلى (مجمع اللغة العربية الأردني).

وقد استعملتْ كلمة (العلمي) في تلك المجامع، يقصد بها الشمول، لا ليفهم منها مدلولها في هذا العهد، ولهذا لم يسلم إطلاق ذالك الاسم على المجامع من نقد ـ انظر ملحق جريدة «النهار» البيروتية بتاريخ الأحد ١٩٧٢/١/٢٣م ـ.

وإنشاء المجامع على ذالك النحو هو ما تقضي به طبيعة التدرج فيما يُرَادُ الوصول إليه، وهذا ما أردته حين عارضت الدعوة إلى إنشاء مجمع لغوي، ودعوت إلى إنشاء مجمع علمي عام.

ومما يلاحظ بين المثقفين عامة عدم التفريق بين المجامع العلمية والمجامع اللغوية في البلاد العربية، وأعني بالمجامع العلمية مجامع دمشق وبغداد وبيروت، إذ لمسمى المجامع العلمية الآن مدلول آخر هو اختصاصها بما يتصل بالعلم الطبيعي كالطب وغيره من العلوم، ففي مصر ـ مثلاً ـ (المجمع العلمي) وهذا غير (مجمع اللغة العربية) الذي أُنْشِيءَ في ١٤ شعبان ١٣٥١هـ (١٣ كانون أول ١٩٣٢م) وحُدِّدَتْ أغراضُهُ بالمحافظة على سلامة اللغة، وجعلِها وافيةً بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر، مع الاهتمام بكل ماله شأن في تقدم اللغة العربية من حيث الدراسات وتأليف الكتب ونشرها.

ويُعَدُّ مجمع اللغة العربية في القاهرة هو المجمع الذي خصص جميع أغراضه لكل ما يتعلق باللغة العربية بخلاف المجامع الثلاثة فأعمالها عامة.

وتبعاً لسنة التطور فقد قويت الصلة بين المجامع في القاهرة ودمشق وبغداد وعَمَّان، بحيث كُوِّنَ اتحاد بين تلك المجامع.

ففي سنة ١٩٧١م في منزل الدكتور طه حسين ـ حين كان رئيساً لمجمع اللغة العربية في القاهرة ـ بحضور عدد من أعضاء تلك المجامع كون اتحاد المجامع العربية الثلاثة، بعد توقف مجمع بيروت، ثم انضم مجمعُ عَمَّانَ إلى الإتِّحادِ بحيث كان الداعي إلى انعقاد الدورة الرابعة في شهر أكتوبر ١٩٧٨م في مَقَرِّهِ.

وقد لوحظ عند وضع النظام الأساسي لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية أن يكون الباب مفتوحاً لكل مجمع لغوي علمي، تنشئه دولة عربية مستقلة أن ينضم إلى ذالك الاتحاد.

أما وبعد أن بدأتْ جامعات بلادنا تؤتي ثمارها بتخريج عدد مِمَّنْ تخصص في مختلف العلوم والثقافة، فقد أصبحت هذه البلاد مطالبةً أكثر من غيرها بالمشاركة في هذا الجانب الثقافي، الذي بذلتْ في سبيله تلك الأقطار العربية ما برز أثره النافع واضحاً، وذالك في الحفاظ على ما يُعَدُّ من أقوى أسس كياننا العربي الإسلامي وهو لغتنا العربية.

ولقد اتصلت بصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب وراعي الشؤون الثقافية بصفةٍ عَامَّةٍ، فَعرضتُ عليه فكرة إنشاء مجمع علمي عربي، فوجدت لديه من الاستعداد لتحقيق تلك الفكرة مادفعني إلى أن أوَجِّهَ له كتاباً بتاريخ ١٣٩٦/٦/٢٦هـ خلاصته: إيضاح الحاجة إلى إنشاء مجمع علمي عربي، يُعْنَى أول ما يعنى بالمحافظة على اللغة العربية، وبالحرص على جمع التراث العربي والإسلامي، وما يتعلق بهذين الأمرين مما عُنِيَتْ به المجامع في الأقطار العربية الأخرى كالشام والعراق ومصر، ورأيت التمهيد لذالك بإعداد لجنة يشترك فيها ثلاثةُ أعضاء من المجامع العربية الثلاثة، تخطط للمجمع، وتحدد اختصاصاته، وتقدر موازنةَ ما يحتاج إليه من نفقات، وتضع أُسُساً لترشيح أعضائه.

كما اقترحت عشرة أسماء للجنة منهم خمسة من أساتذة الجامعات هم حسب الترتيب الهجائي : -

١ ـ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب.
٢ ـ الدكتور حسن شاذلي فرهود.
٣ ـ الدكتور عبدالرحمن الأنصاري.
٤ ـ الدكتور عبدالله بن ناصر الوهيبي.
٥ ـ الدكتور محمد حسن باكلا.

كما رأيت أن ينضم إلى اللجنة من الأساتذة المعروفين باهتمامهم بتلك المباحث وهم : -

١ ـ الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي.
٢ ـ الأستاذ عبدالله بن خميس.
٣ ـ الأستاذ محمد بن عمر بن عقيل.
٤ ـ حمد الجاسر.

ولاشك أن سمو الأمير فيصل عُنِيَ بِالْأَمْرِ عنايةً كان من أثرها أنه أثناء الاحتفال الذي رأسه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ أيده الله ـ لمنح جائزة الدولة التقديرية في الأدب لثلاثة من أدباء المملكة في ٢٧ المحرم ١٤٠٤هـ كان أَوَّلُ المتحدثين الرئيسَ العامَّ للجنة الجائزة الأميرَ فيصلَ بْنَ فهدٍ، فَزَفَّ إلى الحاضرين نبأً سارًّا حينما قال في خطابه : (وإنه يشرفني يامولاي في هذا اليوم التاريخي أَنْ أُعْلِنَ أَمْرَ جلالتكم الكريم الذي تَفَضَّلْتَ ـ حفظك الله ـ وأصدرتَهُ أَمْسِ بِإِنْشَاءِ (مجمع علمي لغوي) يرعى علوم اللغة وآدابها، ويجيءُ تتويجاً لما قدمت وتقدم ـ ياموﻻيَ ـ من عطاءٍ للفكر والثقافة.

وبإذن الله فإنَّ هذا الإنجاز الكبير سوف يتحول إلى شعلة أُخْرَى تضيء لشعبك الطريق نحو المستقبل المشرق بإذن الله ، باسم هيئة الجائزة وباسمي ياموﻻي أتقدم إليك بالشكر والامتنان والمحبة).

كان لِنَبَإ صدور أمر مليك البلاد بإنشاء ذالك المجمع الأثر العظيم في نفوس جميع المعنيين بالشؤون الثقافية، لإدراك هاؤلاء ما يترتب على هذه اللفتة الكريمة من اهتمام ورعاية لرافد عظيم من روافد العلم والمعرفة، ولما يدل عليه من أن مليك البلاد لا يفتأ في كل مناسبة أن يشمل برعايته كل جانب من جوانب الحياة الثقافية التي تتوقف عليها حياة الأمة بصفة عامة.

من هنا كان لابد من الاتجاه لتهيئة من سيتولون العمل في هذا المجمع بحيث يكون العضو العامل فيه مُلِـمًّا بما تسير عليه المجامع الأخرى فيما تقوم بدراسته أو عرضه أو مناقشته من موضوعات علمية لغوية أو غيرها.

وقد رأيت أن أبذل ما أستطيع من جهد في هذا السبيل لدى (مجمع اللغة العربية) في القاهرة الذي مضى لي وأنا أُمارسَ ما استطيع من نشاط فيه أكثر من ربع قرن حيث استقبلت عضواً عاملاً فيه في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨هـ (٥/١/١٩٥٩م) فتقدمت إلى هذا المجمعِ مُرَشِّحاً أربعةً من الإخوة الأساتذة للانضمام إلى أعضاء المجمع الذي بادر إلى تحقيق هذه الرغبة، فأصدر قراراته بضمهم إلى إخوانهم حيث أصبحوا أعضاء، يُدْعَوْنَ في كل دورة من دورات المؤتمر السنوي للمشاركة في دراسة ما يُعْرَضُ أثناء تلك الدورة من قراراتٍ، وما يقدم من آراء ومقترحات، كما يشاركون بما يرغبون المشاركة فيه من محاضرات، وقد تحال إليهم وهم في بلادهم بعض الموضوعات اللغوية التي تحتاج إلى دراسة ليبدوا آراءهم نحوها، مع ملاحظة أن المؤتمر السنوي في (مجمع اللغة) يُعَدُّ السلطة اللغوية العليا، ولا تعتمد قرارات المجمع نافذةً إلا بموافقة أغلب أعضائه العاملين، وهَاهُمُ الأساتذة - الأسماء مرتبة على حروف المعجم -:

١ ــ حسن بن عبدالله القرشي.
٢ ــ عبدالعزيز الرفاعي.
٣ ــ عبدالله بن خميس.
٤ ــ محمد بن عمر بن عقيل (أبو عبدالرحمن).

قد يقال: ولماذا لم يكن من بين هاؤلاء أحدٌ من أبناء البلاد الذين أكملوا دراساتهم الجامعية، وتخصصوا في الدراسات اللُّغَوية من العاملين في جامعات البلاد السبع؟ وهذا حق، ولكن ترشيح أولئك يكون من قبل الجامعات التي يعملون فيها، ولعل لتلك الجامعات ولِلْمَعْنيين بشؤونها بعض العذر في انصرافهم عن هذا الأمر بعملهم في تلك الجامعات، عملاً استغرق جميع جهودهم.

وبعد: فلقد كَانَتِ اللغةُ العربيةُ السائِدةَ في جزيرة العرب، في جميع أقطارها منذ أقدم عصورها إلى ما قبل قَرْنَيْنِ من الزمان، حيثُ لم يختلط سكانُها بمن يُؤَثِّرُ في لغتهم بلغة تزاحمها، ولكنها في العهد الحاضر أوشكَتْ أن تبلغ من الضَّعْفِ درجةً جعلتها عرضةً لتوجيه سهام النقد والنيل منها لا من أعدائها فحسب، بل أصبح النَّاطِقُونَ بها يرمونها بمختلف النقائص والعيوب، والْـمُحْزِنُ حقًّا أنَّ من هاؤلاء الناطقين مَنْ هو ممن كان يُنْظَرُ إليه نظرة المدافع الغيور على لغته وأمته. فَمِنْ دَاعٍ إلى تجريدها من أقوى مُقَوِّماتِها، بدعْوَى أن التَّقَيُّدَ بقواعدها من حيث الإعراب والبناء - من نَحْوٍ وصرفٍ - مما لا يستطيعه إلا مَنْ تَعَمَّقَ في الدراسات اللغوية، بخلاف غيرها من لغات العالم التي من أسباب سهولتها تَجَرُّدُهَا من تلك القواعد، ومن ثَمَّ حَدَثَتْ فكرة الدعوة إلى الأخذ باللهجات العامية، وكان أن اتَّجَه كثير من ذوي الأفكار المشبوهة - بل والتي تتصف بِالْعِدَاء الواضح للغة العربية - لدراسة لَهَجَاتِ كل قطر من الأقطار العربية على حِدَةٍ، لا بدافع الرغبة بمعرفة مدى ارتباط تلك اللهجة باللغة الأمِّ وهي الفصحى، بل لترويج إحْلالها محل هذه الأم، وخاصَّةً في البلدان النائية عن تأثير العجمة في سكانها، ولُمحاولة تفكيك الْتِئَامِ الناطقين باللغة الفصحى وتمزيق وحدتهم - وما تَزْخَرُ به صحافة اليوم - من لغو القول وساقطه باللهجات العامية في كل قطر من الأقطار العربية - ماذالك سوى انْجِرَافٍ واستجابةٍ لتلك الفكرة التي يراد منها القضاء على اللغة العربية، وإن لم يدرك بعض المعنيين بشؤون الصحافة ذالك.

واتَّخَذَ آخرونَ من الكتابة العربية مَنْفَذاً للنيل من اللغة نفسها، بدعوى أنَّ صُورة الكلمة المكتوبة لا تمكِّنُ مَنْ لم يكن لديه مِرانٌ وطولُ معاناةٍ من النطق الصحيح بها، بخلاف الكتابة بالحروف اللاتينية حيث تُلْحَقُ الحركاتُ بالحروف

كتابةً ، ومن هُنَا نَشَأَتِ الدعوة إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية.

وأتى فريقٌ ثالثٌ فزعم أنَّ اللغة العربية تعجزُ عن مجاراة ما تُنْتجه العقول من مخترعاتٍ في مختلف متطلبات الحياة، ولا ما تبدعه الأفكار من روائع العلوم والمعارف ، وهذا العجز يدفع إلى الاستعاضَة عنها وخاصَّةً في تدريس المواد العلمية كالطِّبِّ وغيره بلغة أولئك الذي اخترعوا تلك الآلات والأدوات، وابتدعوا النظريات العلمية المذهلة.

إلى غير ذالك من المنافذ الواسعة التي وَلَج منها أعداءُ العروبة والإسلام لتقويض أقوى الأسس التي بُنِـي عليها كِيانُ الأمة العربية، ولكنَّ الله قَيَّضَ للغة كتابه الكريم حُمَاةً تَصَدَّوْا بما أُوْتُوا من علم لِدَرْءِ ما يُوَجَّهُ نحوهَا من مكايد ، ولفضح ما يُحَاك حولها من دسائس للنيل منها أو الغَضِّ من قدرها .

وقد كان لعلماء الكنانة مُمَثَّلِيْنَ في الـمَحْفِلَيْنِ العِلْمِيَّيْنِ العظيمين (الأزهر) ثم (مجمع اللغة العربية) كان لهم فضل السبق في هذا المضمار، منذ أن جَأَر شاعر النيل حافظ إبراهيم بصرخته الْـمُدَوِّيَةِ ـ على لسان اللغة العربية ـ:

أَرَى كُلَّ يَوْمٍ فِي الْـجَرَائِدِ مَزْلَقًا ... إِلَى الْقَـبْرِ يُـدْنِيْنِـي بِغَـيْرِ أَنَـاةِ
وأَسْمَعُ لِلْكُتَّابِ فِي مِصْرَ ضَجَّةً ... فَـأَعْلَمُ أَنَّ الصَّـائِحِـيْنَ نُعـاتِـي

ومن خلال تلك الصرخة تَبْدُو لَفْتَةٌ ذِهْنِيَّةٌ من هذا الشاعر العَبْقَرِيِّ نحو ما لأهل هذه البلاد في ماضِيهم ـ بل وما يُتطلع إليه منهم في حاضرهم ـ إزاءَ الذود عن حمى هذه اللغة الكريمة :

سَقَى اللهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيْرةِ أَعْظُماً ... يَعِـزُّ عَلَيْهَـا أَنْ تَلِينَ قَنَـاتِـي
حَفِظْنَ وِدَادِيْ فِي الْبِلَى وحَفِظْتُهُ ... لَهُنَّ بِـدَمْـعٍ دَائِـمِ الْـحَسَرَاتِ

ولئن اخْتَفَتْ أشباحُ تلك الأَعْظُمِ الطاهرة ، الْحَفِيَّةِ الْوَفِيَّةِ بكل ما يُعْلِي شأن الأمة، فقد أخلف الله من أعقابِها من سار على نهج الآباء والأَجْداد، فبرَّز في صفاته الحميدة، وأعماله الصالحة :

إنّـا وإنْ أخـلاقُـنـا كَـرُمَـتْ لَـسْـنَـا عـلى الآبـاءِ نَـتَّـكِـلُ
نَـبْـنِـي كـمـا كـانَـتْ أوَائِـلُـنَـا تَبْنِـي وَنَفْعَـلُ (فَـوْقَ) مـا فَعَلُوا

وفي هذا العهد الميمون الذي تَتَفَيَّأُ البلاد فيه ظِلَّ حكم ملك عادل عامل، لا يَدَّخِرُ وُسْعاً في سبيل عِزَّتِها ورفعة شأنِهَا، فأَوْلَى الجانب العلميَّ من ذالك الـجُهْد المبارك النصيب الوافر، بإنشاء الجامعات ومَعَاهِدِ العلم والمصانع ومختلف المنشآت الحيوية، ومن بينها مما يتصل بهذا الجانب المؤسسة العظيمة التي أمر خادم الحرمين الشريفين بإنشائها في مدينة المصطفى - عليه الصلاة والسلام - للعناية بنشر القرآن الكريم في جميع أنحاء العالم.

ولقد كان - أدام الله له العز والتوفيق - يدرك أنَّ من لازم العناية بكتاب الله - حماية لغته الكريمة، وبذل جميع الوسائل لإعزازها وصيانتها، ونشرها بطريقة تُيَسِّرُ فَهْمَها وتُحِلُّهَا أرْفَعَ منزلةٍ - حيث أحلَّها الله باختيارها لغة خطابه إلى خلقه حِينَ أَمَرَ منذ ثماني سَنَواتٍ بِإنْشَاءِ مجمع لغويٍّ يكون صِنْـوًا لتلك المؤسسة التي جنى العالم الإسلامي في مختلف أقطاره من يانع ثمارها الطيبة وبإيجاد مؤسسة ثقافية تعنى بلغة القرآن الكريم تتآزر المؤسستان بروافد فكرية تقوم على أساس من العلم والعمل وبهما يتم النفع.

ولقد كانت بادرةً كريمةً لايزال كل غيور على لغة القرآن العزيز يتطلَّعُ إلى تَحْقيقها وذالك بتنفيذ الأمر الملكي الكريم بإنشاء المجمع اللغوي، الذي كان لحضرة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد - الرئيس العام لرعاية الشباب - اليد الطُولى برعايته، والاهتمام به، حتى اجتاز دور الإجراءات الإدارية، ولم يبق سوى السير في خطوات التنفيذ.

وفي سمو همة هذا الأمير الشهم، وصدق وطنيته، وحرصه ومسارعته لفعل كل مافيه نفع لأمته، ما يحقق الأمل بأنه وقد تبنَّى رعاية هذا الأمر سيبذل جُهْدَهُ لإتمامه على خير الوجوه (ورحم الله امْرَأً عمل عملاً فأكمله).

حمد الجاسر

الحُمْس وأحوالهم قبيل الإسلام

لاريب في أن معظم العرب الجاهليين، قبل الإسلام، كانوا يُقدِّسُونَ بيت الله الحرام، ويحجون إليه، ويقومون بالشعائر، ويؤدون المناسك، تلك التي انحدرت إليهم من عهد إبراهيم عليه السلام؛ بَيْدَ أَنَّ الباحثَ في أخبارهم يجد أنَّهم لم يكونوا يسلكون في أدائهم لمناسك الحج سلوكاً واحداً، وإنما يَلْحَظُ أن قريشاً وأهل مكة كانوا يميزون أنفسهم عن باقي الحجيج؛ إذْ يقومون بأمور خَصُّوْا أنفسهم بها، حتى إن بعض المصادر أكَّدَتْ أنَّ الحجاج حينذاك كانوا يُقسَّمُون إلى أقسام: قسم يضم أهل مكة وقريشاً خاصة، دُعي بالحُمْس، وقسم دُعي بِالْحِلَّة، وقسم دُعي بالطُّلْس.

ولم تَرِدْ إلينا تفسيراتٌ واضحة عن القسمين الأخيرَيْن، أما الْحُمْسُ فقد اهتمت الروايات بهم، وأوردت كثيراً من أخبارهم، كما اهتم الشعر الجاهلي بهم أيضاً، فعرض لهم في مواطن عدة منه.

وبيان ذلك أن قريشاً وأهل مكة كانوا يرون أنفسهم في منزلة أَرْفَعَ من منزلة باقي العرب، لمجاورتهم بيت الله الحرام، ولقيامهم على رعاية المناسك والشعائر، ولاهتمامهم بشؤون الحجاج في معظم الحالات؛ وفضلاً عن ذلك فإنهم كانوا يرون أن سكناهم في الحرم قد مَنَحهم مزيَّةً خاصَّة؛ فكانوا يقولون: (نحن بنو إبراهيم وأهلُ الحُرْمَة، ووُلاّةُ البيتِ، وقُطّانُ مكة وساكنوها، فليس لأحدٍ من العرب مثل حَقِّنا، ولا مثلُ منزلتنا، ولا تعرف له العربُ ما تعرف لنا؛ فلا تُعَظِّمُوا شيئاً من الحِلِّ كما تعظمون الحَرَم! فإنكم إنْ فعلتم ذلك استخفَّت العرب بحرمتكم... وقالوا: نحن أهلُ الحرم، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحُرْمَةِ، ولا نعظِّم غيرها كما نُعظِّمها، نحن الحُمْس... ثم جعلوا لِـمَنْ وَلَدُوا مِنَ العرب، من ساكني الحِلِّ والحَرَم، مِثْلَ الذي لهم بولادتهم إياهم، يَحِلُّ لهم ما يَحِلُّ للحُمْس، ويُحَرَّم عليهم ما يُحَرَّم على الحُمْس. وكانت كِنانةُ وخُزاعة قد دخلوا معهم في ذلك)(١).

ويفهم من هذا النَّصِّ أنَّ الحُمْسَ هم ساكِنو الحرم من قريش وغيرها، وكذالك مَنْ وَلَدَ هؤلاء من العرب. كذالك فقد ورد أنَّ الحُمْسَ أهل مكة: قريشاً وخُزاعة، ومَنْ دان بدينهم ممَّن وُلِدُوا من حُلَفائهم، وإن كان من ساكني الحِلِّ[٢].

أما عن سبب تسميتهم بالحُمْسِ فقيل: إنهم دُعُوا حُمْساً لِتَشَدُّدِهِمْ على أنفسهم في دينهم[٣]؛ ذالك أنَّ الحُمْسَ جمع أَحْمَس، من فعلِ (حَمَسَ)، أي اشْتَدَّ وصَلُبَ في الدين والقتال، والحُمس: لقب قريش وكِنانة وجَدِيلة، ومَنْ تابعهم في الجاهلية لَتَحَمُّسِهِمْ في دينهم[٤].

وأما بداية أمرهم فلا يُعْرَفُ تَماماً، ويبدو من الروايات أنه لا يعود إلى زمن بعيد في الجاهلية؛ بل إن بعضها يشير إلى أنه حدث بعد وقعة الفيل[٥]، غير أن ابن إسحاق لم يستطع حسم ذالك، فقال: (وقد كانت قريش، لا أدري أقبل الفيل أم بعده، ابْتَدَعَتْ رأْيَ الحُمْس رأياً رأوه وأداروه)[٦].

ولكن ما ذالك الرأي الذي رأوه، وما تِلْكَ الأمور التي أداروها؟

إن أهم الآراء والأمور التي ابتدعها الحُمْسُ أنهم في الحج قد تركوا الوقوف على عَرَفَاتٍ، والإفاضة منها: (وهم يعرِّفون، ويقرُّون أنها من المشاعر والحجّ ودين إبراهيم؛ ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها، وأن يُفِيْضُوا منها؛ إلا أنَّهم قالوا: نحن الحُمْسُ أهل الحرم، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم، ولا أن نعظِّم غيره)[٧].

وإذا وقَفَ الناس على عَرَفَاتٍ جعل الحُمْسُ موقفهم في طرف الحرم، في مكان يُدعى (نَمِرَة) يقفون فيه عشية عَرَفات، ويفيضون منه إلى المُزْدَلِفَة[٨] وظلَّ ذالك حتى الإسلام؛ فنزلت الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ ثمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أفاضَ النَّاسُ ﴾[٩]. وورد في الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها: أن هذه الآية نزلتْ في الحُمْس، قالت: كانوا يُفيضون من جَمْع فَدُفِعُوا إلى عَرَفات)[١٠]. وبذالك أُمِرَ الحُمْسُ أن يقِفُوا مع سائر الحجاج على عَرَفات وأن يفيضوا معهم منها.

وقد ألزم الحُمْسُ أنْفُسَهُمْ بأمور أخرى، جعلوها خاصة معهم، لا يكمل حَجُّهُمْ إلا بها؛ ففي المآكل أوْجَبوا على أنفسهم ألَّا يطبخوا أقِطاً[١١]، ولا يَسْلَؤُوا سَمْناً، ولا يدخروا لبناً، ولا يَمَسُّوا دُهْناً، ولا يأكلوا لحماً ولا شيئاً من نبات الحرم. وفي الملبس رفَضُوا في حجهم أن يَنْسجوا شَعَراً أو وَبَراً أو صُوْفاً أو قطناً، ورأوا ألَّا يلبسوا إلا جديداً. وفي المسكن كانوا في حجّهم لا يدخلون بَيْتاً من شَعَرٍ، ولا يستظلون إذا استظلوا إلا في بيوت الأَدَم[١٢].

وفضلاً عن ذالك فإنهم كانوا لا يلِجُون البيوت من أبوابها[١٣]؛ لأن الحُمْسَ لا يدخلون تحت سَقْفٍ، ولا يحول بينهم وبين السماء عَتَبَةُ بَابٍ ولا غيرها؛ فإن احتاج أحدهم إلى حاجة في داره تسنَّم البيت من ظهره، ولم يدخل من الباب[١٤]. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذالك منبِّهاً إياهم على ترك ما اعتادوا عليه في جاهليتهم؛ وذلك في قول جلَّ وعلا: ﴿. . . وَلَيْسَ البِرُّ بأَنْ تَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا، وَلَكِنَّ البِرَّ مَنَ اتَّقى، وأْتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا. . .﴾[١٥].

ولم يكتف الحُمْسُ بما ألزموا أنفسهم به من هذه الأمور وإنما أوجبوا على غيرهم من العرب أشياء أُخَر؛ فقالوا: (لاينبغي لأهل الحِلِّ أن يأكلوا من طعام جاؤوا به معهم من الحلِّ في الحَرَم، إذا كانوا حِجَّاجاً أو عُمَّاراً، ولا يأكلوا في الحَرَم إلَّا من طعام أهل الحَرَم؛ إمَّا قِراءً، وإمَّا شراءً)[١٦]. كما فرضوا على غيرهم، إذا أتى للطواف بالكعبة أول مرة، أن يطوف بثياب من عندهم، إمَّا إعارةً، وإمَّا إجارةً، فإن لم يجد طاف عُرياناً[١٧]. وكذالك فإنهم قد اشترطوا على مَنْ يزوجوه امرأة منهم أن كلَّ مَنْ وَلَدَتْ له فهو أَحْمَسُ على دينهم[١٨].

وإذا كان الحُمْس قد شَدَّدُوا على أنفسهم في دينهم فإنهم من جهة أخرى أفادوا من هذا الأمر، وانتفعوا به كثيراً، حين حرَّموا على غيرهم من العرب أن يجلبوا معهم طعاماً زمن الحج، وليس يعقل أن يكون طعام الحجيج كله قِراءً أو إضافة.

وينطبق الأمر نفسه على الثياب التي كانوا يؤجرونها لِمَنْ يطوف بالبيت حاجًّا لأول مرة. وأهم من ذلك كله ما ورد من أنهم كانوا يأخذون من الحجاج الذين

ينزلون بهم بعض ثيابهم أو بعض بُدْنِهم التي ينحرونها، ويُسمَّى ما يأخذون بـ (الحريم).

ومصداق ذلك ما روي عن ظُوَيْلم الذُّبْيَاني من أنه لُقِّب بـ (مانع الحريم) لأنه خرج في الجاهلية يريد الحجَّ، فنزل على المُغِيرة بن عبدالله المخزومي، فأراد المغيرة أن يأخذ منه ما كانت تأخذه ممَّنْ نزل عليها، فامتنع عليه ظويلم، وقد ضَمَّنَ شعره ما لاقى من المغيرة، مستَعيناً عليه بحرمة مناسك الحج ومشاعره وبالله القدير الذي هو القصد والغاية من الحج[19].

يَارَبِّ، هَلْ عِنْدَكَ مِنْ غَفِيرَهْ[20]
إنَّ مِنِىً مَانِعُهُ المُغِيرَهْ
وَمَانِعٌ بَعْدَ مِنىً ثَبِيرَهْ
وَمَانِعِي رَبِّي أنْ أزُورَهْ

وقد أفاد الحُمْسُ أيضاً حين أصبح كل مَنْ وُلِدَ من نسائهم على نَهْجِهم في ديانتهم، فإذا لم يكن متحالفاً معهم فهو على الأغلب ميَّالٌ إليهم. ويبدو أنَّ الانتساب إلى الحُمْسِ كان يُعَدُّ آنذاك مفخرة كبيرة؛ فحينما كان بنو عَبسٍ حلفاءَ لبني عامر بن صَعْصَعَة، وهم من الحُمْسِ، في يوم جَبَلَة، افتخر لَقِيْط بن زُرَارة الدارميُّ بذالك التَّحالف، وجعل بني عبسٍ من الحُمْسِ لمخالفتهم إياهم؛ وذلك حين قال[21]:

أَجْذَمَ، إِلَيْكَ، إنَّها بنو عَبِسْ[22]
أَلْمَعْشَرُ الجِلَّةُ فِيْ الْقَوْمِ الحُمُسْ[23]

وإذا ذُكِرَ الحُمْسُ في الشعر فإننا نجدهم ينعتون بالحرمة والشجاعة؛ على نحو ماترى ذالك في قول ساعدة بن جُؤَيَّة الهُذَلي، مادِحاً شجاعة قوم[24].

يُدْعَوْنَ حُمْساً وَلَمْ يَرْكَعْ لهم فَزَعٌ ... حتى رَأَوْهُمْ خِلاَلَ السَّبْي وَالنَّعِمِ[25]

وذكر سَلامة بن جَنْدَلٍ أنهم جمعوا الجموع الكبيرة لملاقاة قومٍ من الحُمْسِ، لِما يُعرف من شجاعتهم وبأسهم وشدتِهم[26]:

مِنَ الحُمْسِ إذْ جَاؤُوا إلينا بجمعِهِمْ غـداةَ لَقِيْنَاهم بِجَـأْوَاء فَيْلَقِ[٢٧]

وقد أشار إلى الحُمْسِ أيضاً عَمْرُو بن مَعْدِي كَرِب مُحَذِّراً في شعره العباسَ بن مِرداسٍ السُّلَميَّ من معاداته[٢٨]:

أعبَّـاسُ، لو كـانتْ شِيَـاراً جِيَـادُنـا بِتَثْلِيْثَ، مانَاصَبْتَ بَعْدِي ٱلأَحَامسَا[٢٩]

هذا عن الحُمْس أما باقي العرب من غير هؤلاء فقد كانوا يسمونهم (الحِلَّة)؛ لأنهم كانوا يسكنون الحِلَّ، والحِلُّ ماجاوز الحرم[٣٠]. ويُستثنى من هؤلاء (الحِلَّة)، كلُّ من ولدتْ قريش من العرب، وكل مَنْ نزل مكة من القبائل، وإن سكن منهم في الحِلِّ، لأنهم من الحُمْسِ[٣١].

وقد اختلف (الحلَّة) في بعض الأمور؛ منها أنهم كانوا، إذا نسكوا للحج، سَلأُوا السَّمْنَ، وطبخوا الأقِطَ، ومَسُّوا الدُّهْنَ، وأكلوا اللحم؛ وكذالك فإنهم لم يحرّموا نسج الثياب؛ فكانوا يَجُزُّون من الأوبار والأشعار والأصواف ما يكتفُون به، وكانوا لا يلبسون ثياباً جديدة، وإنّـما يظلون في ثيابهم التي نسكوا فيها. فإذا دخلوا مكَّة، بعد فراغهم من الحج، تصدقوا بكل حِذَاءٍ وبكل ثوب لهم، ثم استكْرَوْا من ثياب الحُمْسِ، تنزيهاً للكعبة أن يطوفوا حولها إلا في ثياب جددٍ[٣٢].

وجاء في بعض الروايات أنه كان ثَمَّة قسم ثالث من الحجاج دعوا بـ(الطُّلْس)، وقيل: إنهم سائر أهل اليمن، وأهل حضرموت، وعَكّ، وعَجُيب(★)، وإياد بن نزار[٣٣]. وقد دُعُوا بذالك لأنهم كانوا يأتون من أماكن بعيدة وهم طُلْسٌ من الغبار، فيطوفون بالبيت الحرام على تلك الحال[٣٤].

وكان هاؤلاء (الطُّلْس) بين (الحِلَّة) والحُمْس، يصنعون في إحرامهم ما يصنع (الحِلَّة)، ويصنعون في ثيابهم ودخولهم البيت الحرام ما يصنع الحُمْس؛ فكانوا لا يَتَعَرَّوْنَ حول الكعبة، ولا يستَعِيرون ثياباً، ويقفون بعرفة مع (الحِلَّة) ويفيضون معها[٣٥].

وهكذا نجد أنَّ الحُمْس قبل الإسلام كانوا من العرب الذين شَدَّدوا على أنفسهم في الحج من جهة، ووسعوا عليها من جهة أخرى؛ وحجتهم في ذلك أن

لهم مزية على غيرهم جاءَتْهم من مجاورتهم الكعبة، وسكناهم في الحرم؛ أما سائر العرب فقد وافقوهم في بعض الأمور، وخالفوهم في بعضها. وذالك كله يدل على ماكانوا يولونه للحج ومشاعره من أهمية كبرى في نفوسهم؛ ظهرتْ في تَمسكهم بشعائر الحج وما تتَطلبه من سلوك؛ سواء أكان في المأكل أم في الملبس أم في نواحي المعيشة المختلفة.

حلب ـــ كلية الآداب ـ: د. عبدالغني زيتوني

الحواشي والمصادر :

(١) «السيرة النبوية»: ١٩٩/١، لابن هشام، تحقيق السقا والأبياري وشلبي، ط. مصر ١٩٥٥م وانظر ـ «أخبار مكة»: ١١٣/١، للأزرقي، ط. مكة المكرمة ١٣٥٢هـ.
(٢) «أخبار مكة» ١١٤/١، و«المحبَّر»: ص ١٧٨، لابن حبيب، تصحيح إيلزة ليحتن شتيتر، ط. بيروت.
(٣) «القاموس المحيط»: مادة (حمس)، وأخبار مكة: ١١١/١ ، والمحبَّر: ص ١٨٩.
(٤) «القاموس المحيط»: مادة (حمس) وقد ورد فيه: (وقيل إنهم لقبوا بذالك لالتجائهم بالحمساء، وهي الكعبة، لأن حجرها أبيض إلى السواد).
(٥) «أخبار مكة»: ١١٣/١ .
(٦) «السيرة النبوية» ١٩٩/١ .
(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها، و«أخبار مكة»: ١١٣/١ .
(٨) «أخبار مكة»: ١١٦/١ .
(٩) البقرة: الآية ١٩٩ ، وانظر «تفسير ابن كثير»: ٢٤٢/١، ط. البابي الحلبي بمصر.
(١٠) «صحيح البخاري»: ٢٠٠/٢، ط. مطابع الشعب، مصر ١٣٧٨هـ.
(١١) الأقِط: اللبن المجف يُطبخ به.
(١٢) بيوت الأدَم: الأخبية التي تصنع في الجلد.
(١٣) «المحبَّر»: ص ١٨٠، و«تاريخ اليعقوبي»: ٢٩٧/١، ط. بيروت ١٩٥٥.
(١٤) «الروض الأنف»: ٢٩٢/٢، للسهيلي، تحقيق عبدالرحمن الوكيل، ط. القاهرة ١٩٦٧.
(١٥) البقرة: الآية ١٨٩، وانظر تفسير ابن كثير: ٢٢٥/١.
(١٦) «أخبار مكة»: ١١٤/١.
(١٧) «السيرة النبوية»: ٢٠٢/١.
(١٨) «أخبار مكة»: ١١٥/١.
(١٩) «الاشتقاق»: ص ٢٨٢، لابن دريد، تحقيق عبدالسلام هارون، ط. مصر ١٩٥٨.
(٢٠) غُفيرة: مغفرة.
(٢١) «السيرة النبوية»: ٢٠٠/١.
(٢٢) أجذِمْ: زجر للخيل.
(٢٣) الجِلَّة: العظماء.
(٢٤) «ديوان الهذليين»: ٢٠٢/١، ط. القاهرة ١٩٥٤.

كتاب «أمثال الحديث»

للقاضي أبي محمد الحسن الرامهرمزي

حققه وعلق عليه الدكتور عبدالعلي عبدالحميد الأعظمي - نشر الدار السلفية في بومباي - الهند سنة ١٤٠٤هـ[١]

أقول: إن «أمثال الحديث» نظير «الأمثال في القرآن»[٢]، فهي في لغة التنزيل ضرب من التشبيه التمثيلي كما في قوله تعالى: ﴿ ألم تَرَ كيف ضَرَبَ الله مثلاً كلمة طيّبة كشجرة طيبة ﴾ ٢٤ سورة إبراهيم.

وقوله تعالى: ﴿ وضرب الله مثلاً قريةً كانت آمنةً مطمئنّة يأتيها رِزْقُهَا رَغَداً ﴾ ١١٢ سورة النحل.

وقوله تعالى: ﴿ ويَضْرِب الله الأمثالَ للناسِ لعلّهم يتذكّرون ﴾ ٢٥ سورة إبراهيم.

ومثل هذه الأمثال ماكان في لغة الحديث الشريف ومنه قوله - ﷺ -: «إنما مَثَلي ومَثَل الأنبياء قبلي كَمَثَل رجل بَنَى بنياناً فأحسَنَه وأجمله وأكمله إلاّ موضع لَبِنة فجعل الناس يطيفون به ويقولون ما رأينا أحسن من هذا لولا موضع هذه اللّبِنة، ألا فكنتُ تلك اللّبِنة»[٣].

---

(٢٥) يرتع: من الروع، وأراد: أنهم يُتقون فلا يُغزون، لأن لهم حرمة الحمس.

(٢٦) «ديوان سلامة بن جندل»: ص ١٦٥، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط. حلب ١٩٦٨.

(٢٧) جأواء: كتيبة في لونها سواد، وفيلق: عظيمة، وصف بها الكتيبة.

(٢٨) «السيرة النبوية»: ١/ ٢٠٠، وشعر عمرو بن معدي كرب الزُّبيدي: ص ١٢٥، تحقيق مطاع الطرابيشي، ط. مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٥م.

(٢٩) الشيار: السمان الحسان. وتثليث: وادٍ بنجد، على ثلاث مراحل ونصف من نجران إلى ناحية الشمال، وسكانه من بطون قحطان، والشاعر يشير إلى واقعة جرت فيه.

(٣٠) «القاموس المحيط»: مادة (حل).

(٣١) «المحبَّر»: ص ١٧٨ - ١٧٩، و«أخبار مكة»: ١/ ١١٥.

(٣٢) «المحبر»: ص ١٨٠.

(★) قد تكون (تجيب) - العرب -.

(٣٣) «المحبر»: ص ١٨١.

(٣٤) «الروض الأنف»: ٢/ ٢٨٩.

(٣٥) «المحبر»: ص ١٨١.

وقوله - ﷺ - أيضاً: «ضَرَبَ الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جَنْبَتَي الصراط سور فيه أبواب مفتَّحة، وعلى تلك الأبواب ستور مُرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: أيها الناس ادخلوا الصراط ولا تعوجوا، ومن فوق الصراط داع ينادي، فمن أراد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتَحْهُ تَلِجْهُ. فالصراط هو الإسلام. والستور حدود الله، والأبواب المفتّحة محارم الله، والداعي القرآن، والداعي من فوق واعظ الله»[٤]. وإني لأجتزئُ بهذين النموذجين من «أمثال الحديث» لأضع القارئَ على بصيرة من الأمر، ثم أخلص لهذا الكتاب الجليل فأقف فيه وقفاتٍ مُقَوِّماً مادَّتَهُ، وما كان للمحقِّق الفاضل فيه. وقبل أن أبدأ هذا الذي حَبَسْتُ عليه هذا (الموجز) أودُّ أن أُشِيدَ بعمل المحقق العالم المخلص الذي انبرى لمهمته فأصاب وأجاد وأتى بفوائد جليلة تتضح فيها قدرته وعلمه فجزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء.

وأبدأ هذه «الوقفات» فأقول:

١ ــ جاء في الصفحة (س) في ترجمة المؤلف قول الدكتور مقتدي حسن ياسين من الجامعة السلفية ببنارس: (... وتفاصيل حياته العلمية...).

أقول: (التفاصيل) وإن كانت جمع المصدر تفصيل، هي توشك أن تكون عامية دارجة، وهي ترد في الكتابات الدارجة في الصحف وغيرها. وقد أراد بها الكاتب الدكتور مقتدى (الأحداث) التي عرضت للمؤلف وماجرى في سيرته العلمية.

قلت: (سيرته العلمية) ولم أقل كما قال الدكتور مقتدي (حياته العلمية)، ذالك أن كلمة (سيرة)، هي التي عُرفت في العربية واستعملها المصنفون فقالوا: «المغازي والسير» للواقدي و«السيرة النبوية» لابن هشام، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي، و«سيرة عمر بن عبدالعزيز» لابن عبدالحكم وغير هذا.

أما كلمة (حياة) فقد أخذت من الانكليزية والفرنسية (Vie وLife) واستعمل المعاصرون (حياة) وهي ترجمة في دراساتهم ومباحثهم.

٢ ـ وجاء في الصفحة (ص) قول الدكتور مقتدي: (وأسلوبه في شرح المسائل . . . ينمّ عن رسوخ قدمه . .) أقول: والفصيح المليح أن يقال: . . . ينمّ على رسوخ قدمه.

٣ ـ وجاء في الصفحة (ق) قول صاحبنا مقتدي: (والأبيات التي أوردها الثعالبي في رثاء ابن خلّاد لصديق له ووصفها بأنها في نهاية الحسن تدل على عظم مكانة صاحبنا. . . . . :

أودَى ابنُ خَـلَّادٍ قَرِيـعُ زَمَانِـهِ ... ...

أقول: إن المرثي هو ابنُ خَلَّاد الرامهرمزي مؤلف الكتاب، غير أن عبارة الدكتور مقتدي لا توضح هذه الحقيقة، فقد يفهم منها أن المرثي هو (الصديق) وأن ابن خلّاد هو قائل الأبيات، والحقيقة هي العكس. ولو أن صاحبنا (مقتدي) قد أحسن كلامه لأبعد الإشكال الذي حصل.

انتهت ترجمة المؤلف للدكتور مقتدي، وانتهى وقوفي فيها، وأتحول بعد ذالك إلى كلمة المحقق فأقول:

١ ـ جاء في الصفحة (م) قول المحقق: (وأنا حين أقدم هذا الكتاب أريد أن أعبّر عن شكري الخالص (للمسئولين) في جامعة بايرو. . .).

أقول: لقد رسم المحقق همزة (مسئول) على النَّبْرَة، هذه التي تدعى (الكرسي) في اللغة الدارجة. والهمزةُ مضمومةٌ، وحَقُّها أنْ ترسم على واو (مسؤول).

إن رسم الهمزة قد أوقع المتأدبين في شبهاتٍ، وهذا مُتَأَتٍّ من أن الهمزة لم يكن رسمُها في عدّة الحروف الثمانية والعشرين، وحقها أن يكون لها مكان في الحروف الهجائية، وكان من الحق والعلم ذالك، لأن الهمزة صوتٌ كالعين والهاء والحاء والخاء والغين من أصوات الحلق. ولو أننا راعينا هذا وأثْبَتْناها في الرسم لتخلّصنا من المشكلات التي نقع فيها في الكتابة، ولما اختلفنا في هذا الرسم، ولم نحتج إلى وضع الكتب الموجزة فيما يدعى (إملاء)، وليس هو (إملاء) بل هو شيء يدخل في رسم الأصوات العربية. وقد أهمل المتقدمون رسم الهمزة ولم ترد في خطوطهم في

المخطوطات القديمة، وربّما سهّلوها وجعلوها أِلفاً وواوًا وياءً كما في (رأس) و(بُؤْس) و(بئر). إنك تجد هذه في المخطوطات: (راس) و(بوس) و(بير).

٢ ـ وجاء في الصفحة (ن) قول المحقق: (واخبرني (محمد عزيز السلفي) أنه اشتغل في دراسة كتاب «أمثال الحديث...».

أقول: قول المحقق (أنه اشتغل...) فصحيح صحيح، غير أني أودّ أن أقول: إنَّ (الاشتغال) بمعنى الدرس أو الدراسة قد جدّ وعُرف لدى أهل العلم في العصور المتأخرة، وليس في ذالك خير.

انتهت كلمة المحقق وإني بعد ذالك مُتحوِّلٌ إلى الكتاب فأقول:

١ ـ جاء في الصفحة (٨) قال عبدة بن (الطيب) (كذا).

أقول: هو عبدة بن الطبيب لا (الطيب)، ولعل ذالك من الخطأ المطبعي، لعلمي أنّ المحقق لا يمكن أن يأتي منه ذالك، وحاشيته على (عبدة) هذا مفيدة كافية.

٢ ـ وجاء في الصفحة (٩): وقال آخر:

أُولِئك قَوْمٌ إنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبنَى وَإن عاهَدوا ... ...

وقال المؤلف في شرح (البنى): البنى مقصور بضمّ الباء جمع بُنْيَةٍ. هكذا قال لنا إبراهيم بن السَّرِيِّ - يعني الزَّجَّاج - كما تقول: لحية ولُحى، وحلية وحُلَى.... انتهى كلام المؤلف.

أقول: إنَّ قول المؤلف (البنَى) مقصور بضم الباء جمع بُنْيَةٍ يفسده ويبطله ماذكره من قول الزجّاج وهو أن (بنية) مثل (لِحية ولحَى) و(حِلية وحلَى) لأن (لحية وحلية) مكسورتا الحرف الأول، وجمعهما على هذا ينبغي أن يكون بكسر الأول (لِحَى وحِلَى) والوزن (فِعَل) مثل قِطْعة وجمعها قِطَعٌ.

٣ ـ وجاء في الصفحتين (٩، ١٠) قول المؤلف مستشهداً على (بنية) المضمومة الباء: (... وأنشد ابن دُرَيد:

تَبَوَّأْتَ بَيْتاً في ٱلْمَكَـارِمِ والْعُلاَ رَفِيْعَ الْبُنَا بَيْنَ ٱلْمَجَرَّةِ وَالنَّجْم)

أقول: لا يصح أن يكون (البنا) في هذا البيت شاهداً على (البنَى) المَقصور المضمُوم الباء كما أثبت المؤلف، وذالك لأن (البنا) في هذا البيت هو (البناء) الممدود، وقد حُذفتِ الهمزة للوزن، وقصر الممدود جائز في العربية، وهو كثير.

٤ ــ وجاء في الصفحة (١٤) قول المؤلف: (.... والسُّوْر: الحائط، يقال: سرتُ الحائطَ وتَسَوَّرْتُه...). أقول: وهذا صحيح ولكن يجب أن تضم السِّين من (سرتُ) لتبتعد عن الفعل (سار يسير)، فهي (سارَ يسور).

٥ ــ وجاء في الصفحة (٢٢) قول المؤلف: (أيُّها الناس إنما مَثَلِي ومَثَلكم مَثَل قومٍ خافوا عدوًّا أن يأتيهم فبَعَثُوا رجلاً يتربا لهم) ثم قال في الصفحة (٢٣): قال أبو محمد: (يتربا لهم) هو أن يعلو شاهِقاً فيرقب العدو لِيُنْذِرَ بِهِ واسمه الرَّبِيْئَةُ على مثال فَعِيْلَةٍ، مهموز).

أقول: لو فطن المحقق الفاضل إلى كلمة (الربيئة) المهموزة لأدرك أنَّ الفعل (يتربّا) لابد أن يكون مهموزاً (يتربّأ).

وكذالك الفعل نفسه قد ورد في الصفحة نفسها في قول المؤلف: (ومنه قولهم: إني لأَرْبَا بك عن كذا).

والصواب همزهُ: إنِّي لأَرْبَأُ بِكَ عن كذا.

٦ ــ وجاء في الحاشية (٥) من الصفحة (٢٢) قول المحقق:

قال أبو عمرو: (الغير هو الناق في لؤلؤ العين....).

أقول: والصواب: الغير هو الناتِئُ (بالهمز) في بُؤبُؤ العين ولا مكان هنا لوجود (اللؤلؤ).

٧ ــ وجاء في الصفحتين (٢٩، ٣٠) قول المؤلف: (قال فند الزماني:

فـلـما صَرَّح الشَّرّ فَـأَمْسَى وهـو عُـرْيَـانُ
مَـشينـا مشْيـةَ الـليث غـدا والـليث غـضـبـانُ)

أقول: و(فند الزمّاني) هو الفِنْد الزمّاني، من شعراء «الحماسة»، والبيتان من مقطوعة معروفة مشهورة. وهذان البيتان مدوَّران. وينبغي أن يكونا على النحو الآتي وبه ينتظم الوزن:

فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّـ ـرُّ فَأَمْسَى وَهْوَ عُرْيَانُ

أي إن الراء الثانية من الراء المشدّدة تكون في عجز البيت، وكذالك البيت الثاني:

مَشَيْنَا مِشْيَةَ اللَّيْـ ـثِ غَدَا وَاللَّيْثُ غَضْبَانُ(★)

٨ ــ وجاء في الصفحة (٣١) قول المؤلف: (وأنشدني بعض شيوخنا عن المازني عن الجواداني قال أنشدني بشار).

أقول: وكان على المحقق أن يعرِّفَ بالجواداني هذا الذي لم يتبيَّنه الدارسون، وقد اكتفى بقوله في تعليقه: وفي ف. الجراداني. وكان عليه أن يقول شيئاً عن (بشار) هذا، أكان الشاعر المعروف أم كان غيره؟

٩ ــ وجاء في الصفحة (٤٧) البيت:

يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِه في بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَفِّقُهَا

أقول: والصواب: (في بعض غرّاته يوافقها). ويؤيد هذا البيت الذي بعده والذي ذكره المحقق في تعليقه:

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَماً اَلْمَوْتُ كَأْسٌ وَالْمَرْءُ ذَائِقُهَا

والبيتان في «العقد الفريد» ٣/١٨٧ لأميّة بن أبي الصَّلت، والبيت الثاني من شواهد «الكتاب» ١/٤٧٩، وشواهد «المغني» ٢/١٨٨.

١٠ ــ وجاء في الصفحة (٥٠) قال متمّم:

ولاَ بَرِم تهدي النّساء لِعِرسه إذَا الْقَشْع من حَسِّ الشتاءِ تَقَعْقَعا

أقول: ورواية البيت في «اللسان» (قشع)، وفي الديوان:

ولا بَرِماً تُهدى النساء لعرسه   إذا القَشْعُ مِنْ بَرْد الشِّتَاءِ تَقَعْقَعا

و(برماً) منصوب لأنه معطوف على اسم سابق.

١١ ــ وجاء في الصفحة (٥٤) قول المؤلف: (... إن المصدق بالخيار إن شاء أخذ من كل فرس دِيْنَاراً أو عشرة دراهم، وإن شاء قَوَّمَهَا ثم أخذ من كل مئتي درهم خمسة دراهم...).

أقول: لقد أهمل المحقق ضبط الكلمات في الكتاب في حين قد ورد في الكتاب شيء محتاج إلى الضبط بالشكل، ومنه كلمة (المصدِّق) وهي كلمة فَنِّية تعني الرجل المسؤول عن استيفاء الصدقات ونحو ذالك، وهو اسم فاعل من المضَعّف (صدَّق). كما ورد الفعل (قومها) مهملاً بغير ضبط وهو مضعّف يعني تقدير قيمة الشيء، وهذا الفعل يقابل الفعل (قَيَّم) في العربية المعاصرة. ثم إن الفعل (قَوَّمَ) والمصدر (تقويم) بَدَءَا يظهران في استعمال المعاصرين.

٧ ــ وجاء في الصفحة (٥٥) قول المؤلف: (... تطأه بأظلافها وتَنْطَحُهُ بقرونها [أي الغنم]).

أقول: لقد توسّع المعاصرون في رسم الهمزة، وإني لأوثر أن أُثبِتَ الفعل (تَطَؤُه) والهمزة على الواو لأنها مضمومة.

٨ ــ وجاء في الصفحة (٥٨) قول المؤلف: (... يتّخذها أشرًا وبَطراً ورياء الناس وبذخاً...).

أقول: والكلمة (رياء) جاءت في لغة التنزيل العزيز (رِئَاء) بهمزتين، قال تعالى: ﴿ ولا تكونوا كَالَّذِيْنَ خَرَجُوْا مِنْ دِيَارِهم بَطَراً وَرِئَاءَ الناس ﴾ ٤٧ سورة الأنفال.

وقد قرئت (رِيَاء) بالياء في بعض القراءات غير المشهورة. وكان خليقاً بالمحقق أن يضبط المصادر: (أشر وبطر وبذخ) كلًّا بفتحتين ليظهر التناسب الذي توخاه المؤلف.

٩ ــ وجاء في الصفحة (٦١) قول حميد بن ثور الهلاليّ:

وكـاين لهـونـا من ربيـع مسرّة ... ...

أقول: والصواب: وكَائِنْ بالهمزة بمعنى وَكَم. ومثل هذا قول زهير:

وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٌ زِيَـادَتُـهُ أَوْ نَقْصُـهُ فِي التَّكَلُّمِ

١٠ ــ وجاء في الصفحة (٦٥) قول ابن الدُّمَيْنَةِ:

أَمَا يَسْتَفِيقُ الْقَلْبُ إلاَّ انْبَرَى لَهُ تَوَهُّم صَيْفٍ مِنْ سُعَادَ ومـريع

أقول: والصواب: ومَرْبَعُ، ولَعَلَّ هذا من الخطأ المطبعي.

١١ ــ وجاء في هذه الصفحة أيضاً: (فالربيع زمان وهو أيلول وتشرين الأوّل وتشرين الثاني، ثم الشتاء وهو كانون الأول وكانون الثاني وشباط، ثم الصيف وهو آذار ونَيْسان وأيّار ...).

أقول: إذا كان الأوائل من أهل اللغة وغيرهم عرفوا هذه الأسماء للأشهر ذات الأصول البابلية فكيف يجوز أن يستعمل العرب في عصرنا يناير وفبراير واكتوبر وسبتمبر وغيرها؟

١٢ ــ وجاء في الصفحة (٧٤) البيت:

نحن بنو الدنيـا خُلقنا لغـيرها وما نحن فيه فهو شيء محبَّبُ

أقول: وتمام الوزن يقتضي أن يكون صدر البيت (ونحن بنو الدنيا ...). والبيت كذالك في «العقد الفريد» ١٧٦/٣، و«عيون الأخبار» ٣٢٩/٢.

أقول أيضاً: إن واجب المحقق إثبات الصواب، وليس له أَنْ يُثْبتَ غيره بحجة احترام ماورد في المخطوط.

ثم إنّ المحقق وجد بيتَيْنِ نَسبهما الثعالبي في «خاص الخاص» إلى محمد بن وهيب الحميري وهما من الوزن والقافية ومعناهما يؤكد البيت المذكور وقريب منه فاجتهد أن البيت من مقطوعة ورد فيها البيتان.

أقول: وليس هذا دليلاً، ولكنه قد يكون على سبيل الاسترجاح، والبيتان:

وَقَدْ دَبَّتِ الدُّنْيَا إِليَّ صُرُوْفُهَا   وَخَاطَبَنِي إِعْجَامُهَا وَهْوَ مُعْرِبُ
وَلكِنَّنِي مِنْهَا خُلِقْتُ لِغَيْرِهَا   وَمَا كُنْتُ مِنْهُ فَهْوَ شَيْءٌ مُحَبَّبُ

١٣ ـ وجاء في الصفحة (٧٦) البيت:

أبا جعفر لما تولّيت أرتعوا   وقالوا لِدُنْيَاهُمْ: أفيقي فدَرَّتِ

أقول: كأني أرى الوجه أن يقال: أَرْبَعُوا. والدليل أن الفعل هو (رتع) الثلاثي كما في قوله تعالى: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا يَرْتَعْ وَيَلْعَب ﴾ ١٢ سورة يوسف.

ولم يرد (أرتَع) وإن جاء في المعجم القديم: قوم مرتعون أي راتعون. والرَّتع العيش في الخِصب.

١٤ ـ وجَاء في الصفحة (٧٧) قول المؤلف: (قوله: (عام ارتبعنا) يقال: ارتَبَعَ القوم إذا أرتعوا في الخِصب...).

أقول: والصواب: إذا رَتَعوا في الخصب.

١٥ ـ وجاء في الصفحة (٩٥) قول المؤلف: (... وقد بلغ كل واحد منهم عشرين ومائة سنة إلّا مخرمة فإنه بلغ خمسين عشرة ومائة).

أقول: لابد أن يكون الصواب: خمسَ عشرةَ ومئة.

١٦ ـ وجاء في الصفحة (٩٦) قول المؤلف: (عاش سُوَيد بن غَفَلَة عشرين ومائة سنة لم يُرَ محتنياً ولا متساندآ).

أقول: والصواب: (... لم يُرَ مُنْحَنِياً ولا ...) والكلمة اسم فاعل والفعل (انحَنَى) وليس في العربية (احتنَى).

١٧ ـ وجاء في الصفحة (١٠٣) قول المؤلف: (وقال بعضهم: بل هو الأنثى وتسمّى الأمراء والنحل يُسمَّى النحال).

أقول: والكلام على (اليعسوب) وهو أمير النحل، وقد أُطْلِق مجازآ على السيد

في قومه وفي حديث علي بن أبي طالب: (ضرب يعسوب الدين بذنبه) وهذا الاستعمال يومِئُ إلى الأصل. فأما العبارة التي جاءتْ في كتابنا هذا، فهي معدولة عن جهتها، ولم يَتَّضح لها وجه.

١٨ ـ وجاء في الصفحة (١٠٩) قول المؤلف : (قال: هي النخلة لايزال فيها شيء ينتفع به إما ثمرة وإما حطبه...).

أقول: وكان وجه القول: ... إما تمرة وإما حطبة، وليس ثمرة.

١٩ ـ وجاء في الصفحة (١١١) قول المؤلف: (فأطعموا نسائكم الولد الرطب...).

أقول: وصواب الرسم (نساءكم...) والهمزة مفتوحة لأن الكلمة منصوبة.

٢٠ ـ وجاء في الصفحة (١١٣) قول المؤلف: (العم: الطول ضُرِب بها المثل فقال هذه الطول للرجال، وهذه الصغار للأحداث...).

أقول: والعُمُّ بضم العين وتشديد الميم جمع أَعَـمّ وعَمَّاء ، ومن هنا يكون معناها (الطِّوال) لا (الطول) كما أثبت المؤلف، ويدل على ذالك قول المؤلف: وهذه (الصغار للأحداث).

أقول: وهذا يعود إلى وهم المحقق الذي لم يفطن إلى خطإ ناسخ المخطوطة.

٢١ ـ وجاء في الصفحة (١١٤) قول المؤلف: (... سكنّا بأرض لا نسمع فيها ناجحة التيّار أو نافجة التيّار، يعني صوت البحر).

أقول: والصواب: ناجخة بالخاء وهو صوت الموج.

٢٢ ـ وجاء في الصفحة (١١٦) البيت:

رَبَتْ في كثيبٍ ذي أباريق عذبة عـواقبها في المـاء وِرْدٌ شَـوارِع

وقال المحقق في تعليقه: ... الأباريق جمع أبرق وهي أرض غليظة...

أقول: وجمع (الأبرق) أبارق، كجمع الأسود أساود ونحو ذالك، وليس

(أباريق). وأظن أن الصواب في البيت: (ذي أبارق) وبذالك يكون الوزن حاصلاً، ولا حاجة إلى (الأباريق).

٢٣ ـ وجاء في الصفحة (١١٧) البيت:

فيها الفواكه كلُّها وتزخْرَفَتْ ... بِطلعٍ يرضي الناظرين نضيرا

أقول: وعجز البيت غير مستقيم وزناً.

٢٤ ـ وجاء في الصفحة (١٢٥) قول المحقق في تعليقه برقم (٥): (... فإن رُزيَ لا يوجر).

أقول: والصواب: (يُؤجَر) بالهمز.

٢٤ ـ وجاء في الصفحة (١٤٣ قول المؤلف: (... ولهذا قالت الإخوة من الأدب والأمّ لعُمَر حين أسهم للاخوة من الأمّ دونهم: هَبْ أنَّ أبانا كان حماراً).

أقول: والصواب: (... قالت الإخوة من الأب [لا الأدب) والأم...) ثم إنَّ الفِعْلَ (هَبْ) من الأفعال الجامدة ينصبُ مفعولين، فلا تليه (أنّ)، والصواب: (هب أبانا كان حماراً).

٢٥ ـ وجاء في الصفحة (١٥٩) البيتان:

ولقد توقع الحليم وإن ... كان بريئاً بجهلها السفهاءُ
وأخو الجلم حين لا يرمح ... الجاهلُ والجاهل السفيه سواءُ

أقول: وإحسان الوزن يقتضي أن يثبت مدوّراً وهما:

وَلَقَدْ تُوْقِعُ الْحَلِيمَ وإنْ كَا ... نَ بريئاً بجَهْلِهَا السُّفَهَاءُ
وأخو الحِلْمِ حِينَ لا يرمح الْجَا ... هل والجاهل السَّفِيْهُ سَوَاءُ

٢٦ ـ وجاء فيها أيضاً البيت:

ومَنْ لايزلْ يوماً مع الجهل مُذْعِناً ... يقُدْهُ إلى حَيْنٍ وذُو الْجَهْلِ حَايِنُ

أقول: والصواب: حائن.

٢٧ ــ وجاء في الصفحة (١٦٠) قول المؤلف: (قال أبو محمد رحمه الله: الركيُّ البئر الصغيرة، تقول: ركيّة وركيّ وركايا، وأحسب الركي ـ بطرح الهاء ـ في معنى الجمع).

أقول: والذي (حسبه) المؤلف هو الْحَسَنُ، فالرَّكيّ جمع ركيّة، وهي البئر، نحو مطيّة وجمعها مَطيّ ومطايا، وكذالك النِّصي، وهو نبت كالطريفة وواحدته نَصيّة.

٢٨ ــ وجاء في الصفحة (١٦١) البيت:

قوم إذَا الشَّرُّ أبْدَى نَاجِذَيه لَهُمْ طَارُوا إلَيْـهِ زَرَامَـاتٍ وَوِحْـدَانَـا

أقول: والصواب: زرَافَاتٍ، بالفاء، ولعل هذا من الخطأ المطبعي.

٢٩ ــ وجاء في الصفحة (١٦٧) البيت:

مـا إن يغيب بـه الـدهـاس ولا تـزلّ بـه الـصـفـا

أقول: وتمام الصدر والعجز على النحو الآتي:

مَـا إنْ يَغِيْـبُ بِـهِ الـدِّهَـا سُ ولاَ تَـزِلُّ بِـهِ الـصَّـفَـا

والبيت مدوّر.

٣٠ ــ وجاء في الصفحة (١٧٥) البيت:

وقال امرؤ قد كنت جداً أحِبّه وأوثـر من بينهم في التَّفاضُـلِ

أقول: وعجز البيت غير مستقيم ولعله:

(وأوثرني(×) من بينهم في التفاضُلِ).

وبعد فهذه نهاية هذه المسيرة التي اشتملت على هذه (الوقفات)، وأعود فأقول: لابد من الإقرار بالحقيقة وهي الإشادة بعمل المحقق الجاد، وهو الأعجمي الذي أحب العربية فأتقنها.

جامعة صنعاء ـ كلية الآداب: د. إبراهيم السامرائي

التاريخ: معرفة وعمل

أقبلت على قراءة «العرب» في جزئها الأخير من السنة الخامسة والعشرين لما فيه من أبحاث شيّقة جذابة ذات فائدة علمية كبيرة. وقد استرعى انتباهي خاصة كلمة (عن التاريخ والمؤرخين) وأودّ أن ألفت نظر القارئ الكريم إلى تعريف للتاريخ هو باعتقادي من أحسن ماجاء في هذا الباب وهو ما قاله ابن خلدون في مقدمته: (ان فن التاريخ... في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى... تؤدي إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيْفِيّات الوقائع وأسبابها عميق).

ونرى أن ابن خلدون لا يخصّ بالبحث دولة دون أخرى ولا يكتفي بما جرى من الحوادث لأنه يريد أن يستكشف عن المستقبل بناء على ما يعرف (من أحوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية)، وهو ←

الهوامش:

→ (١) أثبت الناشر تاريخ الطبع فكان (محرّم الحرام ١٤٠٤هـ) أقول: و(المحرّم) أول الشهور القمرية تزاد فيه الألف واللام لزوماً فلا يقال (محرّم) كما هو الشائع الجاري في عصرنا.

(٢) أردت بشرحي لأمثال القرآن والحديث لأنّه أن هذه الأمثال غير الأمثال المعروفة في العربية التي وردت في كلام العرب.

(٣) الرامهرمزي «أمثال الحديث» ص ٧.

(٤) المصدر السابق ص ١٤.

(×) «العرب» أَلَيْس من المناسب العَدْوُ هنا ليطابق (مَشْى): (عَدَا)؟

(×) «العرب»: ويؤيد النصب الذي أشار إليه أستاذنا السامرائي أن البيت الذي قبله هو:

لقد غيّبَ المِنْهالُ تحتَ ردائِهِ فَتًى، غيرَ مِبْطانِ العَشِيَّاتِ أَرْوَعَا

ولا بَرَمًا... (البيت).

من مرثاة مالك المشهورة التي وردت كاملة في «جمهرة أشعار العرب» - ٧٤٨/٢ - تحقيق الدكتور محمد علي الهاشمي.

(×) «العرب»: أو (وأوثره) مادام يحبه!!

أبو دلف الخزرجي الينبعي

شاعرًا وجغرافيًا

[كنت نشرت مقالاً في مجلة «المنهل (س ٦ ع ٤ في شهر ربيع الثاني ١٣٦٥هـ) بعنوان (الرحالة العربي مسعر بن المهلهل الينبعي ص ١٥٥ إلى ١٥٩) ثم بعد ذالك نشرت المكتبة الصغيرة في حلقتها السابعة سنة ١٣٩٢هـ كتيباً بعنوان « أبو دلف عبقري من ينبع » تأليف الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي ، نشر هذا بعد نحو ربع قرن من نشر مقالتي ، جاء في مقدمته عن أبي دلف (وهو مع ذالك مجهول لا يعرفه أحد من أبناء العربية)!! كذا بصيغة الشمول .

وهاهو الأستاذ أحمد الحسين يقدم دراسة عن أبي دلف لعلها تكون قد تناولت بعض

← بذلك يرمي إلى هدف معين، لأن مراده أن يُمتّعك أيها القاريءُ (بِعلل الكوائن وأسبابها، ويعرفك كيف دخل أهل الدول من أبوابها، حتّى تنزع من التقليد يدك، وتقف على أحوال مَنْ قبلك من الأيام والأجيال وما بعدك).

وهكذا نرى أن ابن خلدون قد ربط المستقبل بالحاضر والماضي، ويريد بواسطة التاريخ أن يتكهّن بما قد يقع من أحوال في الأجيال المقبلة. ومعنى ذالك أن التاريخ هو في الوقت نفسه معرفة وعمل: معرفة أحوال العمران البشري وطبائعه والعمل بمقتضى قوانينه. وهذا لعمري تعريف للتاريخ ابتدعه الفيلسوف المَغْربي ومذهب حديث في البحث يكاد يكون معاصراً، يسير اليوم على منواله بعض كبار المؤرخين الغربيين منهم الفيلسوف الألماني (أُسْتوالْدْ شَبَنْخَلَرْ) في كتابه المعروف: «انحطاط الغرب»، والمؤرخ البريطاني (أَرْنولْدْ طُوْيْنْبي)، في أبحاثه عن الحضارات ومستقبلها، والكاتب السياسي الفرنسي (ريمون آرون)، في مؤلفه الشهير: «المدخل لفلسفة التاريخ».

وقد أعود إلى هذا البحث إذا كان الموضوع مما تهتم به مجلة العرب الغراء والسلام .

باريس: د. يوسف شُلْحُد

«العرب»: أجل ! حقًّا إنها لَتُسَرُّ بذالك، ولا سيّما من مثل الأستاذ الجليل الدكتور يوسف، لازال موفقاً مشكوراً.

الجوانب التي توضح ما غمض من حياة ذالك الجغرافي الذي حظي باهتمام كثير من المستشرقين، وهو بدون شك لم يطلع على ما كتبه الدكتور الخفاجي أو نشرته مجلة «المنهل»].

* **مدخل إلى عالم الخزرجي** : باديً ذي بَدْءٍ لابدّ من الاعتراف بأن معلوماتنا عن حياة أبي دُلَفٍ الخزرجي لا تسمح لنا بتكوين صورة واضحة تجلو ما يلفُّ سيرته الشخصية من غموض وإبهام. ورغم شح المصادر فإن ما بين أيدينا من نتف الأخبار، والاشارات المتفرقة تجعلنا نقف على مراحل متباعدة في حياته، قلما تترابط أحداثها أو تنتظم.

اسمه : مسعر بن مهلهل الخزرجي الينبعي، ومن ظاهر سياق الاسم والنسبة يبدو أن نسبه ينتمي إلى قبيلة الخزرج، وينسب إلى مدينة ينبع المعروفة. وقد دفعت طبيعة اسم أبي دلف ونسبته أكثر المستشرقين الذين كتبوا عنه إلى القول: انه شاعر عربي من ينبع[1]. ولكن المشكلة التي لا يمكن تخطيها بسهولة تتمثل بجهلنا المراحل الأولى من سِنِي حياته، فنحن لا نعرف شيئاً عن طفولته، ولم يرد صراحة في شعره ذكر الخزرج أو ينبع. وفي قصيدته الساسانية حنَّ أبو دلف إلى بلاده، ولكنه لم يسمّها لنا، وتمنّى أن يرجع إليها بجيش قوي، مرهوب الجانب، عزيز الشأن، فيأمر وينهي. ولكن أي بلاد تلك؟ ولو كان أمره على هذا النحو لكان من المستغرب أن يبقى شأنه مجهولاً، وسيرته مطوية.

وفي سيرة أبي دلف يبرز إشكال آخر فهو - كما تذكر المصادر - شاعر، طبيب، رحالة كيميائي، وعالم بخصائص الحشائش والمعادن والحجارة. ولكن تلك المصادر لا ترشدنا إلى أصول علمه، ومنابع ذالك العلم، ومراحل دراسته، وشيوخه الذين أخذ عنهم معارفه ذات الطابع الشامل. ولو صحّ ادعاء أبي دلف بُنُوَّةَ محمد بن زكريا الرازي الطبيب المشهور من ابنته لكان من الجائز أن نعدّ الرازي أستاذه في الطب، ولكنّ ابن العميد طعن في نسبته تلك قائلاً: (وقد شاهدت محمّداً، وما خلّف بنتاً، ولو كانت له بنت، وولدت ابناً لم يكن أنت ذاك، للغوائل المجموعة فيك)[2] وهذا قول نورده للاستئناس به، إذ لا يمكن أن نأخذ به، لأن ابن العميد كان متحاملاً على الخزرجي كما هو ظاهر، وهذه الإشارة لم تقع في مصدر آخر.

* **في بلاد السامانيين والبويهيين** : كان أبو دلف جوَّابَ آفاق، لا يستقر به مقام حتى يهجره إلى آخر . سُمِعَتْ أخباره في بُخارَى ، وبغداد ، والرَّيّ ، وشيراز ، وبلاد الصين ، والترك والهند .

وقد عُرِفَ عنه أنه كان يتردد على بلاط السامانيين ، أصحابِ خراسان ، وما وراء النهر ، حيث وفد على نصر بن أحمد الساماني (حكمه بين سنتي ٣٠١ ـ ٣٣١هـ) الملقب بالسعيد في أول وفادة عرفناها في حياة شاعرنا، وتذكر المصادر أن نصراً شمله برعايته، وَيَسَّرَ أمر رحلته المشهورة سنة (٣٣١هـ) إلى بلاد الصين .

ودون ترابط في الأحداث يلمع اسم الخزرجي في بلاد البُوَيْهِيِّين الذين اشتدت شوكَتُهُمْ منذ سنة ٣٢٠هـ ، وملكوا بلاد فارس ، ودخلوا بغداد سنة ٣٣٤هـ . وبلغت دولتهم ذروة اتساعها في عهد فَنَّاخَسْرُو، الملقب بعضد الدولة (٣٢٤هـ ـ ٣٧٢هـ) الذي ضم إلى حكم ولاية فارس مُلْكَ الموصِل ، وبلاد الجزيرة .

ورد ذكر أبي دلف في مجالس ثلاثة من رجالات الدولة هم: عضد الدولة البويهي، وابن العميد، ثم الصاحب بن عباد الطالقاني. فقد ذكر لنا الثعالبيُّ وقائع منادمة طريفة جرت بين الخزرجي وأبي علي الهائم[٣] وقد ضمهما في شيراز مجلسُ أُنْسٍ ومطايبة لعضد الدولة، الذي نشط لمذاكرة الخزرجي، وأبدى إعجابه بسعة علمه، وحسن محاضرته بخصائص الشرق والغرب فقال: (ملك يا أبا دلف ، ينادم الملوك ، وأمر له بخلعة وصلة)[٤].

ويلخص لنا كتاب ابن العميد (ت ٣٦٠هـ) خاتمة علاقة بينهما انقلبت فيها المودة بُغْضاً والمقاربة جفوة ونفوراً . وفي ذلك الكتاب عنَّف الوزير البويهي شاعِرَنَا ورماه بالعيوب والنقائص، إذ لم يحفظْ أَوَاصِرَ صحبته كما يَدَّعي ، ولم يُؤَدِّ حقوقَ الخدمة. وكان أبو دلفٍ ـ كما يذكر التوحيديُّ ـ (قد قرأ ذلك وكتب شيئاً يردُّ به على افتراءات ابن العميد، ولكنه لم يجسر على نشره خشية صولته ونكايته، واكتفى بالقول: إن كتاب ابن العميد يَنُــمُّ عن (حقد رؤساء زمانه على الأتباع .

وعدم معرفتهم حقهم في الخدمة والطاعة)[٥].

وبوفاة الوزير ابن العميد يظهر الخزرجي في حاشية الصاحب بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥) (ويكثر المقام عنده، ويكثر سَوَاد غاشيته، وحاشيته، ويرتفق بخدمته، ويرتزق في جملته، ويتزوّد كتبه، فتجري مَجْرى السَّفَاتج في قضاء أوطاره)[٦] ولكن ما تخفى علينا معرفته أننا لا ندري كم مكث الخزرجي في بلاط الصاحب، فلم نقف له بعد ذلك على خبر، ولم يُسْمَع له ذكر، وقد أشار الثعالبي إلى عُمْرِ أبي دلف دون تحديد فقال: إنه (خنق التسعين في الإطراب، والاغتراب، وركوب الأسفار الصعاب)[٧] ونميل إلى الاعتقاد أنَّ وفاته حصلت دون سنة ٣٩٠هـ قياساً على تاريخ وفيات الأشخاص الذين التقاهم أو عاشرهم[٨].

* **شاعر التشرّد والاغتراب**: أبو دلف شاعر مرهف الإحساس، ذو عالم خاصّ، ولون ظريف قال عنه الثعالبي[٩]: (شاعر كثير الملح والظرف... ضرب صفحة المحراب بِالجُرَاب في خدمة العلوم والآداب).

ولكن الحكم على شاعريته يكاد يكون مُتَعَذِّراً. فمن غير الممكن أن نستجليَ ملامح شعره ونكتشفَ خصائصه وسماتِهِ مادامتْ يدُ الضياع عَبِثَتْ بأشعاره، ومازال ديوانه مفقوداً ومن المصادر التي اطلعنا عليها أمكن أن نجمع من شعره (٢٤٧) بيتاً هي الآن كل ماترك الشاعر المعذب المكتوي بنار الاغتراب، والتجوال ويتكون شعره الذي جمعناه من أرجوزة وصفية عدد أبياتها (٣١) بيتاً، ومن سبع مقطوعات قصيرة متنوعة الأغراض مجموعها (٢١) بيتاً ومن قصيدة رائية طويلة تُسمى القصيدة (الساسانية) اختار منها الثعالبي في «يتيمة الدهر»: (١٩٥) بيتاً.

والمتأمل في شعر أبي دُلَف لابُدَّ أنْ يكتشفَ ارتباط هذا الشعر بحياته وتجاربه الشخصية، فشعره مجموعة آراء وأحاسيس، تنطلق من وجدانِ إنسانٍ لم تعرف حياته نعمة الهُدُوْءِ وراحة الاستقرار، ولهذا نجده يكثر من وصف غربته، وتطوافه من بلد إلى آخر كما يقول[١٠]:

وقــد صَــارَتْ بــلادُ الله في ظَــعْــنِــي وَفِــيْ حَــلِّي
تَــغَــايَــرْنَ بِــلَبْــثِي و تَحَــاسَــدْنَ عَــلَى رَحْــلِي
فَــمَا أُنْــزِلُهــا إلاّ عــلى أُنْسٍ مِنَ الأَهْــلِ

وقد أتاحتْ له أسفاره الكثيرة أن يختبر أخلاقَ الناس في عصره، فكان يشكو ما دبَّ فيها من نوازع (الأنانية والتَلَوُّنِ والتغيُّرِ فَعَبَّرَ عن ضيقه بما آل إليه حالُ الناس واضطراب أحوالهم، واختلاف مشاربهم في عدة قصائد، وصف فيها زمنه المتقلّب بلغة شاعرية تكشف عن معاناة قاسية وأسىً دفين، فقال في إحداها[١١]:

وَيْحَكَ هَــذَا الــزَّمَــانُ زُوْرُ فَــلاَ يَــغُــرَّنَّــك الْــغُــرُوْر
لاَ تَلْتَــزِمْ حَــالــةً وَلكِنّ دُرْ بــاللَّيَــالِــي كَــمَا تَــدُوْر

أما قصيدته الساسانية[١٢] المشار إليها سابقاً فقد نظمها أبو دلف على لسان بني ساسان، من المتسولين وأبناء السبيل، في ذلك الوقت معارضاً بها قصيدة الأحنف العكبري[١٣]، ذات الغرض نفسه، وأهمية هذه القصيدة ترجع إلى محتواها الاجتماعي، ودلالتها اللغوية، وهي ذات نزعة تعليمية، تهدف إلى تنبيه المجتمع إلى حيل المتسولين، وتُعَرِّفُ بفصائلهم، وتحلل لغتهم الرمزية والاصطلاحية، تلك اللغة التي ضَمَّتْ مَزِيجاً من المفردات العربية والفارسية والسريانية والهندية وغيرها[١٤]. وضمت بعضاً منها المؤلفات الأدبية مثل كتاب «البخلاء» للجاحظ ونصوص «المقامات» للهمذاني والحريري وكتاب «المحاسن والمساوئ» للبيهقي وبابة «عجيب وغريب» لابن دانيال، و«القصيدة الساسانية» للحِلِّي وما تمتاز به قصيدة أبي دلف أنها فَصَّلَتِ القول في هذا الموضوع، وضمت قدراً كبيراً من ألفاظهم ورموزهم، وهذا مالاَ نجده الآن في أيٍّ مصدر آخر[١٥].

والإشارة إلى الأهمية الاجتماعية للقصيدة يجب ألاّ تُخْفِي ما تضمنته أبياتها من نفحات وجدانية عذبة، وخاصة في مطلعها وخاتمتها، فأبو دلف هنا يعود مرة أخرى ليصوغ تأملاته في الحياة بالرقة وجمال الصياغة ومنها نجتزئ هذه الأبيات[١٦]:

جُفُـونٌ دَمْعُـهَـا يَجْـرِي لِـطُوْلِ الـصَّـدِّ وَالْهَجْـرِ
وَقَـلْبٌ تَـرَكَ الْـوَجْـدُ بِـهِ جَمْـراً عَـلَى جَمْـرِ
لَقَـدْ ذُقْتُ الْهَـوَى طَعْمَـيْنِ مِنْ حُلْوٍ وَمِـنْ مُـرٍّ
وَمَنْ كَـانَ مِـنَ ٱلْأَحْـرَارِ يَـسْـلُوْ سَـلْوَةَ الْحُـرِّ
أَلَا إِنِّي حَـلَبْـتُ الـدَّهْـرَ مِنْ شَـطْرٍ إِلَى شَـطْرِ
وَجُبْتُ ٱلْأَرْضَ حَـتَّى صِرْتُ فِي التَّطْوَافِ كَـالْخِضْرْ
وَلِـلْغُـرْبَـةِ فِي الْـحُـرِّ فِـعَـالُ النَّـارِ فِي التِّـبْرِ
وَمَـا عَـيْشُ الْـفَـتَى إِلَّا كَـحَـالِ ٱلْمَـدِّ والْجَـزْرِ
فَـإِنْ لُمْـتَ عَـلَى الْغُـرْبَةِ مِثْلِيْ فَـاسْمَعَنْ عُذْرِي
أَمَـالِي أُسْـوَةٌ فِي غُـرْبَتِيْ بِـالـسَّـادَةِ الـطُّهْـرِ

* **الرحالة الجوال** : لم يكن أبو دلف شاعراً فحسب ولكنّه كان ذَا وَلَع بالأسفار، وصاحب باعٍ في صناعة الكيمياء والطب، وقد كشفت عن مواهبه تلك رسالتان جغرافيتان له، دوَّنَ فيهما مشاهداته، وتجاربه العلمية، وملاحظاته الطبيّة، ويبدو أن كثيراً مما جاء في رسالتي أبي دُلَفٍ ظل مبثوثاً في بطون المصادر العربية مثل «عجائب المخلوقات» للقزويني، و«الفهرست» لابن النديم، و«معجم البلدان» لياقوت الحموي، تارة يرد اسمه في النقل، ولكن كثيراً ما يستقي عنه أولئك المؤلفون المواد الجغرافية والعلمية، والأثرية دون تسمية أو تخصيص.

وقد ساعد على ذلك أن ظَلَّ أمرُ رسالتَيْه مجهولاً ـ قديماً وحديثاً ـ حتى سنة ١٩٢٣م حيث تم اكتشافهما في مخطوطة جغرافية بمكتبة مشهد، فكان ذلك برأي كثير من المستشرقين من النتائج الهامة التي وَثَّقَتِ المعلومات الواردة على لسانه في المصادر السابقة.

أهدى الخزرجي رسالته إلى رجلين غير مُسَمَّيَيْنِ من ذوي الاهتمام بالعلوم، وأخبار الأمم، فقال: (إني لمّا رأيتكما ياسيدي ـ أطال الله بقاءكما ـ لَهِجَيْنِ

بالتصنيف، مُوَلَعَيْنِ بالتأليف، أحببت ألَّا أُخْلِي دستوركما، وقانون حكمتكما من فائدة وقعت إليّ مشاهدتها، وأعجوبة رمت بِيَ الأيام إليها، ليروق معنى ما تتعلمانه السمع، ويصبو إلى استيفاء قراءته القلب، وبدأت بعد حمد الله والثناء على أنبيائه بذكر المسالك، ومراتب أولي الأمر والنَّهْيِ فيها، لأن معرفة ذلك زيادة في البصيرة، وواجبة في السيرة، وقد حضّ الله تعالى عليها أولي التيقظ والاعتبار)[١٧].

وفي هذه الرسالة دَوَّنَ أبو دُلَفٍ ما شاهده، وخبره عن تلك الشعوب وكان منهجه في البحث يقوم على تسمية المواقع، ووصف أحوال السكان، ومذاهبهم، وعاداتهم، ومساكنهم وألبستهم وأَطْعِمَتِهِمْ، ثم ذكْر خصائص وأصناف المعادن والحجارة، والمياه، والنباتات التي تشتهر بها مدنهم ومناطقهم. وفي هذه الرسالة ذكر لنا أبو دلف من أسماء الشعوب: الطخطاخ، البجا، البجناك، الجكل، البغراج، التبت، الكيماك، الغز، التغزغز، الخرخيز، الخرلخ، الخطلخ، الختيان.

وأشار إلى بقايا العرب الذين غزا بهم تُبَّع ملك اليمن بلادَ الصين، وقد استوطنوا منطقة القليب، وهم كما يقول: (يتكلمون بالعربية. . . ويكتبون بالحِمْيَرِيَّةِ، ولا يعرفون قلمنا) والقبائل الآنفة الذكر تتباين حياة أفرادها في المسكن، والملبس والمآكل، وتختلف طباعهم وعاداتهم وتقاليدهم من شعب إلى آخر، وهذا الأمر يسري كذلك على معتقداتهم ونظمهم السياسية والاجتماعية. فالبجا تعبد الأصنام، وتُعَظِّمُ البقر، وأفراد الخرخيز يجلُّون زحل والزهرة، والبجا تؤدي الإتاوة للطخطاخ، وهاؤلاء يدفعونها إلى ملك الصين. وليس للكلكان ملك. وللبغراج ملك يعيِّنُ بالقرعة، وأحكام الختيان عقلية تقوم بها السياسة وليس لهم ملك، وكل عشرة يرجعون إلى شيخ له عقل ورأي فيتحاكمون إليه[١٨] ومن تلك العجائب التي سجلها أبو دلف أنّ للكيمياك (حجارة هي مغناطيس المطر. يستمطرون بها متى شاؤوا)[١٩]. وللخرخيز (حجارة تسرج بالليل، يستغنون بها عن المصباح ولا تعمل في غير بلادهم)[٢٠].

* **الكيميائي ــ الطبيب** : يقول أبو دلف في مقدمة رسالته الثانية : (أبدأ بذكر المعادن الطبيعية، والعجائب المعدنية إذ هي أعمُّ نفعاً، فأتحرًى في ذالك الإيجاز، والله ولي التوفيق، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولما شارفت الصنعة الشريفة، والتجارة المربحة من التصنيعات، والتقطيرات، والحلول والتكليسات خامر قلبي شك في الحجارة، واشتبهت عليّ العقاقير، فأوجبت الرأي اتباع الركازات، والمنابع، فوصلت بالخبر، والصنعة إلى الشيز)[٢١].

وفي هذه الرسالة يبرز اهتمام الخزرجي بالمعادن، وأصناف الحجارة، وخصائص المياه والأعشاب فيذكر لنا من المعادن: الذهب، الزئبق، القصدير، الفضة، الزرنيخ، الأُسْرُبّ، الزاج، الكبريت، التوتياء، النحاس، الزاج الأسود، الكحل، المرتك. . . الخ.

ويجري تجاربه الكيميائية، ويدوِّنُ نتائجَ اختباراته فيقول: (إن زئبق الشيز أجلّ من الخراساني، وأثقل وأنقى، وقد اختبرناه فتقرر من الثلثين واحد في كيان الفضة المعدنية، ولم نجد من ذلك في المشرق)[٢٢] وفي مدينة الران (معدن ذهب ثقيل أبيض، فضي، أحمر المحك إذا حمل على عشرته واحد من الفضة أحمرّ)[٢٣].

وكان يتحدث عن ناحية أخرى عن فوائد النباتات والمياه، وخصائصها الطبية والنفسية في شفاء الأمراض والأورام فيذكر أن عيناً في مدينة ويزنجان تنبع ماء يستحجر إذا ضربه الهواء، تنفع من أديم الأرحام سيالاً، ومن دبر الحمير جامداً[٢٤]. وفي وادي الكرد مما يلي سلماس (حَمَّة شريفة، كثيرة المنفعة. . ومن شرف هذه الحَمَّةِ أنَّ مع مجراها مجرى ماء عذب زلال بارد، فإذا شرب منه إنسان فقد أمن الخوانيق، ووسّع عروق الطحال الرقاق، وأسهل السوداء من غير مشقة)[٢٥] ومن طرائف مشاهدات أبي دلف أن حشيشة في الران (تضحك من تكون معه، حتى يخرج به الضحك إلى الرعونة، وإنْ سقطتْ منه أو شيءٌ منها اعتراه حزن لذلك فبكى)[٢٦] ومن دخل مدينة بسطام (وفي قلبه هوى وشرب من مائها، زال العشق عنه)[٢٧].

* **أبو دلف والأساطير والمأثورات الشرقية**: وإضافة إلى الجوانب التي مر ذكرها ضمت رسالتا أبي دلف مادة وفيرة عن المباني، والقلاع والآثار، والقناطر، والجسور، وعن أصناف الصناعات، وأنواع المحاصيل الزراعية، والأنهار، والبحيرات والسدود، كما عني المؤلف فيهما بقضايا الطلاسم، والأساطير. فهما بالتالي تُعَدَّان من أهم مصادر (الانتربولوجيا) الثقافية التي ننفذ من خلالها إلى معرفة نشاط تلك الشعوب وعادات أفرادها، وتصوراتهم العقلية، وأنماط تفكيرهم، ومأثوراتهم الشعبية. وحين ندقِّقُ في موقف الخزرجي مما كان يسمع أو يشاهد نجده يرد كثيراً من تلك المرويات، ويمتحنها على محك التجربة والاختبار. فيكشف عمّا يشوبها من وهم التصورات الساذجة، فمن ذلك ما زعمتهُ العامة عن شيطان (جبل دباوند) وما نسجته عقولهم من قصص وحكايات خرافية حول المارد المقيّد الذي تومض عيناه ناراً، ويعلو نفسه كالدخان، ويدوّي صوته كالرعد. وهنا ندع أبا دلف يمضي في كشف الحقيقة فيقول: (فاعتبرت ذالك وارتصدته، ولزمت به المكان، وصعدت في الجبل حتى وصلت إلى نصفه بمشقة شديدة، ومخاطرة بالنفس، وما أظن أنَّ أحداً تجاوز الموضع الذي بلغت إليه، بل ما وصل إليه إنسان فيما أظن، وتأملتُ الجبال فرأيت عيناً كبيرة، وحولها كبريت مستحجر، فإذا اطلعت الشمس، والتهبت فظهرت فيه نار. وإلى جانبه مجرى يمرُّ تحت الجبل تخترقه رياح مختلفة فتحدث بينها أصواتٌ متضادة على إيقاعات متناسبة، فمرةً مثل صهيل الخيل، ومرة مثل نهيق الحمير، ومرة مثل كلام الناس، ويظهر للمصغي إليها مثل الكلام الجهوري دون المفهوم، وفوق المجهول، يتخيل السامع أنه كلام بدوي ولغة أنسي. وذلك الدخان الذي يزعمون أنه نفسه بخار تلك العين الكبريتية، وهذه حال يحتمل على ظاهر هذه الصورة ما تدّعيه العامة)(٢٨).

ولقد شكّل هذا الموقف النقدي منهجاً علمياً سار عليه أبو دلف، ولم يشذَّ عنه إلاّ قليلاً، وكأنَّ روح الشاعر فيه المفتونة بسحر الأسطورة، وبريقها، كانت تتمرد أحياناً على رقابة العقل، لذالك وجدنا الخزرجي يلتقط بعض الحكايات الخاصة بالطلاسم وتأثيرها، وبالمعتقدات الشعبية الأسطورية الموروثة بحكم العادة أو

التجربة ، ومادمنا في إطار (جبل دباوند) فإننا نورد قوله عن تصورات سكانه واعتقاداتهم فيقول: (إذا نظر أهل هذه الناحية إلى النمل تدخر الحب، وتكثر من ذلك علموا أنها سنة قحط وجدب. وإذا دامت عليهم الأمطار وتَأَذَّوْا بها، وأرادوا قطعها صبُّوا لَبَن المَعْز على النار فانقطعت وقد امتحنت هذا من دعواهم دفعات فوجدتهم فيه صادقين. وما رأى أحدٌ رأس هذا الجبل في وقت من الأوقات منحسراً عنه الثلج إلا وقعت الفتنة، وهُرِيقت الدماء من الجهة التي تراها منحسرة، وهذه العلامة أيضاً صحيحة باجماع أهل البلد)(٢٩).

وهنا لا نعتقد أن تفسير تلك الوقائع على نحو ما ادَّعاه الخزرجي ، فقد تكون عفوية الحدث أو المصادفة وراء حصول تلك الوقائع كما تبدّت للعامة آنذاك. وربما كان من الممكن تفسير حدوث تلك المعطيات على أنها إسقاط نفسي، جماعي ، انطلاقاً من فكرة السحر التعاطفي التي طرحها (j-frasey) فأهل (دباوند) يربطون بوساطة قانون التشابه بين السنة الجدباء، وادخار النمل الحبوب، وهم من ناحية أخرى يمارسون طقوس السحر الاتصالي عندما يصبّون لبن المعز على النار ، وكأنّ ذلك يمكن أن يؤثر على الأمطار فتكف عن الهطول، والعلاقة الاتصالية قائمة على المعنى الرمزي للانقطاع فكما تنقطع النار عن الاشتعال كذلك تنقطع الأمطار، وقانون الاتصال هذا يبدو ذا طبيعة إرهاصِيَّةٍ في عقائد السحر(٣٠) وانصافاً لأبي دلف نقول: إن الأخبار ذات الطابع الخرافي أو التكوين الأسطوري في رسالتيه لا تكاد تذكر إذا ما قيست بما نجده في كتب الرحالة العرب الآخرين على أن هذا بحد ذاته لا يشكّلُ مأخذاً على أبي دلف ، ولا يُهوّن من قيمة رسالتيه فهو حالة شائعة في فكر العصور الوسطى ، انعكست بشكل كبير في كتب الأدب والرحالة والجغرافيين.

* **بين الإهمال والاهتمام** : ولعلنا مما سلف نكون قد وقفنا على جوانب هامة، ومعطيات كثيرة عن شخصية الخزرجي ، عن حياته المضطربة الغامضة، وسفره الدائم، وتجواله الطويل، وعن مواهبه ومؤهلاته في الشعر والطب والكيمياء والجغرافية التي كان من الطبيعي أن تمنحه شهرة علمية وأدبية، ولكنّ أبا دُلَف الذي عانى من الحرمان في حياته، عانى كذلك من قسوة الإهمال بعد وفاته، فلم

يفطن له القدماءُ، ولم يهتم به المحدثون، وما كتب عنه يأتي في درج الدراسات العابرة، في حين أن الأمر يتطلب جهوداً متأنية وتنقيباً دقيقاً ، يكشف عن نتاجه الأدبي والعلمي، وخبايا حياته وأسرارها .

وخلافاً لهذا الواقع اهتم لفيف كبير من المستشرقين بأبي دلف، فكتب عنه (ويستنفيلد) و(شلوزر) و(بارتولد) و(ماركار) و(غريغوريف) و(روصوين) و(مينوريسكي) و(كراتشكوفسكي) و(فرين) وغيرهم.

وقد رُكِّزَتْ بحوثُ هؤلاء ودراساتهم الطويلة على الجانب الجغرافي ترجمة، وتحليلاً ونقداً ، فلا عجب أن تعددت الآراءُ سَلْباً أو إيجاباً ـ في تثمين جهود أبي دلف العلمية والجغرافية، فرأى بعضهم في كتاباته خلْطاً بالوقائع والأحداث والطرق، وتَدَاخُلاً بين الواقع والخيال.

وكان من أهم نتائج بحوث (كراتشكوفسكي) أنّه فندَّ كثيراً من هذه المزاعم وأثبت أن رحلة أبي دلف حقيقة ولم تكن من نسج الخيال وتصوّرات الأوهام.

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه ونحن بصدد حياة مسعر بن المهلهل الينبعي: إلى متى تظل عشرات بل مئات الأسماء الهامة في شتى مجالات تراثنا الحضاري والثقافي مجهولة تعاني من إهمال الدارسين، ومرارة الاغتراب والنسيان ؟!

سورية ـ الحسكة: احمد الحسين

الهوامش والإحالات :

(١) انظر «تاريخ الأدب العربي» بروكلمان ترجمة د. يعقوب بكر ٢٤٥/٤ أو دائرة المعارف الإسلامية ترجمة محمد ثابت الفندي ٤٧٥/١، وتاريخ الأدب الجغرافي، كراتشكوفسكي ص ١٨٨ .

(٢) «مثالب الوزيرين» التوحيدي، تحقيق د. إبراهيم كيلاني، نشر دار الفكر ص ٢٨٩ .

(٣) «لطائف المعارف» الثعالبي ، تحقيق إبراهيم الأبياري ص ٢٣٩ .

(٤) «مثالب الوزيرين» التوحيدي: ص ٢٩٢ .

(٥) «يتيمة الدهر» الثعالبي ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة ٣٥٧/٣ .والسُّفْتَجة: هو أن تعطي مالاً للآخر، وللآخر مال في بلد المعطي، فيستفيد أمن الطريق، والجمع سفاتج).

(٦) (٧) «يتيمة الدهر» الثعالبي ٣٥٦/٣.

(٨) من هؤلاء نذكر ابن العميد، ابن النديم، الصاحب بن عباد، عضو الدولة البويهي.

(٩/١١) «يتيمة الدهر» ٣٥٨/٣٥٦/٣٥٧/٣ .

رَحّالة دمشقي مَرّ بنجد سنة ١١٢٠هـ
بعد عوده من الحج، ومَرّ بالأحساء ثم بالعراق

في كتب الرحلات ما لَيْس في كثير من المؤلفات الأخرى، مما يتعلق بوصف البلاد وذكر أحوال سكانها.

وعلماء المغاربة ممن بَزَّ غيرهُم من العلماء في هذا المجال.

والمعروف في رحلات المشارقة قليل بالنسبة لأولئك، وبين يدي رحلة كتبها أحد أهل الشام في القرن الثاني عشر الهجري، ولفت نظري فيها أنه ـ بعد عودته من الحج ـ مَرَّ ببلاد نَجْدٍ فتوقعت أن يتحدث عنها حديثاً ذا فائدة، إلاَّ أنَّهُ لم يكن على درجة من العلم تحقق ماتوقعت، ولقلة ما اطلعت عليه من رحلات المشارقة حاولت عرض ملخصها للقراء، وأَبَحْتُ لنفسي عَدَمَ التَّقَيُّدِ بما أخطأ فيه من الناحية اللغوية، ومحاولة إيراد مضمون كلامه محافظاً على المعنى، مع تصحيح اللفظ ، فأنا لا أسوق كُلَّ كلامه بنصه إلا ما صرحت بأنه من قوله.

وقد أكرمني بنسخة مصورة منها الأستاذ الكريم الدكتور عبدالله العثيمين، وهي مصورة من إحدى المكتبات الألمانيـة، موصوفة في فهرس أهـل ورد ←

→ (١٢) نسبة إلى ساسان، وفي «دائرة المعارف الإسلامية» ٤٦/١١ : (ساسان ولي جميع المتشردين أو أبناء السبيل كالمشعوذين والسائلين، والحواة، ومنهم أيضاً الغجر، ويدخل في زمرتهم أيضاً أنواع المحتالين كافة، وتسمّى فنونهم، وحيلهم علم ساسان).

(١٣) هو أبو الحسن عقيل بن محمد ينسب إلى عُكبرا، له ديوان شعر مفقود، وفاته سنة ٣٨٥هـ.

(١٤) انظر مجلة الاستشراق، ٢٦٠/٥ مقال: أ ـ تروتسكايا (لغة المصطلح لفناني آسيا الوسطى).

(١٥) للتوسع يمكن الرجوع إلى كتاب «بوزورث» (BOSWOPTH - 1976 - THE MEDIEVAL, ISLAMIC UNDER WORLD. LEIDEN. BRILL: 1 : 23. 164.

(١٦) «يتيمة الدهر» ٣٧٦/٣.

(١٧/٢٠) معجم البلدان، ياقوت الحموي، نشر دار صادر، مادة صين ٤٤٣/٤٤٢/٤٤١/٣.

(٢١) الرسالة الثانية، أبو دلف الخزرجي، تحقيق محمد منير مرسي ص ٣٠.

(٢٢، ٢٣ ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨،) الرسالة الثانية للخزرجي والصفحات على التوالي (٣٤، ٤١، ٤٣، ٥٢، ٤١، ٨٧، ٨٢).

(٢٩) الرسالة الثانية ص ٨٢، وهنالك شواهد أخرى ص ٨٦ كقوله عن الدامغان: (وهنالك قرية تعرف بقرية الحجالين فيها عين تنبع دماً لا يُشك فيه، لأنه جامع لأوصاف الدم كلها).

(٣٠) «أدب الرحلات عند العرب» علي محسن، ص ٣٤٥.

(AHL WARD) تحت رقم ٦١٣٧ ، وهي في ما يظهر في مجموع تبتدئ فيه من ص (١٠٢ ب) إلى (ص ١١٥ ب) في الصفحة الأولى من الورقة شعر لاصلة له بها، وفي الصفحة الثانية مذكرات تتعلق بأحلام لصاحب الرحلة دونها على طرة النسخة منها إشارة إلى رؤيا وقعت له وهو في الأحساء في ١٨ ربيع الأول سنة ١١٢١ تتعلق بالشيخ أيوب المفتي، ثم ذكر وفاته في غرة رجب من السنة المذكورة. وأحلام أخرى وبيتان قديمان من الشعر.

ويظهر أنها مسودة المؤلف، ففيها ترميج فوق بعض الجمل، مع إبدالها بغيرها، وإضافات في الهوامش، وهي ناقصة حيث ينقطع الكلام في آخر صفحة منها (١١٥ ب) بما نصه: (وخرجنا من بغداد نهار الثلاثة ثاني عشر رجب المبارك، وهي زيارة ثانية ووداع، ونسأل الله العود ثم العود إلى تلك الرحاب المعظمة، والبقاع المكرمة، فزرناهما وودعناهما، واستقمنا إلى عصرية الأربعة، ونزلنا في السفينة، وقطعنا على طريق المعظم أبي حنيفة النعمان، زرناه ثانياً، وبتنا على طريق الشطّ ومعنا من الأحباب والأصحاب جماعة) وتنتهي الصفحة.

وبصرف النظر عما يتصف به كاتب هذه الرحلة من سذَاجَة وجَهْلٍ إلا أنه أمد القارئَ بلمحاتٍ على جانب من الطرافة والإفادة، تتعلق ببعض البلاد التي لاتزال جوانب من تاريخها بحاجة إلى ما يجلوها ويبرزها من المعلومات التاريخية ولعل من أمتع تلك اللمحات مافي الرحلة من وصف لبلدة الكويت في عام ١١٢١ بأنها بلدة تضارع الأحساء بشكل أبنيتها، وتفوقها برخص ما يجلب فيها. وهذا نَصٌّ صريح يستفاد منه أن تاريخ الكويت سبق عهد براك بن عُرَير شيخ بني خالد الذي استولى على الأحساء فيما بين سنتي (١١٨١/١١٩٣هـ) إذ من المستبعد أن تبلغ البلدة من العمران الحدَّ الذي وصفها عليه صاحب الرحلة في مدة من الزمن لا تتجاوز أربعين عاماً.

وكاتِبُ الرحلة عاميٌّ، ولكنه ذو إلمام بالأدب، بدأ ما سجل في هذه الرحلة بقوله ـ بعد المقدمة ـ: (يقول العبد الفقير إلى الله الغني المنان، مرتضى بن علي بن علوان: إنني قد حججت ولله الحمد في أيام الصِّبا وعنفوان الشباب، وذالك في عام ثمانية وثمانين بعد الألف، وكتبت منازل الحج كل منزلة باسمها) ثم تمنَّى أنه لو

ضبط (كل قناق مسيرة كم ساعة، من الشام إلى عرفات) ولعله يقصد بـ (قناق) منزلة، والمَرْحَلة فهو يكرر الكلمة عند وصف المنازل وكذا المراحل.

وهو يريد بما يكتب الآن استدراك مافات من حيث ضبط المسافات حين مَنَّ الله عليه بالحج في سنة عشرين ومئة وألف، صحبة شيخين أُثْنَي عليهما وقال: (الشيخ زين العابدين وشقيقه الشيخ جمال الدين ابني عمي الشيخ محمد قاسم، وكان أمير الحاج الوزير نصوح محمد باشا، كافل الشام، والسردار فخر الأعيان عبدالله أغَا (الينكجرية) بدمشق، و(الجاويش) محمد أغا المعروف بكتكوت، وقاضي الركب مع قضاء مكة المشرفة عبدالله أفندي بن حامد أفندي).

وخرج من منزله بدمشق نهار الثلاثاء بعد صلاة الظهر من اليوم السادس والعشرين من شهر شوال سنة عشرين ومئة وألف، وقد مضى من كانون الأول عشرون يوماً، وذكر أن الفائدة من ذكر كانون لمعرفة أنه فصل شتاء، وليله أطول من نهاره، وتوجه مع الركب الحلبي لتأخره عن الركب الشامي الذي توجه يوم الخميس حادي عشر الشهر.

ومَرَّ الركب بمكان يقال له (المُفَقَّر).

وكان المبيت بمنزلة (دنون)[1] بعد سير خمس ساعات.

وبعد سير عشر ساعات كان الوصول إلى (الصَّنَمَيْن).

ومنها إلى (الْـمُزَيْرِيب) التي وصلها الركب بعد خمس ساعات ضحوة الخميس، وكانت الإقامة فيها ذالك اليوم ويومي الجمعة والسبت.

وباستهلال الشهر المبارك ذي القعدة كان التوجه إلى (المفرق) نهار الأحد، في الساعة الثالثة إلى السابعة منه، والبقاء فيه إلى بعد أداء صلاة المغرب.

ثم التوجه إلى (الزرقاء) وكان الوصول بعد الظهر نهار الاثنين بعد سير عشرين ساعة، ووصف الموقع بأنه (قناق)[2] متعب قبيح، ذو ظهور وبطون، ينبغي لماشِيْهِ اتخاذ نَفَقٍ في الأرض تارة، وسُلَّمٍ في السماء تارة أخرى.

ووصف ماقاساه الركب ودوابهم من التعب.

ثم التوجه نهار الثلاثاء الساعة الرابعة مع نقل الماء إلى (القِطْرَانَة)[٣] والمرور على (البلاِطة)[٤] وبعد مسير ثماني عشرة ساعة كان الوصول طلوع الشمس إلى (البلقة)[٥] وفي الساعة السادسة من نهار الأربعاء كان الوصول إلى (القِطْرَانة) بعد سير خمسة عشر ساعة بعد المرور بـ(وادي النسور)، وشعاب كثيرة، وقال عن قلعة (القِطْرانة) هي قلعة لطيفة، ذات عمارة معتبرة، محكمة التربيع، مشيدة البناء بالأحجار البيض والكِلْسِ والْـمُوْن، ولها باب من الجهة القبلية، ووصف ماءها بأنه متغير، لأنه يجتمع من المطر، وفي هذه السنة لم ينزل مطر، وهذا الماء من العام الماضي. ثم كان الاتجاه إلى (الحَسَا)[٦] في الأصيل قبل صلاة المغرب والوصول بعد طلوع الشمس بساعتين، والسير ست عشرة ساعة.

ومنها بعد صلاة العصر إلى (عُنَيْزَة) مع نقل الماء إلى (الْـحَسَا) فكان الوصول بعد طلوع الشمس بساعة، ووصف المنزلة بأنها دَارٌ واسعة، وذكر خانَها العظيم، إلَّا أَنَّهُ خراب، وبعض جُدُره متساقطة، وأورد بيتاً من الشعر:

إنَّ الْبِنَــاءَ إذا تَعَــاظَمَ أَمْــرُهُ   فِيْهِ الدَّلِيْلُ عَلَى عَظِيْمِ الْبَانِـي

ومسافة السير خمس عشرة ساعة، وكان الوقود بحطب الشِّيْحِ، إذْ لا نبات في هذا المنزل ولا في الذي قبله.

وبعد المغرب إلى (مَعَان) وبلوغها عند طلوع الشمس بعد سير ثماني ساعات، ووصفها قائلاً: (فإذا مَدْخَلُهَا أَتْعَبُ من مخرجها، ومخرجُهَا أَتْعَبُ من مدخلها، ذات آكام وآجام، وبطون أورية، وظهور أندية، ذات شعاب متفرقة، متحطمة بأحجار، قبيحة بأخبار، أضيق من أهلها، الذخائر فيها قليلة، والشرور فيها كثيرة) ثم ذكر الإقامة فيها ثماني عشرة ساعة. والخروج بعد الزوال الساعة السابعة مع حمل الماء إلى (ظهر العقبة) والوصول بعد طلوع الشمس بعد سير تسع عشرة ساعة.

والتوجه بعد صلاة الظهر إلى (جُغَيْمَان)[٧] والنزول من ظهر العقبة بعد العصر، والوصول إلى (جُغَيْمَان) مع الشمس بعد سير خمس عشرة ساعة، ووصف المنزلة بأنها منزل رحب، سهل الفضاء متسع الرمضاء، قال: فسألنا عن جُغَيْمَان، ما جُغَيْمَان ؟ فَدَلُّونا على تلٍّ هناك يدعى بـ(جُغَيْمَان).

ثم المسير إلى (ذَات حج)[٨] والمياه منقولة من (مَعَان) إلى ظهر العقبة إلى جغيمان إلى (ذات الحج) التي كان الوصول إليها بعد سبع ساعات من الليل، وأول المسير في الساعة السابعة من النهار، وفي أثناء الطريق ذكر أنه مَرَّ بمحل ذي أحقاف من الرمل يدعى (حالات عمار)[٩].

وقال في وصف (ذات حج): (منزل رحب يُنْبِيٌ عن قلعة محكمة البناء، مشيدة الْـمَبْنَى، في حائطها بركة يخرج إليها الماء من باطن القلعة إلى الخارج، وماؤها قليل متغير اللون والطعم، وفي القلعة بعض خلل يقولون إنه من العرب، وهو أنه في سنة ثماني عشرة ومئة وألف سقط جدارها الغربي إلى عضاضة بابها، وقد مال الباب ولم يسقط، وحولها بيوت صغار يسكنها بعض الأعراب بشكل قرية، فخلت من أهلها ولم يبق في القلعة ولا في جوارها أحد، ودار حضرة الباشا المكرم في جهاتها، وطلع أعلاها، ودار حولها. وما يليها ليخبر السلطنة عنها وليعيدها كما كانت) وكان السير إليها ثمان ساعات.

ومن (ذات حج) في الساعة الثامنة، والوصول إلى (القاع)[١٠] طلوع الشمس وهو منزل رحب فسيح المجال والماء مصحوب من (ذات حج) والمسير أربع عشرة ساعة.

وقمنا من (القاع) إلى (تبوك) ودخولها في الساعة السادسة ليلاً والسير ثماني ساعات، وقال في وصف تبوك: (فإذا هي منزل رحب، فيه قلعة عظيمة البناء، والترتيب والمغنى، فيها جند من (قول) السلطان، وماء كثير، قال: (وحملنا إلى الأخيضر لأنهم ذكروا لحضرة الباشا أن الأخيضر قليلة الماء وأن فيها بركة لبني منجك وبركة لبني مزلق) فنبه الباشا إلى حمل الماء.

قال: ثم قمنا من قلعة (تبوك) إلى (الأُخَيْضِر)[١١] فوصلنا بعد مضي أربع ساعات من الليل، فكان السير عشرين ساعة بعد استراحة ساعتين، ووصف المنزل بقوله: (هو قناق متعب، ذو شعابٍ وضروب، وبُغَازَات ونقوب، يعبر عنها بنقب (الأُخيضر) فوصلنا إلى قلعة عظيمة البناء والصورة، بجند مولانا السلطان معمورة، وإن لم تكن بالخيرات مغمورة، ولكن ماءها كثير، بضد ماعَرَّفوا مولانا

الوزير، ولم يوجد فيها من الذخائر إلا القليل، وبتنا تلك الليلة في رحابها، وجاءنا تلك الليلة مطر عظيم غرق من الإبل رحالُها:

وَلَـمَّا أَنَخْنَـا بِـ(الْأُخَيْضِرِ) رَحْلَنَـا　　وَنَحْنُ لِـمَا نِلْنَاهُ فِي شِدَّةِ النَّصَبْ
أَنَاخَتْ عَلَيْنَا مِنْ بُرُوْقِ رُعُوْدِهَا　　سَحَابَةُ مُزْنٍ صَيَّرَتْ سَيْرَنَا خَبَبْ

وكان المسير في ثاني يوم الوصول، وباقٍ في النهار خمس ساعات، إلى (قلعة المُعَظَّمِ)[١٢] والمسير سبع عشرة ساعة قبل الوصول إليها، وقال: (لكن نلنا من مسافتها من المشاق مالا يطاق من أماكن تعرف بـ(جناين القاضي) و(الصاني)[١٣] و(النقب) ومن الغدران والغيلان، وضيق المسالك في النقوب بين الحجاج والدواب، والمحامل والركاب، وتعب كل من أولئك غاية التعب) ووصف القلعة بعظمة البناء لا نسبة لغيرها بها، إلاَّ أنها معطلة، ومن أهلها مستوحشة، وفي بركتها قليل ماء من المطر، قال: (وسألنا عنها فقيل لنا: إن بئرها نشف ماؤه وتعطل، وصار بين محافظها وبين العرب عداوة قديمة آلت إلى تركها).

وبعد مسير ست عشرة ساعة كان الوصول إلى (الدار الحمراء) والماء من (الأخيضر).

والرحيل بعد أن بقي من الليل خمس ساعات إلى (المداين)[١٤] والوصول بعد مضي سبع ساعات من النهار، فالمسير اثنتا عشرة ساعة، وصف المنزل بأنه متعب، وسمى محلات مر بها (الزلاقات) ثم (شق العجوز)[١٥] ثم (مبرك الناقة)[١٦] وبعد المبيت في (المداين) وصلاة الصبح كان السير إلى (العلا) الساعة الرابعة والوصول الساعة الرابعة من نهار الجمعة عشرين القعدة، قال: (ولم نر فيها شيئاً من الذخائر، والسبب أن الجراد في العام الماضي أثر عندهم وشوش عليهم، فما كان إلا التبن وبعض تمر وقليل ليمون وبعض ذبايح).

وكان في (العُلاَ)[١٧] المبيت والإقامة نهار السبت إلى مابعد الظهر.

ثم كان المسير بعد أن بقي في النهار أربع ساعات إلى (مَطَرّان)[١٨] والوصول بعد طلوع الشمس بساعة، ومجموع السير ثماني عشرة ساعة والماء منقول من

(العُلاّ)، قال: (والشعير قد خلص من عندنا، وعند غيرنا، فصرنا نحن وغالب الحاج نعلق على البغال المعبوك، يُفْرَكُ في الماء ويوضع في المخالِي، وقد رأينا من يشتري كُلَّ مُدٍّ بقرش صحيح، وقد تاه الدليل تلك الليلة وتعب الحاج تعباً كثيراً).

قال: (ومنها الاتجاه إلى (شَعْب النعام) بعد أن بقي في النهار أربع ساعات والوصول أول الفجر بعد ست عشرة ساعة قال: فإذا هو قناق متعب، ذو ظهور وبطون، وأحجار وغيلان)[١٩].

وفي أثناء الطريق واد يقال له (وادي النار) وبعده محل يقال له (البِير الجديد) استقى منه بعض الحاج ونقل منه غالب السقاية الماء إلى الشعب المذكور.

قال: (ثم قمنا إلى (هدية) بعد أن بقي من النهار أربع ساعات فوصلناها بعد طلوع الشمس بساعة، فإذا هو منزل لابأس به، غير أنَّ الغِيلان في دربها كثير، ووجدنا من السيل في أفنائها نهراً عظيماً يدور على ثلاثة أدرب كأنه ثلاثة أنهر سألنا عنه فقيل قد جاء في صحراء العراق سيل كثير عرموم، وهذا ممتد منه، وكان قناقها ثمانية عشر ساعة).

ثم ذكر المسير إلى (الْفَحْلَتَيْنِ) وقد بقي من النهار ساعتان وبلوغ المنزل، وقد مضى من نهار اليوم الثاني خمس ساعات، وكان النزول في (قاطع الفحلتين) والماء من (العلا) ومن (هدية) من السيل المذكور، ووصف السير بأنه متعب، وفي أثناء الطريق عقبة يقال لها (العقبة السوداء) نال الحاج منها التعب، وتقطعت الْقُطُرُ، وضاع للناس بعض الجمال والبغال وأحمالٌ، وزاد من مشقتها طولها، ومدة السير عشرون ساعة، ثم ذكر نزول سحابة مطر، وتمثل بيت من الشعر:

تَرَاكَمَتِ الْأَتْعَابُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ   وَمَعْظَمُهَا أَنْ كَادَتِ النَّفْسُ تَزْهَقُ

ثم ذكر المسير من المنزل المذكور والوصول إلى المدينة المعظمة.

وقال: (القانون المألوف أنَّ من هَدِيَّة إلى المدينة ثلاث مراحل، فحضرة الباشا لأجل العَليق عملها شيلتين، وكلف الناس هاتين المسافتين).

في المدينة المنورة :

قال: (فدخلنا المدينة المنورة نهار الخميس المبارك، محل الظهر، فكان سيرنا عشرين ساعة ومررنا على (وادي العقيق)... وقلت ارتجالاً :

ولما غشتْ وادِي الْعَقِيق جمالُنا ونَحْنُ بحمدِ الله في غاية الصفا
وكُنَّا مَحَلَّ الْفَجْرِ فانفجرتْ لنا مفاتيحُ أنوار النبي المصطفى
وكان نهار للخميس مبارك وليلته الغرا العروبة أَلْطَفا
فيا سعد من أيام سعد وطيبها بطيبة لو مَنَّتْ عليَّ فتعطفا

أوردت قوله هذا لبيان منزلته من العلم.

ثم ذكر أنه ومن معه اتجهوا إلى العبادة من صلوات وقراءة قرآن وزيارة مشاهد حتى كان يوم الأحد بعد الظهر قال: (وكان الباشا ذكر أنه تعوق في المدينة يوماً زائداً، فأراد أن يجعل المدينة إلى بدر (قناقين) يقصد مرحلتين فكلف الناس بذالك فكادوا أن يقعوا في المهالك).

وكان السير ظهر يوم الأحد إلى (الأبيار)[٢٠] حيث الإحرام والاغتسال والصلاة في المسجدَيْن، ثم السير إلى قبيل الظهر ثاني يوم.

ثم ذكر النزول قريب (بير ذات العلم)[٢١] قال: (هو كبير موحل موحش) وكان السير إليه ثماني عشرة ساعة.

ومن (بير ذات العلم) كان المسير قبل المغرب بساعتين إلى (بَدْرٍ) والوصول بعد أن بقي من النهار خمس ساعات، ومجمل السير عشرون ساعة، ووصفه بالمشقة، فالأنفس قد بلغت حَدَّ التراق، والجمال والدواب وقفت على ساق، وكان المبيت تلك الليلة في (بدر) قال: (وقد دخلنا بدراً ودُرْنا في رحابها، فإذا هي بلدة كبيرة، فيها مسجد يقال له مسجد الغمامة، زرناه وصلينا فيه، وهو جامع تقام فيه الجمعة، يشتمل على منبر، وزرنا شهداء بدرٍ فوق المسجد بحصة، وفي هذه البلدة سوق كبير، ظننا أنه يقوم أيام الحج فقط، فأخبرني رجل من أهلها أنه هكذا طول السنة لا يفتر، وأن عليه مَرَدٌّ من البحر إلى الينبع مسافة يوم، وفي

السوق المرقوم فهو كأي بلد في مكة في (محلة أم عابدة)[٢٢]!

وذكر أن قبل الوصول إلى (بَدْر) حين بَلَغَ الْحُجَّاج قرب الْجُدَيِّدَةِ نصف الليل (نفرت الإبل، وصارت حالة مزعجة وقع غالب الركاب، وفقدت بعض الأسباب التي سقطت، وفي الحال لُقِطَت، وماكان إلاَّ شيطان دخل بين تلك القطارات).

وقال: وتوجهنا من بدر وقد بقي من النهار أربع ساعات إلى (القاع) وكان الوصول طلوع الشمس والسير سبع عشرة ساعة، ووصف (القاع) بأنه متسع رحب، وصار للجمال في ليلته جفلتان، وذكروا أن مثل هذا يحدث في هذا الموضع.

ومن القاع إلى (رابغ) وقد بقي من النهار أربع ساعات، وبعد مضي عشر ساعات من الليل كان الوصول بعد سير أربع عشرة ساعة، ووصفه بأنه منزل واسع، وذكر المرور بقرية (المستورة) وقت صلاة المغرب، وأشار إلى نقلهم الماء من بدر إلى القاع ثم إلى رابغ، وأن الحنفية أحرموا منه.

ثم المسير إلى (قُدَيْدٍ) وقد بقي من النهار خمس ساعات إلى أن مضى من اليوم الثاني خمس ساعات، فكان المسير أربعاً وعشرين ساعة، ووصف السير بأنه متعب صعب، في تلال ورمال وقلابات صعاب، وأن الدليل قد تاه وضل السبيل. قال: (وفي صباحه يَسَّرَ الله وقطعنا عقبة السُّكَّرِ، عقبة متعبة مهولة، تطلع فيها إلى جبل من الرمل، وتنزل إلى بحر من الرمل).

ثم قال: (نزلنا وأقمنا إلى أن بقي من النهار خمس ساعات وتوجهنا إلى (وادي فاطمة) فوصلناه مثل الوقت الذي مشينا فيه، فكان سيرنا أربعة وعشرين ساعة، منها ساعتان استراحة) وأشار إلى المرور بـ(خُلَيْص) قبل المغرب، وعلى (مدرج عُسْفَان) ربع الليل وعلى (سبيل الْـجَوْخِـي) بعد نصف الليل، والوصول إلى (وادي فاطمة) وقد بقي من النهار خمس ساعات).

في مكة المكرمة:

وفي صباح الاثنين يوم التروية الثامن من شهر ذي الحجة، كان الوصول إلى مكة المشرفة بعد مضي خمس ساعات من النهار، قال: (نزلنا (أم عابدة) بمن معنا

من الأرفاق والأتباع والحجاج، وكان جملتنا ثلاثة وثلاثين نفراً ، وضربنا الخيام واحدة لنا ، وواحدة للنساء ، والثالثة للأتباع ، تغدينا وارتحلنا ، وتوجهنا لمكة المشرفة ، وبمحل السيد الشريف محمد بن السيد علي بن حيدر حَلَلْنَا فسلمنا عليه، وذالك بعد أن كان قد وصل كتابنا إليه).

وذكر النزول إلى المسجد الحرام ، وأداء النسك ، قال: (ثم شدَّيْنا من (أُمّ عابدة) بعد العشاء فنزلنا (عرفة) ومن (أم عابدة) إلى عرفات ثلاث ساعات) وذكر الوقوف بعرفة مع السيد محمد بن حيدر وولديه رضي الدين وعلي، ثم النفرة مع الباشا أمير الحج الشامي، والتوجه إلى المزدلفة والمبيت فيها، وذكر أنه شاهد حُجَّاجاً مختلطين أَعْجَاماً ومشاهِدَةً يقال لهم: (الحج الْعُقَيْلِي)، وذكر إكمال المناسك والعودة إلى مكة والنزول ببيت السيد محمد بن علي بن حيدر ، وأنه جاور أربعين يوماً في مكة المكرمة، وأنه في نهار السبت رابع المحرم افتتاح سنة إحدى وعشرين بعد المئة والألف ختم القرآن العظيم ثلاث مرات، وأنه كان يتردد على الشريف حامي حمى بيت الله الحرام الشريف عبدالكريم، وابن عمه الشريف عبدالمحسن، والشريف يحيى، وأنه اجتمع بأعيان مكة المشرفة وزار مافيها من الأماكن والمدافن، وحضر ليلة (النوروز) ليلة التاسع من المحرم بعد مضي خمس وخمسين درجة من المغرب، وأنه دخل البيت العظيم.

ثم عزم على التوجه إلى المدينة المنورة صحبة الشريف مبارك أخي عبدالمحسن، وكان ذالك نهار الثلاثاء الرابع عشر من المحرم، والإقامة في الْأَبْطَحِ ثلاثة عشر يوماً (حتى جمعوا فيها من الأعجام ما مقداره من الذهب السكة أربعين ألف أحمر (طرليا)؟ لطف الله بهم).

قال: (ومما نالنا من العوارض في ليلة الحادي والعشرين من الشهر المرقوم أَنْ قُمْنَا من الليل فرأينا جميع أسبابنا مسروقةً من الخيمة، ولم يبق لنا إلَّا ماكان منا في الأعناق، وكذالك ولد أختنا السيد حسن ووالدته، وبعض أرفاقنا وأتباعنا، وغالب النحاس ودَبَّتَيْنْ ملآنتين سمناً، فتوجها إلى الشريف وشكونا له، فأرسل من جانبه من يقصُّ الأثر ، ثم ذكر أن اللصوص ثلاثة من هُذَيْلٍ وُضِعَ شَيْخُهم

في السجن يومين، وأنه أكثر الكلام على حضرة الشريف حتى أمر بأن يُشْنَق المحبوس، فشفع فيه أحد الحاضرين، مع أخذ مهلة لعله يظهر الأمر ، ولكنه عزم على السير بعد أن ضاقت به الحال، ووكل في ذالك السيد محمد بن حيدر بمعرفة الشريف، على يد حضرة عبدالقادر أفندي الصديقي المفتي الحنفي بمكة المكرمة، قال: (وكتبنا له وكالة وبياناً بمفردات الأسباب).

ثم ذكر التوجه نهار الاثنين السابع والعشرين من المحرم إلى (وادي فاطمة) وفيه رأوا هلال صفر ليلة الجمعة.

ووصف هطول المطر في تلك الليلة بأبيات قالها ارتجازاً على طريق المجاز، وقد ضمنها ماجرى له أثناء إقامته في مكة، ولعل القارئَ يكتفي بذكر ملخص ما تحويه، فقد ذكر النزول بالأبطح ، ثم بعد انقضاء أيام منى المجاورة في مكة، ثم الخروج إلى الأَبْطح والمبيت فيه سبع ليال، وحدوث سرقة أمتعته في اليوم الثامن، والشكوى إلى الشريف عبدالكريم وإلى محسن بن زيد، وإلى الوزير القائم مقام، وأن قُصَّاص الأثر عرفوا السُّرَّاق من هُذَيْل، وحبس ثلاثة من شيوخهم، وأن الشريف عبدالكريم خَيَّرَهُ بين الـمُكْث في مكة أو توكيل من يشاء بشأن القضية، فوكل محمد بن علي بن حيدر، وكتب مفردات ما سُرِق منه .

لم يفصل المراحل بين مكة والمدينة، بل اكتفى بالقول: (وصلنا المدينة المنورة نهار الرابع والعشرين من شهر صفر ، فنزلنا في محل يقال له (فوق الحرة) بين المدينة وسيدنا حمزة، وهو إليه أقرب، فأقمنا خمسة أيام، قضاها بالعبادة صلاة وزيارات ويظهر أنه ينتمي إلى آل البيت فقد قال: (وودعنا الصحابة الكرام. . . . وودَّعنا جدتنا السيدة. . . فاطمة عليها أفضل الصلاة والسلام)!!

وفي عصر الأحد رابع عشرين من صفر، كانت زيارة البقيع.

وفي صباح الاثنين خامس عشرين من صفر، كان المسير من المدينة تحت جبل أحد وهو على اليسار، ويظهر أن الاتجاه كان إلى الأحساء حيث ذكر ما نصه: (وذكروا لنا أن المسافة من الـحَسَا إلى مكة يقطعها الحاج في ثمانية عشر يوماً ، وأن الإياب من مكة إليها يبلغ خمسة وعشرين يوماً) قال: (وتوجهنا كما ذكرنا على بركة

الله نهار الاثنين المذكور وكان انتهاء السير والوصول إليها نهار الأحد تاسع شهر ربيع الآخر، فكان جملة المسير إليها ثلاثة وسبعين يوماً عدا الإقامة في الأَبْطح).

وذكر أن الجمال الذي تولى نقلهم وعبر عنه باسم (حَمَل دَار)[٢٣] رجل مشهدي اسمه عباس قال: كنا نعرفه أولاً بالاسم، ففي هذه المدة اتضح اسْماً ورَسْماً، ثم أورد من نظمه:

عباس إنْ تَعْلَمُ أوصافَه ... فإسْمُهُ من بعض أوصافه
قد اتخذناه لنا سايِساً ... صرنا له من بَعْضِ سُيَّاسِهِ

قال: (وكان لنا أرفاق أخيار أعرضنا عن التعرض لذكرهم، رغبة فيهم أو رغبة عنهم) وساق في ذالك نظماً، ثم قال: (وفي هذه المسافة مررنا بقفار عظام طوال عراض، ومن الجملة محل يقال له (سد عنتر)[٢٤] لا يوصف غير أنه سهلة عظيمة، محيط بها جبال عظام، والطلوع منها والدخول إلى هذا المحل لا يمكن إلاَّ من كما يسرب النمل قطاراً قطاراً بين شعب الجبال).

بلاد نجد:

ثم قال: (وفي هذه المسافة مررنا على بلاد نجد، فإذا هي بلاد عظيمة، رحيبة البقاع، عظيمة الاتِّساع، طيبة الهواء، لطيفة الماء، وردنا منها ثلاثة من البلاد.

الأولى: يقال لها (نفي)[٢٥].

والثانية: بعد يومين (ثرمداء).

والثالثة: بعد يومين الثالث دخلنا بلداً اسمها (الْعُيَيْنَة) وهي أعظم الثلاث.

وفيها من الحمض الْكُبَّاد والنَّفَّاش[٢٦] مالا يوجد مثله إلا في صالحية دمشق الشام، وأما المياه فلا تقاس بغيرها طيباً وصفاءاً وهضماً، سألنا عنها فقيل: كلها آبار، وبعضها مالحة، وفي هذه البلاد أرزاق وخيرات كثيرة)، قال: (وقد حصل لنا تشويش مزاج في هذا الطريق مدة ثلاثة وثلاثين يوماً، إلى أن وصلنا هذه البلاد، وشربنا من مائها وتعطرنا بنسيمها، وحللنا رُبَاها مَنَّ الله وله الحمد علينا بالعافية، فلما تحركت الحرارةُ الغزيرية قُلْت ارتجالاً على طريق البديهة وكتبت معها كتاباً إلى الشام:

لَقَدْ صِرْتُ في نَجْدٍ فأين التلاقيا؟ ومَنْ مُخْـبِرٌ عنيِّ بما أنـا لاقيا؟

في أربعة وثلاثين بيتاً على هذا النمط ، يروم من صَبَا نجد أن تبلغ أشواقه وتحياته على أقاربه في الشام ممن سَمَّاهُم واحداً واحداً .

ويَتحدث عَـمَّا نَالَهُ من عوارض أثناء السير ، فكان مما ذكر أنه في اليوم الثالث بلغ أرضا يقال لها الضواحي[٢٧]، قال عنها إنها وِدْيَانٌ من الرمل ، فعارضه جمل شارد ، اعترض لجمله على حين غفلة فقطع خطامه، فسقط على الأرض مما سبب له تأثراً في فخذه الأيسر .

الحسـا :

وبعد أربعة أيام وهم مجدون في السير كان الوصول في اليوم الخامس إلى (الحسا) وصفهـا بما معناه ولفظه: هي بلدة عظيمة البناء، واسعة الرحاب، كثيرة المياه، تشتمل على عيون جارية، وآبار معينة، ومساجد وعلماء وصلحاء، محصولها النخيل، وجُلُّ غِلاَلِهَا التمر مع الرخص، مواشيهم جميعاً الإبل والبقر والحمير وأكلها مع أهاليها التمر، غير أن البقر يُحَلُّ له التمر بالماء ، والنوى يُغْلَى في الماء حتى يلين ويجعل عَلَفاً . والباذنجان كبير يباع بالعدد ، وخلقته لطيفة، وأما القِثّا فطويل سبط معوج، يزيد طول الواحدة على الذراعٍ، وخيراتها كثيرة لأهلها، ويذكرون أن نصف أهلها شيعة ونصفهم سنة، وهم مُتَّحِدُوْنَ اتِّحَادَ الأهل من غير عناد بينهم، وكذالك قراها وكافلها وواليها وحاميها يقال له الشيخ سعدون[٢٨] سنيٌّ من عرب (خالد) ووزيره شيعي يقال له الشيخ ناصر ، وأنه من أولاد مروان ابن الحكم، كما أُخْبِرْنا، واجتمعنا ببعض أهل البلد من الفريقين وكل منهم راض عن الآخر .

وبحث عن رجل مجبر حاذق ليعالج ما أصاب فخذه لما سقط من جمله فَدُلَّ على إنسان يقال له حجي بن شعيوين، من قرية من قراها يقال لها (الهشة)[٢٩] خارج البلد بخمسة فراسخ قال: (فجاء وباشر خدمتنا وتعليل الأيام المذكورة خمسة وعشرين يوماً، وماخرجنا منها إلاَّ ونحن نَمْشِـي عليها).

وذكر حادثة وقعت أثناء وجوده في الأَحْسَاء حول رجل مات فوق صدر امرأة،

وأنه سُئِلَ عن حكم غسله وتكفينه ودفنه ويظهر أنَّ القصة خرافية.

قال: (وسألنا عن نخلها متى يحمل بعد غرسه؟ فقالوا: خمس سنين، وفي العاشرة يكون كَمُلَ حمله قال: ويزرع تحت النخل الْقَتُّ لأجل الماء والسقاية في كل أسبوع، والنخيل والتمر الذي فيها لا يوصف، وذكروا لنا أن اسمها (هَجَر) بفتح الجيم وهي التي يضرب بها المثل (كَمُهْدِي التمر إلى هجر) وإنما سميت الـحَسَـا، لحساء الماء فيها، وتخلله في أراضيها، ويقوم فيها سوق عظيم في نهار كل خميس، ويأتيه أهل القرى، ويباع فيه من سائر الأشياء.

وقال لي بعض العلماء من تلك الديار: إن هجر اسم يطلق على البحرين والحويزاء[٣٠] والحساء ، هذه الثلاثة.

وهم يسمون باب المدينة (الدروازة) وداخل البلد (الكوت) ويقولون خرج فلان من الكوت ودخل فلان الكوت، والنار يسمونها (ضَوْ) بجميع أصنافها.

ثم ذكر ممن اجتمع به في الأحساء السيد عبدالله بن علي المشهدي، والشيخ أحمد بن حَصي من العلماء قائم بأعباء مصالح إخوانه.

وفي يوم الجمعة بعد العصر الرابع من شهر جمادى الأولى بعد الإقامة خمسة وعشرين يوماً في دار خارج البلد في محلة يقال لها البرّانية، كان الاتجاه إلى النجف.

الكويـــــت :

قال ثم من نهار خروجنا إلى مضي خمسة عشر يوماً دخلنا بلداً يقال لها الكويت - بِالتَّصْغِير - وهو بلد لابأس بها، تشابه الحساء، إلا أنها دونها، ولكن بعمارتها وأبراجها تشابهها، وكان معنا حُجَّاجٌ من أهل البصرة فرقُوا عنا من هناك على درب يقال له (الجهراء).

ومن (الكويت) إلى البصرة أربعة أيام، وفي المركب يوم واحد، لأن ميناء البحر على كتف الكويت، والفواكه والبطيخ وغير ذالك من اللوازم يأتي من البصرة في كل يوم في المركب، أقمنا بها يوماً وليلتين، وتوجهنا على بركة الله وجهة (النجف)

نهار الأحد عَشْرَيِ الشهر المذكور، وهذه (الكويت) المذكورة اسمها (القُرَيْنُ) ومشينا قبل وصولنا إليها على نهار البحر ثلاثة أيام، والمراكب تسايرنا في الميناء على حدود البلدة، وهذه البلدة يأتيها سائر الحبوب من البحر حنطة وغيرها، لأن أرضها لا تقبل الزراعة وليس فيها شيء من النخيل ولا غيره من الأشجار، وأسعارها أرخص من الحَسَاء لكثرة الدفع من البصرة وغيرها.

ورأينا هلال جُمَادى الآخرة ليلة الخميس قبل وصولنا النجف لستة أيام.

النجف:

ويذكر أنه دخل النَّجَف نهار الثلاثاء سادس الشهر المذكور، وأقام هناك اثني عشر يوماً وتوجه يوم الجمعة ١٦ إلى (مسجد كوفان)، وذكر مازار من المدافن، وانه اجتمع ببعض العلماء منهم السيد محمد صالح شيخ الإسلام، وكان يقرأ درساً عاماً في «من لا يحضره الفقيه» وحوله نحو عشرين من الطلبة في داره.

ثم ذكر مسيره يوم السبت سابع عشر من الشهر إلى (الحلة) وأنه بات فيها ليلتين ودخل بعض حماماتها، وخرج منها نهار الاثنين لزيارة (مشهد الحسين) وأنه نزل بقربه ببيت الخطيب، وأقام ثلاثة عشر يوماً في أثنائها هلَّ شهر رجب سنة ١١٢١هـ ليلة الجمعة ووصف ماجرى من اجتماع في تلك الليلة بحضور والي بغداد وجنده.

ثم ذكر توجهه إلى بغداد نهار الاثنين رابع رجب والمبيت في قرية (المسيب) والسير بالسفينة في نهر الفرات.

وسَمَّى من المواضع التي مَرَّ بها (بير النصف) و(خان زاده)، قال: وأخبرنا سكان هذا المحل أن هذا الخان كان مجمعاً للأعراب من قطاع الطريق، ففي أيام الوزير حسن باشا والي بغداد في هذه الأيام مَهَّدَ الطُّرق وأَمَّنَ السُّبُل، وعمر هذا المحل وغيره.

ثم ذكر دخول بغداد نهار الأربعاء والنزول عند الحاج زين العابدين النعلبند (؟) ثم الإقامة في بغداد ثمانية أيام. وأنه دار في أسواق بغداد ودخل بعض حماماتها

وزار مشاهدها المعروفة واشترى ما احتاج من جوخ وكسوة.

وتوجه بعد ذالك لزيارة الكاظمين وخرج من بغداد يوم الثلاثاء ثاني عشر رجب. ثم ينتهي الموجود من الرحلة.

الحواشي :

(١) دنون: يعرف في كتب الرحلات (ذو النون) انظر «الدرر والفرائد المنظمة» ١٢٦٦/٢ .

(٢) قُناق: لعله يقصد بهذه الكلمة المرحلة أو المنزلة.

(٣) القطرانة: لاتزال معروفة على خط سكة الحديد بعد محطة الحَسَاء إلى عَمَّان.

(٤) بلاطة: قال عنها صاحب «الدرر الفرائد المنظمة» ص ١٢٦٦ ـ رأس بلاطة أول بلاد الْبَلْقَاء وليس بها ماء.

(٥) يقصد البلقاء.

(٦) الـحَسَـا: محطة معروفة من محطات سكة الحديد بعد عُنَيْزَة، للمتجه شمالاً وعُنَيْزَة من محطات سكة الحديد المعروفة بعد مُعَان للمتجه إلى عَمَّان.

(٧) عن جُغَيْمَان انظر ص ٣٢٤ من كتاب «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» (قسم شمال المملكة).

(٨) ذات حَج: صواب الاسم (ذاتُ الحَاجِ) بتخفيف الجيم، وهو اسم نبات يظهر أنه كان يوجد في ذالك المكان، وانظر عن هذا الموضع (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي».

(٩) حالات عمار: تعرف الآن باسم (حالة عمار) وتقع جنوب المُدَوَّرَة في المنتصف بينها وبين ذات الحاج، وليست المنزلتان على طريق السكة الحديد بخلاف المُدَوَّرَة (سرغ قديماً).

(١٠) القاع: لايزال معروفاً وقد يسمى (قاع أبو طرفاء) وفيه بئر ابن هِرْمَاس ـ انظر عنها وعن القاع (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي».

(١١) الأُخَيْضِر: موضع معروف بمنطقة تبوك، انظر عنه (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي».

(١٢) بركة المعظم منسوبة إلى الملك المعظم عيسى بن العادل محمد الأيوبي (٥٧٦-٦٢٤هـ) انظر (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي».

(١٣) الصُّاني: يعرف الآن باسم (لَصَّان) بين منزلة بركة المعظم والعُلاَ ، انظر (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي».

(١٤) المدائن: يقصد بالمدائن ما تعارف عليه العامة من تسمية الحِجْر باسم مدائن صالح، وهذا خطأ قد أوضحته في مجلة «العرب» س ١٣ ص ٣، س ١٤ ص ٦١٩ ـ.

(١٥) شق العجوز: ويسمى (شطب العجوز) أيضاً وهو شعب فيه غدير يبعد نحو أربعين كيلاً شمال الحِجْر، وهناك موضع آخر يسمى (شق العجوز) بقرب بلدة ضبا ، وانظر (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي».

(١٦) يقصد بها (مبرك ناقة صالح) بقرب الْـحِجْر.

(١٧) العُلا: المدينة المعروفة. وكل المواضع التي ذكرها بعد العلا إلى المدينة معروفة.

(١٨) مَطْرَان: الأصل في التسمية مَطْرَان مثنى مَطَرٍ أحدهما مطر الأحمر والثاني مطر الأسود واديان يقعان جنوب وادي نَخْلَ الذي يبعد عن هجرة مُغَيْرَاء في الجنوب الشرقي منها بنحو خمسة عشر كيلاً ، ومغيراء جنوب مدينة العُلاَ بنحو عشرين كيلاً «العرب» ١٣٣/١٩ .

(١٩) الغيلان: يظهر أنه يريد بهذه الكلمة شجر أُمّ غيلان وهو شجر السَّمُرِ ، وهو كثير الشوك.

ما اتفق لفظه وافترق مسماه

من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

٢٩٨ ــ بَابُ خَبارٍ ، وَجِيَارٍ ، وجُبَارٍ ، وجَيَّارٍ[1]

أمّا ٱلأوّلُ : بِفَتْحِ ٱلخَاءِ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ـ: فَيْفُ ٱلخَبَارِ مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنَ ٱلمَدِيْنَةِ ، وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَكَانَ قَدِمَ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ نَفَرٌ مِنْ عُرَيْنَةَ ، وَكَانُوا مَجْهُوْدِيْنَ، مَضْرُوْرِيْنَ، فَأَنْزَلَهُمْ عِنْدَهُ، وَسَأَلُوْهُ أَنْ يُنَحِّيَهُمْ مِنَ ٱلمَدِيْنَةِ، فَأَخْرَجَهُمْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ إلَى لِقَاحٍ لَهُ بِفَيْفِ ٱلخَبَارِ وَرَاءَ ٱلحِمَى، وَقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَفِي جُمَادَى ٱلأُوْلَى غَزَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ قُرَيْشاً فَسَلَكَ عَلَى نَقْبِ بَنِي دِيْنَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ

---

(١) تَقَدَّمَ قولُ نَصْرٍ: (بَابِ خَبَّانَ) الخ عِنْدَ قَوْلِ ٱلحَازِمِيِّ فِي ٱلبَابِ الـ(٢٣٢) مِنْ حَرْفِ الجِيْمِ ـ: (بَابُ جَبَّانَ وَجَبَّانَ، إلَى آخِرِ ما قال.

---

(٢٠) يقصد آبار علي وهو ذو الحليفة الميقات المعروف.

(٢١) هي بئر الروحاء ، وتُحاك حولها خرافات كثيرة .

(٢٢) يقصد محلة المعابدة، ومما قيل عن تسميتها وهو خطأ أنها نسبة إلى عجوز تسكنها تدعى (أم عابدة) فقد ذكر أحد المتقدمين أن بقرب هذا المكان مسجداً كان يقصد ويتعبد عنده، فسمي المحل المعابدة.

(٢٣) لعله يقصد بكلمة (حمل دار) الجمَّال المسؤول عن حمل القوم أمتعتهم، والكلمة تركية، مثل (خزنهْ دار) و(بيرق دار).

(٢٤) لا أعرف موضع هذا المكان ومايضاف إلى عنتر من المواضع كثير .

(٢٥) إذا صح أن هذه بلدة ولم تكن مورداً فهو يدل على قدم عمرانها.

(٢٦) هما نوعان من الأترج.

(٢٧) لا أعرف الضراحي هذه، ولا أستبعد أنه يقصد بها (رمال الدهناء) لأنه وصفها بأنها وديان من رمل.

(٢٨) سعدون هذا هو ابن محمد بن براك بن غرير بن عثمان آل حميد، تولى الأحساء من سنة ١١٠٣ إلى سنة ١١٣٥ . وليس سعدون الذي تولى الأحساء سنة ١١٨٩ ، والذي عاصر ولاية آل سعود الأولى لتلك البلاد ، فهذا سعدون بن عرعر بن دجين بن سعدون تولى سنة ١١٨٩ إلى سنة ١٢٠٠ ، (انظر «تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء» ١٢٤/١ ـ ص ١٣٣ ـ الطبعة الأولى).

(٢٩) هذه أقرب صورة لهذا الاسم ، وقد يكون الصواب (الجشة) فهي قرية معروفة والمسافة بينها وبين الكوت تقارب ما ذكر من مسافة .

(٣٠) لا أدري ماهي الحويزاء هذه.

ثُمَّ عَلَى فَيْفَاءِ الْخَيَّار: كَذَا وَجَدتُّهُ مَضْبُوطاً مُقَيَّداً بِخَطِّ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفُرَاتِ، بِالْخَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَبِالْيَاءِ الْمُشَدَّدَةِ وَالْمَشْهُوْرُ الْأَوَّلُ[٢].

وَأَمَّا الثَّانِي : بِكَسْرِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَان ـ: حِيَارُ بَنِي الْقَعْقَاعِ صُقْعٌ، مِنْ بَرِّيَّةِ قِنَّسْرِيْنَ، كَانَ الْوَلِيْدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَقْطَعَهُ الْقَعْقَاعَ بْنَ خُلَيْدٍ[٣].

وَأَمَّا الثَّالِثُ: أَوَّلُهُ جِيْمٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مُخَفَّفَةٌ ـ: مَاءٌ لِبَنِي حُمَيْسِ بْنِ عَامِرٍ، بَطْنٌ مِنْ جُهَيْنَةَ، بَيْنَ الْمَدِيْنَةِ وَفَيْدَ[٤].

وَأَمَّا الرَّابِعُ ـ: بِفَتْحِ الْجِيْمِ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ مُشَدَّدَةٌ ـ: مِنْ نَوَاحِي الْبَحْرَيْنِ، وَثَمَّ كَانَ مَقْتَلُ الْحُطَمِ الْقَيْسِيِّ، أَحَدِ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، لَـمَّا ارْتَدَّتْ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ.

٢٩٩ ـ بَابُ خَبْتٍ ، وَجَنْبٍ ، وَجُنُبٍ[١]

أَمَّا الْأَوَّلُ ـ: بِفَتْحِ الْخَاءِ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ سَاكِنَةٌ وَآخِرُهُ تَاءٌ فَوْقَهَا نُقْطَتَانِ ـ: صَحْرَاءُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِيْنَةِ، يُقَالُ لَهَا خَبْتُ الْجَمِيْشِ ، وَفِي الْحَدِيْثِ[٢].

---

(٢) قَالَ فِي «معجم الْبُلْدان»: الْخَبَارُ موضِعٌ قَرِيْبٌ مِنَ الْمَدِيْنَةِ، وَكَانَ عَلَيْهِ طَرِيْقُ رَسُول الله ﷺ حِينَ خَرَجَ يُرِيْدُ قُرَيْشا قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ـ وَالْخَبَارُ فِي كَلَامِهِمْ الْأَرْضُ الرِّخْوَةُ ذَاتُ الْحِجَارَةِ، وَهُوَ فَيْفُ الْخَبَارِ ، وَيُقَالُ: فَيْفَاءُ الْخَبَارِ ، ذَكَرَهُ ابنُ الْفَقِيْهِ فِي نَوَاحِي الْعَقِيْقِ بِالْمَدِيْنَة ـ ثمُ مافِي كِتَابِ الْحَازِمِيِّ ـ وَتَقَدَّمَ كلام نَصْرٍ فِي حَرْفِ الْجِيْم ـ وهُنَاكَ تَحْدِيْدُ هَذا الْمَوْقِع.

(٣) زَادَ يَاقُوتُ: بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَلَبَ يَوْمَانِ ـ وَأَوْرَدَ لَهُ شَاهِداً مِنْ شِعْرِ الْمُتَنَبِّي.

(٤) جُبَارُ: وَصَلَ يَاقُوتُ نَسَبَ بَنِي حُمَيْسِ بْنِ عَامِرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَوْدَعَةَ بن جُهَيْنَةَ، وَوَصَلَ جُهَيْنَةَ بِقُضَاعَةَ وَأَوْرَدَ شَاهِداً مِنَ الشِّعْرِ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَيَّادَةَ وَغَيْرِه، وجُبَارُ مَنْهَلٌ مَشْهُوْرٌ يُقْرَنُ بِيَمْنٍ وَالْمَنْهَلَانِ مَعْرُوفَانِ يَقَعَانِ شَرْقَ خَيْبَرَ لِلْمُتَّجِهِ إِلَى تَيْمَاءَ انْظُرْ (شمال المملكة مِنَ «المعجم الجغرافي» وَقَدْ أَصْبَحَ جُبَارُ قَرْيَةً. وَفِي «الإِينَاسِ»: جُمَيْسُ ـ بِالْجِيْمِ ـ بن مَوْدُوعَةَ بن جُهَيْنَةَ، وَهُوَ الْحُرَقَة، عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِي، ولكِنَّ النُّص هَذا فِي كِتَابِ «مُخْتَلِفِ الْقَبَائِلِ وَمُؤْتَلِفِهَا» وَهُوَ أَصْلُ صَاحِبِ «الإِينَاسِ» وَلَيْسَ فِيْهِ (بِالْجِيْم).

(٥) جَيَّارُ: أَضَافَ يَاقُوتُ عَنِ الْحُطَمِ واسْمُهُ شُرَيْحُ بْنُ ضُبَيْعَةَ بْنِ شُرَحْبِيْلَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ وتَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فِي حَرْفِ الْجِيْمِ حَيْثُ أَوْرَدَهُ نَصْرٌ.

(١) عِنْدَ نَصْرٍ ـ فِي حَرْفِ الْجِيْمِ ـ: (بَابُ جَنْب، وَجُنُب، وَجَبَب، وَخَبْت).

(٢) كَذَا فِي الْمَخْطُوطَتَيْنِ، لَمْ يَرِدْ نَصُّ الْحَدِيْثِ وَهُوَ كَمَا فِي كِتَابِ «غَرِيْبِ الْحَدِيْثِ» لِابْنِ قُتَيْبَةَ ـ ١/٤٤٧ ـ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَثْرِبِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ مَالِ أَخِيْهِ شَيْءٌ إِلَّا بِطِيْبِ نَفْسِهِ» فَقَالَ عَمْرُو بْنُ يَثْرِبِيٍّ: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيْتُ غَنَمَهُ أَجْتَزُّ مِنْهَا شَاةً ؟ فَقَالَ: «إِنْ لَقِيتَهَا تَحْمِلُ شَفْرَةً وَزِنَاداً بِخَبْتِ الْجَمِيْشِ فَلَا تَهِجْهَا» انتهى وَالْحَدِيْثُ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الْعَزِيْزِ بْنِ عِمْرَانَ، وَهُوَ أَخْبَارِيٌّ =

وَأَمَّا الثَّانِي ـ: أَوَّلُهُ جِيمٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ نُونٌ سَاكِنَةٌ وَآخِرُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ـ: نَهْرُ الْجَنْبِ مِنْ أَعْمَالِ الْبَطَايِحِ(٣).

وَأَمَّا الثَّالِثُ ـ: بِضَمِّ الْجِيمِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ وَفَتْحِهَا ـ: مِنْ نَوَاحِي الْبَصْرَةِ، شَرْقِيَّ دِجْلَةَ مِمَّا يَلِي الْفُرَاتَ(٤).

٣٠٠ ـ بَابُ خُدَدَ، وَحَدَدَ

أَمَّا الْأَوَّلُ ـ: بِضَمِّ الْخَاءِ وَبِدَالَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ: ـ مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ سُلَيْمٍ، وَعَيْنٌ بِهَجَرٍ.

وَأَمَّا الثَّانِي ـ: بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْبَاقِي نَحْوَ الْأَوَّلِ ـ: جَبَلٌ مُطِلٌّ عَلَى تَيْمَاءَ، يَهْتَدِي بِهِ الْمُسَافِرُ(٥).

= ضَعِيفٌ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ، وَفَسَّرَ ابْنُ قُتَيْبَةَ الْمَوْضِعَ نَقْلاً عَنِ الْحِجَازِيِّينَ بِنَحْوِ مَاذَكَرَ الْحَازِمِيُّ. والجميشُ الَّذِي لاَ نَبَاتَ فِيهِ. وَلاَيَزَالُ اسْمُ الْخَبْتِ يُطْلَقُ عَلَى الصَّحْرَاءِ الْمُمْتَدَّةِ بِمُحَاذَاةِ سَاحِلِ الْبَحْرِ بَيْنَ جُدَّةَ حَتَّى مَفِيضِ وَادِي الصَّفْرَاءِ أَسْفَلَ بَدْرٍ، يَمُرُّ بِهَا الطَّرِيقُ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَيَقِلُّ النَّبَاتُ الذي تَرْعَاهُ الأنعامُ بما قَرُبَ مِنَ الْبَحْرِ فَمِيَاهُهُ الْمِلْحُ تَغْطِيهِ وَقْتَ الْمَدِّ، فَلاَ يَصْلُحُ مَعَهَا مِنَ النَّبْتِ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ، وَلَيْسَ كلُّ خَبْتٍ بهذه الصِّفَةِ على أَنَّ الْوَاقِدِيَّ أَوْرَدَ فِي «الْمَغَازِي» ص ١١١١ ـ حَدِيثاً طَوِيلاً جَاءَ فِيهِ: فقال عَمْرُو بْنُ يَثْرِبِيٍّ فَقُلْتُ: يَارَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ غَنَمَ ابْنِ عَمِّي، أَجْزُرُ مِنْهَا شَاةً؟ قَالَ: وَعَرَفَنِي فَقَالَ: إِنْ لَقِيتَهَا نَعْجَةً تَحْمِلُ شَفْرَةً وَزِنَاداً بِخَبْتِ الْجَمِيشِ ـ الْجَمِيشُ وَادٍ قَدْ عَرَفَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِالسَّاحِلِ كَثِيرُ الْحَطَبِ، وَهُوَ وَادٍ لِبَنِي ضَمْرَةَ وَهُوَ مَنْزِلُ عَمْرِو بْنِ يَثْرِبِيٍّ، وَيُقَالُ: خَبْتُ الْجَمِيشِ موضِعٌ صَحْرَاءُ، يُقَال: جَنْب كَدَاءٍ، فَلاَ تَهِجْهَا. انتهى.

وَعِنْدَ نَصْرٍ: وَأَمَّا بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ثُمَّ بَاءٍ مُوَحَّدَةٍ سَاكِنَةٍ، وآخِرُهُ تَاءٌ عَلَيْهَا نُقْطَتَانِ: مِنْ مِيَاهِ كَلْبٍ بِالشَّامِ. انتهى. وَأَوْضَحَ يَاقُوتُ أَنَّ الْخَبْتَ الْمُطْمَئِنُّ مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ رَمْلٌ وَأَضَافَ: وَهُوَ عَلَمٌ لِصَحْرَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ يُقَالُ لَهُ خَبْتُ الْجَمِيشِ، وَخَبْتُ أيضاً ماءٌ لِكَلْبٍ، وَخَبْتُ الْبَزْوَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَخَبْتٌ مِنْ قُرَى زَبِيدٍ بِالْيَمَنِ. انتهى، وَخَبْتُ الْبَزْوَاءِ مِنْ خَبْتِ الْجَمِيشِ وَهُوَ الْجَانِبُ الْمُتَّسِعُ مِنْهُ جَنُوبَ رَابِغٍ حَتَّى نِهَايَةِ الْخَبْتِ وَيُعْرَفُ بِالْخَبْتِ الْكَبِيرِ ـ كما في رِحْلَةِ الْقُطَبِيِّ إلى الْمَدِينَة ـ «العرب» س ٨ ص ٨٦٦ ـ أَمَّا خَبْتُ كَلْبٍ فَقَدْ أَوْضَحَهُ ابْنُ الْكَلْبِيِّ فِيما نَقَلَ عَنْهُ صاحب «معجم ما استعجم» ـ ٥٠ ـ قَالَ: وَنَزَلَتْ كَلْبٌ وَمَنْ حَالَفَهُم بِخَبْتِ دُومَةَ إِلَى نَاحِيَةِ بِلاَدِ طَيِّءٍ إلى طَرِيقِ تَيْمَاءَ. انتهى وَإِذَنْ فَهُوَ مِنْطَقَةُ الْجَوْفِ الواسِعة ذاتِ القرى والمياهِ الكثيرة، وتقَعُ فِي مُنْخَفَضٍ سَهْلٍ مِنَ الْأَرْضِ فَهِيَ خَبْتٌ وَهِيَ جَوْفٌ. وَزَبِيدُ فِي سَاحِلِ الْبَحْرِ فِي خَبْتٍ هُوَ وَمَا حَوْلَهُ مِنَ الْقُرَى.

(٣) عِنْدَ نَصْرٍ ـ جَنْبٌ ـ: أَمَّا بِفَتْحِ الْجِيمِ وَسُكُونِ النُّونِ: نَهْرُ الْجَنْبِ وَهُوَ مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ فى سَوَادِ الْعِرَاقِ، مِنْ أَعْمَالِ الْبَطَائِحِ.

(٤) عِنْدَ نَصْرٍ ـ: جُنَّبُ ـ بِضَمِّ الْجِيمِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ وفَتْحِهَا: صُقْعٌ مِنْ أَصْقَاعِ الْبَصْرَةِ، مِمَّا يَلِي الْفُرَاتَ، شَرْقِيَّ دِجْلَةَ.

وَزَادَ نَصْرٌ:

جَبَب، وقَالَ: وَأَمَّا بِفَتْحِ الْجِيمِ، وَبَعْدَهَا بَاآنِ مُوَحَّدَتَانِ الْأُولَى مَفْتُوحَةٌ: مَوْضِعٌ أَظُنُّهُ مِنَ الْيَمَامَةِ. وَلَمْ أَرَهُ عِنْدَ يَاقُوتٍ فِي بَابِهِ.

(٥) سيأتي شرح هذا الباب فيما بعد.

«رحلة الحجاز»

لإبراهيم بن عبدالقادر المازني (١٣٠٨/١٣٦٨هـ)

هذه الرحلة من أمتع الرحلات، فأسلوب الأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني يستهوي النفس ويمتع القارئ ، ويجذبه بسلاسته وطرافته، بحيث لا يشعر إلا وقد انتهى مما يقرأه من كتبه، وهكذا حدث لي قبل مايقرب من نصف قرن من الزمان حين وقعت في يدي «رحلة الحجاز» التي وصف فيها الأستاذ المازني مشاهداته حين زار هذه البلاد قبل ستين عاماً ، فلم أضع الرحلة من يدي وصفحاتها تبلغ ١٦٦ صفحة من القطع الصغير إلاّ وقد أشبعت نهمي من تصفحها تصفحاً أتى على جميع ماطرقه الكاتب من موضوعات، وما وصفه من مشاهدات، وماذالك إلاّ لطلاوة أسلوبه ولاستمتاعي بما يبدو بين عباراته من خفة روحه، ومزجه الجد بالفكاهة والهزل .

ولا أستبعد أن يكون الصديق الأستاذ حسين بن سرحان قد تأثر بأسلوب المازني هذا ، إذ يحس القارئ تشابهاً بين الأسلوبين .

ولعل مما أعاد إلى الذاكرة الحديث عن تلك الرحلة ما قرأته في جريدة «الشرق الأوسط» (عدد ٤٢٨٧ تاريخ الجمعة ١٤١١/٢/٤هـ ـ ١٩٩٠/٨/٢٤م) من حديث الأستاذ الدكتور علي شلش عن المازني، بمناسبة مرور مئة عام على ميلاده ، وكان مما تحدث عنه الدكتور شلش كتاب «رحلة الحجاز» وأنه من أوائل الكتب التي أصدرها المازني وأنه صدر عام ١٩٣٠م ، وكان قد نشر فصولاً مُنَجَّمَة ، وكانت الرحلة إلى الحجاز بدعوة لحضور بيعة الملك عبدالعزيز . كذا جاء في حديث الدكتور شلش .

والواقع أنّ مناسبة الدعوة كانت الاحتفال الأول بذكرى جلوس الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وليس لحضور بيعته، فقد مضى على تلك البيعة أربعة أعوام .

مع أنه ورد في الرحلة (ص ١٣٢) : (وخطب فؤاد بك حمزة بمناسبة انقضاء عام على مبايعة ابن السعود ملكاً على الحجاز) .

ولكن هذا القول خطأ ، فقد جاء في نص خطاب الأستاذ فؤاد حمزة الذي

نشرته جريدة «أم القرى» في تلك المناسبة فاتحة لعددها الـ (٢٦٥) في ١٠ شعبان ١٣٤٨هـ (١٠ يناير ١٩٣٠م) ماهذا نصه: (أَحْمَدُ الله... إذْ مَنَّ علينا بهذا الاجتماع في هذا المساء بإحياء الذكرى الأولى لجلوس حضرة صاحب الجلالة... بعد انقضاء أربع سنوات كاملات على ارتقاء جلالته أَرِيْكَةَ العرش).

والأستاذ المازني لم يُعْنَ في رحلته بتحديد الأزمنة، ولا بذكر تواريخ الحوادث، بل قد يستغرب المرء من كتاب في وصف رحلة أنَّهُ لم يحو أيَّةَ إشارة إلى الزمن الذي وقعت فيه، باستثناء كلمة واحدة - ص ١٧ -: (وفي الساعة السادسة من صباح السبت ٤ يناير أيقظني أحدُ الزملاء وبلغني أن الشاطيء قد ظهر - يقصد شاطيء ينبع -) ولكن أي شهر يناير من أية سنة ؟!

من هنا كان قراء الرحلة في حيرة في تحديد زمنها، وأذكر أن أحد الاخوة من الأساتذة المصريين - ولعله الدكتور إبراهيم عُوَيْس - اتصل بي يسألني عن تاريخ زيارة المازني للحجاز التي وصفها في رحلته تلك. فقلت: لعل ذالك كان سنة ١٣٤٨هـ. ثم اتضح لي صحة هذا.

كان الاحتفال بذكرى جلوس الملك عبدالعزيز - رحمه الله - قد أُقيم سنتين، الأولى سنة ١٣٤٨هـ والثانية سنة ١٣٤٩هـ، ثم استجاب - تغمده الله برحمته - لدعوة المشايخ، فحقق رغبتهم بعدم إقامة احتفال بتلك المناسبة، بعد أن أبدى له كثير منهم مخالفتها للشرع، بل كتب بعضهم في الصحف ومنهم الشيخ عبدالظاهر بن محمد أبو السمح إمام الحرم المكي الذي كتب في مجلة «التقوى» التي كانت تصدر في مصر عن هذه الأمر.

وفي الاحتفال الأول الذي جرى في اليوم التاسع من شعبان سنة ١٣٤٨هـ (ويصادف ٩ يناير ١٩٣٠م) كان الأستاذ المازني ممن حضره مندوباً عن جريدة «السياسة» المصرية مع وَفْدٍ دُعِـيَ للمشاركة في ذالك الاحتفال يضم أحمد زكي باشا، ونبيه باشا العظمة، وخير الدين الزركلي، ومحمود أبو الفتح مندوباً عن «الأهرام» وعبدالحميد حمدي عن «البلاغ» ومحي الدين رضا عن «المقطم» ومحمد المصيلحي عبدالله عن «كوكب الشرق» ورياض شحاتة عن الجرائد المصورة، وانيس حصلب عن بعض المجلات.

لقد قام الوفد بالسفر من السويس في أول شعبان على الباخرة (تالودي) إحدى بواخر شركة (البوستة الخديوية) فكان المرور بميناء ينبع صباح السبت الرابع من شهر يناير - كما ورد في رحلة المازني - ثم كان الوصول إلى جدة صباح الأحد ١٣٤٨/٨/٥هـ - (١٩٣٠/١/٥م).

وأقيمت احتفالات أبرزها أقيم في وادي فاطمة (مَرّ الظهران) صباح يوم الخميس التاسع من شهر شعبان ١٣٤٨هـ.

وقد أبدع المازني في وصف انطباعاته عما شاهده أثناء إقامة تلك الحفلة - انظر الرحلة ص ١٣٨ وما بعدها - ولكنه صَبَّ جام غضبه على الخطباء والشعراء - ص ١٤٠ -: (إن هذه المبالغات السخيفة هي داؤنا جميعاً ، وإننا في مصر والشام والعراق والحجاز - الخ - أحوج إلى مواجهة الحقائق، وفتح العيون على الواقع، وقياس مابيننا وبين من سبقنا من الأمم ، وإنَّ من الإجرام أن نخدعَ أنفُسَنا ونغالطها في هذه الحقائق ، ومن الجناية أنْ نُنَشِّيءَ هاؤلاء الأطفال على التوهم أنَّ بلادهم ارتفعت إلى قِمَّةِ العلا ، وغير ذالك من الكلام الفارغ) - ثم أمطر الشعراء بوابل من غضبه - ص ١٤١ -: (وكان بين الشعراء رجل من الكويت شعره سخيف ، ولكن انشاده بديع ، وقد كان وهو يلقي القصيدة يغني ويمثل . . . وتلاه شاعر نجدي قُحٌّ ، أعوذ بالله من إلقائه) .

ولم يكتف بهذا بل اشتط وبالغ وأوصى الحكومة بقطع ألسنة الشعراء . . (وقمنا إلى الطعام بعد هذا البلاء الشعري . .) ثم استرسل في النيل من أولئك الشعراء إلى أن قال: (ودعى زميلنا خيرالدين أفندي الزركلي فأنشد قصيدة حَمَاسية ، هي كل ماخرجنا به في يومنا، بل رحلتنا كلها من الكلام الرصين الجيد) .

يظهر أن الأستاذ المازني - وقد أتى ليوافي جريدة «السياسة» وهي من أوسع الجرائد في ذالك العهد انتشاراً ، بوصف ماشاهده في هذه البلاد ، وأثناء حضوره ذالك الاحتفال - أراد أن لا يكون كغيره من مندوبي الصحف ، ممن يكتفون بالوصف المجرد الـمُزَوَّق ، وقد يبرزونه بالصورة التي يُرَغّبُ إليهم أن يبرزوه بها ، إنه لم يسر على هذا ، بل اتخذ نهجاً آخر لعله أراد من ورائه أن يجتذب أكبر عدد من بين قراء تلك الجريدة التي يمثلها ممن لا يستهويهم قراءة ماهو مألوف

ومعروف، ففتح عينيه ليطل من نواحي جانبية، ولينظر لا بعين الرضا بل بالعين الأخرى ليشاهد أموراً لم يألف مشاهدتها ، وقد يكون من بينها ما لا يستدعي من الأستاذ المازني أن يصوب إليه سهام نقده .

لقد كانت هذه البلاد حديثة العهد بالاتصال بالعالم الخارجي ، وكانت لاتزال على ما أَلِفَ سكانها من عادات وتقاليد طوال أحقاب وأزمنة متكررة متطاولة ، ومن تلك العادات ماليس مألوفاً بل ولا مقبولاً عند المازني ولا غيره ، ولكن ليس كل ما استهجنه من هذا القبيل .

ولا يتسع المجال لذكر جميع الأمور التي أثارت في نفس الكاتب شيئاً من الاشمئزاز أو الاستغراب وتكفي الإشارة إلى بعضها : -

في ينبع : حين مَرَّ بمدينة ينبع في الخامس من شعبان ١٣٤٨هـ كان أميرها عبدالعزيز بن فهد بن مُعَمَّر وهو من خيرة الأمراء خُلُقاً وشهامة ونُبْلاً ، ولقد أراد هذا الأمير الكريم أن يعبر عن تقديره لهذا الوفد الذي لم يتمكن من البقاء في البلدة ريثما يتناول طعام الغداء ، فما كان منه إلاَّ أن بعث عدداً من الْـخِرَاف قياماً بواجب الضيافة ، ولكن هذا العمل لم يرق للأستاذ المازني فاتخذ منه موقفاً من مواقف تهكمه وسخريته: (فَحِرْنَا ماذا نصنع بهذه الخراف ، وعقدنا مؤتمراً للتشاور) إلى آخر ماذكر - ص ٢١ -.

وامتدت سخرية الأستاذ إلى المكان الذي استقبلهم فيه الأمير: (وزرنا الأمير عبدالعزيز بن معمر ، وهو شاب نجدي ، جميل الطلعة، وَسِيْمُ المَحَيَّا ، مقدود قَدَّ السيف) إلى أن قال: (وغرفة الاستقبال في داره كأنها مخزن سلاح لا حجرة استقبال) - ص ٢٠ -.

إن الأستاذ المازني لم يدرك أن من عادة العرب منذ أقدم عصورهم إلى عهد قريب كانوا يضعون أسلحتهم على مقربة منهم، كما تقضي بذالك ظروف حياتهم وتقلب أحوالهم، وإذن فما الذي يؤخذ على هذا الأمير وقد بدا جنده ومن حوله قد قربوا أسلحتهم منهم ؟!

وكان مما عرف من عادات العرب في جاهليتهم إرخاء شعر رؤوسهم ، وأتى الإسلام فأقر هذا بحيث كان للرسول ﷺ جُمَّةٌ تضرب إلى منكبيه، فأصبح سُنَّةً

متبعة إلى عهدنا الحاضر، ولكن هذا الأمر مما لم يدركه الأستاذ المازني، فحين وقف على سطح الباخرة مع رفقائه للتصوير وكان ممن انْضَمَّ إليهم أحد جند الأمير، وكان قد أرخى شعر رأسه، فاتخذ من ذالك وسيلة لما ألفه واعتاده من سخرية: (وثنيت عيني إلى جارتي الرشيقة، وشعرها الوحف المضفَّر، وإلى حَوَرِ عينيها الواسعتين اللتين يزينها الكحل) - ص ٢٨ - وأمثال هذه الكلمات الغزلية الناعمة التي أسمع بعضها ذالك الرجل مما دفع الأمير إلى الابتسام، وحمل الـمُصَوِّر على عتاب الأستاذ المازني.

وفي مكة المكرمة: حين تهيأ الوفد لمقابلة نائب الملك لم يكن المازني يدرك أنَّ عادة التقبيل من العادات المألوفة بين العرب منذ عصورهم القديمة، فقال عن تلك العادة - ص ١٠٤ -: (وقد وقف الأمير مقدماً أنفه لمن شاء، فلما جاء دورنا وددت لو أنه كان أمامي كرسي، إذَنْ لقزت بتقبيل أنفه، ولكنني - كما تعرف - فاكتفيت بأن تقدمت إليه ويُسْرَايَ تمسح لحيتي تنبيهاً إليها ولفتا لشبيهها، ويمناي تَمْتَدُّ إلى يده وتقبض عليها... والحق أقول: إن سلام النجديين لا يعجبني لأنه بارد).

ولم يكتف بهذا بل أضاف: (وعدنا فاتفق أن لقيت في الطريق واحداً لم أشك أنه نجدي، وكان فوق نجديته قصيراً، فأقبلتُ عليه وقلت: كيف حالك؟ وأهويت على كتفه فجذبتها على نحو مارأيتهم يفعلون، ومططت شفتي استعداداً لتقبيل أنفه، وجاء الجذب أسرع وأشَدَّ مما ينبغي، فوقع فمي على فمه، واصطدم الأنفان، فلما أفاق من دهشته قلت له: وأنا أتلمض وأمَصِّصُ شفتي: لا مؤاخذة لقد أردت أن أقبل أنفك والخيرة في الواقع!! وذهبت أَعْدُوْ، ولحقت بإخواني).

أما موقفه من الشعراء وحكمه على شعرهم: فهو مما أتمنى على القاريْ ألاَّ يكتفي بذالك قبل أن يقرأ ذالك الشعر الذي سيجده منشوراً في جريدة «أم القرى» في اعدادها التي صدرت فيها بين اليوم العاشر من شعبان ١٣٤٨هـ إلى اليوم السابع عشر منه (١٠ يناير - ١٧ يناير ١٩٣٠م) وبعد قراءته قد يدرك أن الأستاذ المازني كان قَاسِياً في حكمه على بعض أولئك الشعراء.

ولن تفوت الإشارة إلى أن عدم استحسان الأستاذ المازني لطريقة الإلقاء قد تكون ناشئة عن إِلْفِهِ واعتياده للطريقة المتبعة في مصر وغيرها من البلاد من إلقاء الشعر بِدُوْنِ تَغَنٍّ ، وهذا بخلاف الطريقة العربية المعروفة منذ عرف الشعر وكما قيل :

تَغَنَّ في كُـلِّ شِعْرٍ أَنْتَ قَـائِلُهُ   إِنَّ الْغِنَـاءَ لِهَـذَا الْفَنِّ مِضْمَـارُ

وكما قال الحطيئة حين سئل عن أشعر الناس ، فقال: الملك الضِّليل ثم الشيخ أبو عقيل ، ثم صاحبكم إذا رَفع عَقِيْرَتَهُ يَعْوِيْ كعواء الفصيل . والنحاة يذكرون في باب التنوين نون الترنم أو التغني ويستدلون على ذالك بالتنوين الذي يلحق بالقافية في مثل:

أَقِـلِّي اللَّوْمَ عَـاذِلَ والعتَـابـا   وقُوْلِـي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَـابَا

تُمَدُّ الباءُ حتى يَلحق بها تنوينٌ هو تنوين الترنُّم ، وعلى هذا أدركت كثيراً من شعراء نجد والأحساء وكان من آخرهم الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد ـ رحمه الله ـ.

ومجمل القول عن هذه الرحلة الممتعة حقًّا أن الأستاذ المازني لم يكن يتخذ إبراز النقائص أوْ مايراه نقيصة ـ لهوًى في نفسه، أو لمآرب تدفعه إلى ذالك، وإنما كان كما وصفه صديقه بل ألصق أؤلئك الأصدقاء به قبل وفاته الأستاذ خيرالدين الزركلي: يتناول نقائص المجتمع بالنقد، فإذا أورَدَ مثلاً جعل نفسه ذالك المثل، فاستسيغ منه ما يُسْتَنْكَرُ من غيره .

وهو في هذه الرحلة وإن أرخى لقلمه العنان، وحلق بفكره في سماء الخيال بإبراز بعض ما لمح أثناء مشاهداته خلال أيام لم تتجاوز عدد أصابع اليد ـ إلاَّ أنه قد أبرز جوانب مشرقة من حياة هذه البلاد، وختم الرحلة بفصل بعنوان (خاتمة) تحدث عن مراحل النمو وما تسير عليه حكومة هذه البلاد من خطوات في سبيل تقدم بلادها وإسعاد مواطنيها، بحيث ختمها بجملة صريحة بأنها ستبلغ مرحلة من التقدم تسبق بها أقطاراً كانت قد تقدمتها في كثير من مختلف جوانب الحياة .

حمد الجاسر

العوامرة (الملاحة) في فلسطين

هذه معلومات عن قبيلة العوامرة أو ما يطلق عليهم الملاحة، إحدى قبائل فلسطين.

العوامرة : قبيلة كبيرة يستقر معظمهم - وذالك قبيل نكبة عام ١٩٤٨م - في مناطق السهل الساحلي الفلسطيني من بَصَّةِ الفالِق (غابة كفر صور) من أعمال (طولكرم) شمالاً وحتى جنوب مدينة العريش في سيناء ، وتبلغ هذه المسافة أكثر من مئتي كيل . وهذه هي مساكنهم من الشمال إلى الجنوب .

١ ــ بَصَّة الفالق (غابة كفر صور) وضفاف نهر الفالق من أعمال طولكرم.

٢ ــ إلى الجنوب من قرية إجليل من أعمال يافا.

٣ ــ إلى الشرق من قرية الشيخ مُوَنِّس من أعمال يافا.

٤ ــ مناطق عرب السوالمة وعرب أبي كشك من أعمال يافا.

٥ ــ منطقة الحلوة إلى الجنوب من مدينة يافا .

٦ ــ منطقة نهر روبين قضاء الرملة.

٧ ــ منطقة يُبْنَى وأراضي البَرَصْ من أعمال الرملة.

٨ ــ منطقة صُقْرير من أعمال غزة وهي موطنهم الأصلي.

٩ ــ منطقة وادي غزة إلى الجنوب من مدينة غزة.

١٠ ــ مناطق الشوباني والشوكة وأم الكلاب بين مدينة رَفَح ودَيْر البلح.

١١ ــ مناطق أُمْ العَوْسَجِ ورِجْلِ البحر للشرق من مدينة رفح .

١٢ ــ مناطق جبل القَرْن وأم صُمَيْدِع، قضاء بئر السبع على الحدود مع سيناء .

١٣ ــ منطقة العَجْرَةِ وتبعد عن نقطة التقاء الحدود مع البحر المتوسط مسافة ١٨ كيلاً .

١٤ ــ للجنوب من مدينة العريش .

وأكبر تجمعين لهم في منطقة صقرير وروبين، وفي منطقة رفح شمالاً وشرقاً .

نسبهم : تنتسب هذه القبيلة للصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه، والكل يقرُّ لهم بذالك من القبائل، وقد اختلف في اسم هذا الصحابي على أكثر من اتجاه، وقد ذكر ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» ص ٣٨٢ ط بيروت نقلاً

عن الكلبي أنه: عبدالله بن عامر بن عبد ذِي الشَّرَى بن طريف، من ولد ثعلبة بن سليم بن فهم بن غَنْم بن دوس.

وذكر حمد الجاسر في كتابه «في سراة غامد وزهران» أن اسم أبي هريرة: عمير بن عامر بن عبد ذي الشَّرَى...

ويقسم العوامرة إلى بطنين عظيمين هما:

١ ـ المزاريع: أبناء مزروع العامري.

٢ ـ الغوانم: أبناء غانم العامري.

(١) المزاريع: ويتفرع عن هذا البطن العديد من الأفخاذ هي:

١ ـ بني سَيَّاح: ويتفرع عنهم:

١ ـ السَّوارحة: ويذكرون أنهم ليسوا من العوامرة بل هم أبناء رجل من قبرص.

٢ ـ الربايعة: وشيخهم محمد علي أبو ربيع.

٣ ـ العُزَيْب.

(١) القُطِّي. (٢) الحمريري. (٣) الغَريب.

٤ ـ الهُدَيْشات.

٥ ـ الدويَّات: ويقال إنهم من الهديشات.

٦ ـ أبو عروق.

٧ ـ الخمايسة: (أبو خُمَيِّس) ويقال إنهم من آل القطي.

٢ ـ بني جبارة: وجدهم الشيخ جبارة ومقامه في العريش.

١ ـ ابن خميس (الخمايسة) ويتفرع عنهم:

١ ـ العَبَلِّي ٢ ـ ابن جبر ٣ ـ البعَاوِيَّة ٤ ـ الجُبَيْرِيَّة

٥ ـ الهواري ويقال بأنهم من ابن ناجي ٦ ـ الشواهين.

٢ ـ الجبارات: ويتفرعون إلى:

١ ـ الرُجُل ٢ ـ السَّلامِين.

٣ ـ المناصير ٤ ـ الحلو ٥ ـ أبو التُّوم.

٣ ـ الرشوش: ويضم هذا الفخذ:

١ ـ الرُّش. ٢ ـ الرويضات (ابن رويضي)

٣ ــ القراشعة (قريشع) ومنهم العماوية. ٤ ــ العيدة:
١ ــ أبو عيد. ٢ ــ أبو عطا. ٣ ــ الولاولة.
٥ ــ آل النجرة: وهم شيوخ العوامرة في القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر الميلادي.
٦ ــ الخُنون: ويتفرعون إلى:
١ ــ أبي الحَنّ: وجدهم الشيخ أبو العيون.
٢ ــ العواصي: (آل أبي عاصي).
٧ ــ المُلَيْحِيُّون: ويتفرعون إلى:
١ ــ المليحي. ٢ ــ قَنَّاش. ٣ ــ الحَشَّاش.
٨ ــ الرجيلاوية: وهم من سلالة الشيخ أبو رُجَيْلَة من العوامرة.
٩ ــ الموانيس: (آل أبي يونس).
١٠ ــ الدراوشة:
١ ــ العرسان.
١١ ــ الشعيفات: ويذكر أنهم من الرجول.
١٢ ــ الفرود (أبو فردة): ويتفرع منهم:
١ ــ المويسات: ويذكر بأنهم من أصل مغربي من بني سليم في شمال أفريقيا.
١٣ ــ القُروم (القِرْم).
١٤ ــ أبو رُبَيِّع.

ملاحظة: يلفظ العوامرة مثل هذه الكلمات بتسكين الحرف الأول، ونظراً لهذا فقد أضفت لها همزة الوصل (رْبَيِّع) أصبحت (ارْبَيِّع).

(٢) الغوانم: ويقسم هذا البطن إلى أفخاذ وعشائر عديدة، وهناك من يطلق على هذا البطن اسم (الحميدات) نسبة لجدهم الشيخ حميد.
١ ــ الجرادات:
١ ــ أبو جراد. ٢ ــ الحجايجة (آل حَجّاج). ٣ ــ الضُحَيْكات.
٢ ــ الجوادلة.
٣ ــ العيايدة: من سلالة الشيخ عايد أبي العوايد.

١ ــ الشهوب. ٢ ــ الشعول.

٣ ــ النواجي (ابن نويجي) ويقال بأن آل الأشهب منهم.

٤ ــ آل عدوان.

٥ ــ أبو زخير: وهم من آل الأشهب.

٦ ــ المسافرة وهم من آل الأشهب.

٤ ــ آل قنديل.

٥ ــ الوقاقدة: أقارب لآل قنديل.

١ ــ أبو سلطان.

٦ ــ الزرقان.

٧ ــ الوخامين.

٨ ــ أبو عرق: أقارب لآل أبي رُبَيِّع.

٩ ــ آل أبي مُعَلَّا:

١ ــ أبو مُعَلَّا. ٢ ــ النويري. ٣ ــ البالي.

٤ ــ النُدَيْوات. ٥ ــ الدُّوُ. ٦ ــ أبو منصور.

١٠ ــ البريكات: ١ ــ أبو ماشي.

١١ ــ العوايضة:

١ ــ السحيلات: ويطلق عليهم آل الحناوي حديثاً. ٢ ــ أبو عويِّض.

٣ ــ الخبارية. ٤ ــ أبو قُرَيْبَةُ. ٥ ــ ابن ناجي ويتفرع منهم: المطاوية.

١٢ ــ العَمَرات:

١ ــ الوديدي. ٢ ــ الكِـرّ. ٣ ــ آل واكد (الرومي).

١٣ ــ العلاونة: (أبو عليوان) ويتفرع منهم.

١ ــ الفقراء. ٢ ــ الأطبش: وهو لقب لآل أبي عليوان.

٣ ــ الصقر (الصقور).

١٤ ــ الحُمَيْدات: ويذكر بأنهم عشيرة (أبي نويجي) فقط، ويذكر البعض الآخر أنهم الغوانم جميعاً.

هذا مختصر لأفخاذ وعشائر هذه القبيلة.

الأخلافُ ومن انتسب إلى القبيلة

كعادة كل قبيلة فإن الاختلاط والتداخل وارد في كل حال من الأحوال وقد اندرج تحت هذه القبيلة العديد من العشائر بالمصاهرة والتجاور والحلف وغير ذالك ، ومن العشائر التي نسبت لبني عامر :

١ ــ الخطيب : سَاكَنُوا العوامرة في منطقة صُقْرير ، ويَذْكُر العارفون بالأنساب وكبار السّن أنهم من منطقة (البَيُّوك) من القلاعية في (خان يونس) ومناطقها .

٢ ــ الـحُطَيْبي : جاوروا العوامرة في منطقة صُقرير ، يعودون بأصولهم إلى عشائر السُّطرية المنسوبين (لسطر) وهي منطقة قرب خان يونس جنوبي غزّة .

٣ ــ أبو حُلْوَة : وهم من عشائر السُّطَرِيَّة ، سكن أحد أجدادهم منطقة صقرير .

٤ ــ الصَّلِع : وهم أصهار للسَّوارِحَة من العوامرة في صُقْرير ويعودون بأصولهم إلى السُّطَرِيَّة .

٥ ــ الأَقْرَط : من العائلات التي جاورت العوامرة ، وهم من السَّطَرِيَّة.

٦ ــ الخَوَالِدَة : وردوا إلى صقرير في بداية القرن العشرين الميلادي ويذكر أنهم من أصل قيسي من جبل الخليل.

٧ ــ الصُّقور : ويدعون آل (أبي صَقْر) ، وهم من أحلاف العوامرة وأصهارهم، ويعودون بأصولهم إلى قرية (حَمَامَة) إلى الجنوب من صُقْرير .

٨ ــ أبو مُبارَك : وجدوا منذ القدم ، وهم من حاشية العوامرة ، سود البشرة . (من بطانة العوامرة) .

٩ ــ أبو حُزَيِّن : عملوا بالزراعة في أراضي بني عامر في صقرير ، ويذكر أنهم من بلدة (كُياد) في مصر .

١٠ ــ العُصَيْفي : وهم من الحويطات ، صاهروا آل أبي مبارك المذكورين سابقاً .

١١ ـ أبو خَيْط : وهم من حاشية الشهوب العوامرة .

١٢ ـ الخَلايْلَة : ويذكر أنهم من عشائر القَطَاطْوَة ، جاوروا العوامرة في صقرير ، ويعودون إلى قرية قَطْيَة في سيناء .

١٣ ـ الهِرْش : عملوا مُزَارعين في أراضي العوامرة في منطقة صُقْرير ويعودون بأصولهم إلى البياضيين من عرب سيناء ، بالقرب من القَنْطرة .

١٤ ـ الغَذَاوِين : وهم من السَّوارِكَة سكنوا (رُوبين) بين يافا وصقرير ضمن العوامرة .

١٥ ـ أبو رَخِيَّة : وهم ممن نُسب إلى العوامرة ، جاوروا العوامرة في منطقة (نهر روبين) .

١٦ ـ العِـرّ (؟) : وهم من عشائر السَّوارِكَة .

١٧ ـ الهِقّي : وهم من عشائر السواركة ، سكنوا ضمن العوامرة في منطقة (روبين) .

١٨ ـ قَرَمان : يعودون بأصولهم إلى إحدى القرى المجاورة ، صاهروا العوامرة وساكنوهم واندمجوا فيهم ، وأصبحوا وكأنهم إحدى عشائرهم .

١٩ ـ البِلْبَيْسِيّ : ويعودون إلى إحدى القرى المجاورة من (رُوبين) . عملوا في الزراعة في تلك المنطقة .

٢٠ ـ أبو مَحَدَّة : وهم من فلّاحي القرى المجاورة لمنطقة (روبين) .

٢١ ـ القشالين : يعودون بأصولهم إلى مصر ، ساكنوا العوامرة في منطقة (روبين) .

٢٢ ـ أبو مَزْرُوع : وهم من العشائر التي اخْتَلطت بالعوامرة فأصبحت وكأنها منهم ، ويعودون بأصولهم إلى سلالة الشيخ أبي عَرْقوب في قرية حَمَامَة ، إلى الجنوب من صقرير ، سكنوا إلى الشرق من قرية الشيخ مُونِّس ، وهم أصحاب مواشي كما ملكوا بعض الأراضي الزراعية .

٢٣ ـ المُثَيْلِيَّة : من العشائر التي صاهرت العوامرة ، وقد امتزجوا بهم حتى ليظن بأنهم جزء منهم ، يعودون بأصولهم إلى الدُّمَيْثَة إحدى ضرب غزة وتقع بالقرب من مخيم المغازي للعائدين .

٢٤ ـ أبو صافي : وهم من العشائر التي تتبع العوافرة ، سكنوا ضمن العوامرة إلى الجنوب من قرية إجْليل ، كانوا أصهاراً للمُثَيْلِيّة ، يعودون بأصولهم إلى قرية تل الصافي من أعمال الخليل.

٢٥ ـ العَجَاجِرَة : وهم ممن صاهروا العوامرة ، سكنوا منطقة عرب السوالمة إلى الشمال الشرقي من يافا ، يعودون بأصولهم لقرية عَجُّور من أعمال الخليل .

٢٦ ـ السرساوي : وهم فخذ من عشيرة المُهُور ، سكنوا إلى الشرق من قرية الشيخ مُوَنِّس .

٢٧ ـ الدندون : من توابع العوامرة ، لهم علاقة وارتباط مع آل أبي مزروع . سكنوا منطقة الشيخ مونِّس ويقال بأنهم من قرية الطَّيِّبة قضاء طولكرم.

٢٨ ـ المهور : ممَّنْ يُنْسَب إلى العوامرة ، اندمجوا فيهم منذ القدم ، وأصبحوا جزءً لا يتجزأ منهم ، صاهروهم وساكنوهم ، يعودون بأصولهم إلى قرية بني سُهَيْلَة من أعمال غزة .

٢٩ ـ الدَّبَّاس : من العشائر المعروفة منذ القدم ضمن العوامرة ، لهم علاقات وطيدة مع (الفُرود)، يقال بأنهم من بلدة (كَرَتيّا) من أعمال غزة .

٣٠ ـ الخَدَايْجَة : ممن ينسب إلى العوامرة وليس منهم، يعودون بأصولهم إلى العَرايْشِيّة المنسوبين إلى مدينة العريش .

٣١ ـ أبو فايد : وهم ممن ينسب إلى العوامرة .
وهناك أُسر مثل الطُرَيْني والطرْهُوني وأبو رُعَيِّد وأبو ذواية، وأبو شْعَيْبة، وأبو مُزَيد وغيرهم .

العقبة: فايز بن احمد بن سالم ابو فردة

ملاحظات حول :

«المعجم الكبير»

[كان السيد الأستاذ الدكتور مهدي علام نائب رئيس (مجمع اللغة العربية) ورئيس لجنة «المعجم الكبير»، قد بعث إلى رئيس تحرير هذه المجلة ما أعده المجمع ليعرض على مؤتمره السنوي في دورته السابعة والخمسين (١٤١١هـ ــ ١٩٩١م) ويبتدئ من مادة (ح ص أ) إلى نهاية مادة (ح ف ى) من باب الحاء .

وقد كانت الملاحظات التي قدمها عضو المجمع ورئيس تحرير هذه المجلة كما يلي] :

أولاً : ملاحظات على المواد المعدة للعرض

١ ــ ص ١ : (الحِنْصأُ : الرَّجُلُ الضَعيفُ.
الحِنْصأةُ: الضَّعِيفُ الصغيرُ.
الحِنْصَأْوُ : الحِنْصَأُ.
و ــ : الرَّجُلُ الصغيرُ النَّحِيفُ تُزْدَرَى مَرْآتُه.
الحِنْصَأوةُ: الحِنْصَأُ.
وفي «اللسان» قال الراجز:

حتى تَرَى الحِنْصَأْوةَ الفَرُوقَا مُتَّكِئاً يَقْتَمِحُ السَّوِيقَا

ص ٦١ : الحِنْضُجُ : الرَّجُلُ الرِّخْوُ الذي لا خَيْرَ عنده. قال ابنُ دُرَيْدٍ: والنُّونُ زائِدَةٌ).

* * *

١ ــ هذه المواد كان يحسن أن تذكر في موضعها في حرف الحاء والنون، وإن كانت زائدة كما في (ص ١١٤) حيث جاء: (حنظب انظرها في رسمها). ومعروف أن النون في تلك المواد زائدة، ولكن يحسن أن تذكر في بابها المجرد، ثم يحال إلى موقعها من «المعجم» تسهيلاً للباحثين. وكذا ما شابه هذه الكلمات مثل (حوفل) ص ١٨٨ ــ.

٢ ــ لا أدري لما أوردت هذه الجملة ص ٢ : (اقْتَمحَ السَّوِيقَ: اسْتَفَّه).

٢ ـ ص ٣ : (حَصَّبَ الحَاجُّ: نام بالشِّعْبِ الذي مَخْرَجُه إلى الأَبْطَحِ سَاعةً من اللَّيلِ، ثم يخرج إلى مَكَّةَ، سُمِّيَ به للحَصْباءِ الذي فيه).

* * *

يحسن أن يعرف المحصب بتعريف أوضح من هذا، وهو القول بأن المحصب جانب من وادي مكة في مدخلها قديماً من جهة منى، عَرَّفَهُ مؤرخ مكة الأزرقي - «أخبار مكة» ٢/١٦٠ الطبعة الثانية ـ بما نصه: (وحد المحصب من الحجون مصعداً في الشق الأيسر وأنت ذاهب إلى منى إلى حائط خرمان مرتفعاً عن بطن الوادي فذالك كله المحصب وربما كان الناس يكثرون حتى يكونوا في بطن الوادي) انتهى، ويعرف الآن باسم الأَبْطَح.

٣ ـ ص ٦ : (حُصَيْبٌ: موضعٌ باليمن، وهو وادي زَبِيدَ، حَسَنُ الهَواءِ، قال عبدُ الخالقِ بن أبي طَلْحَةَ:

رام عِيسَى مالا يُرَامُ فَأَضْحَى ثَاوِياً بالحُصَيْبِ نائي المَزَار)

* * *

١ ـ أصل هذا في «معجم البلدان» إلاَّ جملة: (حَسَنُ الهَواءِ) فلم ترد فيه، ومعروف أن وادي زبيد في تهامة، وأن تهامة على وجه الاجمال ليست حَسَنة الهواء.

٢ ـ الحصيب اسم مدينة زبيد، وزبيد اسم الوادي كما نص على ذالك الهمداني واللحجي اللذين نقلا عنهما ياقوت، وهما أعلم ببلاد اليمن، وأيد قولهما القاضي الحجري في كتابه «مجموع بلدان اليمن وقبائلها» ـ رسم الحصيب ـ.

٣ ـ عبدالخالق بن أبي طَلْحَة. صوابه: عبدالخالق بن أبي الطلح بن محمد الشهابي الخولاني، من قصيدة مطلعها:

ما بكاء امريٍ بدمنة دار بعدما لاح شيبه في العذار

في اثنين وثلاثين ومئة بيت، أوردها الهمداني في الجزء الأول من «الإكليل» في مدح محمد بن يُعْفِرَ أَحَدِ حكام اليمن فيما بين سنتي ٢٥٥ و٢٦٣ - انظر «العسجد المسبوك» - ٣٣ و «غاية الأماني» ١٦٤/١ -.

٤ ـ ص ٩ : (قال الشاعر :

وَمَسَدًا أَجْرَدَ قد تَحَصْحَصا

الـمَـسَـدُ : اللِّيفُ) .

* * *

مراد الشاعر فيما يظهر: حَبْلٌ من ليف، وليس مجرد الليف، إذ المسد كما في «اللسان» وغيره: هو حبل من ليف أو خوص أو شعر أو وبر أو صوف أو جلود.

٥ ـ ص ٩ : (ذُو الحَصْحَاصِ : موضعٌ، وقيل هو جَبَلٌ مُشْرِفٌ على ذِي طُوًى. (يحال على الأستاذ حمد الجاسر).

أنشد أبو الغَمْرِ الكلابيّ (من أهل الحجاز) يصف نساءً:

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هل تَغَيَّرَ بَعْدَنَا ظِباءٌ بِذي الحَصْحَاصِ نُجْلٌ عُيُونُها)

* * *

١ ـ هذا الكلام منقول من «تاج العروس» والأصل في «الصحاح» للجوهري وفيه: ذو الحَصْحاص: موضعٌ: وأنشد أبو الغَمْر الكلابي لرجل من أهل الحجاز يصف نساءً. فأبو الغَمْر الكلابي ليس حجازيًّا، والشعر ليس له.

٢ ـ ولكن ابن السكيت (١٧٦/ ٢٤٤) ـ ولعله مصدر الجوهري ـ أورد في كتاب «إصلاح المنطق» ـ ص ٤١١ ـ البيت برواية أخرى، فقال: (أنشدني أبو الغَمْر الكلابي لرجل من أهل الحجاز:

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هل تَغَيَّرَ بَعْدَنا ظِباءٌ بِذي الحَصْحاصِ نُجْلٌ عُيُونُها)

ثم ثلاثة أبيات بعده.

وإذن يحسن الإشارة إلى اختلاف الرواية.

٣ ــ والخَصْحاص ذكره من شرط «المعجم» فقد ذكره الفاكهي في «أخبار مكة» - ٤/٢٢٠ و ٢٢١ - وهو من أهل القرن الثالث الهجري - وأورد لشاعر لم يسمه:

إلى الصفح من مفضى البرود ويلدح إلى وادي الخَصْحاص حين يدعثرا

وحدد الخَصْحاص بقوله: الخصحاص: الجبل المشرف على ظهر ذي طوى إلى بطن مكة مما يلي بيوت أبي أحمد المخزومي عند موضع يقال له: البرود. انتهى، وبطن مكة الذي يقصده هنا هو وادي الشهداء، وجبل الخَصْحاص هذا هو الجبل الذي على يمينك إذا توسطت ريع الكحل يشرف على حي الزاهر (الشهداء) من الشرق. كما قال محقق الكتاب.

٦ ــ ص ١١ : (قال النابغةُ الجَعْدِيُّ نحو (٥٠هـ = ٦٧٠م):

كما أَفْلَتَ الظبيُ بعد الجَرِيـ ـضِ من نَزْعٍ أَحْصَدَ مُسْتَأْرِبِ

مُسْتَأْرِب: مُحَاطٌ بالنَّوائِبِ من كُلِّ ناحِيَةٍ).

* * *

وصف الوتر: الشديد الفتل بأنه محاط بالنوائب ليس واضح المعنى، ولكن من المعروف أن (أرب) من معانيها: اشتد، فهو (مستأرب) في قول النابغة: مشتد: أي قوي، وفي «اللسان»: استأرب الوتر: اشتد.

٧ ــ ص ٢٢ : (الحَصِير: جَبَلٌ لِجُهَيْنَةَ وآخَرُ في بلادِ بَنِي كِلابٍ أو ببلاد غطفان. وقيل: هو بالضَّادِ، قال مُزَاحِمٌ العُقَيْلِيُّ (١٢٠هـ = ٧٣٨م):

وما هاجَهُ من دِمْنَةٍ بان أَهْلُها فَأَمْسَتْ قَوًى بين الحَصِيرِ ومُحْبِلِ)

* * *

١ ــ الحَصِير: من الأسماء التي تطلق على مواضع، لعل من أشهرها جبل يقع في

جنوب نجد في منطقة كانت تعرف قديماً باسم (ثَمَلَى) وكانت من بلاد بني كلاب، قال فيه الشاعر:

تطاللت كي يبدو الحصير، فما بدا لعيني ويااليت الحصير بدا ليا

وقال آخر:

كأن خراطيم الحصير وأكلب فوارس نحت خيلها لفوارس

انظر «بلاد العرب» ـ ص ١٤٣ ـ و«معجم البلدان» ـ رسم الحصير ـ.

٢ ـ حضير: ـ بالضاد ـ هو ثني من وادي العقيق، في أسفل النقيع بمنطقة المدينة المنورة.

٨ ـ ص ٢٣ : (وأَبُو حَصِيرةَ: صَحابِـيٌّ قَسَمَ له النبيُّ ﷺ من وادي القُرَى).

* * *

هذا الكلام من استدراكات صاحب «التاج»، وأصح منه ماورد في «الإصابة» لابن حجر: (قَسَمَ له من مغانم خيبر).

٩ ـ ص ٢٨ : (الأَحَصُّ: ماءٌ نَزَلَ به كُلَيْبٌ فاسْتَأْثَرَ به دون بَكْرٍ فقيل له: اسْقِنَا. فقال: ليس فيه فَضلٌ عَنَّا، فلما طَعَنَه الجَسَّاسُ اسْتَسْقَاهُم الماءَ، فقال له الجَسَّاسُ: تَجَاوَزْتَ الأَحَصَّ، وفيه يقول النابغة الجَعْدِيُّ (٥٠هـ = ٦٧٠ م):

فَقَالَ لِجَسَّاسٍ: أَغِثْنِي بِشَرْبَـــةٍ تَدَارَكْ بها طَوْلاً عَلَيَّ وأَنْعِـمِ
فَقَالَ: تَجَاوَزْتَ الأَحَصَّ وماءَه وبَطْنَ شُبَيْثٍ وَهْوَ ذُو مُتَرَسَّمِ

شُبَيْثٌ: جَبَلٌ بِنَواحِي حَلب.

وقال جَرِيرٌ: (١١٠هـ = ٧٢٠م):

عَادَتْ هُمُومِي بالأَحَصِّ وِسَادِي هَيْهَاتَ من بَلَدِ الأَحَصِّ بِلاَدِي)

١ ـ الأَحَصُّ : حدده صاحب كتاب «بلاد العرب» ـ ص ١٩٧ ـ فقال في ذكر منازل بني الأضبط بن كلاب: (ومن أوديتهم ذو لباح، وماؤه شبيث، والأَحَص وراءه لبني سليم، بينه وبين ذالك نصف يوم، ونوائح كليب منصوبة على ماء شبيث، وهن صخور كأنها الرحال منصبة) انتهى وهذا بمنطقة بلدة عفيف في عالية نجد، وكليب قتل في الذنائب الواقعة في تلك الجهة ولاتزال معروفة، وهناك ماء يدعى (شبيبة) ليس بعيداً أن يكون هو ماكان يعرف قديماً باسم (شبيث).

٢ ـ الجَسّاسُ: صوابه (جساس) إذ (الـ) لا تدخل على الأسماء إلاَّ سماعًا.

٣ ـ القول بأن شبيثاً الواقع في خبر مقتل كُليب الذي حدث في عالية نجد، في نواحب حَلَبٍ خطأ محض، ولكن هناك في نواحي حلب موضعان آخران هما: الأَحَص وشبيث، وهما اللذان ذكرهما ياقوت في «معجم البلدان» وأورد شعراً لرجل من طيء مات ولده في دمشق، ذكر فيه شبيثاً والأحص، ولعل جريراً أراد بشعره الأحص الشامي البعيد عن بلاده.

كما أن أبا رياش في «شرح نونية الكميت» ذكر أن الأَحَصَّ وشبيثاً في الحيرة ـ انظر «العرب» س ١٣ ص ٧٤٥ ـ ولا يعني الباحث هنا إلاَّ أن الاسم قد يطلق على عدة مسميات.

١٠ ـ ص ٢٩ : (قال الحُطَيْئَةُ (٤٥هـ = ٦٦٥م):

حَطَّتْ به من بِلَادِ الطَّوْدِ عَارِيَةٌ حَصَّاءُ لم تَتَّرِك دون الغَضِيَ شَذَبَا

بِلَادُ الطَّوْدِ: يريد الشامَ إلى بِلادِ تَمِيم. عارِيَةٌ: سَنَةٌ بارِدةٌ شَدِيدة. لم تَتَّرِك: أكَلَتِ الشجرَ الا عُصِيًّا. الشَّذَبُ: القِشْرُ).

* * *

١ ـ كلمة (الغَضَيَ) هنا مشكلة، فقد وردت في «الديوان» كما هنا، ولكن فسرت في شرح هذا البيت بما هذا نصه: أي أكلت الشجر إلاَّ عصيه، وتجمع العصى: عُصي وعَصي، وتُثَنى: عصوان. انتهى، وإذن يتضح أن الصواب: (دون العَصَى).

٢ ــ تفسير بلاد الطود غير واضح، يوضحه بيت الحُطَيْئة ـ ١٧ مخطوطة الديوان:

إن امرءًا رهطه بالشام منزله   برمل يبرين جاراً شد ما اغتربا

ابن السكيت: قوله: رهطه بالشام: أي بناحية الشام، قال أبو عمرو: ومنازل بني عبس بِشَرْج والعقيق والجواء وهي أسافل عدنَةَ. انتهى، وتلك بالنسبة إلى بلاد تميم تقع بناحية الشام.

١١ ــ ص ٣٠: (الحُصَاصُ: الضُّراطُ، وفي الخبر «انّ الشيطانَ إذا سَمِعَ الأَذَانَ وَلَّى وله حُصَاصٌ).

* * *

١ ــ ابن الأثير قدم للحديث معنى آخر، فقال: (الحُصَاص: شدة العدو وحِدَّته، وقيل: هو أن يمصع بذنبه ويصر بأُذنيه، ويعدو، وقيل: هو الضُّراط) انتهى.

إذن هو لم يقدم هذا المعنى في إيضاح معنى الحديث.

٢ ــ نبه الهجري إلى أَنَّ هذا التفسير خطأ، فقال في «التعليقات والنوادر» ـ ٤٤٢ المخطوطة المصرية ـ: (يقال: مر وله حصاص. قال: الحصاص: صوت العدو من يَحُصُّ، مثل يَحْصُب. ومنه قول صخر الغي يصف السيف:

به أَقِمُ الشجاع له حصاص   من القطمين إذ فر الليوث

وإذا كان من الأست فهو النصيص من قول الأشجعي:

لأِستاهكم بين النخيل نصيص

وقول من قال في «غريب الحديث»: الضُّراط. باطل.

٣ ــ وقدم ابن الجوزى في «غريب الحديث» ـ ١ / ٢١٩ ـ التفسير بشدة العدو وأضاف المعنى الآخر.

١٢ ــ ص ٤٠: عن الحوصل: (ويعرف بالجبع) والصواب: (بالبجع) بتقديم

الباء كما في «حياة الحيوان».

١٢ ــ ص ٤٩ : (ابنُ أبِـي حَصِينَةَ: أبُو الفتح الحَسَنُ بن عبدالله السُّلَمِـيّ (٤٥٧هـ = ١٠٦٥م).

* * *

يحسن أن يضاف إلى ترجمته: وله صلة بأبي العلاء المعري، وديوان شعره شرحه أبو العلاء، وطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق.

١٣ ــ ص ٦١ : (المِخْضَجُ: الحائِدُ عن الطَّرِيقِ. ووردت في «تهذيب اللغة»: المُخْضَجُ).

* * *

لم ينص الأزهري في كتاب «التهذيب» على ضبط الكلمة، وإنما وردت في المطبوعة - ٤/١٢٠ - ولايمكن الجزم بنسبة هذا الضبط إلى المؤلف.

١٤ ــ ص ٦٧ : (الحاضر: حبل (رمل مستطيل) من حبال الدهناء السبعة يقال له: حبل الحاضر. وقيل: جبل من جبال الدهناء).
(يحال على الأستاذ حمد الجاسر)

* * *

١ ــ حبل الحَاضِرُ: هو الذي يلي اليمامة من حبال الدهناء، وقد زاد العبارة إيضاحاً صاحب «تاج العروس» حين قال: وعنده حفر سعد بن زيد مناة بن تميم بحذاء العرمة. انتهى، وهذا الحفر يدعى حفر العتك، على مقربة من هذا الحبل، وحفر العتك لايزال معروفاً.

٢ ــ القول بأنه (جبل) تصحيف، فليس في الدهناء جبال، وإنما فيها حبال مستطيلة من الرمل.

١٥ ــ ص ٧١ : (حَضَر: موضِعٌ في شِعْرِ أَعْشَى باهِلَةَ (عامر بن الحارِث) جاهلي:

وأَقْبَلَ الخَيْلُ من تَثْلِيثَ مُصْغِيَة   أو ضَمَّ أَعْيُنَهَا رغوانُ أو حَضرُ

تَثْلِيث: موضِعٌ بالحِجَازِ قُرْبَ مَكَّةَ، رغوان: اسمُ موضِعٍ).

* * *

١ ــ تثليث ليس في الحجاز، ولا بقرب مكة، بل هو واد عظيم ترفده أودية كثيرة فيها قرى وسكان كثيرون، ويعد من أعراض نجد العظيمة تفضي سيوله إلى وادي الدواسر، الذي يخترق سيله عارض اليمامة، وتثليث ذو فروع كثيرة ومَجْرًى طويل، ويقع حوضه بين خطي الطول: ٤٥/٤٣° و ٤٤° وبين خطي العرض: ١٥/١٨° و ٢٠/١٩°.

٢ ــ اما رغوان: فهو قرية فيها مركز حكومي بمنطقة الحمضة التابعة لإمارة تثليث - انظر «العرب» س ٢٢ ص ٨٠٧ -.

٣ ــ لاشك أن حضر موضع في منطقة تثليث بقرب رغوان.

١٦ ــ ص ٧٥ : (حَضِيرٌ: قاعٌ فيه مزارِعُ يَسِيلُ عليه فَيْضُ النَّقِيعِ، ثمَّ ينتهي إلى غَدِيرٍ. وأَنْشَدَ أبو زيادٍ:

يَقُولُون لَمَّا أَقْلَعَ الغَيْثُ عنهُمُ   أَلَا هل لَيالٍ بالحَضِيرِ عَوائِدُ؟)

* * *

١ ــ حضير غير معرف، ووضعه في «المعجم» تابعاً للكلمة المعرفة يُوهِم التعريف، ولا أرى بيت أبي زياد ينطبق عليه، فأبو زياد كلابي ومنزل قومه في نجد، ولهذا أرى أن الحضير في شعره تصحيف (الحصير) الذي هو من بلاد بني كلاب.

٢ ــ جملة (ثم ينتهي إلى غدير) ناقصة تتمتها: (إلى غدير يقال له المزج لا يفارقه الماء، وهو شق بين جبلين يمر به وادي العقيق) على ماورد في «معجم ما استعجم» للبكري، وكان ذالك القاع يزرع، أما الآن فلا زراعة فيه وهو من ضواحي المدينة في أعلا العقيق.

١٧ ـ ص ٧٩ : (حَضْرَمَوْت، وتُضَم الميم: اقليمٌ باليمن واسِعٌ، طوله إحْدَى وسبعون درجةً، وعَرْضُه اثنتا عشرة درجةً).

* * *

إن كان المراد خطوط الطول والعرض فإن إقليم حَضْرَمَوْت يقع بين خطي الطول: ٣٠/٤٠° و ٣٠/٥٠° ولا يتجاوز طولها ذالك، أما العرض فهو بين: ١١° و ١٥°.

١٨ ـ ص ٨٠ : (قادَ الجياد على وجاهاً أشْرِ با   قُبَّ البُطُونِ نواحلَ الأَبْدانِ

شَرِيَ الفَرَسُ في سَيْرِه: لَجَّ وبالَغَ فيه ـ الخ).

* * *

١ ـ صواب البيت:

قادَ الجياد على وجاهاً شُزَّبًا

كما في ديوان الشاعر ـ ١٦٠ طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ـ.

٢ ـ الوجى: الحفى. شزبا: جمع شازب وهو الضامر.

وإذن فلا معنى لجملة (شَرِيَ الفَرَس في سيره) الخ.

١٩ ـ ص ٨٠ : (وَحَضْرَمَوْت: اسمُ قَبِيلَةٍ من وَلَدِ حِمْيَر بن سبأ، وقيل: هو ابنُ قَحْطان بن عَامِر).

* * *

١ ـ هذا نص مافي «تاج العروس» وعامر هنا تصحيف (عابر) كما في كتب النسب.

٢ ـ حضرموت كما يفهم مما ذكره علماء اليمن يطلق على أمتين: حضرموت الأولى نسبة إلى حَضْرَمَوْت بن قَحْطان ـ «الاكليل» ١/١١٩ ـ.

وحَضْرَمَوْت الثانية نسبة إلى حَضْرَمَوْت بن سبإ الأصغر، وبه سمي وادي

حَضْرَموت، من ولده الملوك العباهلة، الذين كتب إليهم النبي ﷺ - «شمس العلوم» ٢/٤٠٤ -.

وسبأ الأصغر يتصل نسبه بقحطان أيضاً.

٢٠ ــ ص ٨٣ : (قال الراجِزُ :

الشِّعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سُلَّمُهْ).

* * *

الرجز نسبهُ صاحب «الأغاني» - ٢/١٩٥ - للحُطيئة.

٢١ ــ ص ٨٩ : (حَضَنُ: اسْمُ جَبَلٍ في أعالِـي نَجْدٍ، وهو أوَّلُ حدود نجد، وفي المثل السائر: أَنْجَدَ مَنْ رَأى حَضَناً، أي مَنْ عَايَنَ هذا الجَبَلَ فقد دَخَلَ في ناحيَةِ نَجْدٍ. ويُضْرَبُ في الاسْتِدْلالِ على الشيءِ بأَمارَةٍ ظاهِرَةٍ والاسْتِغْنَاء بها على السؤالِ عنه، قَال الشاعرُ :

حَلَّتْ سُلَيْمَى بذاتِ الجِذْعِ من عَدَنٍ وحَلَّ أهلُك بَطْنَ الحِنْوِ من حَضَنِ)

* * *

١ ــ ذات الجِذْع، صوابها: (ذات الجِزْع) بالزاي كما في «الجمهرة».

٢ ــ اسم حَضَن، يطلق على مواضع ذكرها المتقدمون، قال الهمداني في «صفة جزيرة العرب» - ٣١١ -: (وحضن باهلة وادي نخل، كحضن نجران، وحضن عكاظ جبل، وفيه يقول الشاعر :

كخلقاء من هضبات الحضن)

انتهى. وذكر نصر الأسكندري حضناً رابعاً فقال: بمنطقة جبلي طيء.

ولايزال أربعة من تلك المسميات معروفة، فحضن الذي ورد فيه المثل

سلسلة جبال واقعة شرقي صحراء ركبة، تشاهد من بعد، وقد تكون في الأصل امتداد لحرة بني سليم، ويقع حضن هذا فيما بين خطي الطول: ١٠َ/٤١° إلى ٢٣َ/٤١° وخطي العرض: ١٠َ/١٩° إلى ٣٠َ/٢١°.

وحضن نجران بلاد مأهولة في نجران.

وحضن المتصل بأجأ أحد جبلي طيء يقع بين خطي الطول: ٤٥َ/٤٠° و ١٥َ/٤٠° وخطي العرض: ٥٠َ/٢٦° و ١٠َ/٢٧°.

٢٢ ـ ص ٩٦ : (قال القُطامِيُّ (عُمَيْرُ بن شُيَيْمٍ) - (١٣٠هـ = ٧٤٧م) :

إذا احْتَطَبَتْهُ نِيبُها قَذَفَتْ به   بَلاعيمُ أَكْرَاشٍ كأوْعِيَةِ الغفَر

بَلاعِيم: جمع بلعوم، وهو مجرى الطَّعام، الغَفْرُ: البَطْنُ).

* * *

تفسير الغَفْر بالبطن هنا ليس واضحاً، إذ كيف يصف الكرش وهو البطن بـ(الغَفْر) وهو البطن أيضاً ؟!

٢٣ ـ ص ١٠٢ : (الحُطَائِطُ : ذُرَةٌ صَغِيرَةٌ حَمْرَاء ، الواحِدَة: حُطائِطَة.

ومنه قولُ صِبْيانِ العَرَبِ في أحاجِيهم: ما حُطَائِطُ بُطائِطٌ ، تَمِيسُ تَحْتَ الحَائِطِ) .

* * *

ضبط (ذُرَة) ـ بضم الذال وتخفيف الراء ـ غير صحيح، فالصواب (ذَرَّة) ـ بفتح الذال وتشديد الراء المفتوحة، واحدة الذَّرِ ـ صغار النمل ـ لا (الذرة) الحب المعروف والذر هو الذي يميس تحت الحائط . قال الأزهري: تقول صبيان الأعراب ـ وأورد الأحجية وأضاف: يعنون به الذَّر . كذا نقل عنه صاحب «التاج» والذي في كتابه «تهذيب اللغة» ـ ٤١٨/٣ ـ: (يعنون الذرة) والذال مفتوحة، وقول اللغويين: الحطائط الصغير من الناس وغيرهم، يوضح أن المقصود الذَّرة من النمل.

٢٤ ــ ص ١١٠ : (الحَطِيمُ: حِجْرُ مَكَّةَ مِمَّا يلي المِيزَاب).

* * *

١ ــ ألم يكن من باب التثبت من صحة نسبة القول لابن سيده الرجوع إلى كتابه «المحكم» الذي عول عليه صاحب «اللسان».

٢ ــ إضافة الحِجْر إلى مَكَّةَ فيه توسع وإيهام، فهو حِجْر الكعبة داخل المسجد.

٣ ــ الحَطِيم كما عرفه عالم مكة عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج (٨٠/١٥٠): الحَطِيم مابين الركن والمقام وزمزم والحجر. انتهى - «أخبار مكة» للأزرقي ٢/٢٣ - والمقصود بالركن هنا ركن البيت الذي فيه الحجر الأسود الوارد في قول الشاعر:

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ماجاء يستلم

ويؤيد قول ابن جريج ماجاء في «أخبار مكة» للفاكهي - ٣/٢٧١ - ونصه: (إساف ونائلة: حجران ممسوخان، رجلاً وامرأة، كانا مسخاً في الكعبة، فأخرجا منها، فأخذتهما قريش، فجعلت احدهما عند الكعبة والآخر عند زمزم، فكان يطرح بينهما مايهدي للكعبة، وكان ذالك الموضع يسمى في الجاهلية: الحَطِيم، وإنما نصبا بالحطيم ليعتبر الناس بهما).

٢٥ ــ ص ١١٣ : (الفِنْدُ الزِّمَّانِيُّ (شَهْيل بن شيبان).

* * *

اسم الفند الزماني: شَهْل بن شيبان الحنفي، شاعر جاهلي من أهل اليمامة، حدد الزركلي وفاته بنحو (٧٠) قبل الهجرة.

٢٦ ــ ص ١٤٣ : (الحَفَائِرُ : ماءٌ لبني قُرَيْط على يسار الحاج من الكوفة.

وفي «معجم البلدان» قال الشاعر:

أَلِمَّا على وَحْشِ الحفائِرِ فانظُرَا إليها وإن لم يُمْكِنِ الوحش راميَا
ولا تَعْجِلانـا أن نسلِّم نحوَها ونَسقِي مُلْتاحاً مِنَ الـماءِ صَادِيًا)

١ ـ لا صلة لمياه بني قريط بطريق حاج الكوفة، فبلادهم في عالية نجد يفصل بينها وبين طريق حاج الكوفة طريق حاج البصرة، الذي يخترق وسط نجد، وبلاد بني قريط في الجنوب الغربي من عالية نجد.

٢ ـ حدد صاحب «بلاد العرب» ـ ص ١٣١ ـ ماء الحَفَائر هذه بقوله: ولقريط ماءة يقال لها: الحفائر، ببطن واد يقال له مهزول، إلى أصل علم يقال له: ينوف. إلى آخر ماذكر، ونقل ياقوت هذا الكلام منسوباً إلى الأصمعي.

والعلم الذي ذكر لايزال معروفاً يقع جنوباً من بلدة عفيف بستة وأربعين كيلاً بقرب خط الطول: ٤٣/٠٤° وخط العرض: ٢٣/٢٦° ، أما الماء فقد درس كغيره من كثير من المياه القديمة.

٢٧ ــ ص ١٤٣ : (حَفْر البِطَاح: اسم موضع. وفي «معجم البلدان» قال الشاعر:

وَحَفْرُ البِطَاح فوق أرجائِه الدمُ)

* * *

اسم الموضع: البُطَاح ـ بضم الباء وكسرها ـ وقد تقدم ذكره في موضعه من «المعجم الكبير» ولكن لم يحدد موقعه، واكتفى بإيراد ماجاء في «معجم البلدان» من أنه منزل لبني يربوع.

وقيل: ماء في ديار بني أسد، ولهذا فهو بحاجة إلى تحديد لوروده في كثير من الشعر ولوقوع وقعة من أشهر وقعات حروب الردة فيه، ووصف تلك الوقعة في الأخبار والأشعار ـ وانظر تفصيل الوقعة في حوادث السنة الحادية عشر من كتب التاريخ.

والبِطَاح في الأصل اسم وادٍ من روافد وادي الرسيس، أحد فروع وادي الرمة التي تأتيه من الجنوب، فيه منهل من أشهر المناهل، اتخذ عليه قرية في عهد متقدم، كان واقعاً في بلاد بني أسد. والقول بأنه من مياه بني يربوع وَهْمٌ نشأ عن حدوث الوقعة التي قتل فيها مالك بن نويرة اليربوعي، وبلاد بني يربوع تقع شرقه غير بعيدة، ولايزال البطاح معموراً بمزارع قليلة تابعة لمدينة الرس في منطقة

القصيم، ويبعد البِطَاح عن الرس بنحو ثلاثين كيلًا ويقع بقرب خط الطول: ٣٠/٤٣° وخط العرض: ٤٥/٢٥° .

٢ ــ يظهر أن صواب (حفْر البطاح) : (جَفْر البطاح) ـ بالجيم ـ وصحف، إذا الجفر هي البئر القريبة القعر الواسعة التي لم تطو ، وكذا آبار وادي البطاح، فإنها أحساء قريبة الماء .

٢٧ ــ ص ١١٤ : (وحَفْر الرِّبَاب: ماء بالدَّهْنَاءِ ، من منازل تَيْم بن مُرَّةَ . أنشدنا أبو الذؤيب: ( ):

جِسْفِلُ البَطْنِ فما يَمْلاه شيْ ء ولَوْ أَوْرَدْتَهُ حَفْرِ الرِّبَابِ

جِسْفِل: واسِعُ البَطْنِ).

* * *

١ ــ الدهناء لا مياه فيها، ويظهر أن حفر الرباب على مقربة منها، لأن صاحب «بلاد العرب» ـ ٢٩٤ ـ قال بعد ذكره: (ثم تقطع الدهناء) مما يفهم منه أنه غرب الدهناء ويدل على هذا ماجاء في «معجم ما استعجم» ـ ٤٥٧ ـ: الحَفْر موضعان، حفر بني سعد وحفر الرباب بينهما مسيرة ليلة. انتهى، وحَفْر بني سعد هذا حدده الأزهري في «تهذيب اللغة» ـ ١٦/٥ ـ: بأنه بحذاء العرمة وراء الدهناء عند حَبْل من حبالها يقال له: حَبْل الحَاضر .

٢ ــ القول عن حَفْر الرِّباب أنه من منازل تيم بن مرة، ورد في مطبوعة «معجم البلدان» ولكن تيم بن مرة بطن من قريش، ولا صلة بمنازلهم ببلاد الرباب الواقعة بغرب الدهناء، والرباب من بطونهم بنو تيم بن عبد مناة بن اد. وليس من المستبعد أن يكون صواب الجملة: (من منازل تيم بن مر) فبلاد الرباب متصلة ببلاد بني تميم وهم متصلون معهم بالنسب. وبنو تيم بن مرة لهم حفر أو جفر ولكنه في مكة.

٣ ــ لم ينص على مصدر تعريف حفر الرباب، وهو «تهذيب اللغة» ٣٢٤/٥.

٢٨ ــ ص ١٤٦ : (الحَفِيرُ: موضع معروف بينه وبين البصرة ثمانية عشر

ميلاً . قال حجر بن عمرو آكل المرار الكندي :

لِمَنِ النارُ أُوقِدَتْ بحَفِيرِ   لم تُضيءْ غير مُصْطَلى مَقْرورِ

* * *

الحفير الموضع المعروف الذي بقرب البصرة هو الذي سيأتي تعريفه بعد هذا، أمّا حفير المُنَكَّرِ، فقد ذكر البكري في «معجم ما استعجم» - ٤٥٨ - أنه موضع معروف بالحيرة واستشهد بالبيت وبشعر للأخطل ولعدي بن زيد، وهما ممن لهم صلة بنواحي الحيرة، كما ان اسم حفير يطلق على نهر الأردن كما ورد في شعر النعمان بن بشير ونصه:

إن قينيـة تحـل محبـاً   فحفيراً فجنتي ترفلان

٢٩ ــ ص ١٤٧ : (الحُفَيْرُ : ماء لِبَاهِلة بينه وبين البصرة أربعة أميال ، قال الحفصي : إذا خرجت من البصرة تريد مَكَّةَ فتأخذ بطن فلج فأول ماء ترد الحُفَير).

* * *

١ ــ القول بأن الحُفَير ـ بالتصغير ـ ماء لباهلة يفهم منه أنه في بلاد بَاهِلة، وليس الأمر كذالك، فقد أوضح صاحب كتاب «المناسك» ٥٧٦ ـ صلة باهلة بهذا الموضع فذكر أن محمد بن سليمان العباسي الذي تولى إمارة البصرة فيما بين سنتي ١٤٦ و١٧٣ أتاه رجل من باهلة فاستأذنه أن يحفر بئراً بالحُفَير فأذن له ، فأنبط بئراً عذبة فاشتراها محمد بن سليمان على أن يأذن له في حفر بئر أخرى، فأذن له، فحفر بئراً في الحفير. من هنا جاءت نسبة الحُفَير إلى باهلة .

٢ ــ المسافة بين الحُفَير وبين البصرة أحد وثلاثون ميلاً كما جاء في كتاب «المناسك». أما قول ياقوت: إنه على أربعة أميال من البصرة، فيردُّهُ أن ياقوتاً نفسه ذكر أن المنجشانية على ثمانية أميال من البصرة، وبعدها الربوة على اثني عشر. ميلاً ثم الحفير بعد الربوة على ثمانيـة أميال

(٨ + ١٢ + ٨ = ٢٨ ميلاً) وهذا قريب من تحديد صاحب «المناسك».

٣٠ ــ ص ١٥٨ : (حَفْصَةُ، أُمُّ حَفْصَة: الرَّخَمَة).

* * *

الرخمة ـ بالخاء المعجمة ـ الطير المعروف، لا بالحاء المهملة كما هنا.

٣١ ــ ص ١٦٠ : (وفي القرآن الكريم: ﴿ إِنَّهُ لَقُرآن كَرِيمٌ في كِتابٍ مَكْنُونٍ ﴾ الواقعة ٧٧/٧٨).

* * *

لم أدرك مناسبة إيراد هذه الآية الكريمة.

٣٢ ــ ص ١٨٠ : (قال ابن مُقْبل (مخضرم):

سَبَتْنِـي بِعَيْنَيْ جُؤْذَر حفلتها رِعاثٌ وبَرَّاقٌ من اللَّوْنِ واضِحُ

الرِّعاثُ: جمع الرُّعثَة، وهي القُرْط. اللَّوْن: يريد به لون وجهها).

* * *

(حفلتها): صوابها (حفلتهما) ولعل ما وقع تطبيع.

٣٣ ــ ص ١٨٨ : (الحوفلة: القَنْفاءُ).

* * *

التفسير يحتاج إلى تفسير، ويحسن أن يقال: كما في «اللسان» الحوفلة: الكمرة الضخمة، مأخوذ من الحفل وهو الاجتماع والامتلاء.

٣٤ ــ ص ١٩٢ : (حَفَوْتَ، أي منفشاً أن نُشَمِّتَكَ بعد الثلاثِ لأنَّه إنَّما يُشَمَّتُ في الأولى والثانية).

* * *

هنا تطبيع في كلمة (أي منفشا)، صوابها: (أي منعتنا).

ثانيا: ومما أخل به «المعجم» مما ذكره من شرطه:

١ ـ من الكلمات

١ ـ (حصف): المحصوفة: الكتيبة المجموعة. ـ «متن اللغة» ١٠٥/٢ ـ.

٢ ـ مادة (حصل): المِحْصَال: حديدة تُبْرى بها السهام. ـ «مجمل اللغة» ٧٢/٢ ـ.

٣ ـ مادة (حطط): سيف محطوط: مصقول.

وأَلْيَةٌ محطوطة: لا مأكمة لها.

الحطوطة: الرجل النزق، الخفيف النشيط. ـ «متن اللغة» ١١٦/٢ ـ.

٤ ـ مادة (حفج): الحفنجل: الأَفَجُّ. ـ «متن اللغة» ١٢٠/٢ ـ.

٥ ـ مادة (حفر): الحافيرة: سمكة سوداء.

الحفرد: حبُّ الجوهر، نبت. ـ «متن اللغة» ١٢٢/٢ ـ.

٦ ـ مادة (حفص): الحفص: عجم النّبق والزعرور ونحوهما. ـ «متن اللغة» ١٢٣/٢ ـ.

٧ ـ مادة (حفظ): الحافظة: قوة الذاكرة ـ. «متن اللغة» ١٢٥/٢ ـ.

٢ ـ ومن الاعلام

في مادة (حصر): ذو الحصير: جاء في «ديوان حاتم الطائي» ـ ٢٦٥ ـ:

أو ذو الحصير وفارس ذو مرة   بكتيبة من يدركوه يفرس

وورد في كتاب «الايناس» للوزير المغربي ـ ٥٩ ـ نشر «دار اليمامة» في طَيِّءٍ رجل يقال له عبد مالك بن عبد الأُلَهِ، مثل الْعُلَة مخففاً ـ وساق نسبه إلى سنبس طيء ـ يقال له: ذو الحصيرين، لأنه كان له حصيران من جريدٍ مُقَيَّرَانِ، يجعل أحدهما بين يديه والآخر خلفه، ثم يسند نفسه بإزاء السَّلْفِ، إذا جاءهم عدو،

وهو الذي يقول فيه حاتم الطائي :

وذُوْ الْحَصِيْرَيْنِ امْرُؤٌ في أُسْرَةٍ غُلْبِ السَّوَالِفِ، مَنْ يُلاَقُوا يَفْرِسُوا
وَمُوَطَّأُ ٱلأَكْنَافِ غَيْرُ مُلَعَّنٍ بالحي مَشَّاءٌ إِلَيْهِ ٱلْمجْلِسُ

بِالحيِّ: أراد في الْحَي .

ومن ولد ذي الحصيرين: أُبَيَّةُ بنتُ عُقْبَةَ بن زَحْرِ بن ذِي الحصيرين، القائلةُ لأبيها زحر، وكان زوجها من رجل من همدان، فقالت أُبَيَّةُ:

فَقُلْ لأَبِي زَحْرٍ إِذَا مَالَقِيْتَهُ فَفِيْمَ ٱلْمَوَالِي مِنْ رُكُوْبِ النَّجَائِبِ؟

وعلق على هذا: ليس البيت (وذو الحصيرين) مخروماً بل هو موقوص، والوقص حذف الثاني المتحرك في آخر الكامل.

٣ ـ ومن أسماء المواضع

١ ــ الْحَصَّاءُ : منهل في عالية نجد كان لبني عبدالله بن أبي كلاب بن بكر قال فيها معقل بن ريحان:

جَلَبْنَا مِنَ الْحَصَّاءِ كُلَّ طِمِرَّةٍ مُشَذَّبَةٍ فَرْجَاءَ كَالْجِذْعِ جِيْدُهَا

وقال أخو عطاءٍ مولى بني أبي بكر :

فَيَا حَبَّذَا الْحَصَّاءُ وَالْبُرَقُ الْعُلاَ وَرِيْحٌ أَتَانَا مِنْ هُنَاكَ نَسِيْمُهَا

ـ انظر «معجم البلدان» لياقوت، وتعرف الآن الحصاء باسم (الحِصِّيَّات) بكسر الحاء والصاد مشددة بعدها مثناةٍ تحتية ـ جمع حِصِّيَّة في عالية نجد، في منطقة إمارة عَفِيْف، تقع جنوباً عن بلدة عَفِيف على بعد مئتي كيلٍ تقريباً .

٢ ــ حَصَاصَةُ الْعُرفط : ورد في أرجوزة أحمد الرداعي ـ من أهل القرن الثالث الهجري ـ التي أوردها الهمداني في آخر كتاب «صفة جزيرة العرب» ـ ٤٢٨ ـ قوله في وصف الطريق بين تثليث وبيشة:

قَدْ غَادَرَتْ بِالْوَخْدِ وَٱلإِيْضَاعِ حَصَاصَةَ الْعُرْفُطِ ذِي ٱلأَقْرَاعِ

وحَصَاصة جبال تتخللها أودية وهي معروفة عند سكان تلك الجهة، قال شاعر من بني سَلُول باللغة العامية يذكر رجلاً من بني واهب من شهران:

هَيَّة اللّه على ذا الْوَاهِبِي مَا زَبَّنَهْ غَيْرَ الْحَصَاصَهْ   مَلْحَتَهْ يَنْشُرَ الْبَيْضَا لَهَا، يَنْشُرَ الْبَيْضَا لَهَا

٣ ــ الْحَصَبَاتُ: وأورد الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ـ ٤٠٩ ـ في وصف الطريق من صنعاء إلى رَيْدة:

أَجْمَرْنَ بِالْقَوْمِ قِلاَصٌ حُوْلُ   وَادِي شَعُوْبَ وَبِهِ الْمَسِيْلُ
فَالْحَصَبَاتُ وَلَهَا ذَمِيْلُ   ثُمَّ الْجِرَافُ وَلَهَا زَلِيْلُ

والحصبات معروفة في تلك الجهة تقع شمال صنعاء.

٤ ــ الْحُصُّ: ورد ذكره عند قدماء الشعراء، من المواضع التي تنسب إليها الخمر على ما ذكر ياقوت، قال أَبُو مِحْجَنٍ ـ «معجم البلدان» ـ:

إِذَا مُتُّ فَادْفِنِّي إِلَى جَنْبِ كَرْمَةٍ   تُرَوِّي عِظَامِي، بَعْدَ مَوْتِي، عُرُوْقُهَا
وَلَا تَدْفِنَنِّيْ بِالْفَلَاةِ، فَإِنَّنِي   أَخَافُ، إِذَا مَا مُتُّ، أَنْ لَا أَذُوْقُها
لِيُرْوَى بِخَمْرِ الْحُصِّ لَحْدِي، فَإِنَّنِي   أَسِيْرُ لَهَا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ أَسُوْقُها

ولكنه رضي الله عنه تاب عن شربها وقال فيما أورده الحافظ ابن حجر في «الإصابة» ـ ١٠٥٠١ ـ قسم (الكنى).

فلا والله أشربها حياتي   ولا أشفي بها أبدًا سقيما

٥ ــ الْحَصِيْدُ: من المواضع التي حدثت فيها وقعة بين المسلمين وبين أعدائهم في السنة الثالثة عشرة الهجرية، قال القعقاع بن عمرو ـ: «معجم البلدان»:

أَلَا أَبْلِغَا أَسْمَاءَ أَنَّ خَلِيْلَهَا   قَضَى وَطَراً مِنْ رُوْزَمَهْرِ الْأَعَاجِمِ
غَدَاةَ صَبَحْنَا، في حَصِيْدٍ جُمُوعَهُمْ   بِهِنْدِيَّةٍ تَفْرِي فِرَاخَ الْجَمَاجِمِ

وذكر ياقوت أنه موضع بأطراف العراق من جهة الجزيرة، ونقل عن نصرٍ أنه وادٍ بين الكوفة والشام.

٦ ــ الْحُصَيْدَاتُ: ورد في شعر عَدِيِّ بن الرِّقَاعِ:

فَلَمَّا تَجَاوَزْنَ الْحُصَيْدَاتِ كُلَّهَا،   وَخَلَّفْنَ مِنْهَا كُلَّ رَعْنٍ وَمَخْرِمِ
تَخَطَّيْنَ بَطْنَ السِّرِّ حَتَّى جَعَلْنَهُ   يَلِي الْغَرْبَ سَيْلَ الْمُنْتَوِي الْمُتَيَمِّمِ

والحُصَيْدَاتُ الواردة في شعر عَدِيٍّ هي شعاب تنحدر من آكام مرتفعة واقعة غرب النَّبْك، قاعدة الْقُرَيَّاتِ الآن، تتَّجِهُ صوب الشمال الشرقي حتى تفيض في وادي السِّرْحَان الذي يُعرف قديماً باسم (السِّرّ). شمال المملكة العربية السعودية.

٧ ــ الحُصَيْلِيَّةُ: أورد ياقوت أَنَّ طَيِّئاً طرحت عاملاً لبني أُمَيَّة يقال له مجالد، أساءَ معاملتهم في بئر تُدْعَى الْحُصَيْلِيَّة، فقال شاعرهم:

سَلُوا الْحُصَيْلِيَّةَ عَنْ مُجَالِدْ   نَحْنُ طَرَحْنَاهُ بِلاَ وَسَائِدْ

بِجَمَّةِ الْبِئْرِ وَرَغْمِ الْقَائِدْ

وذالك اليوم الذي حدث بين طيء وبين عامل بني أُمية وهو أُمية بن عبدالله بن عمرو بن عثمان ـ هو يوم الْمُنْتَهَبِ، في طرفي سَلْمَى، وهناك بئر الحُصَيْلِيَّة.

٨ ــ الْحِضْرُ: ورد في «المعجم» وصفٌ للحضر المشهور في العراق ولكن ورد في الشعر اسم حِضْرٌ آخر، قال ياقوت في رسم ساق الْجَوَاء ـ وأنشد الحفصيُّ:

أَقْفَرَ مِنْ خَوْلَةَ سَاقُ فَرْوَيْن   فَالْحِضْرُ فَالرُّكْنُ مِنْ أَبَانَيْنْ

والْحِضْرُ الواردُ في هذا الرجز جبل لايزال معروفاً بقرب أَبَانَيْنِ، وبقرب ساق الْفَرْوَيْن، ويقع الْحِضْرُ هذا غرباً من مدينة بريدة بنحو مئة وسبعين كيلاً، يشاهده المسافر بعد قطع هذه المسافة إلى المدينة في مَهَبِّ الشمال من الطَّرِيْقِ.

٩ ــ حُفَارة: أورد الهجري في «التعليقات والنوادر» ـ ١٧٢ المخطوطة الهندية ـ من قصيدة طويلة ليزيد من الطَّثْرية:

يَقُوْلُ خَلِيلِي بِاللِّوَى من حُفَارَةٍ   وَقَدْ قَفَّ تَارَاتٍ مِنَ الْخَوْفِ جَانِبُهْ

وفي الهامش: حفارة: ماء دون العَقيق ـ انتهى، والمقصود بالْعَقِيق هذا عَقِيق بني عُقَيْل بلاد يَزِيْدَ وقومه (وادي الدواسر) فَحُفَارة إِذَن بقربه في جنوب نجد.

١٠ ــ الحفائر: موضع آخر غير الوارد في «المعجم» قال الفرزدق ـ ديوانه ٤٣٩ جمع الصاوي ـ يهجو بني نهشل، وكانوا مُرْطَان اللِّحَى يقول: ثُطٌّ ليس لهم لِحًى:

أَهَانَ عَلَى الْمُرْطَانِ أَحْدَاثُ نَهْشَلٍ إِذَا جِيْدَ شَرْقِيٌّ لَهَا وَالْحَفَائِرُ

ويظهر أنها بقرب فُلَيْجٍ أحد روافد وَادي فَلْج لقول جرير:

وَوَدَّعْنَا الْحَفَائِرَ مِنْ فُلَيْجٍ وَحَيًّا يَسْكُنُوْنَ رَحَا الثِّمَادِ

١١ ــ الْحَفْرُ: تحدث «المعجم» عن حَفَر الْبُطاح، وحَفرِ الرباب، وترك ماعداها من الأحفار مما ورد ذكرها في الأشعار والأخبار القديمة ومن أشهرها:

١ ــ الْحَفَرُ الواقع في شرق المملكة العربية السعودية ويعرف الآن بِحَفَرِ الباطن، وقديماً بِحَفَرِ أبي موسى الأَشْعري، وهذا الحفر له شهرة عظيمة في كتب المتقدمين، ولعله أَهَمُّ الأحفار، قال الأزهري في كتاب «تهذيب اللغة»: والأحفار المعروفة في بلاد العرب ثلاثة فمنها: حَفَرُ أبي موسى وهي ركايا احتفرها أبو موسى الأشعري على جادة البصرة.

ومنها حفر ضَبَّة بناحية الشواجِن.

ومنها حفر سعد بن زيد مناة بحذاء العرمة وراء الدهناء.

أما حفر أبي موسى فشهرته لوقوعه في طريق الحج البصري، وهو في بطن واد فَلْج ـ باسكان اللام ـ وقد أُنشئت فيه بلدة سنة ١٣٩٤هـ تعدُّ الآن من مدن المملكة، وورد ذكره في أشعار كثيرة منها قول ذي الرمة:

غَــرَّاءُ آنِسَــةٌ تَبْـدُوْ بِمَـعْـقُـلَةٍ إِلَى سُوَيْقَةَ، حَتَّى تَحْضُرَ الْحَفَرَا

وقال الفرزدق:

بِحَيْثُ مَاتَ هَجِيْرُ الْحَمْضِ وَاخْتَلَطَتْ لَصَافُ ـ حولَ صَدَا حَسَّانَ ـ وَالْحَفَرُ

وحفر أبي موسى كَانَ يعرف بحفر بني العنبر لأنهم كانوا سكان وادي فلج.

٢ ــ حَفر يَبْنَبَم ـ بإسكان الفاء ـ: فقد جاء في «صفة جزيرة العرب» ـ ٣٢٥ ـ لطفيل الغنوي:

أَشَاقَتْكَ أَضْعَانٌ بِحَفْرِ يَبْنَبَمٍ غَدَوْا بُكراً مِثْلَ النَّخِيْلِ الْمُكَمَّمِ

والبيت في «ديوان طفيل» ص ٧٢ - تحقيق محمد عبدالقادر أحمد -.

ويَنْبَمُ وَادٍ يَقَعُ بَيْنَ وَادِيَـيْ تَثْلِيْثَ وَبِيْشَةَ، ويعرفُ الآن باسم (ابن ابن) في منطقة إمارة عَسِير.

١٢ ـ حَفْل: أورد البكري في «معجم ما استعجم»: حفل موضع في ديار طيء قال حاتم:

أَيُّهَـا الْمُـوْعِـدِيَّ إنَّ لَبُـوْنِـي　　بَيْنَ حَفْلٍ وَبَيْنَ هَضْبِ الرِّبَابِ

وقال نصيب:

ماجاوزت ناقتي حفلا ولا سلكت　　على المجاز ولا جازت بي الهدما

ويظهر أن هذا من الأسماء التي تصحفت على البكري وأنه بالقاف لا بالفاء، فحقل كما ذكرى الهجري من شعاب أجأ.

١٣ ـ الحفياء: هذا من المواضع التي يحسن تعريفها في «المعجم» لوروده في «السيرة النبوية» إذ أُجريت منه الخيل إلى ثنية الوداع، وورد الخبر في «السيرة» وفي كتب الحديث كالبخاري وغيره، وتقع الحفياء في سافلة المدينة بأدنى الغابة كما أوضح هذا السمهودي في «وفاء الوفاء» - ١٠٠ و١١٩٢ - وحدد أن المسافة بينها وبين المدينة ستة أميال - وذالك قبل أن يتسع عمران المدينة الذي يوشك أن يكون قد بلغها الآن.

١٤ ـ الحفير - بضم الحاء: أورد ياقوت في «المعجم»: الحفير ماء بأجأ يقول فيه شاعرهم:

إن الحفيـر مـاؤه زلال　　ابحـره تراوح السرجـال

يعني تراوحهم في حفره

والحفير هذا من القرى المعروفة في منطقة حائل، تقع في الشمال الغربي منها على مسافة سبعين كيلاً بقرب (موقق) - (بقرب خط الطول: ١٥َ/٤١° وخط العرض: ٤٥َ/٢٧°).

حمد الجاسر

- ٦ -

٤٣ ـ جُشَمِـيٌّ (احد بني جشم)

قال وأنشدَتْنِـي أمةُ الرحمنِ الحرمليَّةُ ، وأنشدنيها الْبُرَيْدِيُّ من جُشَمِ بن بَكْرٍ ، وقالَتْ: هي لِلْعَصَوِيِّ ، وقالَ البُرَيْدِيُّ : هي لإنْسانٍ جُشَمِـيٍّ وهو القول[1]:

١ ـ أَمِـنْ أُمِّ سَـلْمٍ مَـنْـزِلٌ وَمُـرَاحُ ... أَرَبَّـتْ عَـلَيْـهِ دِيْمَـةٌ وَرِيَـاحُ
٢ ـ وَغَـيَّرَ مَـغْنَـاهُ تَـنَـائِي أَنِيْسِـهِ ... وَمُـسْـيٌ عَـلَيْـهِ دَائِـمٌ وَصَـبَـاحُ
٣ ـ سِوَى أَنَّ مِنْهُ خُشْبَ خَيْمٍ كَأَنَّهُ ... بِـعَـلْيَـاءَ بَـيْنَ الْـوَادِيَـيْنِ رِمَـاحُ
٤ ـ وَدَوْدَاةٌ وِلْـدَانٍ عَفَتْ وَتَـقَـادَمَتْ ... كَـمَا دَرَسَـتْ بَعْـدَ الْـبَيَـانِ.. ـاح
٥ ـ مَنَـازِلُ أَخْلَتْ مِنْ سُلَيْمَى وَرُبَّمَا ... ثَـوَتْ وَهْيَ غَيْـدَاءُ الْقَـوَامِ [رداح]
٦ ـ مَهَـاةُ صِوَارٍ مِنْ عَنَـاجِيْجِ عَـامِرٍ ... لَهَـا رَبْـرَبٌ حُـوْرُ الْعُيُـونِ مِـلَاَحُ
٧ ـ يُبِحْنَ مِنَ الْـجَلْدِ الْعَزُوْمِ عَنِ الصِّبَى ... حِمًـى لَمْ يَكُـنْ لِـلْغَـانِيَـاتِ يُـبَـاحُ
٩ ـ بِـلَا حُـرُقٍ[2] مِنْهُنَّ حَتَّى يُقِـدْنَـهُ ... قَتِيْـلاً وفي قَـتْـلِ الْبَـرِيِّ جُـنَـاحُ
١٠ ـ أَقَامَتْ بِهِ حَتَّى إِذَا مَـا تَأَلَّقَتْ ... بَـوَارِقُ فِـيْ نَـوْءِ السَّـمَاءِ لِـيَـاحُ
١١ ـ بَوَاكِرُ فِـيْ نَـوْءٍ كَـأَنَّ وَمِيْضَـهُ ... تَـقَـلُّبُ بُـلْقٍ بَـيْـنَهُـنَّ صِـمَـاحُ[3]
١٢ ـ رَكِبْنَ مِنَ (العَبْلَاءِ) نَحْوَ مَفَازَةٍ ... وفـيـهـنَ رُوَّادُ الْـفَـلَا وَطِـمَـاحُ
١٣ ـ تَـرَى كُلَّ مَـوَّاجٍ يَمُوْجُ زِمَـامُـهُ ... لِأَنْيَـابِـهِ وَسْطَ الْـجِمَـالِ صُيَاحُ[4]
١٤ ـ يُبَارِي خِـدَبًّا ذَا شَبَـاةٍ كَـأَنَّـهُ ... مُنِيْـحٌ بِـأَيْـدِي الْقَـايِـدِيْنَ مُـنَـاحُ
١٥ ـ إِذَا ضَمَّهُ أَيْدِي الْمُفِيْضِيْنَ ضَمَّةً ... تَـكَـشَّـفَ عَـنْـهُ أَذْرُعٌ وَقِـدَاحُ
١٦ ـ فَلَا وَصْلَ حَتَّى تَعْرِفَ الْعِيْسُ بَيْنَنَا ... بَسَـابِسَ فِيْهَـا مُغْـتَـدًى وَمَـرَاحُ[5]

---

(١) : (٥٨هـ). (٢) قد تقرأ : (بلا عرق).

(٣) في الهامش: (صمح ...) ثم لم يتضح مابعدها.

(٤) في الهامش: (ضم الصاد لغة قيس بن ...).

(٥) في الهامش : (قال أبو علي.. أراد نفسه..).

١٧ - بَسَابِسُ لِلظُّلْمَانِ مُعْتَرَكٌ بِهَا ... وَلِلْوَحْشِ أَبْكَارٌ بِهَا وَلِقَاحُ
١٨ - إِذَا هُنَّ لَمْ يَمْشِينَ إِلَّا تَرَسُّلًا ... تَنَهَّمَ فِي عَزْفٍ لَهُنَّ رَبَاحُ
١٩ - تَنَهَّمَ حَادٍ صَيِّتٌ فَتَقَاذَفَتْ ... قَرَاقِرُ يَقْذِفْنَ الْهَدِيرَ فِصَاحُ
٢٠ - وَتَشْكُو[٦] أَتِيًّا كُلُّ أَدْمَاءَ حُرَّةٍ ... بِهَا مِنْ بَقَايَا النِّسْعَتَيْنِ وِشَاحُ
٢١ - بُوَيْزِلُ عَامٍ أَوْ سَدِيسٌ أَطَارَهَا ... مَعَ السِّنِّ نِيٌّ تَامِكٌ وَلَقَاحُ[٧]
٢٢ - بِأَسْفَلِ (ذِي رَيْطٍ) كَأَنَّ حُمُولَهُمْ ... جَوَامِحُ فِي تَجْرَاتِهِنَّ طِمَاحُ[٨]
٢٣ - وَقَدْ عَلِمَ الشُّعْبُ الْمَغَاوِيرُ أَنَّنِي ... لِقَيْسٍ سِنَانٌ ثَابِتٌ وَجَنَاحُ
٢٤ - وَأَنَّ خَلِيلِيْ مِنْهُمُ كُلُّ شَيْظَمٍ ... يَظَلُّ لِفَعْلَاتِ النَّدَى وَيَرَاحُ

٤٤ — الجعالي المزني

وأنشدني للجعالي من مُزَيْنَةَ يقولُها في الشُّعْرِيِّ مُزَنِيٌّ، وربطَتْهُ امرأتُهُ ليلةَ دخل بها، فقال[١]:

١ - أَشْكُو إِلَى اللهِ أَخْبَاراً تُؤَرِّقُنِي ... بِأَنَّ حَنْظَلَةَ الشُّعْرِيَّ مَوْتُورُ
٢ - مَافَارَقَتْهُ بِفَضْلِ النِّسْعِ تَحْزِمُهُ ... حَتَّى رَمَى بِأَخِي الْبَوْلِ مَسْطُورُ
٣ - بَاتَتْ قَوَابِلُهُ سُوداً مُزَرْفَلَةً ... كَأَنَّ دَنْتَهَا نَقْرٌ بِطُنْبُورِ
٤ - يَا أَمَةَ اللهِ أَدِّي حَقَّ صَاحِبِنَا ... فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى التَّسْلِيحِ مَغْفُورْ
٥ - يَابِنْتَ قَيْسٍ جَزَاكِ اللهُ عَارِفَةً ... هَلَّا صَبَرْتِ وغِبُّ الصَّبْرِ مَشْكُورُ

٤٥ — الجعدي الفاتك

الْجَعْدِيُّ الْفَاتِكُ، وطلبه الْحَجَّاجُ، فقال[١]:

١ - أُرَوِّعُ بِالْحَجَّاجِ حَتَّى كَأَنَّمَا ... يُحَرِّكُ عَظْمٌ فِي الْفُؤَادِ مَهِيضُ

---

(٦) في الأصل (وتشكوا تيًّا).
(٧) في الهامش: (تفتح اللام من لقاح). (٨) في الهامش: (يعني السفن).
(١) (٢٤٠هـ)، وقبيلة مزينة من أشهر القبائل المضرية المعروفة إلى هذا العهد حيث تقيم فروع منها في بلادها القديمة بقرب المدينة، ومنهم بطون اندمجت في قبيلة بني سالم من حرب. أما جعال وشعر فلم أعرف هذين الفرعين في مُزَينة، وقد يكونان معروفين.
(١) (٩٣م)، وبنو جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر من هوازن، وبلادهم منطقة الأفلاج في جنوب اليمامة، فصل منازلهم الأصفهاني في كتاب «بلاد العرب» والهمداني في «صفة الجزيرة» ولا أعرف شيئاً عن الجعدي =

٢ ـ وَدُوْنَ يَدِ الْحَجَّاجِ مِنْ أَنْ يَنَالَنِي　　مَسَافٌ لِأَيْدِيْ النَّاعِجَاتِ عَرِيْضُ
٣ ـ عَرِيْضٌ بِهِ رُبْدُ النَّعَامِ أَوَابِداً　　لَهُنَّ أَدَاحِيٌّ بِهِ وَمَبِيْضُ

٤٦ ـ بعض بنو جعدة (جعدي)

وأَنْشَدَني أبو المِعْضَادِ الْحَرَشِيُّ لبعض بني جعدة ، ورواها غيره لبعض بني مِرْدَاسِ سُلَيْمٍ[١] :

١ ـ وَلَا نَبْكِيْ عَلَى بَطَلٍ أَتَاهُ　　حِمَامُ الْمَوْتِ لَمْ يَهْلِكْ ذَمِيْمَا
٢ ـ يُخَلِّفُ بَعْدَهُ إِمَّا أَخَاهُ　　وَإِمَّا ابْنًا لَهُ يَحْمِي الْحَرِيمَا
٣ ـ وَلَا نَشْكُو الْكُلُوْمَ إِذَا كُلِمْنَا　　وَلَا نُلْفَى لِصَاحِبِنَا وُجُوْمَا

وهي المصاب والصابَة ـ بتخفيف الباء من الصابة ـ وفي رواية أبي المعضاد في البيت الثاني يكون مكانه :

إما أُخُـــوهُ　　وَإِمَّا ابْنٌ لَهُ يَحْمِي الْحَرِيْمَا

٤٧ ـ جَعْدِيٌّ

ولغيره، قَال[١] أبو علي: هي لبعض الْجَعْدِيِّيْنَ ، ولا أَعرفُ قائلها :

١ ـ لَا تَأْسَفَنَّ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى فَانِ　　وَإِنْ تَذَكَّرْتَ مِنْهَا طِيْبَ أَفْنَانِ
٢ ـ فَإِنَّهَا مِثْلُ فَيْءِ الظِّلِّ زَايِلَةٌ　　عَنْ أَهْلِهَا وغُرُوْرٌ ذَاتُ أَلْوَانِ
٣ ـ غَرَّاءُ مُقْبِلَةٌ فَرْعَاءُ مُدْبِرَةٌ　　ضَبَّاثَةٌ بِفُؤَادِ الْمُشْفِقِ الـ ...[٢]

= الفاتك المعاصر للحجاج، ولكن صاحب «الأغاني» أورد الأبيات باختلاف يسير في بعض كلماتها منسوبة إلى العديل بن الفرخ العجلي في قصة ذكرها في ترجمته «الأغاني»: ٣٧١/٢٢ ومابعدها ، وأشار إليها ابن قتيبة في «الشعر والشعراء»: ٤١٣/١ ـ طبع دار المعارف ، والمبرد في «الكامل»: ٩٩/٢ ـ طبعة دار نهضة مصر .

ولولا أن الشعر واحد لأمكن القول بتكرر الأمر مع الحجاج ، أفترى أبا علي الهجري كان واهماً بنسبتها لجعديّ وإنْ لَمْ يهِمْ فَمَنْ هُوَ هٰذا الجعديُّ الفاتِك ؟

(١) (٤٧١م): وأبو المعضاد ممن روى عنه الهجري اللغة ـ انظر (٣٦٣م) ـ والحرشي نسبة إلى الْحَرِيْش (معاوية) بن كعب بن ربيعة ، وهم إخوة جعدة .
(٢) في الأصل (يشكو. . . يلقى).
(١) (١٧٤هـ): بعد إيراد قصيدة لابن الطثرية : (ولغيره ، قال أبو علي هي) الخ .
(٢) قد يتممه: (الحاني).

٤ ـ كَمْ صَبَّحَتْنَا بِهِ مِنْ رُزْءِ قَـارِعَةٍ مِنْ إِخْوَةٍ وَبَنِي عَمٍّ و... ...[٣]

٤٨ ــ جعفر بن الربيع الْعَبِيْدِي

جعفر بن الربيع من عَبِيْدَةِ قُشَيْرٍ، يقولها للمُنْتَفِقِي[١]:

١ ـ انْهُوْا بَنِي شَافِعٍ عَنْ ضَرْبِ ضَيْفِهِم إِنَّ الْقِرَى فِيْهِمُ إِحْدَى الـرَّزِيَّاتِ
٢ ـ وَكَلْبُهُمْ عَنْقَشٌ يَعْـدُوْ بِمُنْصِلِهِ يُـطَرِّدُ الضَّيْفَ عَنْهُمْ بِـالْعَشِيَّـاتِ
٣ ـ إِنَّ الْبِغَـالَ إِذَا أَجْـدَتْهَـا عَلَفـاً شَـابَهْنَ حَتَّى تَـقُـوْلَ الْأَعْـوَجِيَّـاتِ
٤ ـ لَا يَسْتَوِي سَابِقٌ فِـي بَيْتِ مَكْرُمَةٍ وَأَبْغُـلٌ فِـيْ رِبَـاطٍ نَخْـوَرِيَّـاتِ[٢]
٥ ـ هُرْدَانُ أَكْرَمُ مِنْ عَوْنٍ إِذَا نَزَلَتْ أَضْيَـافُ لَيْـلٍ وَأَنْـدَى[٣] بِـالتَّحِيَّـاتِ

٤٩ ــ جعفر بن عبدالله الجبهي

قال الْبُلْبَيْسِيّ[١]: فِي الْأَزْدِ جعفرُ بن عبدالله بن جَبهة الأوس، من الْـحَجْر بن الْهنو بن الأزد، من السراة، ذكر له الهجريُّ شعراً.

---

(٣) كلمة لم تتضح في التصوير وقد تكون (أخدان) وبعدها تنقطع القصيدة بانتهاء الصفحة وتليها صفحة لا صلة لها بها تتعلق بنسب هذيل.

(١) (١٤٥م): جَعْفَرُ هذَا من بني عَبِيْدَة ـ بِفَتْحِ الْعَيْنْ ـ من بني معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة والمنتفقيُّ منسوب إلى المنتفق بن عامر بن عُقَيْل بن كَعْب بن ربيعة، ولعل لشعر جَعْفَرٍ صلة لما حدث بَيْنَ ابن عَمِّهِ هُرْدَان بن الْوَازِع وبَيْنَ رِزَام بن قُشَيْرٍ من مُهَاجَاةٍ بسبب الخلاف على خطبة امرأةٍ، وسيأتي شعرهما في محله، ويظهر أن الثلاثة كانوا في عصرٍ قريبٍ من عصر الهجريّ، وَدَعْكَ من قَوْلِ أحدهم ـ فيما لُفِّقَ عن «شعراء قشير» ج ١ ص ٣١٧ ـ: جعفر بن الربيع... شاعر جاهلي مُقِلٌّ ـ ثم الإحالة إلى كتاب الهجري في هذا الموضع ـ دُوْنَ حياءٍ أو خجل!!

(٢) في الهامش: (صحيحات).

(٣) في الهامش: (أندى: أبعد صوتا) وهُرْدَان بن الوازع عَبِيدي قشيري ورد له ذكر وشعر (١١٩/١٢٠م).

(١) «الأنساب» رسم (الجبهي)، ولم أر شعراً للجبهي هذا فيما وصل إليَّ من كِتاب الهجري، وجبهة ورد في مخطوطة «النوادر» ـ ٣٥٧هـ: جبيهة الـحَجْر ـ قال: وتمثل السَّرَوِيُّ من جَبِيهة الْـحَجْر من بني الْهِنْوِ بن الْأَسْد:

لَا أُحْسِـنُ الْـبَيْـعَ إِلَّا أَنَّـنِي رَجُـلٌ مَتَى أَجِـدْ حَـاجَتِيْ أَشْرِيْ بِمَـا أَجِـدُ

وَذَكَر جَبِيْهَةَ أيضاً الهمدانيُّ في «صفة الجزيرة» ـ ٢٦٢ ـ: ووادي ساقَيْنِ إلى تهامة ساكنه من الْـحَجْر جبيهةُ الْـحَجْر.

واسمُ جَبِيهة لايزال معروفاً والجيم تنطق بالفتح، والاسم يطلق على فرع من فروع بَلْحَارث من رجال الْـحَجْرِ، ويسكنون أربع قرى تقع على مرتفعات وادي الدُّهْنَاء الذي يسيل في وادي تَنُوْمَة، وبلادها تحادُّ بلادَ بني الْأَسْمَرِ، غَرْبَ شمالِ بِلَادِ عَسِير.

٥٠ ـ جَعْفَرُ بن عُلْبَةَ الحارثي

جعفر بن عُلْبَةَ الحارثي في يوم سَحْبَل[١]:

١ ـ يَقُولُ الْعُقَيْلِيُّونَ إذْ لَحِقُوا بِنَا   سَتَرْجِعُ مَقْرُونًا بإحْدَى الرَّوَاحِلِ
٢ ـ وَقَدْ خَيَّرُوْنَا بَيْنَ ثِنْتَيْنِ مِنْهُمُ   صُدُوْرِ الْعَوَالِي أَوْ جِذَابِ السَّلاَسِلِ
٣ ـ فَقُلْنَا لَهُمْ: ذَاكُمْ إذًا بَعْدَ صَكَّةٍ   تَرَى الْقَوْمَ فِيْهَا نَهْضُهُمْ مُتَخَاذِلِ
٤ ـ وَلَمْ نَدْرِ لَوْ ضِجْنَا لِتَبْقَى نُفُوْسُنَا   مَدَى الْعُمْرِ بَاقٍ وَالْمَدَى مُتَطَاوِلِ.

ضِجْنَا: ضاد معجمة مجرورة، ضاج: يضيج ويَضُوج ـ لغةً، إلَّا أنَّ الكسرة أفصح، ومثلها جاض: يجيض، وروى النَّهْدِيُّ: عن الموت ضوجة، وضُجْنَا ـ بضم الضاد ـ من ضاج يضوج، وضاج يضيج وهي أفصح.

٥ ـ لَكُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ أَسْفَلِ (سَحْبَلِ)   وَلِيْ مِنْهُ مَاضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ
٦ ـ إذَا الْقَوْمُ سَدُّوا مَأْذِقًا فَرَّجَتْ لَنَا   بِأمَانِنَا بِيْضٌ جَلَتْهَا الصَّيَاقِلُ[٢]

وله أيضاً[٣]:

١ ـ يَضِجُّ الْعُقَيْلِيُّوْنَ تَحْتَ سُيُوفِنَا   ضَجِيْجَ دَبَارَى النِّيْبِ لَاقَتْ مُدَاوِيَا
٢ ـ كَأَنَّ الْعُقَيْلِيِّيْنَ حِيْنَ لَقِيْتُهُمْ   فِرَاخُ الْقَطَا لَاقَيْنَ أَجْدَلَ بَازِيَا

الجلحي: (كعب بن مشهور)

---

(١) (١٥٧م): جعفر بن علبة هذا من بني الحارث بن كعب الذين لاتزال بقيتهم في بلاد نجران، وقد حالفوا مذحج (قحطان الآن) فاندمجت فروع منهم في هذه القبيلة، وجعفر قتل سنة ١٤٥هـ بمكة، قُودًا برجل من بني عقيل كان قتله، وكان بين بني الحارث وبين بني عقيل الذين يجاورنهم في البلاد في عقيق بني عقيل (وادي الدواسر) وماحوله مغاورات ومصاولات، ومنها يوم سَحْبَلِ الوارد في شعر جعفر، ويذكر ياقوت أن سَحْبَلَ واد في ديار بني الحارث بن كعب، وأورد قصة تدل على ذالك. والأبيات الأربعة التي أوردها الهجري وردت في «الأغاني» ـ ١٣/٤٧ ـ ط. الثقافة في قصيدة في ثلاثة عشر بيتاً تتفق معها في القافية والوزن والمعنى، يحسن الرجوع إليها.

(٢) كذا (مأذقاً) والمعروف (مَأْزِقاً) بالزاي. (بامامانا) كذا وردت في الأصل ولعلها لغة يراد بها: (بأيماننا).

(٣) (١٥٨م).

٥١ ــ جميع بن مرزوق

ولجميع بن مرزُوق[١]، حاتميٌّ من قيس بن جُوْثَةَ ، وباعتْ فِتْيَانٌ منهم خَيْلاً من نَبْهَان طَيٍّءٍ :

١ - إنِّي عَجِبْتُ وَغَيْرِي قَدْ يَرى عَجَباً ... وَفِي الزَّمَان وَفِي الدُّنْيَا أَعَاجِيْبُ
٢ - فِتْيَانُنَا بَيَّعُوْا بِالنَّقْدِ خَيْلَهُمُ ... وَأَثْمَنُوْهُمْ بِهَا قَوْمٌ مَنَاجِيْبُ
٣ - يَاحَيَّ نَبْهَانَ أَبْقَى اللهُ عِزَّكُمُ ... رُوْحُوا إِلَيْنَا عَلَيْهَا سَاعَةَ الذِّيْبِ[٢]
٤ - أَوْ غَارَةٍ فِي فُرُوْعِ الصُّبْحِ تُعْجِلُنَا ... مَحْضَ الْأَسَاقِي وَإِخْلَاصَ الْأَذَاوِيْبِ
٥ - حَتَّى يَرَوْا كُلَّ مَاقَدْ كُنْتُ أُخْبِرُهُمْ ... إِذَا دَعَا صَارِخٌ بِالْغَوْثِ مَكْرُوْبِ

٥٢ ــ جميل بن مَعْمَرٍ الْعُذْرِيُّ

قال أبو علي هارون بن زكريا الهجريُّ : أنشدني أبو سليمان الْهُذَلِيُّ وأبُو عَمْرٍو الزُّهَيْرِيُّ زُهَيْر نَهْدٍ لجميل[١]:

١ - وَلَمَّا أَجَدَّ الحيُّ بَيْناً وَلَمْ يَكُنْ ... دَرَى أَحَدٌ مِنْ بَيْنِ بَثْنَةَ فَاجِعُ
٢ - أَبَتْ مُقْلَتِي كِتْمَانَ مَابِيْ وَبَيَّنَتْ ... مَكَانَ الَّذِيْ أُخْفِي وَفَاضَ الْمَدَامِعُ
٣ - غَدَاةَ لِقَيْنَاهَا عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ ... بِأَسْفَلِ (خَيْمٍ) والْمطِيُّ خَوَاضِعُ
٤ - فَرَاجَعَهَا الْقَوْمُ الصِّحَاحُ صُدُوْرَهُمْ ... وَأَعْرَضْتُ مِنْ وَجْدٍ بِهَا لَا أُرَاجِعُ

---

(١) (٢٧٠هـ). جُوثة ورد ذكره في سياق نسب أحد بني البغثاء من جوثة من حزن بن عبادة (٧٦م) وعبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر - من قيس عيلان -.

(٢) (في الهامش: عند غروب الشمس).

(١) هذا هو أول المخطوطة الهندية ، وجَميل بن مَعْمَرٍ الْعُذْرِيّ المتوفى سنة ٨٢هـ من بني عُذْرَة القبيلة القضاعية التي انتشرت فروعها في شمال الحجاز من بلاد ينبع وما حولها شمالاً حيث استقر من الفروع القضاعية جُهَيْنة ثم بَلِيّ ثم بنو عذرة قوم جميل هذا ، ثم بنو القين ثم بنو كلب ، الذين انساحوا في الشام وفي السماوة بينها وبين العراق إلى سواد العراق ، ولاتزال بعض هذه البطون كَجُهَيْنَة وبَلِيٍّ في مواطنها القديمة من ينبع إلى مايقرب من بلاد مَقْنَا والمويلح وتلك النواحي .
وشعر جَميل جُمِعَ مراراً ، ولعل أوفاه ماجمعه الدكتور حسين نصار ، فقد رجع فيه إلى كتاب الهجري ولكن فاته بعض مافي هذا الكتاب مما ستَرِد الإشارة إليه .

(٢) في الأصل: (ليقتلني).

٥ ـ وَأَوْمَتْ بِجَفْنِ الْعَيْنِ وَاخْتَارَ دَمْعُهَا ... لِيَقْتُلَنِي مَمْلُوحَةُ الدَّلِّ مَانِعُ
٦ ـ كَمَتْ دَمْعَهَا عَيْنُ الصَّحِيحِ وبَيَّنَتْ ... مكانَ ذَوِي الشَّوْقِ الْعُيُوْنِ الدَّوَامِعُ
٧ ـ وَرَقْرَقَتْ دَمْعَ الْعَيْنِ ثُمَّ مَلَكْتُهُ ... مَجَالَ الْقَذَى فَالدَّمْعُ فِيْ الْجَفْنِ نَاقِعُ
٨ ـ أَحَقًّا عِبَادَ اللهِ أَنْ لَسْتُ زَائِراً ... بُثَيْنَةَ إِلَّا أَصْغَيْتُ لِيَ الْمَسَامِعُ
٩ ـ وَإِلَّا عَدَانِيْ دُوْنَ بُثْنَةَ أَعْيُنٌ ... حِدَادٌ وَلَامَتْهَا النِّسَاءُ الْهَلَامِعُ

قال وأنشدني الحسنُ بن عارمٍ الرُّوَيْنِي هَلَالِيٌّ ، وَجِرْمِزَةُ التَّمِيمِيُّ ، والدَّعْدِيَّةُ لجميل(٣) أيضاً :

١ ـ . . . . نَ الشَّوْقَ فَالْعَيْنُ اللَّجُوجُ سَجُومُ ... دِيَارٌ بِـ(عَبْلَاءِ) الرُّبَا فَرُسُومُ
٢ ـ عَفَاهَا الْبِلَى بَعْدَ الْأَنِيسِ وضَافَهَا ... مَعَ اللَّيْلِ وَكَّافُ الرِّوَاقِ هَزِيْمُ
٣ ـ مَنَازِلُ لَوْ كَلَّمْتُهَا مَا تَكَلَّمَتْ ... دَوَارِسُ، أَدْنَى عَهْدِهِنَّ قَدِيْمُ
٤ ـ لَيَالِيَنَا إِذْ نَحْنُ نَسْتَأْنِفُ الْهَوَى ... بِنَا وَالْأَعَادِي وَالْوُشَاةُ كُظُوْمُ
٥ ـ وَنَلْهُوْ بِحُلْوِ الْوَعْدِ مِنْهَا كَمَالَهَا ... غَرِيْرٌ بِأَيَّامِ الرَّضَاعِ فَطِيْمُ
٦ ـ أَمَا وَالْهَدَايَا وَالَّذِيْ كَبَّرَتْ لَهُ ... قُرَيْشٌ وَأَعْنَاقُ الْمَطِيِّ تَسُومُ
٧ ـ يُنَازِعْنَ خَشَّاتِ الْبُرَى كُلُّ مُحْرِمٍ ... مُهِلٌّ يُصَلِّيْ تَارَةً وَيَصُوْمُ
٨ ـ لَقَدْ كَذَبَ الْوُشِّيُّ(٤) الَّذِيْنَ تَخَبَّرُوا ... لَهُمْ كُلَّمَا جِئْنَا إِلَيْكِ نَمِيْمُ
٩ ـ أَتَوْهَا بِقَوْلٍ لَمْ أَكُنْ لِأَقُولَهُ ... وَكُلُّهُمُ حَوْفٌ(٥) عَلَيَّ ظَلُوْمُ
١٠ ـ بِقَوْلٍ جُزِيْتُ النَّارَ إِنْ كُنْتَ قُلْتَهُ ... وَكُلُّ جَزَاءِ الظَّالِمِيْنَ أَلِيْمُ
١١ ـ لَكِ الْخَيْرُ هَلْ لَاعُجْتِ حتَّى تَفَهَّمِي ... وذُو اللُّبِّ فِيْ كُلِّ الْأُمُورِ فَهِيْمُ
١٢ ـ فَتَسْتَيْقِنِي أَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ خَلَائِقِي ... وَذَالِكَ أَمْرٌ يَابُثَيْنَ عَظِيْمُ
١٣ ـ أَنْ(٦) اكْتُمُ مَابِيْ مِنْكَ ثُمَّ أُبِيْنُهُ ... رُوَاةَ الْخَفَا إِنِّيْ إِذًا لَلَئِيْمُ
١٤ ـ عَجِبْتُ بِتَكْلَافِي بِكُمْ وَصَبَابَتِي ... على حِيْنَ(٧) قَالَ النَّاسُ أَنْتَ حَلِيْمُ
١٥ ـ وَتَعْزِيَتِيْ بِالصَّبْرِ قَلْباً كَأَنَّمَا ... لَهُ بَيْنَ عُلْوِيِّ الْأَرَاكِ حَمِيْمُ

---

(٣) (٣هـ): (الرويني) كذا في الأصل ولعل الصواب (الرويبي) بالباء، ولم تتضح الكلمة التي في أول بيت.
(٤) قرأها الدكتور نصار (الواشي).
(٥) حوف: ـ بالواو كذا في المخطوطة وقرأها الدكتور نصار (حرف) وفسر الحرف: (مبغضون لي).
(٦) قرأها الدكتور نصار (أأكتم).
(٧) في الهامش: (حين: إذا جاءت الأسماء بعدها كُسِرَتْ ، وإذا جاءتِ الأفعال فُتِحَتْ).

١٦ ـ وَمَا مَرَّ عصرٌ مِنْك شَطَّتْ بِكِ النَّوى وَلَا مَرَّ حَوْلُ يَابُثَيْنَ سَلِيْم
١٧ ـ وَلَا لَيْلَةٌ يَابَثْنَ إِلَّا يَعُوْدُنِيْ عَلَى مَابِقَلْبِي مِنْ هَوَاكِ هُمُوْمُ
١٨ ـ وَأَذْكُرُ مِنْكَ النَّأْيَ وَالْهَجْرَ بَعْدَمَا تَغَوَّرَ نَجْمُ واسْتَقَلَّ نُجُوْمُ
١٩ ـ فَتَنْهَلُّ عَيْنٌ بِالدُّمُوْعِ غَزِيْرَةٌ لَهَا بَعْدَ نَوْمِ النَّائِمِيْنَ سُجُوْمُ
٢٠ ـ وَلَا نَلْتَقِيْ إِلَّا لِمَاماً عَلَى عُدًى عِدَادَ الثُّرَيَّا وَقْعَةٌ فَنَقُوْمُ
٢١ ـ عَلَى مِثْلِ حَدِّ السَّيْفِ فَالْحَوْلُ وَقْتُنَا وَذَالِكَ عَهْدٌ يَابُثَيْنَ قَدِيْمُ
٢٢ ـ وَإِنَّ زَمَاناً يَابُثَيْنَ أَزَالَكُمْ وَجَلَّاكِ(٨) عَنْ أَوْطَانِنَا لَمَشُوْمُ
٢٣ ـ وَلَيْتَ زَمَاناً مَرَّ يَابَثْنَ وَانْقَضَى تَعُوْدُ لَنَا لَذَّاتُهُ وَتَدُوْمُ

جميل من كلمة له(٩):

١ ـ عَدَلْنَ الْفَتَى حَتَّى إِذَا اعْتَدَلَ الْفَتَى وَلِنَّ، وَعِيْدَانُ النُّضَارِ تَلِيْنُ
٢ ـ بُلِيْنَ بِأَزْوَاجِ الْغُرُوْرِ فَأَصْبَحَتْ نَوَادِمَ، لَا تَرْقَى لَهُنَّ عُيُوْنُ
٣ ـ عَلَيْهِنَّ مِنْ جِلِّ الْحَيَاءِ غِطَايَةٌ(١٠) وَهُنَّ مُسِرَّاتُ الطِّمَاحِ سُكُوْنُ
٤ ـ بِشُبَّانِ أَنْذَالٍ كَأَنَّ بُيُوْتَهُمْ وَإِنْ قِيْلَ أَزْوَاجٌ لَهُنَّ سُجُوْنُ
٥ ـ يَهِيْجُ عَلَيَّ الشَّوْقَ بَعْدَ انْدِمَالِهِ حَمَائِمُ قَدْ مَالَتْ بِهِنَّ فُنُوْنُ
٦ ـ فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ الْوَالِهِ النَّازِعِ الَّذِيْ لَهُ كُلَّمَا مَدَّ الْحَلاةُ(١١) حَنِيْنُ
٧ ـ فَلَا الْقَيْدُ مُنْحَلٌّ فَيَلْحَقَ سِرْبَهُ وَلَا خَلَقَّ رَبُّ الْقُوَى فَيَلِيْنُ
٨ ـ فَيَا عَاذِلَاتِي إِنْ أَرَدْتُنَّ سَلْوَتِي ـــــــــــــــــ (١٢)
٩ ـ فَأَهْدِيْنَ عَنِّيْ بِالْعَشِيِّ حَمَائِماً لَهُنَّ عَلَى خُضْرِ الْعِضَاهِ رَنِيْنُ

وقال: نُعْضَةُ وغُلَّزُ اللذان يذكرهما جميل في شعره بين نَخَلَى ومَطَران،

---

(٨) قرأها الدكتور نصار (أزالكم) وأضاف بيتاً بعد هذا البيت نصه:

وإنَّ مليكاً فيكِ ألْوَى بِحُجَّةٍ عليَّ وما خاصمته لَخَصُومُ

ولبس هذا في كتاب الهجري.

(٩) (٤٠٧م). (١٠) كذا في الأصل وقرأها الدكتور نصار (غطاؤه).

(١١) (الحلاة): كذا في الأصل ويظهر أن الصواب (الحداة) كما قرأها الدكتور نصار.

(١٢) بياض في الأصل.

وَادِيَانِ[١٣] وأنشد لجميل[١٤]:

١ - وهل يَرْسِمَنَّ النِّضْوُ بِيْ بَيْنَ غُلَّزٍ ... وَنُعْضَةَ وَهْنَاً وَالْعُيُونُ رُقُودُ
٢ - عَلَى مَتْنِ عَادِيٍّ كَأَنَّ الصُّوَى بِهِ ... رِجَالٌ (...)[١٥] الصَّلاَةَ قُعُوْدُ

ونَخَلَى: مقصور مذكر.

وأنشدني لجميل[١٦]:

١ - فَلَمَّا طَلَعْنَ ذَا الْغُلاَلَةِ وانْتَحَتْ ... بهنَّ الْحُدَاةُ فِي خَوِيٍّ لَهُ سَهْلُ[١٧]
٢ - وَلَمَّا بَدَا هَضْبُ الْمِحَزِّ وأَعْرَضَتْ ... شَمَارِيْخُ مِنْ شَرْعَانَ يَرْدَى بِهِ النَّحْلُ

الْمِحَزُّ: وادٍ يَفْلِقُ بَيْنَ الصَّمْدِ والصُّوَّان[١٨]، وشرعان: جبل أحمر.

من كلمة جميل[١٩]:

١ - وَلَيْتَ الرِّيَاحَ الْهُوْجَ فِي ذَاتِ بَيْنِنَا ... بِهَا لاَ تَبُثُّ الْكَاشِحِيْنَ بَرِيْدُ
٢ - فَتَأْتِيَكُمْ مِنَّا جَنُوْبٌ مُطِلَّةٌ ... وَتَأْتِيَنَا هَيْفُ الْعَشِيِّ بَرُوْدُ
٣ - يَمَانِيَةٌ تُزْجِي أَغَنَّ مُهَلْهِلاً ... كَأَنَّ النَّعَامَ الرُّمْدَ فِيْهِ يَرُوْدُ
٤ - تُزَجِّيْهِ لاَنْكَبَاءُ وَإِنْ هَبُوْبُهَا ... وَلاَ سَفَوَانٌ لِلسَّحَابِ طَرُوْدُ

جميل[٢٠]:

١ - قَالَتْ بُثَيْنَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا ... سُبْحَانَ رَبِّ الْعُلَى مَاكَانَ أَوْحَاكَا
٢ - وَعَدْتَنَا أَتْيَةً فِي خَلْوَةٍ عَجِلاً ... فَمَا انْقَضَى يَوْمُنَا حَتَّى رَأَيْنَاكَا

---

(١٣) نُعْضَةُ وغُلَّزُ لايزالان معروفين، فنعضة اسم جبل واقع على شفير وادي مَطْرَان، في الشمال الغربي من غُلَّز بنحو خمسة أكيال تقريباً، وغُلَّزُ جبل يشاهد من هِجْرة مُغَيْرَاء الواقعة جنوب مدينة الْعُلاَ بنحو عشرين كيلاً في الجنوب الشرقي من مغيراء بنحو خمسة عشر كيلاً، وهو في وادي مَطْرَان الواقع جنوب وادي نَخَلا - انظر مجلة «العرب» ١٩/١٣٢ -.

(١٤) (٤٢٨م) لم ترد في شعر جميل الذي جمعه الدكتور حسين نصار.

(١٥) قد تكون: (يُؤَدُّون). (١٦) (٢٢١م) ليست في الديوان.

(١٧) في الهامش: (قرن بالصمد أَحْمَر بن الصَّمْدِ والْحِجْر).

(١٨) على أن الْمِحَزَّ يطلق الآن على جبل يقع شرق مدينة العلا لايزال معروفاً، ولعل الوادي كانت فروعه تنحدر من هذا الجبل فتفصل بين الصَّمْد - صَمْدِ بني عُذْرَة - وبين منطقة الصَّوَّان التي لاتزال معروفة.

(١٩) ٣٧٦م ليست في الديوان. (٢٠) ٤٠٢م.

٣ - إنْ كُنْتَ ذَا عَرَضٍ أَوْ كُنْتَ ذَا مَرَضٍ أَوْ كُنْتَ ذَا خُلَّةٍ غَيْرِي عَذَرْنَاكَا
٤ - فَقُلْتُ: بَلْ مَرَضٌ قَدْ كَادَ يُذْهِبُنِي فَاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ: بَيِّنٌ ذَاكَا[٢١]
٥ - إنْ كُنْتَ ذَا مَرَضٍ يَزْدَادُ صَاحِبُهُ حُسْناً فَيَالَيْتَ بِيْ أَضْعَافَ شَكْوَاكَا

وأنشدني الأزرقيّ لجميل[٢٢]:

وَزَفَّ السَّوَارِي حُبَّ بُثْنَةَ مَوْهِناً إلَيَّ كَمَا زُفَّتْ إلَى الْغَرَضِ النَّبْلُ

السواري : الأحلام ، سواري الليل .

سُحَيْراً وأَعْنَاقُ الْمَطِيِّ كَأَنَّهَا مَدَافِعُ ثُعْبَانٍ[٢٣] أَضَرَّ بِهَا[٢٤] الْوَبْلُ

قال جميل واتُّهِمَ بعضَ علائقه بعبْدٍ[٢٥]:

١ - كَأَنَّ سَوَادَ الْعَبْدِ فَوْقَ بَيَاضِهَا تَكَشُّفُ جلْبٍ عَنْ بَيَاضٍ صَبِيْرِ[٢٦]
٢ - وَإِنَّ سَوَاداً طَارِقاً كُلَّ لَيْلَةٍ يُبَاشِرُ جِلْداً أُبَيْضاً لَغُرُوْرُ

وأنشدَني لِجَمِيْل[٢٧]:

١ - فَأَوَّلُ مَاسَنَّ الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا بِأَسْفَلِ (ذِيْ ضَالٍ) بُثَيْنَ سِبَابُ
٢ - فَقُلْتُ كَلَاماً ثُمَّ قُلْتَ جَوَابَهُ لِكُلِّ كَلَامٍ يَابُثَيْنَ جَوَابُ

وكان مَعْمَرٌ قال : لايَدْخُلَنَّ على أُمِّي أَحَدٌ ، وقد عَمِيَتْ ، فاستهمتْ بُثَيْنَة وليلَى أيُّهُما يطلب الأجر (؟) في خدمتها ، فدخلت بثينة فرآها جميلٌ فَسَبَّها لدخولها على جَدَّتِهِ ، وقد نهى أَبُوهُ ، فردَّتْ عليه وعَلِقَهَا يومئذ حين رآها .

وله[٢٨]:

---

(٢١) غيرها الدكتور نصار : قالت لِي أبِنْ. قائلاً: إنَّ كلمة (بَيِّنٌ) لا يستقيم الوزن بها وكأنه قراه فعل أمرٍ : (بَيِّنْ) وهو اسم منون (بَيِّنٌ).
(٢٢) (٣٦٤هـ).
(٢٣) فوق حرف الثاء من كلمة (ثعبان) ضمة وفتحة وإشارة (معا).
(٢٤) قرأها الدكتور نصار (أضرَّ بِهِ). (٢٥) (٣٦٩هـ).
(٢٦) في الهامش: (الجلب من السحاب الأسود).
(٢٧) (٤٢٩هـ) وآخر مذكور هو أبو كُلَيْبٍ حُمُرُ بن الأشهب من بني عامر بن ربيعة .
(٢٨) (٤٢٩هـ).

١ ـ فَمَا رَوْضَةٌ بِـ(الْحَزْنِ) جَادَ قَرَارَهَا نَجَاءٌ مِنَ الْوَسْمِيِّ وَالدِّيَمُ الْهُطْلُ
٢ ـ بِهَا قُضُبُ الرَّيْحَانِ تَنْدَى وَحَنْوَةٌ وَمِنْ كُلِّ أَفْوَاهِ الْبُقُولِ بِهَا بَقْلُ[٢٩]
٣ ـ بِأَطْيَبَ مِنْ رَيَّا بُثَيْنَةَ مَوْهِناً أَلَا بَلْ لِرَيَّاهَا عَلَى الرَّوْضَةِ الْفَضْلُ
٤ ـ شَرِبْتُ بِرَيَّا مِنْ بُثَيْنَةَ شَرْبَةً مِنَ الْحُبِّ لَمْ يَشْرَبْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلُ
٥ ـ نُقَاعَةُ أَعْنَابٍ وَمِنْ مَاءِ مُزْنَةٍ بِأَعْلَى قَرَارِ الْهَضْبِ غَادَرَهَا الْوَبْلُ

جميل[٣٠]:

١ ـ أَرَى شَجَرَاتِ الدَّارِ خُضْراً وَلَا أَرَى سِوَى شَجَرَاتِ الدَّارِ شَيْئاً تَرَوَّحُ
٢ ـ أَمِنْ أَجْلِ أَنْ حَلَّتْ إِلَيْكُنَّ وَانْتَدَتْ بُثَيْنَةُ يَنْدَى غُصْنُكُنَّ الْمُلَوَّحُ

تَتَرَوَّحُ الْعِضَاهُ إِذَا انضَيْت مِن الْحَرِّ إِلَى أول الشتاء في الحداد وكل عَضَهٍ تُعْبِلُ فلا يبقى لها ورق ، ثم يبدُو فَذَاك التَّرَوّح وهي الرِّبَّحَة وهو النَّشْرُ في غير العِضَاهُ ، والنشر وَبِيْء والرِّبَّحَةُ عيش الإبل بغور الحجاز ، وتسمن عليها .

٥٣ ـ جناح

بعد أن أورد الهجريُّ مقطوعة من شعر مُسَلَّمٍ بن عَسْكَرِ اللُّبَيْنِيّ ، ثم أحد بني حُبيب من بني قشير نصها :

١ ـ أيا بِنْتَ عَدَّاءٍ وَيَابِنْتَ عَمِّهَا لَقَاطِعَةٌ أَعْنَاقَنَا هَجْمَتَاهُمَا
٢ ـ هُمَا صُورَتَا قَومٍ دَفَعْنَا إِلَيْهِمَا فَلَا رَبِحَتْ كَفُّ الَّذِي بَاعَتَاهُمَا
٣ ـ أَسَيِّدُ كَالسِّنْدِيِّ بَادٍ عُيُوبُهُ وَأَحْمَرُ كَالسُّوقِيِّ لَا بِأَبَاهُمَا[١]

بعد إيراد ماتقدم أضاف : فأجابها جناح[٢]:

---

(٢٩) وقد أورد الهجري لعسكر بن فراس شعر ـ ٩٤م ـ جاء فيه :

كَدِعْصِ النَّقَا قد لَبَّدَ الْقَطْرُ مَتْنَهُ وَأَنْبَتَ أَفْوَاهَ الْبُقُولِ خَمَائِلُهُ

وقال : أفواه البقول : أطْيَبها رائحةً ، وأحرارها : أنفعها .

(٣٠) (٤٦٦هـ) لم ترد في «ديوان جميل» الذي جمعه الدكتور حسين نصار .

(١) في الأصل (لا بأناهما).

(٢) (٢٦٤م)، كذا : (فأجابها) ولم يتقدم من يرجع إليه الضمير ، كما لم يرد فيها اطلعت عليه من الكتاب شيء عن جناح هذا سوى ورود اسم (جناح) عَرَضاً في قصيدة لنوال بن الثُغاء ، ونوال هذا من بني حُبيب

١ - تَذْمَّانِ مَحْضَ الْوَالِدَيْنِ سَمَيْدَعاً وَكَهْلاً إذَا جَرَّبْتُمَاهُ كَفَاكُمَا
٢ - وَكَيْفَ تَذُمَّانِ الرَّفِيْقَيْنِ بَعْدَمَا تَسَلَّمَ[٣] مِنْ تِرْسَيْكُمَا حَرْبَتَاهُمَا

٥٤ ـ حاتِمُ الطائيُّ

أنشدني[١] أَبُو الْحَمْد - رجلٌ من بني حَسَنٍ - لحاتِمِ طَيِّءٍ ، قال أبو علي : وأنشدنيها أبو القاسم طاهرُ بن يحيى الحسيني ، قال أنْشدَنيها رَكَّاضٌ وَمَاوِيٌّ ، وأَجْمَعُوْا أنها لحاتِم :

١ - إِذَا أَزَّرُوْا بِالشَّوْكِ أَعْجَازَ نَخْلِهِمْ رَأَيْتَ عِذَاقِي بَيْنَهَا مَاتُؤَزَّرُ
٢ - فَمِنْ بَيِّنَاتِ اللُّؤْمِ أَحْظَارُ سِدْرَةٍ عَلَى جِذْعِهَا يَحْمِيْنَهَا لاَتَغَيَّرُ
٣ - فَلَسْتُ بِمُؤْتِيْهِ وَأَضْيَافُ أَهْلِهِ غِرَاثٌ إلَى وَقْتٍ يُجَدُّ وَيُتْمِرُ
٤ - وَلَكِنَّنِي مِمَّا أَقُوْلُ وَإِنْ زَرَى عَلَيَّ بِذَاكَ الْكَاشِحُ الْمُتَقَفِّرُ
٥ - كُلُوا مَابِهِ خُضْراً وَصُفْراً وَيَانِعاً هَنِيْئاً وَخَيْرُ النَّفْعِ ذُوْ لاَ يُكَدَّرُ
٦ - وَشُقِّيْ عَلَيَّ الْحَبِيْبَ إِنْ حِيْلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِيْ فِيْهِ نِطَاقٌ مُحَظَّرُ
٧ - وَلاَ تَعْلَقِي يَا أُمَّ مُزْنَةَ إِنْ أَتَى عَلَيَّ الأَوَاتِي وَالْحَوَادِثُ تُقْصِرُ
٨ - شَدِيْدُ مَصَرِّ الدِّرْهَمَيْنِ كَأَنَّمَا إِلَى كِفْهِ وَالْعُنْقِ غُلٌّ مُسَجَّرُ
٩ - إِذَا فَاتَهُ مِنْ مَالِهِ رُبْعُ دَانِقٍ رَأَيْتَ عَلَيْهِ وَجْهَهُ يَتَمَعَّرُ

= لُبَيْنِيٌّ قُشَيْرِيٌّ ايضاً ـ ورد في مقطوعة قالها وقد أجمعت عليهم بنو سَلَمة وذهر وبنو مُرَيْح وبنو مالك وكل هاؤلاء من بني قشير (٦٢م) ورد في هذه المقطوعة :

وَنَادَى جَنَاحٌ في أَذِلَّةِ قَوْمِهِ كَجَمْعِ الثُّرَيَّا مِنْ صِغَارِ الْكَوَاكِبِ

ويظهر أنَّ حرباً وقعت بين بطون قشير نفسها ، وأن جناحاً هذا من القشيريين الذين حاربوا اللُّبَيْنِيِّيْنَ إخوتهم ، وأن بينه وبين شعرائهم مهاجاة كما يتضح من شعر جناح هذا .

(٣) كذا (تسلم) ولعل الصواب (تثلم).

(١) (٢٥٤هـ) لعل أبا الحمد من بني حسن بن علي بن أبي طالب ، وهو ممن روى عنه الهجريُّ وطاهر هو ابن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيدالله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . كان الهجري مؤدب أولاد طاهر ـ كما في مقدمة الكتاب الذي تقع هذه التراجم المتعلقة بالشعراء من أقسامه ، وطاهر توفي سنة ٣١٤ على ماذكر السخاوي في «التحفة اللطيفة» ٢/٢٥٧ ـ. وهذه القصيدة في «ديوان حاتم» ـ ٢٧٢ ـ الطبعة الأولى. تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال، الذي قَدَّم للشعر بدراسة وافية عن حياة حاتِمٍ ، وأضاف إلى ماورد في ديوانه من الشعر ماعثر عليه في مصادر أخرى، منها نوادر الهجري التي نقل عنها هذه القصيدة .

١٠ ـ دَقِيْقٌ إِلَى الشَّفِّ اللَّطِيْفِ كَأَنَّمَا ... أُقِيْدَ لَهُ فِي ذَالِكَ الشَّفِّ قَيْصَرُ
١١ ـ وَلَيْسَ الْفَتَى مَنْ يَغْلِبُ الْبُخْلُ جُوْدَهُ ... وَيَعْتَزُّ يُسْرَى أَمْرِهِ الْمُتَعَسِّرُ
١٢ ـ وَلٰكِنَّمَا نَدْعُو الْفَتَى مَنْ نَوالُهُ ... هَنِيْءٌ وَمَنْ يَأْتِي بِهِ لَيْسَ يُنْزَرُ
١٣ ـ يُعِدُّ لِأَعْجَازِ الْأُمُوْرِ إِذَا أَتَتْ ... قِرَاهَا وَإِنْ شَقَّتْ عَلَيْهِ فَيَصْبِرُ
١٤ ـ قَذُوْفٌ عَلَى الْهَوْلِ الشَّدِيْدِ بِنَفْسِهِ ... إِذَا اعْتَنَّ مُغْبَرُّ التَّنَائِفِ أَزْوَرُ(١)

زيادة لحاتم(٢):

١ ـ دَعِيْنِيَ أَنْفَعْ فِي حَيَاتِي فَإِنَّنِيْ ... مَتَى مَا أَمُتْ لَاتَبْكِ نَابٌ وَلَا بَكْرُ

أنشدني(٣) رحَّالُ بن بدْرٍ الدَّبَّابِيُّ ، لِرَجُلٍ منهم ، وتُرْوَى لِحَاتِمٍ :

١ ـ لَنَا بَيْتٌ تَهُبُّ الرِّيْحُ فِيْهِ ... كَأَنَّ شِقَاقَهُ رِيْشُ الْجَرَادِ
٢ ـ تَخَطَّاهُ الْعُيُوْنُ إِلَى بُيُوتٍ ... طِوَالِ السَّمْكِ حَالِكَةِ السَّوَادِ
٣ ـ وَفِي الْبَيْتِ الَّذِيْ يَمْضُوْنَ عَنْهُ ... عَلَى الْعِلَّاتِ أَخْبَارٌ وَزَادِ(٤)

٥٤ ـ حاتم بن مدرك الْحَبَشِي

أنشدني شيخ من جَبَلَةَ الْفَرَعِ لِأَبِي مُدْرِكٍ حَاتِمِ بْنِ مُدْرِكٍ الْحَبَشِيِّ ، من بني الحارِث ، سُلَمِيٌّ يردُّ على عبدِالله بن أَبِي صُبْحٍ الْمُزَنِي ـ وبينهما نقائِض(٥) :

---

(١) هنا تنتهي الصفحة وتبدأ صفحة أخرى لا صلة لها بالأولى وقد يكون بقي من القصيدة شيء.
(٢) (١٠م). في ديوان الشاعر ـ ٢٠٩ ـ قصيدة في ١٨ بيتاً من بحر هذا البيت وقافيته ولكنه ليس فيها .
(٣) (٢٣٩هـ). الدبَّابيُّ هذا أورد البليسيُّ فيما نقل في كتابه عن الرشاطي عن الهجري : دبَّاب في بني ربيعة بن زِغْب بن مالك بن خفاف ـ ورحَّال منهم ، فهو إذَنْ سُلَمِيٌّ والشّعر حسب روايته لواحد منهم ، ولكن الهجري أضاف : (يُروى لحاتم) ورحّال من شيوخ الهجري روى عنه لغة وشعراً (١٩٢/١٩٣/١٩٥م).
(٤) في البيت إقواء .
(٥) (٤٥٥م): يظهر من معاصرة هذا الشاعر لابن أبي صُبْح أنه من أهل القرن الثاني الهجري ـ انظر عن ابن أبي صُبْح «العرب» س ٢٤ ص ٥٧٧ . وقد أورد له صاحب «اللسان» رسم (نهض) بيتاً يهجو أبا العيوف وأورد الزبير بن بكار في «جمهرة نسب قريش» ـ ١٠٨ ـ أنه جرى صلح بين عبدالله بن عَمْرِو بن أبي صُبْح وبين حاتِم بن مدرك السلمي فقال حاتِم:

دعاني أبو عَمْرٍو إلى الله دعوةً ... أصاب بها ماقي فؤادي وما يدري

وبيتين بعده وأضاف: ـ يريد الزُّبيرَ بنَ خُبَيْبِ بن ثابت بن عبدالله بن الزُّبَيْر ، وذكر أن الزبير هذا وفد على =

أَلَا أَيُّهَا الْغَادِيْ اتَّقِ اللهَ وَاحْتَمِلْ ... لَنَا حَاجَةً لَا تَسْتَبِيْنُ لَهَا ثِقْلَا
تُبَلِّغُ يَعْقُوبَ بْنَ يَحْيَى رِسَالَةً ... وَعَمْراً وَشِبْلاً أُوْدِعُ اللهَ لِي شِبْلَا
وَحَيَّ بَنِي لُقْمَانَ فَالْحَيُّ جِيْرَةٌ ... وَتَقْرَأُ عَلَيْهِمْ مِنْ تَحِيَّتِنَا مِثْلَا
وَكُلُّ بَنِي عَيْشِ الْكِرَامِ فَإِنَّهُمْ ... صَدِيْقٌ وَجِيْرَانٌ أَرَى لَهُمُ فَضْلَا
إِذَا جِئْتَهُمْ مِنْ مَخْدَعِ الْغَيْبِ سَاعَةً ... لِأَنْظُرَ مَاهُمْ لَمْ أَجِدْ لَهُمُ دَغْلَا
وَقُلْ بَعْدَ هٰذَا كُلِّهِ إِنَّ حَاتِمَاً ... يَقُولُ لَكُمْ: قُولُوا لِصَاحِبِكُمْ مَهْلَا
وَقُوْلُوا لَهُ: مَابَالُ عَقْلِكَ نَاشِئاً ... وَجَهْلُكَ لَمَّا عُدْتَ ذَا شَيْبَةٍ كَهْلَا
كَأَنَّكَ لَمْ تَقْرَا مِنَ الْوَحْيِ سُوْرَةً ... بِأَرْضٍ، وَلَمْ تَسْمَعْ بِهَا سَاعَةً تُتْلَى
إِذَا مَا الْتَقَيْنَا عَدَّ مَاكَانَ بَيْنَنَا ... مِنَ الْحِلْفِ وَالْإِسْلَامِ وَاجْتَنَبَ(١) الْجَهْلَا
وَإِنْ غِبْتُ عَنْهُ سَاعَةً قِيْلَ: يَفْتَرِيْ ... عَلَيَّ، فَلَا أَدْرِيْ أَأَشْتُمُهُ أَمْ لَا
أَمْ اعْرِضُ عَنْ عَوْرَاتِهِ فَهْوَ جَاهِلٌ ... فَيَكْفُرُ إِحْسَانِي وَيَحْسِبُهُ ذُلَّا
أَمْ اشْتُمُ جِيْرَانِي فَأُصْبِحَ مِثْلَهُ ... أَعُوْذُ بِرَبِّيْ أَنْ أَكُوْنَ لَهُ مِثْلَا
وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيْ مِنَ الْقَوْمِ أَنْ أُرَى ... جَبَاناً جَهُوْلاً لَا حَلِيْماً وَلَا نِكْلَا
أَوِ آنْ يَعْلَمَ الْأَقْوَامُ أَنِّيَ كَالَّذِيْ ... يَكُوْنُ عَلَى مَعْرُوْفِهِ أَبَداً قُفْلَا
فَمَا زِلْتَ تَغْشَانَا بِسَبِّكَ ظَالِمَاً ... وَتَصْفَحُ حَتَّى مَاتَظُنُّ لَنَا عَقْلَا
وَتُنْذِرُنَا آلَ الزُّبَيْرِ كَأَنَّنَا ... طُلِبْنَا بِجُرْمٍ أَوْ حَمَلْنَا لَهُمْ ذَحْلَا
وَتَقْتَحِمُ الْأَنْسَابَ مِنْ دُوْنِ خِنْدِفٍ ... كَأَنَّكَ تُعْطِي دُوْنَهُمْ بِالْيَدِ السُّفْلَى
كَأَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ أَباً لَكَ دُوْنَهُ ... بَلَى قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ فِيْ خِنْدِفٍ فَضْلَا
وَأَنَّ قُرَيْشاً خَيْرُ مَنْ وَطِيءَ الْحَصَى ... وَأَنْعَمَهُ فَرْعاً وَأَكْرَمَهُ أَصْلَا
فَإِنْ كُنْتُمُ إِخْوَانَهُ فَابْنُ عَمِّهِ ... حَبِيْبٌ قَرِيْبُ الدَّارِ مُسْتَوْجِبٌ وَصْلَا
كَرِيْمٌ فَلَمْ يَبْسُطْ يَداً بِعَدَاوَةٍ ... إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَبْعَثْ بِهَا لَهُمُ رِجْلَا
فَلَا تَطْرَحَنَّا أَنْ سَقَوْكَ عَلَى الظَّمَا ... مَعَ النَّاسِ يَوْماً مِنْ سِجَالِهِمُ سَجْلَا

[بقية القصيدة في الجزء الآتي]:

= المهدي وعلى الرشيد، ولم يحدد زمن وفاته وكذا في «تاريخ بغداد».
والحبشيُّ نسبة إلى حبش بن دبّاب من بني زغب بن مالك بن خُفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم (٢٠٤/٢٠٥هـ) وحبش أخو هاشم بن عبد مناف لأمه.
جبلة الفَرْع : سيأتي ذكرها في المواضع .

(١) فوق (اجْتَنَبَ): (صل).

« التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب »

(١)

كان الأخ الشيخ علي بن محمد بن علوان ، أحد وجهاء بلاد عسير عثر على مخطوطة فريدة من هذا الكتاب ، فأفضل بإطلاعي عليها واستشارني في من أراه قادراً على تحقيقها ، فذكرت له اسم الأستاذ الشيخ عبدالله بن محمد الـحِبْشِـي ، في صنعاء ، ويظهر أن الشيخ ابن علوان بعد أن عرف أن أستاذاً مصريًّا رغب إليه تحقيق الكتاب سارع في الإعلان عن نشره في بيروت رغِبَ الحيلولة دون ذالك، فقدم الشيخ عليٌّ الكتاب إلى النادي الأدبي في أبها ، فقام بنشره سنة (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) عن النسخة التي حققها الأستاذ المصري الدكتور سعد عبدالمقصود ظَلَّام ـ عميد كلية اللغة العربية في الأزهر ـ وزاد الشيخ ابن علوان إفضاله علي بأن أهدي صورة تلك المخطوطة إليَّ ، على ماجاء في مقدمة المطبوعة .

لاشك أن الإسراع في طبع هذا الكتاب قبل تحقيقه تحقيقاً علمياً ماكان مناسباً ، ولكن الدافع إلى ذالك كان وجيهاً ، فهو سيخرج في طبعة مماثلة بطريقة غير مشروعة ، فقد أعلن أحد الناشرين في بيروت بما يفهم منه أن الدكتور سعد ظلام قدم نسخة أخرى من عمله للنشر غير النسخة التي قدمها لمالك المخطوطة ، وهذا يبرز جانباً من الجوانب التي يجب أن يترفع عنها كل ذي علم وخلق .

وكنت قد اطلعت على عمل الدكتور سعد ظلام قبل نشره فنصحت الشيخ عليا بأن يكل التصحيح إلى غيره من المحققين ممن هو أوسع اطلاعاً منه ، وأكثر إلْـمَاماً بمعرفة قبائل تهامة التي تحدث عنها مؤلف الكتاب بتوسع . وأوضحت له أنه لا يصح الاعتماد على تحقيق الدكتور سعد ظلام ، فهو ـ فيما يبدو من أثر عمله ـ قاصر في معرفة هذا العلم ، وبضاعته فيه مزجاة ، يضاف إلى هذا أنه لا يعرف شيئاً عن القبائل العربية التي لا يزال كثير من فروعها المذكورة في الكتاب بأسمائها معروفة ومستوطنة في بلادها القديمة .

ثم تحدث أحد الإخوة في إحدى صحفنا عن الكتاب ، فكان من أثر حديثه أن وعدتُ بإلقاء نظرات على المطبوعة لمحاولة تصحيح بعض أخطائها .

وها أنا مدفوعاً بما طوقني به الأخ الشيخ علي بن محمد بن علوان من فضل ، ألقي نظرات ، أرجو أن يكون فيها بعض مايفيد القراء ممن يعنى بعلم الأنساب أَوْ يُرِيدُ الاستفادَة منْ هذا الكتاب .

الأشعري النسابة مؤلف الكتاب :

لعلماء اليمن عناية فائقة بالاهتمام بعلم النسب منذ القرن الثالث الهجريِّ إلى عهود متأخرة ، ومن أبرزهم في ذالك أبو نصر الْيَهْرِي الـحِمْيَرِيُّ ، شيخ الهمداني صاحب «الإكليل» الذي تحدث عنه في مقدمة هذا الكتاب .

ثم من بعده أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني صاحب كتاب «صفة جزيرة العرب» و«الإكليل» وغيرهما ، وفي «الإكليل» في أجزائه الأول والثاني والعاشر ، أورد أنساب القحطانيين المقيمين إلى عهده في اليمن ، مفصلة بما لا يوجد في غير هذا الكتاب .

ومن بعد الهمداني العالم اللغويّ نَشْوان بن سعيد الحميريُّ في قصيدته «الحميرية وشرحها» وفي كتاب «شمس العلوم» وهو مخصص للمفردات اللغوية ، إلا أنه أتى بجمل في علم الأنساب ذات قيمة علمية .

ومن العلماء اليمنيين الذين عُنُوا بعلم النسب أبو الحسن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري الْقُرْتُبِـي ، من أهل القرن السادس الهجري ، فقد اتجه للتأليف في الأنساب ، ووصل إلينا من مؤلفاته كتابان سيأتي الكلام عليهما .

ولا نجد فيما بين أيدينا ترجمة مفصلة للأشعري هذا ، ويظهر أنه ممن جنى عليه مذهبه ، فهو حنفي ، وقد عاش في تهامة بمنطقة زَبِيد ، وجُلُّ علماء هذه الناحية من الشافعية ، وبينهم وبين الأحناف خلاف كان من أثره التقاطع ، بحيث كان بعض الشافعية ينص على أن الأشاعرة ـ وهم أحناف ـ لا يحق لهم أن يطالعوا فيما أوقف من كتب ـ «السلوك» ـ ١ /٣٦٨ ـ حيث استثنى الفقيه البُرَيْهِـي حين أوقف

كتاباً على طلبة العلم ـ استثنى الأشاعرة ، وهؤلاء لهم مسجدٌ خاص بهم في مدينة ـ زبيد ـ «السلوك» ـ ١ /٤٤٩ ـ. والقول بأنه شافعي المذهب كما ذكر الأستاذ الزركلي في «الأعلام» يظهر أنه ناشيٌ عن كون سكان تلك الناحية من الشافعية ، والذي نص عليه علماء اليمن ممن ترجمه أنه حنفي المذهب ، على ما سيأتي في النقل عن «طراز أعلام اليمن» .

والأشعريُّ النَسَابة هذا كان معاصراً للشاعر عُمَارة الْـحَكَمِـيّ المتوفَّى سنة ٥٦٩ ، فقد جاء في كتابه «المفيد» ـ ص ٤٦ ـ مانصه : حدثني الشيخ الفقيه نزار بن عبدالملك المكي والفقيه أحمد بن محمد بن إبراهيم الْقُرْتُبِـيُّ الأشعريُّ ، ومامنها إلاَّ عارف بأيام الناس وأنسابهم وأشعارهم .

وأوفى ما وصل إلينا في ترجمة الأشعري هذا ماورد في كتاب «طراز أعلام الزمن في طبقات علماء اليمن» للخزرجي ـ والكتاب لا يزال مخطوطاً ، فقد ذكر أنه أبو الحسن أحمد بن محمد الأشعري نسبا ، القُرْتُبِـيُّ بلداً ، الفقيه في معرفة الأنساب ، الحنفي ، كان فقيهاً فرضياً حَسَّاباً نحويًّا ، لغوياً متأدباً ، عارفاً في مذهب الإمام أبي حنيفة .

ولم يذكر زمنه بل اكتفى بقوله : وهو معاصر لصاحب «البيان» . يعني يحيـى بن أبي الخير المتوفَّى سنة ٥٥٧ ، ثم نقل ماجاء في كتاب «السلوك» ـ ١ /٣٤٥ ـ ونصه : ولما مدح الفقيه النسابة أحمد بن محمد الأشعريُّ الشيخَ محمدَ بن علي بن مشعل بشعر مشهور ، جُعِلَ هذا من أعظم مناقبه ، وأعظم مفاخره التي يمدح بها . وأضاف الخزرجي : لكونه من قومه ، ونقل ذالك عن ابن سمرة صاحب كتاب «طبقات فقهاء اليمن» ولكن الذي في «الطبقات» ـ ص ١٨٤ ـ في ترجمة يحيى بن أبي الخير وقيل : إن الفقيه النسابة أحمد بن محمد الأشعري ، جعله من أعظم مناقب الشيخ محمد بن علي بن مشعل العمراني ، وأكبر مفاخره ، حين امتدحه ، ونعم الفخار يحيـى بن أبي الخير . انتهى .

وفي كتابه «التعريف بالأنساب» ما يدل على أنه ألفه في عهد الخليفة الراشد العباسي الذي تولى الخلافة سنة ٥٠٢ وخلع سنة ٥٣٠ .

والأشعريُّ منسوب إلى قبيلة الأشاعرة التي كانت تنزل في تهامة في نواحي زَبِيد وقد تحدث عنها بتوسع في كتابه ، وهو من أهل قرية تدعى (القُرْتُب) - بضم القاف وسكون الراء وضم المثناة من فوق وآخره باء - وهي على ماذكر الخزرجي قرية من قرى الوادي (وادِي زَبِيد) وإليها يضاف الباب الجنوبي من زبيد ، فيقال : باب القُرْتُب ، خرج منها طائفة من العلماء ذكر الخزرجي بعضهم في كتابه .

وذكر أنه توفي في قريته هذه التي كان يسكنها ، وأن قبره كان معروفاً في عهد الخزرجي الذي أضاف : لم أقف على تاريخ وفاته .

أما مؤلفاته فمنها :

١ ــ «الباب في معرفة الأنساب» قال عنه الخزرجي : كتاب مختصر مفيد عليه اعتماد الناس في وقتنا هذا . وهذا الكتاب توجد منه نسخ مخطوطة منها نسخة في (دار الكتب المصرية) برقم ٩٤٥ تاريخ ، وفي (مكتبة الامبروزيانا) في إيطاليا برقم ١٧١ H وفي (المكتبة السليمانية) في استنبول (خزانة كتب لاله لي) برقم ١٣٢ .

وقد طبع طبعة سيئة في جُدَّة قبل أربعين عاماً مغَيَّرَ العنوان ، مُدْمَجاً أثناء كتاب ، وهذا الكتاب كما جاء في نسخة (مكتبة السليمانية) أوله بعد البسملة : (يقول الشيخ الامام أبو الحسن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعريُّ - رحمه الله -: هذا كتاب مختصر في علم النسب ، ومعرفة قبائل العرب جعلته ذريعة إلى الاختصار ، وسبباً إلى الاقتصار ، وسميته كتاب «الباب في معرفة الأنساب» وقد صنف الناس في هذا الباب كتباً مختصرة ومطولة ، ومجملة ومفصلة ، واجتهدوا غاية الاجتهاد ، وبحثوا عن الآباءِ والأجداد ، امتثالاً لقوله ﷺ في الحديث المنقول «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة النسب منسأة في الأجل ، محبة في الأهل ومثراة في المال» .

والكتب المصنفة في الأنساب كثيرة منها ، مصنفات هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، وهو الإمام في علم النسب ، وله في هذا العلم خمسة كتب «المنزل» و «الجمهرة» و «الفريْد» و «الوجيز» و «الملوكي» وهو الذي فتح هذا الباب ، وضبط علم النسب .

ومن العلماء بالنسب محمد بن إسحاق وأبو عُبَيْدٍ ومحمد بن حبيب ، ومصعب بن عبدالله الزُّبَيْري ، وعلي بن كيسان الكوفي ، ودَغْفَلُ بن حنظلة ، والشرقيُّ بن القطامِيِّ ، في آخرين يطول ذكرهم .

وقد صنف المتأخرون وأكثروا ، وهذَّبُوا الأنسابَ وحرروا ، منهم الهمداني صنف كتاب «الاكليل» عشرة مجلدات ، وقد صنف أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري كتاباً استقصى فيه على علم الأنساب . . . . وذكر للمناقب والروايات ، وهو زهاء أربعين مجلداً ، مات وماأتمه ، وصنف غيره تصانيف كثيرة يطول ذكرها ، وقد استخرجت من هذه المصنفات كتاباً مختصراً سميته كتاب «التعريف» اقتصرت فيه على مشاهير الرجال ، وتوسطت بين الإكثار والإقلال ، ثم عملت هذا المختصر ذكرت فيه أمهات القبائل وبطونها ، ورؤوس الأوائل وعيونها ، يُشْرَفُ به على أصول العرب ، وجعلته مدخلاً إلى علم النسب ، والله الموفق للمطلوب ، والمعين على المحبوب) .

ثم شرع في الكلام على الأنساب مبتدئاً بعدنان ، لأن النبي ﷺ منهم ، وانظر «اللباب» .

ويقع الكتاب في مخطوطة (لاله لي) في ٧٥ صفحة من القطع الصغير ، في الصفحة إحدى عشر سطراً بخط النسخ ، والكتابة حديثة العهد . وهو من مصادر مؤلف كتاب «طرفة الأصحاب» انظر - ٨٥/٦١ -.

٢ ــ «التعريف بالأنساب والتنويه لذوي الأحساب» وسيأتي الكلام عليه .

٣ ــ «التفاحة في علم المساحة»: وصف الخزرجيُّ الأشعريَّ بأنه كان فرضيًّا حَسَّاباً نحويًّا ، متأدباً ، وله مصنفات كثيرة في عدة فنون العلم . ثم ذكر من مصنفاته كتاب «التفاحة» وقال : إنه متداول بين الناس ، وورد في طرة كتاب «التعريف بالأنساب»: «شرح التفاحة في علم المساحة».

ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة في مكتبة (الامبروزيانا) رقم ٢٩ ، وأخرى في (المكتبة الآصفية) في الهند مخطوطة سنة ٩٥٩ رقمها ١٧٧ على ماذكر الأستاذ عبدالله الْـحِبْشِـي في كتابه «مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن» - ٤٩٠ -.

٤ ــ «طرفة المجالس ، وتحفة الجالس» ذكر الأستاذ الزركلي أن منه نسخة في (الزيتونة في تونس) وأحال إلى «فهرس الأحمدية» ولم أطلع على هذا الكتاب ويظهر أنه في الأدب .

٥ ــ «اللباب في معرفة الأنساب» : ذكر الأستاذ الزركلي في «الأعلام» - ٢١٧/١ - أن الأشعري عالم بالأنساب وضع مختصراً فيها سماه «التعريف بالأنساب» ثم عمل «اللباب في معرفة الأنساب» مخطوط في الأحمدية بتونس برقم (١٦٦٦) في (١٧٢) ورقة ، قال مصنفه ذكر فيه أمهات القبائل وبطونها وجعلته مدخلاً إلى علم النسب . انتهى كلام الأستاذ - رحمه الله -.

ولم أطلع على هذه النسخة وأخشى أن يكون المقصود هو كتاب «الباب» فالجملة التي أوردها الأستاذ الزركلي موجودة في أول هذا الكتاب كما تقدم .

والغريب أن جُلَّ من ترجم الأشعري يسمى هذا الكتاب «اللباب» مع أنه صرح في مقدمته بأنه جعله مدخلاً إلى علم النسب أي باباً ، وقد اطلعت على مخطوطة منه أتت إليَّ من كتب اليمن في مجموع يحوي غيرها ككتاب «صفة جزيرة العرب» و «طرفة الأصحاب» للملك الرسولي و «روضة الأحباب» المعروفة بِمشجَّر ابن أبي علامة ، وقد استعيرت مني ليطلع عليها سيف الإسلام عبدالله بن الحسين ، حين زار الرياض ، فذهب بها معه ، وقتل وهي عنده ، ثم زار مدينة تعز بعد ذالك الدكتور حسين الهمداني وكان مقيماً في القاهرة ، فأتى بها معه ، واطلعني عليها في القاهرة .

وفي تلك المخطوطة ورد اسم الكتاب صحيحاً «الباب» كما ورد في طرة كتاب «التعريف في الأنساب» : له من المصنفات في علم النسب هذا الكتاب . . . و« الباب إلى معرفة الأنساب» و «شرح التفاحة في علم المساحة» . وورد اسمه في «طرفة الأصحاب» - ٨٥ - «الباب» .

٦ ــ «لب اللباب ونزهة الأحباب في الآداب» : وسماه الخزرجي «اللباب في الآداب» ووصفه بأنه كتاب حسن جدًّا .

ومن هذا الكتاب نسخة في (دار الكتب المصرية) برقم (٢٣٧٢) ونسخة في مكتبة (دير الاسكوريال) في اسبانيا برقم (١٧٠٢) طالعت هذه النسخة يوم

الأربعاء ٦ محرم ١٤٠٧هـ ، (١٠/٩/١٩٨٦م) وهاهو وصفها كما طالعتها: تقع هذه النسخة ضمن مجموع هي أوله ، وعنوانها كتاب «لب اللباب، في لطائف الحكايات» مئة حكاية في عشرة أبواب ، تأليف السيد الأجل الفقيه الفاضل أبي الحسن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري ـ رحمه الله ـ وأول الكتاب بعد البسملة : الحمد لله الذي عمنا بِالْإنعام ، إلى أن قال : أما بعد فإني كنت في أوان الطِّلَاب ، وعنفوان الشباب قَرِماً إلى استقراء كل كتاب ، ونَهِماً في مطالعة العلوم والآداب لَهِجاً بمفاتحة الأصحاب ، بَهِجاً عند مفاتحة الأتراب ، هذا مع تشعب الأحوال ، وتكاثف الهموم والأشغال ، وتغير الزمان ، وتكدر الإمكان ، غير أني جمعت من كتب المصنفين ، ونزعت منْ ترتيب المؤلِّفين، مِئَةَ حكاية، ثابتة الرِّواية، من الأخبار المشهورة، والأشعار المسطورة، جعلتها طُرْفَة في الْـمَجَالس ، وتحفة لِلْـمُجَالِس ، وأنيسا في الْـخَلْوَةِ ، وجليساً في الْـخُلْوَةِ ، وقد قال بعض الحكماء : الكتابُ خيرُ جليس ، وآنسُ أَنِيْسٍ ، لا يُظْهِرُ سِرَّكَ ولا يُوْغِرُ صدرك ، قال الشاعر :

خَيْرُ الْـمُحَادِثِ وَالْـجَلِيْسِ كِتَابُ   تَخْلُو بِـهِ إِنْ مَلَّكَ الْأَصْحَـابُ
لَا مُفْشِياً سِرًّا إذَا اسْتَوْدَعْتَـهُ   وَيُنَـالُ مِنْـهُ حِكْمَـةٌ وَصَـوَابُ

وقال المتنبي :

أعزُّ مكانٍ في الدُّنَا ظَهْرُ سَابحٍ   وخَيْرُ جَلِيْسٍ فِـي الزَّمَانِ كِتَابُ

وقال آخر :

نِعْمَ الْـمُجَالِسُ لَيْسَ يُعْقِبُ ضَجْرة   لـلمَـلْكِ وَالْـوُزَراءِ وَالْـكُـتَّـابِ
ورقٌ تَضَمَّنَ مِنْ خُطُوْطِ أَنَامِلٍ   بَـدْعـاً من الْأَشْعَـارِ وَالْآدَابِ
يَخْلُوْ بِهِ مَنْ ملَّ مِنْ أُصْحَـابِهِ   فَيُقَالُ خِلْوٌ وَهْوَ فِـي الْأَصْحَابِ

وَلَـمَّا كان الكلام ذَا شُجُونٍ ، جذبتها من أنواع وفنون ، وتركت التّرديدَ والإعادات ، لأن الأسماع تَمَلُّ الْـمُعَادَاتِ ، كما قال الأولون :

إِذَا تَحَـدَّثْتَ في قَـوْمٍ لِتُتْحِفَهُمْ   بِكُلِّ مَاهُوَ مِنْ مَاضٍ وَمِنْ آتِ
فَلَا تَعُدْ في حَدِيْثٍ إِنَّ طَبْعَهُمُ   مُـوَكَّـلٌ بِمُـعَـادَاةِ الْمُـعَـادَات

وقال علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه : إنَّ هذه القلوب تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدان ، فابتغوا لها طرائف الحكم ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول لأصحابه، إذا داموا في الدرس دَرْسِ العلم : أَحْمِضُوا أي مِيْلُوا إلى المفاكهة ، تشبيهاً بالإبلِ إذا مَلَّتْ من حُلْوِ الرعي مالُوا بها إلى الحمض ، حتى تعود إلى المرعى وهي مشتهية ، وقد وقع الاختيار ، وواقف الإيثار بترتيب عشرة أبواب ، وبتمامها يتم الكتاب .

الباب الأول : في الكرم وحسن الأخلاق والشيم .

الباب الثاني : في الأدب والعلم والعفو والحلم .

الباب الثالث : في الشجاعة ، والجلد والبراعة .

الباب الرابع : في الفصاحة والخطاب ، والرد والجواب .

الباب الخامس : في التلطف والسوال ، والتلصص والاحتيال .

الباب السادس : في حكايات الشعراء مع الأمراء والكبراء .

الباب السابع : في حكايات الْعُشَّاق وكل صَبٍّ مشتاق .

الباب الثامن : في أخبار النساء مع فنون شتى .

الباب التاسع : في أخبار منثورة ، وحكايات مشهورة .

الباب العاشر : في حكايات الصالحين ، والزهاد والسائحين .

وقد كان هذا الباب الأخير يجب تقديمه ، ويتوجه تعظيمه ، ولكن جعلناه طبق الْـحَلْوَى ، كتأخير الطيب من الأشياء . انتهى .

والمؤلف يورد في هذه الأبواب أخباراً أدبية ينسبها إلى رواتها كالأصمعي وغيره ، كما يسوق أشعاراً منسوبة أيضاً إلى قائليها ، ولكنه لا يذكر الكتب التي اعتمد عليها في ذالك .

ومخطوطته تقع في مجموع هي أوله ، وتقع في (٢١٨) من الصفحات ، في الصفحة ثلاثة وعشرون سطراً ، بالخط النسخيّ الواضح ، وهي مخطوطة سنة (٩٩٦) لأحد المكيين واسمه كما جاء في آخرها (شيخ الإسلام جمال الدين محمد بن الشيخ عبداللطيف المكي) وهي منسوخة هي وما معها من الكتب في بندر سورت (الهند) وكان ممن ملكها (زيدان أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين الملك المنصور

بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين الحسني) ـ وهذا من ملوك المغرب في أول القرن الحادي عشر الهجري .

ولعل هذا الكتاب هو الذي سماه الخزرجي في «طراز اعلام الزمن» «اللباب في الآداب» وقال عنه : وهو كتاب حسن جداً .

٧ ـ مختصر في النحو ، كذا ذكر الخزرجي في «الطراز» والسيوطي في «بغية الوعاة» وتقدم قول الخزرجي بأن الأشعريَّ كان نحويًّا .

وقد يكون له مؤلفات أخرى غير هذه .

عصر الأشعري : لاشَكَّ أن الأشعريَّ مؤلف هذا الكتاب من أهل القرنين الخامس و السادس الهجريين كما تقدم النقل عن عُمَارة وعن غيره .

وقد أشار صاحب «كشف الظنون» إلى عدم التثبت من معرفة سنة وفاته ، فقال : المتوفى في حدود سنة خمس مئة ، ثم جاء الأستاذ الزركلي في «الأعلام» فقال عن تاريخ وفاته : (نحو ست مئة (نحو ١٢٠٣م) وجاء بعده الأستاذ عمر رضا كحالة فقال ـ كصاحب «كشف الظنون» توفي في حدود (٥٠٠هـ/١١٠٥م) أما (بروكلمان) في ملحق كتابه (٥٥٨/١) فقد توسع في الأمر فأرخ حياته فيما بين ٥٠٠ و ٦٠٠هـ (١١٠٦/١٢٠٣م) والواقع أن تاريخ وفاته لم يفصح عنه مابين أيدينا من الكتب .

هذا الكتاب : لقد أوضح مؤلفه الغاية من تأليفه في مقدمته ، وأنها استجابة لأحد المنعمين عليه (اختصر له من أصول القبائل وشعوب الأوائل ما ينتهي من النسب إلى الوسط ، ويُؤمَنُ فيه من الغلط) وحين سَمَّى أشهر علماء النسب وذكر مؤلفاتهم في كتاب «الباب» قال : (وقد استخرجت من هذه المصنفات كتاباً مختصراً سميته «التعريف» اقتصرت فيه على مشاهير الرجال ، وتوسطت بين الاكثار والإقلال ، ثم عملت هذا المختصر) يعني «الباب» وإذن فغايته من هذا الكتاب بعد التعريف بأصول القبائل ذكر المشاهير ـ ذوي الأحساب ـ من القبائل التي ذكرها ، فهو يشبه إلى حد كبير كتاب «النسب» لأبي عُبَيْدٍ القاسم بن سلام ، الذي اختصره من «جمهرة النسب» لابن الكلبي ، وانصبَّ في ماذكر في هذا الكتاب إلى ذكر المشاهير من الصحابة والعلماء وغيرهم .

وهنا يبرز سؤال هو : مادام الأشعريُّ عَوَّلَ في كتابه على مؤلفات مَنْ ذكر من مشاهير علماء النسب ، كابـن الكلبي، والهمداني والبلاذري ، وغيرهم ممن أورد أسماءهم ، فما هي ميزة كتابه هذا ، وقد وصل إلينا جُلُّ مؤلفات أؤلئك ؟ والجواب : أن أنساب القبائل اليمنية لا يزال يحوط كثيراً منها الغموض والنقص ، إذ لم تصل إلينا مؤلفات وافية مفصلة عنها ، باستثناء الأجزاء الثلاثة التي نشرت من كتاب «الإكليل» و «صفة جزيرة العرب» للهمداني وكتاب «طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب» لعمر بن يوسف بن رسول ، على مافي تلك الكتب من تحريف وتصحيف في كثير من الأسماء ، يضاف إلى هذا أن مؤلفات ابن الكلبي وغيره من العلماء الذين عاشوا بعيدين عن بلاد اليمن ليست على درجة من الاستيعاب والصحة ، فقد قال الهمداني في «الإكليل» ـ ٨/ ١٧٠ ـ طبعة القاضي الأكوع قال عن هشام ابن الكلبي وأبيه وغيرهما من النساب : وجدناهم قد اختصروا أنساب الناس وقللوها وطرحوا منها حتى ربما أتت من العدد بأقل من نصف ماذكرنا ، وذالك لأحد علتين لا ثالث لها : إما أن يكون مع أنساب الناس شيء من أنساب العرب نقلاً عن عرب الحجاز ، وأما اليمانية فقد كان ذهب علمهم في أيام بخت نصر لفتكه بقيولهم في عهد أسعد تبع ، وفي أيام حسان بن أسعد ، وتخريبه حصونهم ، وقتل حسان لجديس التي أفنت طسم ، ولما وقع في الأزد وقضاعة . وأما انه لم يضع فقد حاول بعضهم إفساده في أيام العصبية في دولة معاوية ، ليقرب نسب قضاعة وكهلان على نحو ما أرادت النزارية من احتيال هذه القبائل وإدخالها في ولد إبراهيم ـ عليه السلام ـ فيفهم من هذه الأحداث سبب قصر تلك الأنساب . انتهى .

ومن هنا فإن كتاب الأشعري هذا يُمِدُّنَا بمعلومات لا نَجدها في مصادره التي ذكر ، بل لا نجدها في غيره من المؤلفات ، ولا سيما ما يتعلق بأنساب القبائل التهامية ، مما لا يحتاج القاريء إلى الإشارة إليه، فهو مفصل في هذا الكتاب توسُّع .

(للحديث صلة) حمد الجاسر

حول انقطاع نسب خالد بن الوليد

قرأت في «العرب» الغراء في العدد الصادر محرم/صفر سنة ١٤١١هـ (آب/أيلول/أغسطس/سبتمبر) سنة ١٩٩٠م في الصفحة ٥٦٤ س ٢٥ مقالة بعنوان: (خالد بن الوليد لَـمْ ينقطع نسبه) للأخ الكريم حسن عموري الخالدي من سوريا ـ حماة ـ كفر زيتا. وردكم عليه.

إني سوف لا أكتب في صحة انقطاع نسب خالد بن الوليد رضي الله عنه، بعد أن أثبتّم ذالك في ردكم على صاحب المقال. وقولكم الفصل في علم النسب، وقال الشاعر:

إذا قالت حَذَام فصدقوها ... فإن القول ماقالت حذام

ولكن أكتب إليكم في تصحيح ماورد في مقال الأستاذ حسن العموري عن قبيلة عرب بني خالد في بادية مدينة حمص وحماة في سورية خيفة أن يتوهم أحد القراء صحة قوله.

جاء في المقال: أولاً : (بنو خالد يعتقدون حقيقةً بأنهم ينسبون إلى جدهم خالد بن الوليد المخزوميّ القرشيّ سيف الله رضي الله عنه... والعرب أعرف بأنسابها).

ومادام العرب أعرف بأنسابها فما يقول الأستاذ حسن العموري في قول عرب البَكَّارة في سورية وهي تُعَدُّ بمئات الألوف، وتسكن من منتصف الطريق بين الرقة ودير الزور على ضفاف نهر الفرات إلى مصب نهر الخابور في الفرات عند قرية البصيرة اليوم وقديماً كانت تسمى قرقيسياء وفي بادية مدينة الحسكة ويسمون بكارة الجبل، وفي بادية مدينة حلب، حيث ينسبون أنفسهم إلى محمد الباقر رضي الله عنه المتوفى سنة ١٢٤هـ وجاء بعد هذه السنة علماء نسب كُثُرٌ لم يقولوا: إنه ظهر بطن ينسب إلى الباقر ويسمى بكارة ولكن قالوا حسينيّ هاشميّ قرشيّ، وكذالك يوجد في سورية قبيلة النّعَيم ينسبون أنفسهم إلى سيدنا الحسين رضي الله عنه، ولا يوجد حسبما أعرف أيّة قبيلة في سورية تنسب إلى سيدنا الحسن رضي الله عنه

رغم كثرة أولاده إلا بعض الأُسر القليلة في المدن، فهل هذا صحيح على قاعدة (العرب أعرف بأنسابها؟).

وسبب ذالك أنه عندما أصبح السلطان غير عربي وهو القابض على زمام الأمور في البلاد العربية كبني بُوَيْه الفارسيّين ثم من بعدهم السلاجقة الأتراك وعماد الدين زنكي وابنه نورالدين التركيين ومن بعدهم الأيوبيين الأكراد ومن بعدهم المماليك من أمم شتى لا يوجد فيهم عربي واحد، وأخيراً العثمانيون الأتراك وأصبح شعار الدولة الخلافة الإسلامية الأمر الذي جعل القبائل العربية تفتش عن رجل إسلامي عربي تنتسب إليه، ومنْ أعظم من سيدنا الحسين رضي الله عنه، ولما حل به وبأهل بيته في معركة كربلاء كثر الانتساب إليه، وعلى هذا الأساس انتسبت قبيلة بني خالد في بادية مدينة حمص وحماة إلى خالد بن الوليد سيف الله رضي الله عنه، دون أن يعرفوا أن نسل خالد بن الوليد قد انقطع ، لأن السلطة الحاكمة منعت أحداً أن يكتب في النسب العربي.

ثانياً : قول الأخ حسن: (إن ما ذهب إليه بعض المؤرخين وليس النّسابين، ومنهم ابن الأثير أن ذرية سيدنا خالد رضي الله عنه قد انقرضت، فهذا خلاف المشهور المتواتر من جهة.

ومن جهة ثانية فابن الأثير الموصلي المؤرخ وقع في وهم أوقعه في خطإ، حيث إجماع النسابين على أن لا عقب له في المدينة المنورة. وهذه الكلمة التي أوهمت ابن الأثير فقال: بانقراض الذرية الخالدية. وقد أورد المصعب الزبيري في كتابه «نسب قريش» والمتوفى سنة ٢٣٦هـ: (انقراض عقبه في المدينة المنورة وورث دارهم سلمة).

الجهة الأولى: قلت بعض المؤرخين وليس النسابين ولم تذكر عالم نسب واحدٍ قال بأنّ عقب خالد بن الوليد لم ينقطع. علماً بأن علماء النسب قد أجمعوا على أن لا عقب له فهذا المصعب الزبيري في كتابه «نسب قريش» والزبير بن بكار في كتابه «النسب» وابن قدامة المقدسي في كتابه «التبيين في أنساب القرشيين» وابن فضل الله العمري في كتابه «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» كلهم قد أجمعوا على

انقراض ذرية خالد بن الوليد رضي الله عنه.

الجهة الثانية: (فابن الأثير الموصلي....).

إن من أول واجبات النقل عن كتاب هو صحة النقل وليس التقديم والتأخير: (انقراض عقبه في المدينة المنورة وورث دارهم سلمة) والنص كما جاء في كتاب «نسب قريش» للمصعب الزبيري، طبعة دار المعارف بمصر الطبعة الثانية التالي: قد انقرض ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم أحد، وورث أيوب بن سلمة دارهم بالمدينة. فكلمة بالمدينة عائدة إلى الدار وليس إلى عقب خالد رضي الله عنه.

أمّا ما جاء في كتاب «اللباب» لابن الأثير كما تقول: الذي أخذه عن السمعاني.

لقد ترجم ابن الأثير لأكثر من عشرة رجال لم ينسبهم إلى خالد بن الوليد، وقد نسب بعضهم إلى جدّه واسمه خالد، وآخر نسبه إلى خالد الذهليّ الرَّبعيّ، وآخر نسبه إلى سكة خالد من نيسابور، والشاعران الخالديان هما من أهل الخالدية من أعمال الموصل، ولم ينسب إلى خالد بن الوليد إلاّ واحداً هو أبو الفتح حيدر كما تقول.

ومن الرجوع إلى كتاب السمعاني الذي أخذ عنه ابن الأثير ـ طبعة بيروت بتحقيق السيد أمين دمج. ج: ٥ ص: ٢٦ ـ نجد ما يلي:

«أبو الفتح حيدر. . الخالديّ وكان ينسب إلى خالد بن الوليد». ومادام قد قال السمعاني كان ينسب، فهذا يدل على أن السمعاني غير متأكد من هذه النسبة.

أما قصة ابن الأثير والطبري في ثأر عبدالرحمن بن خالد بن الوليد والذي ثأر له ابنه خالد بن عبدالرحمن وأخذها عنهما العقاد في كتابه «معاوية في الميزان» فهؤلاء الثلاثة ليسوا بعلماء نسب.

وإليك ماجاء في كتاب «نسب قريش» للمصعب المار ذكره ص: ٣٢٤.

وولد خالد بن الوليد بن المغيرة عبدالرحمان وكان عظيم القدر بالشام، والمهاجر، وعبدالله، وسليمان فولد المهاجر بن خالدٍ خالداً وكان شاعراً. . . وهو الذي ثأر لعمه عبدالرحمن من ابن أثال الطبيب.

وإليك القصة كما جاءت في كتاب «الأوائل» لأبي هلال العسكري، طبعة وزارة الثقافة بسوريا ج : ١ ص : ٣٤٠.

قال: لما أراد معاوية أن يعقد ليزيد قال لأهل الشام: إنّ أمير المؤمنين قد كبر ودنا من أجله فما ترون؟ وقد أردتُ أن أولي رجلاً بعدي، قالوا: عليك بعبدالرحمن بن خالدٍ، فأضمرها. ومرض (اشتكى) عبدالرحمن بن خالد، فأمر ابنَ أثال ـ طبيباً من عظماء الروم ـ فسقاه شربةً فمات، فبلغ معاويةَ موتُهُ فقال: ما أنجد إلا ما أنقص عنك من تكره، وبلغ حديثُه ابن أخيه خالد بن المهاجر فورد دمشق مع مولى له يقال له نافع، فقعد لابن أثال ليلاً، فلما طلع منصرفاً من عند معاوية شدَّ عليه نافع وضربه خالد فقتله، فطلبهما معاوية فوجدهما، فقال لخالد: أقتلتَهُ لعنك الله ؟!!، قال: نعم. قُتِلَ المأمور وبقي الآمِرُ، ولو كنَّا على سواء ما تكلمت بهذا الكلام، فضرب معاوية نافعاً مئة سَوْط، وقضى في ابن أثال بالدية باثني عشر ألف درهم. وأدخل بيت المالِ منها ستة آلاف، فكانت دية المعاهد مثل ذلك حتى قام عمر بن عبدالعزيز فأبطل الذي كان يأخذه السلطان منها، وقال خالد حين رجع المدينة:

قَضَى لابْنِ سَيْفِ الله بالحقِّ سَيْفُهُ وعُرِّيَ مِنْ حَمْلِ الذُّحُولِ رَوَاحِلُهْ
فَإِنْ كَانَ حَقًّا فهو حَقٌّ أصابَهُ وَإِنْ كَانَ ظَنًّا فَهْوَ بِالظَّنِّ فاعِلُهْ
سَلِ ابْنَ أُثَالٍ هَلْ ثأَرْتُ ابنَ خالدٍ وهذا ابْنُ جُرْمُوزٍ فَهَلْ أَنْتَ قَاتِلُهْ

يقول لعروة بن الزبير.

ثالثاً : (والمشهور والمتواتر عند أئمة علم الحديث والفقه مثل الإمام السبكي وعبدالفاخر والسمعاني. . .).

فلم تذكر أيَّ كتاب لهؤلاء الأئمة لنتبين صدق القول.

رابعاً : (وقد سبقنا رد شيخ الإسلام السراج «؟» في صحاحه. . .).

لم تذكر في مقالك هل هذا الكتاب مطبوعاً أو مخطوطاً، ومن هو هذا شيخ الإسلام السراج؟ حيث يوجد علماء حديث كثر تلقبوا بالسراج ، كما جاء في

كتاب فهرس «سير أعلام النبلاء» للذهبي، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ج : ٢٥ ص : ١٩٤ وهم كما يلي:

السراج: إسماعيل بن إسحاق أبو محمد الثقفيّ الإمام.

السراج: جعفر بن أحمد بن الحسن بن أحمد أبو محمد البغداديّ.

السراج: محمد بن إبراهيم بن أبان أبو عبدالله البغداديّ.

السراج: محمد بن إسحاق بن إبراهيم أو العباس الثقفيّ محدّث خراسان.

السراج: محمد بن سهل بن محمد بن أحمد أبو نصر الشاذياخيّ.

السراج: محمد بن عبدوس بن كامل أبو أحمد السلميّ البغداديّ الحافظ.

ولم أجد في كتاب «سير أعلام النبلاء» لأيٍّ واحد منهم كتاباً يسمى «الصحاح» على ابن الأثير، ومع كل هذا فهؤلاء كلهم علماء حديث وفقه وليسوا بعلماء نسب.

خامساً : (ومثله ماقال العدواني رحمه الله: ولا ريب لدى...).

من هذا العدواني؟ وما اسم كتابه الذي أخذت عنه، فلم أجد له ذكراً فيما تحت يدي من الكتب فلو أردت تفصيلاً لكتابه لزدتني علماً وكان لك الأجر.

سادساً : ما نقلته عن كتاب «الروض البسام في أشهر البطون القرشيّة في الشام» تأليف الشيخ محمد أبي الهُدَى الصيَّادِيّ).

من هو الشيخ أبو الهدى الصيادي؟ هو شيخ من قرية الصَّيادي تابعة لمنطقة خان شيخون، من محافظة إدْلِب بسورية تسلط على السلطان العثماني عبدالحميد، وأصبح المقرب لديه، وأنشأ له (التكايا) في سورية باسم الفقراء والمساكين وعابري السبيل حتى أصبحت تكايا الكسالى، وهو الذي أغرى السلطان بقتل العالم الشيخ عبدالرحمان الكواكبي صاحب كتاب «طبائع الاستبداد» ولعله كان مكلفاً بوضع كتب في النسب العربي لا تمت للحقيقة بصلة، ولقد أعطى هذا الشيخ كتاباً لآل بريّ بحلب ومازالوا محتفظين به بخطه وتوقيعه يقول فيه: إن آل بري هم من قبيلة قيس التي أصبحت الآن (جيس) وهم من بطن عُبَادة ومن نسل

سيدنا الحسين رضي الله عنه، فهل يعقل هذا القول وبطن عُبَادة بن عُقَيْل بن كعب بن رَبيعة بن عامر بن كلاب بن رَبيعة بن عامر بن صعصعة، وهو عم خفاجة، وعبادة هذا جاهلي، فهذا الجاهلي هَلْ يُعقل أن يكون من نسل سيدنا الحسين رضي الله عنه.

أما قولك في مقالك: والرئاسة فيهم إلى أمراء بني خالد وشيوخها (آل عبدالقادر) وهم ينتهون إلى (ناصر بن عاصي بن مهنا.... بن حسام الدين المهنا بن عيسى.... ابن فضل بن محمد بن عبدالرحمن بن سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه).

وجاء في الصفحة الثانية: (وأرخ لهم المؤرخون أمثال ابن خلدون وأبي الفداء صاحب حماة وابن كثير، وخاصة في حروبهم ضد التَّتار والصليبيين، وقد ذكر أبو الفداء وابن كثير: الأمير حسام الدين المهنا بن عيسى ويطلق عليه الأمير سلطان العرب.... وكانت وفاته في (سلمية) شرقي حماه يوم ١٨ ذي القعدة سنة ٧٣٥هـ رحمه الله).

فهنا قد جئت بالعجب العجاب أخذت من قول أبي الهدى الصيادي وأدخلته في قول أبي الفداء وابن كثير، فقد خلطت بين قبيلة بني خالد بِحمص وقبيلتي الفضل بالقُنَيطرة وقبيلة عرب الموالي ببادية حلب وحماة وحمص، وقبيلة الفضل وقبيلة الموالي اللتان تدَّعيان النسب الآن إلى العباس بن عبدالمطلب عمّ النبيّ ﷺ وكان ظهورهم في أول أمرهم في عهد الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع المتوفى في ذي القعدة سنة ٦٨٣هـ كما جاء في كتاب «السلوك» للمقريزي ج: ١/٣ ص: ٧٢٥ واستقر في إمرة العرب ابنه حسام الدين مهنا بن عيسى.

وهؤلاء آل عيسى بن مهنا من ربيعة طيء، وادعوا نسباً غير صحيح أنهم من ولد جعفر بن يحيى بن بَرْمك، الذي تزوج العباسة أخت الرشيد ثم بدلوه أخيراً وقالوا: من العباس بن عبدالمطلب عم النبيّ ﷺ.

وجاء في كتاب «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري: وربيعة رجل من

سلسلة نشأ في أيام أتابك زنكي وولده نورالدين ـ رحمه الله ـ ونبغ بين العرب، ولم يصرّح لأحد من هذا البيت بإمرة على العرب بتقليد من السلطان إلا أيام العادل أبي بكر أخي السلطان صلاح الدين أمَّرَ منهم حُديثة، وديارهم من حمص إلى قلعة جَعْبَر إلى رَحْبَة آخذين على شِقَّي الفرات وأطراف العراق، حتى ينتهي حدهم قِبْلَةً بشرق إلى الوشم، وآخذين يساراً إلى البصرة.

وإليك نسب (حسام الدين المهنا بن عيسى المتوفى بالسلمية شرقي حماة في ١٨ ذي القعدة سنة ٧٣٥هـ رحمه الله) كما جاء في مقالك ص : ٥٦٧.

حسام الدين المهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حُديثة بن غُضَيَّة بن فضل بن ربيعة بن حازم بن علي بن مُفَرَّج بن دَغْفَل بن جَرَّاح بن شبيب بن مسعود بن سعيد بن حرب بن السَّكن بن رَفيع بن عَلْقَى بن حَوْط بن عمرو بن خالد بن مَعْبَد بن عَدِيّ بن أَفْلَت بن سِلْسِلَة بن عمرو بن سلسلة بن غَنْم بن ثُوَب بن مَعْن بن عَتُودِ بن عُنَيْن بن سَلامان بن ثُعَل بن عمرو بن الغَوْث بن طيء.

هكذا جاء النسب في كتاب «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري طبعة المركز الإسلامي للبحوث ببيروت. ص: ١١٣ وهكذا جاء في كتاب «صبح الأعشى» للقلقشندي. ج : ١ ص : ٣٢٤ طبعة مصر، وكتاب «قلائد العقيان في تفرق عرب الزمان» ص: ٧٣ وكتاب «نهاية الأرب في أنساب العرب» ص : ١٠٠.

أمّا ما ذكرته في مقالك من أن بني خالد حمص حاربت التّتَار ص : ٥٦٧.

إنّ حرب التتار قرب حمص كانت أيام المنصور قلاوون، فإنّهم أثَّروا أثراً حسناً، وعملوا في التتار عملاً جيداً، وقاتلوا قتالاً شديداً، وربما تقدَّموا الجيش في اللقاء، فكانوا سبب الكَرَّة، يعني المؤديّة إلى النُّصرة. قال ابن فضل الله العمري في كتابه «مسالك الأبصار» ص: ١٤٢ مايلي:

وحكى لي شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود أنه رأى آل مِرَا (مرا بن ربيعة بن حازم بن علي. . .) حين جاءوا تلك الكرَّة، قال: كنت جالساً على سطح باب الإسطبل السلطاني بدمشق، وقد أقبلوا زهاء أربعة آلاف فارس شاكين في السلاح على الخيل المسوَّمة، والجياد المُطَهَّمة، وعليهم (الكزغندات) الحمر من الأطلس المعدني، والديباج الروميّ، وعلى رأسهم البَيْض، مقلدين بالسيوف، بأيديهم الرماح كأنهم صقور على صقور، وأمامهم العبيد تميل على الركائب ويرقصون بِتَرَقُّصِ المهارِي، وبأيديهم الجنائب التي ظلَّت إليهم عيون الملوك صُوْراً، ووراءهم الظعائن والحَمول، قال: وكانت معهم مُغَنِّيَةٌ لهم تعرف بالحضْرَمِيّة، وكانت لها سُمْعَةٌ طائرة في زمانها، رأَيتُها سافرةً من الهودج وهي تغني:

وكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضاءَ شَحْمَةً لَيالِيَ لاَقَيْنَا جُذاماً وحِمْيَرا
وَلَمَّا لَقِيْنَا عُصْبَةً تَغْلِبِيّةً يَقُودُون جُرْداً للمَنِيَّةِ ضُمَّرا
فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بالنَّبْعِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ أَبَتْ عِيدَانُهُ أنْ تَكسَّرا
سَقَيْنَاهُمْ كأساً سَقَوْنَا بِمِثْلِها ولكِنَّهم كانُوا عَلَى الْمَوْتِ أصْبَرا

فقال رجل كان إلى جانبي: هكذا يكون وربِّ الكعبة! فكان الأمر كما قال. فإنَّ الكَسْرَة كانتْ أوَّلاً على المسلمين ثم كانت النُّصْرَة لَهُم، واسْتَحَرَّ القَتْلُ بالتتار، فسبحان مُنْطِق الألسنة، ومُصَرِّف الأقدار، فهو الفاعل لِـمَا يشاء، الفاعل المُخْتار.

فهل بعد كل ماقدمت استبان لك الأمر أيها الأخ الكريم الأستاذ حسن العموري الخالدي وقد قيل: الرجوع عن الخطإ فضيلة، وأظن أنَّك من الفضلاء والله الموفق.

دمشق في ١٩٩٠/٩/١٦م: محمود الفردوس العظم

أسر بلدتي رغبة والبرّة

رَغْبَة والْبَرَّةُ بلدتان معروفتان تابعتان لمنطقة المحمل وقد ذكرهما: ابن بشر وابن ربيعة وابن عيسى في تواريخهم.

وقد جاء في المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (المعجم المختصر ص ٦٣٩/جـ٢ : (رغبة: من قرى ثادق). والصواب أنها من قرى المحمل.

ولقد تصفحت الطبعة الثانية من الكتاب القيم «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» فلم يذكر فيه من أسر هاتين البلدتين إلا قليلاً وبعبارة أدق: أنَّ مالم يذكر فيه من أُسر هاتين البلدتين أضعافُ ماذُكِرَ فمن هاهنا رأيت أن أحصر الأسر التي تمتُّ إلى الرغبة والبَرَّة لتضاف إلى الطبعة الثالثة إن شاء الله والأسر هي:

(١) آل فليج - بالجيم - في رغبة والرياض والكويت وهم من ذرية الشيخ إسماعيل بن رميح بن جبر بن عرينة بن حماد بن محمد بن عيسى من العرينات من بني عمر من قبيلة سُبَيْع. وآل فليج أربعة فروع هي:

أ ــ آل عبد المحسن؛ ومنهم الشيخ محمد بن علي بن عبدالمحسن آل فليج.
ب ــ آل عبدالله. جـ ــ آل حمد. د ــ آل عبدالوهاب.

(٢) آل منصور: في رغبة والرياض وهم من ذرية الشيخ إسماعيل بن رميح من العرينات من قبيلة سُبَيْع.

(٣) آل محمد: في رغبة والرياض ويقال لهم آل حماد، وهم من ذرية الشيخ إسماعيل بن رميح من سبيع ومنهم آل مطلق في الأحساء.

(٤) آل حسين: في رغبة والرياض وهم من ذرية الشيخ إسماعيل بن رميح من العرينات من سبيع.

(٥) آل راشد بن يحيى: في رغبة والرياض وهم من ذرية الشيخ إسماعيل بن رميح العريني من سبيع.

(٦) آل رُبَيِّق: في رغبة والرياض من بني خالد.

(٧) آل رُشَيْد - بضم الراء - في رغبة والرياض من بني خالد.

(٨) آل قاسم: في رغبة والبِير وثادق والقصب والحُرَيِّق من آل عاصم من قحطان.

(٩) آل فوزان: في رغبة والرياض من العُفَسَة من مُطَيْر.

(١٠) آل جُلَيِّل - بضم الجيم - في رغبة والرياض من الجبلان من مطير.

(١١) آل فْراوي: في رغبة والرياض من مطير.

(١٢) آل خُرَيِّف: في رغبة والزلفي وشقراء وجلاجل والرياض وأشيقر من آل شَبَانة من الوُهَبَة من تميم.

(١٣) آل مُعْجِل: في رغبة والرياض من النواصر من بني تميم.

(١٤) آل سنان: في رغبة والرياض من تميم.

(١٥) آل جلْعود: في رغبة والرياض من آل مِنْجَل من السهول.

(١٦) آل قُطيّان: في رغبة والرياض من آل عُبيد من السهول.

(١٧) آل مَدْلول: في رغبة والرياض من آل مُحَيْمِيد من السهول.

(١٨) آل عامر: في رغبة والرياض من آل محيميد من السهول.

(١٩) آل أَبُو حَيْمد: في رغبة والرياض من الدواسر.

(٢٠) آل سُحيم: في رغبة والقويعية من آل عطية من بني زيد.

(٢١) آل طُرَيْف - بضم الطاء المهملة وبعد الراء ياء ساكنة -: في رغبة والرياض من بني حُسين من الأشراف.

(٢٢) آل حُمَيْدي - بضم الحاء -: في رغبة والرياض من حرب.

(٢٣) آل مُهَوَّس: في رغبة والرياض من الْعُرينات من سبيع.

(٢٤) آل عُريني: في رغبة والرياض من العُرينات من سُبَيْع.

(٢٥) آل فايز: في رغبة والرياض من سبيع.

(٢٦) آل حمد: في رغبة والرياض من سبيع.

(٢٧) آل عَيَّاف: في رغبة والبرَّة والرياض من العرينات من قبيلة سبيع.

(٢٨) آل موسى: في رغبة والرياض من العرينات من سبيع، وهم أبناء عم لآل عياف.

(٢٩) آل عَجلان: في رغبة والبرة والرياض من المطارفة من قبيلة هذيل.

(٣٠) آل جبر: في رغبة وثرمدا والرياض من هذيل.

(٣١) آل خُنَيْزَان: في رغبة والبرة من آل (أبو رَبَّاع) من عنزة.

(٣٢) آل عمر: في رغبة والرياض ومَقْدَمُهُمْ من حُرَيْمِلاء - وهم من آل (أَبُو رَبَّاع) من الحسني من السلقا من قبيلة عنزة.

(٣٣) آل هزاع: في البرة والرياض من ذرية الشيخ إسماعيل بن رميح العريني من بني عمر من سبيع ومنهم الأستاذ هزاع بن عبدالعزيز بن حمد آل هزاع.

(٣٤) آل عبدالله: في البرة والرياض من الْعُرينات من سبيع.

(٣٥) آل حمد: في البرة والرياض من الْعُرينات من سبيع.

(٣٦) آل نُحَيْط: في البرة والرياض وضرما من بني ثور من قبيلة سبيع.

(٣٧) العرانا: في البرة والرياض وهم من بني ثور من سبيع والعرانا لقب لهم، وجدهم هو ثابت الثوري السبيعي.

(٣٨) آل فواز : في البرة والرياض من السُّمَطَة من سبيع.

(٣٩) آل مانع: في البرة سابقاً وهم من مليح من سبيع.

(٤٠) آل محمد المليحي: ولمحمد هذا ابنان:

أ ـ عبدالعزيز: ولقبه (مُعَوّد) وكان بنوه يسكنون في البرة سابقاً، ومنهم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز المعود وأبناؤه في الطائف.

ب ـ عبدالله: ولقبه (بالُوْد) ويقيم آل بَالُود في الدوادمي والأحساء والشعراء وهم من مليح من سبيع.

(٤١) آل سُوَيْري: في البرة والشمس، من بني حُسين من الأشراف.

(٤٢) آل ماجد: في البرة والرياض من آل صُبَيح من بني خالد.

(٤٣) آل زِيَاد: في البرة والمزاحمية من الجبور من بني خالد.

(٤٤) آل مهنا: في البرة والرياض من بني خالد.

(٤٥) آل جلبان: في البرة والرياض وقد جاؤا من الْقُوَيْعِيَّة، وهم من بني زيد من قضاعة.

(٤٦) آل عِيد: في البرة والرياض من المطارفة من هذيل.

(٤٧) آل سيف: في البرة والرياض من عائذ.

(٤٨) آل مُفِيز: في البرة وأبناء عمهم في ضرماء والرياض وهم من عائذ.

(٤٩) آل وايلي: ويعرفون بِالْوَيَالَا، وهم في البرة والرياض ومقدهم من حريملاء وهم من آل (أبو رباع) من الحسني من السلْقا من عنزة.

(٥٠) آل مهنا: في البرة والرياض من الْقُرَيْنِيَّةِ وأصلهم من شمر.

الرياض: عبدالله بن سعود بن حمد آل خثلان

آل عبد الكريم من آل معمر

اتصل بـ «العرب» الأخ أحمد بن عثمان آل عبدالكريم وأشار إلى ما ورد في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» - ص ٥٠١ - عن أسرة آل عبدالكريم التي من المعامرة في حرمة وفي العطار، وأوضح أن آل عبدالكريم هم ابنا عبدالكريم عثمان وناصر وعبدالكريم هو ابن الأمير عثمان بن حمد بن عبدالله بن محمد بن حمد بن عبدالله بن محمد بن حمد بن حسن بن طوق، كما هو موضح في شجرة آل عبدالكريم.

وعثمان وناصر ابنا عبدالكريم هما اللذان انحصرت ذريتهما الباقية الآن في آل عبدالكريم وكانوا قدموا من العيينة واستوطنوا بلدة جلاجل فترة من الزمن ثم انتقلوا إلى حرمة.

ولعبدالكريم أيضاً أبناء غير عثمان وناصر وهم: عبداللطيف وإبراهيم وعبدالله وهاؤلاء رحلوا إلى الزبير وانقطعت ذريتهم على ما يرويه كبار السن في الأسرة، وكما يتضح من وثائق أملاكهم ووصاياهم التي يتولاها الموجودون من أبناء عثمان وناصر، وليس لهم أقارب في العطار من أبناء عبدالكريم وإنما قرابة آل عبدالكريم تتصل بأسرة تدعى آل سيف من المعامرة وهاؤلاء في الجنيفي قرب العطار ومن هاؤلاء الشيخ إبراهيم بن محمد بن معمر الذي رأس الديوان الملكي فترة من الزمن، وأبناؤه معروفون.

هكذا أوضح الأخ أحمد بن عثمان آل عبدالكريم.

أكلب: بلادها

ورد في «العرب» س ٢٥ ص ٧٠٢ ذكر قرى قبيلة أكلب الواقعة في جوانب وادي تبالة: (الفدنة) بالفاء والصحيح (الغدنة) بالغين المعجمة. وما لم ينشر من قرى ومناهل قبيلة أكلب:

١ - مُعَيْشر: بضم الميم وبالعين المهملة وسكون الياء فشين معجمة تليها راء

مهملة : قرية كبيرة ومزارع تقع شرق الوادي وتبعد عن قرية تبالة بـ (٤) أكيال شمالاً وعن مدينة بيشة بـ (٨٥) كيلاً غرباً ويسكنها الجنبة وأحياناً تسمى باسم ساكنيها .

٢ ــ مُبَايع : بضم الميم وفتح الباء فألف فياء فعين مهملة : ــ بويتات متناثرة في الشعاب ومزارع كثيرة تقع عن الوادي شرقاً وتبعد عن تبالة بـ (٤٧) كيلاً في الشمال الغربي وعن معيشر شمالاً على بعد ٣ أكيال يسكنها الجنبة.

ومن المناهل :

١ ــ بَهَاج : بفتح الباء الموحدة فهاء مفتوحة فألف فجيم معجمة : ـ مورد ماء لبني سعد من أكلب قال عنه أحد الشعراء من بني سعد وهو فالح بن معتق السعدي :

يالج صدري لج ورد على بهاج   على عَدٌّنا اللّي ما خَذَيْناه بالخوه
حميناه بـ (البلجيك) واللي عليها تاج   من ذلة تكثر نشابيل ومغوّه

يقع على جهة الجرف الشمالي من وادي رنية على بعد (٤٥) كيلاً من الجنينة نحو الشمال.

٢ ــ برود : ماء يقع على حافة وادي بيشة الشمالية يبعد عن الجنينة حوالي (٦٠) كيلاً .

٣ ــ هيج : بالهاء والياء ساكنة فالجيم المعجمة : وهيج : هيجان، هيج الأعلى وهيج الأسفل، يبعد أحدهما عن الآخر نحو كيل، وهما جبلان أحمران يقعان بين رنية وتبالة ، ويبعدان عن رنية جنوبياً بنحو (١٦) كيلاً ، وعن تبالة شمالاً بـ (٣٨) كيلاً وهيج : بئر تقع في هيج الأعلى بجهته الجنوبية تردها بادية أكلب ولكنها هذه الأيام قد جفت بسبب الجفاف الحاصل في هذه البلاد .

بيشة : محمد بن جرمان السعدي

سبيع : بطونها وبلادها

- ٢ -

[تتمة ما نشرته (العرب) س ٢٥ ص ٦٥١]

وعن بني ثور - وهي إحدى قبائل سبيع في الخرتة في وادي تربة وهما فرعان :
أ ـ آل جابر ، ب ـ والنّواهض .

أ ـ آل جابر - وهما قسمان أيضاً. ومن أفخاذهم :

أولاً : الهلايمة واحدهم هُلَيْمي وفيهم مشيخة شمل القبيلة منهم (الحميدي بن مفرح بن هليمة) وهو من كبار السن أمده الله بالصحة - وأفخاذ الهلايمة :

١ ـ الصُّوَّل - منهم الشاعر محسن بن زيد بن عجل الثوري رحمه الله.
٢ ـ المصابحة : بالصاد. ٣ ـ آل غَائِب.
٤ ـ الفقهاء. ٥ ـ آل محمَّد - نائبهم ثامر بن حمد.
٦ ـ آل مَرْقَب. ٧ ـ آل مُشْرِق. ٨ ـ الجهران.
٩ ـ الغزايلة - واحدهم غزيلي (انظر مجلة «العرب» س ٢٥ ص ٦٦٠) ويرأس الغزايلة عبدالهادي بن مطلق).

ثانياً : العتايقة واحدهم عتيق ومنهم :

١ ـ الثفانين : بالثاء والفاء منهم ابن ثفنان مؤذن وحامل علم سبيع بقيادة خالد بن منصور بن لؤي في وقعة تربه يوم ٢٥ شعبان ١٣٣٧هـ .
٢ ـ الشّرَاوين : واحدهم شرَيَّان.
٣ - الذَّواهل - واحدهم ذاهلي منهم رئيس بلدية الخرتة المهندس محمد بن محيل الذاهلي.
٤ ـ ومن العتايقة هؤلاء آل سُلَيْم أمراء مدينة عنيزة وجماعتهم المنتشرون في بلدان القصيم وغيره (انظر مجلة «العرب» س ١٥ ص ١٩).
ب ـ النَّواهض ومن أفخاذهم :

١ ـ المراضمة ويرأسهم فراج بن عبدالرحمن بن صنيتان.
٢ ـ البعاحين ـ بالعين. ويرأسهم سلطان بن منير الحضبي.
٣ ـ اللُّوَاحِم. ٤ ـ آل شديد.
٥ ـ المناقيش. ٦ ـ الغُلْب. نائبهم سعد بن عَمَّاش.
٧ ـ الرُّغَاوين، نائبهم سعود بن بتّال.
٨ ـ الظروف. ٩ ـ المبارين ـ بالهاء والباء ونائبهم عبدالله بن مفرح.
١٠ ـ آل بتّال. ١١ ـ الحوزة.
١٢ ـ آل خليق. ١٣ ـ العصم ـ بالعين والصاد ثم الميم.
١٤ ـ آل قينان. ونائبهم محمد بن ناصر بن صينة (ص.ي.ن.هـ).
١٥ ـ آل خُلَيّح (أُخذت هذه المعلومات من شيخ شمل القبيلة وبعض كبار السن منهم).

وفي الخُرْمة القريشات، واحدهم قُرَيْشِيٌّ وهم:

أ ـ العسلة، واحدهم عسيلي ومن أفخاذهم:

١ ـ النُّواصر ـ وفيهم مشيخة شمل القبيلة (منهم ـ مشاري بن ناصر بن مشاري).
٢ ـ الهوايجة واحدهم هويجي. ٣ ـ الغوانمة ـ واحدهم غنيمي.
٤ ـ العتّرة، واحدهم عتيري. ٥ ـ العنوز ـ بالعين والنون والزاي.
٦ ـ الصُّبَحَة.

ب ـ الشهمة، واحدهم شهيمي ومن أفخاذهم:

١ ـ الهمالين واحدهم هملاني.
٢ ـ السُّبْعَان. ٣ ـ البراكين. ٤ ـ الغلافين ـ بالغين ـ.

ونائب الشهمة عبدالرحمن بن جميع، وعنه أُخذت المعلومات عن قبيلته

القريشات.

جـ ـ المقاربة ـ واحدهم مُقَيْربي ـ ومن أفخاذهم:

١ ـ المدفان ـ واحدهم هَدَّاف.

٢ ـ الزُّرْقان. ٣ ـ العويضات. ٤ ـ الجهايمة. ٥ ـ السَّهان.

ومن القريشات هؤلاء أُسَرٌ استقرت في الخرج والظهران والثقبة ويقال: إن من فخذ النّواصر أناس رافقوا أبناء مقحم الشعلان من شيوخ الرولة من عنزة ولازالوا معهم.

وفي الخُرْمة ـ أيضاً: الصَّمَلَة، واحدهم صُمَيْلي ويعدون من بني عمر. وشيخ شملهم شباب بن ماجد بن جِرْوَة، من فخذ آل غنيم.

وأفخاذ الصملة هي:

١ ـ آل غنيم.	٢ ـ الرَّمائِين.	٣ ـ آل عايض.
٥ ـ العيايشة ـ واحدهم ـ عيّاش.		٦ ـ المجالية.
٧ ـ العبانقة ـ واحدهم ـ (عَبَنْقْ).		٨ ـ الخشانين.
٩ ـ آل رشود.	١٠ ـ الجريبات.	١١ ـ التّليعات.

ثالثًا: الصملة ـ خارج الخُرْمة في ناحية رماح وشيخهم هناك مسلم بن فيصل بن مجفل، ومن أفخاذ هؤلاء:

١ ـ الشعالين.	٢ ـ الحشافين.	٣ ـ الغضاوين.
٤ ـ آل عايض.	٥ ـ المهانحَة.	٦ ـ الرمائين.

٧ ـ الصراديح واحدهم صرداح.

٨ ـ آل غنيم ومنهم أُناس في عيون الأحساء ومعهم آل عمر في المنطقة الشرقية.

وهذه المعلومات أُخذت عن شيخ شمل القبيلة.

وفي الغريف من وادي تُرَبَة: المدارية، وآل علي.

المدارية: واحدهم مديري ـ منهم:

١ ـ العيادين: ومنهم شيخ شمل المدارية عبدالله بن جبر بن عبيدان.
٢ ـ اللُّفَاتِين. ونائبهم سلطان بن ناصر الربيع.
٣ ـ القعاسين ـ بالقاف والعين ـ.
٤ ـ البداحين. ٥ ـ المشالحة.
٦ ـ الغثمة ـ بالغين والثاء ثم الميم والهاء.
٧ ـ وفي الحَرِيْق ونَعام آل حركان.
٨ ـ وفي ناحية رماح أهل هجرة الغيلانيّة، وأميرها فهد بن بَرَّاك.

وآل علي: وأميرهم فراج بن محماس بن درعان ومن أفخاذهم:

١ ـ الغضاريف ـ واحدهم غضروف.
٢ ـ الحنابشة.
٣ ـ الجعادين ورئيسهم سعود بن عجران بن شرفي.
٤ ـ الزُّغَبُّ: ونائبهم حسين بن مجري بن ناصر بن جازع.
٥ ـ ومن آل علي من يحل هجرة (الحفيرة) بالعرمة من ناحية رُمَاح وأميرها عبدالله بن محمد بن شرفي.

بنو عمر: ـ ولعله عمرو ـ.

وهم قسمان: ١ ـ الخضران ـ ٢ ـ الصعبة.

١ ـ الخضران ـ فروعهم.

أ ـ النبطة: قوم الصييفي، منهم من يحل العتك من ناحية رماح، ومنهم أمير هجرة العتك، وتنطق (العتش) محمد بن سعد الصيفي.

وفي الحريق ـ آل مسعد وآل وطيّان وفي الأفلاج آل رشود.

ب ـ الجبور، منهم من يحل ناحية رُمَاح، ومنهم أهل الرُّمْحِيّة وأميرها برغش بن جفيران.
٢ ـ وفي الحريق آل هويدي.
٣ ـ آل خثلان في الحريق منهم:

آل زيد وآل سليمان وآل علي وآل رشيد وآل عزام وآل ريِّس في الاحساء «مجلة العرب» ١٣٤/٢٤ .

جـ ـ **العرينات**: قوم (وليد بن شَوْبَة)، ولهم هجرة الجِسيْ وهجرة شَوْيَة في ناحية رُماح والعرينات منتشرون في بلدان نجد في سدير والمحمل والزلفي والبكيرية والخبراء وغيرها.

د ـ مليح: أَمِيْرُهُمْ: ناصر بن زيد المليحي ولم نتمكن من معرفة أفخاذهم.

٢ ـ الصعبة: وفروعهم: أ ـ الجهالين، وأميرهم فيصل بن ضِيْدَان أبو اثنين.

ب ـ العزّة (الأعزة) في حاير سُبَيْع قرب الرياض ولهم أمراء من آل جفران.

جـ ـ آل بليدان: في ناحية رماح: ومنهم في الحلوة آل عامر. ولم نتمكن من معرفة أفخاذ الصعبة هؤلاء.

بنو عامر الحداريّة ـ كما تسميهم بعض المصادر الحديثة ومن فروعهم:

١ ـ الضعفة وأميرهم (ضويحي بن فراج العماني).

٢ ـ عجمان الرخم وأميرهم «غنيم بن علي بن هديهد».

ومنهم من يسكن الضُبَيْعَة بالخرج وفي المبرز بالأحساء وفي الرياض رماح.

٣ ـ بنو حميد ـ قوم ابن رَكَّاض. ٤ ـ «القدعاء» قوم (ابن ذيبان).

٥ ـ العيادين ـ منهم أهل العماريّة.

٦ ـ القواودة في الحريق وفي نعام ومنهم الذَّواودة (آل ذوّاد) في نعام الخرج والرياض ـ والقواودة ـ كما في التاريخ ـ كانوا أُمراء الحريق قديماً.

٧ ـ آل زُبَيِّر ـ بالتصغير ـ منهم من يسكن في الحاير وفي بلدان العارض الأخرى ومنهم في ناحية رماح أيضاً.

ولاشك أننا أيضاً لم نتمكن من معرفة الأفخاذ من بني عامر هؤلاء كما ينبغي.

رنية: فهيد بن عبدالله بن تركي السبيعي

* المنتخب من غريب كلام العرب :

هذا الكتاب من مصادر اللغة العربية الأولى، التي رجع إليها من ألفوا الكتب الواسعة ومنهم ابن سيده في كتابه «المحكم والمحيط الأعظم» حيث عول كثيراً على النقل عن كراع وإن لم يكن عنده على درجة من القوة تحمله على الثقة بكلامه دائماً كما يتضح من كثير من عباراته كقوله: (ورجل جحدب: قصير، عن كراع، ولا أحقها إنما المعروف جحدر بالراء كما تقدم) - «المحكم» ٤/٣٩ -.

وقوله: (قال كراع: السُّباه - بضم السين - الذاهب العقل، وهو أيضاً الذي كأنه مجنون من نشاطه. والظاهر من هذا أنه غلط، إنما السُّباه: ذهاب العقل، أو نشاط الذي كأنه مجنون) - «المحكم» ٤/١٦٠ -.

وقوله: (بهراء - ممدود -: قبيلة وقد تقصر. لا أعلم أحد حكى فيه القصر إلا هو، وإنما المعروف به المد. وقال أيضاً: الهزلاج: السريع، مشتق من الهزج واللام زائدة، وهذا قول لا يلتفت إليه) - «المحكم» ٤/٢٢٤ و ٣٣٨ -.

وقوله: (وما سحرك عنا سَحْراً - أي ما صرفك، عن كراع. والذي حكاه أبو عبيد: ما شجرك - بالشين والجيم - ولعله من أغاليطه) - «المحكم» ٣/١٣٤ -.

وكقوله: (وقيل: خاط إليهم خيطة واختاط، واختطى مقلوب، مَرَّمَرًّا لا يكاد ينقطع. قال كراع: هو مأخوذ من الخطو، مقلوب عنه. وهذا خَطَأٌ إذْ لو كان كذالك لقالوا: خاط خوطة، ولم يقولوا: خيطة. وليس مثل كراعٍ يُؤْمَنُ على هذا). - «المحكم» ٥/١٥٢ -.

وكقوله: (الدِّقِمُ المكسور الأسنان، وزعم كراع أنه من الدقّ والميم زائدة، وهذا قول لا يلتفت إليه إذ قد ثبت دَقَمْتُهُ) - «المحكم» ٦/٢٠٠ -.

وقوله : (الفوّء : السابياء التي تنفقيّ عن رأس الولد والجمع فُقُوْءُ ، وحكى كراع عن جمعه : فاقياء وهذا غلط لأن مثل هذا لم يأت في الجمع) ـ «المحكم» ٢٩٤/٦ ـ ولكن يلاحظ أن كثيراً من علماء اللغة لم يسلموا من النقد:

ولستَ بمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّه على شعث أيُّ الرِّجالِ الـمُهَذَّبُ؟

وقدم مؤلفات هذا العالم تجعله في مكان الصدارة من علماء اللغة. وكراع هذا لقب، هو علي بن الحسن بن الحسين الهُنَائِي الدَّوْسي، يرتفع نسبه إلى قبيلة دَوْسٍ التي لا تزال معروفة في بلادها القديمة، وهو من أهل القرن الثالث الهجري وتوفي في أول القرن الرابع، وله من المؤلفات المعروفة هذا الكتاب وكتاب آخر هو «الـمُنَجَّد» الذي حققه الدكتور ضاحي عبدالباقي المدير العام للمعجمات في (مجمع اللغة العربية) في القاهرة بالاشتراك مع الدكتور أحمد مختار عمر، أستاذ علم اللغة في كلية دار العلوم في جامعة القاهرة.

وموضوع هذا الكتاب «المنتخب» كما يفهم من عنوانه في غريب اللغة، وهو مرتب على أبواب من الصعب العثور على البغية منها، ومع قيام المحقق الفاضل الدكتور محمد بن أحمد العمري الأستاذ المساعد بكلية اللغة) العربية في جامعة أم القرى بجهد واضح في تحقيق هذا الكتاب إلا أن عمله خَالٍ من فهرس يحوي المفردات اللغوية الواردة في هذا الكتاب، وما هكذا عمل محققاً كتاب «المنجد» وقد صدر كتاب المنتخب «في جزءين بلغت صفحاتها ٨٦٤ وقعت الفهارس في ٦٤ صفحة والمقدمة التي تحوي ترجمةً موجزةً للمؤلف، ووصفاً للكتاب ومخطوطتيه اللتين رجع إليهما المحقق في ٤٢ صفحة والطباعة حسنة ورقاً وحروفاً، وقد أصدره (مركز أحياء التراث الإسلامي) في جامعة أم القرى عام ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

ومما يحسن الانتباهُ له أَنَّ مُؤَلفي أمهاتِ الكتب اللغوية مثل «المحكم» و«لسان العرب» و«تاج العروس» وإنْ حاوَلوا حَصْرَ المعلوماتِ اللغوية في مؤلفاتهم، إلا أنهم قد فاتهم منها ماهو ـ على قِلَّتِه ـ على جانب من الإفادة والطرافة، مما قد تحويه مؤلفات متقدمي اللغويين على اختصارها، وسأحاول العودة لبحث هذا في مناسبة أخرى.

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و٣٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

العنوان
في الورود - شارع حمد الجاسر ت ٤٦٢١٢٢٣
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٥، ٦ س ٢٦ ذوا القعدة والحجة ١٤١١هـ - أيار/حزيران (مايو/يونيه) ١٩٩١م

حضرموت: بلادها وسكانها

لعالم حضرموت ومؤرخها عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف (١٣٠٠/١٣٧٥هـ)

- ١ -

أَتْحَفَنِـي الصَّدِيقُ الحبيب الأستاذ هادُون بن أحمد العطاس بكتابٍ يتعلَّقُ بتاريخ جُزْءِ عزيز من وطننا العربي من الجزيرة العربية نفسها، يوشك أن يكون مجهولاً أَوْ مَنْسِيًّا، مع ما لِكَثِيرٍ من أهله من الصِّلات القوية بمختلف الأقطار في أنحاء المعمورة، ومالهم من نشاطٍ مُتَمَيِّزٍ في السعي وراءَ اكتساب الرِّزق بأذكى الطرق وأنزهها وأشرفها، حتى حازوا بأمانتهم وصدقهم ثقة غيرهم، وتميَّز عدد منهم في مختلف النشاطات الأخرى كالسياحة والهجرة، وبرَّز آخرون في المجالات الثقافية، فعرف منهم علماء وأدباء، وشعراء وباحثون ومؤلفون في مختلف العلوم قديماً وحديثاً، ممن كان لهم في التعريف ببلادهم مالم يَتَهَيَّأْ له من الانتشار ما يُيَسِّرُ الاطلاعَ عليه لكل راغب في الاستفادة منه في معرفة جميع أحوال ذالك الجزء من الوطن العربي.

من هنا كان لما أتحفني به الأستاذ هَادُوْن - وقد تحدثت عنه في «العرب» في هذا الجزء الأثر - العميق في نفسي، لأنه أحدث في القلب شجَناً وَتأَثُّرًا، لا لكون مؤلف ذالك الكتاب غريباً عنَّا وعن بلادنا، وأنه كان يعمل في (دائرة البحوث في وزارة المستعمرات البريطانية) التي جثم كابوسها على تلك البقعة الحبيبة من بلادنا حِقْبَةً من الزمن، فالحكمة ضالَّةُ المؤمن، والـحَقُّ يتطلبه العاقل ويقبله من كل أحد،

ولكنني أحسَسْتُ بكثير من الخجل حين أدركت أن هذا الباحثَ الغريبَ الذي لا تربطه ببلادنا رابطة من روابط الحبِّ أو عاطفة من عواطف الصلة والإخاء، يعرف من أحوال تلك البلاد أكثر مما يعرفه كثير من المهتمِّين بالبحث والدراسة في تاريخ الأمة العربية كلها، ممن يجب أن تكون صلتهم بها أعمق، وعنايتهم بمعرفة أحوالها أشدُّ، ومعرفتهم بتاريخها أوسع، وسعيُهم لتقوية أواصر الأخوَّة والارتباط بها أقوى وأشمل. ولقد حفزني هذا إلى محاولة اتِّجاه مجلة «العرب» - قدر استطاعة القائمين عليها للإسهام بجهدها، على ضعفه وقلَّة جدواه، فتقدم لقرائها ما تتمكَّنُ مِنْ تقديمه من معلوماتٍ تتعلق بتاريخ تلك البلاد، وجغرافيتها، وتراجم مشاهيرها، مِـمَّا يُمِدُّها به أؤلئك القراء من ثمرات قَرَائِحِهِم، فَهُمْ ذوو الفَضْل على مجلتهم قُرَّاءً وكُتَّاباً:

كَالْبَحْرِ يُمْطِرُهُ السَّحَابُ وَمَالَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ

ولقد سبق أن قدَّم لي الأستاذ الكريم عبدالله بن محمد الْـحِبْشِـي نسخةً مصورة لمؤلَّف عالم حضرموت ومؤرخها في عصرنا السيد عبدالرحمن بن عُبَيدالله السَّقَّاف المتوفى سنة ١٣٧٥هـ وصفهُ الأستاذ عبدالله بأنه (من الكتب القيمة النادرة في موضوع جغرافية حضرموت) فَرَأَيْتُ في تقديم هذا الكتاب على صفحات المجلة ما قد يكون من البواعث للاهتمام بما قد يتعرض له من أبحاث، أو يعرضه من معلومات، لِيَتَّسِعَ الْـمَجَالُ أمامَ الباحثين.

وَيَبْدُو أَنَّ مُؤَلَّف السَّقَّاف هذا هُوَ خُلَاصَةٌ مما كتب عن تلك البلاد، فقد انتهى من تأليفه سنة ١٣٦٧هـ قبل وفاته بثماني سنوات، وقال: بأنه ألَّفه باقتراح من (بلخير) ولعله الأستاذ عبدالله عمر بَلْخَيْر، وقَدَّمَهُ لسعود بن عبدالعزيز حين كان وَلِيًّا للعهد قبل أن يتولَّى الملك، وكان (بلخير) مستشاراً له، ولقد خلا الكتاب مما شاب كثيراً من مؤلفات بعض أحبابنا الحضارِمَةِ مِـمَّا يتعلَّق بطغيان العواطف في تقدير العلماء والسادة بدرجة تقلل الثقة بكثير من تلك المؤلفات من الوجهة التأريخية البحتة.

ويبدو أنه لخصه من كتابه «إدام الْقُوْت، في ذكر بلدان حضرموت» فكثيراً

ما يختم بعض العبارات بقوله: (وهذا مفصل في أصله) أو (وقد أوردنا في الأصل) وهو يعني مالم يرد ذكره.

السيد السَّقَّاف مؤلف الكتاب: تُعَدُّ أسرة السقاف من أشهر الأسر الحضرمية، وأكبرها، وأوسعها انتشاراً في البلاد العربية، في المدينتين الكريمتين وفي القاهرة، فَضْلاً عن بلاد اليمن، وهي تُنْمَى إلى السيد سقّاف بن محمد بن عمر الصَّافي العلوي النِّسب، واشتهر منها عدد من أهل العلم والأدب والوجهاء والأثرياء ومن فضليات النّساء، حيث عُرِفَتْ سيدة جليلة من هذا البيت الكريم ممن يقيم في القاهرة برعايتها للأدب، فكان لها منتدي يرتاده المثقفون، ومن مشاهِير هذه الأسرة السيد عبدالله بن محمد بن عمر السقّاف المتوفى سنة ١٣٨٧هـ من العلماء البارزين، ومن مؤلفاته: «تاريخ الشعراء الحضرميين» طبع سنة ١٣٥٣هـ ـ في خمسة أجزاء، و«تاريخ حضرموت السياسي» وغيره، ومنهم علماء وشعراء آخرون لا يتسع المجال لذكرهم، ومن مشاهير متأخري هذه الأسرة السيد عمر السقاف الذي كان وزيرًا لخارجية هذه البلاد حتى توفي، والأستاذ أحمد زين السَّقَّاف الذي استقر في الكويت منذ قبل نصف قرن من الزمان، مشارِكاً في إنماء الحركة العلمية الثقافية في تلك البلاد في مجالاتٍ مختلفة، في التعليم، وفي إنشاء الصحافة ـ حيث أنشأ مجلة «كاظمة» في آخر الستينات من القرن الماضي، وفي تنظيم حركة الأدب بالمشاركة بتأسيس رابطة الأدباء، وفي غير ذالك من المجالات الحيوية، وهو من كبار أدباء العصر وشعرائه. وهناك كثيرون من مشاهير هذا البيت ليس المجال مجال الحديث عنهم.

أما مؤلف هذا الكتاب فعليه ينطبق نَعْتُ السقاف الكبير في العهد الأخير، لما بلغه من الشهرة داخل بلاده وخارجها في الأقطار العربية، لما اشتهر به من علم وفضل. ففضلاً عما لأسْرتِه في حضرموت من المكانة وعلو المنزلة في نفوس أهل تلك البلاد، بلغ مرتبة من العلم أهَّلَتْهُ بينهم بأن يحل أرفع المقامات فَعُرِفَ بِعَالِم حضرموت، ومفتي الديار الحضرمية. وكان ذا نفوذ قَوِيٍّ في الشؤون العامة في تلك البلاد، وصلة قوية بِحُكَّام أقاليمها، وإسهام بارز في السعي لتوحيد أجزائها واستقلالها، ورفع كابوس الاحتلال البريطاني الذي كان جاثِماً عليها، كما كان

قوي الصلة بإمام اليمن يحيى بن حميد الدِّين، بحيث كان يرجع إليه في معالجة بعض القضايا العامة المتعلقة بالخلافات التي تقع بين حكام تلك البلاد ـ كما يتضح من إشارات وردت في كتابه.

وقد ولد السيد عبدالرحمن بن عُبَيدالله بن محسن بن علوي بن سقّاف في بلدة سَيْئُون ـ من حضرموت ـ وفيها نشأ، وتوفي، على اختلاف في تاريخ ولادته، فالأستاذ الزركلي يحدده في «الأعلام» بعام ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م) ويشير إلى رأي آخر هو سنة ١٢٩١هـ ولكنه لا يأخذ به مُعَلِّلاً بأن مظهر الرجل عند وفاته لايدل على أنه بلغ من العمر ٨٤ عاماً فقد توفي سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م) وقد عرفه الأستاذ الزركلي واجتمع به في صفر سنة ١٣٦٩هـ في جدة، وأطلعه على بعض مؤلفاته فطالعها واستفاد منها، ووصفه بأنه مؤرخ بلدانيٌّ، من شيوخ العلم بالأدب والأخبار، وفقه الشيعة والسنة، له شعر حسن، وأنه كان مفتي الديار الحضرمية. وقد اجتمع به المستشرق البريطاني المعتني بالدراسات الحضرمية (سرجنت R.B. SERJEANT) فوصفه ـ في مقاله عن (المؤرخين وكتابة التاريخ الحضرمي) المعرب في كتاب «حول مصادر التاريخ الحضرمي» ـ ٩١ ـ فقال عنه: معروف أساساً كحجة في الشريعة، وذو ذكاءٍ حادّ، ولقد استمتعت بمجالِسه عدة مرات، لقد كَسَب احترام حضرموت، وهو لاشَكَّ عالِمٌ فَذٌّ، وقد درَّبَ أبناءه على ذالك. ويشير (سرجنت) إلى موقف من مواقف السيّد السَّقّاف جدير بالذكر، هو موقفه في النزاع الذي حدث بين السادة العلويين وبين الإرشاديين في آخر النصف الأول من القرن الماضي في البلاد (الأندونيسية) فيقول: لقد شارك في النزاع العلوي ـ الإرشادي، في (أندونيسيا) وبحوزتي خطبة له قالها في أحد الجوامع في (بتافيا) عام ١٣٤٦هـ (١٩٢٨م) وفي العام التالي حاول أن يصلح بين الطرفين، وأخبرني أن الرسائل المتبادلة ضُمَّتْ إلى مخطوطاته التاريخية «بضائع التابوت» ثم يضيف (سرجنت): لقد احترمه الكثيرون خصوصاً عندما يَتَّخِذُ مَوْقِفاً مُخَالِفاً لِمَوْقف العلويِّين المتزمتين. انتهى. ويتجلّى ماكان يتحلّى به السقّافُ من اعتدال في مواقفه ما لقيه من تقدير وإجلال بين طبقات مثقفي عصره، كما يبدو ذالك واضحاً في احترامه واعتداده بآراء العلماء المحققين من مختلف المذاهب، ولكن

هذا المستشرق لم يفته غمزه بقوله: والرأي الحضرمي عنه أنه ساذج، وغير مُفْرِطٍ في النقد كمؤرخ، لكنه عالم، له صيته، ولابُدَّ أن يقدم إسْهاماً هَامًّا لِصِيَاغة التاريخ الحضرمي. ولعله يعني بهذا الغمز أن السيد السقّاف ـ فيما يبدو من أبحاثه التاريخية لا يكلف نفسه عناء مناقشة ما يورده من نقول تغلب على كثير منها السَّذَاجة، ولاسيًّما حين ينقل عمن يعتقد فيهم الصلاح والتقوى، ومهما يكن فإنَّ فيما قدمه للباحثين عن تاريخ بلاده أوضح دليل على ما يَتَمَتَّعُ به من سعة الإطلاع، وشدّة الغيرة والحرص على الاهتمام بهذا الجانب، وهو ـ بدون شك ـ مما لا غناء لكل معنيٍّ بدراسة التاريخ العربي بصفة عامَّةٍ عن الرجوع إليه.

ومع أن السيد السَّقَّاف لم يتلقَّ العلم ـ فيما علمتُ عنه ـ خارج الجزيرة إلاَّ أنَّ المرء حين يطالع أحد مؤلفاته ـ ككتابه عن المتنبي ـ يعجب من سعة اطلاعه، وقوة استحضاره للشواهد والنصوص عند الحاجة، وسرعة بديهته.

ولاشكّ أنَّ دراسته الأولى كانت وفق الطريقة المتبعة في تلك البلاد، وفي غيرها من البلدان الإسلامية من حيث الاتجاه للدراسات الدينيَّة، وبلاده في عهده عُرِفَتْ بنوع من المحافظة، والميل إلى ما يشبه الانقطاع أو الانعزال للعبادة والتجرد الروحي، ويظهر أنه تأثر في أول مراحل حياته الدراسية بمن تلقى عليهم العلم، واستفاد منهم بدرجة أحلته منزلة رفيعة بينهم، حتى بلغ أعلى منصب ديني حيث عرف بمفتي حضرموت، ويلمح الباحث أثَرَ هذا من خلال مؤلفاته التي ذكر منها الأستاذ عبدالله بن محمد الحبشي في كتابه «مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن»:

١ ـ «نسيم حاجر، في مذهب الإمام المهاجر» لعل المقصود بـ(المهاجر) جد السادة الحضرميين الذي هاجر إلى حضرموت، فقد ألف عنه السيد علوي بن طاهر الحدَّاد (١٢٩٠/١٣٨٠هـ) مفتي حضرموت كتاباً دعاه «إثمد المهاجر» حاول إثبات أنه شافِعِي المذهب، بينما يرى السيد صالح بن علي الحامدي المتوفى سنة ١٣٨٧هـ أنه إمَامِيُّ المذهب، قال (سرجنت) ـ بعد ذكر هذا ـ: وقد أضاف السيد ابن عبيدالله ملحقاً يقال إنه نشر فيه ما يؤيد رأي السيد صالح.

٢ ــ «حاشية على فتح الجواد».
٣ ــ «حاشية على تحفة المحتاج».
٤ ــ «صوب الركام، في تحقيق الأحكام».
٥ ــ «السيف الحاد القاطع لأعناق الإلحاد» قال عنه الأستاذ الحبشي: ألفه في الرد على كتاب «توحيد الأديان» وطبع في عدن سنة ١٣٦٩هـ. ويبدو أنه ألف هذه الكتب في عهد مبكر من حياته. أما آثاره الأدبية فمنها:

١ ــ «الإماميات» قصائد في مدح الامام يحيى، طبعت في القاهرة سنة ١٣٤٥هـ.

٢ ــ «بلابل التغريد، في ما أفدناه في أيام التجريد» قال عنه الأستاذ الزركلي: هو أشبه بكتب الأمالي، في ثلاثة أجزاء انتهى. على أنه ورد في ذكره في «العود الهندي» ـ ٣٧٦ ـ بما نصه: (وقد ذكرنا في تفسير الفاتحة في كتابنا «بلابل التغريد» ما تَنْشَرِح به صدور المؤمنين). مما يفهم منه أنه في التفسير، ولكن كتب الأمالي قد تحوي تفسير بعض الآيات.
٣ ــ «ديوان شعر» طبع في مصر سنة ١٩٥٩م ـ في ٥٥٢ صفحة، ذكره الزركلي وغيره.
٤ ــ «الرحلة إلى دَوْعن» أرجوزة طبعت في عدن سنة ١٩٤٨م على ماذكر الحبْشي.
٥ ــ رحلة تحوي بعض المعلومات التاريخية، طبعت في القاهرة سنة ١٣٤٥هـ على ماذكر (سرجنت). وأخشى أن تكون التي قبلها.
٦ ــ «العود الهندي، من أمالي في ديوان الكندي» كذا ورد الاسم فيها أظنه مسودّة المؤلف، وسماه الأستاذ الحبشي: «العود الهندي، عن مجالس في ديوان الكندي» يعني المتنبي وقال الحبشي: في ثلاثة مجلدات، ولكنه أتحفني بنسخة مصورة منه تقع في ٥١٦ صفحة جاء فيها بعد المقدمة: (تنبيه: كُنْتُ بيَّضتُ هذه الأمالي حسبما ذكرت في الخطبة، ثم بعثت بها إلى مصر لتطبع بمعرفة الفاضلين الشيخين أحمد باغفار وعلي باكثير فلم يتيسَّرِ الطبع، ولم يرجع الكتاب، فَاحْتَجْتُ إلى استئناف الغاية، مع إعادة النظر في المراجع إذْ كانت حاضرة بخلافها عند

الأول، فجاء وفيه نقص وفضل، ومعه رَوِيَّةٌ ونضل، فليعلم ذالك وبالله التوفيق). وقال في المقدمة: (وقد بيضتها لولدي حسن بارك الله فيه، وفي إخوانه وأبيه، رجاء أن تكون له فاتحة تهذيب، ولائحة تأديب، وسميرا وجليسا، وخليطا وأنِيسا). وانتهى من التأليف مساء ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥٢هـ وقد قسم الكتاب إلى ستة عشر مجلساً وخاتمة. ويُعَدُّ من أحفل كتب الأدب بالفوائد والفرائد من الأشعار والأخبار مما يدل على ما يتصف به مؤلفه من سعة الاطلاع، مع رحابة الصدر في إيراد ما قد يتحاشى البعض من إيراده من النكت والنوادر، وقد يسوق بعد ما يورد من الشواهد طرائف من الشعر أو القصص الحديثة.

٧ ــ «النجم المضيُّ في نقد كتاب عبقرية الشريف الرَّضِيّ» انتقد به بعض ماجاء في «عبقرية الرضي» للدكتور زكي مبارك في جزء لطيف، ويسمى «مفتاح الثقافة» على ماذكر الأستاذ الزركلي.

أما مؤلفاته المتعلقة بتاريخ البلاد الحضرمية ووصف قراها وموانئها وأوديتها وما يتعلق بذالك فمنها:

١ ــ «إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت» قال عنه الزركلي: في مجلد ضخم، وقال الحبشي: خط بمنزل المؤلف بمدينة سيئون. وقد اطلع عليه الزركلي فنقل عنه في ترجمة عوض القعيطي في «الأعلام». ولا أستبعد أن يكون هو الأصل الذي يحيل إليه في الكتاب الذي بين يدي القاريً مقدمته، حيث نجد النصَّ الذي أورده الزركلي في ترجمة القعيطي منه في كتابنا، إلاَّ أنه في الكلام على (حجر) لا (الشحر) كما في «الأعلام».

٢ ــ «بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت» قال الزركلي: ذكر أنه زار اليمن، وكان ضيفاً على الإمام يحيى حميد الدين، فأُتِيْحَ له الاطلاع على خزانة كتبه، فكان كلما وقف على شيء يتعلق بحضرموت، أَوْ يَسْتَظْرِفُهُ، نَقَلَهُ وأَلْقَى ما كتب في سلَّة المهملات، ويُسَمِّيها (التابوت) ثم جمعها في كتابه هذا، وهو في ثلاثة مجلدات جعله كالشرح لقصيدة من شعره سِيْنِيَّةٍ، عارضَ بها شوقي في معارضته للبحتريِّ، وأتى فيه بعلم غَزير في تاريخ حضرموت وبيوتها، وحكامها وأعلامها، إلى استطرادات في فنون مختلفة، من أدب وحديث ونقد، إلى وثائق

سياسية ومعاهدات وملحوظات. وقال عنه الحبشي: خط بمنزل المؤلف في سيئون. وذكر (سرجنت) أنه في المكتبة السلطانية في المكلاَّ مع مخطوطات أخرى، وأشار الزركلي إلى أن فهرس هذا الكتاب طبع في ٦٤ صفحة.

٣ ـ وذكر (سرجنت) أنه جمع معجماً جغرافياً تاريخياً لحضرموت، ولم يذكره الزركلي ولا الحبشي، ولا أستبعد أن يكون هذا المعجم هو كتابنا هذا، وهو خلاصة مما ألفه ابن عبيدالله عن تاريخ حضرموت وجغرافية بلادها.

توفي السيد السَّقَّاف في بلدته سيئون سنة ١٣٧٥ (١٩٥٦م) على ماذكر الأستاذ الزركلي وقال: وفي (البرقيات) يوم وفاته أنه عاش ٨٤ سنة، ثم يضيف: وكان مَظهره دون ذالك وفي «نيل الحسْنَيَيْن» ـ ١٣٨ ـ أنه مات عن ٧٥ سنة، وأخذت بهذه الرواية، و «مراجع تاريخ اليمن» ـ ٢٤٥ / ٢٦١ ـ انتهى. على أن (سرجنت) قال ما تعريبه يحتمل أن يكون توفي سنة ١٩٥٥م وقد ترجمه (فان درمولن) ونشرت صورته في «المستمع». ولاشك أن الزركلي والحبشي أوثق وأعرف بتاريخ الرجل و«المستمع» هي المجلة التي يُصدرها القسم العربي في إذاعة لندن، ولاشك أنه كتب الكثير عن ترجمة السيد السقاف. ولكن ليس بين يديَّ الآن سوى ما أوردت خلاصته.

ولقد عرفت من أبناء السيد السقاف ـ أثناء إقامتي في مكة في أول النصف الثاني من القرن الماضي ـ ابنه الأستاذ السيد حسن، أديباً شاعراً، لطيف المعشر، فكِهًا، مُحِبًّا للبحث وكثرة المطالعة، ثم علمت بأنه سافر إلى الحبشة، وأنه توفي بعد ذالك.

الكتَــــابُ: كان في حاجة إلى بذل عناية لضبط كثير من الأسماء التي وردتْ فيه بدون إتقان بكتابتها، بل قد يكون قد وقع تحريف في بعضها من الناسخ، مثل (ريسوت) حيث كتب الاسم (ريبوت) وكثير من أسماء المواضع والقبائل مما لم يرد فيما بين يديَّ من المراجع، أمَّا المؤلفات الكثيرة التي رجع إليها المؤلف فلم أعرف أسماءها قبله فضلاً عن الاطلاع عليها، ولهذا وردت أسماء وعبارات ونصوص كثيرة يكتنفها الغموض، ولاشكَّ في أن الإخوة المثقفين الحضرميين يعرفون عن بلادهم ما لا يعرفه غيرهم، وأنَّ منهم من يُسَرُّ بالمشاركة في إفادة القُرَّاءِ تجاه

ما يعرض لهم من إشكال، أو حين يتطلعون إلى مزيد استفادة من المعرفة بأحوال هذا الجزء من وطنهم، ومن هنا كان عرضُ الكتاب كما هُوَ ـ بإضافة بعض الحواشي الموجزة ـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

أمَّا بعْدَ حَمْدِ الله لكماله، والصلاة والسلام على نبيه وأصحابه وآلِهِ، فهذا ما انتهى به السَّيْر، في اقتراح (بَلْخَيْر) وما ظننته كَذَا، فقدْ لَقَّاني أَذَى، إذْ لم يكنْ له مِثالٌ يُحْتَذَى. لقد خِلْتُهُ أَدْنَى من الْقَاب، فإذا هُوَ أَنْأَى من الْعُقاب، فالحاصلُ كَثِيرٌ ممن خَنَقَ دقَّاقَةَ الرقاب، وبما أَنَّ مثله يُديمُ الذكرَى في الأَعْقاب، ويُخَلِّدُها طول الأَحْقاب، فقد أَهْدَيْتُهُ لمن أخذَ على الكرام الأَنْقَاب، وغَنِيَ عن الأَوْصافِ والأَلقاب، طلَّاع ثَنَايا الشَّرْفِ والمجد، ووليٌّ عهد الحجاز ونجد، من أَنْطَقَ يَرَاع الإشادَةِ بما تسمع إنْشَادَه:

يَقُولُوْنَ: سُوْقُ الْعِلْمِ بَعْدَ قِيَامِهَا ... أُصِيبَتْ على طُوْلِ الْـمَدَى بِقُعُوْدِ
فَقُلْتُ لَهُمْ: قَدْ أَدْرَكَ الله أَهْلَهَا ... وَخَـوَّلَهُمْ مِنْ جُـوْدِهِ بِـ(ـسُعُـوْدِ)
فَقَـالَ لِأَيَّـامِ (الـرَّشِيْـدِ) ونَجْلِه ... وأَيَّـامِ أَبْنَاءِ (الْعَنَـابِسِ): عُوْدِي
فَبُشْرَى رِيَاضَ الْعِلْمِ مِنْهُ فَهذِهِ ... مَخَـايِـلُهُ في بَـارِقٍ وَرُعُـودِ

عبدالرحمن بن عبيدالله

حضرمـوت

قال الهمداني[1]: هي جُزْءُ الْيَمَنِ الأَصْغَر، نسبتْ إلى حَضْرَمَوْتَ بْنِ حِمْيَرَ الأَصْغَرِ، فَغَلَبَت عليه اسمُ ساكنها، كما قيل خَيْوان ونَجْران والمعنى بلد حَضْرَمَوْت، وبلد خَيْوان، ووادي نجران، لأنَّ هاؤلاء رجالٌ نسبت إليهم هذه المواضع انتهى. وقيل في تسميتها غير ذالك.

ويحدُّها شمالاً صحراءُ الأَحْقاف، وجنوباً بَحْرُ عُمَان، وشرقاً سلطَنَةُ مَسْقَط، وغرباً ولايةُ اليمن، وهذا أوسع الحدود عند ياقوت من الجهات الثلاث أما من

جهة الشمال فلا، لأنه كالصَّريح في إخراج صحراء الأحقاف عند حَدِّها، والكثير على أنها منها، لاسيما وأنَّ الخطَّ الذي يمتدُّ من سلطنة مَسْقط إلى الجهة الغربية يشتملها، بل يشمل أكثرَ منها، فلئن خرجت عن كلام ياقوت من ناحيةٍ فقد دخلت فيه من الناحية الأخرى.

وفي تواريخ حضرموت: أنَّ حَدَّهَا من جهة الساحل عين بَامَعْبَدٍ، وبروم، والشِّحْرُ ونواحيها إلى أرض المَهْرة، ومن جردان ونواحيها الغربية إلى أرض المهرة أيضاً شرقاً، وعلى هذا فلا تدخل فيها ظَفَارُ الحبوظي وجزم كثيرون بدخولها في حَدِّها وتفصيل ذالك في الأصل. وقال الطيب بامَخْرَمَةَ في كتابه «نسبة البلدان» قال القاضي مسعود: هي من قَبْرِ هود إلى القطن، وعرضها من الشمال الصَّيْعر، وبنو عكير والشماخ وتميم، إلى ريف البصرة وعُمان، وعرضها من الجنوب الغيلُ الأَعْلى والغيل الأسفل إلى حدِّ سيبان والحموم والهرة انتهى. وفي هذا الكلام خلط كثير، لأنه يُضَيِّقُها من الحدود الثلاثة ومن الشمال بإيهامه خروج أرض الصَّيْعَرِ عنها، ويوسعها من هذا الحدِّ بقوله: إلى ريف البصرة، وليس الأمر كذالك، وللحضارمة اصطلاح أخير مصغر في حدِّها فيجعلونها من الصعاد، وهو مكان يقرب من شبَام في غربيه إلى قبر نبي الله هود عليه السلام، لكن المعتبر في الأيمان والنذور والوصايا الأوسع كما قررته في الأصل، وفي مادتي (عبد) و(عبدل) من «التاج» أنَّ اسْمَ حضرموت الأول هو عبدل، وقال بعضهم: إن حضرموت كانت تسمى وبَارًا، ثم سميت وادي الأحقاف، ثم سميت حضرموت، ولاحظت جِمْيَر[١] الأَصْغَرَ عن وَبَارٍ، وأن ذِكْرَ الأَحْقَافِ بالتنزيل متقدِّم عن وبار، فلا شك أنَّ في هذا الترتيب وَهْماً. واسم حضرموت في التوراة كما نقله ياقوت عن ابن الكلبي[٢] (حاضر ميت) وكان يقال لها وادي سكاك أيضاً، وأنشد ياقوت لبعض شعراء الحضارم:

جَابَ التَّنَائِفَ مِنْ وَادِي سُكَاكَ إِلَى ... وَادِي ٱلْأَرَاكِ إِلَى بَطْحَاءِ أَجْيَادِ

ياقوت: وسكاك هو موضع بحضرموت[٣]، وقال بعضهم: إنَّ من أسمائها بِرْكُ الْغِمَاد، وبها كان يضرب المثل في البعد، وقد قال المقداد للنبي ﷺ: فوالذي

بعثك بالحَقِّ لو سِرْتَ بنا إلى بِرْكِ الغِمَاد لجالدنا معك مَنْ دُوْنه، وقد يَتَأَيَّدُ هذا بأنَّ المقداد حضرمي، وقال الشَّمَرْدَلُ بن شَرِيْكٍ يصف الرياح:

بَلَغْنَ أَقْصَى الرَّمْلِ مِنْ يَبْرِيْنَا وَحَضْرَمَوْتَ وَبَلَغْنَ الصِّيْنَا

وقال قيس:

ولو أَنَّ وَاشٍ بِالْيَمَامَةِ دَارُهُ وَدَارِيْ بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ اهْتَدَى لِيَا

وبعضهم يرويه (أقصى حضرموت) وهو أنسب: وقيل: إن بِرْكَ الغِمَاد هو وادٍ مخصوص منها فقط وهو وادِي بَرَهُوت، قال ابن دُرَيْد:

وإذَا تَنَكَّرَتِ الْبِلاَ دُ فَأَوْلِهَا كَنَفَ الْبِعَادْ
وَاجْعَلْ مَقَامَكَ أَوْ مَقَرَّ كَ جَانِبَيْ بِرْكِ الْغِمَادْ[٣]

وكما كانت حَضْرَمَوْتُ مَضْرِبَ الْمَثَلِ في الْبُعْدِ فكذالك كانت مَضْرِبَ المثل في أمور كثيرة منها كما في الأصل الْجَمَالُ، وحسبك شاهداً عليه ماجاء في كتابه ﷺ لوائل بن حُجْرٍ مِنْ وصف أَقْيَال حضرموت بِالْمَشَابِيْب ومعناه كما في «التاج» وغيره: الرُّؤُوْس الزّهر الألوان كأنّما أُوْقِدَتْ وجوهُهُمْ بالنارِ، لِحُسْنِهَا وإشْراقِها[٤]، ومعلوم أنَّ وَفْدَ كِنْدَة استجْهَرَ الناسَ بجماله، وحُسْنِ شارتِه، وأن عليهم من الحبرات... وذكر المُبَرِّدُ أنَّ الأشعثَ بن قيس من النفر الذين فَرَعُوا النَّاسَ طولاً وجمالاً، وكان من مُقَبِّلِي الظُّعْن، وقال أبو دَهْبَلٍ:

أَعَرَفْتَ رَسْماً بِالنُّجَيْـ ـرِ عَفَا لِزَيْنَبَ أَوْ لِسَارَه
لِعَزِيْزَةٍ مِنْ حَضْرَمَوْ تَ عَلَى مُحَيَّاهَا النَّضَارَهْ

وروى الجاحظ أنَّ حضرميةً كانت من آيات الله جمالاً تجردَتْ أمام زوجها وقالت: ماترى في خلق الرحمن من تفاوت؟ فقال لها: أَرَى فُطُوْراً فاسْتَحْيَتْ.

ومنها حُسْنُ النَّسْجِ ففي حديث الهِجْرَة: أنَّ عَلِيًّا تَسَجَّى ببرد النبي ﷺ الحضرميِّ الأخضر، وأخرج ابنُ سعد بسنده إلى عروة ابن الزبير أن ثوب رسول الله ﷺ الذي كان يخرج فيه إلى الوفد ورداؤه حَضْرَمِيٌّ طوله أربعة أذرع، وعرضه

ذراعان وشبر، فهو عند الخلفاء قد خَلَّقُوهُ وطووه بثوبٍ يلبسونه يوم الإضحى والفطر، وقال النابغة الجعديُّ في مَشُوْبَتِه:

يُدِيْرُ عَلَيْنَا كَأْسَهُ وَشِوَاءَهُ مَنَاصِفُهُ، والْحَضْرَمِيَّ الْمُحَبَّرَا

والمَنَاصِفُ هم الخدَمُ وقال جرير:

وَطَوى الطِّرَادُ مَعَ الْقِيَادِ بُطُوْنَهَا طَيَّ التِّجَارِ بِحَضْرَمَوْتَ بُرُوْدَا

وقال حَبيب:

كَشَقِيْقَةِ الْبُرْدِ الْمُسَهَّمِ وَشْيُهُ فِي أَرْضِ مَهْرَةَ أو بِلَادِ تَزِيد

وَتَزِيدُ - زِنَةُ جَمِيْلٍ - كما هو في «التاج» ابن حَيْدان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وهم الذين تُنْسَبُ إليهم الْبرودُ التَّزْيدِيَّة، وكانت حضرموت تفيض بالأكْسية إلى صنعاء فما دونها من بلاد اليمن وغيرها، وكان بِصنعاءَ دَلَّالُوْنَ مخصوصون بِالْبَزِّ الحضرمي، يرجع نسبهم إلى آل السقَّاف بِسَيْؤُوْنَ، ولما انقطع الْبَزُّ الحضرميُّ منذ نحوٍ من نصف قرن ساءَتْ أحوالهم.

وكان الحضارمةُ في عهد الشيخ عبدالله بَاعَلْوان يجلِبُون الخيلَ من حضرموت إلى ظفار كما يعرف من الحكاية (١٥٦) من «الجوهر الشفاف» للخطيب.

ومنها جودة الإبل، قال الْبَعِيْثُ الحنفي يمدح ناقة:

مُفَرَّجَةٌ مَنْفُوحَةٌ حَضْرَمِيَّةٌ مُسَانَدَةٌ بَيْنَ الْمَهَارَى انْتَقَيْتُهَا

وقال ذُو الرُّمَّة:

حَرَاجِيجُ قُوْدٌ ذُمِّرَتْ في نِتَاجِهَا بِنَاحِيَةِ الشِّحْرِ الْغُرَيْرِ وَشَدْقَمِ(٥)

ويدخل فيه كُلّ ما جاء في مدح الإبل المَهْرِيَّةِ بما لا يضبطه الحصر، لِأَنَّ مَهْرَةَ داخلةٌ في حَدِّ حَضْرَموت، على كثير من الأقوال.

ومنها فَرَاهَةُ الْحُمُرِ فقد جاء في «صفة جزيرة العرب» للهمدانيِّ: إن أحسن الحمير الحضرمية(٦).

ومنها جودة الْـخَمْرِ فقد جاء في مادة (بَنَى) من «التاج» قوله:

سَبَتْـهُ مُعْصِرٌ مِنْ حَضْـرَمَـوْتٍ   بَنَـاةُ اللَّحْـمِ جَمَّـاءُ الْعِـظَامِ

ومنها جُدُلُ النُّوْق، فقد جاء في آخر مادة (ثني) من «التاج» لشاعر قوله:

تُـلَاعِب مَثْنَى حَضْـرَمِـيٍّ كَـأَنَّـهُ   تَعَمُّجُ شَيْطَانٍ بِذِي خِرْوَعٍ قَفْرِ

ومنْها جودَةُ النِّعَال، والأَدِلَّةُ على هذا لا تدخل تحت العد ومنها قولُ كُثَيِّرٍ:

رَأَيْتُ ثِيَابَ الْعَصْبِ مُخْتَلِطَ السَّدَى   بِنَا، وَبِهِمْ، والْحَضْرَمِيَّ الْـمُخَصَّرَا

وقول مروان:

كَمَا قَاسَ نَعْلًا حَضْرَمِيٌّ فقَدَّهَا   عَلَى أُخْتِهَا لَـمْ يَأْنِ أَنْ يَتَجَرَّدَا

وقول حَبيب:

حُذِيَتْ حِذَاءَ الْـحَضْرَمِيَّةِ أُرْهِفَتْ   وأَجَـابَهَـا التَّخْصِـيْرُ والتَّلْسِـيْنُ

وكما يُضْرب المثلُ بالسيوف اليمانية فإنَّ أهلَ اليمن يضربون المثل بالخناجر الحضرمية، ويتنافسون في اقتنائها، ويتمدحون بها في أشعارهم، وروى الهمداني[٧] عن أبي الحسن الْـخُزاعيِّ وكان يسكن بأرض نجدٍ العليا أنه أصاب الناسَ أزمةٌ شديدةٌ فأقبلوا من نجد إلى مكة وكان فيهم شاعر يقال له الحزارة العامريُّ فأنشَدَ شعراً يذكر فيه ماكان من رحمة الله عندهم، فقال التهاميون لشاعرهم أبي الجياش: قُلْ مِثْلَهُ فأنشد شعراً منه:

سُقِيَتْ حَضْرَمَوْتُ مِنْهَا مَعَ ٱلْأَحْقَا   فِ رِيًّـا وَعُـلَّتِ ٱلْأَسْـعَـاءُ

طُبِّقَتْ بِـالسُّيُـولِ أَبْـيَنُ حَتَّى   لَجِجَـا فَهْيَ وَالسَّـمَاءُ سَـوَاءُ

القسم الأول في مرافِيء حضرموت
ومادانَاها من أقصاها إلى أقصاها

عَيْنُ بَامَعْبِدِ:

هي قريةٌ صغيرةٌ، واقعة في حدِّ حضرموت الجنوبي الغربي ويأتي في منيع[٨]. . ناسا من آل بامعبد، لايزالون إلى اليوم، فيفهم منه أنَّ العَيْنَ منسوبة إلى جدهم،

وفي ترجمة الشيخ الكبير عبدالله بن علوي بن الفقيه المقدم، أنه مَرَّ في طريقه من الحجاز إلى حضرموت بعين بامَعْبد، فاستقبله شيخها الكبير محمد بن عبدالله بَامعبد، وأجله واحترمه، وكانت وفاة الشيخ عبدالله بن علوي في سنة ٧٣١ عن إحدى وتسعين عاماً، وفي صفحة ٦٢ من «النور السافر» للشيخ عبدالقادر بن الشيخ العيدروس أن الشيخ بامعبد انتفع بالشيخ سعيد بن عيسى العمودي المتوفى سنة ٦٧١، فيمكن أن يكونِ هو صاحب الشيخ عبدالله بن علوي، ويحتمل أن يكون أبوه، أما رجوع الشيخ عبدالله بن علوي من الحجاز إلى حضرموت فقد كان في سنة ٦٨٠.

بَالْحَـــاف:

هو من وراء العين إلى جهة الشَّرق، وهو لآل أحمد بن هادي آل عزان، والسلطان فيهم عبدالله بن محسن الواحدي، وهو من جملة الموقعين على الوثيقة التي أمضى له عليها أعيانُ تلك الجهات وسلاطينها بالسمع والطاعة، على نصر الحق في الْـمَنْشَطِ والْـمَكْرَهِ، كما أن من جملة الموقعين عليها السلطان محمد بن جعبل العوذلي، والسلطان حسين بن أحمد الرصاص، ومشايخ المصعبين والياسر والحسنة، ومناصب السادة آل المحضار بمرخة و. . .[٨] ورؤساء آل بامسدوس بالدين، ولَوْلا أنني شاورت سيدي الإمام يحيـى في النهوض بهم فنهاني ـ أدام الله مجده ـ عن الاعتماد عليهم لكان لذالك بناء عظيم، ولكنه أعلى الله شأْنُهُ كان أعرف بأحوالهم، وماكنت لأُقْدمَ على أمْرٍ وبيعته في عنقي بدون إشارته، وإن كان تدبير ذالك بمسعى ساكن الجنانِ المغفور له السيد محمد ابن أمير المؤمنين، يريد به نصرتي على آل حضرموت، ولكن كان رأْيُ مولانا الإمام يحيـى أصوب، فلله الحمد على السلامة.

ومن آل بالحاف جماعة كثيرة نجعتْ إلى الشِّحْر، وفي الحكاية ٦٨ من «الجوهر» أن آل بالحاف تلقوا السيد علوي بن علوي بن أحمد بن الفقيه المقدم بالسماع، وفي أخبار سنة ٨١٣ أن أحمد بن فارس أخذ قرية آل بالحاف، وأخرجهم منها، فخرجوا إلى الشيخ علي بن عمر، فأرسل بَعْضَ الفقراء فلم يجبه، فسار هو بنفسه

في رجب، فردها عليهم ورجع هو، أعني الشيخ علي بن عمر في شعبان. انتهى.

من «تاريخ باشراحيل» وقد انعقدت بين سلطان بالحاف محسن بن صالح الواحدي و(الانقليز) معاهدة بتاريخ ١٣ نوفمبر سنة ١٩٠٥م على يد (مايسون) والي عدن، وبشهودها عبدالله بن حسين الواحدي وأحمد بن صالح بن ناصر الواحدي، وهادي بن صالح الواحدي، وحسين بن صالح الواحدي، نحو المعاهدات التي بين القعيطي و(الانقليز) ثم انعقدتْ بأثرها على القرب معاهدة بتاريخ ٢٢ نوفمبر من السنة المذكورة، جاء في المادة الثالثة منها: إنه متى قَذَفَتْ مياهُ البحر ببضاعة أو بمركب فإنْ عُرِفَ مَالِكُهُ في طرف شهر فليس للسلطان الواحدي إلا ثلث الموجود، وإن لم يعرفْ في ظرف شهر فكله انتهى. وهذا يدل على أنهم كانوا على نوع من القرصنة كآل كَثِيْرٍ في رَيْدَةِ ابْنِ حمدات، حسبما يأتي فيها. وفي أواخر الحرب الأولى وردني بريدٌ مخصوص بكتاب من السيد أبو بكر بن سالم بن أحمد بن علي بن عمر المحضار محرراً في ١٧ الحجة سنة ١٣٣٥هـ يقول لي فيه: إن آل طالب بن هادي يريدون أن يحالفوا آل كثير، فإذَا كانوا راغبين أفيدونا، ولكن آل كثير قد ركنوا إلى الدَّعَةِ، وقصرتْ هِمَمُهُمْ فلم نجد عندهم حركة بشيء، ولم يكن ذالك موافقاً لهوانا، إذ قد غمصنا في صداقة مع الدولة القعيطية لا يمكن معها أَنْ نُؤَلِّبَ ٱلأَعْداءَ عليها، وإنْ كانت صداقتها لا تسمن ولا تغني من جوع، لا معنا فقط بل مع سائر حلفائها وأصدقائها لأن السيد حسين ابن حامد إنما ينفق من بضائع المجاملة والمعانقة التي لا تنفد، بدون أية نتيجة، ومَنْ بَعْدَهُ من الوزراء شرٌّ منه، فهي دولة غنية، مترامية الأكناف، ولكن بلا رجال أكفاء مخلصين.

بيسر علـــي:

هي إحدى موانيء البحر الشِّحْريِّ، في شرقي بالحاف، وهي لآل طالب بن هادي الواحدي، والسلطان فيهم ناصر بن طالب، وقد زار حضرموت قريباً، وكان يزورني بعد الظهر في أكثر الأيام، وكانت حكومة عدن تحاول اتِّحادَهُ مع آل أحمد بن هادي، وجعلهم دولةً واحدةً، فأما آل أحمد بن هادي فَرَضُوا وأما هو فَأَبَى، ولكنه توفي فَجْأَةً بعدن، في ١٤ أبريل من سنة ١٩٤٠م، ولا أعرف الآن

ما يوافقها بالضبط من التاريخ الهجري، ومن تلك السنة و ٢٨ ديسمبر توفي أيضاً بعدن فَجْأةً نَقيبُ الوسطة الشيخ أبو بكر، بِعقِبِ مقابلته لوالي عدن في الحادي عشر من الشهر المذكور، وكذالك كُلٌّ من لَمْ يوافق حكومة عدن على هواها يموت فجأة لأنَّ لِلهِ جُنُوداً من العسل !!

حصن الغراب:

هو في بير علي، وكان أحد مرافيء حضرموت، وهو مبنيٌّ بالحجارة المنحوتة، يبلغ بعض أحجاره أربعة أذرع وستة أذرع، على قِمَّةِ جبل، يحيط به البحر من الجهات الثلاث، على عمق غزير، يمكن لكبريات البواخر أن ترسو بقربه، وليس له طريق من البر إلا من جهة شماله فقط، وهو حصن منيع، باقية آثاره، وحواليه كتابات المسند، يظهر أنها تعريف به وبأهله، هكذا وصفه لي السلطان ناصر بن طالب، وقد ذكره ابن الحائك الْهَمْدَاني بقوله(٩): وفي المنتصف من هذا الساحل شرقاً بين عُمَانَ وعَدَن رَيْسُوت. وهو موئل كالقلعة، بل قلعة مبنية على جبل، يحيط بها البحر إلا من جانب واحد، وبها سكن من الأزد من بني جُدَيْد. حتى طردتهم بنو خنزريت القمر، فتفرقوا في بلاد المهرة، ويقال: إن ساكن رَيْسُوت القدماء هم البياسرة ونزلت عليه بنو جُدَيْدٍ من الأزد فترأست فيهم انتهى. باختصار، والقَمَرْزِنَةُ قَمَر السماء، وذكره ياقوت في موضعه، وفي التعريف باليمن وهو ناقل عن ابن الحائك وما ذَكَرَاهُ ينطبق في الكَيْف على حصن الغراب. وأما ماذكراه من الأين والموقع فلا ينطبق إلا على رَيْسوت القريبة من ظفار، وهي التي يفرق بين طريقها وبين الطريق المسلوك إلى ظفار نحو ميل، وهي التي تلاقت فيها عساكر الملك المظفر الرسولي، ثم تقدموا منها إلى موضع من أعمال ظفار يقال له عوقد، حيث كانت الواقعة الهائلة التي دارتْ فيها الدائرة على سالم بن إدريس الحبوظي، واستولى بعدها عسكر المظفر على ظفار، وعلى سائر بلاد حضرموت، وكانت تلك الوقعة في يوم السبت ٢٧ رجب من سنة ٦٧٨ وياقوت مخطيءٌ في نقله هذا عن ابن الحائك إذ لا يمكن أن يذكر ظفار إذ كانت وفاته بسجن صنعاء في سنة ٣٣٤ كما في «بغية الوعاة» للسيوطي(١٠) وإنما أُنْشِئَتْ ظفار بعد ذالك بزمان.

أما مرباط فلها ذكر كثير في «صفة جزيرة العرب»[١١] ومنه في هذا الموضع: أن أهل ريسوت تفرقوا في البلاد بعدما بيتهم بنو خنزريت فسكنوا موضعاً من الغبب يقال له حاسك ومرباط، ومن هنا نشأ وهم ياقوت، وذكر مرباط هنا يُمَهِّدُ العذرَ له لكن الغبب بأسرها من المهرة.

ومنها أعني «صفة جزيرة العرب»[١٢] أن شطوط بحر العرب مثل سَفَوَان وكاظِمة وأغباب مَهْرَةَ وسُفْلِيّ حضرموت والأحقاف، وتيه أبين، وفلاة الفرسَان وبني مجيد انتهى. وحيق بني مجيد ذكر في «صفة جزيرة العرب»[١٢] وهو عدن وفي «القاموس» أنَّ غب القمر موضع بين الشحر وظفار. وقال الطيب بَامَخْرَمة: وغِبُّ القمر هو المعروف اليوم بعشة القمر، وهو موضع خطر، إذا سقَطَتْ إليه السفن قلَّ أنْ تسلم انتهى. وقال الهمداني[١٣]: ورؤوس البحر يعني بحر العرب المتعالمة بالخطر والصعوبة الفرتك، ورأس الجمجمة، وباب المندب، ثم ذكر غيرها مما لا حاجة بنا إليه، وسيعادُ بَعْضُ ماهنا قبيل القسم الثاني فلا مؤاخذة. ورأيت في «الشهاب الراصد» أن ضابطاً (انقليزياً) نقل بعض النقوش التي في حصن الغراب وعرضها على العلماء العارفين فإذا فيها أن سميفع اشوى وأولاده نقشوا هذا التذكار في حصن مريجت (؟) (غراب) لما وصلوا أسوارهم، ومَهَّدُوا دروبهم، وتحصنوا فيه، بعد أن فتحوا اليمن، وغلبوا أَهْلَها، وفتحوا طريق التجارة في أرضِ حِمْيَرَ، وقتلوا مَلِكَهَا وأقيالَهُ الحِمْيَرِيِّـيْـنَ. وشبيه أَنْ يكون هذا المقتول هُوَ ذُوْ نُوَاسٍ الْـحِمْيَرِيُّ فإنه الذي قتله الأحباش[١٤] انتهى. وسمعت أن هذا الضابط الذي نقل النقوش يقال له (والستاد) وهو صادق في قوله: إنَّ الأحباش قتلوا ذَا نُوَاسٍ لأنهم إنْ لم يقتلوه مباشرةً فقد ألقى بنفسه في البحر، لما انهزم من أرياط وأبرهة الحبشيين، وذُو نُوَاسٍ هذا هو الذي أَجْبَرَ أهلَ نَجْرَانَ على التَّهَوُّدِ، وخَدَّ لَهُمُ الأُخْدُوْدَ فكان في غزوة الأحباش له انتصارٌ للمسيحية، وأَخْذٌ بالثأر، أما مدة الأحباش باليمن فقد كانت قصيرة حسبما هو مفصل بالأصل.

وقد دخلَتْ بيرُ علي تحت الحماية (الانقليزية) على يد والي عدن لذالك العهد (هرغ) وسلاطينها محسن بن صالح، وصالح بن أحمد بن صالح، وعبدالله بن أحمد بن صالح، وناصر بن حسين بن محسن، وأبو بكر بن حسين بن محسن،

وصالح بن عبدالله بن صالح بن محسن، وعلي بن عبدالله بن صالح بن محسن وناصر بن طالب بن هادي بتاريخ ٢٠ أبريل سنة ١٨٨٨ .

عـــزان:

هو في شمال بالحاف، على مسافة ثلاثة أيام منها للجمال، وهو حصن آل أحمد ابن هادي، وقد جرتْ لهم خطراتٌ، وتقلبت بهم الأحوال حسبما فُصِّل بالأصل، وفي غربي عزان على مسافة ساعتين بالتقريب تكون حوطة الفقيه علي.

حوطـة الفقيـه:

هي بلاد تجاريةٌ معمورة ، في غربيها على بعد تسع ساعات للجمال يكون موقع حبان ومنها إلى يبعث في شرقيها مرحلتان بسير الأثقال، والحوطة المذكورة منسوبة للشيخ الجليل علي بن محمد بن عمر بن راشد بن خالد بن مالك المالكي نسبا، الشافعي مذهباً، وبها كانت وفاته أوائل سنة ٨٣٢ وعليه قبة كبيرة(١٥) إلى جانب جامعه الذي كانت عمارته في سنة ٧٧١، وقال الطيب بامخرمة في مادة الرجبي : إن باليمن بقرب قرية محفن المعروف بحصن المخارم الكنديين قرية يقال لها الرجبة، أنشأها الفقيه العالم الصالح الورع نور الدين علي بن جمال الدين محمد بن عمر المالكي قدم والده من أَبْيَن ، ثم أقام بالمصنعة وهي حبان، فأولد الولد الصالح علي المذكور ، والفقيه شرف الدين إسماعيل، والفقيه إسرائيل، والفقيه أبا بكر، وكانت هذه الرجبة مَوَاتاً طلبها من أهـل تلك الجهة، وبنى بها جامعاً حسناً، وفطر فيها آباراً، وأولد فيها أولاده الفقهاء ، يطعمون الطعام، توفي الفقيه علي بالمحرم سنة ٨٣٢ كذا ذكره القاضي مسعود هذا آخر كلام الطيب وهو موافق لما تقدم .

روضة بني إسرائيل:

هي واقعةٌ في شمال حوطة الفقيه علي، منسوبة إلى أخيه إسرائيل بن محمد، وهم بيت علم وصلاح، ولهم مؤلفات وفتاويات كثيرة في فقه الإمام الشافعي، منهم الشيخ الشهير محمد بن عبدالقادر ، مؤلف «غريب القرآن» وغيره ذكره

صاحب «المشرع» في ص (١٩٨ ج ٢) وقد صدر لإسماعيل المذكور في كلام بامخرمة أخي إسرائيل هذا مرسوم سلطاني بولاية القضاء، من باب بروم إلى باب أبْين وما بينهما من القرى، مثل دثينة، وأحور وميفعة والعين وغيرها. وكان ذالك المرسوم بتاريخ ١٠ محرم سنة ٨١٥ وكانت وفاة إسماعيل هذا بمدينة حبان في ٧ ربيع الثاني سنة ٨٣٥هـ.

مَيْفَعَة:

هي أرضٌ واسعة، فيها قرى وآبار كثيرة، وهي في شرق عزان، بينها وبينه مسافة نحو ساعتين، وفي عطفها جماعة من أعقاب السيد فدعق بن محمد بن عبدالله بن مبارك بن عبدالله المشهور بوطب، ولِآلِ باقطمي اعتقاد في شريفةٍ مقبورةٍ هناك، يقال لها علوية، وما أظنها إلا من آل فدعق المذكورين، ومن شرطهم أن لا يكون القائم بمنصبها إلا بنتٌ بكرٌ من أسرتها، ولا يمكن لها أن تتزوج، وعلى منصبتها اليوم شريفة يقال لها سيدة، تبرز للرجال، وتحادثهم، ولها جاهٌ واسع، لدى آل باقطمي وغيرهم، وهي تكرم الضِّيْفَان، وفي ميفعة كانت وفاة الشيخ عبدالله الصالح المغربي، وكان من خبره أن الشيخ أبا مَدْيَنَ أرسل بخرقةِ التصوف(١٦) للفقيه محمد بن علي بن محمد، بمعية الشيخ عبدالرحمن بن محمد الحضرمي، فأدركته الوفاة بمكة المشرفة، فعهد للشيخ عبدالله الصالح المغربي بإيصالها للفقيه المقدم، فألبسه إياها، وغضب لذالك علي بامروان، وقال له: أذْهَبْتَ نورَك بعد أن رَجَوْتُ أنْ تكونَ كَابْنِ فورك، فتفقرت، فقال له الأستاذ الفقيه المقدم: الفقر فَخْري. ثم سار الشيخ الصالح لإلباس الشيخ سعيد بن عيسى العمودي عن إشارة الشيخ أبي مَدْيَن، ثم توجه إلى ميفعة، وفي طريقه إليها ألبس صاحبَ عورة الشيخ باعمر عن نفسه لا عن الشيخ أبي مَدْيَن، ولما صعد إلى ميفعة اتصل بباحمران وذكر الشلِّيُّ وغيره أن الفقيه المقدم سار إلى ميفعة لعيادة الشيخ عبدالله الصالح، وكان بلغه توعكه، وهناك اجتمع به وبتلاميذه، وشهدوا وفاته ودفنه بميفعة، ولم يذكروا تاريخ موته، غير أنه كان قبل موت الفقيه الذي كانت وفاته سنة ٦٥٣. ومن العجب أن العلامة السيد علي بن حسن العطاس يقول في «سفينة البضائع»: إن الفقيه المقدم والشيخ سعيد بن عيسى العمودي

والشيخ عبدالله بن عمر صاحب الدلو، والشيخ باحمران اجتمعوا بشيخهم الشيخ عبدالله الصالح المقبور ببلد كنينة، بلد الشق البحري، قريب من حَجْر، وهي الجهة التي يقال لها ميفع انتهى ففيه أوهام وكَأَنَّ النظرَ انتقل عليه من ميفعة إلى ميفع ثم ماكان الشيخ الصالح بشيخ للمقدم ولا للعمودي، وإنما هو سفير مُحْضِرٌ في إيصال الخرقة لهما، وفي ميفعة باحمران آخر غير الأول هو من تلاميذ السيد عبدالله باعلوي.

وكان في ميفعة جماعة من علماء الإباضية حسبما يعرف من شعر الإمام إبراهيم ابن قيس الآتي في ذكر شبام.

أما سلطنة ميفعة وحبان فقد كانت في القرن التاسع للدولة الطاهرية، وأما في القرن العاشر فسلطنة حبان للواحدي، ومنهم عبدالواحد بن صلاح بن عبدالله ابن عبدالواحد بن صلاح بن روضان، وهو ممدوح الشيخ محمد بن عبدالقادر بن أحمد الإسرائيلي توفي عبدالواحد المذكور في سنة ٩٩١، وسلطنة ميفعة لابن سدّة، وكثيراً ماجاء ذكرهم في ديوان الشيخ عمر بن عبدالله بامَخْرَمة، فمن ذالك قوله يهيج بَدْرَ بُوطُوَيرق عليه:

فالمره زاهله للعقد ماعاد عدّهْ
ماتيًّا إلا حصانَكْ قُلْ لعبدك يشدّهْ
حَجْر في شهرنا والعولقي وابن سَدّهْ

وهو وآل عبد المانع وآل ابن عبدالواحد سلاطين الظاهر، يرجعون إلى بني أُمية في النسب، وفي حوادث سنة ٩١٥ من «تاريخ شنبل» أن عبدالودود بن سَدّة صَالَ على بيحان، فأفسد ضمرا فيها، ثم لاقاه آل بيحان مع رجوعه فقتلوا من عسكره أكثر من عشرين، وأخذوا عليه عبيداً وعتاداً وأسلحةً، ومنه في أخبار سنة ٩١٧ توفي السلطان العادل عبدالودود بن سدّة.

وينهر إلى ميفعة كلٌّ من جبال عمقين، ووادي العطف، وكان بينها وبين وادي حبان جبل يمنع من وصول مائه إليها، ولكن إحدى الدول السابقة فتحت فيه نفقاً يخترقه، فصار ماءُ حبان يفيض فيه إلى ميفعة، كذا أخبرني بعضهم عن مشاهدةٍ،

وأنها لإِمَارَةُ ملكٍ ضحم ، وسلطان عظيم ، وما بين عطف ميفعة المسمى عطف بالرشيد وميفعة آثارُ مدينةٍ قديمة، يقال لها الْهَجْرُ ، كان يقال: إنها ثاني بلد ذالك الصقع بعد مدينة شَبْوَةَ ، لاتزال آثارها ماثلة، وأساطينها قائمة، وعليها كتابات كثيرة بالمسند، وحجاراتها منجورة، وضخامتها تدل على أنه كانت عندهم آلات غريبة للنقل، لِأَنَّ نقلَ تلك الحجارة الضخمة لا يسهل للجمال ولا للرجال.

وقبائل ميفعة هم آل باقطمي حسبما أخبرني بعضهم بألف وخمس مئة رام ، والله أعلم بحقيقة الحال ، وماسبق من خَرْقِ الجبل ليس بالكبير في جانب ما ذكره ياقوت في مادة مندب من أن بعض الملوك أراد أن يُهْلِك عَدُوَّهُ فندب الرجال للمندب، وكان جبلاً يحجز البحر ، ويمنعه أن ينبسط بأرض اليمن، فقدُّوه فنفذ البحر إلى أرض اليمن، وغلب على بلدان وقرى كثيرة، وأهلك أُمَـمًا، وصار منه بحر اليمن، الحائل بين أرض [اليمن و] الحبشة الآخذ إلى عَيْذَابَ والْقُصَيْر، إلى مقابل قُوْص ، من بلد الصعيد، وعلى ساحله أَيْلَةُ وجُدَّة والْقُلْزُم ، وغير ذالك من البلاد والله أعلم هذا آخر كلام ياقوت، وفيه بُعْدٌ ، لأن هذا البحر المسمى البحر الأحمر قَدِيْـمٌ جِدًّا ، لأَنَّ المسافة ما بين رأس دمار الواقع في أفريقيا والجبل الْـمُسَمَّى المنهلي المنسوب للشيخ سعيد وفيه قلعة، تقرب من ثلاثين ميلاً تمخرها كبريات السفن بلا توقف فما هو إِنْ صَحَّ إلاَّ أَمْرٌ عظيمٌ لم يصل إليه الغربيون الآن، ولا إلى قريب منه، وظاهر كلام ياقوت أنه لذالك سمي المندب، وسمعت بعض أهل اليمن يقول: إنما سمي المندب لواقعة بتهامة كثرت القتلى فيها فانتشرت الندبةُ فيه، وفي كل ماوراءه من بلدان، فلذلك قيل باب المندب والله أعلم.

ميفــــع:

هو ساحل يبعد عن البحر بنحو ساعة ونصف في شرقي بير علي، وغربي بروم، عليه أرض واسعَة، وفيه مياه غزيرة تدفع إليه من حَجْر ، وفي أخبار الشيخ عبدالله بن محمد بامخرمة المتوفى سنة ٩٧٢ ، أن له مدائح في سلطان ميفع سند بن محمد الوداد الثعيري، وقال السيد سالم بن أحمد المحضار : وفي سنة ١٣١٤هـ

استولى الجمعدار غالب بن عوض القُعيطي على وادي ميفع، أخذه بالشراء الصحيح من آل بامزاحم، وآل باحفيظ وآل بامعبد، ولما علم بذالك آل عبدالواحد رفعوا عليه دعوى في عدن، وطال النزاع ولكنه انتهى بفوز القعيطي، وفي سنة ١٣١٥هـ بنى المصانع والحصون بميفع، وساق ٱلأَكَرَةَ والعمَّالَ من الْـمُكَلاَّ، وحصَّنها بالعساكر، وهي بالحقيقة أرض آل عبدالواحد، ولكن القعيطي غلبهم عليها مع ضعفهم، هذا حاصل كلامه باختصار وتلطف، وقوله غالبهم القعيطي، لا يخالف ماقبله من قوله: أخذه بالشراء الصحيح، لأن الشراء واقع على مُلْكِ اليد، والغلبةُ واقعةٌ على الإمارة، وقلما تؤخذُ إلَّا غَصْباً قال المتنبي:

فَالْمَوْتُ أَعْذَرُ لِـيْ وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بِـي   والْبَرُّ أَوْسَعُ والدُّنْيَا لِـمَنْ غَلَبَـا

وقال:

مَنْ أطاقَ الْتِمَاسَ شيَْءٍ غِـلاَباً   واغْتِصَـابـاً لَـمْ يَلْتَمِسْـهُ سُؤَالاً

وقال:

إِذَا لَـمْ تُجِزْهُمْ دَارُ قَوْمٍ مَوَدَّةً   أَجازَ الْقَنَا وَالْخَوْفُ خَيْرٌ مِنَ الْوُدِّ

وقال:

وَمَنْ تَكُنِ ٱلأُسْدُ الضَّوَارِي جُدُوْدَهُ   يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحاً ومَطْعَمُهُ غَصْبَا

وأصل المعنى فيما أحفظ ما أنشده مروان يوم وثب على الملك بعد معاوية بن يزيد وهو:

إنِّي أَرَى فِتْنَـةً تَغْلِـي مَرَاجِلُهَـا   وَالْـمُلْكُ بَعْدَ أَبِـي لَيْلَى لِمَنْ غَلَبَا

وأرض مَيفع صالحةٌ للزراعة بكثرة مائها وحسن تربتها، فهي مظنة ارتفاع مائل، إلا أنها موبوءة، قلَّ من أقام بها إلا زارته الْـحُمَّى ثم لم تفارقه حتى تورده شَعُوبَ، ولكن ما أظنه يصعب مع تقدم الطب في الأيام الأخيرة أن يُعَالَجَ هَوَاؤُها حتى يَصِحَّ، فتنبعث نيةُ السلطان لعمارتها، حتى يتوفر على الخزينة رِبْحٌ عظيم، ومالٌ

كثير، تنتعش به البلاد، وينتفع به العباد، إنْ لم يَؤُلِ ٱلْأَمْرُ إلى مثل قول الرصافي:

هــو مـلك مشــرقِـيُّ الضَّرْع، غَــرْبِـيُّ الْـمَــلاَيِــيـنْ.

وفي اخبار سنة ٩١٦ من «تاريخ بَاشَراحيل» أن ابنَ سَدَّة أغار على ميفعٍ، وَنَهَب عبيداً وبهائم، ثم لاقاه ابنُ دَغَّارٍ إلى نحو عين بَامَعْبَد، فانهزم ابنُ دَغَّارٍ انهزاماً فاحِشاً، فأُسِرَ، وقتل من قومه نحو خمسة عشر وأُسِرَ الباقون.

حَـجْـــر:

ذكر في «التَّاج» وأَصْلِهِ: حَجْرِ ذِي رُعَيْنٍ، من حِمْيَرَ، وَحَجْرُ ٱلْأَزْدِ قال: وباليمن موضع يقال له حَجْرٌ على مسافة عشرة أيام من زَبِيْدَ، وهو المذكور في قول مُهَلْهِل:

وَلَوْلَا الرِّيْحُ أَسْمَعَ مَنْ بِحَجْـرٍ صَلِيْـلَ الْبَيْضِ تُقْرَعُ بِـالذُّكُـوْرِ

وكانت الواقعةُ بالذَّنَائِبِ، وهي على مقربة منْ زَبِيْدَ، ولا أَدْرِي أَحَجْرٌ هٰذه بِضَـمِّ الحاءِ أم بفتحها، ولكن ياقوت يقول: قال أبو سعد: حُجْر بالضم اسم موضع باليمن، إليه ينسب أحمد بن علي الهُذَليُّ الحجري، وأطال في حَجْرِ اليمامة، وهي غير التي نحن بِسَبيْلها، وقال الطيبُ بامخرمة: وحَجْرُ بفتح ثم سكون، قال القاضي مسعود: هذا الاسم مشترك بين موضعين أحدهما حَجْرُ عَلْوانَ، وهو وادٍ باليمن، فيه قرى وحصون، طيِّبُ الماء والهواء والتربة، والثاني حَجْر ابْنِ دَغَّارٍ الكِنْدِيِّ، وهو كثير الماء والنخيل، له غِيَالٌ لا تنقطع، وهي وَخِيْمَةٌ جدًّا بِضِدِّ الأولى انتهى، وهو صقع واسع، كثير المياه والنخيل، ومن مدنه كنينة، ومحمدة، ويون، ومن نواحيه الخصبة المكان المسمى بالصدارة، فيه نحو مئة عين نضاخة، ولايزال آل أحمد بن هادي الواحدي يَدَّعُونَ لهم حقوقاً فيه، فلم تُسْمَعْ لهم دعوى، وفي غربي حجر جبال فيها المكان المعروف بِصيق العجر، وهو الذي قُتِل فيه السلطان عبود بن سالم الكثيري غدراً، قتله أحد آل خليفة، وكان خفيراً معه بجعالةٍ، وقعتْ له من جانب القعيطي حسبما فُصِّل بالأصل، وفي شماله لبنة

بَارشيد بِأَعْلَى الجبل الَّذِي يَنْهَرُ إلى حَجْرٍ ، وهي الحد الفاصل مابين الدين ونوح، ومن ورائها رَيْدَةُ الدين، وسيبان، وجبال دَوْعَن، وجبال نعمان، وفي شعر الإمام إبراهيم بن قيس الإباضي وهو من أهل القرن الخامس ذكر كثير لابن دَغَّارٍ المنسوب إليه هذا الوادي منه قوله:

سَيَعْلَمُ دَغَّارُ بْنُ أَحْمَدَ وَالْفَتَى ... سُلَالَةُ مَهْدِيٍّ وَكُلُّ مُخَالِفِ
إذَا نَزَلَ الْمُسْتَنْصِرُوْنَ بِجَحْفَلٍ ... يَهُزُّوْنَ بِيْضاً كَالْبُرُوْقِ الْخَوَاطِفِ

والظاهر أنه أبو حَجْر الذي ينسب إليه هذا الوادي، وفي مسودة بقلم ضعيفٍ أن بلاد مدورة الواقعة بين لازم والسور كانت بلاداً قويَّةً معمورةً ، أما ملوكها فهم ابْنُ دَغَّارٍ ، وبَابقي، والصَّيْعَر ، وابن دخياخ، وأما سوقتها فَهُمْ باصفار، وبامحفوظ، وآل شحيل، ثم لما طغوا سلَّط الله عليهم النَّهدِيَّ، وأتى لهم بابن سهل من القبلة، فدمروها تدميراً، وهرب ابن دَغَّارٍ وباقي أهلها، وسكنوا خرايت سباي، فسلط الله عليهم الجوهي، وطردهم فانتقل ابن دَغَّارٍ إلى حَجْرٍ ، واستولى على باحوته وباحبوبه، واتخذها له موطناً، ثم جاء مركب من مسيطبة إلى حصن الغراب، فمات رُبَّانُهُ فأخذه ابنُ دغَّار ، واتخذ المسيطبة الذين به عسكراً ، فهاؤلاء الحجورين(؟) ذرية أولئك، ثم إنَّ ابن دَغَّار قهر الدين والمشاجرة، وأخذ منهم العشور ، وملك دَوْعَنَ، وطغى ، فتقلص ملكه من دوعَن، ولما أيقنَ بالزوال ختم الأنهارَ بالأخشاب، ثم بالرصاص الكثير المذاب، وكان الذي خلفه على الرشيد، وطائفة من دَوْعَن آل بالحمان، وتاريخ زوال ملكه عن دوعن حسبما يفهم من تلك المسودة في حدود سنة ٧٨٢ وعن بارضوان عن «شجرة الأنساب» لأبي الحسن الأشعري أن بني دَغَّار بمدورة انتهى . وفيه تأكيد لبعض ما تقدم وفي ترجمة الشيخ مبارز بن غانم الزبيدي من «طبقات الشرجي» أنه انتقل إِلَى حَجْر وهي جِهَة متسعة، تشتمل على قرى ومزارع، خرج منها جماعة من الصالحين، وابتنى بها رباطاً لم يزل به حتى مات هناك، وقبره مشهور ، وكانت وفاته حسبما يفهم من السياق في العقد الثامن من المئة السابعة، وهذا الاسم وَإِنْ كان مشتركاً بين حَجْر عَلْوان وحَجْرِ ابن دَغَّار فهو إلى الثاني أقرب، لأن انتقال الشيخ مبارز إليها كان من عند الشيخ أحمد بن أبي الجعد بِأَبْيَنَ، وهي إلى هذه أدْنى(١٧)، وبعد أن تقلص

ملك ابن دَغَّارٍ من دوعن وَهَتْ أسبابه في حجر ، ولم يزل في التلاشي حتى اضمَحَلَّ ، وخلفته عليها نَوَّح ، وهي من سيبان، وسيبان كما في «بغية» شيخنا المشهور نقلاً عن الغسَّاني من ولد حَضْرَمَوْت بن سبإ، وهي شعب كبير، تتفرع منه عدة قبائل، منهم الحالكة تشمل بلحمر، وبامخر، وباسعد، وهم نحو أربع مئة رامي، ومنهم الخامعة تشمل باصرة، وباقديم، وباسلوم، وبارشيد، نحو ثلاث مئة وخمسين رامياً، ومنهم المراشدة يدخل فيهم آل باد حيدوح، وبابعير، وباصريح وبَاكردوس، وباضروس(؟) نحو خمس مئة رام، ومنهم الغثم يدخل فيها آل بامعروفة وبيصقع وبني مقدم، وبن علي باسلم، نحو ثلاث مئة رامي، ومنهم آل باخشوين لايزيدون عن ستين رامياً، ومنهم:

باعمروش نحو عشرة رميان(؟) ومنهم السموح وهم الجهضمي، وباوسيم، وعددهم قليل، وأكثر هذه القبائل بدوعن. وجبالها وماحواليها، ومن سيبان الامام العظيم أحد علماء الإسلام أبو عمرو عبدالرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي، كما في السين. من كتاب «المغني في النسب» للعلامة الفتني، وما أظنه إلا ناقلاً عن المزي وابن حجر، لكني لم أتمكن من المراجعة.

وقال الطيِّبُ بامخرمة: سيبان بطن من حِمْيَرَ، وَوَهِمَ الذهبيُّ فجعلهم من مُرَادٍ انتهى. والطيب جعل سيبان بَطْناً، والعمارة أكبر منه، والقبيلة أكبر من العِمارة، ونحن ذهبنا بها بعيدة فجعلنا سيبان شَعْباً تتفرع منه تلك القبائل التي لاتَعُدُّ إلا أفخاذاً أو فصائل على ماذكر، ولكن لا مشاحة في مثل ذالك، ولاسيما مع تطاول الأيام، وكثرة التوالد، ومهما يكن من الأمر فإنه قريب، وعندما جاء ذكر أعقاب السيد عبدالرحمن بن علوي الخواص الجفري من «شمس الظهيرة» أشار أن بعضهم بحجر العوالق، ومنه يفهم أن هناك حجراً ثالثاً، إلا أنه خفيٌّ لا شهرة له، وقد علمتَ مما سبق عن الطيب بامخرمة أنَّ حجر ابْن دَغَّارٍ كِنْدِيُّ النسب، ليس من سيبان في رُطَبٍ ولا عِنَب، وفي حَجْر موضع يقال له الواد، زعم بعضهم أنه المراد من قوله جل ذكره ﴿ وثَمُودَ الَّذِيْنَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾، وقد يُسْتظهر له بقربه من حصن الغراب، وبما حواليه من الآثار الموجودة، والحجارة المنحوتة، والله أعلم.

وبعَقِبِ ما اشترى السلطان غالب بن عوض القعيطي أرض ميفع ـ بالنيابة عن أبيه ـ اشتدَّ طمعُهُ في حَجْر ، إلا أنها تمنعتْ عليه بعقبةٍ كَأْدَاءَ لا طريق لها إلا منها، فكلما أرسل القعيطيُّ بجيش كَمَنُوالَهُ في مخارمها فأبادوه وكسروه على الأقل، ولما لم يكن لهم ذَرْعٌ بالمطاولة وكان السلطان عوضُ قويَّ العزيمة، شديدَ الشكيمة (لا تنفتح له نية عن هزيمة، أخذ يوالي الزحوف، ويبذل الألوف، حتى انقطعتْ أسباب نوح، وتعطلت معايشهم، فنجعوا لتحكيم السيد حسين بن أحمد العطاس صاحب عمد، والسيد أحمد بن حسن العطاس صاحب حرنفية، وفي القعدة من سنة ١٣٢٨هـ، توجه السيدانِ وكان الأول محمولاً على الأعناق، لضعفه، وكبر سنه، فحكما بأن جميع وادي حَجْر ونواحيه كنينة ومحمدة، ويون، وماتعلق بها، يكون تحت سلطنة السلطان عوض بن عمر وأولاده غالب وعمر وصالح، وما تناسلوا، فلهم سلطان الأرض، ولنوح إعفاء أموالهم الخاصة من جميع الرسوم الدولية، فلا عشور ولا مكوس عليهم، ولا على مناصبهم آل البيتي، وآل العطاس، وآل باراس، وآل الشاطري وبافتيه، وباعلوي وابن مالك، وعلَى أنْ يبقى عشور الشيخ سعيد بن عيسى العمودِي بحجر على حاله، وعلى قبائل نوح أن يضعوا رهائن من أولادهم للوفاء بذالك من كل قبيلة، وهم بامسعود، وبافقاس، وباذبيان، وبارشيد، وهذه هي أقوى قبائلهم، وفيها رئاستهم العامة، وعلى أن تكون الرهائن بنسبة القبائل كثرةً وقلةً، وكتب بينهم في ذالك عدة وثائق موجودة بعضها في الأصل، وبتمام الأمر انتهت البشارةُ إلى السلطان عوض، وهو على فِراش الموت، فقرت عينه، ولم يسلم روحه لبارئها إلا مَثْلُوج الصدر من جهة حجر بارد الفؤاد، وكان اهتمامه بها أكبر موضع من باله حتى لقد قال في حَجِّهِ وهو متعلق بأَسْتَارِ الكعبة في سنة ١٣١٧هـ ، أخبرني بذالك السيد حسين بن حامد المحضار : أتوبُ إليك ياربِّ من كل ذنب إلاَّ من حَجْر وحضرموت.

ولآلِ حَجْرٍ عوارضُ قوية في الأشعار العامية أخبرني السيد حسين بن حامد المحضار بأنها كثيرًا ما تحصل المهادنات بينهم، فيتبادلون الزيارات بين الأراجيز وذَوِيِّ البنادق، وإن كان الواحد ليرتجل العشرين فلا يرتجزون إلا بالأخير منها،

ومن أشعارهم الدالة على الْإِبَاءِ قول أحدهم:

واللِّقَا والوفا والْوَعَدْ إلى رأس حوته بـانْعَـارضُـه بـانَلْقى حـرارة وضيقـه
لَوْ يقع من مئة مقتول في قبر واحد والنبي[١٩] ما التوى عقده بعقد الشريفة

فبقيت من هذا حزازة في نفس السيد حسين بن حامد لم يستطع أن ينفث بما يشفي صدره في جوابها إلا ليلة دخولهم إلى الْـمُكَلَّا بعد إبرام المعاهدات فقال:

قَالُوا لِـيَ الْيَوْمَ الشَّرِيفة وكلت من بعد ماغلبتْ وصاليها غَلَبْ
بيـدي عوادي شـاربين المسكـرة حملوا على حوته وحلفوا في السلب

وحوتة هي العقبة الكأداء التي أعجزتهم عن أخذِها عنوةً، ولكن طفقوا يُقْتِلُون في الذُّرَى والْغَوَارب حتى وَطَّأُوْا أكنافهم بالبذل، ولهذا أجابه بعضهم قبل أَنْ يُبْلِعَهُ الرِّيْقَ بما نَسِيْتُه في هذا المعنى، وكادوا يتواثبون إثْرَ كلِّ المراجعات بالأرجيزِ الحادَّة ولكن هداهم المناصب، وأخبرني السيد حسين بن حامد أنه قال في أحد مراجزه لهم في هدنة ذات الأيام:

ياحَجْر ابْنِ دغَّار ماشِـي معذره لَوْبَا نُرَادَفْ في المقابر من ثنين
إن عاد شي تركوب وإلا تبصره ولا مـع الله بالمـطابق والكبـين

فأجابه أحدهم لاعن ذُلٍّ، ولكن خضع الجناحَ شيئاً بما جُبِلُوا عليه من كرم الضيافة فقال:

حيـا وسهلا بـالوجيـه الـزاهـره لسَّيِّد المحضار من حامد حسين
أنتـوا وصلتـوا البشـاره ظـاهـره والزين يخرج منه إلا كل زين

قال: فأخجلني بهذا اللطف، لأني نزيلهم على ضيافتهم، مع أنه لم يَذِلَّ جانباً لاسيما والبشارة محتملة للطرفين، والمساجلات التي بينهم تدخل في جزء، وعلى ألسنة الرواة منها الشيء الكثير، وقال شيخنا المشهور في «شمس الظهيرة»: وللسيد أبي بكر البيتي بن إبراهيم بن السقاف عقبٌ منتشر بحجر وكنينة ومحمدة، وفيها أيضاً أن للسيد أبي نُمَـيٍّ بن عبدالله بن شيخ بن علي المندرج أعقاباً بكنينة ويون، وفيها أن لعلوي بن عبدالله بن علوي بن أحمد بن محمد بن أحمد الكاف

عَقِباً بحجر وكنينة وفيها: وأما عمر الحمدي(؟) فذريته بحجر، وفيها: أن عبدالله الأعين النساخ بافقيه بن محمد عبديد له ذرية بحجر، وكنينة، وبكنينة كانت خزانة ملآى بالكتب الخطية النفيسة للشيخ العمودي، ولكن أخبرني من رآها بالأخرة أنه لم يبق بها من كتب الأعلاق إلا مالا يستحق الذكر، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وأكثر حاصلات حجر التمر، فالذي يخرج منها زائداً عن حاجات أهلها شيء كثير. ومن الغرائب كما حدثني الثقة السيد عبدالرحمن بن حامد المحضار أن الغراب لا يتعرض لثمار حَجْر بِسُوْءٍ أبدًا، ومن عادتهم إباحةُ التمور التي تتساقط بعصف الرياح، وأن لا حَرَجَ على أيِّ إنسانٍ تسلَّقَ نخلةً أراد للأكل فقط، أما أَخْذُ شَيْءٍ إلى المنزل فممنوع.

(للبحث صلة)

الحواشي:

(١) «صفة جزيرة العرب» - ١٦٧ ط: دار اليمامة -.
(٢) «معجم البلدان» رسم (حضرموت) (٢٣ المصدر رسم (سكاك) وفيه: الأسكاك: موضع باليمن من أرض حضرموت، قال بعض الحضرميين:

جاب التنائف من وادي سكاك إلى ... ذات الأماحل من بطحاء أجياد

والبيت من مقطوعة أوردها في قصة طويلة رسم (الأحقاف).
(٣) في تحديد موقع (برك الغماد) عند المتقدمين أقوال أقربها إلى الصواب أنه البِرْكُ الوادي المعروف في تهامة.
(٤) كلمة (لحسنها وإشراقها) ليست من كلام صاحب «التاج».
(٥) لم يرد في ديوان الشاعر تحقيق الدكتور عبدالقدوس أبو صالح، وهو في «لسان العرب» رسم (ذمر).
(٦) نَصُّ ما في الكتاب - ٣٦٣ -: (ومن الحمير للسروج الحضرمية ثم المعافرية) الخ.
(٧) «صفة جزيرة العرب» - ٣٨١ -.
(٨) مكان النقط كلمات لم تتضح في المصورة.
(٩) «صفة جزيرة العرب» - ٦٦ - مع اختصار في النقل مع تحريف (ريسوت) عند الهمداني إلى (ريبوت) في مخطوطة كتابنا هذا فأصلحت على ما في كتاب «صفة الجزيرة» وغيره.
(١٠) حقق مؤرخ اليمن العلامة القاضي محمد بن علي الأكوع أن الهمداني تأخرت وفاته عما ذكر السيوطي فأدرك منتصف القرن الرابع الهجري - انظر ترجمة الهمداني في مقدمة «صفة جزيرة العرب».
(١١) - ٦٧ -. (١٢) - ٢٦٨ وص ٩٩ - (١٣) منه - ٢٦٨ -.
(١٤) جاء في هامش الأصل: (وفي مذكراتي من بعض التواريخ اليمنية أن أول نائب من جهة الحبشة كان عربيًا

المعجم الكبير

في جزئه الثاني

[« العرب » س ٢٥ ص ٤٧٤]

عرضتُ منذ فترة مَضَتْ للجزء الأول، وتكلمت على ما ورد فيه مشيرًا إلى منهجه الجديد، وها أنا ذا أعود إلى جزئه الثاني، فأجدني راغباً في العودة إلى شيء مما أثبتُّه في الكلام على الجزء الأول، مشيراً إلى هذا العمل الجليل، مشيداً بما أحسن أصحابنا في (المجمع) في إخراج هذا العِلْق النَّفيس الذي كان المعنِيُّون بالعربية حراصاً على تحقيقه وإخراجه.

← مسيحيًا يقال له سيافع أشوع، ثم تبعه أبرهة المشهور. انتهى. وهي فائدة حسنة جميلة).

(١٥) بناء القباب على القبور ـ بل أيّ بناء كان ـ من الأمور المحرمة شرْعاً كما جاء في الأحاديث النبوية، وأوضح هذا محققو العلماء ـ كشيخ الإسلام ابن تيميَّة وتلميذه ابن القيِّم، والإمام المجدد والشيخ محمد بن عبدالوهاب وغيرهم من العلماء.

(١٦) خرقة التصوف من البدع المحرمة ككثير من الأمور التي يفعلها المتصوفة، مما لم يفعله المصطفى عليه الصلاة والسلام ولا أحد من أصحابه.

(١٧) حَجْرُ ـ في قول مهلهل هو حَجْرُ اليَمامة، الذي قامت مدينة الرياض مكانه، والذنائب المذكورة في عالية نَجْدٍ على سبعة أيام من حجر بسير الإبل، والعالية هذه هي بلاد ربيعة عالية نَجْدٍ حيث حدثت معارك حرب الْبَسُوس بين بَكْرٍ وتَغْلب قوم مُهَلْهِل وخطأ صاحب «التاج» قديم نَبَّهَ عَلَيه الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ـ ص ٣٢٣ ـ حيث قال: حِمَى ضَرِيَّة هو حِمَى كليب، والحمى بين ضَرِيَّة وجبل النِّير، وقد يرى قوم الجهال أنَّ ديار ربيعة كانت من تهامة بِسُرْدُدٍ وبلد لعسان من عك، وأنَّ تُبَّعاً أقطعهم هذه البلاد لما حالفوه، وهذا من الأخبار المصنوعة.. وإنَّما بنوا هذا على وَهْمٍ وهوًى فقالوا في (المهجم) وهي خزة خزازَى، وفي (الأنعوم) الأنعمين، وفي (الذنبات) الذنائب وفي (العارضة) عُوَيرض. وإنَّما عنى مهلهل بقوله:

عَمِرتْ دارُنا تِهامَةَ في الدَّهْـ ـرِ، وفيها بنو مَعَدِّ حُلُولاَ

مكَّة وما صاقبها. انتهى ووقع في الوهم صاحب «معجم ما استعجم» ويظهر أن صاحب «التاج» تأثَّر به إذا صَحَّ النقل عنه على أنني لم أره فيه في رسم حجر.

(١٨) في هامش الأصل ما نَصُّهُ: (كذا ترجمته بَدْياً، ثم تبين لي أن حجر علوان في مقطبة على مقربة من الضالع وأَبْيَنَ، فانكشف الوهم).

(١٩) الحلف بغير الله شرك ـ كما في الحديث ـ.

قلت: إن «المعجم الكبير» لثمرة طيبة آثرها العاملون في المجمع من أعضائه وغيرهم بعناية كبيرة، فجاءت مستوفية للكثير مما كنا نصبو إليه. وإذا كنا نَحْمد هذه الصنْعة المباركة فمن حق العربية علينا أن نواصل المسيرة، ونسلك الدرب، ونميط الأذى عن الطريق فنشير إلى ماكنا نرغب في ألا يكون في «المعجم»، ولكن ليس لنا إلا أن نقول: (لا تعدم الحسناءُ ذاماً).

إن المعجم الكبير صنعة معجمية (تاريخية)، وكونه تاريخيًّا يفرض على العاملين فيه منهجاً خاصًّا يتّصف بالشمول والسعة. فقد يُذْهَبُ في موادّه إلى عصور قديمة فتطول المسيرة في الكلمة طوال قرون عدّة، وقد تنتهي هذه إلى عصرنا فنرى المصطلح الجديد والمولَّد الجديد، وجملة هذا يفرض على العاملين أيضاً منهجاً تاريخياً فيه من العناصر اللغوية القديمة ما حفظته المصادر والمتون، وفيه من علم (المعجمية) الجديد (La Lexicographie) أفانين شتّى.

ومن المفيد حقاً أن أشير إلى (التصدير) الذي بسطه الأستاذ الجليل الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع فعرض للمعجم ولخصائصه وطرائق العمل فيه، ومصادره، وماعرض للعاملين في إعداده، وهم جمهرة من أهل العلم والجد، رَحَلَتْ طائفة منهم فلقيت ربّها بعد أن قدمت من الخير ثماراً يانِعاتٍ، فخلف من بعدهم خلف واصلوا المسيرة فكان لنا من جملة هذا النِّضال ماكنّا نَصْبُو إليه. وفي تصدير الأستاذ الكبير من الفوائد السنية ما يعين على فهم هذا العمل، وكيف انتهى إلى هذه النتيجة المحمودة.

وهذا الجزء قد اشتمل على حرف الباء فبدأ بالكلام على صوت الباء وماقيل فيه في (علم الأصوات) وهذا يَحْسَنُ، وقديماً عرض أصحاب المعجمات إلى العلم الصوتي في أول كل باب. وتلا هذه الفائدة الصوتية كلام في (معاني الباء) الجَارَّة في الاستعمال اللغوي، وهو ما أثبته النحاة في مصنفاتهم.

وسأقف وقفات على جملة من مواد هذا الجزء فأثبت فيها ما بدالي أنه يستحق أن ننظر إليه:

١ ــ جاء في الباء الممدودة في الصفحة (٨): بابا: (Pappa) لفظة يونانية

الأصل. . . معناها أب، لقّب به رئيس أساقفة الاسكندرية. . . إلى آخر ماجاء في الشرح.

أقول: وهذا يعني أن ذكر (المعرّب) شيء من النهج الذي اتبع في تحرير مواد المعجم، غير أني تَبَيَّنْتُ أنَّ هذا الأمر لم يُسْتَوْفَ استيفاءً كافياً.

كان من المفيد أن يعرض محرر هذا القسم من الكلم المعرّب إلى (با) قبل الكلام على بابا فيقول فيها مثلاً: إنها وردتْ صدراً في كلمات كثيرة هي أسماء مواضع أو حواضر في بلاد الشام وبلاد مابين النهرين، لتدلّ اجتزاءً على (بيت) وهذه المواد كلها آرامية سريانية نحو: (باصيدا) و(باجسرا) و(بعقوبا) و(باخرا) و(باعشيقا) و(باقسايا) وغيرها كثير، وقد ذكر ياقوت في «معجم البلدان» طائفة من هذه الأسماء.

أقول: وجملة غير قليلة من هذه المواضع مازال معروفاً في عصرنا في العراق وسورية ولبنان. وقد ورد من هذا في «المعجم الكبير» باجَرْمَى وباجسرا وباجميرا، وكان ينبغي أن يذكر سائر هذه المواد، ويشار إلى معنى (با).

٢ ــ وجاء في الصفحة (١٠) في الكلام على ابن بابشاذ: . . . وله مؤلفات منها: «المقدمة» و«شرح الجمل» للزجاجي. . .

أقول: وكان من المفيد أن ينص على «المقدمة» فيذكر أنها «المقدمة المحسبة» وطبعت مرتين إحداهما في العراق منذ سنوات.

٣ ــ وجاء في الصفحة نفسها في الكلام على بابَك الْـخُرَّمي: . . . . فقُتل وصُلِبَ في مدينة سامراء. . . .

أقول: (سامراء) بالمدّ صحيح. ذكر ياقوت أنها: سامرّا بالقصر وسامرّاء بالمد، وسُرَّ من رأى أو (من را) (كذا).

أقول أيضاً: لقد ورد من أسماء الحواضر في العراق القديم جملة أسماء مقصورة، وقصرها يشعر أنها آرامية، وذالك لأن عامة الكلم في الألفاظ الآرامية السريانية ينتهي بالألف المقصورة. وفي هذه الألف رأي لأهل اللغة في أنها في الأصل شيء من التعريف الذي فقد اختصاصه على مرّ العصور فبقيت الألف لازمة. وهذا

يعني أن (صيدا) و(باصيدا) و(عانا) و(ساوى) وغيرها من الكلم السرياني الذي ورثته العربية، ولعلي أميل إلى أنْ أجْعَلَ من هذا الباب: (كربلا) و(سامرّا) و(كوفا) و(بصرا).

ولما اسْتَقَرَّتْ هذه الأسماءُ في العربية اكْتَسَبَتْ شيئاً فَمُدَّتِ الأَلِفُ في (كربلا) فصارت (كربلاء) ومدّت الألف في (سامرّا) فصارت (سامراء)، ومازال الناس في يومنا هذا ينطقون الكلمتين بالقصر.

ومن يدري لعل صورة المدّ قد جاء بها الشعر، فإننا نجد أبا تَمّام وهو يعرض لبابك الْـخُرَّمي في قصيدته التي مدح بها المعتصم يقول:

... ... ونصبتَه عَلَماً بسامَرَّاء

ومثل هذا وردت (كربلاء) ممدودة في الشعر.

وهكذا تكون (كوفا) و(بصرا) اللتان صارتا في التعريب (كوفة) و(بصرة) بقصر الألف المقصورة كثيراً إلى أن كانت فتحة فلحقتها هاء التأنيث.

والذي يدلُّ على أن (سامرا) بالقصر هو الأصل النسبة إليها فقد قالوا: (سامرّي) بتشديد الياء، وقد عرفنا من المنسوبين بهذه النسبة كثيرين ومنهم: أحمد ابن محمد الشاهد أبو الطيب السامَرّيّ، وجعفر بن محمد بن عبدالله، أبو محمد السامَرّيّ، والحسن بن محمد بن يحيى أبو محمد الفحّام السامَرّيّ، ذكرهم ابن الجزريّ في «غاية النهاية»، وغيرهم كثير(١).

٤ ــ وجاء في الصفحة نفسها في الكلام على ابن بابك: ... شاعر بغدادي مجيد مكثر ... وامتاز بأسلوبه الرائق...

أقول: ربّما كان كثيراً أن يوصف ابن بابك في أنه ذو (أسلوب رائق)... والذي أعرفه أن أهل النقد لا يقرونا على هذا.

٥ ــ وجاء في الصفحة نفسها مادة (بابل): أقول: ذكر بابل وهي إقليم من أرض الرافدين، يشير إلى أن أصحابنا صانعي «المعجم» قد جعلوا من منهجهم ذكر المواضع والحواضر التّاريخية وربما تجاوزوا ذلك قليلاً إلى المشهور من ذالك في

عصرنا. وهذا يفرض عليهم استيفاء هذه المواد المشهورة، فأيْنَ الكثير من الحواضر الشهيرة في التاريخ الإسلامي القديم، والتاريخ المعاصر ؟ لا وجود لها في مادة (بصر).

وجاء في مادة (بابل) هذه مايأتي: ينقسم إقليم بابل إلى منطقة أكد في الشمال... ومنطقة سومر في الجنوب.

أقول: ربما كان من المفيد أن نوضح قليلاً لنتجنب ماقد يقع فيه الدارس من خطأ.

إنِ إقليم بابل ليس في الشمال فهو يشمل منطقة أكد الكائنة في الوسط، وهي شمال بلاد سومر الجنوبية التي استولى عليها البابليون بعد ذهاب دولتهم الجنوبية، والسومريون أمة لم يتفق المؤرخون في عصرنا على أصلهم، ومن أين جاءوا، ولكنهم اتفقوا على أنهم ليسوا ساميّين، ولغتهم ليست سامية.

أما قول صاحب هذه المادة: (إن اللغة البابلية إحدى لهجات اللغة الأكدية) فغير سديد وذلك لأن التسمية بالبابلية تسمية عامة، فالبابلية هي الأكدية، وهي الأشورية، ولذالك يقول العلماء: (البابلية الأشورية) وعلى هذا فالبابلية تسْمية عامة بالإقليم وليستْ لهجة من لهجات اللغة الأكدية كما ذهب الأستاذ الباحث.

أقول: وكان من المفيد أن تختم هذه المادة بذكر (بابل الحديثة) وهي اسم لإحدى المحافظات في العراق ومركزها مدينة (الحلّة).

٦ ــ وجاء في الصفحة (١٢) (البابونَج): يطلق على ...

أقول: كان من الضروري إثبات أن الكلمة من (المعرّب) القديم، والأصل في الفارسية (بابونة) أو (بيبونة) على نطق الأكراد. ومازال هذا الأصل القديم معروفاً في شمال العراق.

لقد عرّب العرب جملة مواد فارسية تنتهي بالفتحة المهالة، ففتحوها وكسعوها بالجيم فقالوا: (ساذَج)، (مالَج)، (لَوْزينَج)، (بَرْنامَج)، (فالَج)، (إهليلَج) و (رانتينَج) وغير ذالك.

٧ ــ وجاء في الصفحة (١٥) في الكلام على (باجة): باجة اسم يطلق على غير موضع، منها . . .

أقول: وكان الواجب أن تذيَّل هذه المادة بالقول: إن (باجة) من الحواضر التونسية المعروفة في عصرنا.

٨ ــ وجاء في الصفحة نفسها في الكلام على (باحور): الباحور (في السريانية: (bàhòre) باحوري (كذا). . .

أقول: الذي في السريانية هو (باحورا) بالألف المقصورة في الآخر، وهو شيء ألمعنا إليه في الكلام على الكلم السرياني (انظر التعليق على (سامراء).

وهذه الكلمة السريانية تحولت في العربية إلى ممدودة نظير (سامراء) وصُرِفت إلى الدلالة على شدّة الحر في شهر تموز.

أقول: وهي في عامية أهل العراق في عصرنا (باحورة).

ومن المفيد أن أشير إلى أن بناء (فاعول) بناء آراميّ سريانيّ أصالة، وإن كان شيء منه في العربية، وكثير منه في أسماء الأدوات والآلات[٢].

٩ ــ وجاء في الصفحة (١٧) في آخر الكلام على (بادوريا): . . . . ويسمّيها العراقيون الآن (بَدْرة).

أقول: إن (بادوريا) القديمة التي هي في شمالي بغداد قد انقرضت، وليس لها من أثر. أما (بَدْرة) الموجودة الآن فهي شيء آخر، وهي (بُليدة) إلى الجنوب الشرقي من بغداد.

١٠ ــ وجاء في الصفحة (٢١) الكلام على (الباركية): الباركية (Parquet) قطع من الخَشب تُبسط في انتظام ودقة على أرض الحجرة. . .

أقول: كان ينبغي أن يشار إلى هذا (المعرّب) الجديد في أنه معروف في بلدان الشمال الافريقي ومصر وربما في لبنان، ولا يعرفه سائر العرب في المشرق. والأصل، كما هو مبيَّن، فرنسي.

١١ ـــ وجاء في الصفحة (٢٢) في الكلام على (باري): (باري) عاصمة مقاطعة إيطالية باسمها، وميناء شهير . . . كانت تُبَثُّ إذاعة موجهة إلى العالم العربي دعاية لدول المحور .

أقول: إن هذه الفائدة الأخيرة وهي كون المدينة مركزاً لبثّ الاذاعة دعاية لدول (المحور) يفرض علينا أن نعرّف بدول المحور ، وما معنى هذا المصطلح السياسي التاريخي ، وذالك لأن (المصطلح) قد قدم به العهد، وأن جمهرة من الدارسين، وهم الأجيال المتأخرة، لا تدرك منه شيئاً .

١٢ ـــ وجاء في الصفحة نفسها في الكلام على (باريّ): باريّ (معرب عن الفارسية): الحصير المنسوج، قال العجاج: . . . .

أقول: كان من المفيد أن يشار إلى الأصل الفارسي وهو (بوري). وأضيف إنّ (البارية) مازالت معروفة في العراق وهي (تُسَفُّ) من خُوْص سعف النخل وليس (تنسج) كما ورد في النَّص. وقد أشار ابن الجواليقي إلى هذا في «المعرّب» وكذالك أدّي شير في «الألفاظ الفارسية المعرّبة».

١٣ ـــ وجاء في الصفحة (٢٣) في الكلام على (باز): باز . . . جنس من الصقور الصغيرة . . .

أقول: وأشهر من (الباز) البازيّ بالياء المشدّدة، وهو أفصح ، وكان ينبغي أن يشار إليه بادِئَ ذِيْ بَدْءٍ ، ثم يذكر (الباز). انظر « اللسان » وغيره. وعلى هذا يكون موضعه بعد كلمة (بازهر) في الصفحة (٢٤).

كما يشار أيضاً في آخر المادة إلى (البازيار) ولا يفرد لها موضع وحدها كما حصل.

كما كان من العلم أن يشار في مادة (بازيّ) إلى (البيزرة) وهي حرفة مَنْ يُعْنَى بتربية (البازيّ) وقد صُنِّفَتْ كتبٌ في (البيزرة) كان منها كتاب نشره (مجمع اللغة العربية) في دمشق. وهذه المادة أي (البيزرة) تذكر مع (البازيّ) حتى إذا جاءت في موضعها في (الباء والياء والزاي والراء) أشير إلى موضعها الأول فيقال: انظر: (بازيّ). غير أني لم أجد ذكراً للبيزرة في أي موضع من «المعجم»، وماكان ينبغي أن يحدث هذا.

١٤ ــ وجاء في الصفحة نفسها في الكلام على (بازلّاء): بازلّاء (بسِلّ وبِسِلّة، وبِزليا - في الشام) نبات حولي متسلِّق من الفصيلة القرنية.....

أقول: من المفيد أن أضيف شيئاً في هذه الكلمة وهو: أن الكلمة قد عرِّبَتْ منذ زمان فقيل: (فاصوليا) بالفاء مع الصاد للدلالة على ضرب آخر من هذا البقل المعروف، ثم عُرِّبَتْ ثانية (بازلاء) أو بزليا أو (بسِلًّ) للدلالةَ على ضرب آخر شبيهٍ بالأول من الفصيلة القرنية نفسها.

١٥ ــ وجاء في الصفحة (٢٦) في الكلام على (باطية): الباطية معرَّب.... إناء من زجاج أو الفخار...

أقول: و(الباطية) في العراق في عضرنا من الكلم العامي وهي للإناء من الفخّار دون غيره.

١٦ ــ وجاء في الصفحة (٢٨) في الكلام على (البالة): البالَةُ معرّب عن الفارسية بالَة (كذا) Bala : نوع من الجوال: الكيس....

أقول: قوله: عن الفارسية (بالة) (كذا بالتاء) غير صحيح، والصواب أن الأصل الفارسي (باله) فاللام مفتوحة ثم هاء، وهذه الهاء لا تُنْطق.

ثم إن قوله: نوع من الجوال غير سديد، وذلك لأن المعرَّب لا يُعرَّف بنظيره فـ (الجوال) فارسي وهو في لغة عامة المصريين ولم يُنَصَّ عليه في المعرَّبات القديمة ولذالك أيضاً قالوا في تعريبه (شوال) وكلّه عامي دارج، وكان ينبغي أن يقتصر على أنه (كيس).

وجاء أيضاً في هذه المادة: البالة عصا فيها زُجٌّ تكون مع الصيَّادين من أهل البصرة...

أقول: وهذه معرّبة أيضاً والأصل الفارسي (باله) Pàla . وقد عرَّبها أيضاً العوامّ على طريقتهم فقالوا: (فاله) بالفاء.

١٧ ــ وجاء في الصفحة (٢٩) في الكلام على (البامية): .... والثمار الخضراء تطبخ طازَجة....

أقول: والفصيح أن يوصف الجمع بـ (فُعْل) لا (فَعْلاء) وقد أكثر أهل اللغة من المحدثين الكلام في هذا فمنهم من جوّزه واجتهد فأتى بِشَيءٍ قد يكون فيه مَقْنع. أما حجة الذين منعوا أن المشهور هو (فُعْل) كقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيْبُ سُوْدٌ ﴾ ٢٧ سورة فاطر.

١٨ ــ وجاء في الصفحة (٣٠) في الكلام على (باناس): وبَانَاسُ من فروع نَهْر بَرَدى في دمشق، تسمّيه العامة البانياسي....

وأُضِيْفُ أن (بانياس) ميناءٌ سوريٌّ معروف في عصرنا هذا.

١٩ ــ وجاء في الصفحة (٣٢) في الكلام على (البُؤْبُوء): الْبُؤْبُؤُ (في العبرية Bàba بابا، وفي الآرامية اليهودية.... والسريانية: إنسان العين...

أقول: وضع المادة على هذه الصورة بتقديم الكلام على أصولها في تلك اللغات يوحي إلى القارئِ غير المتخصص أن الكلمة ليست عربية، وأنها دخيلة من تلك اللغات، وكان يجب أن يبدأ الكلام على النحور الآتي:

البُؤبُؤ: إنسان العين.... وهو في العبرية.... وفي الآرامية اليهودية.

٢٠ ــ وجاء في الصفحة (٣٤) في الكلام على (بئر): ب أ ر: في العربية الجنوبية القديمة (ب أ ر)، في الحبشيّة بِئير، في العبرية.... في السريانية... في الأكدية....

أقول هنا ما قلته في (بؤبؤ) من أن الكلمة ينبغي أن يبدأ بذكرها في العربية وما تدل عليه ثم تُشفع بما كان من أصولها في اللغات السامية في تلك الدلالة.

أما ما أثبت في «المعجم» فشيء آخر فقد ذكرت الأصول السامية ثم جاء الفعل بأر وابتأر وما يأتي منهما بمعنى الحفر والادخار، ثم البّآر أي الحفّار. وفي آخر المادة جاء (البئر). وكان ينبغي أن يبدأ به لأنه الأصل الذي أمدَّ العربيةَ بالفعل وغيره. وكنت أود أن أجد الشاهد القديم الذي وعيناه في كتب النحو في (ذو) الطائية، وهو قول الشاعر:

فَإِنَّ الْمَاءَ مَاءُ أَبِيْ وَجَدِّيْ ... وَبِئْرِي ذُوْ حَفَرْتُ وَذُوْ طَوَيْتُ

٢١ ـ وجاء في الصفحة (٣٥) الكلام على (البُؤْرَة): أقول: وقد استوفى صاحب المادة ماورد في (البؤرة) وأشار إلى البؤرة (الضوئية) Focus ولكنه لم يُشِرْ إلى استعمال (بؤرة) في لغة المعربين في عصرنا وهو اسْتعمال مجازي، فأنت تجد مثلاً فيما تنشره الصحف: (... وهو في بُؤْرَةِ الرذيلة).

٢٢ ـ وجاء في الصفحة (٣٦) في الكلام على مادة (ب أس): قال ابن فارس: (الباء والهمزة والسين أصل واحد: الشدّة وماضارعها).

أقول: كنت أودّ أن يبتعد الباحث عن هذه المقولات القديمة التي أطلقها ابن فارس على أنها مُسَلَّماتٌ، وهي ليست كما ذهب إليه. ومن هذه قوله في (ب أ س) ودلالتها على الشدة. إن (الشدّة) متحققة في (البأس)، ولكني لا أرى لها وضوحاً كافياً في (البؤس). ولا سبيل إلى ذالك إلا أن نقول: إن (البؤس) شدة ومشقة.

٢٣ ـ وجاء في الصفحة (٣٩) في الكلام على (ب أ ل): البُؤْلول: الداهية. ج بآليل. وفي «ذيل الأمالي» في أسماء الدواهي: جاءوا بالَبهالِيْلِ والبَآلِيْلِ

أقول: (البهاليل) تعني الدواهي، وهو كلام سليم ورد في كتب اللغة، فأمّا (البآليل) فهو (إتباع) لـ (بهاليل) والإتباع وسيلة لتقوية المعنى استعملها العرب بالإفادة من القرابة الصوتية، والقرابة هنا بين الهاء والهمزة. وهذا يعني أن (البآليل) وحدها لا معنى لها وإنما جيء بها بعد (البهاليل) تقوية للمعنى، وهذا نظير قولهم: (شَذَر مَذَر) و(شَغَر بَغَر) و(نصه وفصه) ومثل هذا كثير في الفصيحة والألسن الدارجة.

٢٤ ـ وجاء في الصفحة (٤٣) في الكلام على (ب ت أ): بَتَأَ بالمكانِ بَتْأً وبُتُوْءًا لغة في (بَتَا) بَتْواً.

أقول: كنت أود أن يُبْعَدَ عن «المعجم الكبير» هذه الألفاظ التي وردتْ يتيمة ليس لها قرابة ووجود، وهي تفتقر إلى شاهد قديم أو حديث. ومثل هذا كثير من الكلم زخرت به المعجمات القديمة، فكان علينا أن نبعدها من معجم تاريخي حديث، وتظل في مواضعها من المعجم القديم.

كأني أقول: إن اللغويين القدامى ارتجلوها أو خُيِّلَ إليهم أنها موجودة فوقر في أذهانهم هذا المعنى. ثم أليس لي أن أقول: إنَّ (بَتَأَ) هذا بمعنى أقام هو تصحيف (تَنَأَ) وهذا الأخير يدل على هذا المعنى كما في المعجمات، وهو مؤيد بالشواهد ؟؟!

جاء في الحديث: «مَن تَنَأَ في أرض العجم فعمل نيروزهم ومهرجانهم حُشِرَ معهم».

٢٥ ــ وجاء في الصفحة نفسها في الكلام على (أَبْنَبَم) وقد أورد له المحرّر شاهداً جاء فيه كلمة (الفسيل) فذكر المعنى وقال: الفسيل: خِلْفة النخلة.

أقول: لم يفطن المحرر إلى أن (الفسيل) جمع واحدته (فسيلة) وهي خلفة النخلة، وإلى هذا ذهب أصحاب المعجمات، وانظر «كتاب النخل»[3] لأبي حاتم.

٢٦ ــ وجاء في الصفحة (٤٦) في الكلام على (ب ت ت): بَتَّتَ بالشيء: انفرد به. يقال: أعطيته كذا فَبَتَّتُّ به. أقول: وهذا الفعل من الغرائب، والغرائب عندي ما افتقر إلى الشاهد، وقول اللغوي القديم: يقال... ليس بشيء. وعلى هذا ألم يكن من المفيد أن نبعد هذه الألفاظ؟

ومثل هذا الشيء الكثير الذي ورد في «المعجم الكبير» تأسِّياً بما ورد في المعجمات في الصفحة (٥٤).

٢٧ ــ بَتَعَ من الشيء بتوعاً: انقطع.

أقول: قالوا: (من الشيء) ليتضح معنى (الانقطاع).

٢٨ ــ وجاء في الصفحة (٥٥) في (ب ت ك): في الحبشية Bataka قطع، عبرية التَّوراة على وزن فعَّل (بتق) بمعنى قطع، في الأكدية... في العبرية الحديثة... في الآرامية...

أقول: وبعد هذه البسطة من ذكر مافي هذه اللغات لم يرد مافي العربية إلا في الآخر، وكان الأولى أن يؤتى به بادِيً ذِيْ بَدْءٍ. ومثل هذا كثير انظر (بتل) في الصفحة (٥٩).

٢٩ ـ وجاء في الصفحة (٦٥) الكلام على (ب ث ق). أقول ولم يُشِرْ صاحب المعجم ماورد من هذا الأصل في العبرية والآرامية وغيرها وهو معروف في هذه اللغات.

٣٠ ـ وجاء في الصفحة (٦٩) في الكلام على (ب ج ج): وفي خبر عثمان ـ رضي الله عنه ـ تكلّم عنده صعصعة بن صَوْحانَ. أقول: والمذكور في كتب اللغة (صُوْحان) بالضم.

٣١ ـ وجاء في الصفحة (٧٢) في (ب ج د): وبَجَدَ فلان بالمكان بُجُوداً وبَجَداً (عن كراع): أقام به وثَبَتَ فلم يبرح.

أقول: وهذا من (الغرائب) التي تفتقر إلى الشاهد. وقد أثبت المحرر: (عن كُراع). وأريد أن أقول شيئاً: لقد صَحِبْتُ المعجم القديم وأطلت النظر في مواده ومصادرها ومواردها، ووقفت على أقوال اللغويين فيها فرأَيْتُ أن كراعاً هذا ومثله اللحياني وغيرهما قليل ينفردون بالشواذ الذي لم أجد له وجهاً قوياً يعضده كما لم يرد في شاهد قديم يُعْتَدُّ به.

٣٢ ـ وجاء في الصفحة (٧٤) في (ب ج ر): ... أبجر اسم رجل، وهو أبجر بن جابر العجلي، قال أبو مُهَوِّشٍ الأَسَدِيُّ:

... ...

أقول: وكان من المفيد أن يقال أيضاً: و(بُجَيْر) على التصغير اسم رجل، وهو ابن زُهير بن أبي سُلْمَى، قال زهير:

ألا أبلغا عنّي بُجَيْرًا رِسَالَةً ... ...

أقول: و(بُجَير) تصغير الترخيم لِـ (أبجر) مثل (زُهَير) تصغير (أزهر) و(شُقَيْر) تصغير (أشقر) و(سُوَيْد) تصغير أسود.

٣٣ ـ وجاء في الصفحة (٨٦) في (ب ح ت ر): .... والبُحْتُرُ: القصير المجتمع الخَلْق والأُنثى بِتَاءٍ، والجمع البَحاتِرُ....

أقول: وفات المحرّر (البُحاتِر) مثل الحُلاَحِل للقصير الشديد القِصَر وجمعه (بَحاتِر) أيضاً.

٣٤ ــ وجاء في الصفحة (٨٨) في (ب ح ث): . . . ومباحث أَمْنِ الدولة: الجهاز الشرطي المسؤول بصفة أساسية عن حفظ الأمن السياسي. . . . والمباحث الجنائية: الجهاز الشُّرْطِـيُّ المسؤول عن منع الجريمة والكشف عنها. . .

أقول: وكان ينبغي أن ينصَّ على هذا في: أنه في جمهورية مصر العربية، وذالك لأن مصطلح (مباحث) لا يوجد في غير مصر اسماً لهذه الأجهزة الشُرَطيّة.

٣٥ ــ وجاء في الصفحة (٩٩) في (ب ح ش ل): و(بَحْشَلُ) لقب أحمد بن عبدالرحمن بن وهب بن مسلم (ت ٢٦٤هـ)(٤) محدِّث مصريٌّ.

أقول: وكان من المفيد أن يُشار إلى (بَحْشَل) صاحب كتاب «تاريخ واسط» وهو من مطبوعات العراق(٥).

٣٦ ــ وجاء في الصفحة ١٠٣ في (ب خ ت): الْبَخْتُ (في الفارسية بخت): الحظ والنصيب قال عبدالصمد بن بابَك:

. . .   .

أقول: ذكره ابن الجواليقي في «المعرَّب». وهو في عصرنا من الكلم العامي وقل أن نَجِده في الفصيحة. ثم إن المعاصرين قد أخذوا منه على (فَعيل) فقالوا: (بخيت) علماً لمذكر. وقد ذكر ابن الجواليقي: البُخْتَ أيضاً وأورد قول ابن قَيس الرُّقَيَّات يمدح مصعب بن الزبير.

٣٧ ــ وجاء في الصفحة (١٠٦) الكلام على (ب خ ث ر): بَخْثَرَ الشيءَ: بَدَّده وفرَّقه، وتَبَخْثَر الشيْءُ: تَفرَّق.

أقول: وكان من المفيد أن يشار إلى النظر إلى (بحثر) بالحاء المهملة فكلاهما بمعنى، ولعل الأولى مصحّفة عن الثانية.

٣٨ ــ وجاء في الصفحة (١١٢) في (ب خ ع): البِخَاعُ: عِرقٌ في الصُّلْب ويجري في عظم الرقبة (عن الزمخشري).

أقول: هكذا ذكر أهل اللغة أن هذه المادة عن الزمخشري. ألا يجوز أن يكون فيها تصحيف وأن الأصل (نخاع)!!

أقول هذا مع علمي بِسعة علم الإمام الزمخشري، ولكني أقف في مسألة تفرّده بذكر هذا المعنى، فأميل إلى بسط هذا الذي ذهبت إليه.

٣٩ ــ وجاء في الصفحة نفسها في (ب خ ق): بَخِقَت العين بَخَقاً: عارت أقبح العور....

أقول: ومن المفيد أن ننظر في (بحق) بالحاء في السريانية ففيها شيء من هذا.

٤٠ ــ وجاء في الصفحة (١١٣) في (ب خ ل): الْبَخَالُ: الشديد البُخل.
أقول: لم نقف على بناء (فَعال بفتح الفاء) مفيداً للمبالغة، بل الكثير في هذا هو (فُعال) بضم العين، نحو: طُوال وهُمام وشُجاع. ألا يكون (بَخال) هذا هو (بُخال) بضم الباء أو بُخّال، بالضم مع التشديد.

٤١ ــ وجاء في الصفحة (١١٤) في (ب خ ن) قول ساعِدة بن جُؤَيَّة:
ظلَّتْ صَـوَافِنَ بِالْأَرْزَانِ صَـاوِيَةً (البيت) والصـاوي هو الـذابل.

أقول: وكان ينبغي أن يشار في (صاوي) إلى (ضاوي).

٤٢ ــ وجاء في الصفحة (١١٦) في (ب د أ): الابتداء (عند النحاة) جعل الاسم أوّلاً لِيُخْبَرَ عنْهُ.

أقول: لم يثبت أحد من النحاة القدماء في حدّ الابتداء هذا الذي ذكره محرّر «المعجم الكبير» فهو قاصر، ذالك أن النحاة لم يشترطوا، في (المبتدأ) أن يكون (أوّل) فقد يؤخر مع بقاء الأولية له رتبة.

وقوله: (أولاً) منوّناً غير صحيح لمجيئه على (أفعل) وليس لقائل أن يقول: إنَّ (أوّل) اسم وليس وصفاً.

٤٣ ــ وجاء في الصفحة (١١٧) في مادة (ب د أ): الابتدائيّ: الأوّليّ...
أقول: إن ختم الاسم بـ (ياء) النسب يفيد في تحويل الاسم إلى صفة، فالابتداء هو مصدر ابتَدَأ، وهو اسم، أما (الابتدائي) فيأتي وصفاً. وعلى هذا فالاسم الصفة في الأصل مُسْتَغْنٍ عن ياء النسب، ومن هنا لا أرى وجهاً للقول: الأوّليّ

كما ورد في «المعجم»، والصواب: الأول.

غير أننا نقول: التعليم الأولي، وفي هذا النسب إفادة إلى أن (التعليم) خاص بالمرحلة الأولى فالنسبة إلى (الأوّل) هنا، مفيدة صحيحة، ولو قلنا: التعليم الأول لا يحقق المعنى المراد. ولابُدَّ من الإشارة إلى أن الصفة قد تلحقها ياء النسب للمبالغة كما ورد في الشاهد القديم:

والدَّهْرُ بِالإِنْسَانِ دَوَّارِيُّ

والأصل دوَّار، وهو صفة، وعلى هذا كان في طوقنا أن نجد السبيل إلى معرفة (الرئيسيّ).

٤٤ ــ وجاء في الصفحة (١٢٩) في (ب د د): ويقال: ذهب القومُ بَدَادِ بَدَادِ: واحداً واحداً.... وحكى اللحيانيُّ بَدادَ بَدادَ...

أقول: كنت أشرت إلى أن (اللحياني) قد تفرّد في مسائل لغوية كثيرة، وهذا الذي تفرّد به من غريب الأبنية، وقوله هذا يدخل في هذه (الغرائب).

٤٥ ــ وجاء في الصفحة (١٣٠) في (ب د د) أيضاً: والبُدُّ: العِوَض من الشيء، ويقال: لابُدَّ اليوم من عمل كذا... قال حسّان:

ونَعْلَمُ أَنَّ الْـمُلْكَ لِلّهِ وَحْـدَهُ ... وأَنَّ قَضَـاءَ الله لَابُـدَّ وَاقِـعُ

ولا يستعمل إلاّ في النفي، واستعماله في الإثبات مُوَلَّدٌ.

أقول: وقولهم: لا يستعمل إلا في النفي، واستعماله في الإثبات مولّد، مُتَّفَقٌ عليه، ولكني وجدتُ في «الأدب الكبير» لابن المقفّع قوله: ..... واجعل الخصال الثلاث بمكان لابدّ لك منه، والمال والذكر بمكان ما أنتَ واجِدٌ منه بُدًّا.

أأقول مع اللغويين القدماء: إن ابن الْـمُقَفَّع مولّد لا يُعتَدُّ به؟

٤٦ ــ وجاء في الصفحة (١٣١) الكلام على (ب د ر).

أقول: وكان من المفيد أن يُشار إلى (المبادرة) في الفصيحة المعاصرة وهي عمل شيء يُسبَقُ به في حَلِّ مشكلة أو إبداء رأيٍ جديد في الوصول إلى غاية مطلوبة.

وهذا كله ليس بعيداً مما هو مثبت في «المعجم» ولكن (المبادرة) في اللغة المعاصرة ذات خصوصية خاصة.

٤٧ ـ وجاء في الصفحة (١٣٨) في (ب د ر): البُذْرة (من الايطالية Pudra): مسحوقٌ يُذَرُّ على الجلد وغيره للزِيْنة....

أقول: وهذا معرَّب جديد، وكان ينبغي أن يُنَصَّ على أنه معرَّب مصري وذالك لأنه على غير هذه الصيغة في بلاد عربية أخرى، وذالك لأن القريبين من الفرنسية قالوا: (بُوْدْر) والقريبين من الانجليزية قالوا (بَوْدَر)، وفي كل ذالك جاء الباء بنطق (**P**).

٤٨ ـ وجاء في الصفحة (١٣٨): البَدْرُوم: بيت تحت الأرض للسكنى، أو للخزن....

أقول: كان ينبغي أن يقال: إنها معرَّبة عن الانجليزية في مصر، وربما في لبنان، وهي غير معروفة في بلاد عربية أخرى.

٤٩ ـ وإذا كان من منهج العاملين صانعي «المعجم» ذكر تراجم الرجال فأين (ابن بدرون) في مادة (بدر) من رجال الأندلس؟ ولا حجة أن يقال: اكتفى صانعوا «المعجم» بذكر المشاهير دون غيرهم، والردّ على هذا أن بين من ذكر من غير المشاهير فقد ورد مثلاً في (بَحْشل) أنه لقب أحمد بن عبدالرحمن بن وهب.... محدث مصريّ. ولم يذكر (بحشل) صاحب كتاب «تاريخ واسط» وغير هذا كثير.

وابن بدرون وهو عبدالملك بن عبدالله المتوفى سنة ٦٠٨هـ صاحب «شرح قصيدة ابن عبدون». انظر «التكملة» ٦٢٠/٢.

٥٠ ـ ثم اين (البديعي) وهو أديب من شعراء «الريحانة» وصاحب «الصبح المنبي في حيثية المتنبي» انظر «أعلام النبلاء» ٣٥٣/٦.

٥١ ـ وجاء في الصفحة (١٤٥) في (ب د ل): ويقال: تبدَّل الشيءَ من الشيء. وفي الزَّهرة: قال بعض الأعراب:

أقول: كان من المفيد أن يقال: وفي كتاب «الزهرة» لابن داوود الاصفهاني. . . . وذلك لأن ذكر «الزهرة» وحدها (مُلْبِسٌ) ولا يهتدي الدارس إلى أن «الزهرة» كتاب، وربما انصرف ذهنه إلى شيء آخر . وكان ينبغي أن يذكر في أي جزء من هذا الكتاب فهو جزءان: الأول طبع في بيروت نشره، (نيفل) من مطبوعات الجامعة الأمريكية، والثاني نشر في بغداد من مطبوعات وزارة الثقافة ونشره إبراهيم السامرائي ونوري القيسي.

ثم كيف قطع صاحبنا محرر المادة أن «الزهرة» بفتح الزاي، وهي بهذا واحدة الزهر ، والذي أدركناه من تحقيق الاسم أن الكتاب قد سمّاه صاحبه «الزُّهَرة» بضم الزاي وفتح الهاء تشبيهاً بـ (الزهرة) الكوكب المعروف. وكأنّ في التسمية إرادة التشبيه بالحسن والجمال والسطوع، ووزن (فُعَلة) يفيد هذا .

٥٢ ــ وجاء في الصفحة (١٤٨) في (ب د ل): البديل: البَدَل. . . (ج) أبدال وبُدَلاء. . . .

أقول: ومن المفيد أن أشير أن (البديل) في العربية المعاصرة قد جمع على (بدائل)، وكأنه جمع توهم وفي اللغة المعاصرة الكثيرة من هذا التجاوز . وربما لانعدم أن نجد شيئاً على فعيل وجمع على (فعائل) في عربيتنا القديمة.

٥٣ ــ وجاء في الصفحة (١٤٩) في (ب د ن): وبَدُنَ فلانٌ. . . فهو وهي بَدِيْنٌ. (ج) بُدُنٍ، قال عمر بن أبي ربيعة

ثم أَلْهُو بِنِسْوَةٍ خَفِراتٍ بُدُنِ الخَلْقِ رُدَّحٍ أَتْرَابِ

وجاء في شرح (رُدَّح): رُدَّح جمع رَداح، وهي الضخمة العجيزة.

أقول: هذا هو في شرح البيت في (بُدُنٍ) في المعجمات القديمة، غير أنك لو رجعت إلى مادة (ردح) في «اللسان» مثلاً لوجدت أن (رَداح) ورَدُوح تجمع على رُدُح (بضمتين)، فأما رُدَّح وزان سُجَّدٍ فهي جمع رادح.

وإذا كان الشاعر قد جاء بـ (رُدَّح) جمعاً لـ (رَداح) فذاكَ شيء دعا إليه الشعر ، والقياس يؤيّد أن ماورد من أبنية التكسير على (فُعَّل) يكون مفرده (فاعل) كثيرًا .

٥٤ ـ وجاء في الصفحة (١٥٨) في (ب د و): البَداة: الرأي الذي يظهر. (ج) بَدَوات. . . . وكانت العرب تمدح بهذه اللفظة، أي: هو ذُو آراءٍ تظهر له فيختار بعضاً ويسقط بعضاً، قال الراعي:

مِنْ أَمْرِ ذِيْ بَدَواتٍ مَايَزَالُ لَهُ   بَـزْلَاء يَعْيَا بِهَا الجَثَّامَـةُ اللُّبَـدُ

أقول: والبيت الشاهد لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه. وكذلك في «البيان والتبيين» ١/٣٥ وكأنّ الجاحظ ألمح إلى أن (ذو البدوات) قد تحمل على غير المعروف من معناها المشهور فلا تكون مَدْحاً، فقد أورد البيت في «كتاب البرصان والعرجان. . . .» في الصفحة (٥) ثم تكلم في الصفحة التي تليها على (استبَدَّ) وقال: ولا أعلم الموصوف بالاستبداد إلاّ مجهَّلاً مذموماً، ولا أعرف المنعوت (بالبَدَوات) إلا مُدَفَّعاً مضعوفاً.

ثم قال في الصفحة (١٠): ومتى نَقَصَتِ المعرفةُ لم تكن المُنَّةُ فاضلة، وكان الفاعل إمّا لَجوجاً مشايعاً، وإمّا ذا (بَدَوات) متلوِّناً.

أقول: وكلامه الأخير في الفرق بين التصرُّف والتَّلَوُّن، والتصرّف هو المقبول بخلاف التلوُّن.

٥٥ ـ وجاء في الصفحة (١٦٢) الكلام على (ب ذ خ):

أقول: ولم يرد في معاني (بذخ) الشائع المشهور في العربية المعاصرة وهو: أن (البَذَخ) يعني الغُلُوّ في الإنفاق في العيش، والتّنَوُّق الكثير في المطعم والمشرب والملبس والسكن. وهذه الخصوصيات الجديدة وَلَّدَتْ في جملتها معنى جديداً يحسن أن يضاف إلى المادة.

٥٦ ـ وجاء في الصفحة (١٦٧) في (ب ذر): البذور: النّمام، ومن لا يستطيع كَتْمَ سِرِّه بل يذيعُه، والجمع: بُذُر.

أقول: من المفيد أن يستشهد على (البُذُر) جمعاً وعلى معنى (البَذور) بقول علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في صفة الأولياء: ليسوا بالمذاييع البُذُرِ.

٥٧ ــ وجاء في الصفحة (١٦٨) في (ب ذ ر ر): البُذَيْرة (Ovule): بُوَيضة نباتية تتحول بعد الإخصاب إلى بَذرة.

أقول: والصواب: بُيَيْضة، وهذا معروف. ولكني واثق أن محرر المادة يعرف هذا الصواب ويتجنّبه احتجاجاً بأن البويضة مصطلح علمي قد استقر على أصوله وذهبت به كتب أهل الاختصاص كل مذهب، فليس من حيلة للعدول عنه إلى الصواب المعروف. غير أن هذا مردود غير مقبول، ذالك أن الصواب إذا ثَبَت يُكْتَبُ له الشيوع شيئاً فشيئاً، أذكر من ذالك أن أهل العلم استعملوا مصطلح (الحُجَيْرة) لما يُدْعَى الآن (خَلِيّة) وشاعت (الحجيرة) وثبتت في المصنّفات، ولكن سُرْعان ما انتشرت (الخليّة) وذاعت وحلت محل (الحجيرة) فذهبت هذه إلى غير رجعة. ولدي الكثير من الأمثلة على هذا المنحى. ثم إن «المعجم الكبير» ينبغي ألا يترخَّص في إثبات الغلط بحجة الشيوع والغَلَبة.

٥٨ ــ وجاء في الصفحة (١٧٠) في (ب ذ ل): .... وفي «المحاسن والأضداد» المنسوب إلى الجاحظ: أنشد الطائي:

إنّي امْرُؤٌ مِنّي الْوَفاءُ خَلِيْقَةٌ وفَعَالُ كُلِّ مُهذَّبٍ بَذَّالِ

أقول: إن شهرة (الطائي) في الكتب القديمة تنصرف في الأغلب الأعم إلى (أبي تمّام) الشاعر المشهور. غير أن من العلم أن يُتَجنَّب في «المعجم» هذا الأسلوب من التعمية فينصّ على اسم الشاعر، ولا يُلْجأ إلى هذه (الشهرة). والذي يحفزني إلى هذا أن أبا تمام والبحتريّ كلاهما طائيّ وهما في حقبة تكاد تكون واحدة، واشتهرا بـ(الطائيّين) ولذالك جعل الآمديّ كتابه «الموازنة بين الطائيّين».

٥٩ ــ وجاء في الصفحة (١٨٤): في (ب ر ت): البِرِّيت: الدليل الماهر الحاذق.

أقول: ومن المفيد أن يشار أيضاً إلى أنه (الخِرِّيت) في وزنه ومعناه. وكان ينبغي أن يشار في موضع (البِرِّيت) إلى (البِرِّيث) بالثاء المثلثة، وليس العكس كما حصل في «المعجم».

٦٠ ـ وجاء في الصفحة (١٨٦) في (ب ر ت ك): بَرْتكان: كساء أسود (وانظر برنكان).

أقول: البرنَكان (بالنون) هو الصواب وقد أورده صاحب «المعرّب» وكذالك الخفاجي في «الشفاء» وأدّي شير في «الألفاظ الفارسية المعرَّبة». ومن يدري لعل (البرتَكان) (بالتاء) تصحيف (برنكان)!

٦١ ـ وجاء في الصفحة (١٩٣) الكلام على (بُرجوازية) (Bourgeoisie): طبقة نشأتْ في عصر النهضة الأوربية...

أقول: الشرح صحيح، ومفيد من الناحية التاريخية، ولكني أود أن أضيف شيئاً في أن المصطلح ربما عُرِف قبل عصر النهضة أو قل: كأنَّ مادته كانت معروفة قبل أن تكون دالة على (طبقة) اجتماعية. ويدلنا على هذا ماورد في كتاب «الإعتبار» لأسامة بن منقذ، وفيه أن (البرجاسية) وهما جماعة بارزة من الافرنج استولوا على كيت وكيت. وجاء فيه في الكلام على رجل: قتله برِجاسيٌّ. لقد وقف الأستاذ فيليب حتّي على هذه المادة وأشار إلى أنها تعريب الكلمة الفرنسية المشار إليها. وكنت أود أن يشار إلى جملة هذا ويذكر نص ما ورد في «الاعتبار».

٦٢ ـ وجاء في الصفحة (١٩٧) في (ب ر ح): البُرَحِين (مثلّثة الباء مفتوحة الراء): الشدائد والدواهي.

أقول: من المفيد أن يشار إلى أن هذا مما يجب أن يلحق بما جمع بالياء والنون وهما علامة ثابتة وليس لها واو ونون كما في الملحق بِجمع المذكر السالم نحو: بَنون وعالَمون وعشرون وغيرها.

٦٣ ـ وجاء في الصفحة (٢٠٤) في (ب ر د): الباردة من الغنائم: ما يستفاد من غير تعب ومشقّة.

أقول: ومثل هذا ما نجد في العامية العراقية في لغة أهل السوق: ربح بارد، أيّ ما يأتي من غير جهد.

ذكرت هذا وأشرت إلى العامية، وليس من مهمة صانعي «المعجم» الإشارة إلى الألسن الدارجة، ولكني آثرت إثباته لأقول: إن هذا المعنى مما لا نعرفه في الفصيحة المعاصرة، ولكن العامية قد احتفظت به، ومثل هذا كثير.

٦٤ ـ وجاء في الصفحة (٢٠٨) في (ب ر د ي): البَرْدِيْ: نبات مائي..... وكان ينمو في المستنقعات التي انتشرت في أرض مصر أيام الفراعنة.... ثم انتقل منها إلى بلاد الشام وجزيرة صِقِلِّية، وصنعت من سيقانه الحبال وخفاف الزوارق....

أقول: البَردي نبات مائي، وليس خاصاً بمصر وبلاد الشام، ففي جنوبي العراق مسطحات واسعة شاسعة من المياه زاخرة بالبرديّ منذ أقدم العصور، وهي ترقى إلى آلاف عدة من السنين، وهي بلاد سومر، وتدعى هذه (المسطحات) في عصرنا (الأهوار) ومفردُها (هَوْر) وقد ورد (الهور) بهذا المعنى ولموضع معين في جنوبي العراق ابتداءً من (واسط القصب) في شعر البحتري.

٦٥ ـ وجاء في الصفحة (٢٠٩) في (ب ر د): البَرّادة: إناء يُبرِّد الماء.....

أقول: وكان ينبغي أن يضاف هنا: أن (البَرّاد) أو (البرّادة) قد أطلقتا على الجهاز الجديد الكهربائي الذي يستعمل لحفظ الأطعمة والفاكهة وتبريد الماء، وقد يُسمّى في بلاد عربية أخرى: (ثلاّجة).

٦٦ ـ وجاء في الصفحة (٢١٠) في (ب ر د): .... ويقال: جعل لسانَه على فلان مِبْرَداً: إذا آذاه وأخذه بلسانه. قال حاتِمٌ الطائِـي:

أَعَـاذِلَ لَا آلُــوْكِ إلَّا خَلِيْقَتِي فَلَا تَجْعَلِيْ فَوْقِي لِسَانَـكِ مِبْرَدَا

أقول: وهذا المجاز مما لا نجده في الفصيحة المعاصرة ولكننا نجده في اللسان الدارج، ومنه يقول عامّة العراقيين: (فلان لسانه مبرد) ذمًّا له واستنكاراً.

٦٧ ـ أقول قد انتهت مادة (ب ر د) وملحقاتها: اين من الأعلام من هذه المادة: (أبو بُرْدَةَ) وهو من رجال الحديث، انظر «تهذيب التهذيب» و«الاصابة» وغيرهما.

وأين أبو بُرَيدة ؟

ولا أريد أن أستوفي ولكني اجتزئُ بنماذج لأشير أن المنهج في تحرير المعجم لم يُراعَ على نحو دقيق مفيد .

٦٨ ــ وجاء في الصفحة (٢٣٠) في (ب ر ض): بَرَضَ النّباتُ بُرُوْضاً طلع وأمكن رعيه. . . . .

أقول: ومن المفيد أن ينظر في (برص) العبرانية ففيها شيء مما يتصل بهذه المادة.

٦٩ ــ وجاء في الصفحة (٢٣٤) في (ب ر ط ل): البُرْطُلّة: كلمة آرامية مركبة من Bar (بَر) (ابن) و (Tulla) (طُلّا) (الظلّه): ابن الظلّ أي المِظلّة الصيفية.

ثم أورد: البُرْطُلّة: كلمة نبطية ؟

أقول: ذكر ابن الجواليقي في المعرّب (البُرطلة) وأشار إلى أنها سريانية من (بر) و(طلا) وذكرها أدّي شير.

وإذا قلنا أن الكلمة سريانية فهي آرامية، لأن اللغة الآرامية أطلق عليها (سريانية) في العصور المسيحية. وجاء العرب فخلطوا فاستعملوا (سريانية) ولم ترد كلمة (الآرامية) في كتبهم، كما استعملوا نبطية، وهي لدى النظر في المواد، السريانية بعينها. فإذا كان هذا الخلط مقبولاً من اللغويين الأقدمين العرب، فلا يمكن أن يُقبَل في «المعجم الكبير».

ثم كان ينبغي أن يُشار إلى أن (بُرطلّة) بليدة في شمالي العراق قرب الموصل في عصرنا هذا، وأهلها نصارى سريان على مذهب النساطرة، ولغتهم سريانية شرقية يسمونها كلدانية خطأً.

٧٠ ــ وجاء في الصفحة (٢٥٤) الكلام في (ب ر ك) وقد أخذتْ هذه المادة بضع صفحات، ولكني لم أجدها مصدّرة بشيءٍ مما ورد في اللغات السامية كالعبرانية والآرامية مثلاً .

ومن المفيد أن أشير أن (برخ) في هاتين اللغتين تقابل (برك) في العربية في إفادة الزيادة والنماء. ولابد من الإشارة في مادة (برك) في العربية إلى نظيرتها (برخ) في العبرية أيضاً..

٧١ ــ وجاء في الصفحة (٢٥٦) في (ب ر ك) أيضاً: الباروك: الكابوس، والجبان.

أقول: وكان من المفيد أن يشار إلى أن (الباروك) موضع في جبل لبنان فيه عين جارية ومياه وشجر وهو (منتجع) للاصطياف.

٧٢ ــ وجاء في الصفحة (٢٨٤) في (ب ر ي): بَرَى اسم موضع، ورد في قول تأبّط شرّاً:

ولما سَمِعتُ العُوْصَ تَرْغُو تَنَفَّرتْ   عَصَافِيْرُ رَأْسِي مِنْ بَرَى فَعُوائِنَا(٦)

وجاء في شرح البيت: تنفَّرت عصافير الرأس: كناية عن الكِبْر.

أقول: وقوله: عصافير الرأس شيء نجده في عامية أهل العراق وهم يقولون: طارت عصافير رأسي كناية عن الأشغال وشرود الذهن.

٧٣ ــ وجاء في الصفحة (٢٩٢) في (بُزُرْ جَمْهر): مؤلَّف من بُزُرك بمعنى كبير، ومِهْر بمعنى شمس، عالم كبير وَزَرَ لكسرى أنو شروان، وله ذكر في كتب التاريخ العربية، وفي «شاهنامة» الفردوسي.

أضيف: أنه ذكر غير مرة في كتاب «كليلة ودمنة».

٧٤ ــ وجاء في الصفحة (٢٩٥) في (ب ز غ): وفي خبر أنس ـ رضي الله عنه ـ: أتينا أهل خيبر حين بزقت الشمس. قال الأزهري: هكذا رُوي بالقاف. والمعروف بزغت، ولعل بزقت لغة، والغين والقاف من مخرج واحد.

أقول: لعل الأقدمين لم يسجلوا هذه الظاهرة الصوتية من الإبدال، ولعلها كانت فاشية كثيرة بدلالة مانجد في عصرنا وذالك أن جملة أهل الخليج العربي كما في الكويت والإمارات العربية وقطر وغيرها وجزءاً كبيراً من أهل جنوبي العراق

من أهل القرى، وطائفة من بدو الأقاليم الوسطى أيضاً تبدل القاف غَيْنًا وبالعكس فهم يقولون: مَقْرِب، ويريدون مغرب، ويقولون: غمار، ويريدون قمار.

٧٥ ــ وجاء في الصفحة (٢٩٧) في (ب ز ل): وبَزَل الشيْءَ: شقّهُ، وبَزَل الخمر: صفّاها، وانبَزَل الشيءُ: انشقّ. وتَبَزَّل: تشقق.

أقول: وكله لا وجود له في العربية المعاصرة، وهو معروف في الألسن الدارجة، وهذا مما يدرج به عامّة العراقيين.

٧٦ ــ وجاء في الصفحة (٣٠٦) في الكلام على (بُست) المدينة الأفغانية: وإليها ينسب جماعة من العلماء والأدباء منهم: حمد بن محمد الخطّابي البستي، أبو سليمان، صاحب «أعلام السنن» وهو شرح لسنن البخاري....

وأبو الفتح البُستي أديب شاعر...

أقول: والمنسوبون إلى بُست من الأعلام خَلق كثير وفي «يتيمة الدهر» للثعالبي ذَرْءٌ منهم.

٧٧ ــ ولم أجد في الباء والشين والألف والميم بعد ذكر البَشام (بشامة بن الغدير) من مشاهير الجاهليين، ومن شعراء «المفضليات»، وعدّه ابن سلاّم من الإسلاميين. انظر «سمط اللآلىء» ١/٣٨، ٣/٢٨.

٧٨ ــ وجاء في الصفحة (٣٤٩) في (ب ص ر): وأبصَرَ الشيء: رآه، قال كُثَيِّر:

وإنّي لأرْضَى مِنْ بُثَيْنَةَ بِالَّذي ... لَوابْصَرَهُ الْوَاشِي لقَرَّتْ بَلَابِلُهْ

أقول: والبيت لجميل، وهو في «ديوانه»، ولعل هذا من السهو.

٧٩ ــ وجاء في الصفحة (٣٦٣) في (ب ص م): بَصَمَ بَصْماً: خَتَمَ بطرف إصبعه (محدثة).

أقول: من المفيد أن يُشار إلى (وسم) بالقول: انظر (وسم)، وكأني أرى أن المحدثين ذهبوا إلى (البصم) من الأصل وهو (الوسم) للقرابة الصوتية، حتى إذا تولّد الجديد امتاز بخصوصية دلالية خاصة.

٨٠ ـ ولم أجد بعد مادة (بغش): (بَغَشور) ومنها جمهرة من العلماء المنسوبين إلى هذه المدينة المعروفين بـ (البغوي).

٨١ ـ وكنت أطمح أن أجد (باف) من أعلام البلاد وقد ذكرها ياقوت، وربما كان ذكرها ليس شيئاً مهماً ولكن المنسوبين إليها خلق كثير وعرفوا بـ (البافي) ومنهم شعراء ومحدثون وغيرهم.

٨٢ ـ أقول: وكان من المفيد أن يشار إلى (البوري) وهو الحصير المنسوج (كذا) من القصب في مادة (بارية) في أول «المعجم» حتى إذا اقتضى الأمر ذكره في (الباء والواو والراء والياء) قيل: انظر (بارية).

وليس لها من موضع مع (بوري) لجنس من السمك.

٨٣ ـ أقول وقد وجدت (الأبيضان) للماء واللبن في مادة بيض في الصفحة (٧١٨) ولكني لم أجد (الأبردان) في (برد).

٨٤ ـ ولم أجد (بُييضة) لمادة الحياة في الاناث وهي تقابل (الحَيْمِن) أي الحيوان المنويّ للذكر، في الكلام على مادة (بيض)، وقد كنت أشرت إليها في الرقم (٥٧).

خاتمـــة :

وبعد فهذه (وقفات) لم أشَأْ لنفسي أن تكون طويلة، وذالك لأني اجتزأْتُ مما وقفت عليه بهذا القدر، آمل أن أكون قد قمت بواجبي تجاه مجمعنا الموقّر في عيده المبارك .

صنعاء: الدكتور إبراهيم السامرائي

الحواشي :

(١) وكنت قد أحصيت من أولئك المنسوبين إلى (سامرّا) وأفردت لهم كتاباً وسمته بـ «أنيس السُّرى في المنسوبين إلى سامرّا».

(٢) أفردت إلى هذا البناء رسالة أتيتُ فيها على ماورد منه في السريانية والعربية.

(٣) كتاب «النخل» لأبي حاتم السجستاني طبع في (بالرم) في أواخر القرن التاسع عشر، وقد حققته على أصله المخطوط وأقمت نصه وأصلحت ماجاء في المطبوعة، وهو قيد الطبع.

(٤) الصواب (٢٦٤هـ) وأصل الخطأ من «تاج العروس» وبَحْشَلُ أيضاً لقب أسلم بن سهل الرزّاز الواسطي المتوفى سنة ٢٩٢هـ مؤلف «تاريخ واسط» الذي حققه الأستاذ كوركيس عواد.

الدرعية في أعين الشعراء

(١٢٣٣هـ - ١٨١٧م)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد فليس بغريب على أدبنا العربي شعْرُ بُكاء المدن والمنازل، وإنما هو معروف معهود[١]، ولعل الظروف السياسية، والفكرية، والبيئية[٢] التي منيت بها البلاد، قد ساعدت على نشوء هذا الغرض وتكوينه، إذ عمد أعداءُ هذه الأمة، وبعض المخذولين من أبنائها أو المنتمين إليها إلى: الدمار، والخراب، والسعي في الأرض بالفساد، مما أبكى الشعراءَ وأحْزَنَهُم، وما حالُ (الدرعية)[٣] في أواخر الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري من هذا الواقع بِبَعِيْدٍ، إذ مُنِيتْ بكيد محمد علي باشا[٤] والي مصر، وطموحه السياسي الموهوم، فلقد سيَّرَ جيشاً بقيادة ابنه إبراهيم[٥] الذي تمكن من الاستيلاء على الدرعية في اليوم الثامن من شهر ذي القعدة عام ١٢٣٣هـ/١٨١٧م[٦]، بعد مقاومة باسلةٍ، دامت نحو: (ستة أشهر وبضعة أيام)[٧]، ولم تضع الحربُ أوزارَها من بعد إلا في شعبان عام ١٢٣٤هـ[٨] معلنةً بخراب الدرعية وتدميرها، إذْ تلقى إبراهيم باشا من أبيه أمراً بذالك، حيث: (أنذر سكان المدينة بإخلائها فأُخْلِيَتْ، وطلب من جنده أن يهدموا البقية

→ (٥) حققه ونشره كوركيس عواد في بغداد مرتين.

(٦) في «ديوان تأبط شرًا» جمع على ذي الفقار شاكر - ٢١٤ -.

ولما سمعت العوص تدعو تنفرت عصافير رأسي من بَوَى فَعَوَائِنَا

وفي الحاشية: في «الأغاني»: ... عصافير رأسي من غواة فَرَاتنَا.

وفي «اللسان» عوض -: سمعت العوض... عصافير رأسي من نوى وتوانيا.

وفي «اللسان» - عون -: سمعت العوص من برى فعوائنا.

وفسر العوض والعوص كليهما بأنهما قبيلة من العرب.

وفي «اللسان» - برى -: العوص ترغو من برى فعوائنا.

برى: اسم موضع (العرب): لعل الشاعر أراد (بواء) وادٍ لايزال معروفاً - وقد قصره بعض الشعراء كما في «معجم البلدان» ويقع في أسفل سراة بجيلة (بني مالك الآن) يجتمع مع شوقب وضراء وعردة وكلها من أودية بجيلة - انظر كتاب «في سراة غامد وزهران» والشاعر قال القصيدة التي منها البيت حين أغار على العوض من بجيلة «الأغاني» ١٥٣/٢١ - طبعة الثقافة - بيروت -.

الباقية من أسوارها وأبراجها، وأن يَدُكُّوا دورها، وقصورها، وحوانِيْتَهَا، وأن يقطعوا أشجارها، ونخيلها، ففعلوا، وتفرق أهلُها في البلدان، وصارت قبل انقضاء عام على المصالحة أثراً بعد عين)[٩]، وذالك كله: (بعد حرب ضروس، استمرَّتْ قرابة عامين)[١٠]، مما أوجد عند الشعراء شُعُورًا حَزِيناً صادقاً في الحديث عن هذه الكارثة، واستطار الأمر فغشا أنحاء الجزيرة العربية، حيث بكى الشعراء واقع الدرعية، ورثوا رجالها في نتاج أدبيٍّ يكاد يكون مُمَيَّزًا نَادِرًا، وظل الألم يسري في نفوس الشعراء حتى عصرنا الحاضر[١١]، فلقد كان لسقوط الدرعية تأثيره المباشر، وغير المباشر على جميع مناطق شبه الجزيرة العربية)[١٢]، وبخاصة في ميدان الشعر، بالرغم من ضياع معظمه وفقدانه.

ولعل مما يدل على تأثر أدباء الجزيرة العربية وعلمائها بخبر سقوط الدرعية قول الحسن بن أحمد عاكش الضمدي[١٣] في معرض حديثه عن الحسن بن خالد الحازمي[١٤]، إذ قال: (وقد كان بلغ استئصال الترك للدرعية، وأسرهم لأميرها عبدالله بن سعود في جماعة من قراباته وأصحابه بعد أن حوصروا مدة، وكان المحاصر له إبراهيم باشا من تحت نظر والده محمد علي باشا صاحب مصر، وبذل مجهوده في استئصال تلك الطائفة النجدية، ولم يزل محاصرًا لهم حتى لم يبق لهم عين ولا أثر، فأصبحوا خبراً من الأخبار، بعد أن غنَّتْ بذكرهم السُّمار، ونفذت أوامرهم، في كثير من الأقطار، وبلغت (غزواتهم) أطراف العراق، وطبقوا (بالسريا) أغلب الآفاق:

تَحكمُـوا فَاسْتَطَالُـوا في تَحَكُّمِهِمْ   وَعَنْ قَرِيْبٍ كأَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَكُنِ[١٥]

فأصبحت الدرعية مأوى للبُوم، يتجاوَب فيها الصَّدَى، مؤذنة أن هذه الدنيا متى ما أضحكت في يومها أبكت غدًا، يُنْشِدهم لسانُ الحال:

كأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُوْنِ إلَى الصَّفَا   أَنِيْسٌ وَلَـمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ[١٦]

ويجيب عنهم في ذالك المقال:

بَـلَىٰ نَحْنُ كُنَّـا أَهْلَهَا فَـأَبَـادَنـا[١٧]   صُرُوْفُ اللَّيَالِي وَالْـجُدُوْدُ الْعَوَاثِرُ[١٨]

. . . وكان السيد العلامة حسن بن خالد وغيره من عقلاء الناس، يرون أن بقاءَ الدرعية في المناوأة للأتراك اشتغال لهم عن الالتفات إلى هذه البلاد، وأنه لا يردهم عن التوجه إليها بعد أن يَصْفو(١٩) لهم الجو رادٌّ ، ولقد رأيت خطا(٢٠) من السيد العلامة حسن بن خالد إلى شيخنا القاضي العلامة عبدالرحمن بن أحمد البهكلي(٢١) يعظم عليه أخذ الدرعية، ويراها براعة استهلال للبلية، بأنواع من ضروب الكلام يذيب قلب الجهاد، ويفصح له باستيلاء أيدي الأتراك بعد أخذها على هذه البلاد، والله أعلم من أين استمدَّ هذا الخاطر؟ فلعلَّهُ برؤيا مناميّة)(٢٢)، وفي مثل هذا الحال، قال ابن بشر(٢٣): (فلما كان في شعبان [سنة أربع وثلاثين بعد المئتين والألف] وقدمت الرسل والمكاتبات من محمد علي، على ابنه إبراهيم باشا، وهو في الدرعية، أمره فيها بهدم الدرعية وتدميرها، فأمر على أهلها أن يرحلوا عنها، ثم أمر على العساكر أن يهدموا دورها وقصورها وأن يقطعوا نخيلها، وأشجارها، ولا يرحموا صغيرها، ولا كبيرها، فابتدر العساكرُ إلى هدمها مسرعين، وهدموها، وبعض أهلها فيها [مقيمون]، فقطعوا الحدائق منها، وهدموا الدور والقصور ، ونفذ فيها القدر ، وأشعلوا في بيوتها النيران ، وأخرجوا جميع من كان فيها من السكان، فتركوها خالية المساكن كأن لم يكن بها من قديم ساكن، وتفرق أهلها في النواحي والبلدان)(٢٤)، (ونَعَبَتْ في خرائبها البوم والغربان)(٢٥).

ولئن أفاض المؤرخون والكتاب في ذكر أخبار الدرعية وأحداثها، وأسهبوا في وصفها، وما آلَتْ إليه من الخراب والدمار، لَيَنْقُلُنَّ لنا ذالك الواقع بأسلوب أدبي مقبول، قد يعد من أساليب التعبير المألوفة التي درج عليه المؤرخون الأدباء في مؤلفاتهم حينذاك، ويمكن القول إن عاكشا، وابن بشر عاصرا تلك الأحداث، وأدركاها، ولذلك أتت كتابتهما طويلة مسهبة لا تخلو من الألم والعبرة، ولعل شُعَراء نَجْدٍ عندئذ قد فاقوا إخوانهم في بقية بلدان الجزيرة العربية الأخرى بوفرة شعرهم وكثرته، وذلك لأنهم أكْتَوَوْا بِلَظَى الحرب وسعيرها، وشهدوا الواقع الأليم، ورأوه، مما وسم نتاجهم الأدبيَّ بصدق التجربة ووضوحها، فالحقُّ أن هذه الكارثة: (قد استفظعها الناس كلهم)(٢٦)، وأنها قد انطقت ـ كما يقول أحد

الكتاب المعاصرين - (لسان الرثاء، فأفاض يقطر دماً، ويستوقد حرارة ومرارة)[٢٧]، ومما قاله ابن بشر في معرض حديثه عن أحداث الدرعية: (وقد أرخها بعض الإخوان من أهل سُدَيْر[٢٨]، وهو محمد بن عمر الفاخري[٢٩]، فقال:

عَامٌ به النَّاسُ جَالُوا حَسْبَمَا جَالُوا ... ونَـالَ مِنَّا الأَعَادِي فِيْهِ مَـانَـالُـوا
قَـالَ الأخِـلاَّءُ أَرِّخْـهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: ... أَرِّخْتُ، قَالُوا: بِمَاذَا؟ قُلْتُ: غِرْبَالُ[٣٠]

ومهما يكن الأمر فإن من أبرز شعراء الجزيرة العربية الذين تناولوا أخبار الدرعية، وبكوها في شعرهم: أحمد بن علي بن مُشرَّف[٣١] (- ١٢٨٥هـ)، وعبدالعزيز بن حمد بن ناصر بن معمر[٣٢] (١٢٠٣ - ١٢٤٤هـ)، وعبدالرحمن بن حسن آل الشيخ[٣٣] (١١٩٣ - ١٢٨٥هـ)، وعبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ[٣٤] (١٢٢٥ - ١٢٩٣هـ)، ومحمد بن أحمد الحفظي[٣٥] (١١٧٦ - ١٢٣٧هـ) وأحمد بن علي بن أحمد بن دُعَيج[٣٦] (١١٩٠ - ١٢٦٨هـ) وغيرهم من أمثالهم، أو ممن شاركوا بشعر عاميٍّ ملحون، فالحق أن شعر أولئك وافر غير قليل[٣٧]. أما ابن مُشرَّف فله في بكاء الدرعية قصيدة يتيمة واحدة، بكى فيها سقوط هذه البلدة، وماحل بأهلها من البلاء، وطالِعُها:

أَلَيْلٌ غَشَا الدُّنْيا أَمِ الأُفْقُ مُسْوَدُّ ... أَمِ الْفِتْنَةُ الظَّلْمَاءُ قَدْ أَقْبَلَتْ تَعْدو[٣٨]

ويظهر أن هذه القصيدة قيلتْ في زمن متقدم من عمر الشاعر، إذا قال في شأنه أحد الباحثين المعاصرين: (ويبدو أنه أدرك وهو شاب كارثة الدرعية عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م لأن له شعرًا فيها)[٣٩].

ويكاد ابنُ مُعَمَّرٍ يفوق معاصريه في وفرة شعره الذي أنشأه في بكاء الدرعية، فضلاً عن وضوح تجربته وصدقها، فقد ظل يحمل هموم هذا البلاء مُذْ شَهِدَ وقوعَهُ بهذه المدينة، وحتى أدركه الموت، حيث رأى الفاجعة، ورحل مغترباً من بعدها، إذ ظل يشدُّهُ الحنين إلى وطنه، وينتابُهُ إلى ذكر إخوانه الذين فرقهم الزمان، وأخرجهم الأعداء، مما أوجد له شعراً وافِراً غير يسير، وقد وصفه ابن بشر بأنه:

(كان أديباً. . . وله أشعار رائعة لاسيما في أهل الدرعية. فإن له فيهم قصائد، منها القصيدة الطنانة التي رثاهم بها، وذكر ماجرى لهم وعليهم)[٤٠]، ومن قصيدته الطنانة[٤١] المشهورة، قوله:

إِلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ أَشْكُو تَضَرُّعاً ... وَأَدْعُوكَ فِي الضَّرَّاءِ رَبِّي لِتَسْمَعَا
وَكَمْ قَتَلُوا مِنْ عُصْبَةِ الْحَقِّ فِتْيَةً ... هُدَاةً وِضَاءً[٤٢] سَاجِدِيْنَ وَرُكَّعَا
وَكَمْ دَمَّرُوا مِنْ مَرْبَعٍ كَانَ آهِلاً ... فَقَدْ تَرَكُوْا الدَّارَ الْأَنِيْسَةَ بَلقعا
فَأَصْبَحَتِ الْأَمْوَالُ فِيْهِمْ نَهَائِباً ... وَأَصْبَحَتِ الْأَيْتَامُ غَرْثَى وَجُوَّعَا
وَفَرَّ عَنِ الْأَوْطَانِ مَنْ كَانَ قَاطِناً ... وَفُرِّقَ إِلْفٌ كَانَ مُجْتَمِعًا مَعَا
مَضَوْا وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُمْ حِيْنَ أَوْرَثُوْا ... ثَنَاءً وَذِكْراً طَيِّباً قَدْ تَضَوَّعَا
فَجَازَاهُمْ اللهُ الْكَرِيْمُ بِفَضْلِهِ ... جِنَاناً وَرِضْوَاناً مِنَ اللهِ أَرْفَعَا
فَإِنْ كَانَتِ الأَشْبَاحُ مِنَّا تَبَاعَدَتْ ... فَإِنَّ لِأَرْوَاحِ الْمُحِبِّيْنَ مُجْمَعَا
عَسَى وَعَسَى أَنْ يَنْصُرَ اللهُ دِيْنَنَا ... وَيَجْبُرَ مِنَّا كُلَّ مَا قَدْ تَصَدَّعَا
وَيَعْمُرَ لِلسَّمْحَا رُبُوعاً تَهَدَّمَتْ ... وَيَفْتَحَ سُبُلاً[٤٣] لِلهِدَايَةِ مَهْيَعَا
وَيُظْهِرَ نُورَ الْحَقِّ يَعْلُو [ضِيَاءُهُ] ... فَيُضْحِي ظَلَامُ الشِّرْكِ وَالشَّكِّ مُقْشِعَا
إِلَهِي فَحَقِّقْ ذَا الرَّجَاءَ وَكُنْ بِنَا ... رَؤُوْفاً رَحِيْماً مُسْتَجِيْباً لَنَا الدُّعَا

أَلَا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ صَبْراً فَإِنَّنِي ... أرى الصبر للمقدور خيراً وأنفعا
وَلَا تَيْأَسُوْا مِنْ كَشْفِ مانابَ إِنَّهُ ... إِذَا شَاءَ رَبِّي كَشْفَ ذَاكَ تَمَزَّعَا
وَمَا قُلْتُ ذَا أَشكُو إِلَى الْخَلْقِ نَكْبَةً ... (وَلَا جَزَعاً مِمَّا أَصَابَ فَأَفْجَعَا)
فَمَا كَانَ هذا الأَمْرُ إِلَّا بِقُدْرَةٍ ... بِهَا قَهَرَ اللهُ الْخَلَائِقَ أَجْمَعَا
وَذَالِكَ عَنْ ذَنْبٍ وَعِصْيَانِ خَالِقٍ ... أَخَذْنَا بِهِ حِيْناً فَحِيْناً لنرجعا
وَقَدْ آنَ أَنْ نَرْجُو رِضَاهُ وَعَفْوَهُ ... وأَنْ نَعْرِفَ التَّقْصِيْرَ مِنَّا فَنُقْلِعَا
فَيَا مُحْسِناً قَدْ كُنْتَ تُحْسِنُ دَائِماً ... وَيَا وَاسِعاً قَدْ كَانَ عَفْوُكَ أَوْسَعَا
نَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ سُوءِ صُنْعِنَا ... فَإِنَّ لَنَا فِي الْعَفْوِ مِنْكَ [لَمَطْمَعَا]
أَغِثْنَا أَغِثْنَا وَادْفَعِ الشِّدَّةَ الَّتِي ... أَصَابَتْ وَصَابَتْ وَاكْشِفِ الضُّرَّ وارْفَعا[٤٤]

ولم يقتصر شعر ابن مُعَمَّر على هذه القصيدة وحسب، وإنما عرف له العدد من القصائد الذاتية الأخرى التي قيلت بعد نكبة الدرعية(٤٥)، ومنها قصيدته العينية الأخرى التي: (أجاب بها الشيخ عبدالرحمن بن حسن، والمجاب في منفاه بمصر)(٤٦)، ومنها قوله:

أبَا حَسَن ذَكَّرتَنَا الْعَهْدَ والْإخَا ... وَعَصْراً مَضَى وَالشَّمْلُ بِالْخَيْرِ جَامِعُ
زَمَانَ اصْطَحَبْنَا فِي أَمَانٍ وغِبْطَةٍ ... وَلِلدِّينِ وَالدُّنْيَا لَدَيْنَا مَوَاضِعُ
بُنُوْدُ ذَوِي الْإِسْلَامِ تَخْفِقُ أَيْنَمَا ... تَوجَّهَتِ الرَّايَاتُ فَالنَّصرُ تَابِعُ
فَتمَّتْ بِهَا النِّعمَا وَحُقَّ لَنَا الْهَنَا ... وقَامَت به فيهَا لَدَيْهِ الشَّرَائِعُ
وَلَسْنَا نُبَرِّي النَّفْسَ مِنْ أمْرِ سُوئِهَا ... وَلَوْلَاهُ مَا حَلَّتْ عَلَيْنَا الْفَجَائِعُ
فَإِنْ حَالَتِ الْأَحْوَالُ عَمَّا عَهِدْتَهَا ... وَصَارَ مِنَ الْأَعْدا(٤٧) الصَّدِيْقُ الْمُشَايِعُ
وبث عنان الْخَلْقِ فِي الْأَرْضِ بَغْيُهُمْ ... وراعَتْ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِيْنَ الرَّوَائِعُ
فَصَالِحَةُ الْعُقْبَى لِكُلِّ مُوَحِّدٍ ... وَإِنْ زَعْزَعَتْهُ النَّائِبَاتُ الزَّعَازِعُ(٤٨)

ومن شعره أيضاً قصيدته اللامية التي أنشأها: (وهو في البحرين بعد نكبة الدرعية)(٤٩) ومنها قوله:

ذَكَرْتُكُمْ يا أَهْلَ وُدِّيْ وَقَدْ نَأَتْ ... بِيَ الدَّارُ لَاصَحْبٌ لَدَيَّ وَلَا أَهْلُ
إذَا مَا ذَكَرْنَا عَهْدَ أُنْسٍ فَإِنَّمَا ... يُبَادِرُنَا دَمْعٌ مِنَ الْعَيْنِ مُنْهَلُّ
وأَبْكِي عَلَى عِقْدٍ تَنَاثَرَ نَظْمُهُ ... شُيُوخٌ وإخوانٌ شبابُهُم كَهْلُ
أَقَمْنَا جَمِيعاً فِي أَمَانٍ وَغِبْطَةٍ ... وللسُّحْبِ بِالْخَيْرَاتِ مِنْ فَوْقِنَا وَبْلُ
وَقَدْ أَصْبَحَتْ قَفْراً وَأَصْبَحَ أَهْلُهَا ... وَعِقْدُهُمْ بَعْدَ التَّأَلُّفِ مُنْسَلُّ(٥٠).

ويدرك الناظر في هذا النتاج الأدبيِّ الذي حفل بهموم الشاعر وآلامه، أنه قيل بدافع ذاتيٍّ حزين، وأنه قد انتظم حياة الشاعر منذ أفجعه حادث الدرعية، مروراً بغربته، وتنقله في البلاد، لا يشدُّهُ إلى ذكرياته القديمة، وأيامه الخالية سوى هاجس الذكرى، وداعي الألم، فأتت تجاربه متفاوتة، إذ كان حينما نظم قصيدته الأولى يشهد الواقع المؤلم، والموقف الحزين، مِمَّا جعل تلك القصيدة تفوق بقية شعره، إذ تمثلت فيها لوعة الشاعر، ووضوح تجربته، على الرغم من إغفال

المصادر لمعظم أبياتها. وقد أتت القصيدتان الأُخْرَيَان أقلَّ حماسة وتجربة، ومع ذالك يمكن القول بأن هذا الشعر بعامَّةٍ يمثل مستوى الأدب حينذاك، ويظهر منزلته، وبخاصة في ميداني أسلوب التعبير، والدلالة اللغوية.

وإذا كان ابن مُعَمَّرٍ قد صدر عن تجربة شعرية صادقة، فإن بعض معاصريه الشعراء الذين سبق ذكرهم، قد تناولوا هذا الحادث الأليم بشيء من العناية والاهتمام، فأما عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ فيعتقد أن مقامه في مصر مغتربا منفيا قد أسعفه بشيء من النتاج الشعري، وبخاصة مع صديقه ابن مُعَمَّر الذي تَعَوَّدَ مكاتبه ومراسلته، فلقد أشار الأخير إلى ذالك في شعره(٥١)، إذ كان لابن الشيخ ـ كما وصفه أحد المؤرخين ـ (الباع الطويل في الأصول وفي الأدب والتاريخ والشعر)(٥٢)، وأما ابنه عبداللطيف آل الشيخ فهو: (أجود آل الشيخ شعراً)(٥٣)، وهو الذي يقول فيه عبدالله الحامد: (أما ما وصل إلى الأيدي من شعره، فأوله الرائية المشهورة التي جاوب بها عبدالعزيز بن طوق(٥٤)، ويتحدث الرجلان عن النكبات التي منيت بها الدعوة إثر سقوط الدرعية كما يعرض عبداللطيف الحالة السياسية للبلاد عرضاً لا يوجد في غير هذه القصيدة، وتتجاوز السبعين بيتاً، ومطلعها:

رسائل إِخْوَانِ الصَّفَا والْعَشَائِرِ أَتَتْكَ فَقَابِلْ بِالْمُنَى والْبَشَائِرِ(٥٥)

ومنها:

تُذَكِّرُني أَيَّامَ وَصْلٍ تَقَدَّمَتْ وَعَهْداً مَضَى لِلطَّيِّبِيْنَ الْأَكَابِرِ
لَيَالِي كَانَتْ للسُّعُوْدِ مَطَالِعاً وَطَائِرُهَا في الدَّهْرِ أَيْمَنُ طَائِرِ
وَكَانَ بها رَبْعُ الْمَسرَّةِ آهِلاً تَمَتَّعَ في رَوْضٍ مِنَ الْعِلْمِ زَاهِرِ
وَفِيْهَا الْحُماةُ النَّاصِرُوْنَ لِرَبِّهِمْ مَعَاقِلَهُمْ شُهْبُ الْقَنَا وَالْخَنَاجِرِ(٥٦)

وأما محمد بن أحمد الحفظي فقد نظم في هذا الشأن شيئاً من الشعر، ولكنه لم يظهر فيه واقع الدرعية عند نكبتها، وإنما عَدَّ سقوطها من بوادر الفتن، التي بليت بها الجزيرة العربية حينذاك، وامتحن بها الإسلام وأهله، ويتحقق هذا القول في قصيدته التي يقول في طالعها:

جَـاءَتِ السَّـاعَـةُ فِي أَشْرَاطِهَـا ... وَأَتَى مِصْدَاقُ قَوْلٍ فِي الْعَـرَب
قُمْ عَلَى سَاقِ اجْتِهَادٍ فِي الْقُرَبْ ... وَادَّكِرْ بِـ(اقْتَرَبَتْ) أَوْ بِـ(اقْتَرَبْ)
وَأَدِرْ فِـكْـرَكَ تَـنْـظُرْ عَـجَـبـاً ... إن هذا الدهر قد أبدى العجب[٥٧]

وقد قدم محمد بن إبراهيم الحفظي لهذه القصيدة في مجموعة «نفحات من عسير» بقوله بأن جدَّهُ محمد بن أحمد الحفظي قد: (قام يصور نقمة المواطنين الأحرار على حكم [الترك] الذي ثقل وطؤه على صدر الأمة العربية، وتفجرت نقمته بهذه القصيدة سنة ١٢٣٣هـ)[٥٨].

وأما أحمد بن علي بن دُعَيْج فقد نظم: (أرجوزة طويلة مدح فيها آل سعود، وذكر فيها نكبة الدرعية)[٥٩]، ولكنها لم تسلم من آثار الضعف الأسلوبي والعروضي، وقد تنبه لهذا المعنى محمد بن عثمان القاضي في كتابه: «روضة الناظرين» حينما استشهد ببعض أبياتها، إذ قال: (وتركنا معظمها لأنها غير موزونة)[٦٠]، ومنها قوله:

فَـاسْمَـعْ وَخُـذْ تَـارِيْـخَ ثَـالِـث ... من بعـد أَلْفٍ نكبـة الحـوادِث
تَتْلُو ثَـلَاثُ مـع ثـلاثـين مضت ... أتتْ عـلى نـجـد بـنـار أوقـدت
وقـبـلـه كـأنها عـروس ... والخـير في أركـانِها يَمِيْسُ
أمـيرهـا الـسـمـيدع المحـامـي ... بنـفـسـه عـن خـدمـة الإسـلام
كـم قبلهـا أبـاد ربي من أمـم ... من بعـد نـوح مثـل عـاد وإرم
مـصـير دنـيـانـا إلى الـمـحـاق ... ثـم الـبـقـا لـلواحـد الخـلاق
فـيـالهـا من بـيـضـة تـفـلقـتْ ... حـدائق بعـد الـتـفـاف قـطعـت
وطـالمـا كـانـت محـل أنس ... ورحـب سـاحـات لِهَمٍّ تُنسي[٦١]

ومما يدل على أثر تلك الفاجعة لدى شعراء هذه الجزيرة العربية عبر القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين أن شعراء زماننا المعاصرين قد بكوا هذا الواقع بمرارة، وأسى، ومنهم عبدالله بن خميس الذي يقول:

أَمَـا هٰهُنَا قَـدْ كَـانَ عِـزٌّ وَدَوْلَـةٌ ... وَمَجْدٌ يُسَامِي هَـامَـةَ النَّجْمِ فَـارِعُ
وَأَوْدَى فَـأَمَّـا سَـاكِـنُـوْهُ فَغُـوْدِرُوا ... رَمِيْمـاً لَهُمْ تَحْتَ الـتُّرَابِ مَضَـاجِعُ

وَأَمَّا الْحُصُونُ الْفَارِغَاتُ فَإِنها ... طُلُولٌ تهيجُ الذِّكْرَيَاتِ خَوَاشِعُ
تَصَابَى وَلَيْسَتْ لِلصِّبَا بِأَلِيفَةٍ ... وَتَخْضِبُ منها أَشْمَطاً فَيُمَانِعُ
وَتَرْنُو إِلَى الْمَاضِي بِعَيْنٍ أَسِيفَةٍ ... لَعَلَّ لَيَالِيْها الرِّغَابَ رَوَاجِعُ(٦٢)

ومثل قوله:

فَسَاءَ دُعَاةَ الْبَغْيِ مِنْ كُلِّ أَرْعَنٍ ... لَـهُ سَالِفٌ فِي مَرْتَعِ الظُّلْمِ أَسْوَدُ
فَجَرَّدَهَا تَنُوءُ بِالْبَغْيِ وَحْمْلَةً ... كَأَنَّ لَهَا ثَأْرًا عَلى الدين يُقْصَدُ
فَكَانَتْ لَنَا قَرْحاً أُصِبْنَا بِرُزْئِهِ ... وَلَا يَدْعَ فِيْنَا قَدْ أُصِيْبَ مُحَمَّدُ(٦٣)

ويمكن القول إن هنالك شعراً قيل في الشماتة بالدرعية حين سقوطها، حيث نظم المغرضون الأعداء هذا الشعر بروح حاقدة غالية، ولاشك أن هذا الشعر المتطرف يعود إلى أسباب: سياسية، وأخرى مذهبية دينية صرفة، لذالك عمد الباحث إلى إهماله، دون الإفادة منه، نظراً لغلبة الروح الفكرية المتحمسة على معانيه، إذ أبدى قائلوه شعوراً غريباً لم يسلم من التعصب والهوى، ومع ذالك فإنه يمكن الخروج من هذه الدراسة المختصرة الموجزة بنتائج مقبولة، لعل من أهمها أن هذا الشعر قد سجل لنا الأحداث المؤلمة التي منيت بها الدرعية عند سقوطها، وأنه قد دلل على مستوى الشعر حينذاك، وبخاصة مستواه الفني، وما انتظمه من معان مختلفة، وربما كان لضعف هذه النصوص أثر في الحكم عليها، إذ يصعب على الباحث دراسة النصوص الضعيفة وتقويمها.

الهوامش والتعليقات:

(١) تحفل مصادر الأدب العربي بالعديد من القصائد الشعرية التي قيلت في هذا الشأن، ويمكن النظر فيها، وفي المراجع الآتية: «مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني» لبكري شيخ أمين، و: «الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري» لعائض الردادي، وما قيل من شعر في بكاء الأندلس، وكذا الشعر الذي قيل في ميدان الحروب الصليبية ونحوها.

(٢) يراد بهذا القول الظروف البيئية الطبيعية التي تصيب البلاد، مثل الزلازل، والسيول ونحو ذلك.

(٣) انظر أخبارها في: «معجم اليمامة»، و«الدرعية العاصمة الأولى» لابن خميس، و«مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ» لحمد الجاسر، قال عنها ابن خميس: «تقع الدرعية.. في منتصف وادي حنيفة شمال غرب الرياض «الدرعية» ٤٦، وقال الجاسر: «الدرعية بكسر الدال المهملة وإسكان الراء بعين مهملة ساكنة فياء مثناة تحتية مشددة فهاء مدينة من مدن إمارة الرياض، فيها إمارة يتبعها عدد من القرى» «المعجم الجغرافي» ١/٤٤٥.

(٤) قال عنه الزركلي: (محمد علي باشا [١١٨٤ - ١٢٦٥هـ] بن إبراهيم أغا بن علي المعروف بمحمد علي الكبير مؤسس آخر دولة ملكية بمصر ألباني الأصل مستعرب، ولد في قولة التابعة الآن لليونان، وكانت من البلاد العثمانية، واحترف تجارة الدخان فأثرى. وكان أمياً، تعلم القراءة في الخامسة والأربعين من عمره، وقدم مصر وكيلاً لرئيس قوة من المتطوعة جهزتها قولة تتألف من ٣٠٠ رجل، نجدة لردّ غزاة الفرنسيين عن مصر، فشهد حرب أبي قير سنة (١٢١٤هـ)، وجامل المماليك فناصروه مع الألبانيين، وأتراك قولة، ومازال حتى كان والي مصر سنة (١٢٢٠هـ) في حديث طويل، فعني بتنظيم حكومتها، وقتل المماليك سنة (١٢٢٦) بوسيلة تقوم على الغدر - كما يقول صاحب المجمل في التاريخ المصري ٣٠٥ - وأنشأ السفن في النيل، وضم معظم السودان الشرقي إلى مصر، وأنشأ في الاسكندرية دار صناعة ترسانة للسفن، واضطربت الدولة العثمانية لتوسع السعوديين في دولتهم الأولى بالحجاز وغيره فانتدبته، كما انتدبت واليها ببغداد والشام لحربهم فكانت له معهم وقائع معروفة وشارك في حرب المورة، واستولى على سورية، ولم تلبث أن انتزعت منه بعد أن جعلت له الدولة العثمانية حكم مصر وراثياً سنة (١٢٥٧هـ)، وكثرت في أيامه المدارس، والمعامل في الديار المصرية، وأرسل البعثات لتلقي العلم في أوربة. وكان يحتم على من يدخل في خدمته من الإفرنج أن يتزيوا بالزي العربي المصري، ويتكلموا اللغة العربية ويؤلفوا بها أو ينقلوا كتبهم إليها، واعتزل الأمور لابنه إبراهيم باشا سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م، وأقام في قصر رأس التين بالاسكندرية مريضاً إلى أن توفي بها، ودفن بالقاهرة) «الأعلام» ٦/٢٩٨.

(٥) قال عنه الزركلي: (إبراهيم باشا بن محمد علي باشا [١٢٠٤ - ١٢٦٤هـ]: قائد، بعيد المطامح، من ولاة مصر. ولد في نصرتلي بالقرب من قولة بالروملي، وقدم مصر مع طوسون بن محمد علي سنة (١٢٢٠هـ)، فتعلم بها، وأرسله أبوه أو متبنيه محمد علي سنة ١٢٣١ بحملة إلى الحجاز ونجد، ثم جعله قائداً للحملة المصرية في حرب المورة سنة ١٢٣٩هـ، وفي سنة ١٢٤٧هـ سيره بجيش إلى سورية . . . . نزل له محمد علي عن إمارة الديارة المصرية سنة ١٢٦٤/١٨٤٨م، وورد الفرمان العثماني بتوليته، فزار الأستانة، ومرض بعد إيابه فتوفي بمصر، قبل وفاة أبيه. . .» «الأعلام» ١/٧٠.

(٦) انظر: «الأخبار النجدية» للفاخري ١٤٨، و: «محمد علي وشبه الجزيرة العربية» لعبدالرحيم عبدالرحمن ١/٢.

(٧) منير العجلاني، «عهد عبدالله بن سعود» ١٢٩.

(٨) و (٩) إبراهيم جمعة، «الأطلس التاريخي للدولة السعودية» ٩١.

(١٠) سليمان بن محمد الغنام، «قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (١٨١١ - ١٨٤٠) ٣٣.

(١١) انظر: «الدرعية العاصمة الأولى»، «معجم اليمامة» لعبدالله بن خميس.

(١٢) عبدالرحيم عبدالرحمن، كتابه السابق ١.

(١٣) قال عنه كحالة: (الحسن بن أحمد بن عبدالله بن عبدالعزيز بن الحسن بن الحسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عمر بن محمد بن يوسف الضمدي التهامي (١٢٢١ - ١٢٩٠هـ)، المعروف بعاكش: محدث، حافظ، مؤرخ، ناثر، ناظم، مشارك في أنواع من العلوم، ولد في آخر سنة ١٢٢١هـ، من مؤلفاته العديدة: روض الأذهان شرح نظم المدخل في علمي المعاني والبيان، نزهة الأبصار من السيل الجرار، الديباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السليماني، عقود الدرر في تراجم رجال القرن الثالث عشر، وحدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان العصر والدهر. «معجم المؤلفين» ٣/٢٠١، انظر: «نيل الوطر» لزبارة، و «الأعلام» للزركلي.

(١٤) قال عنه كحالة أيضاً: «الحسن بن خالد بن عزالدين بن محسن الحازمي التهامي [١١٨٨ - ١٢٣٤هـ] عالم، ناثر، ناظم، ولد في هجرة ضمد، وتوفي في ٢٣ شعبان في موضع شكر من السراة من آثاره: نشر الدرر على منظومة الشيخ محمد سعيد سفر في علم التعصب والابتداع» «معجم المؤلفين» ٣/٢٢١، انظر:

«نيل الوطر» لزبارة، و«الأعلام» للزركلي.

(١٥) لم أقف على قائله فيما بين يدي من المصادر.

(١٦) البيت لعمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمي، انظر: «السيرة» لابن هشام ١٢٠/١.

(١٧) كذا في الأصل، وفي «السيرة» لابن هشام: (فأزالنا).

(١٨) البيت لعمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي، انظر: «السيرة» لابن هشام ١٢٠/١.

(١٩) في الأصل: (يصفا)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢٠) أي: رسالة، أو كتاباً.

(٢١) قال عنه كحالة: (عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن بن علي البهكلي الضمدي [١١٨٢ - ١٢٤٨هـ] ثم الصبياني التهامي... محدث، حافظ، مؤرخ، شاعر، ولد بمدينة صبيا، وولي قضاء بيت الفقيه وتوفي في ١٨ شعبان، من مؤلفاته: تيسير اليسرى بشرح المجتبى من السنن الكبرى للنسائي في مجلدات، الثقات بمعرفة طبقات رجال الأمهات، الأفاويق بتراجم البخاري والتعاليق، ونفح العود بذكر دولة الشريف حمود، وله شعر كثير) «معجم المؤلفين» ١١٧/٥.

(٢٢) الديباج الخسرواني، ورقة ١٠٤، ١٠٥، والكاتب في هذا النص يسهل الهمز ويحذفه أحياناً، ولا يفرق بين المقصور والممدود.

(٢٣) قال عنه كحالة: (عثمان بن عبدالله بن عثمان بن حمد بن بشر الناصري، التميمي النجدي الحنبلي [... - ١٢٨٨هـ] مؤرخ، مشارك في الفلك والحساب وغيرهما من رؤساء قبيلة بني زيد في بلدة شقرا من بلاد الوشم بنجد، ولد وتعلم في شقرا، وحج، وتوفي في بلد جلال عن نحو ثمانين عاماً، من تصانيفه: عنوان المجد في تاريخ نجد، بغية المحاسب في الحساب، الإرشاد بمعرفة منازل السبعة السيارة، فهرس طبقات الحنابلة لابن رجب، ومرشد الخصائص في الطفيليين والثقلاء. «معجم المؤلفين» ٢٥٩/٦.

(٢٤) «عنوان المجد» ٤٣٤/١.

(٢٥) محمود شكري الألوسي، «تاريخ نجد» ٢٦.

(٢٦) أمين سعيد، «تاريخ الدولة السعودية» ١٢٩.

(٢٧) عبدالله بن خميس، «معجم اليمامة» ٤٢١.

(٢٨) (سُدَيْر بضم السين المهملة، وفتح الدال المهملة، وإسكان المثناة التحتية، وآخره راء: أقليم ذو قرى كثيرة فيها إمارات في منطقة إمارة الرياض): «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» للجاسر ٥٧٠/١.

(٢٩) قال عنه كحالة: (محمد بن عمر الفاخري [... - ١٢٧٦هـ] مؤرخ من أهل سدير بنجد، توفي بحرمة، له مختصر في تاريخ حوادث نجد، ووفيات رجالها على طريقة المذكرات إلى سنة وفاته. «معجم المؤلفين» ٨٨/١١.

(٣٠) كتابه السابق ٤٢٦/١، وانظر: «الأخبار النجدية» للفاخري نفسه، إذ يقول: (وكانت هذه السنة كثيرة الاضطراب والاختلاف، ونهب الأموال وسفك الدماء، وتقدم أناس، وتأخر غيرهم) ١٥٠، وهذا التاريخ ما يعرف بتاريخ الجُمَّل، إذ تساوي قيمة حروف كلمة غربال العدد ١٢٣٣، وهو تاريخ سقوط الدرعية، وذلك وفق الآتي: غ = ١٠٠٠، ر = ٢٠٠، ب = ٢، أ = ١، ل = ٣٠، والمجموع = ١٢٣٣.

(٣١) قال عنه كحالة: (أحمد بن مشرّف الأحسائي [... - ١٢٨٥هـ] شاعر، توفي بالأحساء من آثاره: ديوان شعر» «معجم المؤلفين» ٢٣/٢، وقال الزركلي: أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهيبي التميمي: فقيه مالكي، كثير النظم، سلفي العقيدة، من أهل الأحساء بنجد، تعلم ودرّس وتوفي بها، وولي قضاءها مدة، له منظومات في التوحيد، والرد على المعطلة، ومدائح جمعت في مجلد باسم ديوان ابن مشرف ط، واختصار صحيح مسلم خ. بمكتبة الرياض العلمية «الأعلام» ١٨٢/١، انظر «الأدب الحديث في نجد»

لمحمد بن سعد بن حسين ٢٣٩، و: «الشعر في الجزيرة العربية» لعبدالله الحامد ١٦٣، و: «شعراء هجر» للحلو ٩٩.

(٣٢) قال عنه الزركلي: عبدالعزيز بن حمد بن ناصر بن معمر (١٢٠٣ - ١٢٤٤هـ) من علماء نجد، ولد في الدرعية، أيام ازدهارها، وأخذ عن علمائها، وصنف منحة القريب ط في الرد على كتاب لأحد القسوس البريطانيين. وفي أيامه كانت الحرب مع إبراهيم باشا بن محمد علي، وخربت الدرعية، وتفرق رجالها، فرحل ابن معمر إلى البحرين، وتوفي بها. «الأعلام» ١٧/٤ .

(٣٣) قال عنه كحالة: (عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، فقيه حنبلي، متكلم، من أهل نجد، وهو حفيد ابن عبدالوهاب صاحب الدعوة المعروفة باسمه، تفقه بنجد، ثم بمصر، له من التصانيف، فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد، الإيمان والرد على أهل البدع، ومجموعة رسائل وفتاوى) «معجم المؤلفين» ١٣٥/٥ .

(٣٤) قال عنه كحالة: (عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب النجدي الحنبلي، فقيه، متكلم، أديب، من آل الشيخ في نجد، ولد ونشأ ببلدة الدرعية، وارتحل إلى مصر، وتوفي بالرياض في ١٤ ذي القعدة، من مؤلفاته: منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس مصباح الظلام في الرد على ابن منصور، دلائل الرسوخ في الرد على المنفوخ، وله شعر) «معجم المؤلفين» ١٠/٦ .

(٣٥) قال عنه كحالة: محمد بن أحمد بن عبدالقادر الحفظي العجيلي العسيري الرجالي: نحوي، مشارك في بعض العلوم، توفي بقرية رجال من عسير سنة ١٢٣٧هـ تقريباً له مؤلفات في النحو وغيره: «معجم المؤلفين» ٢٧٨/٨، وانظر: «الأعلام» ١٧/٦، و«نفحات من عسير» ٤٤، و«نيل الوطر» لزبارة.

(٣٦) قال عنه محمد بن عثمان بن صالح القاضي: (هو العالم الجليل والشيخ النبيل أحمد بن علي بن أحمد بن سليمان بن دعيج من آل كثير من بني لام القبيلة القحطانية ولد المترجم له في بلدة مرات من بلدان الوشم ... سنة ١١٩٠هـ فتربى على يد أبيه تربية حسنة، وحفظ القرآن على مقرىء في بلده، وشرع في طلب العلم بهمة ونشاط فقرأ على علماء الوشم، ثم رحل إلى سدير فقرأ على علمائه. وكان نبيهاً قوي الحفظ سريع الفهم فنبغ في فنون عديدة، وله الباع الواسع في الأدب والتاريخ، ويقرض الشعر... قدم نظماً في الدرر الثمين عقيدة الموحدين في الأصول، ودرس وتخرج على يديه تلامذة، ولما قتل الشيخ إبراهيم بن حسن بن مشرف سنة ١٢٣٢هـ في المعركة الواقعة في الماوية بين الإمام عبدالله بن سعود، وإبراهيم باشا، عينه جماعة مرات قاضياً لهم، وأقره تركي، ثم فيصل على ولاية قضائها. وكان مسدداً محبوباً بينهم، مستقيم الديانة، واستمر قاضياً لها حتى توفي فيها سنة ١٢٦٨هـ رحمة الله عليه): «روضة الناظرين» ٦٦/١ .

(٣٧) انظر: «معجم اليمامة» لابن خميس ٤٢٢.

(٣٨) عبدالله الحامد، كتابه السابق ١٥١.

(٣٩) المصدر نفسه ١٦٤ .

(٤٠) كتابه السابق ٦٧/٢ .

(٤١) قال عنها البسام: (ومن تلك القصائد قصيدته التي سماها علماء نجد الطنانة) «علماء نجد» ٤٤٦/٢ .

(٤٢) كذا في: (عنوان المجد) وضاة، وفي كتاب: «الشعر في الجزيرة العربية»: (وضاء) ١٥١، وهو الصواب.

(٤٣) كذا ليستقيم الوزن.

(٤٤) عثمان بن بشر، كتابه السابق ٦٧/٢، ٦٨، ٦٩ .

(٤٥) انظر: «روضة الناظرين» لابن عثمان، و: «علماء نجد» لابن بسام.

(٤٦) عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام، «علماء نجد خلال ستة قرون» ٤٤٧/٢ .

(٤٧) يلاحظ تسهيل الهمزة وحذفها في هذه الأبيات.
(٤٨) و(٤٩) عبدالله بن عبدالرحمن البسام، كتابه السابق ٢/٤٤٧ .
(٥٠) المصدر نفسه ٢/٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ويلاحظ أن الضرب في هذه القصيدة يأتي بين الصح ، والقبض، إذ تأتي الأبيات هكذا على التوالي: صحيح، مقبوض، صحيح، صحيح، مقبوض.
(٥١) مثل قوله:

أبـا حسن ذكـرتنـا العـهـد والاخـا ... وعصراً مضى والشمـل بـالخـيـر جـامـع

المصدر السابق ٢/٤٤٧ .

(٥٢) انظر: «روضة الناظرين» ١/٢٠١ .
(٥٣) عبدالله الحامد، كتابه السابق ٢١٠ .
(٥٤) قال عنه محمد بن سعد بن حسين: وعبدالعزيز بن طوق ـ على ما يبدو ـ ليس بالضعيف، إلا أنه مقل، ولم أعثر له إلا على قصيدة واحدة. كتابه السابق ٢٣ .
(٥٥) عبدالله الحامد، كتابه السابق ٢١١ .
(٥٦) المصدر نفسه ١٥٤ .
(٥٧) و(٥٨) محمد بن إبراهيم الحفظي، «نفحات من عسير» ١٠٩ .
(٦٠) المصدر نفسه ١/٦٧ .
(٦١) المصدر نفسه ١/٦٧ ، وهذه الأبيات غير موزنة.
(٦٢) «الدرعية العاصمة الأولى» ٤٣٨ .
(٦٣) المصدر نفسه ٤٤٢ .

المصادر والمراجع :

اولاً : المخطوطات:

(١) عاكش، الحسن بن أحمد. «الديباج الخسرواني بذكر أعيان المخلاف السليماني»، مخطوطة، توجد لدى حجاب بن يحيى الحازمي، ضمد، بدون رقم.

ثانيا: المطبوعات:

(١) الألوسي: محمود شكري. «تاريخ نجد»، ط ٢، مط السلفية، مصر (١٣٤٧هـ/١٩٢٨م).
(٢) البسام، عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح. «علماء نجد خلال ستة قرون» ح٢، ط ١، مط النهضة الحديثة، مكة المكرمة (١٣٩٨هـ/١٩٧٧م).
(٣) ابن بشر ، عثمان بن عبدالله. «عنوان المجد في تاريخ نجد» ح ١ و ٢، ط ٤، مط دار الهلال، الرياض مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز ٢٧ (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
(٤) الجاسر ، حمد. «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ»، ط ١، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م).
(٥) الجاسر ، حمد. «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ح ١، ط ١، مط نهضة مصر ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).
(٦) جمعة، إبراهيم. «الأطلس التاريخي للدولة السعودية» ط ١، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز ١١ (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

آداب الضيافة وحقوقها وواجباتها

عند العرب

كُلُّ أُمَّة تُحَبِّذُ عادَاتها، وتُشيد مَدْحًا بتقاليدها، وتقول عن نفسها: إنها أكرم للضيفِ من غَيْرها. وهذه القاعدة العامة لا يشذُّ عنها شعْبٌ، وتسرِي على العرب أيضًا فهم يَدَّعونَ أنهم أقْربُ للسخاءِ من غيرهم. ولعلهم على حق

(٧) الحامد، عبدالله. «الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين ١١٥٠ ـ ١٣٥٠هـ»، ط ١، مط الإشعاع، الرياض (١٤٠٢هـ/١٩٨١م).

(٨) ابن حسين، محمد بن سعد. «الأدب الحديث في نجد»، ط ١، مط الفجالة الجديدة، بدون تاريخ.

(٩) الحفظي، محمد بن إبراهيم (جامع). «نفحات من عسير»، ط ١، مط عسير، أبها، (١٣٩٣هـ/١٩٧٤م).

(١٠) الحلو، عبدالقادر محمد. «شعراء هجر»، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض (١٤٠١هـ/١٩٨١م).

(١١) ابن خميس، عبدالله. «الدرعية العاصمة الأولى»، ط ١ مط الفرزدق، الرياض (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

(١٢) ابن خميس، عبدالله. «معجم اليمامة»، ج ١، ط ١، مط الفرزدق، الرياض (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

(١٣) الزركلي، خيرالدين. «الأعلام»، ط ٦، دار العلم للملايين، بيروت (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

(١٤) زبارة، محمد بن محمد. «نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر»، ط ١، مط السلفية، مصر (١٣٥٠هـ/١٩٣١م).

(١٥) سعيد، أمين. «تاريخ الدولة السعودية من محمد بن سعود إلى عبدالرحمن الفيصل ١١٥٨ ـ ١٣٠٧هـ، وعهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل» مط دار الهلال، الرياض، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز ٩، بدون تاريخ.

(١٦) ابن صالح، محمد بن عثمان. «روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد، وحوادث السنين»، ط ١، مط الحلبي، مصر (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

(١٧) عبدالرحمن، عبدالرحيم. «محمد علي وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤ ـ ١٢٥٦هـ»، ج ٢، مط ١، نشر دار الكتاب الجامعي، مصر (١٤٠٢هـ/١٩٨١م).

(١٨) العجلاني، منير. «عهد عبدالله بن سعود، ونهاية الدولة السعودية الأولى، فترة الضياع، بدون معلومات النشر.

(١٩) الغنام، سليمان. «قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (١٨١١ ـ ١٨٤٠) في الجزيرة العربية، والسودان، واليونان، وسوريا»، ط ١، مط دار البلاد، جدة (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

(٢٠) الفاخري، محمد بن عمر. «الأخبار النجدية»، تحقيق عبدالله الشبل، مط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، منشورات الجامعة نفسها، بدون تاريخ.

(٢١) كحالة، عمر رضا. «معجم المؤلفين»، دار احياء التراث العربي، لبنان، بدون تاريخ.

(٢٢) ابن هشام، «السيرة النبوية» ح ١، مط مصطفى البابي الحلبي، مصر، (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م).

وكتبه

د. عبدالله بن محمد أبو داهش

أبها ـ كلية اللغة العربية

بادِّعائهم هذا. ونحْنُ، باعتبار البحث العلمي الصرف، نُمِيلُ إلى التَّسليم بهذا القول، ليس لأنهم أندى كفًا وأحسنُ استقبالاً، وأكثر قِرًى من غيرهم، فالضيافة تكون على حسب منزلة المضيف وسعة رزقه، وكرم نفسه، ولكن لأنَّ الضيافةَ العربية ينتج عنها حقوقٌ للضيف لا مثيل لها عند غيرهم من الأمم. ونرى أنَّ للضيافة سِمَتَيْن: الأولى منهما عامة نَجدها عند كل الشعوب، وقِوامُها حسنُ استقبال الضّيف وفقاً لعادات كل أمة وتقاليدها[1] والأخرى يمتاز بها العرب أكثر من غيرهم من البشر، إذْ تخلق علاقاتٍ خاصة بين الضيف والمضيف، غير العشرة والمودة، ونلمس ذالك خاصة عند سكان البادية، إذْ يَتَمَتَّع الضيف عندهم بحقوق فريدة لا يقرها عادة الشرع الحضري. والواقع أنَّنا إذا أردنا أنْ نَفْهم تمامًا معنى الضيافة العربية علينا أنْ نعود إلى الأعراف القبلية، سواء عند العرب القدماء، في الجاهلية وصدر الإسلام، أو عند أهل المدر اليوم، فنعلم على ضَوْءها كيف تتبدّل نوعية الضيافة، فمنْ دعوة إلى طعام، يكثر أو يَقِلُّ على حسب إمكانات رب البيت، تصبح نظاماً اجتماعياً قائماً بنفْسه، يفرض على المضيف واجباتٍ نَحْوَ ضيفه غير حسن الاستقبال والقرى، إذْ يغدو الغريب من جَرَّائِها وجهاً أعلَى شأناً من وجوه القبيلة التي تؤويه، يجب على كل فرد من أفرادها أنْ يحميه من كل غائلة.

ولا جَرَمٍ أنَّنا نَجِد عند غيرهم من الشعوب طرفاً من الحقوق التي يتمتع بها الضيف في المجتمع البدوي. ويعلمنا المؤرخ الفرنسي (فوستنتل دي كولانج) أن الطعام الذي يُعَدّ على هيكل من هياكل العبادة في المدينة الإغريقية القديمة يخلق أوَاصِرَ لا انفصام لها بين الذين يتناولون هذا الطعام، وإذا شاركهم فيه طارق غريب عن البلد فإنهُ يصبح كواحد من أفراد المجتمع الديني. إلاَّ أنَّ الضيافة العربية التقليدية تختلف عن الضيافة الإغريقية القديمة بكونها أعمّ باعتبار مبدئها وأكثر شمولاً باعتبار نتائجها، حتى أنَّ الطارق الغريب إذا تناول فقط جرعةً من الماء أو فِنْجاناً من القهوة يصبح ضيفاً بتمام معنى الكلمة، له حقوق الضيف الذي ذُبِحَتْ له الذبائح وأكل أفخم الأطعمة.

ولكن قبل أن نتناول بالبحث الضيافة من حيث ما ينتج عنها من حقوق، وفقاً

للعرف البدوي، علينا أنْ نصف أوَّلاً آدابها لنعلم كيف يستقبل العرب الضيف لأن حُسْنَ الاستقبال من القرى. ونذكر بهذه المناسبة أنَّ الرحالة الفرنسي (تاميزيه)[٢] عندما زار جدّة سنة ١٨٣٤، دخل بيت أحد الأثرياء، فأخذه العجب من الإكرام والاعتناء والحفاوة التي حظي بها، مع أنه كان شابًّا لم يتجاوز العقد الثاني من عمره، فعَبَّر عن مشاعره بكل حماسة فقال: (إن هذا الشعب - وَرَبّي - يحسن استقبال الضيف أكثر مِنّا، لأننا إذا زارنا طارق نقدم له كُرْسِيًّا أو مقعدًا ونظن أننا قمنا نَحْوه بكل ما يفرضه الأدب، والواقع أن العلاقات عندنا بين صاحب البيت والزائر فكرية مَحْضة، تَظَلُّ محصورة في نطاق الحديث، ويقوم اللّسان بكل واجبات الاستقبال، وذلك لأننا نجْهل قيمة الضيافة الماديَّة، وإذا قدَّم لنا صاحب البيت شيئاً نظن أن من حسن السلوك أنْ نرفض ما يقدمه لنا المضيف. أما في الشرق فإن رب المنزل يرى في الرفض إساءة له وإهانة).

ومع أن الزيارة التي قام بها (تاميزيه) كانت عاديةً لم يُقَدَّمْ له خلالها سوى القهوة والنَّرجيلة أو المداعة، ومع ذالك فإنها أبْقَتْ فِيْه أثراً خالداً لما صحبها من لطف ولباقة وحفاوة لا عهد له بها، لأن من واجبات الضيافة العربية أن يُحْتَفَى بالضيف ويُقدَّم له القهوة والحلوى وغير ذالك، على حسب مستوى رب البيت وأسلوب معيشته، لأن استقبال الحضري يختلف عن استقبال ساكن البادية. ويُعْلِمُنَا الرحالة (نيبور)[٣] الذي تجول في جنوبي الجزيرة العربية سنة ١٧٦٢، أنَّ من عادة أهل اليمن، إذا ما زارهم غريب، أن يقدموا له تَبْغاً وحلوى وفنجاناً من قهوة القشر، وأن من عادةبعض القرى في تهامة اليمن، أن تستقبل المسافرين، وتضيفهم خلال عدة أيام، وتقدم لهم أُسِرَّة للنوم داخل كوخ كبير وقهوة وخبزاً وحليباً وسمناً، ولا يؤخذ من المسافرين أي ثمن على هذه الضيافة. ويذكر (نيبور) أن دور الضيافة هذه لا تخلو من الزوار، إلا أن عددهم قد يزداد كثيراً لو فُتِحَتْ أمثال هذه البيوت في أوروبا، على ما يقول (نيبور).

ومن أُوْلَى قواعد الضيافة العربية أن تكون لوجه الله، ولو طالتْ عدة أيام، لا يُرجَى منها إلا حسن السمعة، بل إنَّ صاحب البيت يرى من سوء أدب الضيف أن يقدم له مكافأة أو ثمناً على ضيافته، إلاَّ أنَّ هذه الأريحيّة ليست أهـمَّ

ما في الضيافة العربية، إذْ يفوقها أَهَمِّيَّةً ما ينتج عنها من حقوق وواجبات، لأنَّ الضيافة عند العرب تخضع لتقاليد على رب البيت والضيف أن يعملا بها، ونلمسُ ذالك خاصة عند أهل الوبر، إذ جعلوا من الضيافة نظاماً خاصاً وسَنّوْا لها قواعد لا تتم إلا بها، على حسب العرف القبلي.

لقد أطْرَى الشعراءُ مدْحاً رَبَّ البيت الذي يُسرع ليغنم الضيف قبل غيره، ويحسن استقباله وقراه. والحفاوة التي يبديها المضيف للضيف هي بنظرهم أجَلُّ من كثرة الطعام واللحم والشحم. ومن أول آداب الضيافة إيقاد النيران طول الليل، ليراها المسافر من بعيد، فيعلم أن في البادية الظلماء من ينتظره ويَتَمَنّى حضوره. ومن عادات كرماء العرب ألاّ يكتفوا بإيقاد النار خارج البيوت، بل يشعلونها أيضاً على المرتفعات لتنير الصحراء كالمنارة في بحر من الرمال. وفي هذا المعنى تقول الخنساء في أخيها صخر:

كأنهُ عَلَمٌ في رَأسِه نارُ.

وعلى عكس ذالك نرى الشاعر يهجو بشدةٍ صاحب البيت الذي يواري نَارَهُ، لكي لا يراها من يبحث عن مأوى، أو يطفؤها عمداً خشية من نزول الضيف. إلاّ أن النار قد يخْبو ضوءُها إذ يغفل الخادم عن إمدادها بالحطب الجزل، فينوب عنها عندئذ نباح الكلاب، فيهتدي المستنبح بعوائها إلى البيوت، ولذا فإن الكريم يمدح الكلب الذي:

يَدُلُّ ضيفي عَلَيَّ في غَسَقِ اللَّيْـ ـلِ إذَا مَا النَّارُ نَـامَ مُوْقِـدُهَا

ويوصي به خيراً لاسيما إذا كان يحسن هو أيضاً استقبال الطارق الغريب:

يكادُ إذا ما أَبْصرَ الضَّيْفَ مُقْبِلاً يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّـهِ وَهْـوَ أَعْجَمُ

بل إن مِن الكلاب التي تتوقف عن النباح وقت وصول الضيف لكثرة الوافدين وفي هذا المعنى يقول حسان بن ثابت الأنصاري:

يُغْشَـوْنَ حَتَّى مَـا تَهِـرُّ كِـلاَبُهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الـمُقْبِلِ

ومن البديهي أنَّ حسن استقبال الضيف وإكرام مثواه من مزايا المضيف، وعليه - إذا ما سمع نباح الكلاب - أن يعمل بقول الشاعر:

فَقُمْتُ إِلَيْـهِ مُسْرِعـاً فَغَنِـمْتُـهُ مَخَافَةَ قَوْمِي أَنْ يَفُوْزُوا بِهِ قَبْلُ

ويعلمنا الرحالة السوري فتح الله الصايغ - أثناء تجوله في بادية الشام مع (لاسكاريس) عامل نابوليون - أن أهل قرية السخنة، شرقي حلب (كانوا يتقاتلون علينا حتى يضيفونا عندهم، كل واحد بدوره)[٤]. ومن عادة بدو الأردن، كما خبرْتُ ذَالك أثناء إقامتي بينهم، أن يتحاكموا إلى واحد منهم يسمونه قاضي الطبيخ، ليفصل الخلافَ الناتج عن تنازعهم على الضيافة، فيحكم أنها من حق فلان لأنه غنم الزائر قبل الجميع، أو لأنه على صلةٍ وثيقة به، أو لأنه رَحَّبَ به أكثر من غيره.

ومن آداب الضيافة ألاَّ يُسْأل الضيف عن اسمه، أو عن أسباب سفره، أو عن مدة زيارته:

فَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً ومَرْحبـاً رَشِـدْتَ وَلَمْ أَقْعُدْ إِلَيْـهِ أُسَـائِلُهْ

وإذا سأله صاحب البيت عن شيءٍ فيجب أن تبقى أسئلته محصورةً في نطاق رفاهية الضيف وراحته. وعليه أن يعجل بالطعام، فقد يكون الزائر جائعاً. ومن آداب الضيافة أيضاً أن يقوم صاحب البيت بِخِدْمَةِ ضيفه ويؤانسه، ويختار له أحسن ما في الصحن، وأن لا يشاركه في الطعام[٥]. وإذا كان الزائر عزيزاً فإن المضيف يذبح له رأساً من الغنم أو جملاً إذا كان عظيم الشأن.

وهم يفتخرون بكبر القدور التي يُعَدُّ فيها طعام الضيف، حتى أنَّ أحد الشعراء شبهها بقباب الترك ملبسة الجلال. ومن حرصهم على إكرام الضيف أَجاز العرف القبلي الأردني (الْعِداية) فيحق للمضيف أن يَعْدُوَ على غنم جاره، عند الحاجة، ويأخذ منها خروفاً لإطعام ضيفه، على أن يعلم صاحب الغنم أنه لم يأتِ غازياً بل مستقرضاً، وعليه أن يرد هذا الدين في أقرب فرصة ممكنة، فلا يسع الراعي أو المالك، والحالة هذه، أن يرد طلبه.

ومع حرص أهل الوبر على توفير اللحم للضيف، فإنهم لا يرضون بذبح ديك أو دجاجة، كما هي العادة عند القرويين، بل يعدُّون ذالك إهانة للزائر، ويفضّلون، إذا لم يتوفر لهم اللحم، تقديم الخبز والتمر والسمن على ذبح طير داجن، لأن من شرط ذبيحة الضيف إهراق الدم لكي يضع رب البيت وسمه على مطية المسافر، فيعلم الناس متى غادر الحي أنه حل ضيفاً على العشيرة الفلانية.

ولكن ليس من شروط حسن الضيافة الإكثار من اللحم والطعام، وإن كانت سعة القرى من دلائل الكرم، إنما على صاحب البيت ألّا يحبس ماله ويقدّم أحسن ما عنده ويجود على الرغم من قلة ماله. ويحدثنا فتح الله الصايغ عن امرأة عجوز دخل بيتها مع صاحبه (لاسكاريس) فذبحت لهما خروفاً لم يكن عندها غيره من المواشي. فقال لها الصايغ: (لماذا هذه الخسارة يا أماه؟) فكان جوابها عظة للسامعين: (من زار حيًّا ولم يضفه فكأنه زار ميتاً).

ومن كثرة حرص بعضهم على إكرام الضيف أتت الضيافةُ على أموالهم. وهذا شيء مشهور عند العرب القدماء. ويتحدث الرحالة (ولفيد ثيسيغر) في كتابه «رمال العرب»(٦) عن رجل عجوز تبدو عليه (إمارات الفقر حتى بالنسبة للبدو، كان كرمه الماضي سبب خراب بيته، إذ كان لا يأتي أحد إلى خيامه إلا ذبح له جملاً ليطعمه) - ص ٧٣ -.

ويكلمنا الصايغ أيضاً عن زيارته لِلدُّرَيعي بن شَعْلان أمير قبيلة الرُّوَلَةِ، فأحسن استقباله، وقدّم له حال وصوله ما تيسر من الطعام، ولم يسأله عن اسمه، إنما قال له بعد الغداء: (أيها الشاب من أين إلى أين؟) فأجابه: (من حلب إلى عند الأمير طالباً مساعدته). فقال الدُّرَيْعي: (إن حاجتك مقضية بإذن الله، ولكن العادة عندنا ألّا يتحدث الضيف عن أسباب زيارته إلا بعد أن يقضي عندنا ثلاثة أيام). ومن البديهي أن الطارق قد يرغب في السفر قبل انتهاء أيام الضيافة، وعليه أن يستأذن بالرحيل. ولكن على صاحب البيت ألَّا يكلمه عن أسباب زيارته لكي لا يتبادر إلى ذهن الغريب أنه يتمنى ذهابه. وعلى المضيف أيضاً أنْ يؤانسه ويحدثه (لأن الحديث من القرى) ويسامره إلى أن يرغب في النوم، ويكرمه حتى يترك الحيَّ حامِداً شاكراً.

لقد وصف الشعراء آداب المضيف وصفات الضيافة ولكنهم أهملوا آداب الضيف ولم يعيروها اهتمامهم، مع أنَّ شريعة الصحراء تفرض عليه واجبات أثناء زيارته وقد بسطناها في كتابنا «الحقوق في المجتمع البدوي» (بالفرنسية، باريس، ١٩٧١م). يقول العرف البدوي: إن الضيف أمِيرٌ وأسِيْرٌ وشاعر. إنه بادِئٌ بَدْءٍ أمِيْرٌ لأنَّ من واجب الحيِّ أن يكرم وفادته. ولكن لقاء هذا الإكرام على الزائر أن يكون متواضعاً يرضى شاكراً بما يُقَدَّمُ له. ونُلاحظ أنَّ فعل (أضاف) تعني الضيافة ولكن أيضاً الإضافة والزيادة. وكأني بالغريب الذي يحل ضيفاً يصبح من رجال صاحب البيت وصنائعه. والواقع أنه كالأسير يعمل بما يقول له مضيفه. وعليه أن يقنع بما يقدم له ولا يرفض الطعام وإن كرهته نفسه لأن الضيف الذي يأبى الطعام أو الشراب يكون(*) أو صاحب حاجة يريد أولاً قضاءها أو عدواً لا يريد أن يتحرم بطعام مضيفه. وفي هذا المعنى يقول القرآن الكريم في حديثه عن رسل إبراهيم: ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ ﴾ [إلى العجل الحنيذ] ﴿ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ (سورة هود). وعلى الضيف أنْ يحترم الحيَّ الذي نزل فيه، ويغضّ طرفه عن النساء، ولا يعمل أي منكر. ومتى غادر العشيرة التي أوته عليه أن يتحدث بكرم صاحب البيت، وبحسن استقباله فيصبح شاعراً بعد أن كان أميراً وأسِيراً.

أما الضيفُ الذي يُخِلُّ بآداب الضيافة ويقترفُ إثْـماً مثل السرقة أو الكذب أو النهش بأعراض الناس أو التحرش بالنساء، فإنه يُعَدّ خَسِيْساً قليل المروءَة والشرف، لأنه خرق حرمة البيت الذي أضافه. وإذا كانت جريرته من الكبائر أي من الأعمال القبيحة التي يسميها أهل اليمن (العيوب السوداء) فالعادة في الأردن أن يتناول ربُّ البيت الصحن الذي أكل فيه الضيف ويخرقه، ويرسل به إلى شيخ عشيرة مرتكب الإثم، فيعلم الناس أنه خرق حرمة الخبز والملح فيُشَهَّرَ ويُنْظر إليه باحتقار، وتُرْفض شهادته ولا يرضى به أحد جليساً أوْ أكيلاً.

وبعد أن بسطنا آداب الضيافة عند العرب نعود إلى ما قلناه في مطلع هذا البحث عن الواجبات التي تفرضها الضيافة على صاحب البيت. يقول المثل البدوي: إن للضيف أربعة وأربعين حقًّا أولها إكرام وفادته. ومتى ما حلَّ ضَيْفاً

على قوم فإنه يصبح وجهاً، بعد أن كان طارقاً غريباً، على العشيرة بِأسْرِها أنْ تَحْمِيَهُ. والسبب في ذالك أن المحيط الصحراوي حيث تَسود الفوضى غالباً ويَخْتَلُّ الأمن قد خلق عدداً من الأنظمة، من أهمها الضيافة والجوار، تجعل الضعيف في مأمَنٍ من بطش القويِّ. وإذا ما تحرَّم الضيف بطعام مضيفه أو شرابه غدَا في حِمَاه، وعلى صاحب البيت عندئذٍ أن يَرُدَّ عنه كلَّ اعتداء، ويحميه من كل ضَيْـمٍ مَا دام في محارم بيته أي داخل أطنابه، بل عليه أيضاً أن يضمن ضيفه من كل غائلة بعد سفره أيضاً، وهذا ما يسميه العرف البدوي حق الخبز والملح، يظل مرعياً يُعْمَلُ به مدة ثلاثة أيام، يستطيع الغريب خلالها أن يتَجوَّل في الأراضي التي تسيطر عليها القبيلة التي أضافته أو في أراضي حلفائها إلى أن يصل إلى أهله أو يحل ضيفاً على بيت آخر.

والواقع أن حرمة الطعام معروفة إلى يومنا هذا، وكان يعمل بها عند العرب القدماء. ويعلمنا أبو الفرج الاصفهاني، صاحب كتاب «الأغاني» أن الخليفة عبدالملك كان أهدر دم الشاعر عبدالله بن الحجاج، لأنه كان ممن خرج عليه. ثم جاءه متنكراً واحتَال حتى دخل عليه وهو يطعم النَّاس. فبعد أن أذنَ الخليفةُ بالطعام رآه لا يأكل فقال له: ما لك ياهذا لا تأكل؟ فقال: لا أسْتَحِلُّ أن آكُلَ حتى تأذن لي. قال: إني أذنْتُ للناس جميعاً. قال: لم أعلم فآكل بأمرك. قال: كُلْ. فأكل. ثم أنشده قصيدة وعرّفه بنفسه وقال: قد وطئْتُ دارك وأكلت طعامك وأنشدتك فإن قتلتني بعد ذالك فأنت وماتراه. فأمضى له الأمان(٧). ويعلمنا التاريخ أيضاً أن صلاح الدين الأيوبي لما ظفر بعدوه من الافرنج صاحب حصن الكرك لم يأذن له بشرب الماء كما أذن لبقية الأسرى من الصليبيين، لأنه إذا شرب تحت خيمته يصبح ضَيْفَهُ فلا يستطيع عندئذ أن يوقع به.

وعلى الجملة إن للضيف عند العرب عدة حقوق من أهمها (حق البيت) الذي يحميه من كل اعتداء و(حق الضيف) الذي يصون عرضه وماله و(حق الخبز والملح) الذي يجعله آمِناً بعد مغادرته البيت. وإذا اعتدى عليه أحدٌ وهو في الأراضي التي تخضع لحكم القبيلة التي أضافته فعلى صاحب البيت أو شيخ القبيلة أن يلاحق المعتدي ويسترد منه أموال الضيف، اللهم إلا إذا كان من الأعداء أو

اللصوص، فليس له عليه من سبيل. أما الضيف فمتى استرجع أمواله المنهوبة، عليه أن يُبَيِّضَ وجه المضيف، وذالك بأن يذهب إلى ثلاثة بيوت من العرب حاملاً راية بيضاء وينادي فيها: (بيّض الله وجه فلان فقد ردّ مالي وحفظ حقي).

إن الحديث عن الضيافة العربية شَيِّقٌ جذّابٌ، إلا أن هذه الضيافة التقليدية يكاد لا يعمل بها اليوم. ولا شك أن ساكن المدن أو القرى إذا ما استقبل الضيف يقدم له الأطعمة والأشربة ويوفر له أسباب الراحة، لكنه لا يستطيع أن يتولى حمايته لأن على السلطة الحاكمة أن تحفظ أفراد الرعية والغرباء من كل اعتداء. أما في البادية، فإن حكم مشايخ القبائل آخذ بالزوال أيضاً. فالقوات الآلية قد غلبت الصحراء ودوَّختها، ودانت البادية لحكم السلطة الشرعية، وهيهات أَنْ يَجْرُؤَ أَحَدٌ على الخروج على السلطان مدعياً بأن (قومه من تميم، وأن الفلاة وراءه تَحْميه) لأن يد الحاكم طويلة تنال المخالف ولو اعتصم بالدَّهْنَاء، أو بصحراء الربع الخالي. وأذكرُ أني كنت أسأل أحَدَ قضاة البادية، في حضرموت سنة ١٩٨١م عن مهام وظيفته وتطبيق أحكامها، فقال لي: (إنَّ القضاء القبلي قد ذهبتْ أيامه وأصبح أثراً بعد عين، ولو أردتُ اليوم أن أعمل بشريعة الصحراء لَزَجَّني الحكام بالسجن).

إن الضيافة العربية التقليدية قد خلقتها الصحراءُ وسَنّتْ شرائعها لتجعل المسافر آمِناً من العطش والجوع، وسطوة القويّ على الضعيف. وقد أُخَذَت اليوم بالزوال، إذ حلَّتْ السيارة والطائرة محل الناقة والهجين. وأصبح الطارق الغريب في حفظ الله ثم السلطان يجد في الفنادق منازل يستعيض بها عن بيوت الشعر. ولكن هيهات أن يجد بديلاً عن بشاشة وجه المضيف وحديثه ومؤانسته، فلا يسأله عن اسمه وجواز سفره ومدة إقامته، إنما يرحب به ويكرمه ويحسن مثواه، ويعمل بقول عروة بن الورد العبسي:

سَلِي الطَّارِقَ الْمُعْتَرَّ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... إِذَا مَا أَتَانِـي بَيْنَ قِدْرِيْ وَمَجْزَرِي
أَيُسْفِرُ وَجْهِـي إِنَّهُ أَوَّلُ الْقِـرَى ... وَأَبْذِلُ مَعْرُوْفِـي لَهُ دُوْنَ مُنْكَرِي

ولئنْ دَخَلَتْ شرائع الضيافة العربية التقليدية في خبايا النسيان، فإن العربي لازال يحتفظ بآدابها ويعمل بها ويكرم الضيف. وهي بنظره بمثابة بياض الوجه ونقاء العرض، لم تنلْ منها الأوضاع الاجتماعية الجديدة.

باريس　　　د. يوسف شُلْحُدْ

الهوامش:

(١) من عادة بعض القبائل اليمنية في مأرب إذا أرادتْ أن تستقبل الضيوف الوافدين عليها أحسن استقبال أن تطلق الرصاص ابتهاجاً ليس في الفضاء ولكن فوق رؤوس الضيوف.

(٢) صحب (موريس تاميزيه) الحملة المصرية التركية على بلاد عسير سنة ١٨٣٤، مع البعثة الطبية الأروبية. وقد أتينا على وصف هذه الرحلة في مجلة العرب (ج ٧، ٨ ص ٤٥٠ - ٤٦٢، وج ٩، ١٠، ص ٦٥٥ - ٦٧٤، س ٢٤، الرياض ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م).

(٣) طالت رحلة (نيبور) إلى الشرق أكثر من ست سنوات ووصف مشاهداته في كتابين ضخمين، كل واحد منهما في جزءين، عنوان الأول منهما: «رحلة الجزيرة العربية وما حولها من البلدان» والثاني: «صفة الجزيرة العربية». ومن المؤسف أنهما إلى اليوم لم يترجما إلى اللغة العربية على غزارة مادتهما. ولقد قام صديقنا الأستاذ محمد الرغْدي بترجمة كتاب عنوانه «من كوبنهاج إلى صنعاء» جاء فيه وصف للمشقات التي عاناها (نيبور) وأصحابه إذ توفي جميعهم في السنة الأولى من الرحلة. أما (نيبور) فإنه تابع سفره في الشرق حتى سنة ١٧٧٦ وقام بعمل جبّار يُعَدُّ من الذخائر العلمية. وقد تُرْجم إلى عدد من اللغات منها الفرنسية والانجليزية. وحبذا لو ساعدت السلطات السعودية على ترجمة هذا الذخر إلى العربية.

(٤) أتينا على وصف رحلة فتح الله الصايغ الحلبي في مجلة «العرب» (ج ١١، ١٢ ص ٧٧٥ - ٧٩٨، الرياض، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، وأيضاً ج ١، ٢ سنة ٢٤، الرياض ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م). وقد أعددنا مذكرات الصايغ للطبع وستنشر عما قريب باللغة الفرنسية إن شاء الله، أما الطبعة العربية فقد أصدرتها مؤخراً دار طلاس، دمشق، سنة ١٩٩١م.

(٥) يذكر (تاميزيه) أن البعثة الطبية الأروبية كانت في ضيافة أحد تجار الاسكندرية. فقام رب البيت باستقبالها والترحيب بها وخِدْمتها، ولكنه لم يشاركها في الطعام، فتَسَاءل (تاميزيه) عن أسباب ذالك، أهو تعصب من المضيف أو تواضع؟ جاهلاً أن من آداب الضيافة العربية أن يظل رب البيت في خدمة ضيوفه لا يلهيه عنهم شيء.

(٦) جاء في مجلة «الحرس الوطني» عرض لهذا الكتاب القيم (السنة العاشرة، عدد ٨٥، ربيع الأول ١٤١٠هـ ص ١٢٤ - ١٢٩). وختم الناقد بحثه قائلاً: (إنَّ الكتاب جدير أن يترجم إلى لغتنا العربية)، والواقع أنه عُرِّب منذ نحو ثلاثين سنة بقلم نجدة هاجر وإبراهيم عبدالستار وطُبِعَ في بيروت سنة ١٩٦١م، من منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر.

(*) العرب: يظهر أن قلم الكاتب الكريم زَلَّ عن كلماتٍ بها ترتبط العبارة.

(٧) أبو الفرج الأصفهاني، كتاب «الأغاني» ج ١٢، أخبار الشاعر عبدالله بن الحجاج، ص ٤٨ وما بعدها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٦م.

أضواء على عادات عربية قديمة

عرضنا في مقال سابق(*) لبعض العادات العربية القديمة في محاولة للكشف عن بعض ما يكتنفها من غموض. ونعرض فيما يلي لبعض عادات أخرى بغية إلقاء مزيد من الضوء عليها، من خلال المعلومات المتاحة عن القبائل المعاصرة، عربيةً كانت أم غير عربية.

اولاً ــ حداد الأرملة: جاء في «صحيح مسلم» ـ ج ١٠/١١٤ ـ أن المرأة كانت إذا تُوفي عنها زوجها دَخَلت حِفْشاً ولبست شرَّ ثيابها، ولم تَمَسَّ طيباً ولا شيئاً حتى تَمُرَّ بها سنة. ثم تُؤْتَى بدابة حمار أو شاةٍ أو طيرٍ فتفتضُّ به، فقلما تفتضُّ بشيء إلا مات، ثم تخرج فتُعْطى بَعْرة فتَرْمِي بها، ثم تُراجع ما أَحَبَّتْ من طيب أو غيره)[1].

وقال ابن قتيبة في «غريب الحديث» ـ ج ٢ / ٤٩٦ ـ: أنه سأل أحد الحجازيين عن ذلك الافتضاض كيف هو؟ فذكر أن المعتَدة كانت لا تَغْتَسل ولا تَمسّ ماءا ولا تُقَلِّم ظُفْرًا ولا تَسْتَاك ولا تَنْتِف من وجهها شعرًا، ثم تخرج بعد الحوْل بأقبح منظر، ثم تفْتَضّ بطائرٍ تمْسح بِهِ قبلها وتَنْبِذُه، فلا يكاد يعيش)[2].

فالأرملة إذنْ كانت ملزمةً بالحياة في عزلة بعيدةً، عن كل مظاهر التزيّن والتجمل لمدة عام كامل قبل السماح لها باستئناف حياتها العادية، والدخول في رابطة زوجية جديدة. ويثور التساؤل هنا عن السبب في إلزام الأرملة الانتظار مدة سنة كاملة.

قد يقال: إن السبب في ذالك هو الرغبة في التّأكد من خلوِّ رحم الأرملة من الولد، تجنباً لاختلاط الأنساب. لكن يُرَدُّ على هذا القول أولاً بأن العرب قبل الإسلام لم يكونوا ـ في معظمهم ـ يَعْتَدُّوْنَ كثيراً بالأبويَّة الصُّلْبية أو (البيولوجية) بدليل ممارستهم عادة الاستبضاع، وجهلهم عدة الطلاق. ثم إن التأكد من خلو رحم الأرملة ليس في حاجة إلى كل هذه المدة الطويلة.

وقد يقال: إن إلزام الأرملة بالانتظار هذه الفترة الطويلة هو نوع من التعبير عن حُزنها على زوجها الميت وهو من قبيل الوفاء بحق الزوج. لكن يُرد على ذالك بأن المرأة تُعَدُّ - في ظل القيم القبلية - أوثق صلة بأقاربها الأقربين منْها بزوجها. ولما كان الحداد في المجتمعات القبلية يُعد تعبيرًا عن مدى حزن الأقارب على قريبهم الميت، فإن مدته تتفاوت طولاً وقصراً، تبعاً لقرب القرابة أو بعدها. ولم يرد من الأخبار ما يفيد أن العرب كانوا يفرضون هذا النوع من الحداد على المرأة، حتى في حالة موت أقرب أقاربها.

فلا بُدَّ إذن من سبب آخر للحِداد الذي كان مفروضاً على الأرملة قبل الإسلام، فما هو السبب يا ترى؟

في تصَوُّرنا أن هذا السبب يَكْمُنُ في اعتقاد العرب إذ ذاك، شأنهم في هذا شأن غيرهم من المجتمعات القبلية، أنَّ للموتِ نَجاسة مؤذية، وأن هذه النجاسة تنتقل إلى كل من لامس جسد الميت. ولما كان زوج الميت أشد الناس اتّصالاً به وأقربهم ملامسة له، فهي أكثرهم نصيباً من نجاسة الموت وأشدهم خطراً على الأحياء. ولهذا فرضوا عليها الحياة في عُزْلة، واقْتَضَوْا أن تستَمِرَّ عزلتُها مدة سنة كاملة اعتقاداً منهم بأنه بعد مضي هذه السنة تكون النجاسة قد ضَعُفَتْ، ومن ثَـمَّ لا تعود الأرملة تشكل مصدر خطر لمن يتَّصِل بها عن قرب أو لمن يعاشرها.

ومن الشواهد على أن العرب كانوا - قبل الإسلام - يعتقدون نَجَاسة الموت نَجاسةً مؤذية ما رُوِيَ من أن أبناء قبيلة (الرولة) المعاصرة كانوا يحرصون حرصاً بالغاً على عدم لمس جثة الميت، وكانوا يستأجرون بعض الفلاَّحين للقيام بِدفن الجثة(٣). فمن الواضح أن هذا الاعتقاد ليس أمْرًا مُسْتَحْدَثًا، ولابد أن جذوره تَمْتَدُّ إلى ما قبل الإسلام.

وهناك من الشواهد ما يدل على أن العرب كانوا يَعُدُّون الأرملة خَطرًا على كل من يتصل بها عن قرب قبل أن تنقضي مدة السنة التي كان يفترض أنها كافية لاستبعاد هذا الخطر. ونسوق فيما يلي هذه الشواهد:

١ ــ جاء في «صحيح مسلم» في نهاية الخبر الخاصّ بحِداد الأرملة: (أن المرأة كانت تُؤتَى ـ بعد انقضاء مدة السنة ـ بِدابَّةٍ، حمار أو شاة أو طير، فَتفتَضّ به، فقلما تفتض بشيء إلا مات). كذالك جاء في خبر ابن قُتَيْبة عن أحد الحجازيين (أن المرأة كانت بعد الحول تخرج بأقبح منْظر، ثم تفتض بطائر تمسح به قُبُلَها وتنبذه، فلا يكاد يعيش).

فما السبب في موت الطائر أو الحيوان الذي تفتض به ـ تمسح به جلدها أو قُبُلها ـ الأرملة بعد انقضاء مدة السنة؟

ليس من تفسير لموت الطائر أو الحيوان، في تصورنا، سوى اعتقاد العرب أن هذا الطائر أو الحيوان تنتقل إليه ـ بمُلامسته جلدَ الأرملة ـ البقية الباقية فيها من نجاسة الموت القاتلة. وإذا كان لمس جلد الأرملة يُفْضي إلى موت الطائر أو الحيوان حتى بعد انقضاء الحول، فما بالنا بمعاشرة رجل أرملةً قبل انقضاء هذه المدة؟ لاشك أن مثل هذا الرجل كان ـ في اعتقاد العرب إذ ذاك ـ يعرض نفسه لموت مؤكد ووشيك.

٢ ــ لازال العرف، لدى بعض القبائل العربية المعاصرة، يحمل أثراً لهذا المعتقد العربي القديم يَتَمَثَّلُ في اعتبار الأرملة مصدر خطر لزوجها وغيره حتى بعد انقضاء عدتها الإسلامية وزواجها. يصف بوركاردت (١٨٣١م) ما كانت تجري به عادة بعض قبائل سيناء. في هذا الخصوص بقوله: (إن الأعراب ينظرون إلى كل ما يتعلق بزواج الأرملة نظرة تشاؤم، ويعتبرون أنه من غير اللائق لكرام الرجال وأشرافهم المشاركة فيه. ويمتنع الزوج لمدة ثلاثين يوماً عن أكل أي شيء من مؤونة زوجته، بل إنه يمتنع ـ حين تَنَاوُلِ وجباته ـ عن استعمال أية آنية من أوانيها. وخلال هذه الفترة توصم الأرملة نفسها وكل شيءٍ يخصها بأنه (قِران). ويعتقد الأعراب أن أية مخالفة لهذا العُرْف سوف يؤدي ـ لا محالة ـ إلى الهلاك. وعندما يدعو الزوج بعض الأعراب إلى تناول القهوة، يأتي كل منهم ومعه[٤] فنجانه الخاص، لكي يتجنب الشرب من فنجان يخص الأرملة، حديثة الزواج.

٣ ــ يجرى العرف، لدى بعض القبائل غير العربية المعاصرة، بإلزام الأرملة

الانتظار مدة معينة، في الغالب مدة سنة، قبل السماح لها بالزواج ثانية ويسود الاعتقاد، لدى هذه القبائل، بأن الرجل الذي يتصل بالأرملة أثناء هذه الفترة سوف يلقى حتفه.

فلدى قبيلة الكونكمبا (في غانة) تُرَاعِي أُرْملةُ الميت فترة حداد لمدة سنة. وخلال هذه الفترة تضع الأرملة رباطاً أبيض حول رقبتها يكون علامة على تَرمُّلها. ويسود الاعتقاد بأن أي رجل يتّصل جِنْسيًّا بامرأة تحمل مثل هذا الرباط الأبيض، سوف يموت. ومن ثم فإن الأرملة تمتنع عن كل اتصال جنسي، مابعد أداء الشعيرة الجنازيّة الأخيرة[٥].

بل إن العرف، لدى بعض القبائل يسوي بين الأرمل والأرملة من حيث ضرورة الانتظار فترة مُعيَّنة قبل السماح له بالزواج ثانية.

فلدى الهوتنتوت (في جنوب غرب افريقية) لم يكن العرف يسمح، في حالة وفاة أحد الزوجين، للزوج الباقي على قيد الحياة سواء كان الرجل أم المرأة، بالزواج ثانية قبل مضي سنة كاملة على وفاة زوجه. وعند الزواج الجديد، وسواء تزوجت الأرملة من شاب أم تزوج الأرمل من شابة أم حتى تزوج أرمل من أرملة، كان من اللازم اتخاذ احتياطات شعائريّة عديدة وأداء طقوس دقيقة[٦].

ثانياً ـ عدة الطلاق: رُوى محمد بن حبيب «المحبر» ـ ص ٣٣٨ ـ أن من سُنن العرب قبل الإسلام أنه (لم يكن للنساء عِدّة يعْتَدُّونها عند الطلاق. . وقد وَلَد منهن عِدَّة على فراش أزواجهن من أزواجهن السابقين).

وكانت المرأة المطلقة تتزوج في الجاهلية فإن كانت حاملاً عُدَّ حملها مولوداً من زوجها الجديد، ويكون الزوج عندئذ والداً شرعياً له، ولو كانت الأم تعرف أن حملها هو من بعلها الأول[٧].

وفي الأزمنة الحديثة كان تجاهل عدة الطلاق أمراً مألوفاً لدى القبائل العربية لاسيما البدوية منها.

يقول العبادي (١٩٧٤م) مثلاً عن قبائل شرق الأردن: إن عدة الطلاق

لا تراعى عند الأعراب من البدو (فقد يتزوج أحدهم مطلقة وهي في بداية حملها من الزوج الأول، فإذا كان المولود على دم الأول كان له وإلا فهو للثاني)[٨].

ويصف موسيل (١٩٢٩) عادة الزُّوَلَة في هذا الخصوص بقوله: (إن المرأة المطلقة الحامل يمكنها الزواج في الحال إذا كان الحمل في مراحله الأخيرة، أما إذا كان حملها غير ظاهر فعليها الانتظار لمدة ستة شهور على الأقل. وبمجرد أن يتبين حملها من زوجها الأول أو عدم حملها يمكنها أن تصير زوجة لآخر)[٩].

ويقول البلادي (١٩٧٦م) عن قبائل الحجاز إن (بعض نساء البادية كن يتزوجن بعد الطلاق قبل اكتمال العدة، ودون أن يلاحظ الآخرون بوادِر الحمل عليها. وقد تلِد بعد زواجها الثاني بمدة سبعة أشهر أو أقل أو أكثر فينشب النزاع بين الزوجين على بُنُوَّةِ المولود فيحتكمان إلى القاضي، فيُحْضِرُ المرأة، فيجعلها تضع يدها على رأس مولودها وتقسم اليمين أنه ابن فلان ـ أحد الزوجين ـ. فحينئذ يكون قولها فصلاً)[١٠].

وعدم إلزام العرب، قبل الإسلام، المرأة المطلقة الانتظار فترة معينة قبل السماح لها بالزواج ثانية يتفق والعرف السائد لدى القبائل غير العربية المعاصرة في جهات متفرقة من العالم.

وقد نتساءل عن السبب في عدم إلزام المرأة في المجتمعات القبلية، التي تعيش في ظل ظروفها الأصلية، بعدّة طلاق. وللإجابة على هذا التّساؤل تنبغي التفرقة بين المجتمعات القبلية التي تَعْتَدُّ بالقرابة من جهة الأم، وتلك التي تعتدُّ بِالقرابة من جهة الأب، كأساس لتكوين وحدات القَبيلة.

فلدى القبائل الأمية يرجع عدم إلزام المرأة بعدة طلاق إلى أن العبرة فيها هي بانتماء الأولاد إلى امرأة معيّنة لا إلى رجل مُعَيَّن. فالذي يُنْشِئُ القرابة، في هذه القبائل هي صلة الولد بأمه وليستْ صلتُه بأبيه. فأولاد المرأة، أيًّا كان آباؤُهم وأيا كانتْ ظروف إنْجابهم، ينتمون إلى جماعَتِها. فليس ثمةَ مجال هنا للحديث عن اختلاط الأنساب، وليس ثمة مايدعو إلى إلزام المطلقة بالانتظار مدة معينة.

ولدى القبائل الأبوية يرجع عدم إلزام المرأة بعدَّة طلاقٍ إلى أن البُنُوَّةَ والأُبُوَّة فيها ترتبطانِ ارتباطاً وثيقاً بنظام المهر . والقاعدة لدى هذه القبائل، هي أن المهر هو الذي يؤسس حق الرجل في أولاد المرأة.

ولهذا يجري العرف، لدى كثير من هذه القبائل، بأن الرجل إذا طلب ـ عند طلاقه زوجته ـ ردَّ المهر كان عليه أن يتخلّى عن الأولاد لأهل الزوجة. ولهذا أيضاً يجري العرفُ، في بعض القبائل، باحتساب مقدار المهر المطلوب رده عند الطلاق في ضوء عدد الأولاد الذين أنجبتْهُمُ المرأة لزوجها. فإذا لم تكن أنجبت أولادًا على الإطلاق كان للزوج المطالبة برد المهر كله، وإذا كانت أنجبت عدداً غير كاف خُصم من المهر مقدار مُحدَّد مقابل كل منهم. وليس للرجل أن يطالب إلا بما تبقى بعد الخصم. أما إن كانت ولدت عدداً يعده عرف القبيلة كافياً لم تَجُزْ له المطالبة بأي جزء من المهر .

فلدى القبائل الأبوية لا يُقَام كبيرُ وزنٍ للبنوّة الصُّلْبيَّةِ أو (البيولوجية) إذ العبرة فيها بالبنوة القانونية أو الاجتماعية المؤسسة على دفع المهر . وفي هذه القبائل توجد حالات كثيرة، مقررة ومعترف بها، تفترق فيها الأبوة القانونية عن الأبوة الصُّلبية . فيكون الرجل أباً قانونياً لولد يعرف الجميع أنه ليس من صلبه.

ففي بعض القبائل للرجل الذي دفع مهراً من أجل فتاة ـ أنجبت ولد أو أكثر من علاقة سابقة على الزواج ـ الحق في أن تنسب أولادها لنفسه. والأولاد الذين تحصل عليهم زوجة رجل عقيم من علاقتِها بأحد أقاربه أو أصدقائه يُعَدُّونَ أولادَ الزوج العقيم. والأولاد الذين تلدهم الأرملة في ظل نظام وراثة النّساء ـ لا يُنْسبون إلى قريب الزوج الميت الذي يخْلُفُه على أرملته (والذي كان سبباً عضوياً في إنجابهم) وإنَّـما يُنْسَبُون إلى الزوج الميت نفسه، الذي دفع مهراً من أجل هذه المرأة[١١].

فالقبائل الأبوية، التي تعيش في ظل ظروفها الأصلية، لا تهتم كثير بالأبوة الصُّلبية وعلى العكس تَحْظى الأبوة القانونية لديها بكل اهتمام. ومن الطبيعي ـ والأمر كذالك ـ أن تخلو أعرافها من أيِّ التزام على المرأة بِقضاء عدة طلاق.

ولما كانت أحوال القبائل العربية قبل الإسلام تماثل في كثير أحوال القبائل غير العربية المعاصرة، فإن ما قيل في شأن هذه القبائل الأخيرة يصدق أيضاً بالنسبة للقبائل العربية. فالقبائل العربية ـ ذات النسب الأُمِّـيِّ ـ لم تكن في حاجة إلى فرض عدة طلاق على المرأة، لأن أولاد المرأة سوف يُنْسَبُون على كل حال إلى المرأة ويكونون أعضاءً في جماعتها. أما القبائل العربية ـ ذات النسب الأبويِّ ـ فلم تُفْرَضْ على المرأة عدة طلاق، لأن العبرة في تحديد نسب الأولاد ـ لدى هذه القبائل ـ ليست بالأبوة الصُّلبية وإنما بواقعة دفع الرجل أو عدم دفعه مهراً من أجل أُمِّهِمْ.

ثالثاً ـ اعتزال المرأة الطامث: روى ابن جرير الطبري «جامع البيان في تفسير القرآن» في تفسير الآية الكريمة ﴿ ويَسْأَلُونك عَنِ الْـمَحيض ﴾ أن أهل الجاهلية كانوا لا تُسَاكِنْهم حائض في بيت، ولا تؤاكلهم في إناء. فأنزل الله تعالى ذكرهُ في ذالك. فَحرَّمَ فَرْجَها مادامت حائضاً، وأحلَّ ما سوى ذالك: أن تَصْبغَ لك رأسَك، وتُؤاكلك من طعامك، وأن تُضَاجِعَك في فراشك، إذا كان عليها إزار مُتَحَجِّزَةٌ به دونك).

ومعنى هذا أن أهل الجاهلية كانوا يجعلون من الحيض سبباً في فرض العزلة الكاملة على المرأة الطامث طيلة فترة الحيض. فكانوا يفرضون عليها العيش في مكان خاص والامتناع عن تناول الطعام مع الآخرين. ثم جاء الإسلام فقصر اجتناب الطامث على حَدِّهِ الأدنَى، وهو معاشرتُها جنْسيًّا.

وفَرْضُ العزلةِ الكاملة على المرأة الطامث عُرْفٌ شائعٌ لدى المجتمعات القبلية في مشارق الأرض ومغاربها، بل إننا نجده حتى لدى شعوب الحضارات القديمة.

فلدى قبائل النوبا (في جبال كردفان بجمهورية السودان) لا تقوم المرأة الحائض بطبخ أو خبز، ولا تمس شيئاً يخُص زوجها أو يخص أيّ رجل آخر. وتتولى قريباتها طهي الطعام من أجلها. وتَتناوله بمفردها بملعقة خاصة. وتشرب الماء من قرعة خاصة بها[١٢].

ولدى قبائل الباكونجو (في جمهورية زائير) تخضع المرأة أثناء الطمث لمحظورات عديدة. وهي تحْتَجِب في بيت خاص. فحضورها يؤذي ويميتُ. ولا يمكنها الاختلاط بالآخرين إلا لضرورة قصوى، ويتَجنَّب الزوج الاقتراب منها(١٣).

ولدى قبائل كيرالا (في جمهورية الهند) يسود اعتقاد جازم بأن لَـمْسَ امرأة طامث من شأنِهِ أن يؤدي إلى تلف المحاصيل، وموت الماشية، وهجوم الحيوانات المفترسة، ومصائب أخرى. ولهذا تُعزَلُ الأنثى الحائض في سقيفة خاصة بعيدة عن الكوخ(١٤).

ولدى قبائل الجالونج (في الهند) يؤدي الطمث إلى اعتبار المرأة الطامث محظوراً من المحظورات. ومن ثم لا يجوز لها أن تلمس أيًّا من آنِية البيتِ أو الثّياب أو الطعام. وعليها أن تنام في مكان مُنفصِل(١٥).

وفرض العزلة الكاملة على المرأة الطامث لا نجده لدى المجتمعات القبلية فحسب، وإنما نجده أيضاً لدى بعض الشعوب المتحضرة القديمة.

فلدى الهندوس تعيش المرأة - أثناء دورتها الشهرية - في حالة عزلة كاملة. وخلال هذه الفترة ليس لها أن تلمس أيّ إنسان، بل عليها أن تتجنب لَـمْـسَ أيٍّ من أواني البيت أو أثاثه، وأيٍّ من الثياب. وفي البيوت الميسورة الحال يوجد مكان مُعَدٌّ خصيصاً لمثل هذه المرأة. ولدى الفقراء الذين لا يتيسر لهم إعداد مثل هذا المكان في أكواخهم، تخرج المرأة الحائض إلى الطريق لتقيم تحت نوع مظلة أو سقيفة، أو يُسْمح لها بركن في السقيفة المخصصة للبقرة(١٦).

ومن الواضح أن فرض العزلة الكاملة على المرأة الطامث يرجع إلى الاعتقاد بأن دم الطمث يُصِيبها بنجاسة تشكل خطرًا داهماً على كل إنسان أو حيوان يقترب منها.

ولا يقتصر هذا الاعتقاد على المجتمعات القبلية بل إننا نَجِده أيضاً لدى بعض الشعوب المتحضرة القديمة. فلدى الفرس، قبل الإسلام، كان من الواجب حماية الطفل الصغير من عينْ السوء، والاحتراز من أن تَقْرب الطفل حائض، ذالك لأن النجاسة الشيطانية التي أصابت هذه المرأة تُسبِّبُ للطفل سوء الطالع(١٧).

ولدى الهندوس تُفْرض على المرأة الحائض مَحْظورات عديدة. من بينها وجوب امْتناعها عن التفكير في الآلهة أو الشمس أو في القرابين والعبادة الواجبة لها. ومن المحظور عليها تحية الأشخاص الذين ينتمون إلى طبقة عالية. ويمتنع عليها الاقتراب من أولادها أو لمسهم أو اللعب معهم. وبَعْد أن تعيش هكذا لمدة ثلاثة أيام في حالة اعتزال، عليها أن تخلع في اليوم الرابع ثيابها وتسلمها في الحال إلى الغسّال. ثم ترتدي ثوباً نظيفاً وفوقه ثوباً آخر وتذهب إلى النهر لكي تطهر نفسها بالاغتسال. وفي طريقها إلى هناك من واجبها أن تسير وهي مطأطئة الرأس، وأن تحرص أشد الحرص على عدم النظر إلى أي إنسان، لأن نظراتها سوف تنجِّسُ أيَّ شخص تقع عليه(١٨).

رابعاً ـ النساء لا يحلبن الماشية: رَوَى أبو عبيدة أن للعرب مَثَلاً: (يَحْلِبُ بُنَيَّ وأَضُبُّ على يَديْهِ)، وذلك أن امرأة غاب عنها رجالها الحلّابون وعندها صبيٌّ قد جاع وعطش، فلما خافت عليه جاءت به إلى شاة، فوضعت يده على طُبْيِهَا وهي تعصر فوق يده وتحلب، وهي تقول: يَحْلب بُنَيَّ وأضِبُّ على يديه (يروَى بالضم والكسر)، وإنما فعلتْ ذالك فِراراً من العيْب أن تُعَيَّر بذالك. قال والضَّبُّ الحلب بأربع أصابع(١٩).

وذكر الميدانيُّ أن هذا المثل يُضرب لمن يَفْعل الفِعْلَ وينسبه لغيره. وأصله أن امرأة بدوية احتَاجتْ إلى لَبَنٍ ولم يحضرها من يحلب لها شاتَهَا أو ناقتها، والنّساء لا يحلبن بالبادية، لأنه عَارٌ عندهن، إنما يحلب الرجال، فدَعَتْ بُنيًّا لها، فأقْبَضَتْهُ على الخِلْفِ، وجعلتْ هي كفَّها فوق كفِّهِ، فقالت: (يحلبُ بُنيَّ وأشُدُّ على يديه) ويُرْوى (وأضُبُّ) على يديه(٢٠).

وروى الأصفهاني أن خالد بن جعفر أغار على رَهْط الحارث بن ظَالم من بني يَرْبوع فقَتَل الرجال، والحارثُ يومئذ غلام. فبقيت النساء. وكانت نساء بني ذُبْيان لا يحلبن النّعَمَ، فلما بقين بغير رجال طفقْن يدعون الحارث فيشد عصاب النّاقة، ثم يحلبْنَها، ويبكين رجالهن ويبكي الحارث معهن، فنشأ على بُغْضِ خالد(٢١).

فهذه شواهد على أن العُرْف لدى بعض القبائل العربية كان يحْظر على النّساء حلب الماشية، ويجعل منه عملاً من أعمال الرجال. وأول تساؤل يثور في هذا الصدد هو التّساؤل عما إذا كان هذا الحظر عامًّا لدى القبائل العربية أم كان مقصوراً على البعض منها دون البعض الآخر؟ كذلك يثور التساؤل عن السبب الذي من أجله كان هذا الحظر.

وفيما يتعلق أولاً بمدى شيوع هذا الحظر، ثَمَّةَ شواهد تدل على أن الحظر لم يكن مُتَّبعًا لدى القبائل العربية جميعها، كما تدل على أنه لم يكن مطبقاً على جميع الحيوانات باختلاف أنواعها.

فهذا الحظر كان - على ما يبدو - مُتَّبعاً لدى القبائل البدوية دون القبائل المستوطنة، يتّضح ذلك من عبارة الميداني الاعتراضية: (والنساء لا يَحْلِبْنَ بالبادية)، مما يفيد أن الحظر كان مقصوراً على نساء البادية دون غيرهن. بل من المحتمل أن القبائل البدوية لم تكن تحظر جميعها على النساء حلب الماشية وأنّ منها ماكان يسمح لَهُنَّ به.

ورغم عدم وجود شواهد في هذا الخصوص من العصر الجاهلي فإن من الممكن الاستعانة بالمعلومات المتاحة عن القبائل الرعوية المعاصرة، العربية وغير العربية، للمعاونة في استجلاء حقيقة الأمر.

وفيما يخص القبائل العربية المعاصرة ثمّة شواهد تدل على أن منها ما يحظر العرف فيه على النّساء حلب الماشية، وأنّ منها على العكس ما يفرض الحظر على الرجال.

فلدى القبائل العربية التي تقطن مناطق الأهوار في جنوب العراق والتي لا تَقْتني من الحيوانات سوى الجاموس، بسبب المستنقعات التي تحول دون تربية الإبل أو البقر أو الغنم، يجعل العرف حَلْبَ الجاموس عملاً مقصورًا على الرجال، ليس للنساء فيه نصيب(٢٢) وعن القبائل البدوية التي تعيش حول مدينة (مادبا) في شرق الأردن يقول العُزَيْزيُّ: ومن كرامة الإبل عندهم أنه لا يجوز للمرأة حلبها(٢٣). ولدى قبائل القرا في ظفار (دولة عُمان) يُحْظَر على النّساء المساس

بضراع البقرة أو الناقة أو الماعز ، وإذا فعلت إحداهن ذالك ارتكبتْ مخالفة خطيرة. وعلى النقيض من القبائل السابقة يُعْتَبر قيام الرجال في شمال عُـمان بحَلْبِ الأبقار من الأعمال المشينة(٢٤).

وهذا التفاوت في موقف القبائل العربية من حلب النساء للماشية، نجده أيضاً لدى القبائل الرعوية غير العربية. إذ أن منها مَنْ يجعل حلب الماشية عملاً من أعمال الرجال، ومنها مَنْ يجعل منه عملاً يدخل في اختصاص النِّساء.

ومن القبائل التي تجعل حلْب الماشية عملاً من أعمال الرجال أو الذكور بصفة عامة، ومن ثم تَسْتَبْعِدْ منه النساء : قبائل اللانْجُو (في أوغندة) والبوندو (في اتحاد جنوب إفريقية) والقبائل النِّيلِيَّة (في جنوب السودان).

فلدى اللانجو وهم قبائل رعوية تُرَبِّي الأبقار يقوم مالك البقرة بحلبها بنفسه، أو يقوم به أبناؤه نيابة عنه إن كان غائباً. فإن لم يكن له أبناء تولى الراعي حلبها. لكن ليس للمرأة مطلقاً القيام بذلك(٢٥).

ولدى البوندو يقْتصر الاهتمام البالغُ بالماشية على الرجال والصبيان فحسب، أما النساء فلكونهن يُمَثِّلْن خطراً على الماشية ولا صلة لهن بها، فإنهن قليلاً ما يتحدثن عنها، ويتّجه اهتمامهن إلى حقولهن ومحاصيلهن أكثر منه إلى الماشية(٢٦).

كذلك تُقْصي القبائل النيلية - فيما عدا قبائل النوير - النّساء بعد البلوغ عن كل ما يتعلق بالماشية التي يتولى العناية بها الرجال والصبيان. ولدى الشيلوك (إحدى القبائل النّيلية) يقوم صغار الصبية وحدهم بِحَلْبِ الماشية(٢٧).

ومن القبائل التي تُجعل حلب الماشية عملاً مقصوراً على النساء قبائل الماساي (في كينيا وتنزانيا) وقبائل النوير (في جنوب السودان).

فلدى الماساي تَتَولَّى النِّساء حلب الماشية قبيل شروق الشمس، قبل أن يأخذها الرجال والصبية إلى المرعى، ومرة أخرى عند عودتها بعد الغروب.

ولدى النوير يتولى الحلب النِّساء والفتياتُ والصبية الذين لم تُجْرَ لهم بعد شعائر البلوغ. فالرجال ممنوعون من الحلب إلا في الأسفار والغزوات حيث لايوجد نساء أو صبية. لكن هذه القاعدة تخفُّ وطْأتها مع تقدم السن(٢٨).

أما فيما يتصل بشمول الـحَظْر الحيوانات جميعها أو اقْتصاره على نوع منها دون غيره فثمة شواهد تدل على أن من القبائل ما يَمْتَدُّ الـحَظْر فيه إلى كل الحيوانات، وأن منها ما يقصر الحظر على نوع دون آخر.

فرغم أن الأخبار التي انتقلَتْ إلينا عن العصر الجاهلي تفيد أن الحظر كان عامًّا يشمل الإبل كما يشمل الشِّياه، فثمَّة شواهد نَستمدها من أعراف القبائل العربية المعاصرة تشير إلى احتمال وجود قبائل كانت تفرق بين الحيوانات الكبيرة والصغيرة فتقصر الحظر على الأولى دون الأخيرة.

فلدى القبائل الرعوية في جنوب العراق لا يَحْلِبُ الرجال الشِّياهَ أو الماعز، وإن كان من الممكن للرجل أن يمسك الشاة أو الماعز للمرأة لتحلِبها(٢٩). وبينما العرف لدى قبائل القَرا على النّساء المساس بضرع البقرة أو الناقة أو الماعز، يَسْمَح الـمهْرةُ وَبيْتُ كثير للنِّساء بحلب الماعز فقط دون البقر أو النوق(٣٠).

وقد نتساءل الآن عن السبب في حرمان النّساء من حلب الماشية وبخاصة الكبيرة منها لدى عدد كبير من القبائل الرعوية.

في اعتقادنا أن ثَمَّة سَبَبَيْنِ وراء هذا الحظر: أولهما تقسيم العمل بين الجنسين، وثانيهما: الخوفَ على الماشية من النساء.

ففي كل المجتمعات القَبلية يسود تقسيم للأعمال بين الجنسين. فثَمَّةَ أعمال تدخل في اختصاص الرجال لا يجوز للنساء القيام بها وثمة أعمال تدخل في اختصاص النساء لا يجوز للرجال القيام بها. وَيُكَرِّسُ العرفُ هذا التَّقْسِيم للعمل بين الجنسين؛ فيجعل من إقدام أفراد الجنسين على القيام بعمل يدخل في اختصاص الجنس الآخر مدعاة للاحْتقَار ومجلبة للعار. وحيث أن الرجال هم عادة الذين يقومون برعي الحيوانات، وبخاصة الكبيرة منها، فهم أقرب إليها

وأوثق صلة بها من النّساء ويبدو من الطبيعي والمنطقي عندئذ جعل حلبها أَمْرًا يَخُصُّهُمْ دون النساء.

وقد كان العرف، لدى القبائل العربية قبل الإسلام - شأنهم في هذا شأن غيرهم من المجتَمعات القَبلية - يجري بتقسيم العمل بين الجنسين. فثمة أعمال للرجال لا شأن للنّساء بها، وثمة أعمال للنساء لا شأن للرجال بها. ومن يخالف مقتضيات العرف يُعَرِّضْ نفسه للاستهجان والاستنكار.

وثمة حادثة طريفة تدل على مدى الاهتمام باحترام مقتضيات التّقسيم العرفي للعمل عند العرب قبل الإسلام.

فقد رُوِي أن الهُذْلول بن كَعْب العَنْبَرِيَّ كان مُمَلَّكا في الجاهلية على سائر بني تَميم يأخذ منهم المِرْبَاعَ، ومع ذالك كان فيهم بِمَنْزِلةِ حاتِمٍ في طيّءٍ كرماً وتواضعاً، ونزل به أضياف، فقام إلى الرَّحَى، فَبَصُرَتْ به زوجه فأنكرتْ ذالك وصَكَّتْ صَدْرَها، فقالِ الأبيات التّالية:

تَقُولُ وَصَكَّتْ صَدْرَهَا بِيَمِيْنِها أَبَعْلِيَ هَذَا بِالرَّحَى المُتَقَاعِسُ؟
فَقُلْتُ لَهَا: لَا تَعْجِلِيْ وتبيّنِيْ بَلائِيْ إذَا الْتَفَّتْ عَلَيَّ الفَوَارِسُ
لَعَمْرُ أَبِيْكِ الْخَيْرِ إنّي لَخادِمٌ لِضَيْفِيْ وَإنِّيْ إنْ رَكِبْتُ لَفَارِس(٣١)

ولدى القبائل العربية المعاصرة يسود أيضاً تقسيم تقليدي للعمل بين الجنسين. فلدى عرب الأهوار في جنوب العراق لن يقبل رجل إطلاقاً دَقَّ الحبوب أو طحنها، أو عمل أقْرَاص (الجَلَّة) من روث الجاموس من أجل الوقود، كما أنه لن يطبخ أو يجلب الماء إلاّ في حالة عدم وجود امرأة تقوم بذلك(٣٢). ولدى بعض قبائل عمان لا يباح للمرأة حلب الماشية، كما لا يباح لها أن تطهو الطعام. فهذه الأشياء تعتبر من الأعمال المخصصة للرجل وحده، ويقتصر عمل المرأة على الرعي، ورعاية الماشية وجمع الحطب وجلب الماء، إلى جانب صناعة الأوانِيْ وجمع التِّبْنِ، وعمل حَشِيَّاتٍ منه للنوم(٣٣).

أما السبب الثاني في منع النّساء من حلب الماشية فهو الخوف على الماشية من دم

الطمث. ففي المجتمعات القبلية يسود الاعتقاد في أن دم الطمث يَنْطوي على نجاسة مؤذية، وأن المرأة في دورتها الشهرية تكون من ثَـمَّ مصدرَ أذى لكل من يتصل بها عن قرب. ولا يَقْتَصِر هذا الأذى على البشر بل يمتد أيضاً إلى الحيوانات. ولهذا تُفْرَضُ على المرأة ـ أثناء فترة الطمث عِزلة كاملة. فالسماح للمرأة الطامث، في اعتقاد هذه المجتمعات، بلمس الماشية يَعْني موت الماشية حَتْـمًا. ويبدو طبيعياً، والأمر كذالك، أن يحظر العرف على المرأة الطامث حلب الماشية. ومَنْع المرأة، أثناء دورتها الشهرية، من حلب الماشية يؤدي في نهاية الأمر إلى منعها من حلبها إطلاقًا، أي سواء كانت طامِئاً أم غير طامث، وذالك من قبيل الاحتياط.

فالبوندو مثلاً يعتقدون أن النساء يُشكِّلن خطرًا على الماشية ولهذا يُستَبْعدن من كل ما يتعلق بها، كذلك تُقْصِي القبائل النيلية ـ فيما عدا النوير ـ النساء بعد البلوغ، عن كل ما يتعلق بالماشية. فالأنثى قبل البلوغ ـ لا تشكل خطراً على الماشية، أما بعد البلوغ ـ وبسبب دورتها الشهرية ـ فتصبح خطراً عليها ولهذا تُقْصَى عن كل ما يتعلق بها.

ورغم عدم وجود شواهد تشير إلى الطمث باعْتباره السبب في منع النساء من حلب الماشية عند العرب قبل الإسلام فإننا لا نشك في أن الأمر كان كذالك في ضوء هذه المعلومات المستفادة من أعراف القبائل غير العربية المعاصرة.

د: محمود سلام زناتي

قسم القانون بكلية العلوم الإدارية ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض

الهوامش :

(★) انظر «العرب» س ٢٥ ص ١٩١ ـ ٢٠١ .

(١) «صحيح مسلم» بشرح النووي، دار الفكر العربي، ١٩٨١م.

(٢) «غريب الحديث»، تحقيق د. عبدالله الجبوري، بغداد مطبعة العاني، ١٩٧٧م.

(٣) Musil (Alois), The manners and customs of the Ruala bedouins in the Middle Euphrates, New York, American Geographical Society, 1929.

(٤) Burchardt (John Lewis), Notes on the Bedouins and the Wahabys, London 1831, Vol. 1, P. 267.

(٥) Tait, The Konkomba of Northern Ghana, Oxford University Press, 1964, P. 98.

ولدى الترويرياند (في ميلانيزيا) كانت الأرملة، بعد دفن جثة زوجها، تدخل قفصاً صغيراً أُعِدَّ داخل بيتها، حيث تعيش في الظلام مدة حدادها، ممنوعة من الحديث بصوت عالٍ، ولا تأكل أو تشرب إلا ما يضعه أقارب الميت في فمها، وكان هؤلاء يقولون رعايتها طيلة الوقت. وبعد أن تمضي فترة تتراوح من ستة شهور إلى سنتين، تبعاً لمركز الميت الاجتماعي، يُطلق سراحها. ويجري تطهيرها شعائرياً بصب الماء عليها، ودَهْنها، وإلباسها قميصاً من العشب المزخرف على نحو خاص. ومنذ هذه اللحظة تصبح صالحة للزواج مرة أخرى:

Service, Profiles in Ethnology, New York, P. 256.

ولدى الأيبو (في جنوب شرق نيجيريا) عندما يموت الزوج تحْلق الزوجة أو الزوجات شعورهن، ويلبسن خِرقاً ممزقة طيلة سنة. ويُسمح لهن بالتردد على الأسواق فيما عدا السوق المحلية. ويمكنهن القيام بالزراعة لكنهن يحرصن على الذهاب إلى حقولهن بعد ذهاب الآخرين بقليل، لأن الرجال لا يرتاحون لمقابلة أرملة في الصباح الباكر، خوفاً من أن يحل بهم ماحل بزوجها:

Leith-Ross, African Women, London, P. 101.

(٦) Shapera, The Khoisan Peoples of South Africa, London 1951, P. 254.

(٧) دكتور جواد علي: «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» ج ٥ ص ٥٥٦ والمصادر المشار إليها فيه.

(٨) المرأة البدوية، عمان ١٩٧٤م، ص ٢٣٦ .

(٩) المصدر المشار إليه، ص ٢٣٦ .

(١٠) (عاتق بن غيث): «الأدب الشعبي في الحجاز» دار مكة ١٩٨٢م، ص ٢٥٧ .

(١١) انظر كتابنا: «النظم القانونية الافريقية وتطورها» القاهرة مكتبة النهضة العربية، ١٩٦٦م، ص ١٨٦ و ٢٥٦.

(١٢) Seligman, Pagan tribes of Nilotic Sudan, London 1922, P.386.

(١٣) Van-Wing, Etudes Bakongo, 2ème Ed. 1959.

(١٤) Luiz, Tribes of Kerala, P. 16.

(١٥) Srivastava, The Gollongs, Shillong 1962, P. 104.

(١٦) Dubois, Hindu manners, customs and ceremonies third ed. Delhi, Oxford University Press, 1978, P.180.

(١٧) كريستنسن، «إيران في عهد الساسانيين»، ترجمة د. يحيى الخشاب، القاهرة ١٩٥٧، ص ٣١٣.

(١٨) ديبوا، المصدر المشار إليه، ص ٧٠٨.

(١٩) معمر بن المثنى: كتاب «النقائض» (نقائض جرير والفرزدق) ليدن ١٩٠٥، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد، جـ ١، ص ٣٣٢.

(٢٠) (أبو الفضل أحمد): «مجمع الأمثال» تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة المطبعة الخيرية ١٣١٠هـ، جـ ٣ ص ٥١٩.

(٢١) أبو الفرج: كتاب «الأغاني» جـ ١٠ ص ١٦ .

(٢٢) Thesiger, The Marsh Arabs, New York, Dutton 1964, P.58.

(٢٣) (روكس بن زائد): «من التاريخ الأردني» و«من حياة البادية» ١٩٦١م، ص ١٦٦.

(٢٤) توماس: «البلاد السعيدة» ترجمة محمد أمين عبدالله، سلطنة عمان ١٩٨١م ص ١١١.

(٢٥) Driberg, The Longo, London 1923, P. 91.

(٢٦) Hunter, Reaction to Conquest, London 1936, P. 70.

شِعْرُ الأحْوَصِ الأنْصاريِّ

لِتَوَسُّمِ مواقع المواضع المذكورة فيه

ـ ١ ـ

كان الدكتور عادل سليمان جمال قد تصدَّى لجمع شعر الأحوص ـ عبدالله بن محمد الأنصاري شاعر المدينة في العهد الأموي، وقدَّمَهُ من خلال رسالة نال بها درجة (الماجستير) من جامعة القاهرة سنة ١٩٦٤م ثم نشرها سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) بمقدمة للدكتور شوقي ضيف قال فيها: (. . . أعاد عادل سليمان جمال الأحوص إلى الحياة، وبعث ديوانه من جديدٍ، وذلَّلَ مافيه من صعاب، وجعله مُيَسَّراً للقارئين).

وقد تابع عمله فعثر فيما نشر من المؤلفات بعد صدور الديوان، وفي مخطوطة كتاب «منتهى الطلب» على شعر أَخَلَّ به أولاً فأضافهُ وأعاد النشر في (طبعة مزيدة ومنقحة) صدرت هذا العام ـ ١٤١١هـ (١٩٩٠م).

والدكتور عادل ـ كما يصفه أُستاذه الدكتور شوقي ضيف ـ من أولئك الذين صَبُّوا عنايتهم على نشر الدواوين والمجاميع الشعرية القديمة، وممن كلَّفَ نفسه صنعة ديوان من الدواوين التي سقطت من يد الزمن، ولم يَعُدْ هناك سبيل إلى نشرها وبعثها من جديد، إلاَّ أن تُجْمع أشعارها من بطون الكتب والمصادر والمراجع القديمة. انتهى.

---

(٢٧) Butt, The Nilotes of the Anglo-Egyptian Sudan and Uganda, Oxford University Press, 1952, P.37.

(٢٨) بط، المصدر المشار إليه، ص ٣٧.

(٢٩) بتسيجر، المصدر المشار إليه، ص ٥٨.

(٣٠) توماس، المصدر المشار إليه، ص ١١١.

(٣١) الأندلسي بن سعيد: «نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب» تحقيق د. نصرت عبدالرحمن، عمان مكتبة الأقصى ١٩٨٢م، جـ١، ص ٤٩٩.

(٣٢) تيسيجر، المصدر المشار إليه، ص ٥٨.

(٣٣) توماس، المصدر المشار إليه، ص ١٣٧.

وسبق للدكتور عادل أن نشر «ديوان حاتم الطائي» محققاً مدروساً سنة ١٣٩٧هـ - تقريباً - انظر «العرب» س ١٣ ص ٧٢ ، ٤٧٧ ، ٦٠١ - ثم أعاد نشره مزيدا ومنقحا هذا العام - ١٤١١هـ (١٩٩٠م) - انظر «العرب» س ٢٥ ص ٧١٦ - ولعل اتِّجاه الدكتور عادل لتلك الوجهة الحميدة من جوانب إحياء التراث العربي يجعل القارئ يدرك أثر الحرقة والأسى حين يمرُّ بوصف ما اعتراه من تأثر لَـمَّا سُبق إلى نشر «شعر ابن ميادة» بعد أن جمعه وسوده، ولم يبق إلا الكتابة الأخيرة ليدفع به إلى المطبعة - مقدمة «شعر الأحوص» - ١١ - و«العرب» س ١٨/ ٤٣٠.

وسيجد أثر ذلك - بل أشدَّ - في موقفه حيال عمل الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي حين أصدر «شعر الأحوص» - انظر «العرب» ٤/ ٩٤ - سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م) أي بعد أن تقدم الأستاذ عادل به إلى الجامعة المصرية بِنَحْو خمس سنوات، فأحسَّ أنَّ الدكتور السامرائيَّ (عدا على عمله في صورته الأولى.. وادعاه لنفسه). وكان من أثر هذا الإحساس أن تنازل الأستاذان الجليلان وتصاولا وتجاولا بعبارات من التهم والسباب، تزري بقدر من لا يرقى إلى منزلتيهما في العلم وسمو الأخلاق - انظر مجلة «الثقافة» المصرية - العدد العاشر سنة ١٩٧٧م ومجلة «كلية الآداب البغدادية» العدد الثامن عشر - ومجلة «المورد» العدد الرابع سنة ١٩٧٥م.

ماكان الأستاذ الدكتور السامرائيُّ - ومنزلته في العلم هي هي من عُلُوِّ المكانة - بحاجة إلى أن يُغير على جهد من كان ينظر إليه عند نشر رسالته بمنزلة أحد تلاميذه، وما كان شعر الأحوص بمنزلة من الخفاء، ومن جهل مصادره بالدرجة التي تحمل إلى التشبث بأوهى الأسباب وأضعفها لجمعه، بل ليس من المبالغة القول بأنه لو اتَّجه عددٌ من الباحثين إلى ذالك لما وُجِدَ فَرْقٌ مُمَيِّزٌ لما جمعه أيُّ واحد منهم، ليصح له ادّعاء السبق والاختصاص، وهذه الجامعات على كثرتها وتشابه مناهجها في مختلف أقطار البلاد العربية، إنها لبادرة أملٍ إنْ صَحَّ أنها على درجة من التواصل والترابط، وتبادل المعلومات، بحيث يتسنَّى لأيٍّ باحث أو دارس في

إحدى الكليات معرفة ما يتصدى له دارسو الكليات الأخرى من أبحاث ودراسات، وبهذا تَذْرَأ بواعثَ الفوضَى والارتباك، والتضارب بين اتجاهات الباحثين في تلك الكليات.

ولاشك أن دراسة أية ناحية من نواحي حياتنا الفكرية ليست محجورة أو محصورة بل هي حق مشاع، وإنْ كان توحيد الجهود في جميع الأعمال العامة النفع من الأمور المحمودة، بل المطلوبة، إلا أن التنافس في القيام بها محمود أيضاً. ما لم يكن من بواعث التنافر والحسد، وإثارة العداوة بين هداة الأمة وقادتها من مثقفيها.

ولقد حاول زِعْنَفَةٌ من زعانف الأدب أثناء انعقاد الدورة التاسعة لاجتماع اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية في جدة. في ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٧٤هـ يناير سنة ١٩٥٥م برئاسة الدكتور طه حسين ـ حاول النيل من مكانة مصر الثقافية بالمقارنة بين قطرين عربيين عن تأثيرهما الفكري في العالم العربي، فما كان من الدكتور إلا أن توسط الحفل واقفاً وصوته الفخم الضخم يجلجل ببيت مفرد لم يزد عليه:

أَبَنِـي حَنِيْفَةَ أَحْكِمُوا (سُفَهَاءَكُمْ)   إِنِّـي أَخَـافُ عَلَيْكُمُ أَنْ أَغْضَبَا

فقطع جُهَيْزَة تلك الزِّعْنِفَة ! ـ انظر كتاب «خواطر مجنَّحة» ـ ١٧ ـ للأستاذ محمد حسين زيدان ـ.

ويظهر أن الشاعر الأحوص محظوظٌ من حيث الاهتمام بدراسة شعره، والتأليف عنه، فمع كثرة من تناوله بالدراسة عرضاً أثناء الدراسات الشاملة في تاريخ الآداب العربية قديماً وحديثاً، من عهد ابن سَلاَّم والأصفهاني إلى زمن شوقي ضيف وطه حسين، فقد تصدَّى لإفراده بالتأليف في هذا العصر ثلاثة من الدارسين في ثلاثة أقطار مختلفة، آخرهم الأستاذ محمد علي سعد من بيروت، في مؤلف دعاه «الأحوص بن محمد الأنصاري ـ حياته وشعره» نال به درجة (الماجستير) في الآداب من الجامعة اللبنانية، ونشره سنة ١٩٨٢م.

وأثناء إقامتي في القاهرة - في شهر شوال من العام الماضي - أمتعني الدكتور عادِل إذْ هَيَّأَ لي مطالعة «شعر الأحوص» في طبعته الحديثة، ومع أن الطبيب حاول أن يحرمني - من بين ماحرمني من متع الحياة - أسماها وأعمقها أثراً في نفسي، وهي مُتْعَةُ القراءة - إلا أنني أخذْتُ منها بأوفر نصيب، فقد كنت ولا أزال ذَا وَلَع بقراءة الشعر العربي القديم، لما أُحِسُّ به من عمق ارتباطه بالحياة العربية، فأسْتَجْلي من خلال هذا الإحساس أخيلةَ عُمْقِ الصلة بين تلك الحياة القديمة وبين حياتنا الحاضرة، فَتُنْعِشُهَا، وتُمِدُّها بفيض من الحيوية والقوة.

وكانت لي وقفاتٌ قصيرةٌ أردتُّ من خلالها أن أُعَبِّرَ للدكتور الكريم عن تقديري لعمله تقدير المستفيد المستزيد، فقد وجدتُّ من رحابة صدره - حيال ما تحدثتُ به عن «ديوان حاتم الطائي» ما أدركت جانباً من سماحة نفسه، وسجاحة خلقه، بنشر ذالك الحديث دون تأثر أو امْتعاض، وما أردتُّ أوَّلاً وأخيراً إلا أن أُوْجِدَ صِلَةً يجب أن تقوى وتتصل - بيني وبين باحث كريم، معنيٍّ بدراسة ما لِأُمتنا من تراث أصيل.

وسيرى - أدام الله له التوفيق - كما يرى غيره من القراء أنني في خلال تلك الوقفات القصيرة لا أتجاوز ناحيةً خاصَّةً من جوانب تلك الدراسة الشاملة، هي ما يتعلق بتحديد المواضع الواردة خلالها مما قد يكون لي من الصلة بها ما يبيح لي التوسع في الحديث عنها، وللأستاذ الكريم واسع العذر في خفاء بعضها. إذْ لَيْسَ ثَمَّ وَسيلة أمامَ أيِّ باحث لمعرفة أمكنة الشعر القديمة سوى مؤلفات العلماء الأقدمين كـ «معجم ما استعجم» للبكري و «معجم البلدان» للحموي وأمثالها من المؤلفات التي لم تَعُدْ كافيةً لِتُمِدَّ الباحثين بالقول الفصل في تحديد تلك الأمكنة، وتعيين مواقعها، لأنها تنحو غالباً في التعريف بها أساليب كانتْ ذَاتَ جدْوَى في الأزمنة الغابرة، كتعريف الموضع بنسبته إلى ساكنيه من فروع القبائل المعروفة في تلك الأزمان، أو بتحديد صلته بأحد الطرق الرئيسة المسلوكة في ذالك العهد أو بتقدير المسافة بينه وبين مكان معروف بما كان متعارفاً في ذالك العصر كالفرسخ والميل، أما الآن فسكان البلاد الأقدمون زالوا عنها، وتعاقب سكناها

آخرون، فأصبح من فضول القول ـ إنْ لم يكن من لغوه ـ تعريف الموقع بساكنه اعتماداً على ماورد في إحدى المؤلفات، ومن أمثلة هذا:

١ ـ الأَبْرق: منزل من منازل بني عَمْرِو بن ربيعة (٢٠٦)
٢ ـ ذو الأثل: في بلاد تَيْـمِ الله بن ثعلبة (١٥٣)
٣ ـ بَيْشُ: جبل لبني هلال بن عامر (٩٢)
٤ ـ الجمد: جبل لبني نصر (١١٠)
٥ ـ حَصِير: جبل لغطفان (٢٥٥)
٦ ـ الرَّجِيْع: ماء للحيان (٢٠٠)
٧ ـ رُوَاوة: جبل لمزينة (١٠٩)
٨ ـ السَّفْح: مكان كانت به وقعة بين بكر وتميم (١٤١)
٩ ـ سَنَام: جبل لبني دارم (٢٣٧)
١٠ ـ السَّنَدُ: ماء معروف لبني سعد (١١٠)
١١ ـ فَلْج: من منازل بني العنبر (٢٣٦)
١٢ ـ اللِّوَى: واد من أودية بني سُلَيْمٍ (١٤٦)
١٣ ـ الْـمَلَا: موضع من أرض كلب (١٤٦)

ومثل ما تَقدم ذكره من تحديد الموضع بقربه من آخر:

١ ـ بِرْكُ الغِمَاد: وراء مكة بخمس ليال (٩٢)
٢ ـ بَيْشُ: بين مكة ومصر (٩٢)
٣ ـ سَنَام: جبل بين البصرة واليمامة (٢٣٧)
٤ ـ الشبيكة: منزل بين البصرة واليمامة (٢٣٧)
٥ ـ فلج: واد بين البصرة وحِـمَى ضَرِيَّة (٢٣٦)

ومثل:

١ ـ سَرِفُ: على ٦ أميال وقيل ٧ وقيل: ٩ و ١٢ (٢٠٠)
٢ ـ الرَّوْحَاء: من عمل الفرع على أربعين ميلاً (١٣٢)
٣ ـ مُزْجُ: غدير بينه وبين المدينة ثلاثون فرسخاً (١٠٦)

قد يقال بأنَّ الدارسَ لا يجد أمامه حين يحاول معرفة تلك الأماكن وأمثالها سوى تلك التعاريف الواردة عن أئمة الأدب واللغة القدماء ، وهم القدوة في ذالك، واطراحُ آرائهم إِزْرَاءٌ بقدرهم، وهذا القول فيه بعض الحق، ولكن ما نُسب إلى أؤلئك الأئمة من ذالك مع قصور كثير منه قديماً أصبح معدومَ الفائدة في هذا العصر ، وهم ــ نضَّر الله أَرْوَاحَهُمْ ــ بَذَلُوا الوُسْعَ في البحث والدراسة، ثم قدَّمُوا ما استطاعوا تقديمه، مع اعترافهم بالعجز والتقصير، ومع حثِّهِمْ على مواصلة التعمق في استعمال كل الوسائل التي تمكن من بلوغ الحقائق أيًّا كانتْ، وفي أية ناحية من نواحي العلم والمعرفة.

وفي هذا العصر الذي زخر كل قطر من أَقْطَارِ الأمة بمختلف الجامعات ومعاهد الدراسات، وتيسرتْ جميعُ السبُل لنيل المعارف والعلوم بما أنتجته العقُول في مختلف الوسائل، وتنوعت اتجاهات البحوث والدراسات حتى شملت مختلف أوجه الحياة، أفما كان جَدِيرًا بمَنْ يُعْنى بدراسة تراث الأمة من أساتيذ تلك الجامعات الاتِّجاهُ إلى الاهتمام بالتعمق في البحث في الجوانب الجغرافية من أدَبنا وتاريخنا القديم، بإيضاح معالم تلك الجوانب التي بدون إيضاحها تبقى كثير من نصوص ذالك الأدب مستغلقة الفهم، وقد يكون من أثر هذا الاستغلاق جهل خصائص البيئة ومميزاتها، وبدون معرفة هذه الخصائص تبقى معرفتنا ناقصة.

لقد أوغلَ بِـيَ الاستطرادُ بالتمثيل حتى أوشكتُ أَنْ أتجاوز القصدَ، إِذْ وجدتُ مجالَ القول ذا سعةٍ، حين رأيتُ كُلَّ من تَصَدَّى من الباحثين في عصرنا لتحقيق أيِّ نص قديم من شعر أو نثر ذي ارتباط بأحد المواضع، لا يتجاوز تحقيق مكانه ماورد عنه من تحديد في أحد تلك المؤلفات، ويرى أنه عثر على ضالَّتِهِ المنشودة بذالك، دون أن يكلف نفسه عناءَ محاولة إدراك مدَى انطباق نصوصها على ما يتناوله بحثه، ولا أستثني من هذا أَحَداً، وما أَرَدتُّ وأَيْـمِ الحقِّ - بهذا القول النَّيْلَ من أيِّ جهد يُبْذَل في سبيل إبراز خفايا تراث الأمة، أو إحياء ما درس من علومها ومعارفها، وإنما قصدتُ أَنْ أَقِفَ من ذالك الـجُهْدِ - أيًّا كان مبلغه قوة أو ضعفاً - موقفَ المعترف لصاحبه بالفضل، وذالك بالمشاركة بتعميق نظرتي فيه، ولعل هذه المشاركة هي أوضح تعبير عن تقديري، له واهتمامي به.

وآمر آخر ـ أجعله نُصْبَ عَيْنَيَّ فيما أنشره في هذه المجلة، وهو أنَّ جُلَّ قرائها يتوقون إلى معرفة الكثير عن بلادهم، وقَلَّ أَنْ يردَ اسمُ موضع في شعر قديم لا يكون من بينهم من تَشْتَدُّ رَغْبَتُهُ ليعرفَ عنه ما يُحِسُّ أنه بحاجة إلى معرفته، من هنا فأنا لم أَبْسُطِ القولَ في كتابة هذه التعليقات إلاَّ وأنا أُدرك أن المعنيين بتحقيق النصوص القديمة غَيْرُ مطالبين بالتوسع بتحديد مواقع ما يمر بهم من مواضع، إذْ لذالك مكانه في الأبحاث المخصصة له. وأُدْرِك مع هذا أَنَّ قراءَ ما أكتب من أهل هذه البلاد في هذه المجلة، بحاجة إلى المزيد من الأبحاث المتعلقة بالمواضع الواردة في الأخبار أو الأشعار، وأُدرك مع كل ذالك أنَّ شاعِرًا من أهل هذه البلاد يتوق كثير من مثقفي أبنائها إلى معرفة ما يُقَوِّي الارتباطَ بينهم وبين هذا الشاعر، ولعل من أقوى الوسائل لذالك معرفة مرابع صباه، ومراتع لهوه في غدوه وروحاته، مما ورد في شعره من التغني بتلك المنازل والديار (والدَّارُ لَوْ كَلَّمَتْنَا ذَاتُ أَخْبَارِ) !

وسوف لا أتعرض للأماكن المعروفة كمكة والمدينة وحلب والشام.

وإنَّما أُحاول تحديدَ المواضع الواقعة في الجزيرة، مما يتكرر ذكره في الشعر القديم، أو مما هو مجهول لدى أكثر القراء ـ ما استطعتُ إلى ذالك سبيلاً ـ فهذا الجانب مع قوة صلته بالأدب العربي القديم لايزال في أَشَدِّ الحاجة إلى الدراسة والبحث.

وَقَفَاتٌ قَصِيْرَةٌ: ويحسنُ قبل الْبَدْءِ بما قصدتُّهُ أن أَقِفَ وَقَفَاتٍ قصيرة وقوف المستوضح المستزيد من الفائدة:

١ ــ ص ٢٤ : في نسب الأحوص: (قيس بن عصيمة بن النُّعْمَانِ بن أُمَيَّة بن ضُبيعة بن مالك بن عوف).

(١) ــ (أُمَيَّة) هذا صوابه: (أَمَة) كما نص على ذالك ابنُ حبيب في «مختلف القبائل ومؤتلفها» ــ ٣٤١ نشر (دار اليمامة) ــ إذا قال: (وفي الأنصار أَمَةُ بن ضُبيعة بن زيد بن مالك بن عوف) ــ حتى بلغ الأوس، وقال: (في قيس أمة بن بجالة بن مازن) ــ وساق النسب إلى ذبيان. ومثل هذا في «الإيناس» ــ ٧٥ نشر (دار اليمامة) ــ على أنَّ نسب الأحوص في «مختصر جمهرة النسب» مخطوطة مكتبة

راغب باشا ـ المتقنة الضبط ورد على هذا النحو ـ ص ١٧٣ ـ: الأحوص الشاعر وهو عبدالله بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ـ واسمه قيس ـ بن عِصْمة بن مالك بن أمة بن ضُبَيْعة بن زيد. ومثل هذا في «الاشتقاق» ـ ٤٣٧ ـ.

(٢) ـ أمَّا (عُصَيْمَةُ) فأكثر المصادر وأصحُّهَا وأقدمها تثبت (عِصْمَةَ).

٢ ـ ص ٩١: (وَقَدْ شَاقَها مِنْ نَظْرَةٍ طَرَّحَتْ بِهَا).

وشرح المحقق الكريم كلمة (طرح) بمعنى رمى وأبعد.

ألا يمكن أن تكون كلمة (طرحت) ـ بالراء ـ تصحيف (طوحت) بالواو، لاسيما وأن المصدر «معجم ما استعجم» لأبي عُبَيْدٍ على مافيه من تصحيف كثير في الأصل، فلا يؤمن أن يقع في الكلمة تطبيع (خطأ مطبعي).

٣ ـ ص ١٠٦:

(ولَوْلاَ الَّذِي بَيْنِـي وبَيْنَكِ لَـمْ تَجُبْ مَسَـافَةَ مَـابَيْنَ الْبُـوَيْبِ ويَثْرِبِ)

تحت كاف الضمير كسرة (بَيْنَكِ) وهذا يُوْهِم بل يوضح أنَّ الْـمُخَاطَب امرأة، والبيت مفرد لا ارتباط له بما قبله ولا بما بعده، وأراه من قصيدة في مدح عبدالعزيز بن مروان أمير مصر الذي ذكر المحقق في المقدمة ـ ٥١ ـ أنه مدحه وتجشم الرحلة إليه على مشقة، فذكر قَطْعَهُ المسافةَ الطويلة بين مصر والمدينة لما بين الرجلين من صلة. والْبُوَيْبِ واقعٌ في الطريق إلى ذالك الممدوح.

٤ ـ ص ١١٤: ورد بيتُ كَعْب بن زُهير غير مستقيم الوزن هكذا:

تَخْدِيْ عَلَى يَسَرَاتٍ وهْيَ لاَحِقَةٌ بِـأَرْبَعٍ وقـطْعُهُنَّ الأَرض تَحْلِيلُ

ونَصُّ البيتِ في شرح ابن الأنباري لقصيدة (بَانَتْ سُعَاد) تحقيق الدكتور محمود حسن زيني ـ ١٠٤ ـ:

تَخْدِي عَلَى يَسَرَاتٍ وَهْيَ لاَحِقَةٌ ذَوَابِـلٍ، وَقْعُهُنَّ ٱلأَرْضَ تَحْلِيـلُ

وبِحَذْفِ الواو يستقيم الوزن، ولعل زيادتها تطبيع.

٥ ـ ص ١٦٣ : في شرح البيت:

تَجْلُو بِقَادِمَتَيْ قُمْرِيَّةٍ بَرَدًا غُرًّا تَرَى في مَجَارِي ظَلْمِهِ أُشَرَا

قال المحقق الكريم: (استعار الرِّيْش هنا ليدي المرأة لما فيهما من نعومة وبضاضة).

ولما لا يكون المعنى أنَّ صاحبته تجلو أسنَانَها بريشتين من ريش قوادم قُمْرِيَّة، وفي كتاب «ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري وهو من مصادر المحقق الفاضل على ما أشار إلى ذالك ص ٣٤٤ ما هذا نصه: وَقَالُوا: أَجْوَدُ ماقيل في الثَّغرِ من شعر المتقدمين قول جرير:

تُجْرِي السِّوَاكَ عَلَى أَغَرَّ كَأَنَّهُ بَرَدٌ تَحَدَّرَ مِنْ مُتُوْنِ غَمَامِ

وقالوا بيت النابغة:

تَجْلُو بِقَادِمَتِي حَمَامَةِ أَيْكَةٍ بَرَدًا أُسِفَّ لِثَاتُهُ بِالإِثْمِدِ
كَالأُقْحُوَانِ غَدَاةَ غِبِّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيْهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي

شبَّهَ الشَّفتين لرقتها بقادمتي حمامة. كذا قال العسكري في كتابه ـ ٢٣٨/١ ط القدسي ـ ولكن الشرح المنسوب للأعلم لشعر النابغة جاء فيه مانصه ـ «ديوان النابغة» ط دار المعارف بمصر ٩٤ ـ: وقوله: (تَجْلُو بقادِمَتَيْ حمامةٍ) يقول: إذا تَبَسَّمَتْ كَشَفَتْ عن أَسْنَانٍ كأنَّها بَرَدٌ، لبياضها وصفائها. والقادمتان: الريشتان اللتان في مقدمتي الجناحين، يعني أن في شفيتها لَعَسًا وَحُوَّةً، وهو سُمْرَةٌ في الشفتين، وهما لَطيفتان بَرَّاقَتَانِ، فشبهها بالقادمتين لذالك، وأراد بالحمامة القِمْرِيَّة، وخص القادمتين لأنها أشدُّ سوادًا من سائر الرِّيش، وقيل: أراد بالقادمتَيْن إصْبَعَيْهَا، يعني أنها تجلو أسنانها وتصقلها بالسواد، وشَبَّهها بالقادمتين لطولها. والقول الْأول أصَح. انتهى، ولاأزال أرى أن قادمتي رِيش الحمام كانَتا مِمَّا يستعمل لجلاءِ الأسنان.

٦ ـ ص ١٦٥ : جاء في الحاشية هذا البيت:

(إلى قَاعِ النَّقِيرِ إلى قَرارِ جِلالِ ذِي حَذَرِ)

قَولُ المحقق الفاضل في شرحه: (وحلال من نواحي اليمن).

لماذا لا يكون حلال هنا بمعنى (نزول) كما قال زهير:

لِـحَـيٍّ حِلَالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِـي بِمُعْظَمِ

وحَـيٌّ حِلَالٌ: أي كثير، وأنشد الأصمعي:

أَقَـوْمٌ يَبْغَثُـونَ الْعِـيْرَ نَـجْـدًا أَحَبُّ إِلَيْـكَ أَمْ حَـيٌّ حِـلَالٌ؟

والْـحِـلال القوم المقيمون المتجاورون ـ انظر «لسان العرب» ـ حلل ـ.

٧ ـ ص ٢٤٦ : ورد البيت:

(فالآنَ لـمَّا حَلَّ ذَوُا الأَثْلِ دُوْنَهَا نَدِمْتَ، ولَـمْ تَنْدَمْ هُنالِكَ مَنْدَمَا)

أخشى أن تكون كلمة (حَلَّ) هنا وقعت تطبيعًا فالمتبادر إلى الفهم (حال).

٨ ـ مما لم أره في الشعر المنسوب إلى الأحوص ثلاثة أبيات وردت في «خزانة الأدب» ١٩٢/٢ بهذا النص:

أَلَا يَـا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِـرْقٍ عَـلَيْـكِ وَرَحْـمَـةُ اللَّهِ الـسَّـلَامُ

بعد شرح البيت قال صاحب «الخزانة»: وهذا البيت أول أبيات ثلاثة نسبت للأحوص أوردها الدميري وابن أبي الأصبع في «تحرير التحبير» والبيتان الآخران هما:

سَـأَلْتُ النَّاسَ عَنْـكِ فَخبَّرُوْنِـي هَنًـا من ذاكِ تَكْـرَهُـهُ الْكِـرَامُ
وَلَـيْسَ بِـهَا أَحَـلَّ اللَّهُ بَـأْسٌ إِذَا هُـوَ لَـمْ يُخَـالِطْهُ الْـحَـرَامُ

٩ ـ ويبدو أن المحقق الكريم لم يُشرف على تصحيح تجارب الطبع (البروفات) ولهذا وقعت تطبيعات طفيفة، ومن أمثلتها: ـ

(١) في فهرس الأماكن: عدم ذكر أسماء مثل (أحجار المراء: ٢٧٣، الـحِجْر: ٢٤٨، راهط: ٢٤٨).

(٢) وأخطاء في ضبط بعض الأسماء مثل كلمة: (حِبَّر: ١٣٠) حيث وضع على الحاء فتحة والباء شدة وفتحة، بل ورد ص ١٣٠: (حِبِّر ـ بتشديد الباء)

« التعريف بالأنساب والتنويه لذوي الأحساب »

(٢)

حول نسب عسير :

ولكن يبرز هنا سؤال حولَ ما لا يجد الباحثُ له مصدراً في غير هذا المؤلف من الكتب عن أنساب بعض القبائل، ومنها :

١ ــ **فَرَسَان** : فقد ورد عنها في كتاب الأشعريِّ هذا تفصيلٌ لا يجده الباحث فيما بين يديه من المؤلفات، ومن المؤسف أنَّ الأشعرِيَّ لم يُشِرْ إلى مصدره في ذالك، وهكذا يفعل في كثير من المعلومات المتعلقة بأنساب القبائل الأخرى، ولكن لقدمه ولكونه من أهل تِهَامَة التي استقَرَّت قبيلة فَرَسان في الجزر المعروفة بها أمام جازان مما يحمل على الثقة بما ذكر من أنساب تلك القبيلة، فقد يكون تلقَّى معلوماتِهِ عن بعض الفرسانيين أنفسهم.

٢ ــ **عسير** : ونَسَبَ الأَشْعَرِيُّ في هذا الكتاب عَسِيْراً إلى عَبْسِ بن سُحَارة بن غالب بن عبدالله بن عَكٍّ بن عدنان، فقال عن عَبس: له أربعة أولاد ثوبان ومالكَ أمهما هند بنت نَبْتِ بن نهشل أخت غافق وساعدة، وماتت عنده فتزوج

← والصواب هنا بتشديد الراء وكسر الباء والحاء .

والرُّوَيْثَة: ١٦٠ حيث وضع الاسم (الرَّوْثِيَّة) في هذا الصفحة وفي الفهرس.

(٣) أما الإحالة عند ذكر الأسماء إلى صفحات غير صحيحة فهي من الكثرة بمكان وما الغاية من هذا سوى لفت نظر المحقق الكريم عند إعادة طبع الديوان مرة أخرى ان شاء الله .

ولأعُدْ إلى ما أنا بسبيله.

(للحديث صلة) : حمد الجاسر

أختها صعبة بنت نَبْتٍ، فأولد منها ربيعة وعُسَيْرا. وقال في موضع آخر: وأما عُسَيْرُ بن عبس فإنما سُمِّيَ عُسَيْراً لأن أمه تمخضت به ثلاثة أيام وتَعَسَّرَتْ ولادتُهُ فسمي عُسَيْرَ، فأولدَ عُسَيْرُ الحارثَ وعَلْيَان وعُبَيْداً. إلى أن ذكر أن منهم: سَكَنَةُ الوادي ضَمَدٍ (ص ١١٦ المطبوعة).

وهذا القول في نسبة عسير ـ إن أُرِيْدَ به القبيلة المعروفة ـ لم أَرَه لغيره وهو يخالف ماذكر الهمداني وهو أقدم منه وأوثق، ومخطوطة الكتاب ليست على درجة من الصحة تحمل على الثقة بكل مافيها، واسم (عسير) تكرر فيها بضم العين (عُسَيْر) وهذا مما زيد في الشك.

والمعروف أنَّ عَسِيراً من قبائل الأزد ـ أَزْدِ شَنُوْءَةَ ـ وليسوا من عَكٍّ، وإن كان بعض النسابين ينسب عَكًّا إلى الأزد، خلافَ نسبة الأشعري لهم إلى عدنان، ووقوع الاختلاف في نسب عكٍّ أشار إليه قدماءُ علماء النسب، فقد نقل ابن هشام في «السيرة النبوية» ١/٨ عن ابن إسحاق قوله: فمن عدنان تفرقت القبائلُ من ولد إسماعيل، فولد عدنَانُ رَجُلَيْنِ مَعَدَّ بْنَ عدنَان، وعَكَّ بْنَ عدنان، قال ابن هشام: فصارت عَكُّ في دار اليمن، وذالك أَنَّ عكًّا تزوج في الأَشْعَرِيْن، فأقام فيهم فصارت الدَّارُ واللغَةُ واحِدةً.

أما ابن الكلبي فقد جاء في مختصر كتابه «الجمهرة»: ـ مخطوطة راغب باشا في اصطنبول رقم ٩٩٠ ـ ص ٢١٤/٢٢٣ ـ: ولدَ عكُّ بن عدنان بن عبدالله بن الأزد الشَّاهِدَ وصُحَاراً، وهو غالب، وسُبَيْعاً ـ درج ـ وقَرْناً، وقد دخل في الأزد. إلى آخر ماذكر.

والإشارة إلى الاخْتلاف في نسبة عَكٍّ إلى عدنان أو إلى الأزد لها صلة بالبحث في نسب قبيلة عَسِير، وهو بحث سبق أن دار النقاشُ فيه قبل أكثر من ثلاثين عاماً، فقد نشرتْ جريدة «اليمامة» (ع ١٦٨ تاريخ ١٢/١٠/١٣٧٨هـ) بحثاً للشيخ هاشم بن سعيد النعمي، حول اشتقاق اسم عَسِير، وعن نسبِ القبيلة قال فيه: إنَّ بلاد عسير منسوبة إلى عسير بن عَبْسٍ أحد أولاد عَكِّ بن عدنان، كما جاء في الرسالة المعروفة بـ «قَمْع المُتَجَرِّي» للمؤرخ حسن بن عبدالله الضمدِيِّ، من علماء (المخلاف السليماني) في القرن الثاني عشر الهجريّ، ونقل نَصَّ كلامه

في تلك الرسالة.

ثم نشرتْ جريدة «اليمامة» (ع ١٧١ تاريخ ١٣٧٨/١١/٩هـ) مقالاً لأمير بلاد عسير الشيخ تركي بن ماضي - رحمه الله - يتحدث فيه عن نسب عسير حديثاً مُسْتَمَدًّا من عدة مراجع، ومما يرويه الْخَلَفُ عن السلف، من أنَّ سكان هذه المقاطعة من عسير من الأزد، مشيراً إلى اختلاطِ بعض قبائل نِزَارِيَّةٍ في قبيلة عسير، وعَدَّ من تلك القبائل رُفَيْدَةَ وبَنِـي مالك أهل تَمْنِّيَة، وبنو شَيْبَةَ أهل المسقى، وأَهْل القرعاء، وبنو أسامة من تِنْدِحَةَ، وقبيلة كَوْدٍ، وقال: إن هذه القبائل من عَنْزٍ، واستدلَّ على بعض ماذكر بقول الهمداني وابن حزم، وقال عن عسير: إنهم من أَزْدِ شَنُوْءَةَ، نسبة إلى الجبل المعروف بهذا الاسم، الواقع في بلاد بني مالكٍ، على نحو عشرين كيلاً من أَبْهَا، وأوضح بعض أنساب القبائل العسيرية وصلتها بالأزد.

وأشار إلى أنَّ عَكَّ بن عدنان الوارد في كلام المؤرخ الضمديِّ، ينتسب إلى عدنان بن عبدالله بن الأزد، واسترسل في الموضوع، واستشهد بقول الشيخ علي ابن حسين الحِفْظِيِّ، في قصيدته التي بعث بها إلى الإمام فيصل بن تُرْكي سنة ١٢٨٦هـ، ومنها في ذكر قبائل عسير:

وفيها لُيُوْثُ ٱلأَزْدِ مِنْ كُلِّ شِيْعَةٍ يُصَالُوْنَ نَارَ ٱلْحَرْبِ ذَاتِ التَّوَقُّدِ

ومنها:

بِأَيْدِيْ رِجَالٍ مِنْ شَنُوْءَةَ جَدُّهُمْ حَذَا بِهِمُ نَجْداً إِلَى حَذْوِ فَرْقَدِ

وأضافت جريدة «اليمامة» تعليقاً على مقال الأمير تركي ماجاء في كتاب «الإكليل» من نسبة عسير إلى إراشة بن عَنْزِ بن وَائِلٍ، وهو يوافق ماذكره ابن الكلبي في «جمهرة النسب».

ثم عاد الشيخ هاشمُ بن سعيد النّعْمِـيُّ في جريدة «اليمامة» (ع ١٧٨ تاريخ ١٣٧٩/١/٦هـ) للموضوع ببحثٍ يَنْصَبُّ على منزلة الشيخ حسن بن أحمد بن عبدالله الضمدي في العلم، ونقل عنه أنه استوعب في رسالته طرفاً من بطون عكٍّ ابنِ عدنان، الذين نزحوا إلى اليمن، واتخذوا بلادَ الأشعريين دارَ إقامة، ومنهم

الزرانيق والمشارعة، وبنو العُجَيْل، والمعازبة، وبنو ذُؤَال، من ذؤال تفرعت بطون عَكٍّ، كصريف بن ذؤال الذي يُنسَبُ إليه بنو الغزالي، وبنو الهتار، وبنو الشرحي، وبنو مالك بن ذؤال، وبنو شَنُوْءَةَ مِنْ عَكٍّ، ثم قال المؤلفُ: ولم يكن بِنَشُوْءَةَ الذي يضاف إليه الأزد فيقال أزد شَنُوءَةَ، احترازًا من أزد السَّراة، وأَزْدِ عُمَان، وأَزْدِ دَبَا، فكل أؤلئك أولاد الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سَبَإِ بْنِ يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ بنِ قحطان فالفرق واضح، إلى أن قال: ويلتقِي نسبُ عَسِيْرِ وثَوْبَانَ في عبس بن شحارة(؟) بن غالب بن عبدالله بن عَكٍّ بن عدنان، وهو بالنون المهملة، وعك بن عُدْثَان، بالثاء المثلثة، هو من الأزد، ثم قال: وقد يغلط في ذالك من لا خبرة له في علم النسب فَتَيَقَّظْ، إلى أن جاء في بحثه مايشعر بأن قبائل مختلطة بعسير ترجع إلى أَزْد شنوة من القحطانية ـ كذا قال الشيخ النعمي ـ.

وكان خاتمة النقاش في الموضوع كلمةٌ لأديب بلاد عسير الأستاذ عبدالله بن علي ابنِ حُمَيِّد ـ رحمه الله ـ بعنوان (تعقيب وإيضاح حول نسب عسير) استعرض فيها ما سبقتِ الإشارةُ إليه، وأضاف ماجاء في «السيرة النبوية» عن وفود صُرَدِ بن عبدالله الأزديِّ، إلى النبي ﷺ، في وفد من قومه وأن آثار منازلِ صُرَدٍ، ومرابطَ خيله لاتزال موجودةً في وادِيْ حَمَرَة، الذي يبعد عن أبها بنحو عشرة أكيال، والْـمُصَاقِبُ لجبال شَنُوْءَةَ التي سكنها أزد شَنُوْءَة، وأشار إلى مدينة جَرَشٍ وآثارها، وذكر أَنَّ علماءَ النسب عددوا أسماء قبائل الأزد، وهي تتشابه مع أسماء بعض القبائل العدنانية، ومن هنا وقع الالتباس كما في (عدنان وعدثان).

وحاول الأستاذ ـ رحمه الله ـ أن يُوْهِن قول الهمداني بأن في قبائل عسير من تَنَزَّر: (أنَّ عسيرًا يمانيَّةٌ تَنَزَّرتْ) بل إنَّ راعي الغنم منهم حين يُسْأَل ممن أَنْتَ؟ يقول: من عسير، ثم ينسب عسيراً إلى قحطان.

وأورد من شِعْرٍ عاميٍّ للأمير أحمد بن محمد الجزار الـمَتْحَمِيِّ المتوفى في مطلع القرن الثاني عشر، جاء فيه نسبةُ عسيرٍ إلى قحطان، وأضاف: لا يوجد في قبائل عَسِيْرٍ مَنْ يُنْتَسَبُ إلى عدنان إلا قيس بن مسعود، وبنو زيد، وبنو جُوْنَةَ أو بنو

في «التعليقات والنوادر» للهجري

- ٧ -

حاتم بن مدرك الحبشي حاتم بن مدرك الحبشي

[بقية القصيدة المنشورة ص ٢٥٦ من الجزء الماضي]

فَـمَا هِـيَ إلَّا نَـقْمَـةٌ تُـبْتَـلَى بِهَـا ... كَمَا كُنْتَ بِالْأُوْلَى الَّتِي قَبْلَهَا تُبْلَى
فَلَيْتَ لَـنَـا عَـدْلاً فَـيَحْكُمَ بَيْنَنَـا ... وَأَهْـوَنُ مِمَّا بَيْنَنَـا يَبْتَغِـي عَـدْلاَ
لَـهُ رَبَـذِيٌّ مِـنْ قُـرَى قَـطَرِيَّـةٍ ... شَـدِيْدٌ جَـدِيْدٌ مُـدْمَجٌ مُحْكَمٌ فَتْـلَا
فَيَنْـظُرَ أَسْوَانَـا إذَا كَـانَ غَـائِبـاً ... لِصَـاحِبِـهِ عَـيْبـاً وَأَقْبَحَـهُ فِـعْـلاً
وَأَشْبَهَنَـا وَجْهـاً إذَا كَـانَ بَيْنَنَـا ... بِـوَجْـهِ الـظَّلُوْمِ ثُمَّ يُوْجِعُـهُ غِسْـلاَ
وَيَـشْهَـدُنَـا آلُ الـزُّبَـيْرِ وَهَـاشِـمٍ ... وَآلُ أَبِـي بَكْـرٍ مَجَـالِسَ لاَ تُقْـلَى

← الجون، وسكان جبل صُلَبٍ، فهاؤلاء يقال لهم بكر بن وائل، وقد اندمجوا في رجال أَلْمَعَ، وهم عَسِيْرٌ تِهَامة، فأما إنهم من بكر بن وائل، نزحوا إلى هذه الأصقاع في حروب بكر مع تغلب، أو إنهم من نسل وائل بن حارثة بن عمرو ابن عامر.

وَفَنَّدَ الأستاذ ابن حُمَيِّدٍ القول بأن اشتقاق اسم عسير من وعورة الجبال التي يسكنونها.

ولا يتَّسِعُ المجال للاسترسال في الحديث عن نسب عسير بأكثر من هذا، وإنما الغاية الإشارة إلى أن ما ورد في كتاب الأشعري الذي بين أيدينا من نسبة تلك القبيلة إلى عَكٍّ ليس بين أيدي الباحثين ما يُؤَيِّدُهُ، لا من النصوص القديمة، ولا من ألآراءِ والأقوال المعروفة بين النسابين في العهد الحاضر.

وليس النصُّ الوارد في الكتاب من الصحة بالدرجة التي تحمل على الاعتماد عليه، فمخطوطة الأصل مشحونة بالأخطاء، وكلمة (عسير) حيث ما وردت قد كتبت بصيغة تخالف النطق الصحيح لاسم القبيلة.

(للبحث صلة) : حمد الجاسر

وَمُجْلِسُ ذَلْفَاءَ الْمَلِيْحَةَ عِنْدَنَا وَجُمْلاً فَإِنَّ اللهَ مَلَّحَ لِي جُمْلا
هِجَانَانِ قَالَ اللهُ كُوْنَا فَكَانَتَا كَمَا قَالَ لاَتَدْرُوْنَ أَيُّهُمَا أَحْلَى
وَذَلْفَاءُ فِي غَيْرِ الْتِمَاسِ لِعَيْبِهَا بِغَوْرٍ فَلَمْ تَسْكُنْ دِمَاثاً وَلاَ سَهلا
وَلَيْسَتْ كَأُخْرَى بِالْبَيَاضِ فَأُعْطِيَتْ بَيَاضاً وَلَحْماً مَائِراً وَشَوَى خَدْلاَ
مَلاَ الْعَيْنَ رَيَّا الْحِجْلِ يَلْعَبُ سِمْطُهَا كَأَنَّ بِعَيْنَيْهَا وَلَمْ تَكْتَحِلْ كُحْلاَ
فَلاَ يَرْفَعُ الْجَلاَّدُ عَنْهُ سِيَاطَهُ بِمَحْضَرِهِمْ حَتَّى يَقُولُوا لَهُ: بَسْلاَ
وَحَتَّى يَرَى آلُ الزُّبَيْرِ وَهَاشِمٍ وَآلُ أَبِي بَكْرٍ عُقُوْبَتَهُ مَثْلا
وَيُقْدَرُ لِلْمَظْلُوْمِ أَنْ يُجْمِعَا لَهُ وَيُجْلَدُ أَسْوَاطاً أَشَدُّهُمَا بُخْلاَ

فأجابه عبدالله بن أبي صبح المزني :

أَلاَ حَيِّيَا الذَّلْفَا أَلاَ حَيِّيَا جُمْلاَ وَقُوْلاَ: تَغَنَّى حَاتِمٌ بِكُمَا جَهْلاَ

- وستأتي في شعره -.

٥٥ ـ حارث بن سبَّاع المطلي السُّلَمِي

أنشدني[١] لحارثِ بن سَبَّاعِ بن جُوَيْنٍ الْمَطْلِيِّ مِنْ عَمِيْرَةِ خُفَافٍ :

١ ـ لَعَمْرُكَ للثِّمَادُ ثِمَادُ (أُبْلَى) أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ (عَمْقٍ) مُحَيَّا[٢]
٢ ـ مَنَازِلُ كُلِّ أَبْيَضَ مَضْرَجِيٍّ كَرِيْمِ الْخَالِ سَادَ بِهَا صَبِيَّا
٣ ـ أَلَمْ تَأْتِ التَّكَاكَةَ قَدْ تَرَاهَا كَقَرْنِ الشَّمْسِ بَادِيَةً ضُحَيَّا[٣]
٤ ـ أَلَمْ تَرَ مَاسَقَاكَ الْقَوْمُ عَمْداً مِنَ التَّرْغِيْمِ لَمْ يَخْشَوْكَ شَيَّا

فأجابه ، وكان ابن شهاب قال :

١ ـ عَلَوْتُ مِنَ الصَّبَابَةِ رَأْسَ (أُبْلَى) فَمَا آنَسْتُ مِنْ (عَمْقَيْنِ) شَيَّا[٤]

---

(١) (٢٦١هـ). والمنشد : هو أبو المضاء سيار بن صخر الناصري أحد بني عتبة من خفاف سليم (٢٦٠هـ/٢٦٥هـ).
(٢) (في الأصل: أحب إليه عمق محييا). وفي الهامش: (أراد محييا من الحيا فخفف) وسيأتي ذكر المواضع في القسم المخصص لها.
(٣) في الهامش: (رجل تكيك لا رأي له، بيّن التكاكة).
(٤) في الهامش: (عمق الزروع قرب الفرع).

في أربعة أبيات ترد عند ذكر ابن شهاب.

فردَّ عليه حارِثُ بن سَبَّاعٍ:

١ ـ لَعَمْرُكَ للثِّمَادُ ثِمَادُ (أُبْلَى) أَحَبُّ إليَّ مِنْ (عَمْقٍ) مُحَيَّا
٢ ـ مَنَازِل كُلِّ زِنْجِيٍّ بَطِيْنٍ يَعُدُّ لِطَلْعِهَا عَدَداً وَحَيَّا
٣ ـ إذَا صَاحَتْ ضَفَادِعُهَا سُحَيْراً عَلَى خُضْرِ النِّجَالِ شَرِبْنَ رِيَّا

٥٦ ـ الحارثــــــي

وقال: أنشدني الحارثيُّ من حارِثَةِ جَدِيْلَةِ طَيٍّءٍ يمدح فارعَ بنَ جميل بن زَوْلاَن السِنْدِيَّ مُرِّيٌّ[١]:

وَقَالَتْ مَعْ مَنَ[٢] انْتَ فَإنَّ قَلْبِي يَخَافُ عَلَيْكَ أَحْدَاثَ الزَّمَانِ
فَقُلْتُ: مَعَ ابْنِ زَوْلاَنٍ جَمِيْلِ فَتَى غَيْظٍ، وَفَرْعُ بَنِي سِنَانِ
فَتًى يُغْلِي عَصِيْبَ اللَّحْمِ نِيًّا وَيُرْخِصُهُ عَلَى مَتْنِ الْخُوَانِ
وَأَكْثَرُ هَمِّهِ شَطَنٌ طِوَالٌ وَمَصْقُولٌ وَمَوَّارُ الْعِنَانِ

٥٧ ـ حُبَاب بن بُكَيْرٍ القُشَيْرِيُّ

حُبَابُ بن بُكَيْرٍ الْقُرِّي إلى سلمة بن قُشَيْرٍ[١]:

صَدَعَ الظَّعَائِنُ قَلْبَكَ الْمَشْغُوفَا بِلِوَى (عُرَيْقَة) إِذْ أَرَدْنَ خُفُوْفَا
وَلَقَدْ أَقَمْنَ فَما قَضَيْتَ لُبَانَةً بِلِوَى (عُرَيْقَةَ) مَرْبَعاً وَمَصِيْفَا

---

(١) (٤٣٢م) ـ لعل القائل (الأشجعي) فهو أقرب مذكور.
(٢) فوقها كلمة (صل).

(١) (١٣٤م) القُرِّي: قُرَّة بن هُبَيْرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير (٦١م). نسب أحدهم إلى كتاب الهجري «التعليقات والنوادر» أن هذا الشاعر (جاهلي مُقِلّ)!! انظر «شعراء بني قشير» ١/٣٢٦ مع أنه لم يرد في كتاب الهجري عنه سوى ماتقدم.

٥٩ ــ حَبَشُ بن سعيد النَّهْدِي

وقال: أنشدني[١] أَبو عُمر الزُّهيريُّ، زُهَيْرُ نَهْدٍ، لحبش بن سعيد بن مجاهر[٢] الأزرقي، أَزْرق نهد، يقولها للمستنير الْعَتَكِي، والعَتِيك بن عمران بن عمرو بن عامر إلى مازن الأَسْد، وهم أهْلُ (وَحْفَةِ الْقَهْرِ) وهم إخوةُ الأَنْصار، وَجَرَح يَدَهُ، وهي هاهنا تامة:

١ ـ يَاطُوْلَ لَيْلِكَ بِـ(النُّخَيْلِ) فَـ(بَاقِمٍ)   فَصُدُوْرِ (صَالَةَ) فَالْمَسِيْلِ الْأَجْوَفِ

٢ ـ مَنَعَ الرُّقَادَ بِهِ الْهُمُوْمُ فَحِشْوَتِي   تَصِلُ الْأَنِيْنَ بِزَفْرَةٍ وَتَلَهُّفِ

٣ ـ وَإِذَا مَلَلْتُ لِجَانِبٍ عَنْ جَانِبٍ   عَلَزَ[٣] الْأَسَرَّ عَلَى الْمَنَاخِ الْأَجْنَفِ

٤ ـ أَرْعَى النُّجُوْمَ كَأَنَّنِي مُتَكَلِّفٌ   بِالْغَارِبَاتِ وَبِالتَّوَالِي الْخُلَّفِ

٥ ـ وَغَدَرْتَ بِي يَامُسْتَنِيْرُ وَلَمْ أَكُنْ   لِأَخِي الْخِلَالَةِ بِالْغَدُوْرِ الْمُقْرِفِ

٦ ـ يَا مُسْتَنِيْرُ لَوَ أَنَّ مَا آذَنْتَنِي   وَاللَّيْلُ فِي عُنُقِي وَعَضْبٌ مُرْهَفُ

٧ ـ لَعَلِمْتَ أَيَّ فَتًى تَرُوْعُ وَإِنَّمَا   عِنْدَ الْكَرِيْهَةِ تُبْتَلَى أَوْ تَعْرِفُ

٨ ـ لَوْ كُنْتَ حِيْنَ رَأَيْتَ حُسْنَ صَنِيْعَتِي   وَرَأَيْتَ حُسْنَ تَجَاوُزِي وَتَعَفُّفِي

٩ ـ جَازَيْتَنِي بِجَزَاءِ مَا أَوْلَيْتُكُمْ   وَحَمِدْتَ رَبَّك بِالنَّزِيْعِ الْمُنْصِفِ

١٠ ـ إِذًا لَرُحْتَ وَشَعْبُ قَوْمِكَ سَالِمٌ   وَالْحَرْبُ سَابِغٌ ذَيْلِهَا لَمْ يُكْشَفِ

١١ ـ لٰكِنْ نَبَتْ بِكَ نَخْوَةٌ وَعَدَاوَةٌ   فَجَمَعْتَ بَيْنَ عَدَاوَةٍ وَتَكَلُّفِ

١٢ ـ يَا مُسْتَنِيْرُ لَتَشْرَبَنَّ بِغِبِّهَا   نَغْرًا تَدُرُّ بِهِ الْعُتُوْمُ وَتَعْطِفُ

١٣ ـ لَهْفِي بِقِلَّتِنَا وَكَثْرَةِ جَمْعِكُمْ   يَوْمَ (السِّرَاقِ) وَأَنَّنَا لَمْ نَضْعُفِ

١٤ ـ وَدَعَا أَبُو الْحَجَّاجِ: إِنَّ لَنَا غَدًا   وَلَكَ الْعَشِيَّةَ فَابْرِ نَبْلَكَ وَارْصِفِ

١٥ ـ فَسَلِ الْقَبَائِلَ هَلْ وَفَى لَكَ وَعْدُنَا   يَوْمًا بِـ(رَهْنَةَ) وَالْأَسِنَّةُ تَرْعُفُ

١٦ ـ وَسَلِ الْقَبَائِلَ هَلْ شَفَيْنَا غِلَّنَا   مِنْكُمْ وَنَضْحُ دِمَائِنَا لَمْ يَقْرِفِ

---

(١) (٣٩٤م) أبو عمر الزهيري ورد: (أبو عمرو الزهيري) في (٢هـ) و(٣٢٠م) كما ورد في هامش «معجم الشعراء» ـ ٣١٦ تحقيق كرنكو قال الهجري في نوادره: أنشدني أبو عمرو النهدي للفضيل بن صبح العتكي ـ وأورد له رجزاً. وورد في (١٤هـ) و(٧١هـ) و(٣١٧م) و(٣٢٢م) أبو عمر ولا أستبعد أن يكون الصواب (أبو عمرو).

(٢) في «أنساب البلبيسي»: مجاهد ـ في رسم الأزرقي.

(٣) في الأصل: (علن).

١٧ ـ أضرَاكَ خَوْضُكَ فِي دِمَاءِ مُرَمِّضٍ … كَفًّا تُشَلِّلُهَا وَنَفْساً تُدْنِفُ(١)

١٨ ـ حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْحِمَامُ لِوَقْتِهِ … وَجَرَتْ بِنَصْرِهِمُ(٢) الْجَوَارِي الْعُيَّفُ

١٩ ـ نَزَرَتْكَ نَفْسُكَ فَابْتُلِيْتَ بِحَرِّنَا … وَالذَّنْبُ مُعْتَلِقٌ بِجِيْدِ الْمُسْرِفِ

٢٠ ـ نَفْسِي فِدَاءُ عِصَابَةٍ سَارَتْ لَكُمْ … لَمْ يَرْقُبُوا الْحَمَقَ الصَّرِيْحَ الْمُرْدِف

٢١ ـ بَاتُوا وَبَاتَ دَلِيْلُهُمْ يَهْوِي بِهِمْ … وَهُمُ يَجُوْبُ بِهِ الْبِلَادَ وَيَعْسِفُ

٢٢ ـ يَهْوِي بِأَبْيَضَ مَحْضَةٍ أَعْرَاقُهُ … عَارِي الْعِظَامِ مِنَ الْبَضِيْعِ مُخَفَّفُ

٢٣ ـ حَتَّى إِذَا وَضَحَ الصَّبَاحُ وَوَاجَهُوا … خِيَراً(٣) تَعَلَّلُ بِالْغِنَاءِ وَتَعْزِفُ

٢٤ ـ تَرَكُوْا مُنَازَلَةَ الْخِطَابِ وإِنَّنَا … عِنْدَ الْقِسَامِ بِمِثْلِهَا لَا نُخْسَفُ

٢٥ ـ صَبَّحُوْا الْعَتِيْكَ عَلَى تَنَادِي دَارِهَا(٤) … بَعْدَ الصَّرِيْحِ وَجَمْعِهَا الْمُسْتَكْثِفِ

٢٦ ـ رَجْرَاجَةٌ ظَهَرَ الْقَتَامُ لِرِزِّهَا … وَأَبَتْ نُجُوْمُ نَهَارِهَا لَا تَكْسِفِ

٢٧ ـ نِعْمَ السَّحَابَةُ أَوْشَمَتْ فِي أَرْضِكُمْ … نَزَلَتْ بِحَاشِيَةِ الْجَمِيْعِ الْمُؤْلِفِ

٢٨ ـ لِابْنَيْ عُدَيَّةَ حِيْنَ أُشْعِلَ فِيْهِمَا … مِثْلُ الشَّقِيْقَةِ فِي الْقَنِيْفِ الْمُشْعِفِ

٢٩ ـ مَطَرَتْ فَأَسْبَلَ حِيْنَ أَسْبَلَ وَدْقُهَا … بِالْمَشْرَفِيَّةِ وَالتِّرَاسِ الرُّجَّفِ

٣٠ ـ بِالْبِيْضِ مُخْلَصَةَ الصِّقَالِ كَأَنَّهَا … لَمْعُ الْبَوَارِقِ فِي الْحَبِيِّ الْأَكْلَفِ

٣١ ـ كَانَتْ مَوَارِثَ مِنْ جُدُوْدِ جُدُوْدِنَا … مِنْ عَهْدِ أَسْعَدَ فِي الزَّمَانِ الْمُرْجِفِ

٣٢ ـ نَشْفِي بِهَا حَنَقَ النُّفُوْسِ وَنَقْتَضِي … خَسَفَ الذُّحُوْلِ بِهَا إِذَا لَمْ نُنْصِفِ

٣٣ ـ وَتَنَازَلَتْ أَبْطَالُنَا وَأُسُوْدُكُمْ … زَحْفَ الْجِمَالِ إِلَى الْجِمَالِ الرُّسَّفِ

٣٤ ـ فَهُنَاكَ بَانَ بَلَاؤُنَا وَبَلَاؤُكُمْ … وَبَدَا الْعَزِيْزُ مِنَ الذَّلِيْلِ الْأَضْعَفِ

٣٥ ـ وَنَجَا الْمُنِيْرُ وَلَا أُلُوْمُ نَجَاءَهُ … فِي يَافِعٍ شَمَمٍ بَعِيْدِ الْمُشْرَفِ

٣٦ ـ حَتَّى إِذَا سَكَتَ الْوَغَا وَتَجَاوَبَتْ … بِالنَّوْحِ بَاكِيَةٌ وَأُخْرَى تَهْتِفُ

٣٧ ـ وَنَظَرْتَ بِالْبَصَرِ الْخَسِيْسِ إِلَيْهِمُ … وَعَلِمْتَ أَنَّ حِسَابَهَا لَمْ يُخْلِفِ

٣٨ ـ وَرَدَدْتَّ بِالْكَفِّ الْعَدُوْلِ لِأُخْتِهَا … وَهُنَاكَ ذُقْتَ نَدَامَةَ ابنِ الْمُخْطِفِ

٣٩ ـ فَرَجَعْتَ تَنْظُرُ هَلْ تَجَلَّى غَمْرُهَا … وَالنَّقْعُ يَظْهَرُ فِي الْعَجَاجِ الْمُعْصِفِ

---

(١) في الهامش: (مرمض من نهد. دَنِفت وأدنفها جارحها).

(٢) قد يكون الصواب (بنصركم).

(٣) في الهامش: (خِيَرُ قَوْم: خِيَار). (٤) لعلها: (تنائي دارها).

٤٠ - لَيْتَ ٱلْمَقَابِرَ يَوْمَ (ذَاتِ قُتَابِدٍ) ... جُلِيَتْ فَتَنْظُرَ نَظْرَةً يَايُوسُفُ[١]
٤١ - فَتَقَرَّ عَيْنُكَ مِنْ خَلِيْلِكَ طَارِقٍ ... وَبَنِي أَبِيْهِ وَيُوسَفَ بْنِ مُطَرِّفِ
٤٢ - حَتَّى تَرَى وَأُسُوْدُ قَوْمِكَ تَقْتَضِيْ ... بِالْمَشْرَفِيَّةِ وَالْقِسِيِّ الْعُطَّفِ
٤٣ - مَاشِئْتَ مِنْ بَطَلٍ يَجُوْدُ بِنَفْسِهِ ... قَعْصاً وَمُنْعَفِرِ الْجَبِيْنِ مُسَيَّفِ
٤٤ - قَسَمَ ٱلْمُشَطَّبُ شَعْبَ هَامَةِ رَاسِهِ ... كَفَضَاضِ هَيْضِ الْعُلَّفِ[٢]
٤٥ - وَمُقَيَّدٍ قَصَرَ ٱلْمَشَاقِصُ خَطْوَهُ ... يَقْطُو كَمَا يَقْطُوْ الْحَسِيْرُ الْمُزْحِف
٤٦ - مِلْ آنَ حَدِّثْ مَا أَرَدتَّ مُحَلَّلاً ... إِنْ شِئْتَ فَاصْدُقْهُمْ وَإِلَّا فَاخْصِفِ[٣]
٤٧ - وَظَنَنْتَ أَنَّكَ سَوْفَ تَجْعَلُ صَابَتِي ... لَهْواً تَعِلُّ بِهِ الرِّفَاقَ وَتُوجِفُ
٤٨ - كَذَبَتْكَ مُخْبِرَةُ الْخَلَاءِ وَإِنَّمَا ... تُنْبِيْكَ ظِنَّتَهَا بِـ(ذَاتِ ٱلْأَجْرُفِ)
٤٩ - لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا الطُّلَابَةَ لَمْ تَذُقْ ... نَوْماً وَضَاقَ بِذَرْعِكَ ٱلْمُتَصَرَّفُ
٥٠ - وَمَلِلْتَ بَاقِيَةَ الْحَيَاةِ وَإِنَّمَا ... لَيْسَ الْخَبِيْرُ بِنَا كَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ
٥١ - فَاصْبِرْ فَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ وَصَرَّحَتْ ... كُحْلٌ وَبَانَ مِنَ الْخَفَاءِ ٱلْمُخْتَفِي
٥٢ - وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ قَدْ نَشِبْتَ بِشَوْكَةٍ ... حَجْنَاءَ مِنْ شَوْكِ ٱلْقَتَادِ اللُّفَّفِ
٥٣ - وَنَصَبْتَ كَفَّةَ عَاثِرٍ فَوَطِئْتَهَا ... وَشَدَدْتَ جُرَّتَهَا بِحَبْلٍ مُحْصَفِ
٥٤ - تَمْشِي بِكَفِّكَ وَسْطَ قَوْمِكَ سَالِماً ... وَبَنَانُ كَفِّي فِي الرِّدَاءِ مُلَفَّفُ
٥٥ - قَوْلِيْ إِذَا كَذِبٌ وَقَوْلُكَ صَادِقٌ ... وَبَنُو أَبِيْكَ إِذَا أَعَزُّ وَأَشْرَفُ
٥٦ - كَلَّا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَإِلَهِهِ ... وَالطَّالِعَاتِ بِهِمْ غَدَاةَ ٱلْمَوْقِفِ
٥٧ - لَازَالَ كَرُّكَ فِي الطِّرَادِ وَكَرُّهُمْ ... عَيْنٌ مُوَدِّيَةٌ وَأُخْرَى تَذْرِفُ
٥٨ - حَتَّى تُرَاعَ مِنَ الصَّبَاحِ بِغَارَةٍ ... تَشْفِي أَوَائِلُهَا صُدُوْرَ ٱلْحُسَّفِ
٥٩ - يُوْفُوْنَ دَيْنَكَ بِالْقَضَاءِ وَإِنَّمَا ... قَدْرُ الْقَضَاءِ بِقَدْرِ دَيْنِ ٱلْمُسْلِفِ
٦٠ - إِنِّي حَلَفْتُ لَتَبْشَمَنَّ بِغِبِّهَا ... وَلَتَبْشَمَنَّ بِهَا وَإِنْ لَمْ أَحْلِفِ
٦١ - يَانَفْسُ لَسْتُ بِقَائِلٍ لِبَنِيْ أَبِي ... حُكْماً وَإِنْ جَارَ الْقَضَاءُ وَأَسْرَفُوا
٦٢ - حَتَّى يَعُوْدَ ٱلْمُسْتَنِيرُ كَمَا بَدَا ... كُلٌّ يُعَانِقُ عَظْمَ كَفٍّ أَجْذَفِ
٦٣ - حِيْنَئِذٍ يَفِقُّ القضا يسْتَوى[٤] ... وَتَقَرُّ عَيْنُ الطَّالِبِ ٱلْمُسْتَأْسِفِ

---

(١) في الهامش: (فتح السين لغة نهد).
(٢) كذا ويستقيم بإضافة (فتطايرت). (٣) في الهامش: (اكذب).
(٤) كذا ولعله (يقف القضاء ويستوي).

٦٤ ـ لولا لِنَأْخُذَ مِنْكُم مُتَخَيِّراً[١] تَدْعُو قَرَائِبُهُ بِجَدْعِ الأَنفِ
٦٥ ـ صَعْبَ الظُّلاَمَةِ مَاجِدًا في قَوْمِهِ مِمَّنْ تَلُوذُ بِهِ الْحُرُوبُ وَتَعْطِفُ
٦٦ ـ لَقَدِ اغْتَبَطْنَا مِنْكُمُ ذَا ثَرْوَةٍ ضَخْمَ الدَّسِيْعَةِ آمِناً لَمْ يُقْرِفِ
٦٧ ـ لَكِنْ نُؤَخِّرُهَا لِنَجْعَلَ حَرَّهَا بِأَخِي الْجَزِيْرَةِ وَالنَّوَارِ[٢] الْمُطْنِفِ
٦٨ ـ حَتَّى تَقُول عَوَاذِل لِعَوَاذِلٍ يَالَلرِّجَالِ لِطَعْنَةٍ لَمْ تَشْطِفِ
٦٩ ـ إن[٣] تَرَوْهَا كَالَّذِي أَخْبَرْتُكُمْ حَذْوَ الْمُمَثَّلِ نَعْلَهُ لَمْ تَخْصِفِ
٧٠ ـ فَاسْتَيْقِنُوا أَنِّي لِحَصَّاءِ الْقَفَا سَوْدَاءَ غَانِيَةٍ لِعَبْدٍ أَغْلَفِ
٧١ ـ إِنْ لَمْ أَرُعْكَ بِهَا كَأَنَّ حَرِيْقَهَا لَهَبٌ تُثَقِّبُهُ شَمَالٌ حَرْجَفُ
٧٢ ـ فَعَدِمْتَنِي وَعَدِمْتُ مَنْ أَدْعُو بِهِ وَلَقِيْتُ عَاجِلَةَ الْمَنَايَا الْحُتَّفِ
٧٣ ـ أَنْ سَوْفَ تُوْشِكُ أَنْ تُلاَقِيَ عُصْبَةً غُشْمَ اللِّقَاءِ بِكُلِّ عَضْبٍ مُرْهَفِ
٧٤ ـ وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ قد بُلِيْتَ بِمَعْشَرٍ قُدُمٍ عَلَى قَتْلِ الْكَمِيِّ الْمُتْرَفِ
٧٥ ـ لَا يَحْفِلُوْنَ إِذَا أَحَلَّ بِقَتْلِهِ مَاكَانَ مِنْهُ بِرَهْوَةٍ وَتَعَطْرُفِ
٧٦ ـ أَبْنَاءُ كُلِّ كَرِيْمَةٍ مَرْبُوْبَةٍ لَمْ تَسْقِ قَيِّمَهَا بِكَأْسِ الْقَرْقَفِ
٧٧ ـ كَتَمُوْا الضَّمِيْرَ فَلاَ يَبُوحُ بِسِرِّهِمْ خَبَرُ الصَّبِيِّ وَلاَ الْعَجُوْزُ الْهَفْهَفُ
٧٨ ـ لايسترون بنا الْعَنَا بِدِمَائِهِمْ[٤] قَودَ الْعَنُوْدِ إِلَى الْفَصِيْلِ الْمُخْلِفِ
٧٩ ـ فَهُمُ الْمَنِيَّةُ فَانْتَظِرْ لِمَنَائِهَا إِنَّ الْمَنِيَّةَ غَائِبٌ لاَ يُخْلِفُ

٦٠ ـ حبيب بن كبير العامري

وأنشدني[١] لحبيب بن كبير العامري عامر عكرمة:

١ ـ وَأُنبِئْتُ جُمْلاً بِالْغِنَى قَدْ تَبَجَّحَت كِلاَنَا إِذًا والله يَاجُمْلُ بَاجِح
٢ ـ فَمَا بَأْسُ أَنْ نَغْنَى وَتَغْنَيْ وَيَنْقَضِي بَقَايَا الْهَوَى وَالْعَهْدُ ياجُمْلَ صَالِح
٣ ـ وَلَوْ يَعْلَمِ الْوَاشِونَ مَاذَاتِ بَيننا وَلَمْ يَنْمِ مَا نَلْقَى مِنَ النَّاسِ كَاشِحُ[٢]

---

(١) لعله. (متخيراً). (٢) كذا (النوار).
(٣) لعلها: (إن لم تروها). (٤) كذا.
(١) (٤٤٩هـ) المنشد: رحال بن عمرو من بني عامر عكرمة، وهم فصحاء.
(٢) فوق كلمة ذات (بكسر التاء).

وله أيضاً :

١ ـ لَنَا إِخْوَةٌ عَنَّا تَحِيْدُ وَتَنْتَحِي وَقَدْ عَصَبَتْنَا الْحَرْبُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

بفتح الصاد من عَصَب يَعْصَبُ وهي اللغة، ومن غيرها يَعْصِب، ومن العَصْب العَصِيب.

٢ ـ تَرَى حِيْنَ تَلْقَاهَا رِجَالاً كَثِيْرَةً شَرَاجِبَةً مِثْلَ الْجِمَالِ الْمَصَاعِبِ
٣ ـ فَإِنْ نَحْنُ قُلْنَا وَازِرُوْنَا تَعَلَّلُوْا عَلَيْنَا بِعِلاَّتِ الضُّرُوْبِ الْمُوَارِبِ
٤ ـ وَقَالُوْا لَنَا: إِنَّا نَخَافُ وَنَتَّقِي مُحَاذَرَةً أَنْ يَحْطِبَ الشَّرَّ حَاطِبُ
٥ ـ وكيف التوقّي أي بني العم بعدما جَلاَ الشَّكَّ وَالْعَمْيَاءَ عَنْكَ التَّجَارِبُ
٦ ـ تَجَمُّعَ أَلْفَافُ الْقَبَائِلِ كُلِّهَا لِبَارِقَةٍ مَا الْخَالُ مِنْهَا بِكَاذِبِ
٧ ـ بَنِي عَمِّنَا ذُوْدُوا الْعُدَى عَن رِقَابِكُمْ وَلاَ تُحْجِرُوْا مِثْلَ انْجِحَارِ الثَّعَالِبِ
٨ ـ وَلاَ يَكُ جَدْوَاكُمْ إِذَا الْحَرْبُ شُبِّبَتْ بِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ نَارِ الْحُبَاحِبِ
٩ ـ فَلَمْ يَمْنَعِ الأَقْوَامُ يَوْماً حَرِيْمَهُمْ بِمِثْلِ التَّوَاسِيْ وَالسُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ
١٠ ـ وَبَذْلِهِمُ فِي الْحَرْبِ كُلَّ مُهَنَّدٍ خَلِيٍّ نَوَاحِيْهِ حُسَامِ الْمَضَارِبِ
١١ ـ وَلَنْ يَقْطَعَ الآجَالَ أَنْ تَرِدُوْا بِهَا مَدَارِ الصَّوَادِي لِلسِّمَالِ النَّوَاضِبِ
١٢ ـ بَنِيْ عَمِّنَا إِنَّ الْحَيَاةَ مُعَارَةٌ لِوَقْتٍ وَإِنَّ الْمَوْتَ لاَبُدَّ وَاجِبُ

٦١ ـ حبيب بن زيد

حبيب بن زيد(١):

١ ـ وَكُنَّا ظَنَنا أَنَّ جُمْلاً هِيَ الْمُنَى حَيَاءً وَدِيْناً ثُمَّ قَدْ عِيْبَ دِيْنُهَا
٢ ـ وَكُنَّا ظَنَنَّا أَنَّهَا مَاءُ مُزْنَةٍ مِنَ الْمُزْنِ لم تَطْنَفْ لِشَيْءٍ يَشِيْنُهَا
٣ ـ طَنَفَ يَطْنَفُ، مثل: دنا يدنو، فمعناه أنها لم تَدْنُ من أَمْرٍ رِيبةٍ.

(١) (١٥٩م). لا أستبعد أن (زيد) هنا هي (يزيد) في اسم الشاعر بعد هذا، وأن أحد الاسمين خطأ من الناسخ، وما أكثر خطأه

٦٢ ــ حبيب بن يزيد القشيري

وأنشدني لحبيب بن يزيد أحدِ بني معاوية بن قشير صاحب جُمْلٍ(١):

١ - أَرَانِيي مِنْ جُمْلٍ كَرَاجِي مَخِيْلَةٍ خَيَاهَا لِقَوْمٍ نَازِحِينَ حُرُوْب
٢ - أَبِيْ صِبْيَةٍ تَأْوِيْ عَلَيْهِ شَوَارِفٌ خُشُوْلُ كِرَاءٍ كُلُّهُنَّ شَسُوْبُ
٣ - إِذَا مَاتَضَاغَوَا فَابْتَغَى الدَّرَّ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِأَنَاضِيِّ الشَّقِيِّ حَلُوْب(٢)
٤ - فَوَجْدِيْ بِجُمْلٍ وَجْدُ ذَاكَ بِبَارِقٍ مُخِيْلٍ تَلَقَّتْهُ صَباً وَجَنُوْبُ
٥ - يَرَى بَرْقَهَا يأْتَجُّ(٣) وَاللَّيْلُ مُظْلِمٌ فَشَبَّ إِلَيْهِ مِنْ هَوَاهُ شَبُوْبُ
٦ - تُهَارُ(٤) بِهِ أَرْضٌ وَكَانَ لِغَيْرِهَا وَإِنَّ الَّتِي هُرَّتْ بِهِ لَجَدُوْبُ

وأنشدني لحبيب بن يزيد أحدِ بني معاوية بن قُشير(٥):

١ - وَلَمَّا رَأَيْتُ الْهَاتِفِينَ وَرُفِّعَتْ إِلَى اللهِ بَيْنَ (الأَخْشَبَيْنِ) السَّوَالِفُ
٢ - دَعَوْتُ بِأَنْ يَاذَا الْمَعَارِجِ وَالْعُلَى أَرَى كُلَّ ذِيْ بَثٍّ بِكَ الْيَوْمَ هَاتِفُ
٣ - أَثِبْنِيْ بِإِحْسَانٍ جمال(٦) فَإِنَّنِي لَكَ الْيَوْمَ عَانٍ فِيْ الْعِبَادَةِ كَالِفُ

وله أيضاً(٧):

١ - إِنِّي بُلِيْتُ بِجُمْلٍ وَهْيَ نَاشِئَةٌ ثُمَّ ابْتُلِيْتُ بِجُمْلٍ أُمَّ صِبْيَانِ
٢ - إِنِّيْ تَمَنَّيْتُ مِمَّا قَدْ لَقِيْتُ بِهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنَّ النَّاسَ عُمْيَانُ
٣ - تَعْمَى قُلُوبُهُمْ عَنَّا وَأَعْيُنُهُمْ وَأَنَّهُمْ بَعْدَ مَا يَعْمَوْنَ صُمَّانُ
٤ - حَتَّى أُكَلِّمَ جُمْلاً لَا يُنَغِّصُنِيْ تَكْلِيْمَهَا آخِرَ الْأَيَّامِ إِنْسَانُ
٥ - حَتَّى أُدَاوِيَ قَلْباً هَائِماً صَدِياً كَمَا يُدَاوَى بِبَرْدِ الْمَاءِ حَرَّانُ

حبيب بن يزيد، أحد بني معاوية بن قشير(٨):

---

(١) (٥٢م) وهناك صاحب آخر لجمل هو عبدالله بن عاصم العائذي - سيأتي -.
(٢) (مهازيل وحليب جمل نضو) من الهامش.
(٣) تحت كلمة: يأتج. (يضيء ويستوقد).
(٤) تحت كلمة: تُهار: (تُغْبَطُ).
(٥) (٦٣م) (٦) كذا (جمال) وقد تكون (جَمَاكَ) (٧) (٦٣م). (٨) (٧٩م).

١ ـ يَقُولُ عَلِيٌّ وَالْمَطِيُّ كَأَنَّهُ ... بِنَا يَوْمَ (بَرْقَاءِ[١] الدُّخُولِ) جَهَامُ
٢ ـ قَطَعْتَ الْقُوَى مِنْ حَبْلِ جُمْلٍ فَأَصْبَحَتْ ... كَأَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا عَلَيْكَ ذِمَامُ
٣ ـ وَكَيْفَ وَطُولُ النَّأْيِ يَزْرَعُ حُبَّهَا ... كَمَا زَرَعَتْ حَرْثَ الْمُرِقِّ رِهَامُ[٢]
٤ ـ يَزِيدُ كَمَا زَادَ الْهِلَالُ رَأَيْتَهُ ... عَلَى خَيْرِ قَدْرٍ طَالِعاً لِتَمَامِ

ولحبيب بن يزيد[٣]:

١ ـ قَضَتْكَ جَدِيدَ الصَّرْمِ جُمْلُ وَلَمْ تَكُنْ ... إِذَا دَايَنَتْ يُقْضَى وَفَاءً غَرِيمُهَا
٢ ـ كَتَمْتُ هَوَى جُمْلٍ لِيَخْفَى فَبَيَّنَتْ ... بِهِ لِلْعِدَا عَيْنٌ طَوِيلٌ سُجُومُهَا
٣ ـ كَشَنَّةِ مُلْتَاحٍ إِنِ الْمَاءُ بَلَّهَا ... أَرَشَّتْ بِمَا فِيهَا عَلَيْهِ هُزُومُهَا
٤ ـ رَعَى طَرْفُهَا الْوَاشُونَ حَتَّى تَبَيَّنُوا ... هَوَاهَا وَقَدْ يَقْضِي عَلَى النَّفْسِ شُومُهَا

حبيب بن يزيد صاحب جمل[٤]:

١ ـ تَعَرَّضَ نِسْوَةٌ بِقُصُورِ (حَجْرٍ) ... مَلِيحَاتُ التَّخَلُّبِ وَالدَّلَالِ
٢ ـ وَقُلْنَ الْعَامِرِيُّ قَضَى لِجُمْلٍ ... أَرَاهُ اللهُ كَفَّهُ فِي غِلَالِ
٣ ـ أَلَيْسَ اللهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي ... لِقَضَاءِ الثَّنِيَّةِ غَيْرُ قَالِ
٤ ـ لَرَبَّاتُ الشِّمَالِ أَوَدُّ عِنْدِي ... وَأَحْلَى مِنْ مُزَعْفَرَةِ السِّبَالِ

حبيب بن يزيد المعاوي قُشَيْرِي[٥]:

١ ـ أَرَى (الرَّيْبَ) أَمْسَى مِنْ جُبَيْلٍ وَبَيْهَسٍ ... وَأَخْمَدَ مُغْبَرَّ الْجَوَانِبِ خَالِيَا
٢ ـ لَقَدْ كَانَ عَمِّي بَيْهَسٌ وَابْنُ عَمِّهِ ... شِفَاءً لِمَنْ يَبْغِي مِنَ الذُّلِّ شَافِيَا
٣ ـ فَتًى لَا يَرَى خِذْلَانَ جَارِهِ رِفْعَةً ... إِذَا بَلَغَتْ نَفْسُ الْجَبَانِ التَّرَاقِيَا
٤ ـ وَلَا يُمْكِنُ الْحُجَّازَ مِنْهُ لِعِزَّةٍ ... إِذَا الْقَوْمُ هَزُّوا لِلطِّعَانِ الْعَوَالِيَا
٥ ـ وَكُنْتُ كَذِي نَبْلٍ جِيَادٍ رَمَى بِهَا ... فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا فِي الْجَفِيرِ التَّوَالِيَا
٦ ـ كَفَى حَزَناً أَنِّي إِذَا جِئْتُ لَا أَرَى ... عَلَى ثُلَلِ الْأَطْوَاءِ إِلَّا الْمَوَالِيَا
٧ ـ قُعُوداً عَلَيْهَا يَنْفِضُونَ لِحَاهُمُ ... كَمَا نَفَضَتْ خَيْلٌ جِيَادٌ مَخَالِيَا

---

(١) في الهامش: (برقاء بئر بالعارض نجدية).
(٢) في الهامش: (رقيق الزرع). (٣) (٧٩م). (٤) (٨٩م). (٥) (١٤٦م).

حبيب بن يزيد[1]:

١ - تَرَوَّحْتُ مِنْ أَهْلِ (الْأَطَيَّاء) مُمْسِياً   وَفي الْقَلْبِ مِنْ أَهْلِ (الْأَطَيَّاءِ) هَاجِسُ[2]
٢ - وَفِيْهِمْ عُدًى لَوْ يَقْدِرُوْنَ احْتَسَوْا دَمِي   وَوَدُّوْا بِأَنْ قَدْ غَيَّبَتْنِي الرَّوَامِسُ
٣ - فلا عُدِمُوا[3] مِثْلِي إذَا الْخَيْلُ أَحْدَقَتْ   وَقَدْ ضَبَحَتْ بَيْنَ الأَكُفِّ الْمَقَاوِسُ
٤ - فَثَمَّ يُفَدُّوْنِي بِجَدِّ أَبِيْهِمُ   وأَضْرِبُ قَبْلَ الذُّمْرِ والرِّيْقُ يَابِسُ

وأنشدني أبو لاحق مُدْرِكُ بن حُنْدجٍ اللِّبْيْدِيُّ، لصاحب جُمْلٍ، وهو أَتَمُّ رواية من أُمِّ قُرَيْدٍ الزهيرية من جُشَم[4]:

١ - وَمَازَالَ فِيْنَا مُنْذُ أَدْرَكَ عِلْمُنَا   لِسَاكِنِ خَيْمَاتِ (الْعُذَيْبِ) قَتِيْلُ
٢ - خَلِيْلَيَّ إنْ حَانَتْ وَفَاتِيَ فَاطْلُبَا   دَمِيْ عِنْدَ جُمْلٍ وَاطْلُبَا بِجَمِيْلِ
٣ - وَلَا تَأْخُذَا بِي أَيِّماً تَظْلِمَانِهَا   فَإِنَّ الأَيَامَى لَسْنَ لِي بِتَبُولِ
٤ - وَلَكِنْ خُذَا بِيْ ذَاتَ بَعْلٍ مَحَلُّهَا   أَرَاكٌ وخَيْمٌ بِـ(الْعُذَيبِ) ظَلِيْلُ

وروى أبو لاحِقٍ بعدَ هذا البيت: ومازال فينا - ورَوته أم قريد أَوَّلَ المقطوعة، وروى أبو سليمان هذه الأبيات وقال: لا أدري أَهِي فيها أم لا:

٥ - سَأَلْتُكَهَا يَارَبُّ سِرًّا وَمُعْلِنَاً   فَأَحْوَجُ ذِيْ بَثٍّ وغَيْرُ مَسُوْلِ[5]
٦ - فَإِنْ تُعْطِنِيْ جُمْلًا أُثِبْكَ عِبَادَةً   وَأَصْرِمْ لِجُمْلٍ حَبْلَ كُلِّ خَلِيْلِ
٧ - وإِنْ تَكُ[6] الْأُخْرَى فَلَا تَحْرِمَنِّني   تَعَزِّيَ صَبْرٍ عَنْ جَمَالِ جَمِيْلِ

ولا أدري هذه الأولى أم لا، قال: وأنشدني أيضاً:

٨ - لَعَمْرُكَ مَا اسْتِخْبَارِيَ الرِّيْحُ كُلَّمَا   جَرَتْ مَوْهِناً مِنْ نَحْوِكُمْ بِقَلِيْلِ
٩ - وَإِنَّ ارْتِفَاقِيْ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ   إِذَا مَا نَبَا بِي مَضْجِعِي لَطَوِيْلُ

---

(١) (١٧١م). (٢) في الهامش: (بثار مطوبات في الريب).

(٣) في الهامش: (عُدِموا فعلٌ لم يسم فاعله).

(٤) (٢٨٣م) ليس في الأصل ما ينص على أن هذه القصيدة لحبيب بن يزيد ولكنها منسوبة لصاحب جمل، وجمل لها صاحبان أحدهما حبيب بن يزيد هذا، والثاني: هو عبدالله بن عاصم العائذي العقيلي، الذي أورد له الهجري بيتين من الشعر يظهر أنهما من رواية عقيلي من قومه، ومهما يكن فقد أشار الهجري عند ذكر العائذي العقيلي الاختلاف في صاحب جمل.
وأرى هذه الأبيات أشبه بشعر حبيب بن يزيد.
ويظهر أن في الأصل نقصاً مادام وُصف الشعر بالتمام ولم يورد سوى أبيات، ومافي الأصل بعدها كلام في اللغة، لا صلة له بهذا الشعر.

(٥) كذا (وغير) ولعل الصواب: (وخير). (٦) يستقيم الوزن: (وإنْ تكن الأخرى).

ما اتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

ـ ٧٠ ـ

٣٠٠ ـ بَابُ خُدَد، وَخَدَد[١]

أَمَّا ٱلْأَوَّلُ ـ: بِضَمِّ ٱلْخَاءِ وَبِدَالَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ: ـ مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ سُلَيْمٍ، وَعَيْنٌ بِهَجَرٍ[٢].

وَأَمَّا الثَّانِي ـ: بِفَتْحِ الْخَاءِ ٱلْمُهْمَلَةِ وَالْبَاقِي نَحْوَ ٱلْأَوَّلِ ـ: جَبَلٌ مُطِلٌّ عَلَى تَيْمَاءَ، يَهْتَدِي بِهِ الْـمُسَافِرُ[٣].

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ بِنَصِّهِ.

(٢) قَالَ نَصْرٌ: أَمَّا بِضَمِّ الْخَاءِ: مِنْ دِيَارِ سُلَيْمٍ الَّتِي يُشْرِفُ عَلَيْهَا حَضَنٌ، يُذْكَرُ مَعَ جِلْدَانَ مِنَ الطَّائِفِ، وأيضاً: عينٌ بِهَجَرٍ وَتَقَدَّمَ ـ في حَرْفِ الْجِيمِ الْبَابِ الـ (١٧٦) قَوْلُهُ: الْخُدُودُ صُقْعٌ نَجْدِيٌّ قُرْبَ الطَّائِفِ، وأَظُنُّهُ الْخُدَدَ، وَقِيلَ: خُدَاد. وَلَـمْ يَزِدْ يَاقُوتُ على القَوْلِ ـ بِضَمِّ أَوَّلِه وَفَتْحِ ثَانِيهِ كَأَنَّهُ جَمْعُ خُدَّةٍ وَهُوَ الشَّقُّ في ٱلْأَرْضِ ـ: وَهُوَ مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَنِي سُلَيْمٍ، وخُدَدُ أَيْضاً عَيْنٌ بِهَجَر. انتهى. أَمَّا الَّذِيْ فِي دِيَارِ بَنِي سُلَيْمٍ فَيُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ نَصْرٍ أَنَّهُ يَقَعُ فِي جَنُوبِهَا وَلَكِنَّ تِلْكَ الْـمَوَاضِعِ الْـمُشْرِقَةِ عَلَى حَضَنٍ بَعِيْدَةٌ عَنْ بِلَادِ سُلَيْمٍ، وفي بِلَادِ سُلَيْمٍ فِي تِهَامَةَ قَرْيَةٌ لَـهُمْ تُدْعَى الْـخُدَدَ في وَادِي سَايَة ـ انظر «العرب» س ٧ ص ٥٨٠ ـ وفي كتب الْـمَسَالِك فِي وَصْفِ أَحَدِ طُرُقِ مَكَّةَ إِلَى الْيَمَنِ يَرِدُ ذِكْرُ خُدَدٍ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ ـ ولاَ يُعْرَفُ الآن، أَمَّا الْعَيْنُ الَّتِي فِي هَجَرٍ «الأَحْسَاءِ» فَمِنْ أَشْهَرِ عُيُونِ تِلْكَ الْجِهَةِ، ويُنْطَقُ اسْمُهَا الآن (الخُدُود) وتَقَدَّمَ نَحْوُ هذا فِي حَرْفِ الْجِيْمِ (بَاب جَدُوْدٍ وَجَرُودٍ).

(٣) نَصُّ كَلَامِ نَصْرٍ إِلَّا كَلِمَةَ (يَهْتَدِي به) مُصَحَّفَةٌ في كِتَابِهِ (يَنْدِي به) وَأَضَافَ: (وَيُصَحَّفُ بِالْـجِيمِ) وعِنْدَ يَاقُوت: خَدَدُ جَبَلٌ مُطِلٌّ عَلَى تَيْمَاء، وَقَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: خَدَدُ أَرْضٌ لِكَلْبٍ عَنِ ابْنِ الْكَلْبِي قَالَهُ فِي شَرْحِ قَوْلِ النَّابِغَةِ:

سَاقَ الرُّفَيْدَاتِ مِنْ جَوْشٍ وَمِنْ خَدَدٍ ... وَمَاشَ مِنْ رَهْطِ رِبْعِيٍّ وَحَجَّارِ

وَخَدَدُ الْـجَبَلُ الْـمُشْرِفُ عَلَى تَيْمَاءَ يُرَى منها رأي العَيْنِ ويُعْرَفُ الآنَ بِاسْمِ (جَبَل غُنَيْم) تَسْمِيَةٌ حَدِيثَةٌ ـ وانظُرْ عَنْهُ كتاب «في شمال غَرْبِ الْـجَزِيْرَةِ».

٣٠١ ـ بابُ خُرْمَان، وجُذْمَان، وجِرْمَاز[١]

أَمَّا الأَوَّلُ: بِضَمِّ الْـخَاءِ وَسُكُوْنِ الرَّاءِ ـ: خُرْمَانُ جَبَلٌ عَلَى ثَمانية أَمْيالٍ مِنَ الْبُقْعَة الَّتِي يُحْرِمُ مِنْهَا أَكْثَرُ حَاجِّ الْعِرَاقِ، وَعَلَيْهِ عَلَمٌ وَمَنْظَرَةٌ كَانَ يُوْقَدُ عَلَيْهَا لِهِدَايَةِ الْـمُسَافِرِيْنَ، وَمِنْهُ يَعْدِلُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَنْ طَرِيْقِ أَهْلِ الْكُوفَةِ[٢].

وَأَمَّا الثَّانِي: ـ أَوَّلُهُ جِيْمٌ مَضْمُومَةٌ ثُمَّ ذَالٌ مُعْجَمَةٌ سَاكِنَةٌ ـ: مَوْضِعٌ بِالْـمَدِيْنَةِ، كَانَ أَحَدَ آطَامِهِمْ سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّ تُبَعاً كَانَ قَطَعَ نَخْلَهُ مِنْ أَنْصَافِهَا لَـمَّا غَزَا يَثْرِبَ[٣].

وَأَمَّا الثَّالِثُ: بِكَسْرِ الْـجِيْمِ بَعْدَهَا رَاءٌ سَاكِنَةٌ وَآخِرُه زَايٌ[٤]: بِنَاءٌ عَظِيْم وكَانَ عِنْدَ أَبْيَضِ الْـمَدَائِنِ، فَعَفَى أَثَرُهُ.

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ: ـ في حَرْفِ الْجِيمِ ـ: بَابُ الْجِرْمَازِ، وخُرْمَانَ، وجُذْمَانَ.

(٢) خُرْمَانُ قَالَ نَصْرٌ: وأُمُّ خُرمانَ جَبَلٌ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيالٍ مِنَ الْعُمْرَةِ الَّتِي يُحْرِمُ مِنْهَا أَكْثَرُ حَاجِّ الْعِرَاقِ، وَعَلَيْهِ عَلَمٌ وَمَنْظَرَةٌ، وَكَانَ يُوْقَدُ عَلَيْهَا لِهِدَايَةِ الْـمُسَافِرِيْنَ، وعِنْدَهُ بِرْكَةُ أَوْطاسٍ، وَمِنْهَا يَعْدِلُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عن طَرِيْقِ الْكُوْفَةِ. انتهى وعِنْدَ يَاقُوتٍ نَصُّ كَلامِ الْـحَازِمِيِّ سِوَى (الْبُقْعَةِ) فَهِيَ عِنْدَهُ (الْعُمْرَةِ) كَمَا في كِتَابِ نَصْرٍ. ومَا أَرَى (الْعُمْرَة) إِلاَّ تَصْحِيْفَ (الْغَمْرَةِ) ـ بِالْغَيْنِ الْـمُعْجَمَة ـ اسْمُ مَوْضِعِ إِحْرَامِ حاجِّ الْكُوفَةِ، كَما في كِتَابِ «بِلاَدِ الْعَرَبِ» ـ ٣٧٦ ـ: أَهْلُ الْكُوفَةِ يُحْرِمُونَ بِغَمْرَة، وأَهْلُ الْبَصْرَةِ بِوَجْرَةَ، وهُمَا يَتَرَاءَانِ، وبَيْنَهُمَا نَحْوٌ مِنْ ثَلاَثَةِ فَرَاسِخَ، بَيْنَهُمَا جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ الْكُرَاعُ، ويَجْتَمِعُ طَرِيْقُ الْبَصْرَةِ وَالْكُوْفَةِ بِأُمِّ خُرْمَانَ. انتهى ونَقَلَ يَاقُوتُ عَنْ ابْنِ السِّكِّيتِ عَنْ أَبِي مَهْدِيٍّ: أُمُّ خُرْمَانَ مُلْتَقَى حَاجِّ الْبَصْرَة وَحَاجِّ الْكُوفَة، وهِيَ بِرْكَةٌ إِلى جَنْبِهَا أَكَمَةٌ حَمْرَاءُ عَلَى رَأْسِهَا مَوْقِد. انتهى. وَلاَ تَزَالُ الْبِرْكَةُ مَعْرُوفَةً، وَقَدْ رُمِّمَ قَصْرُهَا، وَأُصْلِحَتْ البركَةُ وتقع في الشمال الشرقيِّ مِنْ بَلْدَةِ عُشَيْرَةَ بنحو ١٥٠ كيلاً (بِقُرْبِ خَطِّ الطُول: ٤٥/٤٠° وخَطِّ الْعَرْضِ: ١٤/٢٢°).

وأضافَ يَاقُوت: خُرْمَانُ كذا ضَبطَهُ الْـحَازِمِيُّ وَقَالَ: حَائِطُ خُرْمَانَ بِمَكَّة، عِنْدَ صَفِيِّ السِّبَاب. وَلاَ أَدْرِي مَصْدَرَ يَاقُوتٍ إِذْ لَيْسَ هَذَا فِي كِتَابِ الْـحَازِمِيِّ، ولكِنَّهُ صَحِيْحٌ، وَمَوْقِعُ ذالِك الحائِطِ يُعْرَفُ الآنَ بِالْـخُرْمَانِيَّةِ فِي مَحَلَّةِ الْـمَعَابِدَةِ.

(٣) جُذْمَانُ: قَالَ نَصْرٌ: وأَمَّا بِضَمِّ الْـجِيْمِ وذَالٍ سَاكِنَةٍ مُعْجَمَةٍ وآخِرُهُ نُوْنٌ: ثُـمَّ نَصُّ مَا في كِتَابِ الْـحَازِمِيِّ وَلَـمْ يَزِدْ يَاقُوتُ سِوَى شَاهِدٍ مِنْ شِعْرِ قَيْسِ بْنِ الْـخَطِيْم:

كَأَنَّ رُؤُوسَ الْخَزْرَجِيِّيْنَ إِذْ بَدَتْ ... كَتَائِبُنَا تَبْرِي مَعَ الصُّبْحِ ـ حَنْظَلُ
فَلاَ تَقْرَبُوا جُذْمَانَ إِنَّ حَمَامَهُ ... وَجِنَّتَهُ تَأْذَى بِكُمْ فَتَحَمَّلُوا

(حَمَامُهُ) كَذَا فِي «ديوان قَيْسٍ» و«معجم البلدان» وَأَرَاهَا (جِمَامُهُ) بِالْـجِيْمِ ـ وَفِي «المغانم» و«وفاء»: (جِرَارُهُ).

وَذَكَر السَّمْهُودِيُّ في «وَفَاءِ الْوَفَا» أنه من حُصُونِ الأَوْسِ، وأَنَّ تُبَّعاً أَمَرَ بِحَرْقِ نَخْلِ أُحَيْحَةَ بْنِ الْـجُلاَحِ لما تَحَصَّنَ بِحِصْنِهِ ـ يَعْنِي جُذْمَانَ ـ.

(٤) الْـجِرْمَازُ عِنْدَ نَصْرٍ ـ نَصُّ ما أَوْرَدَ الْـحَازِمِيُّ، وكَذا يَاقُوت.

٣٠٢ ــ بَابُ خَرَابٍ، وجُرَابٍ، وجُرَافٍ، وَحِدَابٍ[١]

أَمَّا ٱلأَوَّلُ ـ: بِفَتْحِ الْـخَاءِ ـ: خَرَابُ الْـمُعْتَصِمِ مَوْضِعٌ كَانَ بِبَغْدَادَ، إِلَيْهِ يُنْسَبُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَجِ الْبَغْدَادِيُّ وَيُعْرَفُ بِالْـخَرَابِيِّ، حَدَّثَ عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ إِسْحَاقَ الْـمُسَيَّبِـي وَغَيْرِهِ، وَحَدَّثَ عَنْهُ أَبُو بَكْرِ بْنِ مُجَاهِدٍ، وأَبُو الْـحُسَيْنِ بْنُ الْـمُنَادِي[٢].

وَأَمَّا الثَّانِـي ـ: أَوَّلُهُ جِيْـمٌ مَضْمُومَةٌ وَالْبَاقِـي نَحْوُ ٱلأَوَّلِ ـ: اسْمُ بِئْرٍ كَانَتْ بِمَكَّةَ قَدِيْـماً، قَالَهُ الْـجَوْهَرِيُّ وأَنْشَدَ الشَّاعِرُ:

سَقَى الله أَمْوَاهاً عَرَفْتُ مَكَانَهَا ... جُرَاباً وَمَلْكُوماً وبذَّرَ وَالْغَمْرَا[٣]

وَأَمَّا الثَّالِثُ ـ: آخِرُهُ [فَاءٌ] والْبَاقِـي نَحْوَ مَا قَبْلَهُ ـ: ذُو جُرَافٍ، وَادٍ يُفْرِغُ فِـي السُّلَيِّ[٤].

وَأَمَّا الرَّابِعُ ـ: أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَكْسُورَةٌ بَعْدَهَا دَالٌ مُهْمَلَةٌ وَآخِرُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ، فِـي شِعْرِ جَرِيْرٍ:

فَقَدْ جُرِّدَتْ يَوْمَ الْحِدَابِ نِسَاؤُهُمْ ... فَسَـاءَتْ مَجَالِيْهَـا وَقَلَّتْ مُهُوْرُهَـا

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الْحِدَابُ: مَوْضِعٌ بِحَزْنِ بَنِـي يَرْبُوعٍ وَكَانَتْ فِيْهِ وَقْعَةٌ لِبَكْرِ بْنِ

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ فِي حَرْفِ الْـجِيْمِ ـ: (بَابُ جُرَادٍ، وجِدَادٍ، وَبِجْدَادٍ، وجُرَابٍ، وجُرَافٍ).

(٢) لَـمْ يَذْكُرْهُ نَصْرٌ فِي الْبَابِ المذكُورِ. وَلَـمْ يَزِدْ يَاقُوتُ عَلَى مَافِي كِتَابِ الْـحَازِمِـيِّ غَيْرَ مَنْسُوبٍ.

(٣) جُرَابٌ قَالَ نَصْرٌ: وَأَمَّا بِضَمِّ الْـجِيْمِ وَرَاءٍ مَفْتُوحَةٍ وَآخِرُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ: مَاءٌ حِجَازِيٌّ، وَلَـمْ يَزِدْ، وعِنْدَ يَاقُوتٍ: جُرَابٌ اسْمُ مَاءٍ، وقِيْلَ بِئْرٌ بِمَكَّةَ قَدِيْمَةٌ، قَالَ الشَّاعِرُ ـ وَأَوْرَدَ الْبَيْتَ ـ وَلَـمْ أَرَ فِي تارِيخَي مَكَّةَ لِلْفَاكِهِيِّ والأَزْرَقِيِّ ذِكْراً لِبِئْرِ جُرَابٍ، ولكن فِيْهـا بِئْرَ أَبِي جُرَابٍ، وما أَرَاهَا المذْكُورَةَ هنا.

(٣) جُرَافُ ـ عِنْدَ نَصْرٍ: وَأَمَّا بَدَلُ الْبَاءِ فَاءٌ: ذُو جُرَافٍ وَادٍ يُفْرِغُ فِي السُّلَيِّ. وَلَـمْ يَزِدْ يَاقُوتُ عَلَى هذَا. وَأَصْلُهُ فِي كتَاب «بِلَادِ الْعَرَبِ» ـ ٣٠٢ ـ فِي وَصْفِ الطَّرِيْقِ مِنْ حجْرٍ إلَى الْبَصْرَةِ ـ بِاخْتِصَارٍ ـ: ثُـمَّ تَرْكَبُ الْقُفَّ فَتَأْخُذُ عَلَى وَادٍ يُقَالُ له ذُو جُرَافٍ وَهُوَ يَفْرِغُ فِي السُّلَيِّ فَتَجْزَعُهُ عَرْضاً، ثُـمَّ تَجْزَعُ أَنْفَ الْـحَرْمَلِيَّةِ ـ وَهِـيَ رَمْلَةٌ ، ثُـمَّ تَجْزَعُ وَادِي بَنْبَانَ، وَهُوَ وَادٍ يَفْرِغُ فِي رِيَاضٍ يُقَالُ لَهَا السُّلَيُّ ـ إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ ـ والسُّلَيُّ مَعْرُوفٌ، والرَّمْلَةُ تُدْعَى رَمْلَةَ بَنْبَانَ، وجُرَافٌ يُدْعَى الآنَ (أَبَا الجِرْفَانِ) وَكُلُّ هذِهِ المواضِعِ بَلَغَهَا عُمْرَانُ مَدِيْنَةِ الرِّيَاضِ (حَجْرٍ قَدِيْـماً).

وَائِلٍ عَلَى بَنِي سَلِيْطٍ فَسَبَوْا نِسَاءَهُمْ(٥).

(٥) جِذَابُ لَمْ يذْكُرْهُ نَصْرٌ في هذا الْبَابِ، وَفِي «معجم البلدان» جذابُ بِالْكَسْرِ وآخِرُهُ بَاءٌ مُوحَّدَةٌ وهو جمع حذب، وَهِيَ الأَكَمَةُ، وقِيْلَ الْحَدَبُ حُدُوْرٌ في صَبَبٍ. . . وَجِذَابُ مَوْضِعٌ فِي حَزْنِ بَنِي يَرْبُوع، كَانَتْ فِيْهِ وَقْعَةٌ لِبَكْرِ بْنِ وَائِلٍ عَلَى بَنِي سَلِيْطٍ، فَسَبَوْا نِسَاءَهُمْ فَأَدْرَكَتْهُمْ بَنُو رِيَاحٍ وَبَنُو يَرْبُوعٍ فَاسْتَنْقَذُوْا مِنْهُمْ نِسَاءَهُمْ، وجميع مَاكَانَ في أَيْدِيهِمْ مِنَ السَّبْيِ. قَالَ جَرِيْرٌ - الْبَيْتَ، ولا أَسْتَبْعِدُ أَنْ يَكُوْنَ (الجِذَابُ) هُنَا وَصْفاً لا عَلَماً، جَمْعَ حَذَبٍ، وهِيَ الأَكَامُ.

وَمِمَّا زَادَ نَصْرٌ:

١ - جُرَادُ - بِضَمِّ الْجِيْمِ وَيَلِيْهَا رَاءٌ وآخِرُهُ دَالٌ مُهْمَلَتَانِ: رَمْلَةٌ عَرِيْضَةٌ بَيْنَ الْبَصْرَةِ والْيَمَامَةِ في دِيَارِ بَنِي تَمِيْمٍ، بَيْنَ حَائِلٍ والْمَرُّوْتِ، وقِيْلَ: في دِيَارِ بَنِي عَامِرٍ، وَقِيْلَ: أَرْضٌ بَيْنَ عُلْيَا تَمِيْمٍ وسُفْلَى قَيْسٍ، وقيل: جَبَلٌ. انتهى وللحازميّ في حَرْفِ الجيْمِ (بابُ جُرَادٍ، وجُدَادٍ) وتَقَدَّمَ، أَمَّا يَاقُوْتُ فَأَوْرَدَ نَصَّ كَلَامِ نَصْرٍ مَنْسُوباً إليه ولكِنَّهُ قَالَ قبله: جُرَادُ - بِالضَّمِّ بِوَزْنِ غُرَابٍ -: مَاءٌ عِنْدَ الْمَرُّوْتِ، كَانَتْ وَقْعَةُ الكُلَابِ الثانية، قَالَ جَرِيْرٌ:

وَلَقَدْ عَرَكْنَ بِآلِ كَعْبٍ عَرْكَةً ... بِلِوَى جُرَادَ، فَلَمْ يَدَعْنَ عَمِيْدَا
إلَّا قَتِيْلاً قَدْ سَلَبْنَا بَزَّهُ ... تَقَعُ النُّسُوْرُ عَلَيْهِ أَوْ مَصْفُوْدَا

وَفِي الْحَدِيْثِ أَنَّ حُصَيْنَ بْنَ مُشَمِّتٍ وَفَدَ عَلَى النبي ﷺ فَبَايَعَهُ عَلَى الإِسْلَامِ، وَصَدَّقَ إِلَيْهِ مَالَهُ، فَأَقْطَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِيَاهاً عِدَّةً مِنْهَا جُرَادُ، ومِنْهَا السُّدَيْرَة والثَّمَادُ، والأُصَيْهِبُ. . . وَقَالَ ابنُ مُقْبِلٍ:

لِلْمَازِنِيَّةِ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبَعُ ... مِمَّا رَأَتْ أَوْدُ فَالْمِقْرَاةُ فَالْجُرَعُ
مِنْهَا بِنَعْفِ خُفَافٍ وَالْقَبَائِضِ مِنْ ... وَادِيْ جُرَادٍ مَرًا دُنْيَا وَمُسْتَمَعُ

أَرَادَ مَرْأً دِنِيًّا فَخَفَّفَ الهَمْزَةَ. . انتهى. قَدْ يُسَمَّى الْمَاءُ بِاسْمِ ما يَقَعُ بِقُرْبِهِ مِنَ الْمواضِعِ، وَادٍ أَوْ جَبَلٍ أَوْ مَكَانٍ، ومِنْ ذَالِكَ جُرَادُ - الْوَارِدُ فِي الْحَدِيْثِ، فَاسْمُ جُرَادٍ يَقَعُ عَلَى رَمْلَةٍ عَظِيْمَةٍ، وَاقِعَةٍ غَرْبَ الْمَرُّوْتِ الْمِنْطَقَةِ الَّتِي فِيْهَا المِيَاهُ المذكُورَةُ، كَمَا أَوْضَحَ ذَالِكَ صَاحِبُ كِتاب «بِلَادِ الْعَرَبِ» - ٣٦٧ - فَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْمَرُّوتَ وَمِيَاهَهُ تِلْكَ قَالَ: فَإِذَا جُزْتَ أَهْوَى فَمِنْ وَرَائِهَا مُوَيْهَةٌ يُقَالُ لَهَا الأَسْوَدَةُ، ثُمَّ تَجُوْزُ فَتَعْبُرُ رَمْلَةً يُقَالُ لَهَا جُرَاد، وَهِيَ رَمْلَةٌ عَظِيْمَةٌ، فَإِذَا جُزْتَ جُرَادَ فِي مَكَانٍ مِنْ حَايِلٍ يُقَالُ لَهَا الْهَلْبَاء - إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ - وَرَمْلَةُ جُرَادٍ تُعْرَفُ الآنَ بِاسْمِ نُفُوْدِ السِّرِّ - النُّفُوْدُ جِبَالُ الرَّمْلِ الْمُسْتَطِيْلَة، وَكَذَا هَذِهِ الرَّمْلَة - والْهَلْبَاءُ تُعْرَفُ الآنَ بِاسْمِ حَذْبَاءِ قِذْلَةَ. والْمِنْطَقَةُ وَاقِعَةٌ بَيْنَ إِقْلِيْمِ الْوَشْمِ شَرْقاً، وإِقْلِيْمِ السِّرِّ غَرْباً.

٢ - جِدَادُ قَالَ نَصْرٌ: وَأَمَّا بِكَسْرِ الْجِيْمِ وبِدَالَيْنِ: مَوْضِعٌ أَحْسَبُهُ بَيْنَ بَادِيَةِ الْكُوْفَةِ والشَّامِ. انتهى وتَقَدَّمَ كَلَامُ الْحازِمِيِّ، والعَجِيْبُ أَنَّ صَاحِبَ «مُعْجم البلدان» أَوْرَدَ كَلَامَ نَصْرٍ بِنَصِّهِ غَيْرَ مَنْسُوبٍ إِلَيْهِ، فَحَسِبَ الْمَوْضِعَ كَمَا حَسِبَ!!

٣ - خِدَادُ - قَالَ نَصْرٌ: وأَمَّا بِكَسْرِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَدَالَيْنِ: جَاءَ فِي الشِّعْرِ، وأُرِيْدَ - فِيْمَا أَظُنُّ - الْمَخَدَّدَ - مَوْضِعٌ ذُوْ نَخْلٍ. وعِنْدَ يَاقُوْتٍ: لَعَلَّهُ مِنَ الْخَدِّ وَهُوَ الشَّقُّ فِي الأَرْضِ قَالَ أَبُو دُوَاد يَصِفُ حُمُولاً:

تَرْقَى وَيَرْفَعُهَا السَّرَابُ كَأَنَّهَا ... مِنْ عَمِّ مَوْيَبَ أَوْ ضِنَاكِ خِدَادِ

كعب بن مشهور المُخَبَّلي

لا المُخبّل القيسي

لفت نظري ما قرأت في «مجلة مجمع اللغة العربية» بدمشق المجلد الـ (٦٠) ص ٣٠٢ أثناء تتبعي لما كتب عن «نوادر الهجري» في بحث ممتع لأستاذنا الجليل أحمد راتب النفاخ عند ذكر قصيدة لكعب بن مشهور المُخَبَّلي، وردت في الجزء المطبوع من «نوادر الهجري» وأشار الأستاذ صبحي البصام في مجلة المجمع إلى أن أحد أبياتها ورد في «الأغاني» للمخبل السعدي، فقد علق الأستاذ أحمد بما نصه: (هذا ما قاله الأستاذ، كأنه يرى المخبل القيسي واسمه كعب شاعراً آخر غير الذي أنشد له الهجري ما أنشد وهُوَ هُوَ، فما كعب بن مشهور المُخَبَّلي إلاَّ تَحْرِيْفَ كَعْبٍ المشهور بالْمُخَبَّلِ). انتهى.

وَدَفعني هذا إلى البحث عن كعب المشهور بالْمُخَبَّل، ومع أنني رأيتُ ٱلآمِدِيَّ في كتابه «المؤتلف والمختلف» عَدَّ من يُطْلق عليه لقب المخبل بين ثُمَالِيٍّ وَسَعْدِيٍّ وقُرَيْعِي، ثم أضاف اسم كعب المخبل، وقال: إنه أعرابي لا يَعْرِفُ نَسَبَهُ[١].

وجاء صاحب كتاب «معجم الشعراء» فقال: كعب هو المخبل القيسى، حجازي إسلامي[٢]. وأورد له ثلاثة أبيات من الشعر من قصيدتين مختلفتين، وقَبْل الآمدِيِّ والمرزبانيِّ ترجم صاحب «الأغاني»[٣] مَنْ سَمَّاهُ المخبل القيسي ترجمة موجزة مع إيراد خبر وقوعه في هوى ابنة عم له تدعى مَيْلاء أخت لامرأته، ثم هربه إلى الشام حياءً من إخوتها. وعودته بعد ذلك، في قصة لاشك أنها مصنوعة مع إيراد مقطوعات من الشعر نسبها الهجريُّ لكعب بن مشهور المخبلي.

ويأتي ابن حجر في «الإصابة» في الكلام على المخبل السعدي فيقول[٤]: وفي الشعراء أيضاً المخبل العبدي(؟) اسمه كعب بن عبدالله العبسي(؟)، ذكر له أبو الفرج في «الأغاني» ووكيع في «غرر الأخبار» قصةً طويلة مع زوجته أم عمرٍو وأختِها سلا[٥]، وإياهما عنى بقوله في الأبيات المشهورة:

مِنَ النَّاسِ إِنْسَانَانِ دَيْنِي عَلَيْهِمَا ... مَلِيَّانِ لَوْ شَاءآ لَقَدْ قَضَيَانِي
خَلِيْلَيَّ أَمَّا أُمُّ عَمْرٍو فَمِنْهُمَا ... وَأَمَّا عَنِ ٱلأُخْرَى فَلَا تَسَلَانِي

ويأتي صاحب كتاب «تزيين الأسواق في أخبار العشاق» فيورد فصلاً بعنوان «أخبار كعب وصاحبته ميلا» يستهله بقوله: هو أبو خثعم كعب بن مالك أو عبدالله أو خثعم ابن لابي(؟) بن رباح بن ضمرة، طائِـيٌّ من عرب الحجاز يعرف بالمخبل(٦). إلى آخر ما ذكر من قصة غرامه بميلاء أخت زوجته أُمِّ عَمْرٍو، وهربه إلى الشام، وعودته منها ووفاته سَاعَة أن علم بموت صاحبته ودفنهما متجاورين، ويورد من أشعاره أبياتاً أولها:

أَفِـي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ مِنْ بَارِحِ الْهَوَى   إِلَى الشُّمِّ مِنْ أَعْلَامِ مَيْلَاءَ نَاظِرُ؟

وقصيدة مطلعها:

خَلِيْلَيَّ قَدْ رُضْتُ ٱلْأُمُوْرَ وَقِسْتُهَا   بِنَفْسِـي وَبِـالْفِتْيَـانِ كُـلَّ مَكَـانِ

اتضح لي مما تقدم أمران:

١ ـ أن جميع الأشعار الواردة في الكتب التي تقدم ذكرها يمكن إرجاعها إلى شاعر واحد لما بينها من الاتفاق في كثير من الأبيات والتشابه من وجه آخر.

٢ ـ أن الباحث لا يجد في المصادر المذكورة ما يُعَوَّلُ عليه لمعرفة ما يوضح جوانب لابد من معرفتها عن كعب المخبل القيسي فصاحب «الأغاني» ـ وأكثر من جاء بعده يرجع إليه ـ سماه كعباً وقال: بأنه رجل من قيس، وأن منزله ومنزل أهله في الحجاز، وأنه رمى بنفسه نحو الشام حياءً حين وقع في غرام أخت زوجته.

ويأتي الآمدي فيصرح بجهله بنسبه، ولم يأت المرزبانيُّ بشيءٍ أكثر مما ذكر صاحب «الأغاني» في النسب ولا في التعريف بشيء من أحوال الرجل.

أما صاحب «الإصابة» فَيُغْرِب حين يقول: وفي الشعراء المخبل العبدي اسمه كعب بن عبدالله العبسي. ويحيل إلى «الأغاني» وإلى كتاب آخر للقاضي وكيع (محمد بن خلف بن حيان).

ومن الممكن أن يقال بأن كلمة (العبسي) مصحفة عن (القيسي) ولكن ماذا يقال عن كلمة (المخبل العبدي) ومثل هذا يقال عما أورد داود الأنطاكي في «تزيين الأسواق» وتقدم كلامه.

وهذان الأمران يحملان على الجزم بأن كعبًا المخبل لايزال مجهولاً.

ولكن كعب بن مشهور المخبلي قد أوضح الهجريُّ من جوانب حياته ما يحمل على الجزم بأنه هو صاحب الشعر الذي تقدمت الإشارة إليه، إذْ جاء في كتابه مانصه: كعب بن مشهور الْـمُخَبَّلي من جَلِيْحَةِ خثعم صاحب ميلاء وتغرب بمصر[7].

وهو يورد ذكره في مواضع من كتابه فيكتفي بنسبته إلى قبيلته خثعم كأن يقول: كعب بن مشهور الخثعمي أحد بني الْـمُخَبَّل[8].

وقد يورده منسوباً إلى جَلِيْحةُ الفرع المعروف من أكلب من خَثْعَم مضيفاً: صاحب أم عمرو. ويسميه[9].

وفي كتاب «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب رواة الآثار» لِلرُّشَاطِيّ[10]: المخبل في خثعم، ذكر الهجريُّ كعبَ بن مشهور الْـمُخَبَّلِـي من بني الْـمُخَبَّلِ من جَلِيْحَةِ من خثعم.

وفي كتاب الهجري له مقطوعات من الشعر نحو مئة واثنين وثلاثين بيتاً ومنها ما يتفق مع كثير من الشعر الوارد في «الأغاني» وفي غيره من الكتب التي سبقت الإشارة إليها.

وسيرد شعره في محله من (الشعر والشعراء في نوادر الهجري).

حمد الجاسر

الحواشي:

(١): ٢٧١ تحقيق عبدالستار فراج. (٢): ٢٣٥ من تحقيقه أيضًا.
(٣): ٥١٠/٢٣. (٤): رقم ٨٣٨١. (٥): الصواب (ميلاء).
(٦): (١٧٠). (٧): (٣٩٤) المخطوطة الهندية من «التعليقات والنوادر».
(٨): (١٣٠ و٣١٥) من المخطوطة المصرية و(٦١ و٩٨ و٣٩٤) من المخطوطة الهندية «نوادر الهجري».
(٩): (٤٤٣) من المخطوطة المصرية «نوادر الهجري». (١٠): المخطوطة التونسية.

حول كتاب «المعجم الجغرافي المختصر»:

قـــرى القـــوز

كتب الأخ الكريم غازي بن أحمد بن علي الفقيه رسالة مطولة حول ملاحظاته على كتاب «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» المختصر الذي طالعه الأخ متقصياً عما يتعلق ببلدة القوز التابعة لمنطقة القنفذة من إمارة منطقة مكة المكرمة، وهاهو خلاصة ما لاحظه الأخ الكريم:

وقد خرجت من تتبع مؤلفكم بالملاحظات التالية، ولقد بادرت بكتابتها نظراً لرغبتكم التي اطلعت عليها ضمن صفحات «المعجم» منها:

١ ــ ذكرتم أن القرى التابعة (للقوز) يبلغ تعدادها (٧٥ قرية) ولم أجد سوى (٧٤ قرية) بما فيها البلدة الرئيسة القوز. ولقد أضفت في البيان المرفق مسميات لقرى لم يرد ذكرها في المؤلف فأرجو إضافتها وهي (شَيْعْ وحَذَب).

٢ ــ لاحظت ورود أسماء حارات قديمة كتبت على أنها قرى تتبع للقوز ومنها (الدار العليا والدار الوسطى) والحقيقة أنها حارات قديمة ضمن البلدة الرئيسة القوز ولعل السبب يعود لجهل من زودكم بتلك المعلومات.

٣ ــ ذكرتم أن في القوز مورد ماء واحد والحقيقة أنه يوجد خمسة موارد ماء قديمة ولقد ذكرتها لكم في البيان المرفق لإدراجها ضمن مؤلفكم.

٤ ــ وجدت ضمن القرى التي ذُكرت أنها تتبع القوز مسميات لقرى لم يثبت لي أنها تتبع القوز كما أن أسماءها غريبة عن نطاق البيئة المحيطة بالقوز ولعل خطأ قد حدث عند الجمع أثناء الطبع وتأكيداً على ما أقول فقد جاوز عمري الآن الخامسة والثلاثين وإنني لم أسمع بتلك التسميات وقد بحثت عنها جاهداً فتبين لي أن بعضاً من تلك القرى تتبع مراكز وإمارات غير القوز ومثالاً على ذالك:

١ ــ شامانة المساعيد. ٢ ــ الهاجرية.

٥ ــ من خلال اطلاعي على كامل القرى التي تتبع منطقة القنفذة بصورة عامة وجدت أخطاءً كثيرة ـ ولكنني أرجأت الحديث عنها لكي يتم الاتصال من قبلكم بمراكز وإمارات المنطقة الفرعية من جديد لتجديد معلوماتكم عن المنطقة لاسيما وأن جميع قرى المنطقة الآن مليئة بالمدارس والمتعلمين متمنياً أن توفقوا في العثور على من يزودكم بصحيح المعلومات عن المنطقة وقراها لتدوينها في «المعجم».

(★) وهذا بيان يوضح أسماء القرى التي تتبع القوز فعلاً مع ذكر القبيلة التي تسكن كل قرية وكتابتها بالشكل الصحيح(★):

اسم القرية في «المعجم»	اسمها الصحيح	القبيلة التي تسكنها
١ ـ أبو جرار	أبو جُرَارْ	بني يعلى
٢ ـ أبو الرُّخَم	أبو الرُّخَم	بني يعلى
٣ ـ أبو قرين	أبو قُرَين	فقهاء بني يعلى
٤ ـ أم القضا	أم القَضَاه	بني يعلى
٥ ـ الثلاثاء	ثُلاثاء يَبَه	نواشره وعذَقُة
٦ ـ جبيع	جَبْيْع	نواشرة قُحْمَان
٧ ـ الجرد	الـجَرَدْ	شَوَارِدَه
٨ ـ الـحجف	الـحَجْفْ	خَوالِده قَوازِيَة
٩ ـ الحدبة	الحَدَبَه	مَقَاعِدَة
١٠ ـ الحويرس	الحُوَيْرِسْ	بني يعلى
١١ ـ حبيل	الحَبِيْلْ	مَقَاعِدَة من قرى القوز لاَ القنفذة.
١٢ ـ دار الأشراف	دار الأشْرَاف	دَوَاجِجَة قَوَازِيَة ليست قرية بل حارة.
١٣ ـ الدار العليا }	بعض حارات القوز القديمة وليستا قريتان قوازية.	
١٤ ـ الدار الوسطى }		
١٥ ـ الدجرية	الدُّجْرِيَّة	بني يعلى

١٦ ـ الدعاشيش	تتبع للقوز وليس للقنفذة كما ذكر في ص (٥٧٥) من «المعجم»	
١٧ ـ بني سحار	بن شْحَاره	بني يعلى
١٨ ـ السرير	السُّرْ	نواشرة
١٩ ـ السمرة	السُّمَرَه	يتبع للقوز وليس للقنفذة ويسكنها سُمَرَه قوازية
٢٠ ـ شعبة الكجهان	شعبة الكُجْهان	مَرَاجِبَه
٢١ ـ الصهوة	الصَّهْوَة	عُمور قوازية
٢٢ ـ الضيقة	الضَّيْقَه	نواشره
٢٣ ـ قحزه	قَحْزَه	شوارده
٢٤ ـ القحمانية	القُحْمَانْ	قُحْمان نواشرة وذكر أن بها إمارة وهذا غير صحيح.
٢٥ ـ القضب	القَضَبْ	عمور قوازية ونواشرة.
٢٦ ـ قنبور	قَنْبُور	فقهاء مقاعِدَة ونواشرة.
٢٧ ـ ألقوز	القوز (قوز أبي العير)	قوازية اسم صحيح
٢٨ ـ كباد	كِيَادْ	بني يعلى
٢٩ ـ الكدسة	الكِدسَة	بني يعلى
٣٠ ـ المحسنية	المِحْسِنّية	محاسنة نواشرة، مورد ماء
٣١ ـ المدارسة	المداوِسَة	بني يعلى
٣٢ ـ المدرج	المِدْرِجْ	فقهاء بني يعلى وفقهاء عقالية ونواشره (إحدى حارات القوز).
٣٣ ـ المساعدة	المَسَاعِرَة	بني يعلى
٣٤ ـ مشرف	مِشْرف	عمور قوازية
٣٥ ـ المظلف	المَظْلَفْ	عمور قوازية ونواشرة
٣٦ ـ المناديل	المَناديل	اشراف قوازية
٣٧ ـ المنكسر	المَنْكَسَرْ	بني يعلى
٣٨ ـ المنقره	المَنْقَره	بني يعلى

٣٩ ـ المواجده	الْمَواجِدِه	بني يعلى	
٤٠ ـ الطينه	الطِّينه	نواشره	
٤١ ـ عريجه	عِريْجَه	عمور قوازية	
٤٢ ـ أم البعر	أم البعر	بني يعلى	أسماء مندثرة
٤٣ ـ أم الثور	أم الثور	بني يعلى	أسماء مندثرة
٤٤ ـ أم الضان	أم الضأن	بني يعلى	أسماء مندثرة
٤٥ ـ البكارية	البكادية	بني يعلى	أسماء مندثرة
٤٦ ـ الحبانة	الحبانه	بني يعلى	أسماء مندثرة
٤٧ ـ الجنيته	الخبيته	بني يعلى	أسماء مندثرة
٤٨ ـ دار الزيلعي	دار الزيلعي	بني يعلى	أسماء مندثرة
٤٩ ـ السودة	السواده	بني يعلى	أسماء مندثرة
٥٠ ـ المسليم	أم سليم	بني يعلى	
٥١ ـ المناعة	المناعه	بني يعلى	
٥٢ ـ عسيله	عسيله (وهي غير عسيلة التي تتبع مركز دوقة	بني يعلى	
٥٣ ـ الفارعة	فارعة النورية السفلى والعليا		سَادة بني يعلى

(★) قرى لم نعثر لها على علاقة بإمارة مركز القوز وقد تكون تتبع مراكز أخرى.

١ ـ أبو العزم ص ١٦٥.

٢ ـ أحد المشايخ ص ١٧٨ كما أن أحد المشعل المذكور في نفس الصفحة هي أحد المشْقَلْ وتتبع لقبيلة بني زيد بها مركز.

٣ ـ أم العيب ص ٢٢٨.

٤ ـ أم النور ص ٢٣٩.

٥ ـ الباطن ص ٢٥٣.

٦ ـ البطارية ص ٢٨١.

٧ ـ الجدة ص ٣٥٦.

٨ ـ الجلية ص ٣٧٨.

٩ ـ الحاجب ص ٣٩٩.

١٠ ـ دار صاخت ص ٥٦٠.

١١ ـ الساعد ص ٥٥٨.

١٢ ـ شامانه المساعيد ص ٧٦٣. ١٣ ـ القحهانية ص ١١٧٣.

من قرى مركز دوقة

١٤ ـ قلقه ص ١١٧٨. ١٥ ـ قنحره ص ١١٨٧.

١٦ ـ الكندرة ص ١٢٢١. ١٧ ـ المبدا ص ١٢٥١.

١٨ ـ المندا ص ١٤٢٧. ١٩ ـ الهاجرية ص ١٥٢٧. ثبت لى من ثقات أنها من قرى مركز دوقه.

(★) قرى ذكرت في «المعجم» أنها من قرى القنفذة، والصحيح أنها من قرى مركز القوز وهي:

١ ـ الدعاشيش	مراحبة
٢ ـ السمره	قوازية
٣ ـ الحبيل	مقاعدة

(★) قرى لم يذكرها «المعجم» وتتبع القوز وهي:

١ ـ شَيْع	عمور قوازية
٢ ـ حَذَبْ (المغاوي)	نواشرة

(★) موارد ماء لم يذكرها «المعجم» وأتمنى إيرادها مستقبلاً وهي:

١ ـ بئر السوق.
٢ ـ البئر القيميَّة: بئران عميقتان جداً وهلاليتان قديمتان كانتا موردان هامان للقوز وأهلها.
٣ ـ أم الدَّوَارِجْ مورد ماء للنواشرة.
٤ ـ قَطِيْطة مورد ماء للمقاعدة.
٥ ـ العُذَيْقيَّة مورد ماء للعذقة.

وبعد أستاذي الجليل: إن القوز حالياً تُعدُّ حاضرة منطقة القنفذة الأولى في هذا العهد الزاهر وهي المعروفة قديماً بقوز أبي العير وتقع على الضفة الشمالية لوادي يبه ويمر بها الآن الطريق الساحلي الذي يربط جدة بجازان ولقد نالت قسطها من التطور الكبير ولا ينقصها الآن من جميع المرافق سوى (الهاتف) وهي

تبعد عن القنفذة بثلاثين كيلاً فقط ، وتقع في الجنوب الشرقي منها.

ملاحظة أخيرة: وجدت أن معظم القرى التي ذُكِرت وهي تتبع القوز أغلبها هي قرى قبيلة (بني يعلى) وهي القبيلة التي تسكن في الناحية الغربية للقوز بمحاذاة شاطيء البحر الأحمر وعند مصب وادي يبه مما أدركت معه بأن مصدر تلك المعلومات قد يكون أحد أبناء تلك القبيلة مما جعله يخطئْ في مسميات قرى القوز الأخرى أو يتجاهل بعضها.

وختاماً: آمل أن أكون قد مددت يد المساعدة لشخصكم الكريم في تصويب بعض ما شاب مؤلفكم.

القنفذة ـ القوز ـ متوسطة ثلاثاء يبه: غازي بن احمد بن علي الفقيه

«العرب»: للكاتب الكريم أجزل الشكر وأطيبه، ومنه ومن أمثاله من القراء يستزاد ويستفاد فيما يتعلق ببلادنا، وفي التنبيه على ما يقع في المؤلفات عنها من أخطاء أو نقص.

إمَارة الحـاج

بينما أنا أتصفح مجلة « المورد » ـ المجلد التاسع العدد الرابع سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ـ في وقت كنت قد سئمت منه من معالجة بحث موضوع حاولت تحقيقه، إذْ وقع نظري على عنوان بحث للدكتور بدري محمد فهد، في كلية الآدابِ جامعة محمد بن عبدالله، في فاس عن (تاريخ أمراء الحج) فيما بين صفحتي ١٧٩/٢٠١ ، فرأيته وفقه الله أفرغ جهده فاستخلص من مصادر كثيرة معلومات قيمة، أضْفَتْ على الموضوع الذي عالجه من الإمتاع وإكمال الفائدة ما تمنيت معه أنه اطلع على كتابين يبدو أن عدم رواجهما في ذالك القطر الكريم من بلادنا الحبيبة (المغرب) لم ينتشر ، هما كتاب «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة» الذي قمت بتحقيقه ونشره في ثلاث مجلدات ضخام، بلغت صفحاتها (٢٣١٤) عن أصل مخطوط في خزانة الكتب العامة في

مدينة (فاس) في المغرب بعد أن كان الأستاذ محب الدين الخطيب ـ رحمه الله ـ قد نشر الكتاب على أصل ناقص في مجلد.

وهذا الكتاب ألفه الشيخ عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر الأنصاري الجزيري في آخر القرن العاشر الهجري.

والكتاب الثاني هو «حسن الصفا والابتهاج في ذكر من ولي إمارة الحاج» ومؤلفه أحمد الرشيدي ويفهم أنه من أهل القرن الثاني عشر الهجري، حيث أرخ في كتابه إلى سنة ١١٩٧ ، وقد حَقَّقَتْ هذا الكتاب، بل نشرته الدكتورة ليلى عبداللطيف أحمد ، مدرسة التاريخ الحديث بكلية الدراسات الإنسانية، فرع البنات، جامعة الأزهر ، وقامت مكتبة الخانجي بمصر بطبعه سنة ١٩٨٠م، في ٢٦٠ من الصفحات. وفي مجلة «العرب» ـ س ١٧ ص ٩٢٩ ـ تعليق على عمل الدكتورة ليلى عبداللطيف أحمد، يحسن الرجوع إليه، كما فاتها ترجمة المؤلف وهو أحمد بن عبدالرزاق الرشيدي، ولد برشيد، وتوفي فيها سنة ١٠٩٦ ، ولهذا الكتاب مختصر في مكتبة الحرم المكي ـ رقم ٢/١٢ تاريخ دهلوي ـ.

ولو تَسَنَّى للدكتور الكريم الاطلاع على هذين الكتابين مع ما ذُيِّلَ به الأخير لاستكمل بحثه، وأجزل للباحث يده الكريمة، زاده الله قوة وتوفيقاً.

رغوان وحضر

كانت «العرب» استوضحت من الأستاذ فراج بن شافي الملحم عن حضر الوارد في قول أعشى باهلة يرثي المنتشر الباهلي الفاتك الجاهلي المشهور:

وأقبل الخيل من تثليث مصغية   أو ضم أعينها رَغْوَانُ أو حضر

فكتب إلى «العرب»: لا يوجد في الوقت الحاضر ما يسمى باسم (حضر أو حصر) وإنما يوجد واد صغير قرب منهل رغوان يسمى (ابن الخضر) وربما كان الاسم (الخضر) وأضيف كلمة (ابن) فيما بعد وهو وادٍ يقع في وسطه منهل (قُرَّى) الذي تكرر ذكره في الشعر القديم كقول الطفيل:

غَشِيتُ بقُرًى فَرْطَ حَوْلٍ مُكَمَّلٍ رُسُومَ دِيارٍ مِنْ سُعَادَ بِمَنْزِلِ

وقول جعفر بن عُلْبَة الحارثي:

أَلَهفِي بِقُرَّى سَحْبَلٍ حين أَجْلَبَتْ علينا الوَلاَيَا والعَدُوُّ المُبَاسِلُ

أمَّا رغوان فهو منهل قديم ويعرف الآن باسم (الحمضة) قرية ذات مركز حكومي، أهلها آل مُسَفِّرٍ ـ بضم الميم وفتح السين وكسر الفاء المشددة بعدها راء ـ وهم من آل مسعود من آل الْـجَمَلِ من الجحادر من قحطان (مَذْحِج) ويبعد عن مدينة تثليث بنحو ستين كيلاً تقريباً، وكلا الموضعين في وادي تثليث.

و «العرب» تقدم للأستاذ الكريم الشكر الجم على ما أتحف به قراءها.

شاعر باهلي

لم يرد ذكره في كتاب «باهلة»

لما أورد صاحب «خزانة الأدب» ـ ٩/٥٣٤ ـ شعراً منسوباً إلى عَبِيْدِ بن الأبرص لـمَّا أراد المنذر بن ماءِ السماء قَتْلَه، قال له بعض الحاضرين: ما أشدَّ جزعَك للموت! فقال:

لا غَرْوَ من عِيْشَةٍ نَافِدَهْ وَهَلْ غَيْرُ ما مِيْتَةٍ وَاحِدَهْ
فَأَبْلِغْ بَنِيَّ وأَعمامَهُمْ بِأَنَّ الْمَنَايَا هِيَ الرَّاصِدَهْ
لَهَا مُدَّةٌ فَنُفُوسُ الْعِبَادِ إلَيْهَا، وإن كَرِهَتْ، قَاصِدَهْ
فَلاَ تَجْزَعُوا لِحِمَامٍ دَنَا فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَهْ

ووقع في شعر سِماك بن عمرو الباهلي أيضاً، وهو أوَّل من قال: (لا أَطْلُبُ أَثَراً بَعْدَ عَيْنٍ) وهو جاهليٌّ أيضاً، قال لـمَّا خيرٍ بَيْنَ أَنْ يُقْتَلَ هُوَ أَوْ أخوهُ مَالِكٌ، فَقَتَلُوهُ دُوْنَ أخيه، من أبيات:

فَأُقْسِمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكاً لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَهْ
بِرَأْسِ سَبِيْلٍ عَلَى مَرْقَبٍ وَيَوْماً عَلَى طُرُقٍ وارِدَهْ
فَأُمَّ سِمَاكٍ فَلاَ تَجْزَعِي فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَهْ

هذا ماذكره صاحب «الخزانة» وهو صريح في نسبة الشعر إلى سِمَاك بن عمرو الباهلي ولكن بمراجعة كتب الأمثال اتضحت هذه الأمور :ـ

(١) اختلف في قائل (لا أَطْلُبُ أثَراً بَعْدَ عَيْنٍ) فأبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ قال في كتاب «الأمثال» ـ ٢٤٨ ـ: وأمّا قولهم: لا أَطْلُب أثراً بَعْدَ عَيْنٍ، فإنه لمالك بن عمرو العاملي، وأشار إلى خبره، ولكن محقق هذا الكتاب الدكتور عبدالمجيد قطامش ـ الأستاذ المساعد في جامعة الملك عبدالعزيز ، والذي نشر الكتاب مركز البحث العلمي في تلك الجامعة ـ قال في الحاشية[٥]: (ك: مالك ابن عمرو الباهلي وهو تصحيف). وهو يشير بحرف (ك) إلى نسخة (كوبريللي) التي ذكر أن تاريخ نسخها يرجع إلى القرن السادس الهجري.

ولكن الميداني في «مجمع الأمثال» ـ ٢٢٥/١ طبعة الحلبي ـ قال ما نصه: (تَطْلُب أثر بَعْدَ عَيْنٍ) العَيْنُ المعاينة، يُضْرَبُ لمن ترك شيئاً يراه ثم تبع أَثَرَهُ بعد فوت عينه، قال الباهلي: أول من قال ذالك مالك بن عمرو العاملي، وفي كتاب أبي عبيد: مالك بن عمرو الباهلي). انتهى.

وإذن فصحة الكلمة في كتاب أبي عبيد (الباهلي) وتصرف الدكتور عبدالمجيد أو حكمه بأنها تصحيف، غير صحيح، ومن الصعب اتضاح وجه الصواب دون معرفة الأصل الذي اعتمد عليه أبو عبيد .

وهاهي القصة كما أوردها الميداني حيث قال في شرح المثل: (ذالك أن بعض ملوك غَسَّان كان يطلب في عَامِلَةَ ذَحْلاً ، فأخذ منهم رجلين يقال لهما: مالك وسِمَاك ابنا عمرو ، فاحتبسهما عنده زماناً ، ثم دعاهما فقال لهما: إني قاتلٌ أَحَدَكُمَا، فأيكما أقتل ؟ فجعل كلُّ واحد منهما يقول: اقتلني مكان أخي، فلما رأى ذالك قتلَ سِمَاكاً وخلّى سبيل مالك ، فقال سِمَاك حين ظَنَّ انه مقتول:

أَلاَ من شَجَتْ ليلةٌ عـامـدَةْ   كـما أبـدا لـيـلَةٌ واحـدَهْ
فـأبْـلِغْ قُضَـاعَـةَ إن جِئْتَهـمْ   وخُصَّ سَرَاةِ بَـنِـي سـاعِـدَهْ

وأبْـلِغْ نِـزَاراً عـلى نَـأْيِها ... بِـأَنَّ الـرِّمَـاحَ هِـيَ الْعَـائِـدَهْ
وأقْـسِـمُ لَـوْ قَـتَـلُوا مَـالِـكـاً ... لـكُـنْـتُ لَهُـمْ حَـيَّـةً رَاصِـدَهْ
بِـرَأْسِ سَبِيْلٍ عَـلَى مَـرْقَبٍ ... وَيَـوْمـاً عَـلَى طُـرُقٍ وَارِدَهْ
فـأُمَّ سِـمَـاكٍ فَـلاَ تَجْـزَعِـي ... فَـلِلْمَـوْتِ مَـا تَـلِدُ الْـوَالِـدَهْ

وانصرف مالكٌ إلى قومه، فلبث فيهم زماناً، ثم إنَّ رَكْباً مَرُّوْا وأحَدُهُمْ يتغنَّى بهذا البيت:

وَأقْـسِـمُ لـو قَـتَـلُوا مَـالِـكـاً ... لـكُـنْـتُ لَهُـمْ حَـيَّـةً رَاصِـدَهْ

فسمعت بذالك أمُّ سِمَاك، فقالت: يا مالك، قَبَّحَ اللّهُ الحياةَ بعد سِمَاكٍ! اخْرُجْ في الطلب بأخيك. فخرج في الطلب، فلقِيَ قَاتِلَ أخيه يسير في ناسٍ من قومه، فقال: من أحَسَّ لِي الـجَمَل الأحمر؟ فقالوا له وعرفوه: يا مالك لك مِئَةٌ من الإبل فَكُفَّ، فقال: لا أطْلُب أثَراً بَعْدَ عَيْنٍ، فذهبتَ مَثَلاً، ثم حمل على قاتل أخيه فقتله، وقال في ذالك:

يـاراكِـبـاً بَـلِّغـاً ولا تَـدَعَـا ... بَنِي قُمَيْرٍ وإنْ هُمُ جَزِعُوا
فَلْيَجِدُوا مِثْلَ مَا وَجَدْتُ فَقَدْ ... كُنْتُ حَزِيْناً قد مَسَّنِي وَجَعُ
لا أسْمَعُ اللَّهْوَ في الْحَدِيْثِ ولا ... ينفعني في الفِرَاشِ مُضْطَجَعُ
لا وَجْد ثَكْلَى كما وَجَدْتُ وَلاَ ... وَجْد عَجُولٍ أضَلَّهَا رُبَعُ
ولا كَبِيرٍ أضَلَّ نَاقَتَهُ ... يوم تَوَافَى الْحَجِيْجُ واجْتَمَعُوا
يَنْظُرُ في أوْجُهِ الرُّكَابِ فَلاَ ... يَعْرِفُ شيئاً وَالْوَجْهُ ملتمِعُ
جَلَّلْتُهُ صَارِمَ الْحَدِيْدَة كَالْمِـ ... ـلْحِ وفِيْهِ سَفَاسِقٌ، لُمَعُ
بَيْنَ ضُمَيْرٍ وَبَابِ جِلَّق في ... أثْوابِهِ من دِمَائِهِ دُفَعُ
أضْرِبُهُ بَادِياً نَوَاجِذُه ... يَدْعُو صَدَاهُ وَالرَّأْسُ مُنْصَدِعُ
بَنِي قُمَيْرٍ قَتَلْتُ سَيِّدَكُمْ ... فَالْيَوْمَ لاَ رَنَّةٌ ولا جَزَعُ
فَالْيَوْم قُمْنَا عَلَى السَّوَاءِ فَإنْ ... تَجْرُوا فَدَهْرِي وَدَهْرُكُمْ جَذَعُ

حمد الجاسر

آل يحيا في المجمعة من الوهبة من تميم

ورد في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ص ٩٠٣ ما نصه: (آل يحيا في المجمعة أيضاً من تميم). وحيث أنه لم يذكر الفرع التميمي الذي تنتسب إليه هذه الأسرة فقد لفت النظر إلى هذا الأستاذ الكريم أحمد بن حمد اليحيا بما ملخصه: آل يحيا من أسرة الوهبة التي كان مقرها قديماً بلدة أُشَيْقر في الوشم، ومنه تفرقت في أسرٍ انتشرت في نجد وفي غيره من مناطق المملكة وخارجها، فقبل مئتي عام تقريباً انتقل فرعان من آل يحيا أحدهما إلى منطقة القصيم وهم أسرة آل يحيا الكبيرة المشهورة في مدينة بريدة، وجدهم لقبه (فُلَيَّان) وعرف بعض أفرادها بالعلم والنشاط التجاري. أما الفرع الثاني فقد اتجه إلى منطقة سُدَير حيث استوطن بلدة الحصون، وتولوا إمارتها ولايزالون إلى عهدنا، ومن هاؤلاء انتقل أحد أبناء الأسرة إلى بلدة البِيْر، وهو عبدالله جد عبدالله بن إبراهيم آل يحيا وإخوانه المقيمين الآن في الرياض، كما انتقل من الحصون إلى مدينة الكويت من الأسرة نفسها ناصر بن إبراهيم آل يحيا، لقب هناك بالنجدي ولصق اللقب بابنائه في الكويت وهم أسرة كبيرة هناك.

أما حمد بن يحيا بن حمد جد آل يحيا الذين استوطنوا مدينة المجمعة فقد انتقل إليها من بلدة الحصون لوجود أسر من الوهبة في هذه البلدة، وقد امتهن الزراعة في المجمعة، فملك نخلاً يسمى (الدهيشية)، ولكن جميع أفراد هذه الأسرة انتقلوا في أواخر القرن الماضي منها إلى جهات أخرى في المملكة واستقر أغلبهم في مدينة الرياض، ويشغل بعضهم الآن وظائف في الدولة وأعمالاً في التجارة وغيرها. وبالنسبة لبعض أسر آل يحيا ممن بقي في الموطن الأصلي وهو أشيقر فقد رحل أناس منهم إلى الرياض في آخر القرن الماضي، ومنهم من انتقل إلى المنطقة الجنوبية أبها ونواحيها وهو محمد آل يحيا وأبناؤه ممن لايزال معروفاً في تلك المدينة.

وآل يحيا المذكورون من الوهبة منسوبون إلى يحيا بن محمد بن يوسف بن علي بن أحمد بن ريِّس بن راجح بن عساكر بن بسام بن عقبة بن ريّس بن زاخر بن محمد ابن عَلَوِي بْن وُهَيب. الجد الذي تنتسب إليه الوهبة. وبقية النسب معروف ورد ذكره في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ص ٨٦٩ الطبعة الثانية.

حول كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة»

بعث إليَّ الأخ الشيخ محمد العثمان القاضي بملاحظات قيمة حول كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» منها:

١ ـ ص ٢٢٤ : الدبّه والدبيب: إطلاق هذين الاسمين على الأسرتين من قبيل التنابز بالألقاب الذي نهى الله عنه.

٢ ـ ص ٢٣٨: عن الشيخ صالح العثمان القاضي، المتوفى سنة ١٣٥٠هـ . صواب الوفاة سنة ١٣٥١هـ .

٣ ـ ص ٣٢٥ : عن آل السبيعي الذين في عنيزة.
قال الأستاذ القاضي: ومنهم في مكة والرياض محمد وعبدالله آل إبراهيم السبيعي من أهل الفضل، وفعل الخير.

٤ ـ ص ٣٩٨ : الشريان في عنيزة ثم في بريدة.
لا حاجة لكلمة (ثم) فمنهم من هو في عنيزة ومنهم من هو في بريدة.

٥ ـ ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ : تكرر آل شهوان الفضول في الصفحتين.

٦ ـ ص ٤٧١ : آل طيار في الزلفي والغاط من بني خالد.
قال الشيخ محمد العثمان: الطيار بالزلفي جعافرة، وليسوا كما ذكرتم خوالد، وقد ذكرت في «منهاج الطلب» بأنهم جعافرة واتصل بي الدكتور عبدالله الطيار عميد فرع جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، فقال: نحن جعافرة، ولا نعلم لماذا جعلنا فلان خوالد. هذا نص كلامه لي.

٧ ـ ص ٦٨٧ : (الكفالا) صوابها (الكغالا) - بالغين لا بالفاء - وهم يرجعون للصيخان، والصيخان يرى جدِّي بأنهم خوالد، والشيخ ابن عودان يقول أنهم من فداغمة تميم، وأنا ذكرتهم في تميم، وفي بني خالد، وذكرت القولين ولم أجزم وهم يقولون إننا خوالد.

٨ ـ ص ٨٠٨ : (الْـمَلُّوحِـي): الملاليح: ذكرتم في الطبعة الأولى والثانية بأنهم من تميم والصحيح المقطوع به أنهم فُضُوْلٌ، وهم ممن قام على عبدالرحمن الشريف بشأن كتابه عن منطقة عنيزة، وعبدالرحمن الـمَلُّوحي ـ رحمه الله ـ نحن أخوال أولاده، وتباحثت مع إبراهيم، وقال: إن فلانًا جعلنا من تميم ونحن فضول، على أن الزامل ذكروا أنهم سبعان والصحيح أنهم فضول.

٩ ـ ص ٩١٩ : ذكرتم في المصادر (ق) أوراق وجدت عند الشيخ صالح العثمان القاضي.

يقول الشيخ محمد العثمان: إن هذه الأوراق هي من تاريخ الشيخ صالح أخذها سليمان العبيد، وعندي أول التاريخ وآخره، وحين طلبته منه ادعى أنه تلف أثناء حادثة الحرم في المحرم سنة ١٤٠٠هـ.

والعبودي صور جانباً منه فليست أوراقاً، بل تاريخه، وكنت نبهتكم على هذا سابقاً.

هذه ملاحظات الشيخ محمد العثمان القاضي، فله الشكر الْـجَمّ . ومنه ومن أمثاله يُسْتَزَاد ، ويُسْتفاد .

معيشــر وبهـاج

جاء في مجلة «العرب» س ٢٦ ص ٢٨٠ عن معيشر : قرية كبيرة ومزارع تقع شرق الوادي وتبعد عن تبالة (٤) أكيال شمالاً .

والصواب: تبعد عن قرية تبالة بـ(٤٠) كيلاً .

كما ورد في ص ٢٨١ عن بهاج: يقع على جهة الجرف الشمالي من وادي رنية.

والصواب: يقع على حهة الحرف الشمالي من وادي بيشة.

نبـه على هذا الأخ محمد بن جرمان السعدي، فشكر الله له.

* « **معجم المعاجم** »:

ولإخوتنا وأحبابنا في مغرب بلادنا جهود مشكورة في سبيل خدمة الثقافة العربية عامَّةً، وما يتَّصل بلغة كتاب الله الكريم بصفة خاصَّة، وليس المقام مقام الإفاضة بذكر فضلهم، والإشادة بجليل أعمالهم، فهي من السعة فوق ذالك، وإنما دعت المناسبة التي أتاحها لي ما أفضل به علي أخي الأستاذ الحبيب اللمسي من فيض غزير من المؤلفات القيمة ـ حقًّا ـ مما تنشره (دار الغرب الإسلامي) من نفائس التراث ـ تلك المناسبة الطيبة إلى اتخاذ الحديث عن أحد تلك المؤلفات مدخَلاً لما قد يُقَوِّي الآصرة، ويوثق عرى المحبة، ويَشُدُّ أسباب الصلة بين قراء هذه المجلة وبين إخوتهم وأساتيذهم في تلك الأقطار العزيزة من مغرب بلاد الأمة الإسلامية، ولم يقع الاختيار على هذا المؤلف مما أفضل به الأستاذ اللمسي من منشوراته التي ليس بينها سوى المختار القيِّم، ولكن لطرافته في موضوعه، ولإيجازه في مباحثه، فصادف هوى في نفس امرئٍ سئم من كثرة نصائح الأطباء له بالاقلال من المطالعة والبحث والكتابة، وأنَّى له في اتّباع تلك النصائح وهو لا يرى الحياة، بل لا يحسُّ بطعمها إلا بانغماسه بين ما يهوى الاستفادة منه من الكتب.

هذا الكتاب الطريف الخفيف بالنسبة لي هو كتاب « معجم المعاجم» تعريف بنحو ألف ونصف ألف من المعاجم العربية التراثية ـ تأليف أحمد الشرقاوي إقبال ـ من منشورات (الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر) أهداه مؤلفه (إلى الدكتور محمد حجِّي، تقديراً لسعيه المشكور في خدمة الكتاب المغربي) والناشر (دار الغرب الإسلامي لصاحبها الحبيب اللمسي في بيروت) سنة ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) وهو لا يزيد على ٣٩٢ صفحة، جيد الطباعة، واضح الحروف، فهو سهل المطالعة، لا يعترض قارئَهُ ماهر بحاجة إلى إعمال الفكر لفهمه، ومن هنا تتضح خفته بالنسبة لي ولأمثالي ممن هم بحاجة إلى إراحة

أذهانهم بما يفيدهم.

والكتاب على نمط «كشف الظنون» وذيوله، وأمثاله من المؤلفات التي خُصِّصَتْ لوصف المؤلفات ومحاولة حصرها، إلا أنه تناول جانباً من تلك المؤلفات هو (المعاجم) وأبان عن نهجه - بعد أن تحدث في مقدمة ضافية عما حظي به المسلمون من كثرة التأليف، مما لم تحظ به أمة غيرهم، وعن جهود طائفة من المستشرقين حيال المعجم العربي كشفًا ودراسة ونشراً وتحقيقاً، وسمَّى بعض مشاهيرهم، وذكر من الشرقيينْ آخرين جروا على آثارهم، مع ذكر ما حققه هاؤلاء وأؤلئك من المؤلفات - وقال - المقدمة (ز) -: ومنذ ربع قرن مضى تعلق هَمِّي بالمعجم العربي، فانشغلت فيه، إحصاءً ودراسةً سولتُ لنفسي معها أَنْ أُعَرِّفَ بالمعاجم العربية، منسوبة ومخطوطة ومطبوعة، فطاوعتها في التسويل. فكانت هذه الفهرسة).

ومع أن المؤلف الكريم حاول أن يحصر تلك (الفهرسة) كما سمَّاها في تسع مجموعات أوضحها مفصَّلة، إلا أنها بَدَت متداخلة في الموضوعات، وله العذر في ذالك فكثير من المؤلفات يحار الباحث في الموضوع الذي يخصصه لذكره لتَعرضه لمباحث مختلفة. وقد أوضح مصادره في هذا الكتاب. وهي على كثرتها وتنوع موضوعاتها تبرز ما يتصف به من سعة الإطلاع، وأشار إلى قصر عمله على المعاجم التراثية، دون سواها، وأنه تَجَوَّز في كلمة (معجم) فأوقعها على كتاب احتوى مفرداتٍ مشروحة لُغَوِيًّا.

والواقع أنَّ الجهد الذي بذله الأستاذ خلال ربع قرن من الزمان كان جُهْداً نافِعاً، ذَا أَثَرٍ طيِّبٍ في خدمة الثقافة العربية، وما هذه الكلمة الموجزة عن مؤلفه المفيد بالموفية بما هو جدير به من إبراز محاسنه، وبيان مدى حاجة المعنيين بهذا الجانب الثقافي الشامل إلى الاستفادة منه.

ولعلَّ من أبرز ميزات هذا الكتاب التي تسهل الاستفادة منه: الفهرس الشامل لأسماء ما ورد فيه من المؤلفات، مرتباً على الحروف، وآخر بأسماء الأعلام، وقبلهما الفهرس العام للموضوعات.

ولا أرى غضاضةً في أن أقِف مع الأستاذ الكريم وقفات قصيرة، موقف المقدر لعلمه المعترف بفضله، لأُدَلِّلَ على مبلغ اهتمامي بهذا الكتاب بالاستفادة منه، وأن أُوْجِدَ بيني وبين مؤلفه من وشائج الصِّلَة ما يُقَوِّي ما بيننا من أخوة وتعارف.

١ ــ ص (ب) في المقدمة ـ عدَّ الأستاذ بين المستشرقين الانجليز (فريتس كْرِنْكُو) والمعروف أن هذا المستشرق ألمانيٌّ، وُلِدَ في قرية (شُوْنْبِرْج) بشمالي ألمانيا، واسمه (فْريتس) ألماني معناه (سالم) ولهذا كان يسمي نفسه (سالم الكرنكوي) وكان يتعصب للعرب على سائر الأمم الاسلامية «الأعلام» للزركلي، ويقال إنه أعلن إسلامه، وتاريخ ولادته سنة ١٢٨٩هـ ووفاته سنة ١٣٧٢هـ وما كل قارئٍ يعرف التاريخ الميلادي.

٢ ــ ص: (د) المقدمة: ـ (محمد بن العربي بن محمد بن أبي شنب (١٨٦٩/١٩٢٩م) حَقَّقَ تَحْبِير الموشّين، فيما يقال بالسِّيْن والشين»... وطبع التحقيق بالجزائر سنة ١٣٢٧هـ).

كان من اليسير للأستاذ الفاضل وضع التاريخ الهجري ـ مع التاريخ الميلادي ـ إذْ كثير من القراء لا يعرفون إلا الأول، ولكيلا يقع اختلاف كما حدث بالنسبة للمترجم ولطبع تحقيقه، وابن أبي شنب ولد سنة ١٢٨٦هـ وتوفي سنة ١٣٤٧هـ وليس هذا هو المقصود بالوقفة هنا، ولكنه أمر رأيتُ المناسبة تدعو إلى إيضاحه عند ذكر تحقيق ابن أبي شنب لرسالة «تحبير المُوشِّين» إذ كلمة (تحقيق) كثيراً ماكانت حَجَرَ عثرة دُوْنَ دراسة كثير من كتب التراث، وخاصَّةً عندما تُقْرَنُ بِعَلَمٍ من أعلام العلم والثقافة كابن أبي شنب الذي كانت له عناية بالمخطوطات، فقد ألَّف فهرساً لما كان موجوداً منها في عهده في جَامِعَي الجزائر الكبير والصغير، والغريب في الأمْر أن من بين مخطوطات تلك الرسالة التي حققها نسخة في (المكتبة الوطنية في الجزائر) قد تكون من بين مخطوطات الجامعين قديماً ثم نقلت للمكتبة، وأغرب من هذا أن ابن أبي شنب لم يرجع إلى هذه المخطوطة، كما يَتَّضِحُ هذا من مقابلة مطبوعته بهذه المخطوطة، إذ فيها زيادات لم تَرِدْ بتلك ـ أوضحت بعضها في رحلات «البحث عن التراث» ـ ص ٢٢ إلى ٢٥ ــ.

ومثل هذا وقع للأستاذ السيد محبّ الدين الخطيب، فقد بعث إليه الشيخ محمد حسين نصيف بمخطوطة ناقصة من كتاب «الدرر الفرائد المنظمة، في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة» ليتولّى تحقيقه وطبعه، ونشره على نفقة الشيخ محمد نصيف وآخرين معه، ولكنه ـ رحمه الله ـ لم يكلف نفسه عناء البحث عما للكتاب من مخطوطات، مكتفياً بمخطوطة (مكتبة الأزهر) التي هي أصل للمخطوطة المبعوثة إليه، مع أنَّ في (دار الكتب المصرية) نسخة أكمل من الثنتين، وفي (خزانة الكتب) بمدينة فاس نسخة رابعة أوفى من الثلاث، وعن الأربع نشرت الكتاب ـ ولا أقول حققته ـ في ثلاثة مجلدات ضخام، بينما طبعة الأستاذ محب الدين في مجلد، وما أردت بهذا إلا إيضاح أن مجرد قيام عالم مشهور بتحقيق كتاب ينبغي أن لا يكون حائلاً دون التثبت من أنَّ ذالك التحقيق سار على الطريقة المثلى من حيث الاعتماد على أقدم الأصول وأصحها.

٣ ــ ص : «النوادر والتعليقات المفيدة» لأبي علي هارون بن زكرياء الهجري، المتوفى قريباً من سنة ٣٠٠هـ والناظر في بقاياه المخطوطة يتردد في أن يصنفه في كتب اللغة، أو كتب الاختيارات الأدبية).

كلمة (تقريباً) خَفَّفَتْ أثر تحديد الوفاة بسنة ٣٠٠ إذ الهجري ـ كما اتضح لي ـ توفي بعد ذالك استنتاجاً من روايته عن أناس تأخرت وفياتهم بعد تلك السنة، كما أوضحت ذالك في مقدمة كتاب لي سيصدر عن كتاب «التعليقات والنوادر» وهو اسم الكتاب ـ كما في طرتي القطعتين المخطوطتين اللتين وصلتا إلينا منه وإحداهما في (دار الكتب المصرية) والأخرى في (مكتبة الجمعية الآسيوية) في كلكتة في الهند، أي «التعليقات والنوادر» لا العكس، والخُلْفُ سَهْلٌ.

والكتاب على نمط كتاب «الأمالي» للقالي. إلا أنه أكثر منه عناية بالشعر حيث ضَـمَّ منه ومن الرجز ـ في القطعتين فقط ـ أكثر من سبعة آلاف بيت وأمَّا قول المؤلف الفاضل (بقاياه المخطوطة) فإنه تفتح الأمل أن هناك من الكتاب غير القطعتين المذكورتين، فليته أوْضح عن مصدره عن بقايا ذالك الكتاب.

٤ ــ ويُكَلِّفُ المؤلفَ الكَرِيْـمَ شَطَطاً مَنْ يرومُ منه في هذا المؤلف الموجز أن

يكون مُسْتَوْفياً لجميع ما خُصِّص له من المؤلفات حينها لا يجد بَيْن ماذكر مَثَلاً لَا حَصْراً :

١ ـ «معجم البلدان» وقد رجع المؤلف إلى مقدمته مرات في كلامه على معاجم الأمكنة، كما رجع إلى كتاب «معجم الأدباء» ـ ولم أر له ذكراً .

٢ ـ كتاب «التقفية» لليمان بن أبي اليمان البندنيجي المتوفَّى سنة ٢٨٤ (أربع وثمانين ومئتين) وهو من أوائل معجمات اللغة المرتَبة على حروف الهجاء على نمط «الصحاح» وقد حقق الكتاب الدكتور خليل إبراهيم العطية، ونشرته (وزارة الأوقاف العراقية) سنة (١٣٩٦هـ) ١٩٧٦ فجاء في ٨٠٠ صفحة، ومؤلفات أخرى، فلم يكن الاستيفاءُ هَدَفَ المؤلف الكريم بل اكتفى بأن أَمَدَّ الْقَارِئَ بأَشْهَرِ ما تَضُمُّهُ الْـخِزَانَةُ الْعَرَبِيَّة مِنْ نفائس المؤلفات، وما عُرف لأئمة اللغة والأدب مِنْ تصانيف، مما حفَلت بذكره كتب التراجم والتواريخ، فجمع ما تفرق، وقَرَّبَ ما بَعُدَ فأجاد وأفاد.

وأمَّا بعد: فما رُمْتُ وراء هذه الوقفات القصيرة سوى التعبير عما أحمل من وُدٍّ وتقدير لأولئك الإخوة الأحبة، في ذالك الجزء الغالي من وطننا لما يبذلونه ـ وما بذلوه ـ من جهود هي فوق الإشادة بها، ولِأُحَيِّيَ من خلال هذه الفرصة السانحة الأستاذ الجليل الدكتور محمد حجِّـي، وإخوته من أساتيذنا كالأستاذ محمد إبراهيم الكتّاني، والأستاذ عبدالله مَنُّون، والأستاذ عبدالقادر زمَّامة ولِأُبْدِي لمؤلف هذا الكتاب ولناشره الصديق الأستاذ الحبيب اللمسي جانباً من حرصي دائماً على الاستفادة والاستزادة من أمثال هذه المؤلفات القيّمة، وذالك بِالْـحِرْصِ بأن تكون خَيْر ما يُرَامُ مِنْهَا صِحَّةً واستيفاءً ، ووفرة إفادة ـ والله الموفق .

* «حول مصادر التاريخ الحضرمي»:

قلَّ أن تتحدَّث المجلة عن الكتبِ الحديثة، ولكن الحديث عن هذا الكتابِ له بواعث منها: أنَّ ما أُلِّفَ في موضوعه نَادِرٌ جِدًّا ومنها: أن الكتاب يَتعلَّقُ بتاريخ جزء عزيز علينا من وطننا، لايزال كثير من المثقفين بيننا يجهلون من أحواله ما لاينبغي جهله. ومنها: أنَّ الاهتمام بالكتابة عن ذالك الجزء أتت من قبل باحث

من أبعد الناس عنه من حيث الارتباط المنبعث من صلة عاطفة وداد وقُرْبَى، فكان لذالك أثر من حيث تأنيب الضمير، لما يحدث منا من قصور نحو ما يكون الأبعدون عنّا أسرع إلى الاهتمام به مما نحن مطالبون بالقيام به قبل غيرنا. حَقًّا أنَّ العلم كما يقال (لا وطن له) وأنه من الأمور التي يجب أن تكون مشاعة دون اختصاص أي أحد بشيء منها، وأنه لا أثر للعواطف فيه، ولكن كل هذا لا يعفينا مما علينا من واجباتٍ نحو أمتنا وبلادنا، ولا يُمَهِّدُ لنا الأعذارَ عن قصورنا في أداءِ تلك الواجبات. ومنها: أنه مَرَّ بي ـ خلال تَصَفُّحِ الكتاب ـ ماستغربتُ وقوعه من باحث اعتدتُ أن أجدَ لدى أمثاله مايَتَحَلَّى به كل عالم محقق من الإنصاف والتَّجرُّد من كل غاية لاتمت إلى الحقيقة، مع الحرص على إيضاح أدلَّة آرائه ـ ولكن لم يتضح لي خلال ذالك التصفح السريع إلَّا ماحملني على إطالة التفكير أثناء مايعرضه المؤلف من بعض الآراء التي لايسندها إلى أدلة وبراهين واضحة.

لقد أتحفني الأستاذ هادون العطاس بنسخة مصورة من كتاب «حول مصادر التاريخ الحضرمي» ـ مقالات للأستاذ الدكتور (سارجنت) ترجمة الدكتور سعيد عبدالخير النوبان، ونشرته (جامعة عدن) وليس في النسخة التي وصلت إلي تاريخ النشر، ولا بيان مكان الطبع، والكتاب يقع في ١٤١ من الصفحات، قدَّمَهُ معربه بقوله: (بين دَفَّتَيْ هذا السفر خمسة أبحاث علمية، نشرها جميعاً أستاذ جليل، وعلم بارز، ومؤرخ لامع، وهب جُلَّ حياته: (الأكاديمية) ومازال متنقِّلاً بين تاريخ وحضارة اليمن ـ قديماً وحديثاً، مقدماً ما يَقع بين يدين من مادَّة للقراء، مُحلِّلاً لها، ومُسْتنْبِطاً منها ما يَقْتَنِعُ بفائدته كي ينتفع به الآخرون ـ ذالك الأستاذ هو آر بي سارجنت (R.B Serjenat).

ومادة الكتاب بحوث أربعة هي:

١ ـ مادة تاريخية عن جنوب الجزيرة من ص ٧ ـ ٧٦.

٢ ـ المؤرخون وكتابة التاريخ الحضرمي من ص ٧٧ ـ ١٠٥.

٣ ـ سادة حضرموت من ص ١٠٥ ـ ١١٩.

٤ ـ ميناء عدن والشحر، في القرون الوسطى من ص ١٢٠ ـ ١٤١.

ومن هذه البحوث ما نشره (سرجنت) في مجلة (مدرسة الدراسات الشرقية

والأفريقية) وهما البحثان الأول والثاني أما البحث الثالث فمحاضرة ألقاها في تلك المدرسة، كما ألقى البحث الرابع في ندوة (حول التّاريخ البحري) في مدينة بروكسل.

ما للقارئ وللتعمق في الأسباب والدوافع التي حَدَتْ بالأستاذ (سرجنت) إلى الاهتمام بما يتعلق بجنوب الجزيرة من تاريخ ودراسة عامَّة، سواء كان كغيره من بعض الباحثين الغربيين الذي يَتَّجِهُونَ ويقومون بالأبحاث والدراسات العلمية، حُبًّا للعلم، وفي سبيل العلم وَحْدَهُ - أو كان كبعض من كانت لهم من وراء تلك الاتجاهات مأرب أخرى، فالأستاذ (سرجنت) كما أوضح في مقدمة أول تلك الأبحاث - ص ٧ -: كان يقوم بجولات في نواحي حضرموت على زمالة علمية من دائرة البحوث بـ (وزارة المستعمرات)!! ومهما تكن الأسبابُ فقد زالتْ بزوال بواعثها. وبقي ماينبغي الانتفاع به والاستفادة منه، و(كُل البقل ولاتسأل عن المبقلة).

إن كل مَعْنِيٍّ بتاريخ حضرموت سيجد في البحثين الأولين ما لا غنى له عنه من حيث عرضٍ لأهَمِّ المؤلفات الحضرميَّة بتعمُّقٍ وتحليل لمحتوياتها، كما سيدرك من خلال دراسته البحث الثالث عمق تأثير العادات والتقاليد في سير الحياة الاجتماعية في ذالك القطر، وكيف تسيطر بعض الأفكار التي لا تخضع إلا للعواطف على النفوس، ولا داعي للتوسع في القول.

ومن غريب ما مَرَّ بي - أثناء تصفح هذا الكتاب - ص ٨ -: (كما أغار الوهابيون في عام ١٢٢٤/١٨٠٩ وتحت قيادة نجد بن قملا (؟) النجدي الوهابي على الوادي الرئيسي ليخلصوا حضرموت من الإلحاد - كما يقولون - ولقد كان هَـمُّ الوهابيين تحطيم أضرحة الأولياء، فرمَوْا خزائن مليئة بالكتب في الآبار حيثما ذهبوا، وقد فعلوا فعلة كهذه عندما دخلوا اليمن أيضاً، وضاعت نتيجة لذالك آلاف المجلدات في تِرِيْم وعينات وغيرها من المدن) إلى آخر ماذكر (سرجنت) نفسه إذ هذا من استنتاجه هو، ولم يُشِرْ إلى أي مصدر تاريخيٍّ، بخلاف ماكان معهوداً من كثيرٍ من أمثاله، وخاصَّةً ممن لم تكن آراؤهم وأقوالهم منبعثة عن عواطف وأهواء. ليس من شكٍّ في أنَّ الـجُهَّال - مِنْ أيِّ جنس وفي أيَّة بقعة من بقاع العالم - ليس لديهم من احترام كتب العلم ماقد يحجزهم عن إهمالها، بل الاستهانة بها، وخاصَّةً عندما يسمعون ممن يُوجِّههم عدم جدواها إذا كانت من الكتب التي تحوي من الأفكار ما يخالف معتقداتهم، ولكن مما يُلاحظ - لعدم

صحة ماذكر (سرجنت):

★ـ لم يذكر مؤرخو الدعوة السلفيَّة أن جيوشها الغازية غَزَتْ بلاد حضرموت. فَضْلاً عن أن تتوغل فيها حتى تبلغ (تريم) و(عينات)، كما لم أرَ فيما اطلعت عليه من مؤلفات الآخرين من ذكر ذالك، ولكن الدولة السعودية لـمَّا قويتْ، وامتدَّ نفوذُها في جميع نواحي الجزيرة، أبدى كثيرٌ من حكام الأقاليم ورؤساء العشائر الخضوع لتلك الدولة، لأسباب مختلفة، فمنهم المنقاد للدعوة السلفية عن اقتناعٍ وفهمٍ وطواعية، ومنهم من كان انقياده خضوعاً ورهبة، ومنهم من له مطامعُ أخرى، وكان من بين المظهرين للولاء صاحب وادي خبٍّ من أودية جبل برَط، الواقع في الشمال الشرقي من صنعاء على مسافة خمس مراحل، وسكانه من همدان، وكان حكم المنصور صاحب صنعاء على درجة من الضَّعْفِ بحيث كان لا يتجاوز نفوذه صنعاء نفسها، فما كان من صاحب وَادي خبٍّ ويدعى ابن قَمْلَا إلَّا أن أظهر الطاعة للإمام سعود بن عبدالعزيز ـ قال مؤلف سيرة المنصور «درر نحور الحور» في ذكر حوادث سنة ١٢١٩: وفيها جاءت الأخبار بصلاح حال ابن قملا، صاحب وادي خبٍّ، ودخوله تحت طاعة صاحب نجد، وأنه بعث إلى حضرموت رُسُلاً يدعوهم إلى الدين، وأَفْصَحَ في كتبه أن ذالك عن أمر صاحب الشرق سعود بن عبدالعزيز، فأجابته الأطراف. انتهى إذَنْ (ابن قملا) لم يكن نَجْدِيًّا كما زعم (سرجنت)، ولم تكُنْ هناك غارةٌ من الوهابيين، ولا تحطيم أضرحة، ولا رمي خزائن مملوءة بالكتب، ولكن الرَّجُلَ أظهر الطاعة، وبدافعٍ من نفسه أرسل دعاةً ـ وعلى فرض حدوث شيء مما ذُكِر فمن عدم الإنصاف نسبته إلى النجديين، وإن كانوا يَرَوْنَ وجوبَ هدْمِ القباب المبنيَّة على القبور، امتثالاً لأمر الرسول ﷺ بذالك، إلَّا أنَّهُمْ لا يجيزون إعدام كتب العلم النافعة، وما يقع من الجهَّال المنتسبين إليهم لا يصح تعميمه وشموله، فعلماؤهم لا يقرون ذالك، ولا يرضونه.

وبعد: فإنْ تَسَرُّعَ الأستاذ (سرجنت) أو هفوته بِنسبة تلك الفعلة إلى النجديين لا تؤثر فيما يمكن أن يستفاد من أبحاثه هذه، فهي قد أبرزت جوانب من تاريخ تلك البلاد الكريمة، وما لعلمائها وأدبائها من أيادي في هذا المجال مما لا يسع المعني بتاريخ الأمة العربية جهله، وقديماً قيل:

لا تَـرْجُ شَيْئاً كَـامِـلاً نَفْعُـهُ ... فَالسَّيْلُ وَهُوَ الْغَيْثُ فِيْهِ الْغُثَاءْ

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ١٧ ريالاً

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

العنوان
حي الورود - شارع حمد الجاسر هـ ٢٢٢٢ ٤٦٢١٢
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٧، ٨ س ٢٦ محرم/صفر سنة ١٤١٢هـ ـ حزيران/آب (يوليو/أغسطس) سنة ١٩٩١م

من تاريخ الدولة السعودية الأولى
في المؤلفات اليمنية

مَا أَلَّفَهُ مُؤَرِّخُو الدَّولة السعودية من المؤلَّفات المتعلقة بتاريخها، منذ نَشْأَتها في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، إلى عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ـ رحمه الله ـ في العشر الثانية من القرن الرابع عشر، يُعَدُّ قَلِيْلاً جِدًّا، جُلُّهُ من آثارٍ ثلاثة من المؤرخين، حسين بن أبي بكر بن غَنَّام (١١٥٢/١٢٢٥هـ)[1] وعثمان بن عبدالله بن بِشْرٍ (١٢١٠/١٢٩٠هـ) وإبراهيم ابن صالح بن عيسى (١٢٧٠/١٣٤٣هـ) أَوْ مِـمَّا وَرَدَ مجموعاً في مؤلفاتهم، من نُتَفٍ موجزة مفرقة. كتبها بعض طلبة العلم، ممن تقدم زمَنَهُمْ أو عاصَرَهُمْ. ومِنْ هُنَا فإنَّ الْمُتَعَطِّشَ للتعمق في دراسة تاريخ تلك الدولة الكريمة في أدوارها الأولى لا يجد في مؤلفات أؤلئك المؤرخين ما يروي غلّته من حيْث الشمول، ومن حيث الاطمئنان لتعليل بعض الحوادث التاريخية التي لا يجد أمامه حيالها سوى إشارات في غاية الإيجاز، ولهذا فهو في أشد الحاجة إلى البحث في مصادر أخرى، تُفَصِّلُ له ما أُجْمِل، وتكْمِل مالم يذكر، ولقد كان لانتشار نفوذ الحكم السعودي في جميع أنحاء الجزيرة، ولِصلَتِهِ بما يُجَاوِرها من أقطارٍ ما حفز مؤرخي تلك الجهات التي لم يشملها ذالك الحكم إلى تناول أخباره وحوادثه بالتسجيل. ولكن بنظرة قد تغاير نظرة مؤرخيه مما كان له الأثر ـ بما شابَهُ من تَحَيُّزٍ وهوى ـ في عدم الاعتماد عليه من قبل مؤرخي الدولة السعودية نفسها، مع مافيه مما يجلو غوامض التاريخ السعودي، ويفصل كثيراً مما أُجمل مِنْهُ.

ودراسة التاريخ تتطلبُ اتّسَاعَ أُفُقٍ في التفكير ، ورحابَةَ صَدْرٍ لِتَقَبُّل ما يعرض من آراءٍ مخالفة، تَحرِّياً للحقيقة، أيًّا كان مصدرها، وقبولاً للحقّ ممن أتى به أيًّا كان، إذْ هُوَ ضَالَّةُ المؤمن، وما المؤرخ سوى قاضٍ يستمع الأقول فيتوخى العدل، ويسعى ما استطاع لاستيضاح جميع الوسائل في سبيل ذالك، مُبْتَعِداً عن تأثير العواطف والرغبات ـ أيًّا كان مبعثها ـ والمؤرخ ـ أيُّ مؤرخ ـ عرضةٌ للخطإ ، فهو إنسانٌ جُبِلَتْ طبيعتُهُ على كثير من صفات النقص ـ إلاّ من عصم الله من أصفيائِهِ ـ وما مِيْزَةُ المؤرخ إلاّ باتّصافِهِ بالتَّجَرُّدِ التّامّ في معالجة ما يعرض له من القضايا، بُغْيَةَ الوصول إلى الحقيقة، لهذا كان من أَهَمِّ ما ينبغي لمن يُعْنى بدراسة التاريخ وبحثِهِ استكمالُ ما يتعلق بموضوع دراسته من مراجع، بصرف النظر عما قد يكون بينها من اختلاف، وعدم الالتفات إلى بواعث ذالك الاختلاف، مَا لم يكن لشيء منها من الأثر البارز ما يحمل على عدم الاطمئنان والثقة، إذ الغاية الوصول إلى نتيجةٍ قائمة على أساسٍ قويٍّ من تحرِّي الحقيقة، دُوْنَ تَحَيُّزٍ لهوًى أو تأثُّرٍ بعاطفة.

ولقد سبق لي أَنْ نشرْتُ بحثاً ضَمَّنْتُهُ ما ورد في أحد مؤلفات معارضي الدعوة السلفية من حوادث شاهَدَ بَعْضَها، ولم يكن مُنْصِفاً ولا صادقاً في كل ماذكر، ولكنَّ مشاهدتَهُ لبعض الحوادث أضْفَتْ عليها من التفصيل، والتحديد الدقيق لأزمانها ما لا يستغني عنه من يُعْنَى بتاريخ بلادنا، ومع أَنني أوضحتُ في مقدمة البحث ما ينبغي إيضاحُهُ من مُسَوِّغاتِ نشرِهِ ومنها[٢]:

١ ـ ضرورة إلْمَامِ الباحث في التاريخ بِمُخْتَلف المصادر.

٢ ـ أنَّ تحذير علمائنا عن مطالعة كتب المخالفين كان الدافع له الخوف من تأثيرها، وقد زال هذا الدافع بالنسبة لمن يُعْنَى بدراسة التَّاريخ بتدرعه بوسائل من العلم والإدراك تحجز دون تأثره بما هو باطلٌ.

٣ ـ أننا في زمن يتطلَّبُ إظهار مافي تلك الكتب من انْحِرافٍ، لِيُحْذَرَ من الوقوع فيه، ولا يكفي إخفاؤها أو محاولة الحيلولة بينها وبين الانتشار ، إذْ وسائل النشر في هذا الْعَصرِ أصْبَحَتْ بدرجةٍ من القوة واليسر بحيث أصبح من السهل طبع آلاف النسخ ونشرها في أقْصَرِ زَمَنٍ.

٤ ـ أن الدعوة الاصلاحية بلغت من القوة والانتشار المقام الذي لا يُخْشَى لها

أنْ تتأثرَ بآراءِ معارضيها، ممن أعمى الله بصيرته: ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ الله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾. إلاّ أنَّ أحد الإخوة من علمائنا اتّصل بجهةٍ عالية كَرِيْمَةٍ مستنكراً نَشْرَ ما نقلته من مؤلِّفٍ لأحد أعداءِ الدعوة. فَأوْضَحْتُ لوزير الإعلام الأستاذ الدكتور حينذاك محمد عبده يماني حين أبلغني ذالك وِجْهَةَ نَظَرِي، ولفتُّ نظره إلى أن وزير المعارف ـ عن قناعة وعمق إدراك ـ قد أوْعز إلى (دارة الملك عبدالعزيز) بنشر كتاب «لمع الشهاب» وهو مملُوْءٌ بما يَمَسُّ القائمين بتلك الدعوة من عهد الإمام محمد وبمناصريه من آل سعود، إلاّ أنَّ في الكتاب من المعلومات ما قد يستفاد به، مع التنبيه على ماحواه من أخطاء شنيعة.

لقد مضى الزمن الذي يُستطاع فيه إسْدَالُ حُجُبٍ من الإخفاء لِآراء المخالفين، بمحاولة كتم مصادرها وتجاهلها، والوسيلة المثلى للحيلولة دون تأثيرها إبْدَاءُ زَيْفِها، وإبْرَازُ بُطْلاَنِها، وبهذا يتم القضاء عليها، بخلاف محاولة كتمانها، فهو من أقوى الأسباب التي تدفع للتعلق بها والبحث عنها (وحبُّ شيْءٍ إلى الإنسان مامنعا) و(كل ممنوع متبوع).

وكما كان المؤلَّفُ الذي حوى تلك النصوص التي نشرتْ في «العرب» قبل عشر سنوات، عن مصادر تاريخ الدولة السعودية الأولى أُلِّفَ تحت مؤثراتٍ انجرفت بمؤلفه وهو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالشكور المكّي عن جادَّةِ الصواب، من حيثُ موقفه من الدَّعوة الإصلاحيَّة انجرافاً جعله يخبط في متاهات الضلال خبط عشواء، بالنسبة للقائمين بمناصرة الدعوة الإصلاحية من آل سعود، ويلصق بأئمة تلك الدعوة من المساويْ والأفعال السَّيِّئَةِ ماهم منه بُرَاءُ، كذا كان المؤلَّف الذي أُحاول الرجوع إليه، للاقتباس مما ورد فيه من الحوادث التاريخية التي لها صلة بتاريخ الدعوة وأئمتها ومناصريها إلاّ أنَّ مؤلِّفَهُ لطف الله بن أحمد بن لطف الله جَحَّاف (١١٨٩هـ/١٢٤٣هـ) كان على درجةٍ من التَّعَقُّل حَالَتْ دون انحراف لسانه بسيِّءِ القول ـ كابن عبدالشكور ـ وإنْ لم يتَحَاشَ وَصْمَ الدعوة بما هي منه بريْئة، فالمؤلفان يتفقان في بواعث مُؤَلَّفَيْهِمَا وأبرزها التزلف بهما لنيل رضا حاكمي بلديهما اللذين أَلَّفَا كتابَيْهِمَا لَهُمَا.

وميزة كتاب حَجَّافٍ بالنِّسْبَةِ لما فيه من نصوص تاريخية أنَّ مؤلِّفَه عَاصَرَ الحوادثَ التي تحدث عنها كابن عبدالشكور ولكن جَحَّافًا كان ذا صِلَةٍ قويَّةٍ بحاكمي اليمن في عهده المنصور علي بن العباس وابنه المتوكل أحمد، وقد ألف في سيرة الأول كتابه الذي دعاه «درر نحور الحور العين، في سيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين».

وهناك من مؤرخي اليمن وعلمائه مَنْ هو أوسع اطِّلاعاً على تاريخ الدولة السعودية، وأنفذ بَصِيْرَةً، وأجلُّ إدراكاً وفهماً وعلماً بحقيقتها من جَحَّاف، وهو شيخه الإمام العالم المجتهد محمد بن علي الشوكاني (١١٧٣/ ١٢٥٠هـ) وقد ذكر في كتابه «البدر الطالع» - ج ١ ص ٢٦٣ - في ترجمة سعود بن عبدالعزيز بن محمد (١١٦٣/ ١٢٢٩هـ) أنَّ له مؤلَّفاً أفرد به الحوادث العظيمة في عهده، وقد كان بِصفة نفوذه لدى رجال الحكم في اليمن يتلقَّى الرسائل التي تَرِدُ من حكام نجد وعلمائها، ويَتولَّى كتابة الرَّدِّ عليها باسم أولئك الحكام كما ذكر في «البدر الطالع» ج ٢ ص ٧ ترجمة الشريف غالب بن مساعد، أنها في مجموعه، ومؤلفه عن الحوادث في عهد سعود لايزال مفقوداً، أمَّا أجوبته على مايرد من الحكام فلايزال يوجد مجموعٌ يحوي كثيراً منها، مع الرسائل التي أجاب عنها، نشر أحد الاخوة في (جامعة عدن) وهو الدكتور صلاح رمضان محمد قسماً منه بعنوان «ذكريات الشوكاني» يحوي فَصْلاً مطوَّلاً عـمَّا نحن بصدده، وفيه عدد من الرسائل وأجوبتها، إلَّا أن المؤلف الفاضل ما كان على درجة من فهم حقيقة الدعوة الإصلاحية تحمل على الاعتماد على ما أورد حيالها، ولهذا فإنَّ ذالك المجموع من آثار الشوكاني لايزال بحاجة إلى دراسة وتحقيق. وقد سَعَيْتُ للحصول على صورة من أصل المخطوطة، وآمل أن يتحقَّق لي ذالك، فهو أوْلَى بَأَنْ يُبْدَأ به في الحديث عما لعلماء ذالك القطر الحبيب من بلادنا من المؤلفات التي تتعلق بتاريخ الدعوة الإصلاحية التي قام بها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب - في مراحلها الأولى.

ولعل ما يلحظه القارئُ في عبارات المؤرخ جَحَّافٍ من عَدَم قَسْوَةٍ في كلامه

على بعض ما يَتَّصِلُ بتلك الدعوة من أنْباءٍ من تأثير نظرة شيخه الشوكاني إليها، وإنْ لم يُؤْتَ جَحَّافُ من نفاذ البصيرة وعمق الإدراك ما أوتي شيخه - كما يتضح هذا لكل من طالع مؤلفه «درر نحور الحور العين» الذي سأحاول إيراد جميع ما يحويه من نصوص في الموضوع.

وقد فصَّلَ الأستاذ عبدالله بن محمد الحِبْشِيُّ القولَ عن هذا الكتَاب، وعن مؤلفه في «العرب»[٣] ومما قاله بصدد موقفه من الدعوة السلفية: وهو في روايته عنها يَبْدُوْ مُحَايداً لاَ يَعْنِيه فيما يَكتبه سوى إيراد المعلومات دون تَحَيُّزٍ إلى مَذْهَبٍ مُعَيَّنٍ. كذا قال الأستاذ وهذا صحيح في مجمله، إلا أنه قد ينسب إليها ماليس صحيحاً كتكفير العموم، وغير ذالك مما لاداعي للتوسع في بحثه، ولكن مؤلف الكتاب لم يك ذَا انْفِعال وشِدَّةٍ في مواقفه ضِدَّهَا، يَبْدُوْ هذا في مُحاولته التَّثَبُّتَ من بَعْضِ مانُسِبَ إلَيْهَا، ومُرَاجَعَتِه في ذالك أَحَد عُلَمَائِها، وهو الشيخ عبدالعزيز ابن أحمد بن عبدالوهاب، ابن عم الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وصِهْرُهُ، ورئيسُ وَفْدِ سعود بن عبدالعزيز إلى صاحب صنعاء، وإن لم يكن ذا استجابة وقبول وقناعة في المسائل التي أخذها على الدعوة وأوضح له الشيخ عبدالعزيز أدِلَّة التَّمَسُّكِ بها، مما سيأتي تفصيله في بحثٍ آخر - وهذا منَ الأمور الَّتي تُبْرِزُ الرجُلَ بصورة من التَّذَبْذُبِ وعدم الثَّبَات في أَحْوَاله، كما وصفه بذالك شيخه الشوكاني في آخر كلامه في ترجمته في «البدر الطَّالع» وإنْ حاول الصَّدِيْقُ الأُستاذُ الحِبْشِيُّ تعليلَ كلام الشُّوكانِيِّ خِلاَفَ الظاهِرِ منه.

ويوضح الأستاذ الـحِبْشِيُّ مصادر لطف الله جَحَّاف بأنها:

١ ـ مكاتبات خاصَّة في هذا الشأن جرتْ بينه وبين بعض أهل مكة، ومنهم عبدالعزيز بن أحمد[٤].

٢ ـ مشاهدات شخصية رآها أثناء حجه في مكة سنة ١٢١٣هـ.

٣ ـ ما زوَّدهُ به الرسُلُ الذينَ ورَدُوا إلى اليمن من معلومات، ومنهم عبدالله بن المبارك[٥].

وأُضِيفُ إلى ذالك أنه قد يَتَلَقَّفُ بعض الأخبار عن مَنْ لا يوثق به، أو من أحد

المناوئين لدعاة السَّلَفِيَّةِ فيورده على عِلَّاتِهِ.

ومما ينبغي إدْرَاكُهُ أَنَّ عُلَمَاءَ اليمن في عهد قيام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بنشر الدعوة الإصلاحيَّةِ السَّلَفِيَّةِ كان من بينهم من هو على دَرَجَةٍ من الوعي والإدراك والتحرُّرِ الفكريِّ من البدع والخرافات، ممن سَارع إلى قبول دعوة الشيخ عن قناعةٍ واعتقاد كالإمام محمد بن إسماعيل الأمير (١٠٩٩/١١٨٢هـ)(٦) الذي عَبَّر عن سروره بقيام تلك الدعوة بقصيدته الرائعة، في أكثر من سبعين بيتاً، مطلعها:

سَلَامٌ عَلَى نَجْدٍ وَمَنْ حَلَّ في نَجْدِ وَإِنْ كَانَ تَسْلِيْمِي عَلَى البُعْدِ لَا يُجْدِيْ

قَالَ فيها عن الشيخ محمد:

مُحَمَّـدٍ الْهَـادِيْ لِسُنَّـةِ أَحْمَـدٍ فَيَا حَبَّذَا الْهَادِيْ وَيَاحَبَّذَا الْمَهْدِيْ

وقَالَ عن اتفاقهما في الْعَقِيدة:

لَقَدْ سَرَّنِـي مَاجَاءَنِـيْ مِنْ طَرِيْقِهِ وَكُنْتُ أَرَى هٰذِي الطَّرِيْقَةَ لِـيْ وَحْدِيْ

إلَّا أَنَّ دُعَاةَ السُّوْءِ من أَعْدَاءِ الدعوة أشاعُوا عنها ماغيَّر نظرة ذالك العالم الجليل، حتى قال قصيدةً صَرَّحَ فيها برجوعه عما قال من الثناءِ على الشيخ، وكَرَّرَ وَصْمَ دَعوته الإصلاحية بما نسبه إليها أعداؤها زوراً وبهتاناً، وقد أَلَّفَ الشيخ سليمان بن سحمان (١٢٦٨/١٣٤٩هـ) رسالةً في الموضوع دعاها «تبرئة الشيخين» يرى فيها أن القصيدة الأخيرة ليستْ لمحمد بن إسماعيل الأمير، ولكنَّ مؤرخي اليمن المعاصرين لمحمد هذا يثبِتُوْنَها له، وقد أورد جحَّافُ في أول كتابه القصيدتين في ذكر حوادث سنة ١١٨٩ ـ وسيأتي نَصُّ كلامه في المبحث المتعلق بالأمور التي نسبها جَحَّافُ إلى الدعوة مِـمَّا لا يتصل بالحوادث التاريخية.

ويلاحظ أنَّ هذا الكتاب الذي حوى ما سَيُقَدَّم للقاريْ لا يتحدث إلا عن وقائع تاريخية في خلال ٣٥ عاماً، من سنة ١١٨٩ إلى سنة ١٢٢٤ ـ مما يتعلق بتاريخ الدولة السعودية.

ومع أنَّ المؤلف خَصَّصَ مؤلَّفَهُ هذا لِتَدْوِين سيرة المنصور، فصاغه كأغرودة مَدْحٍ وَثَنَاءٍ، إلاَّ أنه لم يَسْتَكْمِلْ تَدْوِينَ تلك السِّيرة وجاء في طُرَّة أقْدم مخطوطة للكتاب معروفة في اليمن مانصه: (في عام ١٢٢٢ لـمَّا تفاقم الخطب، واضْطَربتْ أحوالُ الدولة، وصار سيف الإسلام أحمد بن الإمام المنصور مضطرباً في تحويل حال والده المنصور، وذكر للمؤلف ـ غفر الله له ـ: هَلْ يجوز له السكوتُ على تلك الحال؟ فقال: قد أمر الله بالوفاء بالعقود، ومن العقود الإفراج عن الناس ما صاروا فيه من ضِيْقٍ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وهذه من العقود، ثم من العجب أنْ كان تاريخ هذا العام: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ انتهى. كما جاء في آخر تلك المخطوطة: (قال المؤلف غفر الله له: (ونظرت عام موت المنصور فكان تاريخه: ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾. انتهى فاقرأ واعجب لتغاير نظرتي المؤرخ إلى من تزلف إليه بتأليف الكتاب.

وكان آخر ماجاء في المخطوطتين ترجمة محمد بن صالح بن أبي الرجال، المتوفى في ١٤ شعبان سنة ١٢٢٤ ـ ثم ذكر انتهاء التأليف في ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٢٢٨هـ، وليس في الكتاب ذكر لحوادث أربع السنوات الواقعة بين سنتي ١٢٢٤ و١٢٢٨، مع أن المؤلف أشار إلى أنه: (قد تهيَّأ لذكر حوادث السنين والأيام بدولة مولانا الإمام.. أحمد بن المنصور..) وتقدَّمت الإشارةُ إلى أنه توفي سنة ١٢٤٣ ـ وجحَّاف مؤلِّفٌ مُكْثِرٌ مما يحمل على الظَّنِّ بأنه لم يهمل ما يقرب من عشرين عاماً من سني حياته دون أن يُسَجِّل حوادثها العامة، ويَعْني القارئَ هنا ما يتعلق بتاريخ الدولة السعودية، وفيما دَوَّنه منه ما يُضِيف معلومات قد لا يجدها عند غيره من مؤرخي تلك الدولة، وهو ما سأعرضه مُعَوِّلاً على المخطوطتين اللتين تمكنتُ من الحصول على صورتيهما وأولاهما نسخة المؤرخ اليمني المعروف محمد بن محمد بن يحيى زبارة (١٣٠١/١٣٨١هـ) وقد نُسِخَتْ لجمال الدين علي بن محمد ابن أحمد بن إبراهيم ـ بدون ذكر تاريخ النسخ فاشتراها منه السيد محمد زبارة سنة ١٣٥٠هـ، باثنين وعشرين ريالاً وبعض الكتب، وعلَّق عليها بعض الحواشي، وتقع في (٧١٧) صفحة بالخط الفارسي. أما النسخة الثانية فهي أحدث خَطًّا حيث نسخت في المحرم سنة ١٣٥٨هـ ـ وخطُّها غير متقن، وتقع في (٥٠١) من

الصفحات، ويظهر أن أصل المخطوطتين واحِدٌ ، ويحدث اختلاف يسير جدًّا في بعض الكلمات لعلَّ مردَّهُ إلى اختلاف قراءة الناسخين لا إلى تغاير ما ينسخان عنه. ولوضوح خط النسخة الأولى، ولعناية المؤرخ اليمني السيد محمد زبارة بها بما قد يضعه في الهوامش من إشارات أو إضافات أو تصحيحات اتَّخَذْتُهَا أصْلاً فيما أنقل مشيراً إلى صفحاتها، وقد أضيف من النسخة الثانية زيادة بين مربعين [. . .] وقد ذكر الصَّديقُ الأستاذ الـحِبْشِــيُّ نسختين أُخريين قديمتي الخط ـ انظر «العرب» : ٣٠/٩ لم يَتَسَنَّ لي الحصول على صورتيهما ـ وما أتوقَّعُ في إحداهما زيادة عـمَّا بين يَدَيَّ ، كما يَتَّضِحُ مما نقل الأخ الـحِبْشِــيُّ من أحداهما، ولعلها النسخة التي قال إن بعض أوراقها بخط المؤلف.

وسأحافظ على نصِّ كلام المؤرخ جَحَّاف ـ وإن كان فيه ماهو مخالف للحقيقة، مُكْتَفِياً بالتنبيه على ذالك بإيجاز ، فِيْـمَا أُلْحِقُهُ بكلامه بعد كلمة (إضافة) للفصل بين مايُوْرِدُ، وما يَتَّضِحُ لِـي حَوْلَ ما يَسُوْقُ من حوادث، وأُغْنَى أكثر ما أُغْنَى بالرجوع لإيضاح موقف مؤرخي الدولة السعودية منها، من الجانب التاريخي.

سنة ١١٦٥ ـ استجابة خثعم واكلب للدعوة السلفية:

يُلْمَحُ من الخبر المتعلق بالتعرض لحاج اليمن (العُصْبَة) في شهر المحرم سنة ١١٩٦هـ أن الدعوة السلفية قد بدأت تنتشر وتجد قبولاً بين قبائل جنوب الجزيرة، وأنَّ قبيلتي خثْعَم وأَكْلُبَ من أُوَلِ المستجيبين لِقَبُولها، وهذا مما لم أرَ له ذكراً فيما بَيْنَ يَدَيَّ من مؤلفات مؤرخيها كابن غنام وابن بِشْرٍ ، وكان أول مَرَّةٍ أجِدُ الأخير ذكر قبيلة أكلب في حوادث سنة ١٢٣٠ في كلامه على منازلة محمد علي باشا صاحب مصر بعساكره قبيلة أكلب، واستيلائه على تبالَةَ، أثناء اكتساحه للبلاد في غزوته المعروفة.

وهاهو نصُّ كلام جحَّاف عن حادثة حاجّ اليمن في المحرم من سنة ١١٩٦ ـ:

١ ــ قال جَحَّاف في ذكر حوادث سنة ١١٩٥ : [ص: ١٠٠] وفي هذا العام نَفَذَ حَجُّ اليمن، فقصدوا طريق الحجاز ، فَبَلَغُوا محلةً يقال لها الصُّلْبات بصاد

مهملة مضمومة، ولام مشدَّدة مضمومة، بعدها موحَّدة فَأَلِفٌ، فتاءُ تأنيث ـ قرية من أعمال بلاد غامِد، ففاجأتْهُمْ قبائل الأكْلب، وهم بنو تغلب، وقبائل آل السيَّار، وهم من خَثْعَم، فباشروهم بالطعن والضرب، والسلب، فقُتِلَ من حاجِّ اليمن والحجاز وقحطان نحو الخمسين، وانتهبوا نَحْوَ الـمِئَتَيْنِ من البغال والحمير، موقرة بضائع الحاج وتجارته، وكان ذالك بعد العود من قضاء مناسكهم، حَسْبما نُفَصِّلُهُ في عام ستٍّ وتسعين فالحادثة كانت نهار الخميس ثالث شهر الله المحرم عام ست وتسعين. وإنَّما قدَّمنا هذا لأَنَّهم كانوا يتحدَّثون عند ورودهم أَنَّ أهلَ الصُّلُباتِ أسمعوهم ما يُؤْلِمُ، فأَنْتَجَ بَعْد الْعَوْدِ هذا. انتهى.

٢ ـ ثم قال في ذكر حوادث سنة ١١٩٦: [ص: ١١٦] وفي نهار الخميس، ثالث شهر الله المحرم عَدَتْ قبائلُ بني تَغْلِبَ وخَثْعَمٍ على حاجِّ اليمن، فتفرقت عُصَبُهُمْ في ذالك اليوم أَيْدِي سَبَا، لأنه استطال عليهم الـمَعْدَا خمس مَرَّاتٍ وتَقَطَّعُوهم بِالْآكامِ والملاوي، واستفصحُوا الخبر عن السبب فقيل لهم: إنَّ بني تغلب قد أجابتْ داعِيَةَ نَجْدٍ، ودخَلَتْ مع خَثْعَمَ من ذالك العام، وأنَّ تَقَطُّعَهُمْ لهم بأمرٍ من الشيخ عبدالعزيز الدَّرْعي، فلما ذهبُوا بأسلاب حاج اليمن إلى عبدالعزيز قال: أَسَأْتُمْ، فإنِّي ما بعثتكم للسلْب، ولكن لتأْتوني براس أميرهم. فقالوا: طِبْ نِفْساً فسيقدمون عامَهُمْ هذا ونأتيك برأْسِ العُصْبة. وسنأتي على خبرهم، وماكان من أمر الشريف سُرور بن مُسَاعِدٍ مع حاجِّ اليمن في آخر هذا العام مفصلاً مستوفى.

٣ ـ ثم زاد تفصيلاً في ذكر حوادث سنة ١١٩٦: [ص: ١٢٣] وفيها نحا أمير الحاج محمد بن حسين المراجل بعصبة اليمن، قاصداً بيت الله الحرام، وجاءتْ طريقُهُ المعتادة الحجاز، وهي الطريق المعروفة التي ابتدع سفرها والده الحسين بن مهدي الكبسي، فلما قاربوا بني تَغْلِبَ خَافُوا بَطْشَهُمْ بهم، فعَدَلُوْا تهامة الحجاز، وساروا بالخوف والرجاء[٧] على مشقة صادروها، فبلغ بني تغلب عُدُوْلُهم فكتبُوا إلى النُّماص يرغبون الحاج في سلوك طريق الصُّلُبات وبلاد خثعم، واشترطوا جُعْلاً واسعاً، وحلفوا بالله لاغدروا بهم، ولا نَالُوا منهم سُوْءاً، وأناطُوا

الأَمْرَ بالقاضي مَنّاعٍ ـ بتشديد النون ـ قاضي تبالة من بلاد خثعم، فأبى أمِيْرُ الحاجِّ وعُصَب اليمن أن يمرُّوا بهم، ويحملوا مشقَّةَ السير في غير الطريق، وهذه المحلَّة يعني تَبَالَة التي بها القاضي منّاع هي التي بعث إليها عبدالملك بن مروان أميرَهُ الحجَّاج بن يوسف مُتَوَلِّياً عليها فَاسْتَصْغَرَهَا فقال: مالي ولولاَيَةٍ تسترُها أكَمَةٌ فرجع، وضرب الناس في ذالك المثل فقالوا: (أَهْوَنُ مِنْ تَبَالَةَ عَلَى الحجّاج) نَعَمْ: ووصل إلى أمير الحاج كتابٌ من القاضي مَنَّاعٍ يُصَدِّقُ مازعمته بنو تغلب فلم يُسْعِدْهُ إلى ذالك، وكان القاضي من الفصحاء الأذكياء، له شغلة بأهل اليمن، ومذاكرة معهم في ورودهم عليه سؤالات، ورأيتُ من شعره مارثى به محمد بن مهدي الكبسي المراجل، وكان له به عَقِيدَةٌ، قصيدةٌ مطلعها:

خَطْبٌ أَلَمَّ بِأَرْضِ نَجْدٍ أَفْجَعَا ... وأَفَاضَ دَمْعَ الْعَيْنِ مِنِّي أَرْبَعَا
رُزْءٌ أَصَابَ صِغَارَنَا وكِبَارَنَا ... وَأَقَامَ وَسْطَ الْقَلْبِ حُزْناً مُوْجِعَا

يقول فيها ذاكراً للحسين بن مهدي بإجابته دعوته لربه:

قَدْ كَانَ شَمْساً يُسْتَضَاءُ بِنُوْرِهَا ... وَيُجِيْبُ دَعْوَتَهُ الإِلٰهُ إِذَا دَعَا

ولَـمَّا خلص أمير الحاج بأهل اليمن إلى مكة المشرفة قصد الشريف الْهُمامَ سُرورَ بن مُسَاعَدٍ شاكِياً عليه مانزل به وبأصحابه العام الماضي من قبائل الأكلب وآل السيَّار، وأفصح عن جماعة القتلى ـ وقد أتَيْنَا على عِدَّتِهم في سنة خمس وتسعين ـ وماذهب عليه من المتاع والدواب، فَتَوَجَّعَ لهم الشريف سرور، وسألهم: ما المطمع لهم في سلوك هذه المهالك والساحِل أَوْلَى لهم؟ فأفصحوا عن قِلَّةِ ذاتِ اليد، وأبانُوا الْعَجْزَ عن تحمُّلِ مَشَاقِّ الساحل، فقال: لا بَأْسَ عليكم سأُصْحِبُكم كتاباً إلى الحراميَّة الأنجاس، وليكن مروركم عليهم إلى تَبَالَةَ، أَوْ إلى أيِّ محلٍّ شئتم، وإيَّاكم المحاذرة وكتابي بأيديكم، ولَفْظُ كتاب الشريف سرور ـ تغمده الله بالرحمة ـ هذا: (يعلم الواقف على هذا، والناظر إليه من الغلمان المكرمين من قبائل أكلب، وآل السَّيَّار أنه وصل إلينا الكبسي يشكو أنكم أخذتُمْ عليه وعلى جماعته زهاب وبغال، فإن تردُّوا وإلاَّ فنحن أدرى بكم، وأنتم مجنايون(؟) من مكة وأسواقها، والطائف وأسواقه، ولكل نَبَإٍ مستَقَرٌّ وسَوْفَ

تعلمون). ثم دَعَا عبيده في تلك الحال، وأمرهم أن يَسْلُبُوا جميع من وجدوا بأسواق مكة وأسواق الطائف من قبائل الأكلب وآل السيار، فسلبوهم بأسواق مكة في ذالك اليوم. ولما عاد حاجُّ اليمن ووصل بهم المراجل إلى سوق رَغْدَان، وجد به جماعات من الأكلب وآل السيار، فعرفهم أن يصلوا إليه ليقرأ عليهم كتاب سرور بن مساعد، فوصلُوا فقرأه عليهم، فقامت الأكلب فقالت: أنت والشريف سرور مأخوذين إن شاء الله، ولابُدَّ نَتَمَلَّكُكُمْ، وأطاعتْ في تلك الحال قبائل آل السيَّار وقالوا: لابأس عليكم، ونبرأ إلى الله وإلى الشريف من ذالك الصنيع. ومعنى قول الشريف (مجنايون) في عرف أهل مكة أي مقطوعون عن الدخول إليها. انتهى.

إضافة: يراد بهذه الكلمة إيضاح بعض ماهو بحاجَةٍ إلى إيضاحٍ مما ورد في كلام المؤرخ اليمني، دون اندفاع في التَّعَمُّقِ في ذالك أو محاولة الاستقصاءِ بتناول الأمور اليسيرة التي لا تمس جَوْهَرَ البحث.

١ ـ موقف الإمام عبدالعزيز بن محمد ـ رحمه الله ـ من نَهْبِ الحجاج اليمنِيِّيْـنَ ـ كما صوره المؤرخ ـ لا يتفق عما عُرِفَ عنه مِنْ رجاحة عقلٍ، وحِرْصٍ على ترغيب الناس بقبول الدعوة الإصلاحيَّة التي يُعَدُّ من كِبَارِ علمائها وساستِهم، ولعل ما نقله المؤرخ في ذالك كان مَصْدَرُهُ أَحَدَ مُنَاوِئِـي تلك الدعوة. ممن يريد أن يُلْصِقَ بدُعَاتِها وأَئِمَّتِهَا كُلَّ سُوْءٍ، ويُلَاحظ أَنَّ الحادثة وقعت في أول العام الـ ١١٩٦ ـ وفي وقْتٍ كانَ الإمام عبدالعزيز في أَشَدِّ الحاجة إلى عدم إثارة أعداء بعيدين عن بلاده التي هو مشغول بحوادثها المحيطة به، وأيًّا كان الأمر فمادامَ أؤلئك يتظاهرون بعداوة المستجيبين للدعوة الإصلاحية من القبيلتين المذكورتين فموقف عبدالعزيز بمناصرة المستجيبين له غير مستغرب.

٢ ـ تقسيمُ قبيلة أَكْلُبِ إلى تَغْلب وآل السيار ليس صحيحاً، فآل السيَّار ـ ويُدْعَوْن السَّيَّارِيْنَ ـ فَخِذٌ من أَحَدِ فروع قبيلة أكلب ففي «العرب» ٢٥ ص ٦٩٧ عَدَّهُم الأخُ محمد بن جرمان السعدي الأكلبي من (الزوابرة) من (آل منيع).

وأَكْلَبُ فَرْعٌ من ربيعة قال البكري في «معجم ما استعجم» ـ ٨٢ ـ فيما نقل

عن كتاب «افتراق العرب» لابن الكلبي : وتيامنت قبائل من ربيعة إلى بلاد اليمن فحالفتْ أهله، وبَقُوا على أنْسابهم، منهم أكلب من ربيعة بن نزار. . . جاورتْ خَثْعَمَ وحالفوهم، وصاروا يداً واحدةً على من سواهم. . ثم أورد من شعر رجل من أكلب:

فَإلَّا يَكُنْ عَمَّايَ حِلْفاً وَنَاهِساً   فَإنِّي امْرُؤٌ عَمَّايَ بَكْرٌ وتَغْلِبُ

ولاتزال قبيلة أكلب تفتخر بنسبتها إلى تَغْلِب قال علي بن محمد الهِزْرِيُّ الأَكْلُبِي - من قصيدة باللغة العامِيَّة -:

جِنَّا بَنِي تَغْلُبٍ حِمَى هُذْب الأغْرَاسْ   عَـدُوُّنَـا نَـجْـعَـلْ فُـوَادِهْ رَغِـيْـبِ

- وانظر لزيادة الإيضاح «العرب» س ٢٤ ص ٥٦٧ -.

وقد بعثت للأخ الأستاذ محمد بن جرمان العواجي السعدي الأكلبي نص هذا الخبر مستوضحاً عما جاء فيه، فبعث إليَّ بجواب مفصل خلاصته:

١ ــ تقسيم أكلب إلى تغلب وآل سيار غير صحيح ، وسبق إيضاح انقسام قبيلة أكلب إلى فرعين كبيرين بني عامر والـمَحْلَفِ في مجلة «العرب» س ٢٥ ص ٦٩٣ ومابعدها.

٢ ــ قبيلة أكلب لانتسابها إلى ربيعة تفتخر بقبيلة تغلب، ورد ذالك في أشعار شعرائهم قديماً وحديثاً ، وأورد الأخ محمد شواهد كثيرة من ذالك.

٣ ــ آل سيار المذكورون في خبر المؤلف اليمني ليسوا من فروع قبيلة أكلب، ولا يوجد من فروعها من يدعى بهذا الاسم ، أما السيايرة أحد بطون الزوابرة فهم بطن صغير لا يصح تطبيق الخبر عليه.

٤ ــ لا يوجد من فروع خثعم من يسمى آل السيار، إن آل السيار الذين أوردهم المؤلف فرع من قبيلة غامد ، ينقسمون إلى العُبيدات، والبشابشة، ورفاعة والهجاهجة، وقبيلة الزهران. ومقرهم منطقة العقيق وأُجْرُب، ويختلطون مع قبائل أكلب في المنازل والديار، أعالي رَنْيَةَ وشُوَاصَ والعبلاء ، وبينهم وبين

أكلب حلف قديم بسبب التجاور ، ولما اعتدى الأتراك سنة ١٢٣٠هـ على فرع المزايدة من أكلب في قرية بُجَيِّدٍ على وادي رَنْية استنجد المزايدة بآل سيار من غامد، وقال شاعرهم سالم بن عجروف المزيدي :

ياليتْ مِنّا حضـرَةٍ في بْجَيِّدْ يَوْم خَيْلَ التُّرْكْ خَلَّيَتِ ظْهُوْرَهَا
لولا بني سَيَّار كَلَ الذيْب حَيْنَا أجْوَادْ ماتَلْقى الحَرَجْ في صْدُوْرَهَا

٥ ـ قول المؤلف اليمني بتعدي أكلب على حاج اليمن غير صحيح ، فقد كانت قوافل الحجاج تمر ببلادهم فيجدون من حمايتهم ورعايتهم مايحول دون الاعتداء عليهم، ووصف الشريف سرور لهم بالغدر والخيانة له بواعث أخرى لا تنطبق على الحقيقة .

٦ ـ قول المؤلف اليمني : (الصُّلُبَّاتُ قرية من أعمالِ بلاد غامدٍ) هذا القول غير صحيح ، فالصُّلُبَّاتُ ليست قريةً، بل سلسلة جبال شاهقة، تقع في بلاد خثعم بين قرية الفوقاء وبين قرية شرّا تقع في الشمال الغربي من قرية الفوقاء على بعد كيل واحد منها، يمر طريق مُعَبَّدٌ فيما بين الباحة إلى أبها يمر فوق قِمّتها على شكل منعطفات خطرة، وكان يخترقها طريق صغير كثيراً ما يسلكه حاج اليمن وعسير وغيرهم، رغم صعوبته، وقال أحد الشعراء الشعبيين قبل تعبيده :

يـالله يـا عـالم الـنـيـات سـهـل دروب الـصُّـلُبَّـات

وقد استجاب الله دعوة هذا الشاعر . انتهى كلام الأخ محمد بن جرمان .

وقد وصف آل سيَّار (السير ك . كورنواليس Sir K. Cornwallis) في كتابه «عسير قبل الحرب العالمية الأولى Asir Before World War» أثناء كلامه على قبيلة غامد فقال ما تعريبه ص ٤٥ : (آل سيار يعيشون في القرى وينتقلون بعيد إلى بلاد الشلاوى حول تربة ورنية وتثليث ووادي الدواسر ، وهم أغنياء بالخيول والجمال والماعز ومحاربون ممتازون وزعيمهم الشيخ محمد بن عبدالرحمن، مستقل عن أي نفوذ خارجي ولا يعترف بأية سلطة). انتهى .

٣ ـ الشريف سرور بن مُسَاعِد بن سعيد من آل أَبي نُـمـيٍّ، ولد سنة

١١٦٨هـ تقريباً ، وتَوَلَّى إمارة مكة سنة ١١٨٦ مُتَغَلِّباً على عَمِّهِ أحمد بن سعيد، الذي وجّه إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب كتباً يدعوه لقبول الدعوة الإصلاحية فلم يستجب، كما لم يستجب لها سرور الذي مكث في الإمارة خمس عشرة سنة وبضعة أشهر ، مستولياً على الحرمين والطائف، وتوفي سنة ١٢٠٢هـ وانظر عنه «العرب» س ٢٠ ص ٧٦٧/٥٩١/٤٣٣ -.

٤ ــ ماكان للشريف سرور نفوذٌ يتجاوز بلاد الحرمَيْـنِ، ولكن تلك القبائل لابُدَّ لها من قصد كُبْرَيَاتِ المدن كمكة والطائف وهي تحت حكمه، ولهذا أَمَرَ بِسَلْبِ مَنْ دَخَلَهَا.

وكلمة (مجنايون) الواردة في كتابه يقصد بها ذوو جناية يستحق فاعلها العقوبة، وتنطق في نجد (مُجَنُّوْن) و(مُجَنِّيْن) ومن وصف بها كان جديراً بأن يُنْهَب ويؤخذ كل مامعه. وقد استوضحت من الأخ الأستاذ الشريف محمد بنِ منصور آل عبدالله بن سرور عما يراد بها عند أهل الحجاز فقال: إن معناها مطرودون أي أن الشريف سيطردهم من دخول مكة والطائف والتبضع من أسواقهما. . . وكلمة (مجنّا) ككلمة (مسقط) و(مقطوع) أي مطرود من البلاد، ولا يجار ، ولا يضاف ولا ينصر ، فهو مخلوع متبرّأً منه - انتهى -.

٤ ــ النَّمَاصُ - تُنْطَقُ بين فتح النُّون وكسرها بعدها ميم مفتوحة فألف فصاد مهملة - يطلق الاسم في الأصل على وادٍ ينحدر من مرتفعات تسمى النَّماص، ويلتقي بوادٍ يُدْعَى رُدَيْحَة، فَيَرْفُدَانِ وَادِي نَحْيَانَ ثم ترفدها أودية أخرى وتسير متجهة صوب الشمال الشرقي إلى وادي تَرْجٍ المشهور، أحدَ روافد وادي بِيْشَة، وقد أُطْلِقَ اسم النِّمَاصِ على بلدة أنشئت على ضفة وادي النّماص في السَّرَاةِ، فأصْبحت الآن قاعدة بِلَاد الْـحَجْرِ - القبيلة الأزدية المشهورة، وتبعد عن مدينة أَبْهَا - قاعدة إمارة المنطقة - نحو مئة وخمسين كيلاً شمالاً .

٥ ــ سوق رَغْدَانَ - سوق أسبوعي مشهور ، يقع شمال مدينة الباحَة - قاعدة بلاد غامِدٍ وزهران - بخمسة أكيال، وهو واقع في بلاد بني خُثَيْمٍ من غامِدٍ في سَرَاتِهم.

←

الطرق التجارية البرية والبحرية
المؤدية إلى الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة

عند دراسة النشاط الاقتصادي والتجاري في إقليم ما ، يجب على الباحث أن يولي اهتماماً خاصًا بدراسة الطرق البرية والبحرية، التي تربط الإقليم موضع الدراسة، بالأقاليم الأخرى التي يتبادل معها علاقاته التجارية، وبالتالي يتعرف على شبكة الطرق الرئيسة والحركة عليها، ومدى تأثيرها على التجارة الداخلية والخارجية. وحيث أن منطقة الحجاز تربطها العديد من الطرق مع أجزاء عديدة من العالم، إلى جانب أن لها بعض الموانئ الواقعة على البحر الأحمر ، كانت تتميز بنشاط تجاريٍّ واسع على مر العصور الإسلامية، لهذا فإن الحديث في هذا البحث سيكون مركزاً على الطرق البرية والبحرية التي تربط مدن الحجاز مع غيرها من أطراف العالم الإسلامي خلال القرون الإسلامية المبكرة لنرى مدى أهميتها ونشاطها في تلك العصور .

ولمعرفة الطرق الداخلية التي تصل ما بين المدن الحجازية بعضها البعض، فلقد ذكرت بعض المصادر المتقدمة بشيء من الإطالة تلك الطرق (خاصة البرية) التي←

← الحواشي :

(١) انظر «العرب» س ٢٢/٢٠٥ . (٢) «العرب» ١٠/٨٠١ ومابعدها.

(٣) س ٧ ص ٢٨ ومابعدها.

(٤) هو الشيخ عبدالعزيز بن حمد (لا أحمد) بن إبراهيم بن عبدالوهاب، من أسرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وزوج إحدى بناته انظر «العرب»: ٢٢/٤٤٩ كان رئيس وفد الامام سعود إلى إمام صنعاء، وقد عرفه المؤلف أثناء وفادته - انظر «العرب» س ٢٢ ص ٤٣٣ .

(٥) هو عبدالله بن المبارك بن بُشَيِّر الأحسائي عالم وشاعر - انظر عنه «العرب» س ٢٢ ص ٢٠١/٣٦٩/٤٩٢ .

(٦) انظر ترجمته في «العرب» ٧/٦٨٠ ومابعدها.

(٧) في المخطوطتين: (والروحاء).

← تربط مكة بالمدينة[1]، ومكة بالطائف[2] إلا أنه من الواضح أن هذه المصادر قد أسهبت في ذكر المحطات الواقعة على تلك الطرق، فذكرت بإطناب المسافات ما بين كل محطة وأخرى، مشيرة إلى أطوالها بالأميال أو الفراسخ ، وأحياناً بالأكيال (الكيلومترات) دون أن تشير إلى أهميتها ومدى استخدامها في النشاط التجاري، بل ولم توضح ما إذا كان عليها بعض المرافق، كأماكن الاستراحة، ومحطات التموين، والحمامات وغيرها التي يستخدمها المسافرون والتجار الذين يمرون عند انتقالهم من مدينة إلى أخرى.

والذي لا شك فيه أن الطرق التي كانت تربط بين المدن الحجازية قبل ظهور الإسلام وخلال العصور الإسلامية المتعاقبة كانت تستخدم لنقل الحجاج والزوار الوافدين إلى المدن الحجازية، وكذلك التجار والعلماء وغيرهم ممن يأتون إلى مكة والمدينة وغيرها، لكن الغريب في الأمر الذي يجده الباحث والدارس على حدٍّ سواء هو إغفال المصادر المبكرة للطرق التي تربط المدن الحجازية (كمكة، والمدينة، والطائف، وجدة) مع المناطق المجاورة في أرض الحجاز نفسها. وهذا الإهمال لم يكن ناتجاً من عدم وجود طرق تربط المدن بالقرى والأرياف، وإنما يرجع إلى عدم تدوينها في مصنفات المؤلفين، وبالتالي أدى إلى هذا الاغفال، في حين أننا نجد بعض الجغرافيين المسلمين لم يألوا جُهْداً في أن يتحدثوا عن الطرق البرية التي تربط المدن الحجازية مع جهات العالم الأخرى ـ كما سيأتي ذكره فيما بعد ـ ثم إن ذكرهم للطرق الداخلية في أرض الحجاز التي تربط المدن ببعضها ليس إلاَّ استمراراً لحديثهم عن الطرق البرية الآتية من خارج الحجاز والواصلة إلى كل من مكة والمدينة. ومع هذا فإن الباحث يعتقد أن عدم الإشارة إلى الطرق الفرعية ما بين المدن والقرى والبوادي لا يعني أنه لم تكن هناك طرق ودروب تصل بين مراكز العمران في الحجاز ، فهذه الطرق والدروب كانت ذات شأن وكانت الحركة عليها مستمرة طوال العام. . ويرى الباحث أن الأدلة على ذلك يمكن تلخيصها فيما يلي:

١ ـ أن الخلافة الإسلامية سواء في عهد الخلفاء الراشدين أو في عهد الدولة الأموية وبعد انتقال مركز الخلافة إلى الشام أو في عهد الدولة العباسية وانتقال

الخلافة إلى العراق، كانت تنظر إلى مكة والمدينة على أنهما المركز الإداري الرئيسي، في حين أن المناطق الريفية في الحجاز كانت تحت سيطرة الإمارة العامة في المدن الكبرى، والتي كانت تقوم بإرسال الجنود والموظفين والإداريين للحفاظ على الأمن والاستقرار في المدن الصغيرة، والقرى التي تقع خارج الإطار الجغرافي لكل من مكة والمدينة. وبإيجاد هذا الاتصال الإداري بين المدن والمناطق الأخرى في الحجاز فإنه لابد أن يكون هناك طرق تصل تلك الأطراف بعضها البعض ليسهل الاتصال والذهاب والاياب بين المراكز الادارية العامة وغيرها من القرى والأرياف.

٢ ــ المطلع على المصادر الأساسية يجد أن منطقة الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة كانت قد تعرضت للعديد من الثورات والحروب مثل حروب الردة في عهد أبي بكر الصديق (١١/٦٣٢-١٣/٦٣٤)، وثورة أهل المدينة في عهد الدولة الأموية خلال خلافة يزيد بن معاوية (٦٠/٦٨٣) وكذلك ثورة العلويين في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٣٦/٧٥٢-١٥٨/٧٧٤م)، وثورة عبدالله بن الزبير التي توسعت حتى شملت منطقة الحجاز كلها، وكادت تقضي على الدولة الأموية(٤)، وكل هذه الحركات والثورات السياسية، امتدت من المدن إلى البوادي، وبالتالي كان الاهتمام بضرورة العمل على إيجاد طرق تصل ما بين الحواضر والبوادي، لتستطيع القوات العسكرية الوصول إليها وإخمادها بسرعة، وكذلك لتموين الجيوش بحاجتها من ميرة، وتزويدها بالمعدات الحربية.

٣ ــ ما تتمتع به المدن الرئيسة في الحجاز، وخصوصاً مكة والمدينة، من أسواق تجارية وما تتمتع به من مكانة روحية عند المسلمين، إذ يأتي إليها الحجاج من مختلف بقاع العالم الإسلامي لأداء الحج والعمرة، أو للتجارة، فكان لابد من وجود طرق فرعية تزود بها البوادي الحواضر بما تنتجه، ثم ليتصل أهالي الأرياف والقرى بالأسواق المركزية في مكة والمدينة، وكذلك ليؤدوا فروضهم الدينية من حج وعمرة(٥).

٤ ـ إلى جانب ما يتطلبه النظام المالي في الدولة الإسلامية، الذي يحتم على الوالي في أي إقليم أن يرسل الزكاة التي تؤخذ عن المواشي والمحاصيل الزراعية في القرى والأرياف، خارج محيط المدن، لهذا فإن الخلفاء والأمراء كانوا يحرصون على تأمين طرق تصل المراكز الإدارية بالأطراف المتعددة في الحجاز ليتم جباية أموال الزكاة، وإرسالها إلى بيت مال المسلمين.

أما الطرق البرية التي تربط الحجاز مع غيرها من أجزاء العالم الإسلامي فهي كثيرة يمكن شرحها كما ورد في (الخارطة) ص ٥٧٥ آخر هذا الجزء.

فهناك أولاً الطرق التي تربط اليمن بالحجاز، وهي قديمة ترجع إلى ما قبل ظهور الإسلام، إلا أنها كانت أكثر وضوحاً وأكثر نشاطاً في القرون الإسلامية المبكرة وجاء ذكرها في كتب الجغرافيين الأوائل الذين عاشوا في القرنين الثالث والرابع للهجرة، فذكروا أن هناك طريقين بَرِّيَّيْـنِ تربطان اليمن بالحجاز، وهذان الطريقان ينطلقان من مدينة صنعاء اليمانية، أحدهما يتجه بمحاذاة البحر الأحمر إلى أن يصل مكة المكرمة والآخر يتجه نحو الداخل ماراً بمدينة نجران عبر الأودية والهضاب حتى يصل إلى الطائف، ثم مكة[٦]، ولكنه يبدو من خلال الكتب التاريخية العديدة أن طرق اليمن إلى مكة عبر الأراضي الداخلية، كانت أكثر استخداماً من قبل التجار والعساكر وموظفي الدولة، وذلك لما يتوافر بها من محطات الاستراحة ومصادر المياه، وما تنتجه الأرض من زراعات يقتات منها المارة[٧].

أما الطرق الواصلة بين مكة واليمامة (من أرض نجد) فهي تتفرع عند اليمامة إلى طريقين، أحدهما يتجه إلى بلاد البحرين نحو الجهة الشرقية، والآخر يبقى مستمراً إلى أن ينتهي في عُـمَـانَ الواقعة في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية[٨]، ومن عمان يتجه طريق نحو الجنوب الغربي، بمحاذاة ساحل البحر العربي حتى يصل إلى مدينة صنعاء في اليمن، ثم يتصل بأحد الطريقين سابقي الذكر، والذي يربط اليمن بمكة[٩].

وجميع الطرق السابق شرحها تربط أطراف شبه الجزيرة بعضها ببعض، ولم

يكن ذالك الاتصال تجارياً فحسب، بل كان إلى جانبه اتصالاً سياسياً وإدارياً، ومن يُلْقِ نظرة على الأوضاع الإدارية في الحجاز، والأطراف الأخرى في شبه الجزيرة، كاليمن واليمامة والبحرين، يجدها كانت في بعض الأحيان تقع تحت إدارة واحدة، خلال القرنين الأولين للدولة الإسلامية، وغالباً ما كانت المدينة في الحجاز هي المقر الرئيس للإدارة، ولكي يتوفَّر مثل هذا الرابط الإداري لابد أن تكون هناك طرق برية نشطة تستخدم لتسيير موظفي الدولة، وكذلك للتجارة، وزيارة الأماكن المقدسة، وهي تربط ما بين تلك الأطراف والحجاز[١٠].

وعند مقارنة اليمامة واليمن بالبحرين وعُـمَّـان في علاقاتها التجارية مع الحجاز نجد أن الأولى كانت ذات صلة تجارية مع الحجاز أقوى من البحرين وعمان، وخصوصاً في أواخر العصر الأموي وبداية العهد العباسي، وذلك عندما أصبحت الخلافة العباسية في العراق بدلاً من بلاد الشام، فصارت أرض البحرين وعمان أكثر نشاطاً في مستواها التجاري مع الأطراف الشرقية من العالم الإسلامي كالعراق، وبلاد فارس، والهند، والصين وغيرها، في حين أن الاتصال بين الحجاز وتلك المناطق لم يكن بالمستوى الذي كانت عليه في القرن الأول من الإسلام[١١].

وتتصل مكة بالعراق بطريق بَرِّيٍّ، فقد اتصلت بغداد والكوفة في العراق بمكة والمدينة في الحجاز، وهذه الطرق كانت من أهم الممرات التجارية، خصوصاً أثناء عهد بني العباس، فكانت مهيأة بجميع وسائل الراحة، وذلك بعد ما قام الخلفاء العباسيون ببناء محطات للاستراحة بها، ثم زودوها بالمياه وما يحتاج إليه المسافر من أماكن، للنوم والجلوس وغيرها، بل وولى بعض خلفاء بني العباس عليها بعض المراقبين الذين يعملون على حراستها وحمايتها، بل وصيانتها وإصلاح ما يخرب منها. وهذه الطرق تنطلق من بغداد إلى الكوفة، ثم تسير عبر محطات تجارية تكبر وتصغر حسب أهميتها، وبعد منتصف الطريق بالنسبة للذاهب من العراق إلى الحجاز، تتفرع إلى فرعين في محطة تسمى معدن النُّقرة (انظر الخارطة) ويتجه أحد الفروع من هذه المحطة إلى المدينة، والآخر يستمر إلى مكة[١٢].

ومن أرض العراق هناك طريق آخر يصل ما بين مكة والبصرة، وهذا الطريق لا يقل في أهميتها عن طريق الكوفة إلى مكة، وقد تعرض عدد من الجغرافيين الأوائل لهذه الطريق ذاكرين مستوى نشاطها، وعدد محطاتها، وما بها من مرافق للمسافر عليها ويعد صاحب كتاب «المناسك» أفضل من تعرض لوصف هذا الطريق، حيث أفاض في ذكر محطاتها، ومستوى نشاطها التجاري[١٣]. وكانت هذه الطريق أيضاً تتفرع في محطة النباج إلى فرعين، أحدهما يستمر على طوله إلى مكة، والآخر يلتقي مع طريق الكوفة إلى مكة في محطة معدن النقرة ثم يسلك أحد الطريقين السابقي الذكر، للوصول إلى مكة أو المدينة[١٤].

كذلك كان يخرج من البصرة طريق يتجه إلى الجنوب حتى اليمامة، ومن هناك يتصل بطريق البصرة في منطقة ضَرِيَّة، ومنها إلى مكة[١٥].

وتلك الطرق التي تربط مدن العراق بالحجاز، لم تكن تتوقف في البصرة، أو الكوفة أو بغداد، وإنما كانت تربط أجزاء بلاد الشرق الإسلامي جميعاً مع المدن الحجازية، فنجد الحجاج والتجار كانوا يأتون من خراسان وفارس وبلاد ماوراء النهرين عبر طرق عديدة إلى البصرة أو الكوفة، ثم يواصلون السير إمَّا بَرًّا وإمَّا بَحْراً ليصلوا إلى المدن الحجازية[١٦].

أما الطرق البرية التي كانت تربط أجزاء غرب العالم الإسلامي، كالأندلس، وشمال أفريقيا ومصر، مع البلاد الحجازية، فكانت تسلك أيضاً العديد من الممرات في تلك الأجزاء، حتى تتجمع في محطة أَيْلَةَ على الطرف الشمالي لخليج العقبة ثم تتفرع إلى طريقين أحدهما يسلك الأراضي الداخلية حتى يصل إلى المدينة المنورة، والآخر يتجه بمحاذاة ساحل البحر الأحمر حتى ميناء الجار على البحر الأحمر ومن هناك يبقى مستمراً إلى جدة ثم مكة، أو يتجه شرقاً من ميناء الجار إلى المدينة[١٧].

وطريق بَرِّيٌّ آخر يربط بلاد الشام بالحجاز، ويسلك الاتجاه الذي يخرج من دمشق ليلتقي بالطريق الذي يأتي من الأندلس وشمال افريقيا ومصر في محطة أيلة، ثم يواصل السير في أحد الطريقين اللذين يربطان ما بين تلك الجهات والمدن

الحجازية، في حين أن هناك طريق آخر داخلي يخرج من دمشق حتى يلتقي بالطريق الذاهب من أيلة إلى المدينة في محطة تسمى وادي القرى والتي كانت من أشهر المحطات التجارية خلال القرون الإسلامية المبكرة (انظر موقع هذه المحطة على الخريطة)(١٨).

وجميع الطرق البرية ـ السابقة الذكر ـ لم تكن في مستوى واحد من حيث الخدمة والأمن، خلال العهود الإسلامية الأولى، وخصوصاً بعد أن انتقلت دار الخلافة الإسلامية من المدينة إلى دمشق، ثم إلى العراق في عهد بني العباس، فعندما كانت الخلافة في بيت بني أمية، ومقر عاصمتهم بأرض الشام، كانوا حريصين كل الحرص على أن تكون الطرق البرية التي تربط ما بين الحجاز وبلاد الشام ـ بل والأجزاء الغربية من العالم الإسلامي ـ نَشِطَةً، وتحت حماية جيدة، وكان خلفاء بني أمية يبذلون الأموال والجهود في سبيل صيانتها وإصلاحها ومراقبتها، ولتكون هذه الطرق حلقة الاتصال بين المدن المقدسة في الحجاز وعاصمة الخلافة سريعة ونشطة(١٩).

أما بعدما انتقلت الخلافة إلى بني العباس، واتخذوا من بغداد عاصمة لهم، وأصبحت الطرق البرية ما بين بلاد العراق والأجزاء الشرقية من الدولة الإسلامية أقوى في نشاطها واتصالها بالحجاز من تلك الطرق التي تربط مكة والمدينة بالأجزاء الغربية من الدولة الإسلامية، وذالك لما كان يبذله خلفاء بني العباس من جهود في إصلاح الطرق التي تربط العراق بالحجاز، والدارس لبعض المصادر التاريخية المبكرة، وكذلك بعض المراجع الحديثة، يلاحظ ما كان يبذله العباسيون، وخاصة في العصر العباسي الأول، من الجهود والأموال الطائلة لتحسين وتسهيل المواصلات البرية ما بين المدن العراقية والمدن الحجازية(٢٠).

لكن الاهتمام الذي كانت تلقاه طرق العراق إلى الحجاز، لم يدم طويلاً، لأنه بعد أن ضعف خلفاء بني العباس في العصور المتأخرة، وبعد أن تسلط على الخلفاء والخلافة في العراق عناصر غير عربية، كالأتراك، والبويهيين، والسلاجقة وغيرهم، مما نتج عنه إصابة الطرق الحجازية العراقية بالإهمال، واستعادت

الطرق التي كانت تربط شمال افريقيا بمصر ومن ثم بالحجاز قوتها، وذلك عندما سيطرت الدولة الفاطمية على مصر ، وخصوصاً في القرن الرابع والخامس الهجريين، ثم امتد نفوذها إلى السيطرة على الأماكن المقدسة في الحجاز ، وتوليها إمارة الحج التي كانت ترسل من مصر إلى مكة، وهذه الميزات التي كانت قد حصلت عليها الدولة الفاطمية لم تكن إلا سبباً قوياً في تحسين وصيانة الطرق البرية التي تربط الحجاز بعاصمة الدولة الفاطمية في القاهرة[٢١]. ولكنه مع وجود هذا التحول من الشرق إلى الغرب أو العكس، والاهتمام بصيانة وحماية الطرق البرية بصفة عامة، فإنه لم يكن يمنع التدهور في حركة الطرق بين عواصم الدولة الإسلامية والمدن الحجازية، وهذا التدهور والانهيار يعودان أساساً إلى ضعف الخلافة العباسية ووقوع الصراعات السياسية في الدولة الإسلامية، وكذلك تجزؤ العالم الإسلامي إلى دويلات صغيرة ومتصارعة فيما بينها، وهذه الأسباب كلها كان لها أثر في جميع جوانب الحياة سواء سياسية، أو اقتصادية أو اجتماعية أو إدارية وغيرها، وانعكس ذالك بدوره على الطرق التي تربط بين أجزاء الدولة.

وكما أنه كانت هناك شبكة خطوط برية، فإن منطقة الحجاز لم تخل من خطوط بحرية تصل منها أو إليها، وربما لا تقل أهمية عن الطرق البرية، وتعود في أهميتها ونشاطها لوقوعها على البحر الأحمر الذي يربط الشرق بالغرب، حيث كان هناك طريق بحري يأتي من الصين عبر البحر الصيني، ثم يمر من المحيط الهندي عبر البحر العربي، والخليج حتى يصل إلى البحر الأبيض المتوسط، ثم يواصل السير حتى جنوب وغرب أوروبا، وهذا الطريق يربط الشرق بالغرب مارًّا بموانئ الحجاز التي تقع على البحر الأحمر ، ومن أهم تلك الموانئ خلال القرون الإسلامية الأولى ميناءا جُـدَّة والجار[٢٢].

وميناء جدة يقع على البحر الأحمر ، ويبعد عن مكة بنحو أربعين ميلًا، وقد تحدث عدد من المؤرخين عن أول من استخدم جدة ميناء ، فأشاروا إلى أن الخليفة الراشد عثمان بن عفان (٢٣/٦٤٣-٣٥/٦٥٦) كان قد ذهب للحج عام ٢٦هـ، وبعد الفراغ من حجه زار مدينة جدة فرآها ملائمة لأن تكون ميناء رئيساً لمكة، بدلاً من ميناء الشّعَيْبة، الذي كان الميناء المستخدم قبل زيارته لجدة[٢٣]. وقد

تعرضت العديد من المصادر والمراجع للوقت الذي بدأت تعرف جدة فيه كميناء، فمنهم من ذكر استخدامها ميناء قبل ظهور الإسلام، وآخرون قالوا: إنها لم تشتهر إلا بعد تلك الفترة التي أمر فيها الخليفة عثمان بن عفان بأن تكون الميناء الرئيسي في عام ٢٦هـ، وقد أجمل (حوتنق Hawting) وجهات النظر المتعددة حول بداية استخدام هذا الميناء، في مقالة حول مينائي جدة والشعيبة[٢٤]، ثم خرج في نهاية مقالته، بأنه حتى لو كانت جدة قد عرفت واستخدمت ميناء قبل الإسلام فإن الطرق التجارية البحرية عند عرب الحجاز لم تكن ذات أهمية كبيرة لا في العصور السابقة للإسلام، ولا حتى في العقود الأولى من عصر التاريخ الإسلامي[٢٥] ويتفق الباحث مع (حوتنق) فيما يتعلق بالعهد السابق للإسلام وحتى بعد الرسول ﷺ وكذلك عهد الخلفاء الراشدين، لكنه بعد انتشار الإسلام إلى أماكن عديدة من العالم، حدث نوع من التطور والتغير على أحوال الحجازيين وغيرهم من سكان شبه الجزيرة، إذْ أنهم لم يعودوا يقتصرون على الطرق البرية، ولكن امتد نشاطهم إلى ركوب البحر، وتحسين الموانئ التجارية، وهكذا أصبحت جدة من أهم الموانئ العالمية التي تربط الشرق بالغرب، فهذا المقدسي يتحدث عن ميناء جدة في القرن الرابع الهجري فيشير إلى أنه كان يربط ما بين أسواق مصر والمغرب العربي، وهذه الأجزاء المتفرقة كانت تأتي منها السلع المتنوعة عبر البحر الأحمر حتى تصل إلى ميناء جدة، لتتم المتاجرة فيها بمكة والطائف وغيرهما من المدن الحجازية، وخاصة أثناء موسم الحج. ويشير أيضاً كل من ناصر خسرو[٢٧]. والإدريسي[٢٨] إلى ما ذكره المقدسي، إلا أنهما يذكران أن السلع التي كانت تأتي إلى أسواق جدة لم تكن مقتصرة على الأقاليم التي أشار إليها المقدسي فقط، ولكنها كانت تستقبل السلع من جميع أنحاء العالم، ويضيف كل من الفاكهي[٢٩] والحِمْيَرِيُّ[٣٠] إلى أن أغلب تلك السلع الآتية إلى جدة كانت ترسل إلى أسواق مكة والطائف وكذلك المدينة، وبهذا فإن ميناء جدة كان مركز تموين لمكة وغيرها من المدن الحجازية.

والتجار الذين كانوا يرتادون طريق البحر حتى ميناء جدة كانوا من المسلمين وغير المسلمين، فتذكر لنا وثائق (الجنيزة)[٣١]، أن التجار في بلاد الأندلس،

وشمال افريقيا خلال القرن الرابع الهجري ومابعده، كانوا يذهبون بسلعهم المختلفة إلى أسواق مصر وبلاد الشام، فإذا لم يجدوا أسواقاً نشطة ركبوا البحر حتى ميناء جدة ليحضروا موسم الحج ويبيعوا ما لديهم من سلع(٣٢)، في حين أن مراجع أخرى تذكر نشاط الطرق البحرية التي تصل الأندلس بشمال أفريقيا، ومنها إلى المدن الحجازية، وهذا النشاط التجاري بين تلك الأطراف يعود إلى العقود الأولى من الإسلام، ثم إن التجار الذين كانوا ينقلون السلع ما بين الأجزاء الغربية والشرقية من الدولة الإسلامية كانوا خليطاً من التجار المسلمين وغير المسلمين(٣٣)، فابن خرداذبة(٣٤)، خلال القرن الثالث الهجري، يذكر أنه هناك جاليات يهودية تسمى (الراذانية) تقوم بنقل السلع التجارية ما بين الهند والصين، شرقاً وشمال افريقيا والأندلس وأوروبا غرباً، متخذين أثناء مرورهم طريق البحر الأحمر، وميناء جدة الذي كان من أبرز محطاتهم التجارية، التي كانوا ينزلوا بها ويتبادلون السلع التجارية مع الحجازيين.

والطريق البحري المارُّ بميناء جدة كان يستخدمه التجار العرب، سواء في شبه الجزيرة أو خارجها من مناطق العالم الإسلامي، كذلك كان الأفراد والموظفون والخلفاء في كل من الشام والعراق، يرسلون البضائع والأدوات التي يحتاج إليها أهل الحجاز عن طريق البحر، فيذكر أن بعض خلفاء بني أمية وبني العباس قد استخدموا ميناء جدة لإرسال أدوات البناء إلى الحجاز أثناء إجراء بعض الإصلاحات العمرانية في المسجد الحرام وإنشاء بعض المرافق المعمارية الأخرى(٣٥).

أما ميناء الجار فيقع إلى الشمال من ميناء جدة، ويبعد عن المدينة نحو مئة وسبعين كيلاً، ويُعَدُّ الميناء الرئيس للمدينة، وقد يعود استخدامه كميناء إلى ما قبل الإسلام إلا أن شهرته لم تظهر واضحة إلا في أثناء العصور الإسلامية المبكرة، فيذكر البلاذري(٣٦)، واليعقوبي(٣٧) أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قد استخدمه في استيراد الحبوب من مصر إلى الحجاز، ثم تبع كل من البلاذري واليعقوبي عدد من الجغرافيين المسلمين الأوائل، مشيرين إلى أهمية ميناء الجار ونشاطه، والطريق البحري عبر البحر الأحمر بشكل عام، فابن خرداذبه ذكر

عن ميناء الجار مثلما ذكر عن ميناء جدة، وكيف كان يستخدمه التجار اليهود (الراذانية) كمحطة مهمة من محطاتهم التجارية التي ينزلون بها في طريقهم من الشرق إلى الغرب، وباستراحتهم في هذه المحطة، كانوا أيضاً يتاجرون مع أهل الجار وأهل المناطق المجاورة لهذا الميناء(٣٨)، ويشير كل من عَرَّام السُّلَمي(٣٩)، والبكري(٤٠) وياقوت الحموي(٤١)، إلى أن السفن التجارية كانت تأتي إلى ميناء الجار من الحبشة، ومصر والبحرين، والصين، وهي محملة بأنواع السلع التجارية لكي تصدر إلى المدن الحجازية عن طريق هذا الميناء ، ويتحدث أيضاً المقدسيُّ عن مِيناء الجار ، بأنه كان نقطة ارتكاز للتجار القادمين من الشرق والغرب، وكان فيه من الأسواق ما يجعله يستقبل كل السلع الواردة إليه، وخصوصاً ما كان يأتي عن طريق مصر من الحبوب والمواد الغذائية المتنوعة(٤٢)، إلا أن ابن بَكَّارٍ أكثر وضوحاً في الإشارة إلى الأهمية الجيدة التي كان يشغلها ميناء الجار التجاري، فيذكر أنه كان هناك ممثلون لتجار المدينة، يقومون بمراقبة أوضاع النشاط التجاري في ذلك الميناء ، وبالتالي يزودون التجار المقيمين في المدينة بحركة العمل التجاري، وكذلك بالمواد والسلع التجارية التي يحتاجون إليها(٤٤). وهذا العمل إنْ دَلَّ على شيء فإنما يدل على النشاط التجاري الجيد في هذا الميناء ، والذي عن طريقه يستطيع التاجر في الحجاز معرفة الحركة التجارية ليس في الأقاليم الإسلامية القريبة من الحجاز ، ولكن يستطيع أيضاً معرفة ما في الهند والصين والأندلس والمغرب العربي وغيرها من أقاليم العالم الأخرى.

ولِأَهَمِّيَّةِ مينائي الجار وجدة فقد كان الخلفاء الراشدون والأمويون يهتمون بصيانة هذين الميناءين، بل وجلب الحبوب والمواد الغذائية من مصر وبلاد الشام عن طريق كل من جدة والجار ، إلا أن ذالك الاتصال بين مناطق متعددة من العالم وبين أرض الحجاز ــ عبر الطريق البحري ـ لم يستمر بالمستوى نفسه في عهد الدولة العباسية، وذلك بسبب انتقال الخلافة من الشام إلى بلاد العراق، إذْ أنه بعد هذا الانتقال، وبعد أن أصبحت بغداد العاصمة بدلاً من دمشق صار النشاط التجاري أقوى وأكثر أهمية في الخليج العربي الذي يربط عاصمة الخلافة العباسية في العراق بكل من الهند والصين وغيرهما، دون أن تعطى أية أهمية للطريق

البحري الذي كان يأتي عبر البحر الأحمر ، والذي كان عليه مينائي جدة والجار ، كما أن الأمر لم يتوقف عند عدم الاهتمام لدى بني العباس فقط ، بل بعض خلفائهم قد استخدم القوة في القضاء على طريق البحر الأحمر ، وإغلاق بعض موانئه، فتشير المصادر الأولى إلى أن الخليفة أبا جعفر المنصور العباسي أمر بإغلاق ميناء الجار وقطع المساعدات التي كانت ترسل من مصر متمثلة في الحبوب والأطعمة عن طريق الجار ، وهذا العمل الذي قام به الخليفة المنصور ليس إلا عقاباً لأهالي الحجاز (وخاصة أهل المدينة) الذين ساعدوا الثوار العلويين بقيادة محمد النفس الزكية، الذي كان يتطلع ويعمل جاهداً إلى انتزاع الخلافة من بني العباس(٤٥)، إلا أن السياسة التي سلكها المنصور لم تستمر طويلاً، لأن الخليفة المهدي (١٥٨/٧٧٤-١٦٩/٧٨٥م)، الذي تولى بعد والده المنصور أعاد فتح ميناء الجار ، كما أعاد الطريق التجاري القديم إلى ما كان عليه، ولكن أوضاع ميناء الجار لم تتحسن خلال القرنين الثاني والثالث من الهجرة، لعدم استتباب الأمن والخلافات بين القبائل الحجازية، مما ساعد على أعمال السلب والنهب التي تعرض لها الميناء ، إلى جانب ظهور ميناء ينبع وبدء استخدامه كميناء للمدينة المنورة ، مما أدى إلى انهيار وخراب ميناء الجار ، في حين أن ميناء جدة وإنْ أصابه بعض الركود ـ خلال العصر العباسي الثاني بسبب الصراعات والثورات المتعددة ـ إلا أن ذالك لم يكن يؤدي إلى اختفائه، كما حدث لميناء الجار كما أنه ما لبث أن استعاد نشاطه في القرون الوسطى من عصر الإسلام(٤٦).

جامعة الملك سعود (كلية التربية) (أبها): د. غيثان بن علي بن جريس

الحواشــي:

(١) ابن خرداذبة، «كتاب المسالك والممالك» (ليدن ـ ١٣٠٦/١٨٨٩م) ص: ١٢٩ ـ ١٣١ ، اليعقوبي، كتابُ «البلدان» (ليدن، ١٨٩٢م) ص: ٣١٣-٣١٤، «كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة» المنسوب للحربي (الرياض، ١٣٨٩/١٩٦٩م) ص: ٤٢٥-٤٦٨ .

(٢) ابن خرداذبة، ص ١٣٤ ، الحربي، ص ٦٥٣، ابن رسته «الاعلاق النفسية»، (ليدن، ١٨٩١م) ص ، ١٨٣-١٨٤، ابن قدامه، «كتاب الخراج» (ليدن، ١٨٨٩م) ص: ١٨٧-١٨٨ .

(٣) المناسك، المنسوب للحربي، ص ٦٥٥ ، الطبري، «تاج الرسل والملوك»، جـ ٨ ، (القاهرة، ١٩٦٠-١٩٧١م) ص: ٥٣٩ .

(٤) الحربي، ص: ٦٤٣، ٦٥٣، الطبري، تاريخ ، جـ ٧، ص: ٥٥٢ ومابعدها، ابن خلكان، «وفيات الأعيان»، جـ ٣ (بيروت، ١٩٦٨م) ص: ٧١،

H.A.R. Gibb, art. «Abdallah Ibn Al-Zubayr» EI², Vol. I,P. 57

(٥) انظر بعض المصادر التي تشير إلى وجود اتصال تجاري مابين البوادي والمدن الحجازية في الأزرقي ، «أخبار مكة»، جـ ٢ (مكة، ١٤٠٣/١٩٨٣م) ص: ٢٣٩، ابن جبير، «رحلة ابن جبير» (ليدن، ١٨٥٢م) ص: ١٢٠، ١٣٢ ابن المجاور «بلاد اليمن ومكة وبلاد الحجاز المسمى تاريخ المستبصر» جـ ١ (ليدن ١٩٥١-١٩٥٤م) ص ٢٦-٢٧ ، السمهودي: «وفاء الوفا ، باخبار دار المصطفى» جـ ٢ (القاهرة، ١٩٥٤-١٩٥٥م) ص: ٧٥٤ .

(٦) المناسك المنسوب للحربي، ص: ١٣٤-١٣٦، ١٤٨، ٦٤٦، الهمداني «صفة جزيرة العرب» (الرياض، ١٣٩٤/١٩٧٤م) ص: ٣٣٨-٣٤٠، ٣٤١، ابن قدامة، الخراج، ص ١٩٢-١٩٣، المقدسي، «احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» (ليدن، ١٨٧٧م) ص: ١١١-١١٢ .

(٧) انظر الزبيري، كتاب «نسب قريش» (القاهرة، ١٩٥٣م) ص: ٢٤٢، ابن بكار «جمهرة نسب قريش» جـ ١ (القاهرة، ١٣٨١/١٩٦١م) ص: ١٣٠-١٣١، الطبري، تاريخ جـ ٨، ٥٤١، قدامه، ص ١٩٠-١٩٢، الحربي، ٦٤٣-٦٤٥، الهمداني «صفة»، ٣٣٨-٣٤٠ .

(٨) ابن الفقيه، «مختصر كتاب البلدان» (ليدن، ١٣٠٢/١٨٨٥م) ص: ٣٠، المناسك، المنسوب للحربي، ص: ٦٢٠-٦٢٢، الهمداني «صفة»، ٢٨١-٢٨٢.

A, Al-Wuhaybi. The Northern Hijaz in the writing of the Arab Geographers, 800-1150 (Beirut, 1973) P.91

(٩) ابن خرداذبة، ص: ١٤٧-١٤٨، ابن قدامه، ص: ١٩٢ .

(١٠) انظر المصادر الآتية التي تشير إلى الصلات القوية ما بين تلك الأطراف مع منطقة الحجاز الأزرقي، أخبار ، جـ ٢، ص ١٧٠، وكيع، «أخبار القضاة»، جـ ١ (القاهرة، ١٣٦٦/١٩٤٧م) ص: ٢٠٠، الطبري، تاريخ جـ ٧، ص: ٤٥٨، ٤٦٤، جـ ٨، ص: ٢٧٢، ابن الأثير «الكامل في التاريخ»، جـ ٥ (بيروت، ١٣٨٥/١٩٦٥م) ص: ٤٤٥، ٤٥٤، ابن فهد، «اتحاف الورى بأخبار أم القرى»، جـ ٢ (القاهرة، ١٤٠٤/١٩٨٣م) ص: ١٦٦ ، ١٧١ .

(١١) اليعقوبي، «البلدان»، ص: ٣٣٧ ، الطبري، تاريخ جـ ٧ ، ص: ٦١٧ ، الاصطخري، «كتاب مسالك الممالك» (ليدن، ١٨٧٠م) ص: ٢٥، المقدسي، أحسن، ص: ٨٢، ١٠٥، ١١٩-١٢٠ .

(١٢) «المناسك» المنسوب للحربي، ص: ٥٤٥-٥٤٦، ابن رسته «الاعلاق»، ص: ١٧٤-١٧٧ ، اليعقوبي، «البلدان» ص: ٣١١ ، ابن قدامه «الخراج»، ص: ١٨٥-١٨٧ .

Saad Al-Rashid, Darb Zubaydah: The pilgrim road from Kufa to Mecca (Riyadh, 1980) P. 21ff.

(١٣) «المناسك» المنسوب للحربي، ص: ٥٧٢ ومابعدها.

(١٤) ابن رسته «الاعلاق»، ص: ١٨١-١٨٢، «المناسك» المنسوب للحربي، ص: ٥٨٧، ٦٠٥ ابن قدامه «الخراج»، ص: ١٩٠ .

(١٥) ابن خرداذبة، «المسالك»، ص: ١٥١، ابن رسته، «الاعلاق» ١٨٢، ١٨٤ .

(١٦) أنظر ابن المجاور ، تاريخ جـ ١، ص: ١٣ .

S.M. Imamuddin «Commercial Relatin of Spain with Iraq, Persia, Khurasan, China and India in the

10 the Centuary A.C.» Islamic Culture, Vol. xxxv (1961) P.177-9

(١٧) ابن خرداذبة، «المسالك» ص: ١٤٩ ، ابن رسته، ١٨٣، «المناسك» المنسوب للحربي، ص: ٦٤٩-٦٥٠، ابن قدامه الخراج ص: ١٩٠ .

(١٨) انظر ابن رسته، «الاعلاق» ص: ١٨٣ ، ابن خرداذبة، المسالك، ص: ١٥٠

Al-Wuhaybi. The Northern Hijaz. R315

(١٩) «المناسك» المنسوب للحربي، ص: ٦٤٣، ٦٤٧، ٦٤٩، ٦٥٣ المقريزي، «الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك» (القاهرة، ١٩٥٥م) ص: ٣٠، صالح أحمد العلي «طرق المواصلات القديمة في بلاد العرب» مجلة «العرب» س ٣ (الرياض ١٣٨٨/١٩٦٨م) ص: ٩٦٣ .

(٢٠) انظر الطبري، تاريخ، جـ ٧، ص: ٥٥٧، جـ ٩، ص: ١٢٩-١٣٠ ابن فهد المحاف، جـ ٢، ص ١٨٧، ٣٠٠، عبدالجبار الجومرد، «هارون الرشيد، دراسة تاريخية، اجتماعية، سياسية»، جـ ١ (بيروت، ١٩٥٦م) ص: ٣٨-٣٩ .

(٢١) انظر، ابن خرداذبة، «المسالك» ص: ١٥٣-١٥٤ ، حسن إبراهيم حسن «تاريخ الدولة الفاطمية»، جـ ٢١ (القاهرة، ١٩٥٨م) ص: ٢٣٨-٢٣٩، ٦٠٨ ومابعدها، سيدة إسماعيل كاشف «البحر الأحمر والفتح العربي» البحر الأحمر في التاريخ والسياسة، سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس، ابحاث الأسبوع العلمي الثالث، ١٠/٥ مارس، ١٩٧٩م (القاهرة، ١٩٨٠م) ص: ٩٣-١٠٤ .

(٢٢) انظر عرام السلمي، «أسماء جبال تهامة» (القاهرة، ١٣٩٤/١٩٧٤م) ص: ٣٩٨، اليعقوبي، البلدان، ص: ٣١٧ .

S.M. Ahmad «Commercial Relation of India with the Arab World (1000 B.c. up to Moderntimes» Islamic Culture, Vol. xxxviii (1964) P. 141-155, R. Hartmann (rev. P.A. Marr) «Djudda» EI², vol. II, P.572, S.D. Gaiten «letters and Documents on the Indian trade in the Medieval times» Islamic Culture, Vol. xxxvii (1963) P. 191, 196-7.

(٢٣) الفاسي، «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام»، جـ ١ (بيروت، بدون تاريخ) ص: ٨٧-٨٨ ، النهروالي، كتاب «الاعلام باعلام بيت الله الحرام» (بيروت، ١٩٦٤م)، والشعيبة كانت الميناء المستخدم من قبل ظهور الاسلام»، وهي تبعد عن مكة جهة الجنوب بحوالي خمسة وثمانين كيلاً . انظر حمد الجاسر ، «في شمال غرب الجزيرة»، نصوص، مشاهدات، انطباعات (الرياض، ١٣٩٠/١٩٧٠م)، ص: ١٦٧-١٦٨ .

(٢٤) انظر.

G.R. Hawting. «The Origin of Jedda and the problem of Al-Shuayba» Arabica, vol. xxxi (1984) PP. 318-326.

(٢٥) Ibid. P. 326

(٢٦) «احسن التقاسيم»، ص: ٧٩، ٩٧ .

(٢٧) «رحلة ناصر خسرو القبادياني»، ترجمة أحمد خالد البدلي (الرياض، ١٤٠٣-١٩٨٣م) ص: ٣٥ .

(٢٨) «جزيرة العرب من نزهة المشتاق «تحقيق إبراهيم شوكت مجلة المجمع العربي العراقي، جـ ٢١ (١٩٧١م) ص: ٢٠ .

(٢٩) «تاريخ مكة، بكتاب المنتقى في اخبار أم القرى» (ليبزج ١٨٥٩م) ص: ٢٦ .

(٣٠) «كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار» (بيروت، ١٩٧٥م) ص: ١٥٧ .

(٣١) «وثائق الجنيزة» The Geniza Documents هي مجموعة من الوثائق التي عُثر عليها في حجرة مظلمة في سينا جوج (معبد اليهود) بالفسطاط على مقربة من القاهرة، أيضاً مجموعة وثائق أخرى وجدت في مقبرة البساتين على مقربة من مدينة القاهرة، وقد وجد هذه الوثائق بعض الأساتذة الغربيين الذين نقلوها إلى الجامعات الغربية، ولم يكن نقلها تم بأن جمعت في مكان واحد وإنما تناثرت في أكثر من مكان، وقد يزيد عددها على عشرة آلاف وثيقة في أماكن متعددة من العالم الغربي.

انظر عن هذه الوثائق:في حسنين محمد ربيع «وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي «دراسات تاريخ الجزيرة العربية»، الكتاب الأول، جـ ٢، الندوة العالمية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (الرياض ١٣٩٧/١٩٧٩م) ص: ١٣٢

S.D. Goitein Studies in Islamic History and Institution (Leidon, 1966) P.279-280, idem «The Cairo Geniza as asource of the History of Muslim Civilization» Studia Islamica Vol-III (1955) PP. 75ff.

(٣٢) ربيع، «وثائق الجنيزة» ص: ١٣٥

S.D. Goitein, A Mediterranean Society, Vol 1 (Berkeley, 1967) P.214.

(٣٣) محمد زغروت «العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين» مجلة «الدارة»، مجلد ١١، جـ ١ (١٤٠٥/١٩٨٥م) ص: ١١٣-١٢٨ .

(٣٤) «المسالك»، ص: ١٥٣-١٥٤ .

(٣٥) انظر الأزرقي، أخبار، جـ ٢، ص: ٧٦ ، ٨٠ ، الفاكهي، كتاب «أخبار مكة»، رسالة دكتوراه، بجامعة اكستر، تحقيق فواز الدهاس (١٩٨٣م) ص: ٣٢٣، ٣٢٧، طاهر العميد «التوسعات القديمة والحديثة في عمارة المسجد الحرام» مجلة كلية الآداب ببغداد، جـ ١٤ (١٩٧٠-١٩٧١م) ص: ٥٠٨ ومابعدها.

(٣٦) «فتوح البلدان» (بيروت، ١٤٠٣/١٩٨٣م) ص: ٢١٧-٢١٨ .

(٣٧) تاريخ اليعقوبي، جـ ٢ (ليدن، ١٨٨٣م) ص: ١٧٧ .

(٣٨) ابن خرداذبة، «المسالك»، ص: ١٥٣-١٥٤ .

(٣٩) اسماء ، ص: ٣٩٨-٣٩٩ .

(٤٠) «معجم ما استعجم» ج ١ (القاهرة ١٣٦٤/١٩٤٥م) ص ٣٣٥ .

(٤١) «معجم البلدان» جـ ٢ (بيروت، ١٣٧٤/١٩٥٥م) ص: ٩٢-٩٣

(٤٢) المقدسي، احسن، ص: ٩٧ .

(٤٣) ابن بكار، «أخبار الموفقيات» (بغداد، ١٣٩٢/١٩٧٢م) ص: ١٤٦، جمهرة، جـ ١، ص: ٤٨٧ ، اليعقوبي، تاريخ، جـ ٢ ، ص: ١٧٧ .

(٤٤) ابن بكار ، جمهرة ، جـ ١ ، ص: ٤٨٧ .

(٤٥) انظر ابن بكار ، اخبار ، ص: ٣٣٩، الطبري، تاريخ، جـ ٧ ، ص: ٦٠٣ ،

J. Lassner, The Shapping of Abbasid Rule (princeton, 1980) P. 70-72, F. Omar, Some Aspects of the Abbasid-Husaynid Relations during the Early Abbasid Period 132-193 A.H. 750-809 A.D. «Arabica, Vol. xxii (1975) P. 17off.

(٤٦) انظر الطبري، تاريخ، جـ ٧ ، ص: ٦٠٣ ، جـ ٩ ، ص: ١٢٩-١٣٠ ، ابن تغري بردي، «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، جـ ٢ (القاهرة، بدون تاريخ)، ص: ٢٦٢،

S. Ameer Ali A short History of the Saracens, (London, 1899) P.229, R. Hartmann «Djudda» (rev. P.A.Marr), EI[2], Vol II, P.571-3.

من وثائق التاريخ الاجتماعي لمنطقة عسير

على الرغم من أن دراسة وثائق التاريخ الاجتماعي تعجُّ دائماً بالكثير من الظواهر المتميزة التي تفوق معظم مصادر التاريخ الأخرى، فإنها لم تَلْقَ العناية الكافية من المؤرخين المسلمين بعامة، ومؤرخي الجزيرة العربية بخاصة.

وترجع أهمية هذه الوثائق إلى أنها لم تكتب أصلاً بهدف التأليف التاريخي مما ينفي عنها الأهواء الذاتية، يضاف إلى ذالك أنها تجسيد حيٌّ للمجتمع بنظمه، وعاداته، وتقاليده. كما أنها مرآة يمكن أن نرى بها صورة واضحة لحياة الناس، خلال قيامهم بالبيع والشراء، وتنظيم شؤونهم الداخلية، وأفراحهم وأتراحهم، ومشاكلهم وقضاياهم، وعاداتهم وتقاليدهم وفيما يلي نعرض لإحدى هذه الوثائق.

أولاً : الوثيقة التي بين أيدينا تعرض لما كانت تعانيه منطقة عسير قبيل الفتح السعودي لها من خلافات ومشاكل ومنازعات، وتوضح مدى السلطة التي كان يتمتع بها القاضي بين الناس. فقد كان نظام القضاء في عسير - خلال الفترة - التي تتحدث عنها الوثيقة وهي القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي - وبالتحديد في عام ١٢٧٤هـ - كان مُهَاباً من الجميع، فالقاضي - كان يتوسط المجلس وفي يده عصا رفيعة، ويجلس أمامه المتقاضيان، ومن ورائهما المستمعون، يجلسون القرفصاء بشكل دائرة كاملة تقريباً، فيشير القاضي بالعصا إلى المدَّعي ليشرح دعواه، فينهض المدعي واقفاً فيصلي على النبي ﷺ ، ثم يذكر دعواه، وبعد أن ينتهي يشير إليه القاضي بالجلوس، ثم ينهض المدَّعَى عليه بإشارة من القاضي، فيذكر دفاعه، ثم يتقدم بالشهود، ويعرض البيانات، وإذا كان بين السامعيْن شاهد يشير بيده اليمنى، ويمد سبَّابتها مصلياً على النبي ﷺ ، فيدعوه القاضي إلى أداء الشهادة فيؤديها، فإذا اكتفى القاضي بأقواله أشار إليه بأن يجلس، ثم يصدر القاضي حكمه في الحال، وإذا كان للمدَّعينَ أو لأحدهما أو لغيرهما

اعتراض على الحكم يصغي إليه القاضي، ويجيب عليه، وإن أصبح الحُكْمُ قطعيًا يبلغ المحكوم عليه.

وقد كان من العار لدى القبائل أن يقول الرجل الكذب أو يدعى ماليس له، أو ينكر أمراً واقعاً، لذالك كان من النادر أن يحيد أحد المتقاضين عن الحقيقة في تقرير دعواه، كما كان حكم القاضي مطاعاً من الجميع، ولا يحتاج إلى قوة إجرائية لتنفيذه[1]. وتوضح هذه الوثيقة مَدَى شدة النزاع على الحدود بين قبيلة خثعم، وأحد فروعها من البدو، وهم بنو واس.

ثم تدخُّلُ الأمير محمد بن عائض في الأمر بإرسال أحد القضاة لإصلاح ذات البين بينهما، وقيام كل من الطرفين المتنازعين بتوكيل أحد الأشخاص الموثوق فيهم لعرض وجهة نظر الطرف الذي وكّله، وإبراز الدلائل والبينات التي تساعد القاضي على تبيين الحقيقة، وانتهاء الأمر بحدوث التراضي والصلح بين الطرفين المتخاصمين بحضور القاضي، ومن المعروف أنه بعد أن صَهَرَ الملكُ عبدالعزيز آل سعود القسم الأكبر من الجزيرة العربية في بوتقة واحدة، وتوصل إلى إقرار السلم، والوحدة بين القبائل، انتهت مثل هذه المنازعات تقريباً، وتولد بين الناس شعور بالتّضامن، سَماً على المنازعات القبلية، والعصبيات العشائرية، وكان نتاج ذلك تولد روح المحبة، وإزالة الحزازات والإحن وإصلاح ذات البين، وبخاصة بعد تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بأمانة وعدالة.

ثانيا: اهم المواضع والقبائل المذكورة في الوثيقة:

١ ـ خَثْعَـمُ: قبيلة من القحطانية تنسب إلى خثعم بن أنمار، أقامت في جبال السراة وما والاها حتى مرت بهم الأزد في مسيرها من أرض سَبَإٍ، فقاتلوا خثعماً وأجلوهم عن منازلهم، ونزلت خثعم مابين بيشة وتُرَبَة، ومنازلها الآن بين شمران في الشمال والغرب وبَلْقَرْن في الجنوب والشرق للتفاصيل انظر. البكري الأندلسي: «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» جـ ١ ـ تحقيق مصطفى السقا ـ بيروت عالم الكتب، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ص ٦٣ وفؤاد حمزة: «قلب جزيرة العرب» القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م وأيضاً

عمر رضا كحالة: «معجم قبائل العرب القديمة والحديثة» دمشق، المكتبة الهاشمية ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

٢ ـ بنو وَّاس: من فروع خثعم، وهم من البدو انظر. فؤاد حمزة: «في بلاد عسير» الرياض الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ص ٦١.

٣ ـ وادي شُواص: أحد الأودية التي تتصل بِرَنْية، وفي شرقه يوجد معدن الذهب انظر. حمد الجاسر: «في سراة غامد وزهران» دار اليمامة، ١٣٩٧هـ ص ٣٨، ٣٦٧.

ثالثا: ابرز الشخصيات المذكورة في الوثيقة:

١ ـ محمد بن عائض: تولى حكم عسير في الفترة من ١٢٧٣ ـ ١٢٨٩هـ. وقد اكتسب هذا الأمير مَجْداً في قومه نتيجة انتصارات والده عائض بن مرعي على الأتراك، وصدهم عن بلاده، وفي عهده ازدهرت علاقات عسير بنجد للتفاصيل انظر كتابنا: «ارتباط عسير بالدعوة الإصلاحية منذ الدولة السعودية الأولى» دار جرش، خميس مشيط، ١٤١٠هـ ص ٣٣.

٢ ـ آل غُشَيَّان: من أهل العارض، لهم مواقف كريمة وشجاعة وفروسية منهم فهد وحمد اللذان قتلا مع عبدالله بن فيصل في معركة أم العصافير في عام ١٣٠١هـ، ومنهم ناصر بن غشيان الذي كان من رجال الملك عبدالعزيز الذين يعتمد عليهم، وكان منهم العلماء والقضاة أيضاً. للتفاصيل انظر. عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» جـ١، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ص ٥٠٢.

رابعا: اثر اللهجة المحلية في اللغة الفصحى للوثيقة:

على الرغم من أن أهل عسير السراة كانوا أفصح وأصحَّ نطقاً من غيرهم من أهالي المناطق المجاورة لهم، فإن لهجتهم تغيرت مع مرور الزمن نظراً لاختلاطهم بالوافدين عليهم، وتأثرهم بكلامهم، فأصبحوا يقلبون الضاد ظاءً، والظاء ضاداً، ويقلبون الجيم ياءً، ولا يفرقون بين التاء المفتوحة والتاء المربوطة وقد أثرت هذه اللهجات على طريقة كتابتهم كما يتضح من نص الوثيقة(٢).

خامساً: تدلنا هذه الوثيقة على أنه كان يوجد في الجزيرة العربية منذ القدم علماء وقضاة خلفوا مجموعة كبيرة من الوثائق التي يمكن أن تكشف جوانب هامة من تاريخنا الاجتماعي لو وجدت من يعنى بدراستها. وفيما يلي نعرض لنص الوثيقة.

بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم من يراه من المسلمين أنه قد حصلت مشاجرة(٢ب) بين خثعم وبني واس في بلاد بين القرى(٣) والبدو وهي(٤) وادي شواص ووادي كرم فلما اشتد نزاعهم بلغ الجواب إمام الزمان محمد بن(٥) عايض حفظه(٦) الله فأمر أمير البلاد وهو سعد بن محمد بن ساهر أن يأخذ قاضياً(٧) ويصلحها من طرفها بوجه الحق، واستحضر(٧) القاضي عايض بن راشد ونزلوا بالبلاد المذكورة، واستحضروا من كبار خثعم مقبل بن البيدان، وجار الله، وسلوم بن سفر، ومسفر بن ناصر ومسفر ابن عبدالرحمن، وعبدالله بن عدلان، وعصيّد، وهادى بن حمدان، ومساعد بن عوض، وسعد بن حويزب وشاهر بن عليوا، وعبدالله بن مدهش، وحضر من كبار بني واس مسفر بن سعد وسعد بن دهبش وفايز بن محمد، وسعد بن مثيب، وعوضه بن سلوم، وبخّان، وسعد بن عتيق، وواقي، وسعد بن قَطَنْ، ومجدول وتداعوا المذكورين(٩)، وقد وكلوا خثعماً(١٠) خثعم على دعواهم مقبل بن البيدان، ووكلت(١١) بنو(١٢) واس على دعواهم سعد بن دهبش، وادعى(١٣) مقبل بن البيدان أن حد بلادنا يا خثعم من أوطاننا إلى بير حضيرى وانه قد حكم بيننا ابن غشيان قاضي ابن سعود، وحكم بالبلاد لنا من بير حضيرى إلى أوطاننا في أمر سعود، وأنكر وكيل بني واس وهو سعد بن دهبش دعوى وكيل خثعم، وان الحد بين خثعم وبني(١٤) واس ربطة المشرّق وأنه ما لخثعم(١٥) منها، وشرق علينا وجه يابني واس فقدم الشرع المدعى بالبينة(١٦) فلم يثبت عند الشرع من البينات شيء(١٧) ثم أن الخصماء تراضوا(١٨) على صلح في الديرة بنظر سعد بن محمد بن ساهر، وبحضور(١٩) القاضي، وجعلوا بينهم ربطاً(٢٠) تقرع(٢١) البدوي عن الحضري وتقرع الحضري عن البدوي فجعلوا ربطه في ربع الحجون الأعلى وهي في الضرب الأحمر على قطر الماء(٢٢) من يمن(٢٣) ثم يناظرها طرف المطردات من

بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم من يراه من المسلمين انه قد حصل مشاجر بين خثعم وبني واس في بلاد
بين الغرا والبد وهو وادي شواص ووادي كرم فلما اشتد نزاعهم
بلغ الجواب امام الزمان محمد ابن عايض فنفذ امره على اهل البلاد
وهو سعد ابن محمد ابن ساطان بأن يأخذ قاضي ويصلحها من طرفها ابن حجه الحق
واستحضر القاضي عايض ابن راشد ونزلوا بالبلاد المذكوره واستحضروا
من كبار خثعم مقبل ابن البيدان وجار الله سلوم ابن سعد ومسفر ابن ناصر
مسفر ابن عبد الرحمن وعبد الله ابن عدلان وعصيد وهادي ابن حمدان
وساعد ابن عوض وسعد ابن هوبزاب وشاهر ابن سليم وعبد الله ابن
وحضر من كبار بني واس مسفر ابن سعد وسعد ابن دهيش ونايف ابن
وسعد ابن منيب وعوض ابن سلوم وابن خان وسعد ابن عتيق
وسعد ابن قطن ومجدول وتداعوا المذكورين وقد وكلوا خثعم
على دعواهم مقبل ابن البيدان ووكلوا بني واس على دعواهم سعد ابن
دهيش وادعا مقبل ابن البيدان ان حد بلادنا يا خثعم من اوطاننا الى
بير حضيري وانه قد حكم بيننا ابن عنقان قاضي ابن سعود وحكم
بالبلاد لنا من بير حضيري الى اوطاننا في امر سعود وانكر وكيل بني
واس وهو سعد ابن دهيش دعوى وكيل خثعم وان الحد بين خثعم وبين
بني واس ربطة المذكور وانه مال خثعم منها وشرق عنها رجع لبني واس
فتقدم الشرع المدعي بالبينه فلم يثبت عند الشرع من البينات شي ثم
انهم تراضوا والخصماء على صلح في الديرة بنظر سعد ابن عون ابن سالم وبحضرت
القاضي وجعلوا بينهم ربطة تفرع البدو عن الحضري وتفرع خثعم
عن البدو وجعلوا ربطة في رأس الحجون الاعلى وهي في الضرب الاحمر
على تعطر السيل من يمن ثم يناظرها طرف المزدات من شرق ثم اقدارها من يمن
جنب المثنى ثم من هذا الربط وبحر ترفع خثعم عن بني واس واماما ربع
الحجون الاعلى منهم شركا فيه وهذا الصلح بين خثعم وبين بني واس
على رضا واختيار وحضر هذا الصلح الذي تم ابن خلفة ابن شثيري وناصر ابن سالم
ومسفر ابن مساور وغازي ابن هادي ابن صالح ونايف ابن حسن ومسفر ابن
وضيف الله ابن نافن ومستور ابن شبيب ومنصور ابن منيب وسعد ابن
وهادي ابن طايف وعلي ابن هاشل وفيصل ومطر ابن ناصر ومسفر
وظافر ابن صافي وغيرهم من الحضر ومن عربهم من الملاوات [illegible]
وجمع كثير فيه مقدار اربع مية والله خير الشاهدين [illegible]
يوم الثاني ثنا من شهر ذي القعده الحرام في سنة اربع [illegible]
[illegible] الهجرية على صاحبها افضل السلام

[illegible] شهر ذي القعده الحرام في عام ١٣٤٠

بحر[٢٤] ثم أقطرها من يمن جنب المشى ثم من هذا الرّبط ، وبحر ترفع خثعم عن بني واس، واما ماء ريع الحجون الأعلى فهم شركاء فيه، وهذا الصلح بين خثعم وبين بني واس على رضا واختيار ، وحضر هذا الصلح الله ، ثم من خلقه محمد بن محيي ، وعايض بن صالح وسفر بن مسافر ، وغازي وهادي بن صالح ، وفالح بن حسن ومسفر بن محمد ، وضيف الله بن شانف ، ومستور بن عبيد وسيحم، ومنصور بن مثيب، وسعد بن مجزع، وهادي ابن ضايف[٢٥] وعلي بن هاشل وفيصل ومطر بن جاسر ومسفر بن مسفّر ، وظافر بن صافي، وشلوه من آل حبه ومزعزع من الحلافات، وظافي من الفزع، وجمع كثير فيه مقدار أربع مئة والله خير الحاضرين[٢٦].

وكان تحرير الخط يوم الثلوث ثامن عشر من شهر ذي القعدة الحرام في سنة أربع وسبعين ومئتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة، والسلام.

١٨ في شهر ذي القعدة الحرام في سنة ١٢٧٤هـ - ختم -

كلية اللغة العربية - ابها: د. عبدالمنعم بن إبراهيم الجميعي

الهوامش:

(١) للتفاصيل انظر مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير - تحقيق محمد العقيلي - نادي أبها الأدبي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٦م ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) للمزيد من التفاصيل حول لهجات أهل عسير انظر. فؤاد حمزة: في بلاد عسير ، القاهرة ، دار الكاتب العربي، ١٩٥١ ص ١٣٠ .

(٢ ب) في الأصل حصل مشاجر والصواب ما أثبتناه.

(٣) في الأصل القرا. (٤) في الأصل وهو.

(٥) في الأصل ابن، ومن المعلوم أن الألف بين علمين متصلين لا تكتب إلا إذا جاء ابن في أول السطر ، ونظراً لتكرار ذلك الخطأ في كتابة كل الأسماء الموجودة في الوثيقة فقد قمنا بتصحيحها دون الإشارة إلى ذلك في مكانه مَنْعاً للتكرار .

(٦) في الأصل حفضه. (٧) في الأصل قاضي.

(٨) في الأصل واستحظر .

(٩) بمعنى وادعى كل منهما على الآخر .

←

حضرموت: بلادها وسكانها

لعالم حضرموت ومؤرخها عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف

(١٣٠٠ / ١٣٧٥هـ)

ـ ٢ ـ

بـــروم:

هي مرسى حصين من عواصف الرياح، أحصن من مرسى الـمُكَلَّا على حصانته، فإليه تأوي السفن عند اضطراب الأمواج، وهيجان البحر، وهو واقع بين ميفع والـمُكَلَّا، قال الطيب بامَخْرَمَة: بروم بلدةٌ بين الشِّحْرِ ومَيْفَع، على ساحل البحر، كانت بلدة قديمة، من أعمال فوه يجلب إليها الصبرُ الصُّقُطْرِيُّ، وكان بها قلعة تسمى عُرْفَةَ ـ بضم العين المهملة وسكون الراء ـ وهي ردية الماء، وأكثر أهلها المتقدمين صيادون انتهى وفيه شاهد لأَنَّ الـمُكَلَّا لم تكن إذْ ذاك شيئًا مذكورًا وإلاَّ لأشار إليها، وإلى بَرُوْمْ ينسب السيد حسن بن محمد بن علوي بن عبدالله بن علي بن عبدالله باعلوي، وقد ترجم في «الـمَشْرَعِ» لابنه أحمد بن حسن، وذكر أنه هو الذي عمر مسجد آل جديد بِتَرِيْم، وأنشأ له بركة في سنة ←

← (١٠) في الأصل خثعم. (١١) في الأصل ووكلو.
(١٢) في الأصل بنى. (١٣) في الأصل والدّعا.
(١٤) في الأصل وبين بني واس ولما كانت بين لا تتكرر بين اسمين ظاهرين فقد حذفنا الثانية.
(١٥) في الأصل مال خثعم.
(١٦) بمعنى البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر.
(١٧) في الأصل شي. (١٨) في الأصل أنهم تراضوا الخصما.
(١٩) في الأصل وبحضرت.
(٢٠) في الأصل ربط والمقصود به عهد أوحد.
(٢١) بمعنى تمتع أو تفصل.
(٢٢) في الأصل الماء. (٢٣) يقصد جهة الجنوب.
(٢٤) يقصد الغرب. (٢٥) في الأصل ظايف. (٢٦) في الأصل الحاظرين.

← ٩١٩ فنسب إليه، فهو اليوم يعرف بمسجد بروم، وترجم في «الْـمَشْرِع» أيضاً لابن حفيده وهو عبدالله بن محمد بن أحمد بن حسن بروم المتوفى سنة ١٠٣٩، ولبروم هذه ذكر كثير في الحروب الواقعة بين الكسادِي والقُعَيْطِـي، وهي أول مارست بها سفائن النجدة التركية في سنة ١٢٦٧ التي كان على رأسها شيخ السادة بمكة، السيد إسحاق بن عَقيل بن يحيى، ومن أعيان بروم في القرن الثامن العارف بالله الشيخ مزاحم بن أحمد باجابر، أخذ عنه سيدنا الإمام الكبير الشيخ عبدالرحمن السقاف، المتوفى بتريم سنة ٨١٩، وفي الحكاية (٣٠٤) من «الجوهر» للخطيب عن عبدالله بن نافع بن أبي منذر قال: لما وقعت الفتنةُ في بلادي الهَجْرَيْنِ سرت إلى بروم عند الشيخ الكبير مزاحم بن أحمد باجابر، فَأَحَبَّنِـي، وسار بي إلى أحور، وكانت مع الشيخ خيمة من سلطان اليمن فلما وصلنا أحور نصبنا تلك الخيمة، ومضى الشيخ مزاحم لبعض شأنه، فسألني بعض السادة عن حالي في بروم، فقلت له: مارأيت أنجَس منها ولا من ساحل بَرْبَرَة انتهى. أما الذي أهدى الخيمة للشيخ مزاحم من ملوك اليمن فيحتمل أن يكون الأفضل عباس بن المجاهد علي، لأنه كما في «التاج» استولى على الملك في سنة ٧٦٤ ومات في سنة ٧٧٨ أو الأشرف إسماعيل بن الأفضل، وكان تولى بعد أبيه إلى أن مات سنة ٨٠٣، أو ابن الأشرف الذي بقي على اليمن كما في «صبح الأعشى» إلى سنة ٨١٢ وأقرب مايكون الأشرف إسماعيل، لأنه كان مُحِبًّا للعلم والعلماء. وفي الحكاية (٤٤) من «جوهر الخطيب» عن السيد أحمد بن الشيخ علي بن أحمد باجابر قال: كنت إذا اجتمعت بعمِّي الشيخ مزاحم يثني على السيد عبدالرحمن السقاف، ويقول: إنه القطب[١] وكان ذالك قبل سنة ٨٠٥ وقال السيد علي بن حسن العطاس في «سفينه البضائع»: وفي سنة ٨٨٧ توفي الشيخ الأجل، ذو الأخلاق الرضيةَ أبو الغيث عبدالرحمن بن مزاحم ببروم، وسيأتي في عَنْدل من أطراف وادي عَمَد التعريفُ بنسب الشيخ مزاحم لأنه هو وآل جابر أصحاب عندل من قبيلة واحدة، وسيأتي في الشِّحْرِ ذكر أحد علماء آل مزاحم باجابر وهو الشيخ محمد بن عبدالرحيم.

الـمُـكَـلَّا :

هو اسم دالٌ على مسمّاه إذْ جاء في مادة (كلأ) من «التاج»: وأصله أن الْكَلَّاء كَكَتَّانٍ مَرْفَأُ السفن، وهو عند سيبويه فَعَّالٌ مثل جَبَّار ، لأنه يَكْلأ السفن من الريح ، وساحل كُلِّ نَهْرٍ كَالْكَلَاِ مَهْمُوز مقصور . انتهى باختصار ومنه تعرف أنه عربي فصيح ، لم تتصرف فيه العامَّة على مر السنين إلَّا بالشيء اليسير ، وكانت الـمُكَلَّا خيصةٍ صغيرة لبني حسن والعكابرة، وملجأ تعوذ به سفائن أهل الشحر والواردين إليه من الآفاق، عندما يهتاج البحر في أيام الخريف، لتأْمَنَ به من عواصف الرياح، لأنه مَصُوْنٌ بالجبال، بخلاف ساحل الشِّحْرِ فإنه مكشوف، وقد اتخذ الصيادون به أكواخاً، ففرضت عليهم العكابرة ضريبة خفيفة، إزاء استيطانهم بها، لأنها من حدود أرضهم، ثم ازدادت الأكواخ، واستوطنها كثير من العكابرة أنفسهم، وناس من أهل رزكب، ويقال: إن آل الجدياني وهم من يافع مَرُّوْا بها في أواخر سنة ٩٨٠ مجتازين فأعجبتهم، فاستوطنوها، وصار أمر أهل تلك الخيصة إلى رئيسهم يشاورونه في أمورهم، حتى صار أميرًا عليهم، وكان كبير آل كساد ـ واسمه سالم ـ موجوداً بالمُكَلَّا إذْ ذاك، فاغتال الجدياني، واستقل بأمر المُكَلَّا، ثم جاء سالم بن أحمد بن بحجم الكسادي، ومعه ولده صلاح وأخوه مقبل، فاغتالوا سالمَ الكساديَّ في البِئْر المعروفة إلى اليوم ببير بشهر ، واستولى سالم ابن أحمد بن بحجم على البلاد، وحكمها سنة ثم مات، وخلفه عليها ابنه صلاح ثم مات، وله ثلاثة أولاد عبدالرب وعبدالحبيب وعبدالنبي(٢)، وكان النفوذ لعبدالحبيب، لأنه الأكبر، ولما مات خلفه أخوه عبدالرب، وبقي بحكم الـمُكَلَّا إلى أن توفي سنة ١١٤٢، وخلفه عليها ابنه صلاح، فأخذ محمد بن عبدالحبيب ينازعه حتى اتفقوا على تحكيم صاحب عَدَنٍ، فركبوا إليها فقضى بها لمحمد بن عبدالحبيب، فسافر صلاح وأخوه مطلق وعمهم عبدالنبي(٢) إلى السواحل الإفريقية، وبقي محمد عبدالحبيب يحكم المكلا، وفي أيامه بُنِيَتْ حافَةُ الْعَبِيد، وسميت بذالك، لأن أول ما بُنِيـي بها بيت لِعَبِيد آل كساد، ولما مات محمد عبدالحبيب في سنة ١٢٠٧ قام من بعده ولده صلاح بن محمد بن عبدالحبيب، وكان عمه عبدالله بن عبدالحبيب ينازعه الإمارة، ولكنه تغلب عليه بمساعدة عمه

علي بن عبدالحبيب، وبقى على حكم المكلا إلى أن مات في سنة ١٢٩٠، وقام بعده ولده عمر بن صلاح وكان صلاح في أيامه استدان مئة ألف ريالاً من عوض ابن عمر القُعَيطي في سنة ١٢٨٥ وهي حِصَّتُهُ في نفقة غزوة المحائل عَامَئِذ، وبأثر موته وصل عوض من الهند إلى الشحر، وأقام بها شهراً، ثم سار إلى المكلا بهيئة التعزية، وبعد أن اجتمع له بها من عسكره نحو ثلاث مئة دخلوا أرسالاً، طالَب بذالك الدين، فسفر الناس بين عمر صلاح والقعيطي على أن يحتل القعيطي ناصفَة المُكَلَّا إلى أن يستوفي ماله من الدين، ولكن عمر بن صلاح استدعى عسكره من كل ناحية، وأذكى نار الحرب، وعندما أحسَّ القعيطيُّ بالهزيمة استوقف الحرب، ونجا بنفسه، هذه إحدى الروايات في إمارة آل كساد على المكلا، والأخرى أن في أواخر القرن الحادي عشر أو أوائل الثاني عشر ورد المُكَلَّا أحد آل ذي ناخب، وهو جد آل كساد، وبمجرد ما استقرت قدمه بالمكلا اتجهت همته للتجارة والمضاربة مع أهل السفن، ثم اتفق هو وإياهم على شيْءٍ يدفعونه إليه، برسم الحراسة، يعطي العكابرة وبني حسن بعضه، ويستاثر بالباقي إلى أن استقوى أمره، وضعف أمر أولئك، وانشق رأيهم، فمازال يتدرَّجُ حتى صار أمير المُكَلَّا، والثالثة عن الشيخ المعمر أحمد بن مرعي بن بن علي بن ناجي الثاني، أن صلاح بن سالم الكسادي كان بِغَيْلِ ابن يمين، فكثر شَرُّهُ فَطرده اليافعيون الشناظير، فالتجأ إلى علي ناجي الأول بن بريك بالشِّحْرِ، فأجاره هو وأولاده عبدالحبيب وعبدالرب وعبدالنبي، وكانت لصلاح بنت تدعى عائشة، جميلة الطلعة، استهوت قلب علي ناجي، فطلب يدها، واستاء آل بريك من بنائه عليها، لما يعلمون من شيطنة صلاح، وخافوا أن يستولي بواسطة بنته على خاطر السلطان علي ناجي، فيتَنَمَّرَ لهم، فبيتوا قتل صلاح بن سالم الكسادي، فغدر بهم علي ناجي، فذهب به إلى المكلا، وهي إذ ذاك خيصة للعكابرة، وبني حسن، فبنى بها السلطان علي ناجي حصنا على ساحل البحر، سماه حصن عبدالنبي، احتفاظاً بالاسم لولده، وعاهد أهلَ الـمُكَلَّا لعمه صلاح بن سالم، وأجلسه بها مع عائلته انتهى. وقد نزع الشيطان آخِراً بين علي ناجي وعبدالرب ابن صلاح بن سالم الكسادي، وجاء في «تاريخ باحسن الشحري» أن علي ناجي نفى آل همام إلى الـمُكَلَّا، فاستنجدوا بعبدالرب بن صلاح، صاحب المكلا.

فجهَّز قوماً التقوا بعسكر علي ناجي في الْـحَدَبَةِ، وقتل محسن بن جابر بن همام، وانكسر عسكر الكسادي، وغنم آل بريك جميع مامعهم، وسيأتي في تَرِيْـم أن الكسادي لم يجئْ إلى المكلا إلاَّ بعد سنة ١١١٧ ، وفي أواخر سنة ١١٦٣ ، غزا ناجي بن بريك المكلا بسبع مئة من الحموم وغيرهم ، فلاقاهم آل كساد إلى رأس الجبل، فهزموهم، وقتلوا منهم نحو العشرين، ومن آل كساد أربعة، ولاتزال قبورهم ظاهرةً برأس الجبل، ولما مات صلاح بن سالم ـ على هذه الرواية ـ خلفه على المكلا ولده عبدالرب بن صلاح، ثم أخوه عبدالحبيب، وكان شهماً صارماً حازماً ، ثم تولى بعده ولده محمد، وفي أيامه أخذ آل عبدالرب بن صلاح يدبرون المكايد لاغتياله، فاحسَّ بذالك، فَوَطَّأَ لهم كَنَفَه، وكان ذالك في اقتبال رمضان، فأظهر النسك، واشتغل بالعبادة، فخفَّ حقدهم عليه، وهو يعمل عمله ليتغدَّاهُم قبل أن يَتَعَشَّوْهُ ، وفي الليلة السابعة والعشرين من رمضان هجم عليهم وهم غارُّوْنَ نائمون، بعد أن اشترى ذِمَمَ عَبِيدهم، ففتحوا له الباب، فأباد خَضْرَاءَهم، وقتل منهم ومن حاشيتهم ثلاثة عشر رجلًا في ساعة واحدة، وهرب من بقي منهم بخيط رقبته إلى السواحل الإفريقية، ولما مات محمد بن عبدالحبيب وقعت عصابته على ابنه صلاح بن محمد بن عبدالحبيب، وكانت له محاسن وعدل تام، وشدة قاسية على أهل الفساد، ولم يزل على ذالك إلى أن توفي في ربيع الثاني من سنة ١٢٩٠ وخلفه ولده عمر بن صلاح، وجرت بينه وبين السلطان عوض ابن عمر القُعَيْطي خطوْبٌ انهزم في أولها القعيطي، ثم استعان بحكومة عدن، فاستدعت عمر بن صلاح، وخَيَّرَتْهُ ـ بعد أن أخذت التحكيم من الطرفين ـ بين أن يدفع المئة ألف حالاً أو يتسلم مئة ألف ريال من القعيطي ويترك له البلاد، وبين أن يتسلم بروماً من القعيطي ، وقدراً دون الأول من الريالات، فلم يقبل فاجبروه على الجلاء من المكلا فذهب إلى السواحل الإفريقية حسبما فصلناه بالأصل، واحتفظوا لأنفسهم مِنَّةً كبرى على القعيطي بهذا الصنيع، وكان ليوم سفر النقيب من المكلا رَنَّةُ حُزْنٍ في جميع الديار ، لأنهم كانوا متفانِيْنَ في محبته:

سَـارَتْ سَفَـائِنُهُمْ وَالنَّـوْحُ يَتْبَعُهَـا ... كَـأَنَّهَا إِبِلٌ يَحْـدُوْ بِهَـا الْـحَـادِي
وَالنَّـاسُ قَدْ مَلَؤُا الْعِبْـرَيْنِ وَاعْتَبَـرُوْا ... وَأَرْسَلُوا الـدَّمْعَ حَتَّى سَـالَ بِالْـوَادِي

كَمْ سَالَ فِي الْبَحْرِ مِنْ دَمْعٍ وَكَمْ حَمَلَتْ   تِلْكَ الْقَطَائِعِ مِنْ أَفْلَاذِ أَكْبَادِ

وزعم بعضهم أن صاحب زنجبار لذالك العهد، وهو السلطان سعيد بن سلطان، منع السلطان عمر بن صلاح من النزول ببلاده لما سبق من فَعْلَةِ جَدِّهِ الشنعاءِ بأقاربه، وكاد يرجع أَدْرَاجَهُ ، ولكن بقايا الموتورين من آل عبدالرب أضارتهم الرحم عليه، فشفعوا إلى سلطان زنجبار في قبوله، فقبل نزوله، ولاتزال الدراهم مرصدةً له بأرباحها في خزينة عدن، كذا يقول بعضهم، ويزعم آخرون أن الحكومة اختلقت مُبَرِّرًا لحرمانه منها والله أعلم. ومن ذالك اليوم صَفَتِ الْـمُكَلَّا لآل القعيطي، يتداول حكمها بين السلطان عوض وأخيه عبدالله بن عمر إلىٰ أن مات الثاني في سنة ١٣٠٦ ، عن ولدين، كان لهما مع عمهما عوض نبأ يأتي ذكره في الشحر.

وفي سنة ١٨٨٨ ميلادية ـ ولعلها مرافقة سنة ١٣٠٥ هجرية ـ انعقدتْ معاهدة بين الحكومة الانجليزية والحكومة القعيطية هذا نصها: المادة الأولى تلبية لرغبة الموقع أدناه عبدالله بن عمر القعيطي بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن أخيه عوض، تتعهد الحكومة البريطانية بأن تَمُدَّ إلى المكلا والشحر ومتعلقاتهما التي في دائرة تفويضهما وحكمهما المنةَ السامية. وحماية صاحبة الجلالة الملك الامبراطوره. المادة الثانية: يرتضي ويتعهد عبدالله بن عمر القعيطي بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن أخيه عوض وورثائهما وحلفائهما بأن يتجنب الدخول في مكاتبات أو اتفاقيات أو معاهدات مع أي شعبْ أو دولة أجنبية إلَّا بعلم وموافقة الحكومة البريطانية، ويتعهد أيضاً بأن يقدم إعلاماً سريعاً لوالي عدن، أو لضابط بريطاني آخر، عند محاولة أيَّةِ دولة أُخرى في التدخل في شؤون المكلا والشحر ومتعلقاتهما. المادة الثالثة: يسري مفعول هذه المعاهدة من هذا التاريخ، وشهادة على ذالك فقد وضع الموقعون أدناه إمضاءاتهم أو ختوماتهم في الشحر باليوم من شهر مايو سنة ١٨٨٨هـ . وكنت أتوهم هذه أول معاهدة بين القعيطي والانكليز، ولكن رأيت قبلها أخرى بواسطة (جايمس بلار) والي عدن بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٨٨٢ و ١٢ رجب سنة ١٢٩٩ جاء فيها مايوافق التي قبلها، مع زيادات: الأولى أن عبدالله بن

عمر وأخاه عوض بن عمر تمكنا بواسطة المساعدة لهما من الحكومة البريطانية من الاستيلاء على مرفأيْ بروم والـمُكَلاَّ في اكتوبر سنة ١٨٨١ ، وعلى الأراضي التي كان يحتلها النقيب، وبما أن الحكومة قد أُسْدَت إليهما مساعداتٍ ومِنناً أُخرى فقد وافقوا على المعاهدة الآتية، والزيادة الثانية هي: بما أن الممتلكات التي كانت سابقاً في قبضة النقيب عمر بن صلاح قد انتقلت إلى يد عبدالله بن عمر القعيطي ، وهو قد دفع مئة ألف ريال للوالي في عدن، لقاء نفقات النقيب عمر بن صلاح، فإن هذا المبلغ سيصرف بنظر الوالي في عدن عن النقيب عمر بن صلاح المذكور ، والزيادة الثالثة هي: تعهد الحكومة البريطانية بمعاش سنوي لآل القعيطي قدره ثلاث مئة وستون رُبِيَّةً ، ماداموا قائمين بشروط هذه المعاهدة انتهى . ولكن آل القعيطي ترفعوا عن ذالك المعاش الزهيد، ولم يقبضوا منه شيئاً من يوم المعاهدة إلى اليوم.

ومقدم تربة الـمُكَلاَّ هو الشيخ يعقوب بن يوسف باوزير ، وهو آخر من وصل إليه العلم من أجداده المشايخ آل باوزير ، وكانت وفاته بالمكلا في سنة ٥٥٣ وقال السيد علوي بن حسن مدهر : آل باوزير ويرجعون إلى الشيخ حسن الطرفي، المقبور بجزيرة كمران، وقال الشيخ عبدالله بن عمر بامخرمة : إن آل باوزير ينسبون إلى قرية يقال لها وزرية من شرعب باليمن، على مقربة من تَعِزَّ ، بينهما مرحلة تطل على تهامة، وقد اجتمعت بالفاضل السيد محمد بن محمد بن عبدالله بن المتوكل فحدثني عن وزْرِيَّة هذه، وقال: انها الوزيرة لاوزرية، وهي مابين شرعب والعين، بلاد خِصْبَة جدًّا، يمر فيها غيل غزير ، لاتزال به خضراء صيفاً وشتاءً ، وزعم قوم أن الشيخ يعقوب بن يوسف مِنْ آل الْـجَيْلاَني.

ولِلْـمُكَلاَّ ذكر كثير في أخبار بدر (أبوطويرق) الكثيري المتوفى سنة ٩٧٧ بسيئون، وشيء من ذالك لا ينافي كونها خيصة صغيرة لذالك العهد، لم تعمر إلاَّ في أيام الكسادي، لأنه لاينكر وجودها من زمن متقدم وصغرها لا يمنع ذكرها، فمن ذكرها فقد نَظَر بمجرد وجودها، ومن لم يذكرها فلحقارتها، ولأنها لاتستحق الذكر إذْ ذَاك، إلاَّ أنه يشكل على ذالك شَيْآنِ أحدهما أن الشيخ عمر بن صالح

هرهره(؟) لم يذكرها في رحلته التي استولى فيها على حضرموت والشحر ، ولقد ذكر فيها أنه أقام بالشِّحْرِ ثلاثة أشهر وأن ماجبا منها في هذه المدة خمسة وثلاثون ألف ريال، مع أنه متأخر الزمان في سنة ١١١٧ ، فإنَّ هذا يدل على فرط تأخُّرِها إلاَّ أنْ يقال: إن الشيخ عمر بن صالح احترمها لمكان إخوانه اليافعيين فيها، ولكنه لا يصلح إلاَّ جواباً عن الغزو لاعن الذكر ، وثانيتهما: أن كثرة المقابر بها يدل على عمران قديم، وقد يجاب بأنها ربما كانت كلها مقبرة للعكابرة وبني حسن ومن داناهم، حرصاً على مجاورة الشيخ يعقوب، كما هي عادة أهل البلاد وأهل البادية وأكثر الناس حرصاً على مثل ذالك، وقد عُمِرَ كثير من تلك المقابر ، بعد دثورها مساكن ومساجد ، وكنت اشتد في إنكار ذالك ، حتى رأيت كلام «التحفة» و «الايعاب» في ذالك وحاصل مافيهما: أن الموات المعتاد للدفن بلا مانع يدخل في قسم السُّبُل، ويجوز زرعه وبناؤه متى تيقن بلاء من دُفِن به لاسيما إذا أعرض أهل البلد عن الدفن فيه حالاً واستقبالاً ، وإنما يمتنع الإحياء والتصرف فيما تيقن وقفها، أو أن مالِكاً سَبَّلَها. وقال العيني ـ وهو من الحنفية ـ: ذكر أصحابنا أن المقبرة إذا دثْرت تعود لأربابها، فإن لم يُعْرف أربابها كانت لبيت المال انتهى. وفي شروح «المنهاج» مايوافقه، وقال ابن القاسم من المالكية: لو أن مقبرة عَفَتْ فبنى عليها قومٌ مسجداً لم أر بذالك بأساً انتهى. وهذا شامل لما تحقق وقفها أو تسيل مسيل لها، أمَّا مَالم يتحقق فيه ذالك فنحن وإياهم على اتفاق في جواز إحيائه والتصرف فيه، وقال بعض الحنابلة: إذا صار الميت رميماً جازت زراعة المقبرة والبناء عليها.

ثم إنه لم يكن للعلم شَأْنٌ يُذْكَرُ بالْمُكَلاَّ ونواحيها، لانصراف وزير الحكومة القعيطية السيد حسين بن حامد المحضار إذْ ذاك عن هذه الناحية ، بل كان ـ رحمه الله ـ يتعمد ذالك، لأن في العلم والمدارس تنبيه الأفكار وهو يكره وجود النابغين، لئلا يزاحموه أو يغلبوه على السلطان، أو يطالبون بحقوقهم، وإنما كان يوجد فيها بحكم الفلتات، كالشيخ عوض بن سعيد بن محمد بن ثعلب، الذي تولَّى القضاء بها فيها قبل سنة ١٣١٣ وكالشيخ عبدالله بن عوض باحشران ، والشيخ سعيد بن مبارك باعامر ، في قليل من أمثالهم، لاتحضرني أسماؤهم ، وبأثر وصول السادة

آل الدباغ إلى المُكَلّا في حدود سنة ١٣٤٣ فتحوا المدارس، واحتسنوا التعليم، وكان (حزب الأحرار الحجازي)(٣) يغدق عليهم الأموال فكانوا يضمرون عن التعليم غير مايظهرون، وحاولوا تربية الأولاد على الطريقة الحربية ليعدوهم لغزو الحجاز، واستمالوا رؤوساء يافع، وكان لهم إذْ ذَاك أكبر النفوذ في المكلا، وربما تركوا صندوق الذهب مفتوحاً يرونه عندما يزورونهم وبالآخرة طالبوهم بعسكر على أن يدفعوا إليهم مرتبات ضخمة، فالتزموا لهم بخمسة وأربعين ألفاً، ولكن آل الدباغ تأخروا بعد ذالك لِمُؤَثِّرٍ إما من الحجاز وإما من العراق، وحاولوا إثارة حفيظة ملك العراق، لغزو المكلا وحضرموت، وفيها كانت فرقة الكشافة مارَّةً بسوق المُكَلّا ترفرف عليها الأعلام العراقية تكدر لذالك الشيخ الأديب عبدالله أحمد الناخبي، وكان شريكهم في التعليم، ولكنه لم يصبر على هذا التطرف، فنبه الوزير، ولكنه خاف من يافع، وكان خَوَّاراً، فسكت على مضض، حتى قدم الفاضل السيد طاهر الدباغ، فعرف تَهَوُّرَ أصحابه فقذعهم، ولكنه بارح المكلا وشيكا، فعادت القضية إلى أسوأ مما كانت، إلَّا أن المسألة انحلت بطبيعة الحال، إذْ سافر علي الدباغ إلى جازان، لتدبير الثورة، فغرق هناك وكان آخر العهد به واما حسين فلم يزل مُصِرًا على رأيه من الانتقام من الحكومة السعودية، وكانت خاتمة أمره أن نزل الحالمين من بلاد يافع، فمنعه أهلها آل مفلح، فلم يقدر عليه أحد، ثم نشبت بينهم وبين جيرانهم من يافع أيضاً فتنة، ولما علموا أنه السبب فيها اعتزموا قتله، فغدر بهم فهرب، كما فعل الكميت في زِيٍّ امرأة، وذهب إلى الحمراء في آخر حدود يافع، فأذْكَى شرًّا بينهم وبين آل القويمة من الزيدية، وكثرت بينهم القتلى ولما أحس بالفشل هرب إلى القطيب، وهي إحدى المحميات، فالقى هناك ضابطاً انقليزياً فأغرى به بَدَوِيًّا فقتله بِجُعْلٍ جعله له فطلبتُه حكومة عدن فحماه حسن بن علي القطيني(؟) وأبى أن يخيس بجواره وذِمَّتِهِ، وبعد أن قام لديه مدة خطر له أنْ خرج متنكراً إلى حضرموت، وكانت الحكومة الانجليزية جعلت أربعة آلاف رُبِّية لمن يلقي القبض عليه، فلما انتهى إلى الهجرين أمسك عليه عاملها، وهو الشيخ محمد بن عوض النقيب، وكان أحد تلاميذه بمدرسة النجاح بالْمُكَلّا، وهناك أخذه الضابط السياسي (انجرامس) وهو يصيح ويستثير

حفائظ المسلمين، ولا مجيب، ولما وصلوا به إلى عدن طلبه ملك الحجاز، وأمر بإنزاله مكرماً في جيزان، وأعلن له عاملها عفو الملك عنه، وأنه حُرٌّ في نفسه، تحت حراسة عسكر، بمثابة خدم له، حتى يعرف سلوكه، فلم يزل يخاطب رؤوساء العشائر، ويعمل أعمالاً لا تنطبق مع المنطق، وكان ذالك أثر مرضٍ لم يزل يَتَزَايدُ بِهِ حتى توفي، وهو مشمول بإكرام الحكومة السعودية وسماحها، فمن حين فتح آل الدباغ المدارس بدأت المعارف تتقدم بِخُطاً قصيرة، حتى لقد عنيت مدارس المكلا بما ذكرته في مقدمة كتابي «النجم المضِيء، في نقد عبقرية الرضي» إلَّا أنَّ السلطان الحالي لما كان من جملة العلماء أخذ يناصر المدارس، وأغدق عليها الأموال، حتى لقد قيل لي: إنما ينفقه عليها سنوياً أكثر من ثلاث مئة ألف ربية، عبارة عما يقارب رَبْع إيراد المكلا، وقد استجلب لها ناظراً خبيراً محنكاً من السودان، هو الفاضل الشيخ سعيد القدال، فأدارها أحسن إدارة وظهر الأثر، ونبع الثمر فالمكلا بل وسائر الموانئ اليوم في المعارف وغيرها بالأمس، إلَّا أنني اقترحت على السلطان يوم كان بمنزلي في سنة ١٣٦٥ أنه يهتم بإيجاد مدرسة تحضيرية لتربية التلاميذ على الأخلاق الفاضلة، فإن الهمم قد سقطتْ، والذمم قد خَربت، ولن تعود سيرتها الأولى، إلَّا بمدرسة تأخذ بطريق التربية الصوفية(٤) أو قريب منها مع الابتعاد عن الخلطة، لِأن أكبر المؤثرات على الصبيان المشاهدة، فلن ينفعهم مايسمعون إذَا خالفه ما ينظرون، إذْ المنظور لا ينمحي من الذاكرة، بخلاف المسموع، فإنه لا يبقى إلَّا عند صدق التوجه، فلا مطمع في إصلاح نَشءٍ مع اختلاطه بمن لاتحمد سيرته البته، ولذا لم يكن لبني إسرائيل علاج من أمراضهم الأخلاقية إلا بإهلاك الجيل الفاسد في التِّيْهِ، وتكوين ناشئة لم تتأثر بهم، وفي «الصحيح»: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يُهَوِّدَانِهِ أو يُمَجِّسَانِه» فنحن بحاجة ماسَّةٍ إلى إيجاد البشرية الصحيحة قبل العالمية، ومعلوم أن التخلية مقدمة على التَّحْلِية، والتلاميذ ظِلُّ آبائِهم وأمهاتهم ومعلميهم، إنْ خيراً فخيراً وإن شراً فشرًّا، وكثيراً ما أُذَكِّرُ المعلمين بخاتمة قصيدة جَزْلَةٍ لي، في الموضوع وتلك الخاتمة هي قولي:

• وفوا الْكَلَامَ، وكُوْنُوا في الذِّمَامِ وَفي   خَوْفِ الْـمَلَامِ عَلَى مَاكَانَتِ الْعَرَبُ

وفي المُكَلاَّ ديوان للحكومة، وإدارة للكهرباء ووزارة المالية، وليس للسلطان إلاَّ مرتَّبٌ مخصوص، قدره عشرة آلاف ربية، مع إضافات معينة لايتجاوزها، وفيها إدارة للقضاء ، ومجلس عالٍ لكن ذالك المجلس العالي هو أكْبَرُ حِجَار الْعِثَار في طريق العدالة، فالحقوق مهضومة، والحقائق مكتومة، وطالما رُفِعَتْ إليَّ أحكامُ ذالك المجلس فإذا بها شرٌّ مما نتألم منه بسيئون، وذالك أن السلطان جعل كلمة ذالك المجلس النهائية لا معقب لها بحال، فسقطت عنه مُؤنة التحفظ ، ولم يحتج إلى مراجعة الكتب إذْ هو في أمان من النقض، والشعب مَيِّتٌ، والخاصة نفعيُّوْن، وإلا فلو احتجوا لدى السلطان لَعَدَّلَ الأَمْرَ، لأنه يكره الجور ، أما الآن فإن المجلس يفعل مايشاء بدون رقيب، فبعد أن ينشق الخصوم انشاق الخردل يَصُكُّهُم بتلك الأحكام المضحكة المبكية، صَكَّ الجَنْدَل، ولله دَرُّ الْعَبْسِـيِّ في قوله:

إنَّ الْـمُحَكَّمَ مَالَمْ يَرْتَقِبْ حَسَبًا ... اَوْ يَرْهَبِ السَّيْفَ أَوْحَدُّ الْقَنَا جَنَفَا

ودفاتر التسجيل شاهدة بصدق ما أقول، فلينظرها من له أنس بالفقه، وفي الحفظ عن «جمع الجوامع» أنه لم يقع أن قيل لنبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم: احكم بما شئْتَ ففيه الصواب، وإنما الاختلاف في الجواز ، غير أن الحفظ يخون، والعهد بعيد، ولكن المجلس العالي بالُمكَلاَّ وقع من السلطان على مالم تحصل عليه الأنبياء من ربها، وسيأتي في الظاهرة من أرض الكسر مايستخرج العجب العجاب، ويستلفت أنظار طالبي الحقيقة في هذا الباب.

وسكان المُكَلاَّ اليوم يزيدون عن خمسة وعشرين ألفاً، وفيها عدة مساجد، أشهرها الجامع القديم، ومسجد الروضة بناه صاحب الأحوال الغريبة السيد عمر المشهور ببو علامة بن علي بن شيخ بن أحمد بن علي بن الشيخ أبي بكر بن سالم المتوفى في شبام سنة ١٢٧٨، وجامع السلطان عمر ، وهو أنزه مسجد رأيت، ومسجد النور ، ومسجد باحليوة، ومسجد السلطان غالب بن عوض وغيرها، وبها كانت وفاة العلامة الجليل الصادع بالحق، الناطق بالصدق، السيد شيخان ابن علي بن هاشم السقاف العلوي، وكان رباؤه بالغرفة، ثم تنقل في القرى، ثم سار إلى جاوا ، ثم إلى الرهط ولحج ، وكان له جاه عند سلاطينها عظيم ، ثم عاد

إلى الشِّحْر ، وجرت بينه وبين السيد عبدالله عديد أمور ، ثم سار إلى المكلا وبها توفي سنة ١٣١٣ ، وترك أولاداً أحدهم محمد بلحج ، والثاني جعفر بسربايا من أرض جاوا ، والثالث عبدالله توفي، والرابع وهو أكبرهم علوي بالمكلا، وله أولاد فتحوا بها مدرسة أهلية منذ عشر سنوات، والخامس عمر ، وهو أصغرهم بالمكلا أيضاً .

ولئن قلَّ العلم بالمكلا في الأزمنة السابقة فقد كانت مَلآى بفحول الرجال، ولقد أخبرني الثقة أن وسط البقعة المسماة بالحارة منها كان مزداناً في حدود سنة ١٣٢٨ برجال لم تعوض عنهم، كالسيد حسين بن حامد، وأخيه عبدالرحمن، وسعيد وأحمد وعوض آل بُوْ سبعة، وعلي بامختار وأولاده، وآل زياد من يافع، وسعيد باعامر ، وعوض بن ثعلب السابق ذكرهما ، وعمر وأحمد آل معلم من شبام، وعبدالرحمن لَعْجَم ، وعقيل بَلْرَبِيعة منها أيضاً، وبوبكر وعبدالصمد وعبدالكريم آل بَفْلَح، وسالم وعمر وعوض عمر آل قديمان(؟) والشيخ عمر بن عبدالله عباد ، والشيخ حسن بن عبدالرحمن عباد، وأحمد محمد وسعيد آل مسلم، وعمر الجرو ، وولداه عبدالله وعلي، وسالم وسعيد آل بشير ، والشيخ عبدالله بارحيم، وآل غَزِّيْ وآل غريب وغيرهم، هاؤلاء كلهم من نقطة صغيرة من الحارة، دع ماسواها، كانت العيون بقربهم تَقِر والنفوس بجوارهم تستبشر ، فتواتر نعيهم، واشتدت الواعية بهم:

فَلَوْ قِيْلَ هَاتُوا فِيْكُمُ الْيَوْمَ مِثْلَهُمْ ... لَعَـزَّ عَلَيْكُمْ أن تَجِيْئُوا بِـوَاحِـدِ

وفي غربي المكلا قرية يقال لها شرح باسالم، وفي شمالها بستان مسور يسمى القرية، وذالك أن كثيراً من الأيتام نجعوا من المنطقة الكثيرية بحضرموت، في أيام المجاعة التي ابتدأت في سنة ١١٦٠ إلى المُكَلَّا ، فأدركهم عطف السلطان، وتصدق عليهم بذالك البستان، وَبَنَوْا لهم فيه بنايات تؤويهم، فأنقذوهم من المجاعة وعلموهم من الجهالة، وقد نيَّفَ عددهم على المئتين والخمسين، ولكن كل من اشتد ساعده وعرف أهله رجع إليهم، والباقون بها اليوم، يزيدون على المئة، في عيش رغيد، وتعليم نافع، وحال مشكور .

وفي شمالها البقرينُ(؟) والديس ثم الخربة والحرشيات، وثلة عضد، وهذه هي ضواحي المكلا ومخترفات أهاليها، وفي شرقي المكلا على الساحل روكب، وفيها جامع ثم بويس تبعد عن الساحل وفيها عيون ماء جارية ومزارع.

شحيـــــر :

كانت بلدة لابأس بها، ولكنها خربت من سابق الزمان، ولهذا قلَّ ذكرها ويقال: إن البرتغال جاؤوا إليها فهزمهم أهلها، وقتل منهم في هذه الوقعة خلق كثير، فخافوا أن يعودُوا إليها بتجهيز أقوى فهجروها، ولم يبق بها إلَّا العوابثة وعندما تولى بدر بو طريرق على الشِّحْر استرضَى قبائلها على خُمْسِ الْوَزِيْفِ الذي يأتي به الصيادون، واشترط عليهم أَنْ يقاتلوا معه، فرضوا بذالك، وكان يقال للشيخ عبدالرحمن الملقب بالعكضة بن أحمد بن عبدالرحيم مولى الدعامة باوزير صاحب شحير، ولايبعد أن يكون هو أول من اخْتَطَّها، فإن البرتغاليين الذين حاربوا أهلها إنما كانوا أثناء القرن العاشر، وقد توفي جده عبدالرحيم سنة ٧٤٧ فالأمر مُحْتَمِلٌ جِدًّا، وفي حدود سنة ١٢٥٥ استولى علي ناجي على شحير، وولى عليها رجلاً من آل البطاطي كان معه، ولاتزال أطلال حصنه قائمةً إلى الآن، وبقيت تحت أيدي آل بريك، حتى انتهت دولتهم بالكثيري، ثم استولى عليها عوض بن عمر بعد أن اشترط عليه قبائلها الإعفاء من الضرائب، وإبقاء عوائدهم، وسكانها نحو الألف نسمة.

(للبحث صلة)

الحواشــي :

(١) القطب ـ بمدلول الصوفية ـ يقصد به الذي يتصرف بأمور لا يقدر على التصرف بها سوى الله سبحانه وتعالى وهي صفة لاتليق بمخلوق.

(٢) التعبيد لغير الله لا يجوز إذ الخلق كلهم عباد الله، والعبادة حقٌّ خالص له لا يجوز أن يشرك معه مخلوق كما قال جل ذكره: ﴿ وَاعْبُدُوْا الله ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾.

(٣) هو حزب ألفه بعض من غادروا الحجاز عند استيلاء الدولة السعودية سنة ١٣٤٣هـ، وقد حظى أولئك ـ بعد أن عادوا ـ برعاية الملك عبدالعزيز رحمه الله بتعيينهم في وظائف عالية في الدولة، ومنهم السيد محمد طاهر الدباغ، وعبدالحميد الخطيب، وعبدالرؤوف الصبان، ومحمد صادق.

(٤) لعله يقصد (الصوفية) المتمشية على النهج الصحيح، وهو طريق المصطفى عليه الصلاة والسلام وأصحابه والسلف الصالح من أمته.

قضايا لغوية

ظهرت مصنفاتٌ تحمل عنواناتٍ تدور حول الأخطاءِ اللغوية والنحوية، وقد جنح مؤلفوها لتخطئة ماهو صواب، كما أنه نُشرت كتبٌ مفيدة، وفيها جهد طيب، ولكنها لا تخلو من الأخطاء اللغوية والنحوية. وأنا أتوقع أن ذلك يعود لأخطاء الطبع، أو إلى طغيان القلم وزلته (أما الكتب غير المفيدة ـ وما أكثرها ! ـ فلا شأن لنا بها) فرأيت من الخدمة للغة العربية والنصح لها أَنْ أُنَوِّهَ بصحة تلك الأساليب التي حُكِمَ عليها بالخطإ، لأن تخطئةَ الصواب تماثل في الضرر عَدَّ الخطإ صواباً إنْ لم تكن أكثر ضرراً منه، وأن أُشِيْرَ لبيان الوجه الصحيح من خطإ الطبع، وزلة القلم.

وهدف هذا اللون من البحث اللغوي والنحوي التي وَاكَبَتْ نشأَةَ النحو نتيجة فُشُوِّ اللحن هو الحِفاظ على اللغة العربية، لغة (القرآن الكريم) المنزل على صفوة الخلق محمد ﷺ بلسانٍ عربي مبين.

والحق ـ سبحانه وتعالى ـ أَخَذَ على نفسه أن يحفظ كتابه من الضياع، فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ ﴾ (الحجر : ٩)، وبِحِفْظِهِ تُحْفَظُ العربية.

وسأتناول في هذه الأسطر القليلة ما يلي: إعراب كلمة (وَحْدَه)، وضبطَ الكلمات الآتية: باء (بِلَّة)، وظاء (منظَر) ولام (تدلِف). وحكم الأسلوبين الآتيين: (نفس الشيء) و(كان البعض منهم) من حيث الخطأ والصواب.

إعراب كلمة (وَحْدَهُ):

كلمة (وَحْدَهُ) منصوبةٌ أَبَداً ، إلاَّ في ثلاثة مواضع، وهي: نَسِيْجُ وَحْدِهِ، وعُيَيْرُ وَحْدِهِ، وجُحَيْشُ وَحْدِهِ.

وتكون الحال نكرةً غالباً ، ومعرفة مؤولة بنكرة، فأما كلمة (وَحْدَه) فلا تتعرف بالإضافة، كـ (غير) و (مثل)، فيكون معناها: مُتَوَحِّداً أَوْ مُنْفَرِداً .

فـ (وَحْدَهُ) في نحو: (جاء محمدٌ وحدَه) حالٌ منصوبٌ.

وبالعودة إلى كتاب الله ـ تعالى ـ نجدُ كلمة (وحدَه) فيه منصوبة في الأحوال الثلاثة. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَه ﴾ (الأعراف: ٧٠). وقال ـ جل ذكرُه ـ: ﴿ وإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ ﴾ (الإسراء: ٤٦)، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ ﴾ (غافر: ١٢).

● و (نَسِيْج وحدِه) أسلوب في المدح، وأصله: أنَّ الثوب إذَا كان رفيعاً فلا ينسج على منواله معه غيره، فكأنه قال: نسيج أفراده، يقال للرجل إذا أفرد بالفضل.

● و (عُيَيْرُ وَحْدِه) و (جُحَيْشُ وَحْدِهِ) تصغير: (عُيَيْر) و (جُحَيْش). و (عَيْر) بفتح العين، هو الحمار الوحشي، أو الأهلي. ولا يصح كسرُ العين هنا؛ لِأَنَّ (العِير) بالكسر، هي: الإبل التي تحمِل الـمِيْرَة. أو هي القافلة. كما في «القاموس المحيط». فيتغير المعنى بتغير الحركة. وكل ماجاء في التنزيل هو بكسر العين على المعنى الثاني، وفي سورة يوسف فقط. قال ـ سبحانه ـ: ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ (آية: ٧٠)، ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيْها وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيْهَا ﴾ (آية: ٨٢)، ﴿ وَلَـمَّا فَصَلَتِ الْعِيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّيْ لَأَجِدُ رِيْحَ يُوسُفَ ﴾ (آية: ٩٤).

● و (جُحَيْشُ وَحْدِه) هو ولد الحمار، وهو أسلوب في الذم، يقال للرجل المعجب برأيه الذي لا يخالط أحداً في رأيٍ، ولا يدخل في معونة أحد.

● المراجع: «الكتاب» لسيبويه (١ : ٣٧٧) طـ هارون، و«الفاخر» للمفضل ابن سلمة (ص : ٤٠) و«شرح المفصل» لابن يعيش (٢ : ٦٣) و«التصريح» للشيخ خالد الأزهري (١ : ٣٧٣).

ضبط باء (بِلَّة):

(زادَ الطيبَ بَلَّة) صوابُه: (زادَ الطينَ بِلَّة) (بكسر الباء)؛ لِأَنَّ الفعل (بَلَّ) مصدره: بَلًّا، وبِلَّةً. من بَلَّ الطينَ يَبُلُّهُ: بِلَّةً، وبَلًّا. والبِلَّةُ بالكسر: النداوة.

وأما فتح باء (البَلّة) فمسموع ولكن لمعنى آخر غير ما نحن بصدده.

قالت العرب: (جاءنا فلانٌ فلم يأتِنا بِهَلَّةٍ ولا بَلَّةٍ)، فالهَلَّة من الفرح والاستهلال، والبَلَّةُ من البلل والخير.

وقالت العرب أيضاً: ما أصابَ هلَّةً ولا بَلَّةً، أي: شيئاً.

● المراجع: «الصحاح» (بلل ٤ : ١٦٣٨) و«معجم الأخطاء الشائعة» (ص: ٤٢).

ضبط ظاء (منظَر):

(لا تطيق الناس مَنْظِرَ التَّوابِيتِ) صوابُه: (مَنْظَرَ)، لأنه مصدر ميمي، وهو يصاغ على وزن، (مَفْعَل) بفتح الميم والعين وسكون الفاء، إن لم يكن مثالاً صحيح اللام، نحو: مَنْصَر، ومَضْرَب.

● انظر «شذا العرف» (ص: ٧٦).

ضبط لام (تَدْلِف):

(فهاهي الأمة تَدْلُفُ..) صوابُه: (تَدْلِفُ) بكسر اللام. قال علماء اللغة: دَلَفَ يَدْلِفُ: دَلْفاً، ودُلُوفاً، ودَلَفَاناً، ودَلِيفاً: مَشى رُوَيْداً، وقاربَ الخَطْوَ. يقال: دَلَفَ الشيخُ، ودلف الحامل بِحِمْله ـ وإليه: أقبل عليه.

وقد استعملت العرب هذه الكلمة ثلاثية، ورباعية، وخماسية.

فقالوا: دَلَفَ، وأَدْلَفَ، وانْدَلَفَ، وتَدَلَّفَ.

● المراجع: «لسان العرب» (٩ : ١٠٦) و«المعجم الوسيط» (١ : ٢٩٣).

● **حكم الأسلوب: (نفس الشيء) و (نفس المحل):**

يُنَبِّه بعضُ الباحثين على أن هذا الاستعمال خطأ، وأن الصواب أن يتقدم المؤكَّدَ على لفظ المؤكِّدِ، فيقال: (الشيء نفسه) و(المحل نفسه). اهـ. أجل. ورد في «معجم الأخطاء الشائعة» (ص: ٣٥٢) مايلي: يقولون: (جاء نفسُ الرجلِ)،

والصواب: (جاء الرجلُ نفسُه) لأن كلمتي (نفس) و(عَيْـن) إذا كانتا للتوكيد وَجَبَ أن يسبقهما المؤكَّدُ، وأن تكونا مِثْلَهُ في الضبط الإعرابيِّ، وأن تضافَ كلُّ واحدة منهما إلى ضمير مذكورٍ حتماً، يُطَابق هذا المؤكِّدِ في التذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع.

كما ورد في كتاب «الكتابة الصحيحة» (ص: ٣٦٩): (سأفعل نفس الشيء) خطأ، و(سأفعل الشيءَ نفسَه) صواب.

● أقول ـ وبالله التوفيق ـ: كلمة (نفس) إذا أردنا أن يكون إعرابها توكيداً فتؤخر عن المؤكَّد وجوباً، ولا يمتنع تقديمها إن أُعْرِبَتْ بحسب موقعها الإعرابي.

وبالرجوع إلى «الكتاب» لسيبويه (٢ : ٣٧٩) نقرأ فيه النص التالي: (ولما كانت نفسُك يُتَكَلَّمُ بها مبتدأةً، وتُحْمَلُ على ما يُجَرُّ ويُنْصَبُ ويُرْفَعُ، شبهوها بما يشرك الـمُضْمَرَ، وذلك قولك: (نزلتُ بنفسِ الجبلِ)، و(نفسُ الجبل مقابلي) ونحو ذالك).

ونقرأ في «لسان العرب» (نفس ٦ : ٢٣٦) ما يلي: (ونفس الشيء: ذاته، ومنه ما حكاه سيبويه من قولهم: (نزلت بنفس الجبل) و(نفس الجبل مقابلي)..)

ونقرأ في «شرح الأشموني»:

وإنْ تُؤَكِّـدِ الضَّمِيْرَ الـمُتَّصِـل ... بالنَّفْسِ والْعَيْنِ فَبَعْدَ الـمُنْفَصِل

نحو: (قم أنت نفسُك) أو (عَيْنُك) و(قوموا أنتم أنفسُكم) أو (أعينكم) وعَلَّقَ الصبان في «حاشيته على شرح الأشموني» (٣: ٧٩) على قول ابن مالك المتقدم بقوله: (بالنفس والعين): إنما اختص هذا الحكم بهما لقوة استقلالهما، فإنهما يستعملان في (غير المؤكَّد) كثيراً، نحو: (علمت مافي نفسك) و(عينُ زيد حسنةٌ)، بخلاف بقية ألفاظ التوكيد، فلم يكن لها من قوة الاستقلال ما لـ(النفس) و(العين)...).

واستناداً على النصوص المتقدمة أقطعُ بصحة العبَارَتَيْنِ أُسْلوباً، وليستا من قبيل الخطإ الشائع. والله الملهم للصواب.

● **حكم الاسلوب: (وكان البعضُ منهم):**

يؤكِّد بعضُ الباحثين على أن هذا الأسلوب خطأ ، وأن الصواب (وكان بعضهم)، لأن الألف واللام زائدتان، ولا مسوِّغ لهما هنا.

أقول ـ وبالله التوفيق ـ: استعمل سيبويه والأخفش، والزجاجي وابنُ المقفع، وغالب النحويين (بعضاً) و(كلًّا) بالألف واللام.

قال الأزهريُّ: النحويون أجازوا الألف واللام في (بعض) و(كل)، وإن أَبَاهُ الأصمعي كما في «لسان العرب» (بعض ١١٩/٧).

وأجاز الجوهريُّ دخول (أل) عليهما، كما في «الصحاح» (كل ٥ : ١٨١٢)، وَوَافَقَهُ على ذلك، ابنُ منظور في «لسان العرب» (كلل ١١ : ٥٩١).

وإذا أنعمنا النظر في كتب النحو واللغة وجدنا هذا الاستعمال دارجاً، يقولون: بدل الكل من الكلِّ، وبدل البعض من الكل.

قال الخضريُّ في «حاشيته على شرح ابن عقيل» في (باب البدل) (٢ : ٦٩): (وإدخال (أَلْ) على (كل) و(بعض) خطأ ؛ لملازمتهما الإضافة لفظاً أو نية ، كـ (قبل) و (بعض) و (أي)، لكن جوَّزه بعضهم لعدم ملاحظة إضافة أصلًا).

وعن (كل) و (بعض) من ناحية تعريفهما أو تنكيرهما إذا انقطعا عن الإضافة، بأن حُذف المضاف إليه، جاء في «التصريح» (٢ : ٣٥): (ذهب سيبويه والجمهور إلى أنهما مَعْرِفتان بنية الإضافة، ولذلك يأتي الحال منهما، فتقول: (مررت بكلٍّ قائماً) و(ببعضٍ جالساً)، والأصل في صاحب الحال التعريفُ.

وذهب الفارسيُّ إلى أنهما نكرتان، وألزم من قال بتعريفهما أن يقول: إن نصفاً، وسدساً، وثلثاً، وربعاً، ونحوها... معارف ؛ لأنها في المعنى مضافات، وهي إذ تعرب حالاً نكرات بالإجماع ؛ لوقوعها أحوالاً.

ورُدَّ بأنَّ العرب تحذف المضاف إليه وتريده، وأحياناً لا تريده، ودلَّ مجيء الحال بعد (كلّ) و (بعض) على إرادته) اهـ.

وعقَّبَ الأستاذ عباس حسن في «النحو الوافي» (٣ : ٧٢) على النصِّ المتقدم بقوله: وبناء على رأي سيبويه والجمهور لا يصح إدخال (أل) التي للتعريف على (كل) و (بعض) المعرَّفَتَيْنِ في تلك الصورة.

ويصح عند الفارسي ومن مَعَهُ. وفي رأيه تيسير، وله أنصار من قدامى النحاة واللغويين.

وفي «معجم الخطأ والصواب في اللغة» (ص: ٩٣): : قد ورد (بعض) مقترنة بـ(أل) في قول مجنون ليلى:

لا يذكر البعض من ديني فينكره ولا يحدثني أن سوف يقضيني

كذلك وردت كلمة (كل) معرفة بـ(ألْ) في قول سحيم:

رأيتُ الغنيَّ والفقيرَ كليهما إلى الموتِ يأتي الموتُ للكلِّ معمداً

وفي «المصباح المنير» (بعض ٥٤)، و«لسان العرب» (بعض ٧: ١١٩): كان ابنُ المقفع يقول: (العلم كثيرٌ، ولكن أَخْذُ البعض خيرٌ من ترك الكلِّ).

وفي «تهذيب الأسماء واللغات» (٢ : ٦٥) (القسم الثاني): قال الإمام أبو نزار الحسن بن أبي الحسن النحوي في كتابه «المسائل السفرية»: مَنَعَ قوم دخولَ الألف واللام على (غير) و(كل) و(بعض)، وقالوا: هذه كما لا تتعرف بالإضافة لا تتعرف بالألف واللام.

قال: وعندي أنه تدخل اللام على (غير) و(كل) و(بعض)، فيقال: فعل الغير ذلك، والكلُّ خير من البعض، وهذا لأن الألف واللام هنا ليستا للتعريف، ولكنها المعاقبة للإضافة، نحو قول الشاعر (هو: منظور بن مرثد الأسدي):

كَأَنَّ بينَ فَكِّهَا والْفَكِّ فَأْرَةَ مِسْكٍ ذُبِحَتْ في سَكِّ

إنما هو كأن بين فكّها وفكّها.

ثم أن (الغير) يحمل على الضد، و(الكلّ) يحمل على الجملة، و(البعض) يحمل على الجزء، فصلح دخول الألف واللام أيضاً من هذا الوجه) اهـ. ←

شِعْرُ الأَحْوَصِ الأَنْصَارِيِّ

لِتَوَسُّمِ مواقع المواضع المذكورة فيه

- ٢ -

١ ــ الأبـــرق: (٢٠٦)

شَـأَتْـكَ الْـمَنَـازِل بِـالْأَبْـرَقِ دَوَارِسَ كَـالْعَـيْنِ فِـي الْـمُهْـرَق

(... الأَبْرَق: البُرْقَةُ ـ وقد مضى شرحها: ق ١ ـ ٦ ـ ويُضاف إلى أماكن كثيرة، ولكنه بغير إضافة من منازل بني عمرو بن ربيعة). ←

→ يعني أنها تعرف على طريق حمل النظير على النظير، فإن الغير نظير الضد، والكلّ نظير الجملة، والبعض نظير الجزء، وحمل النظير على النظير سائغ شائع في لسان العرب، كحمل الضدّ على الضدّ، كما لا يخفى على من تتبّع كلامهم. وقد نصَّ الزمخشريُّ على وقوع هذين الحملين، وشيوعهما في لسانهم، كما في «رد المحتار» (٢ : ٢٣٥).

وتَحَصَّلَ أن في مسألة دخول (أَلْ) على (بعض) و(كل) رأيين: رأيٌ يمنع دخولها عليهما، ورأي يجيز ذالك.

ومادام في الأسلوب رأيان فلا يحسن أن نَدْعُوَ إلى الرأي المتشدد والمخطِّيء، ونهملَ الرأيَ الآخر الذي فيه التصويب والتسهيل. وبخاصة نحن في عصرٍ كثرت فيه النداءات إلى تيسير اللغة وتسهيلها، ونبذ الخلافات.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

د. محمود فجال
استاذ مشارك في قسم اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الاحساء

→ القول بأن الأبرقَ من منازل بني عمرو بن ربيعة لياقوت في «معجم البلدان» ونقله صاحب «التاج» وأرى صواب اسم القبيلة (عمرو بن عامر بن ربيعة) وربيعة بن عامر بن صعصعة، ومن هاؤلاء الْعَمْرِيُّ من عَمْرِو بْنِ عامِرٍ، رَوَى عنه الهجريُّ «التعليقات والنوادر» ـ المخطوطة المصرية ـ ١٠ ـ وبلاد هاؤلاء في جنوب نجد، ولا صلة للشاعر الأحوص بها، ولاشك أنه أراد أحد الأبارق التي في بلاده في نواحي المدينة.

٢ ــ ذو الأثل: (١٥٣/١٦٦/٢٤٦)

أول ما يتبادر إلى الذهن عند قراءة الأبيات الثلاثة التي ورد فيها ذكر (الأثل) أنَّ الشاعر قصد الشجر المعروف، أو أراد مكاناً ينبت فيه هذا النوع من الشجر من الأمكنة الكثيرة فقوله:

تِلْكَ بَيْنَ الرِّيَاضِ وَالْأَثْلِ وَالْبَانَا ... تِ مِنَّا وَمِنْ سَلاَمَةَ نَارُ

واضح أنه لا يقصد مكاناً بعينه.

أما قوله: ـ في البيت الذي قبله ـ:

ضَوْءُ نَارٍ بَدَا لِعَيْنَيْكَ أَمْ شَبَّـ ... ـتْ بِذِي الْأَثْلِ مَنْ سَلاَمَةَ نَارُ؟

فقد عَرَّف المكان الذي شُبَّتْ فيه نار سلامة بـ(ذي الأثل).

وكذا قوله:

فَالْآنَ لما حَلَّ(؟) ذُو الْأَثْلِ دُونَهَا ... نَدِمْتَ وَلَمْ تَنْدَمْ هُنَالِكَ مَنْدَمَا

فهل (ذُو الأثل) في البيتين وَصْفٌ أَوْ عَلَمٌ ؟! لو كان الشاعر يتحدث عن واحدة من صويحباته بالأبيات الثلاثة لأمكن القول بأنه أراد موضعاً بعينه، ولكنه في حديثه عن اثنتين، سلامة ـ التي صرح باسمها في البيتين الأولين، ولعلها سلامة القس المغنية المدنيَّة التي تحدث عن صلة الشاعر بها محقق الديوان في المقدمة ـ ٤٦ ـ والثانية مَيٌّ التي وردت في مطلع القصيدة الميمية ـ ٢٤٥ ـ:

أَمَنْزِلَتَيْ مَيٍّ عَلَى الْقِدَمِ اسْلَمَا فَقَدْ هِجْتُمَا لِلشَّوْقِ قَلْباً مُتَيَّمَا

فالأولى حجازية مدنية، والأخرى عراقية:

عِرَاقِيَّةٌ شَطَّتْ وَأَصْبَحَ نَفْعُهَا رَجَاءً وَظَنًّا بِالْمَغِيْبِ مُرَجَّمَا

أَخْلُصُ من هذا لأَصِلَ إلى القول بأن الشاعر لم يقصد مكاناً بعينه - لكي نحاول تحديده كما فعل المحقق الكريم بإيراد تحديدين لموضعين أحدهما في شرق الجزيرة، والآخر في غربها، فقال عن ذي الأثل المقرون بذكر سلامة المدنية الحجازية: ذو الأثل في بلاد تيم الله بن ثعلبة كانت لهم بها وقعة بني أسد - ١٥٣ - [صواب الجملة: ذات الأثل - الخ كما في «معجم البلدان»].

وبصرف النظر عن مدى انطباق ماذكر على الموضع الوارد في الشعر ، فأية صلة لسلامة ببلاد تيم الله المتصلة ببلاد بني أسد وتلك في أسافل الجزيرة حيث تتصل بسواد العراق ؟

وعرَّف المحقق الفاضل ذَا الأُثْل الذي (حال) لا حَلَّ - دون صاحبة الشاعر الأخرى ميٍّ بأنه موضع بِودَّان، وهو واد قريب من مكة - ٢٤٦ - مع أن الشاعر وصفها بأنها (عراقية) نأت (وأتى خوف الطواعين دونها) ولعله يشير بهذا إلى وقوع (الجزيرة الفراتية) المضروب بها المثل بكثرة الطواعين - انظر (طواعين الجزيرة) في كتاب «ثمار القلوب» - وإن لم يتفق هذا مع تفسير المحقق للبيت. فكيف يحول موضع يقع غرب مكان الشاعر دون صاحبته التي تحل العراق شرقه ؟ ثم مادامت هذه المحبوبة (عراقية) فكيف يستقيم هذا مع قوله - قبل ذالك - ١٤٥ -:

فَــإِنِّي إِذَا حَلَّتْ بِبَيْشٍ مُقِيْمَةً وَحَـلَّ بِـوَجٍّ سَـالِمـاً أَوْ تَتَهَّـمَا

(لعل الصواب: فأنَّى) إذْ (بيش) في أقصى الجنوب، والعراق في الشمال، وبيش بالنسبة للمُتْهِمِ قريبٌ، فهو من أودية تهامة سيأتي تحديد موقعه.

لم يكن لتداعي هذه الخواطر في تفكيري سوى التأكيد بأن مجرد الاعتماد في فهم النصوص من أشعار القدماء وأَخْبارهم على مافي «المعاجم» قد يفضي بالباحث إلى

متاهات في الرأي، وما أرى الشاعر بذكر (ذي الأثل) عنَى موضعاً مُحَدَّدًا، ولكنه اسم عرض له، أو تخيله، وليس بدعاً في ذالك بين شعراء عصره، فعمارة بن عقيل - حفيد الشاعر جرير - حين سمع مَنْ يفسر قول جده:

أمَّـا لِقَلْبِكَ لاَيَـزَالُ مُـوَكَّـلاً بِهَـوَى جُمَانَـة أَوْ بِـرَيَّـا الْعَـاقِـرِ

بأنَّ جُمانة وريَّا العاقر امرأتاه - ضحك وقال: ما هما والله إلاَّ رملتانِ عن يمين بيت جرير وشماله - «معجم البلدان»: جمانة - فكأن عمارةَ بقوله هذا يلمح إلى أن الشاعر قد يذكر في شعره اسمَ موضع لا أهمية له، فيتمحَّلُ شارحو ذالك الشعر ويبالغون في محاولة معرفة ذالك الموضع، وكأنَّ الشاعر المتنبي عناهم بقوله:

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُوْ بِلِحْيَةِ أَحْمَقٍ أَرَاهُ غُبَارِي ثُـمَّ قَالَ لَهُ الْحَقِ!!

٣ ــ أَرْثَـدُ: (٢٣٥)

أَيَا صَاحِبَ النَّخْلاَتِ مِنْ بَطْنِ أَرْثَدِ إِلَى النَّخْلِ مِنْ وَدَّانَ مَافَعَلَتْ نُعْمُ؟

(... أرثد: واد بين مكة والمدينة، في دار الأبواء. وودَّان: قرية جامعة بين مكة والمدينة من نواحي الفُرْع، بينها وبَيْنَ هَرْشَا ستة أميال، وبينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال).

١ ــ (دار الأبواء): الصواب: (وادي الأبواء) كما في «معجم البلدان».

٢ ــ حقًّا الأبواء بين مكة والمدينة، ولكن ما أوسع مابينهما، والأبواء واد طويل، يتكون من فَرْعَيْنِ طويلين، هما وادي الفُرُع (وادي النخل) ووادي القاحَة، فإذا اجتمعا سُمِّي مجراهما وادي الأبواء، ويعرف الآن باسم (وادي الخريبة) يمتد نحو سبعين كيلاً غرباً صوب البحر على مقربة من قرية مستورة.

٣ ــ قرية ودَّان درستْ، ولكنها كانت واقعة في أسفل وادي الأبواء (الخريبة) قبل أن ينحسر عن سلسلة الجبال نحو مستورة بما يقارب عشرة أكيال.

٤ ــ أَرْثَدُ: يقع في أسفل وادي الأَبْواءِ، بحيثُ أنَّ بعض المتقدمين كالحازمي في كتابِ «البلدان» قال: هو وادي الأبواء - «العرب» س ١٤/ ٥٣١ - إذْ أَرْثَدُ من

فروع الأبواء المنحدرة من جبل ثافل (جبل صبح) وكثيراً مايسمى الوادي بأحد فروعه، بل قد يطلق على الوادي أسماء متعددة بأسماء فروعه، كوادي الأبواء، فرعه الأيمن يدعى وادي الفرع، والأيسر يدعى القاحة، وأسفله يدعى وادي ودّان. وفي شعر نبيه بن الحجاج يرثي العاصي بن وائل وكان دفن بالأبواء:

يَــارُبَّ زِقٍّ كَــالْـحِمَــارِ وَجَفْنَـةٍ   دُفِنَتْ خِلَافَ الركْب مَدْفَعَ أَرْثَد

ـ «معجم ما استعجم» إذنْ فوادي أرثد هو أسفل وادي الأبواء حيث يدفع من جبل ثافل في أسفل الوادي عند قرية الأبواء الواقعة في أسفل الوادي، وأوضح مايحدد مكان أرثد قبر السيدة آمنة بنت وهب أم المصطفى عليه الصلاة والسلام الذي لايزال معروفاً في سفح الجبل، وأرثد، هو يرثد ـ مثل الملم ويلملم. وأثقب ويثقب. قال عَرَّامٌ: وفي ثافِل آبار في بطن واد يقال له يَرْثد ـ «نوادر المخطوطات» ـ ٢/ ٤٠١ ـ وثافل سلسلة من الجبال تحف بوادي الأبواء غرباً (بين خطي الطول ٥٥َ/٣٨° و ١٠َ/٣٩° وخطي العرض: ٥َ/٢٣° و ٤٢َ/٢٣°) والطرف الجنوبي من هذه السلسلة كان يعرف بثافل الأصغر، ويدعى الآن جبل بني أيوب (بنيوب) والطرف الشمالي هو ثافل الأكبر ـ ومنه يسيل يرثد ـ ويدعى جبل صبح.

٥ ـ الأسماء التي لا يدرك العامة معناها أو يصعب عليهم نطقها يغيّرونها إلى أسماء حديثة ومنها أرثد (يرثد) فليس معروفاً، على حدّ علمي، فقد حاولت معرفته حين قمت برحلة إلى المدينة مُتَرَسِّماً طريق الهجرة ـ «العرب» ـ السنة الأولى ـ وفروع الأبواء المنحدرة من جبل ثافل (جبل صبح) متعددة، ولكنها محددة من حيث الموقع.

٤ ـ أسْقُــفُ: (١٦٩)

لِغَــانِيَـةَ تَحِــلُّ هِضَــاب خَــاخٍ   فَــأسْقُفَ فَالـدَّوَافِـع مِنْ حَصِـيْرِ

(... أسقف: موضع بالبادية... وحَصير: مضى ذكره ـ ق ٦٣ هامش: ٧ ـ أما حضير ـ وهي رواية «وفاء الوفاء» فقاع فيه آبار ومزارع يفيض عليها سيل النقيع ثم ينتهي إلى مُزْجٍ، خضير: و«معجم البلدان» (خاخ) خطأ).

هما ملاحظتان هنا أولاهما: عدم جَدْوى قول (موضع بالبادية) وخاصَّة مادام الموضع قد ورد تحديده عن المتقدمين ـ كالبكري في «معجم ما استعجم» والسمهودي في «وفاء الوفاء» وأصل التحديد من كلام الهجري كما يفهم من كلام السمهودي، فَسَيْلُ وادي العقيق يفضي من حضير إلى غدير يقال له الـمُزْج، في شق بين جبلين يَمُرُّ به سيل الوادي فيحفره لضيق مسلكه، وهذا الجبل المنفلق الذي يَمُرُّ به السيل يقال له أُسْقف ـ انظر «أبو علي الهجري» ـ ٢٩١/٢٩٢ ـ.

والملاحظة الثانية: مادام صاحب «وفاء الوفاء» عَرَّفَ حَضِيْرا ـ بالضاد المعجمة ـ التعريف المتقدم، كما عرَّف الهجريُّ أُسْقُفَ بأَنَّ سَيْل وادي الْعَقِيق يُفْضِـي إليه من حَضِيْرٍ فقد وَضَحَ مَوْقِعُ أسْقُفَ، واتَّضح أنَّ صواب الاسم في شعر الأحوص حَضِير ـ بالضاد المعجمة ـ كما في «وفاء الوفاء» ١٠٤٠/١١٩٢ ـ ومؤلف «وفاء الوفاء» أورد الاسم عن معرفةٍ، فبعدَ أنْ نقل قول الهجري: العقيقُ يبتدئُ أوله من حَضِير. وقوله: إنَّ حضيراً آخر النقيع وأول العقيق، أضاف السمهوديُّ ـ مؤلف «وفاء الوفاء»: حِضِير مزارع معروفة بقرب النقيع، على أزيد من يوم من المدينة. إذَنْ الموضع كان معروفاً في عهد السمهودي ـ القرن التاسع ـ وأنه بالضاد، بَلْ قَدْ نَصَّ المتقدمون كنصر والحازمي على ذالك مع ذكر التفريق بين حضير وحصير، ففي كتاب «البلدان» للحازمي: (بَابُ حَصِير وحَضِير: أمَّا الأول ـ بفتح الحاءِ وكسر الصاد المهملة، وآخره راء ـ: حِصْنٌ بِالْيَمَن وأيضاً جبل في بلاد غَطَفان، وأما الثاني ـ بالضاد المعجمة والباقي نحو الأول ـ: قاع فيه آبارٌ يفيض عليها سيل النَّقِيع، وبين النَّقِيع وبَيْنَ الْـمَدِيْنَة عشرونَ فَرْسَخاً) ومِثْلُ كَلَام الحازِمِيِّ في كتاب نصر بن عبدالرحمن الاسكندري، وهو أصله ـ أنظر «العرب» س ٢٤ / ٦٩٩ ـ وللبكري في «معجم ما استعجم» ـ رسم النقيع ـ وَصْفٌ لحضير هذا فيه تفصيل، ولكن الاسم ورد عنده بالصاد المهملة مصحفاً، كما ورد (أَسْقُف): (سقف) خطأ، وما أكثر التصحيف عند البكري! ـ وقد نبَّه الدكتور السامرائي عند ذكر بيت الأحوص على أن الصواب حضِير؛ بالضاد المعجمة ـ وعلى خطإ صاحب «معجم ما استعجم» وعوَّل على ماورد في «وفاء الوفاء» و«معجم البلدان» ويقع حضير بقرب خط الطول: ٣٠َ/٣٩° وخط العرض

٠٠/٢٤° ـ في سفح جبل وَرِقان شرْقاً .

٥ ـ الأَصَافِـر : (١٤٨)

وَلَـمْ أرَ ضَوْءَ النَّارِ حَتَّى رَأَيْتُهَا بَدَا مُنْشِدٌ في ضَوْئِهَا وَالْأَصَافِرُ

(منشد: مضى ذكره ـ ق: ٢٥ هامش: ٢ ـ والأصافِرُ ثنايا سلكها رسول الله ﷺ في طريقه إلى بدر). أما مُنشد ـ على ماذكر المحقق الكريم ـ ١١٧ ـ عند قول الأحوص:

نـظرت رجاء بـالموقـر أن أرى أكـارِيْسَ يحتلون خاخـاً ومنشداً

قال: (منشد: جبل من حمراء المدينة على ثمانية أميال من طريق الفرع) والقول لياقوت. والحمراء هذه هي حمـراء الأسد الواردة في خبر غزوة أحد وغيره، قال الهجري ـ فيما نقل عنه السمهودي في ذكر سيل العقيق بعد اجتماعه بسيل النقيع: ثم يفضي ذالك إلى حمراء الأسد. . . وفي شقّ الحمراء الأَيْسَرِ مُنْشِد، وفي شقها الأيمن أيضاً شرقياً خاخ. وأضاف السمهودي: وعلى يسار المصعد من ذي الحُلَيْفة جبل يعرف بحمراء نملة والظاهر أنه منشد. انتهى ولايزال جبل حمراء نملة معروفاً يشاهده المقبل على المدينة مع الطريق الحديث يمينه. وإذَنْ فَمُنْشِدُ يقع يمين الطريق للقادم إلى المدينة، وعلى يسار الذاهب منها إلى مكة أي بقرب الطريق منها إلى الفُرَع، والرسول عليه الصلاة والسلام سلك في مسيره إلى بَدْرٍ طريقَ مكة، فمرَّ بالأصافر، وهذه جبال بين الصفراء والبحر، تبعد عن منشد مسافة تقارب مسيرة ثلاثة أيام للإبل، فكيف يَبْدُو فيها ضوءُ نارٍ بَدَا في مُنْشِد الأصَافِرُ ـ جمع أَصْفَر ـ من لَوْنِ الصُّفْرَةِ أو كما في «معجم البلدان». الأصافِرُ جبال مجموعة تسمى بهذا لصفرها أي خُلُوِّها. انتهى وما أكثر الجبال التي تدعى الأصافر، ومن أشهرها الواردة في شعر كُثَيِّرٍ.

عَفَـا رَابِغٌ مِنْ أَهْلِهِ فَـالظَّوَاهِـرُ فَأَكْنَافُ هَرْشَى قَدْ عَفَتْ فَالْأَصَافِرُ

وقد ورد ذكرها في حديث نقله البكري في «معجم ما استعجم» أنَّ النبيَّ ﷺ قال لِعَمْرِو بن أُمَيَّةَ الضَّمْرِي وَقَدْ صَحِبَهُ رجُلٌ: «إذا هبطتَّ بلاد قومه فَاحْذَرْهُ»

وقد قال القائل: أخوك البَكْرِيُّ فلا تأمنه قال: فخرجنا حتى إذا كُنَّا بالأبواء قال: إني أريد حاجة إلى قومي بِوَدَّان، فَتَلَبَّثْ لِي، فقُلْتُ: راشِدًا. فلـمَّا وَلَّى ذَكَرْتُ قول النبي ﷺ، فَشَدَدْتُ على بعيري أَوْضِعُهُ، حتى إذا كنتُ بالأصافِر إذا هو يعارضني في رهط قال: وأوضعْتُ فسبقْتُه. قال: فلما رآني قَدْ فُتُّهُ انصرفُوا - رواه أبو داوود في كتاب الأدبِ، في باب الحذر من الناس. وهذه الأصافر التي ذكرها كُثَيِّرُ مع هَرْشَى ورابغ لاتزال معروفة مررتُ بها في رحلتي إلى المدينة مترسماً طريق الهجرة سنة ١٣٨٥هـ فتحدثتُ عنها في «العرب» في سنتها الأولى - بعنوان (رحلة إلى طيبة) والأصافر هذه هي التي ذكر السمهودي أنها هضبات على جبلين من هَرْشَى «وفاء الوفاء» وهي آكام حمر يخالط لونها بياضٌ فتبدُوْ وكأنها صفر، تبعد عن رابغ ٢٤ كيلاً للمتوجه إلى المدينة بالطريق القديم، وتقع قبل هَرْشى بستة أكيال (بقرب خط الطول: ٥َ/٣٩° وخط العرض: ١َ/٢٣°).

أما ٱلأصافِرُ الوارِدَةُ في شعر الأَحْوَصِ فقد تكون جِبالاً صُفْراً في ناحية خَاخ ومُنْشِدٍ، وما أكثر الجبال الصفر في تلك الجهة!!

٦ ـ أضـاخ: (٨٨)

وَلَهَـا مَـرْبَـعٌ بِبُـرْقَـةِ خَـاخٍ ۞ وَمَصِيْـفٌ بِـالْقَصْرِ قَصْرِ قُبَـاءِ

أورد المحقق ماجاء في «مروج الذهب»: فلها مربع بجنب أجاج وقال: (هذا ولعله أضاخ، من أعمال المدينة). ولماذا العدول عن الرواية الصحيحة التي ورد فيها اسم الموضع الذي تكرر في شعره نحو عشر مرات مقروناً بأمكنة هي من مرابع الشاعر.

والقول بأَنَّ أُضاخاً من أعمال المدينة قد يصح في فترة من الزمن قصيرة كانت فيها بلاد نجد مضافةً إلى والي المدينة، إذ أُضاخ في نجد، يبعد عن المدينة مئات الأميال وهو بلدة لاتزال معروفة كانتْ في العهد الأمويِّ معدودة من أعمال المدينة من حيث الإدارة، لا لقربها.

٧ ـ إضَــمُ : (٢٥٤)

يَا مُوْقِدَ النَّارِ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ إضَـمِ ... أوْقِدْ فَقَدْ هِجْتَ شَوْقًا غَيْرَ مُنْصَرِمِ

(. . وإضم: واد بجبال تهامة وهو الوادي الذي فيه المدينة، ويسمى من عند المدينة القناة، ومن أعلى منها عند السدّ الشظاة، ومن عند الشظاة إلى أسفل يسمى إضم إلى البحر). هذا القول نسبه صاحبُ «معجم البلدان» للسيد عُلَيٍّ - وهو ابن وَهَّاسٍ الحسني المكي شيخ الزمخشري، ولعله ورد في كتابه.

ولكنْ أدَقُّ منه وَصْفاً وتعريفاً قول الهجري الذي نقله السمهودي في «وفاء الوفاء» منسوباً إليه والبكريُّ في «معجم ما استعجم» - رسم النقيع - غير منسوب - ومنه: مجتمع سيول المدينة بزُغَابة، وذالك أعْلَى إضَــم - وقوله: أوَّلُ إضم مجتمع الأسيال، وإيَّاه عنى الأحوصُ - وأورد البيتَ - وأضاف: وبإضْــمٍ أموالٌ رِغَابٌ، وإنَّما سُمِّـيَ إضم لإيضام السيول به، واجتماعها فيه، وقوله: وَتَجْتمع سيولُ العقيق وبَطِحان وقناة بالزُّغابة، ثم يفضي ذالك إلى إضم، وبإضم أموال رغاب. . . ثم يفضي ذالك إلى سافلة المدينة، الغابة وعين الصُّوْرَيْنِ - الخ -.

فالقول بأنَّ إضـمَ هو الوادي الذي فيه المدينة، غير صحيح، فالذي يَخْتَرق المدينة بَطِحان ومَهْزُوْر، ويحفُّها من الجنوب العقيقُ، ومن الشرق وادي قَناة، ثم تجتمع كل الأودية أسفل المدينة، فإذا اجتمعت سُمِّـي مُجْتَمَعُها إضم. وقد نَبَّهَ إلى خطإ القول بأنه الوادي الذي فيه المدينة، السمهودي في «وفاء الوفاء» رسم (إضم) وبعد أن أورده منسوباً للمجد - مجدالدين الفيروزآبادي صاحب «المغانم المطابة» أضاف: والصواب فيه ما تقدم في خاتمة الفصل الخامس في الأودية، ثم أورد قول الهجري: أوَّلُ إضم مجتمع السيول الخ.

٨ ـ أمَــجُ : (٤٦)

أمْ كَيْفَ أنْسَى مَسِيْرَنَا حُـرُمـاً ... يَـوْمَ حَلَلْنَا بِـالنَّخْلِ مِنْ أمَـجِ

قال الدكتور السامرَّائي: أمَجُ من أعراض المدينة. انتهى وهذا قول صاحب «معجم البلدان» ولكنه غير صحيح، فأمَجُ وَادٍ عظيم من أعراضِ مكة، يبعد

عنها شمالاً نحو مئة كِيْلٍ، بينما يبعد عن المدينة جنوباً مايزيد على ثلاث مئة كيل، ويجزع الطريق بين المدينتين أسفله، وهو ينحدر من غربي حرة رهاط متجهاً غرباً بين وادِيَيْ غُرَان جنوبه، وقُدَيْدٍ شماله مارًّا بِخُلَيْصٍ نَحْوَ سَاحِلِ البَحْرِ عند قرية تُوَل، ولمنعرجات الوادي مُسَمَّيَاتٌ منها سَايَةُ وهي أعلاه، وأسفلُ منها الـخُوَارُ، وأسفله خُلَيْص، وفي كلٍّ من هذه المسميات قُرى وأمكنة مأهُولَة (ينحدر من حرة رهاط وحرة بني سليم قديماً بقرب خط الطول: ٥َ/٤٠° وخط العرض: ٣٠َ/٢٢° متجهاً صوب الجنوب الغربي حتى خليص بقرب خط الطول ١٥َ/٣٩°، ثم يتجه غرباً صوب تُولَ، على ساحل البحر بقرب خط الطول ٢٠َ/٣٩° وخط العرض: ١٨َ/٢٠°).

٩ ــ البـراق: (٩٧)

فَذُوْ السَّرْحِ أَقْوَى فَالْبِرَاقُ كَأَنَّها بِحَــوْرَةَ لَمْ يَحْلُلْ بِهِنَّ عَــرِيْبُ

(ذُو السَّرْح: وَادٍ بَيْنَ مكة والمدينة، قرب مَلَلٍ. فَذُو المرخ: «التاج» - بِراقُ حَوْرةَ: موضع من ناحية القَبَلِيَّةِ).

لعل اسم الموضع هنا هو حَوْرَة - أمَّا البراق - جمع بُرْقَةٍ - فليس عَلَـماً بل وصف للأرض الغليظة المختلطة بحجارة ورَمْل، والقول بأن بِرَاقُ حَوْرَةَ موضع من ناحِيَةِ القَبَلِيَّة لياقوت، وهو يَقْصُدُ حَوْرَة كما يتضح فيما نقل عن تحديد موقِعها عن السيِّد عُلَيِّ بن وَهَّاسٍ شيخ الزمخشري، وسيأتي تحديد الموضع مفصَّلاً في مَحَلِّهِ.

١٠ ــ بُرْقَــــان: (٢٠٥)

ورد هذا الاسم عَرَضاً في تعريف (ذاتِ الجيش) وهو تصحيفٌ سَيِّءٌ لِـ(تُرْبَان) كما سيأتي إيضاح هذا في الكلام على (ذات الجيش).

١١ ــ بِــرْكُ الْغِمــاد: (٩٢)

وَقَدْ شَاقَهَا مِنْ نَظْرَةٍ طَرَّحَتْ بِهَا وَمِنْ دُوْنِهَا بِرْكُ الْغِمَادِ فَعُلَيْبُ

(.. وَبِرْكُ الْغِمَادِ: موضع وراء مكة بِخَمْس ليالٍ، مما يلي البر، وفي حديث الهجرة: لو أُمِرْنَا أن نَبْلغَ معك بِهَا برك الغماد).

١ ـ تعريف البِرْكِ من «معجم البلدان» إلا أن كلمة (البر) صوابها كما في «المعجم»: (البحر).

٢ ـ الجهاتُ وراء مكة تختلف باختلاف مكان المتحدث، وكان ينبغي أن يقال: (جنوب مكة مما يلي اليمن).

٣ ـ أما جملة: (وفي حديث الهجرة: لو أُمِرنا أن نبلغ معك بها برك الغماد). فهذه تحتاج إلى وَقْفَةٍ طويلة، ويظهر أَنَّ المحقق الفاضل رجع فيها إلى «لسان العرب» ونصه في رسم (برك): (وفي حديث الهجرة: لو أمرتها أن تبلغ بها برك الغماد) كذا في مطبوعة «اللسان» ولكن مصدره وهو في الغالب «النِّهاية في غريب الحديث» لابن الأثير نَصُّهَا: (وفي حديث الهجرة: لو أمرتنا أن نبلغ معك بها برك الغماد).

لنبحث عن برك الغماد أَوَّلاً، ثم العودة لمحاولة تصحيح هذه الجملة. بِرْك الْغُـمَاد ـ تفتح الباء وتكسر وتضم الغين وتكسر كما قال ابن الأثير في «النهاية» وغيره.

وللمتقدمين في تعريف هذا الموضع أقوال كثيرة متضاربة منها: ـ

١ ـ قول الواقديِّ في «المغازي» ـ ٤٨ ـ: برك الغماد من وراء مكة بخمس ليال، من وراء الساحل مما يلي البحر، وهو على ثمان ليال من مكة إلى اليمن ـ كذا قال ـ.

٢ ـ وقال ابن جرير عن برك الغماد: مدينة الحبشة ـ «تاريخ ابن جرير» ٢/٤٣٤ ـ طبعة دار المعارف. وأشار إلى هذا القول في «فتح الباري» ـ ٧/٢٨٨ ـ بقوله: وذكر السهيليُّ أنه رأى في بعض الكتب أنها من أرض الحبشة، وكأنه أخذه من قصة أبي بكر مع ابن الدُّغُنَةِ فإنَّ فيها: أنه لقيه ذاهباً إلى الحبشة ببرك الغماد فأجاره. ويُجْمَعُ بأنها من جهة اليمن تقابل الحبشة وبينهما عرض البحر.

٣ ــ وقال إبراهيم الحربيُّ فيما نقل عنه النووي في «شرح صحيح مسلم» - ١٢/١٢٥ -: برك الغماد وسعفات هجر كناية يقال فيما تباعد.

٤ ــ وقال ابن حَجَرٍ في «فتح الباري» ٧/٢٣٢ : وحكى الهَمْدَانيُّ في أنساب اليمن: هو في أقصى اليمن، وقد نقل قبله عن ابن فارس: موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن.

أما قول الهمداني فقد ورد مفصلاً في كتاب «صفة جزيرة العرب» إذ قال ص ٣٦٦ نشر دار اليمامة - في ذكر المواضع المضروب بها المثل من الجزيرة على حَدِّ الاستبعاد: ويقولون ولو بلغ برك الغماد. ثم أورد الخبر الوارد في غزوة بَدْرٍ، وقولاً لأبي الدرداء: لو أعْيَتْنِي آيةٌ من كتاب الله فلم أجدْ أحَداً يفتحها عليَّ إلا رجل ببرك الغماد لرحلت إليه وهو أقصى حجر باليمن. وأضاف: ذكر برك الغماد ثم ذكر موضعه من قصور اليمن. قال أبو محمد: قد ذكر برك الغماد محمد بن أبان ابن جرير الخنفريُّ وهو في بلد الخنفريين بناحية جِنْوَيْ مَنْعِج فقال:

فَدَعْ عنْكَ مَنْ أَمْسَى بِغَوْرٍ مَحَلُّهَا ... بِبَرْكِ الْغِمَادِ فَوْقَ هَضْبَةِ بَارِحِ

هذه مواضعُ في منقطع الدمينة وعزازة من سُفْلى المعافر، البرك حجارة مثل حجارة الحرة خشنة وَعْثَةٌ متعَاصَّةٌ، يصعب المسلك فيها.

٥ ــ ونقل الحافظ ابن حجر عن أبي عُمَرَ غلام ثعلب: موضع باليمن عند بئر بَرَهُوت، الذي يقال: إن أرواح الكفار تكون بها. - «فتح الباري» ٧/٢٣٢ -.

٦ ــ ونقل أيضاً عن ابن دريد: هو بقعة في جهنم. ولكنه أضاف: واستبعد بعض المتأخرين ماذكره ابن دريد فقال: القول بأنه موضع باليمن أنسبُ لأن النبي ﷺ لا يدعوهم إلى جهنّم، وخفي عليهم أنَّ هذا بطريق المبالغة، فلا يراد به الحقيقة، فيحمل قوله (جهنم) على مجاز المجاورة، بناءً على القول بأن بَرَهُوْتَ مأْوَى أَرْوَاح الكفار، وهم أهل النار.

٧ ــ وقال البكري في «معجم ما استعجم»: برك: وهو في أقاصي هَجْرٍ، هو برك الغماد الذي ورد في الحديث. ولعل البكري نقل هذا عن القاضي عياض

الذي نقل عنه هذا القول النووي في «شرح صحيح مسلم».

٨ ــ وقال الحازمي في «المؤتلف والمختلف في أسماء الأماكن» في (باب الغِماد والعِماد والغِمار) ما نصه عن الغماد ــ: هو بكسر الغين ويقال بِضَمِّها ــ إلى أن قالَ: وهو موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل، وقيل بلد يَمَانٍ انتهى فجاء فيما نقل النووي في «شرح صحيح مسلم»: ١٢/١٢٥ ــ: . . . وقيل بلدتان ــ خطأ.

٩ ــ وقال ياقوت في «معجم البلدان»: هو موضع وراء مكة مما يلي البحر. وقيل: بلدٌ باليمن، دُفِنَ عندَهُ عبدُ الله بنُ جُدْعَان التيميُّ القرشي، قال الشاعر:

سَقَى ٱلْأَمْطَارُ قَبْرَ أَبِي زُهَيْرٍ إِلَى سَقْفٍ إِلَى بِرْكَ الْغِمَادِ

١٠ ــ وقال ياقوت أيضاً: بِرْكُ ــ بوزن قِرْدٍ ــ ناحيةٌ باليمن، وهو بَيْنَ ذَهْبَانَ وحَلْيٍ، وهي نصفُ الطريق بين حَلْيٍ وَمَكَّة، وإيَّاها أرادَ أبو دَهْبَلٍ الجمحي بقوله يصف ناقته ــ ثم أورد قصيدته الميميةَ التي ذكر فيها مكة فَيَلَمْلَمَ فاللَّيْث فَالْبَزْوَاء، فَعُلَيَّبَ، فَدَوْقَةَ فوادِي الْبِرْك.

أمامنا الآن أقوالٌ:

١ ــ بقعة في جهنم عند ابن دريد.

٢ ــ مدينة الحبشة عند ابن جرير.

٣ ــ كناية عن المكان البعيد عند الحربي.

٤ ــ أقصى هجر عند القاضي عياض والبكري.

٥ ــ في أقصى اليمن عند الهمداني.

٦ ــ على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن مما يلي الساحل عند الواقدي، وابن فارس، والحازمي، وابن الأثير، مزجت أقوال بعضهم ببعض.

٧ ــ على ثمان ليال من مكة إلى اليمن. قول ثان للواقدي.

٨ ـ بلد باليمن كما في «معجم البلدان» لياقوت.

٩ ـ تحديد ياقوت بأنه ناحية باليمن بين ذهبان وحلي.

أما الأقوال الأربعة الأولى فغير معقولة لمخالفتها النصوص والأخبار التي ورد فيها اسم الموضع.

وأما قول الهمدانيّ بأنه في أقصى اليمن في سُفلى بلاد المعافر وهي المعروفة الآن باسم (الـحُجَرِيَّة) ـ «معجم البلدان والقبائل اليمنية» ٦٣٦ ـ الواقعة في الجنوب من مدينة تَعِزّ، فقد يكون هناك موضع بهذا الاسم ـ وأنه المراد بخبر أبي الدرداء إذا صَحَّ قوله وهو: أقصى حجر باليمن، وليس من قول أحدِ رُواة الخبر. إذِ الهمداني من أعلم المتقدمين بمواقع اليمن.

أما الأقوال الباقية فيمكن التوفيق بينها فكل ماهو جنوب مكة يدعى يَمَناً، والسائر إلى تهامة ليجوز البحر إلى الحبشة أوْ لِيَذْهَبَ إلى اليمن يتجه من مكة إلى اليمن حتى يبلغ البِرْك الواقع على ساحل البحر، ويختلف قطع المسافة بينه وبين مكة بحسب قدر السير، فالمسرع قد يبلغ بلدةَ حَلْيٍ بعد خمس ليال من مكة بسير الإبل، وقد تزيد المدة مع تباطؤ السير، وتحديد ياقوت له بأنه بين ذَهْبَان وحَلْيٍ صحيح، أما القول بأنه نصف الطَّريق بين حَلْيٍ ومكة فخطأٌ، إذْ هو يقع جنوب حلي وقبل ذَهْبَان (يقع بقرب خط الطول ٤١/٣١° وخط العرض ١٤/١٨°) ويقع بينه وبين مكة أودية من أشهرها: عَمْقٌ وحَلْيٌ وَيَبَةُ وَقَنَوْنَا وَدَوْقَة وعُلْيَبُ والأَحْسُبَة وحَلْيَة (الشاقَّة الشمالية) واللِّيثُ والـخَضْرَاء.

والبِرْكُ هذا هو البلدة التي وصفها الشيخ عبدالوهاب النجار ـ رحمه الله ـ في حواشيه على «الكامل» لابن الأثير بما نصه: هي على ساحل البحر الأحمر على مرحلتين من القنفذة جنوباً على جبل مرتفع، فيها مسجدان وسوق، ويسكنها بنو هلال، وحاكمها الآن الشيخ علي بن عبدة الهلالي، وسكانها نحو ألفي نفس يتعبدون على مذهب الشافعي، وعاداتهم وأحوالهم كعادة العرب قديماً وينطقون بها بِرك ـ بكسر الباء ـ نزل بها السيد عبدالله بن محمد بن حامد السقاف في سنة

١٣٣٤هـ وهو الذي أفادني ذالك، وهم الآن لا يضيفون إليها لفظ الغِماد ، ولعل الاسم متعدد. انتهى ماذكره الشيخ عبدالوهاب في حواشي ص ٨٣ ج ٢ من «الكامل».

وقد تغيرت البلدة الآن فزاد عمرانها وكثر سكانها.

ومن أوضح الأَدِلَّةِ على أنَّ البِرْكَ هذا هو المقصود بقول الأحوصِ أنه قرنه بوادِي عُلْيَبَ ، الوادي الواقع جنوبه فيما بينه وبين اللَّيْث، وكذا قول أبي دَهْبَلٍ الجُمَحِيِّ في قصيدته التي أوردها ياقوت في «معجم البلدان» ـ رسم البرك ـ منها :

خَرَجْتُ بِهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ بَعْدَمَا أَصَاتَ الْـمُنَادِيْ لِلصَّلاَةِ وَأَعْتَـمَا

ثم ذكر بطن الليث والبزواء وقال:

فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى تَبَيَّنَتْ بِعُلْيَـبَ نَخْـلاً مُشْرِفـاً ومُخَيَّـمَا
وَمَرَّتْ عَلَى أَشْطَانِ دَوْقَةَ بِالضُّحَى فَـمَا خَزَرَتْ لِلْمَاءِ عَيْناً وَلاَ فَمَا
وَمَـا شَرِبَتْ حَتَّى ثَنَيْتُ زِمَـامَهَا وَخِفْتُ عَلَيْهَـا أَنْ تَخِـرَّ وتُكْلَمَا
فَقُلْتُ لَهَا: قَدْ بِنْتِ غَيْرَ ذَمِيْمَةٍ وأَصْبَحَ وَادِيْ الْبِرْكِ غَيْثاً مُدَيَّـمَا

فقد ذكر في هذه القصيدة: عُلْيَبَ فَدَوْقَةَ ثم بعدها ذكر البِرْكَ، وهكذا فإنَّ موقع البرك يقع جنوباً من واديَـيْ عُلْيَبَ وَدَوْقَةَ.

(وانظر قصيدة أبي دهبل في «الأغاني»: ٧/ طبع الثقافة، وانظر معارضاتها في «سلافة العصر» ـ ٢٥٠ ـ.

وجاء في شعر كثير:

بِـوَجْهِ أَخِـي بَنِـي أَسَـدٍ قَنَوْنَـا إِلَى يَبَـةٍ إِلَى بِـرْكِ الْغِـمَـادِ

فقد ذكر قَنَوْنَا وَيَبَةَ وهما واديَانِ لايزالانِ معروفينِ، يقعان جنوب البِرْكِ، بينهما وبينه مدينة حَلْيٍ المعروفة.

ووقفة قصيرةٌ عند إيراد المحقق للجملة الواردة في كتاب «النهاية» لابن الأثير، ثم نقلها صاحب «اللسان».

وبصرف النظر عما وقع من الاختلاف في النَّصَّيْنِ إلاَّ أنَّ الذي يستدعي الوقوفَ هو القول بأن (في حديث الهجرة) ثم إيراد جملة (لو أمرنا أن نبلغ معك بها برك الغماد) إلى آخرها.

لقد تتبعت مابين يديَّ من كتب الحديث والتاريخ فلم أجِدْ هذه الجملة فيما اطلعتُ عليه من المراجع، والذي اطلعت عليه هو:

١ ــ ورد في «صحيح البخاري» في كتاب الكفالة في الباب الرابع الحديث الـ (٢٢٩٧) عن عائشة رضي الله عنها من حديث طويل: فلما ابتُلِيَ المسلمون خرج أبو بكرٍ مهاجِراً قِبَلَ الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدَّغْنَةِ وهو سَيِّدُ القارة - ثم خبر رجوعه بجوار ابن الدُّغْنَةِ إلى مكة - انظر «فتح الباري» ٤/٤٧٥ -.

ثم كرّر البخاري الحديث في كتاب مناقب الأنصار الحديث الـ (٣٩٠٥) - «فتح الباري» ٧/٢٣٠ -.

٢ ــ وأورد الواقديُّ في «المغازي» - ٤٨ - أن عمر بن الخطاب قال: لو سرت بنا إلى برك الغماد لَسِرْنَا معك. ثم نسب هذا القول مرة أخرى - ٥٨١ - للمقداد ابن الأَسْود وكذا أَوْرَده ابنُ هشام في «السيرة النبوية» ١/٦١٥ طبعة الحلبي بمصر.

ولما ساق الحافظُ ابنُ حَجَرٍ ما أورده البخاري في «صحيحه» عن ابن مسعود يقول: شهدتُّ من المقداد بن الأَسود مشهداً لأَنْ أكون صاحبه أحبُّ إليَّ مما عُدِلَ به: أَتَى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ﴾ ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك، وبين يدك وخلفك فرأيت النبي ﷺ أشرقَ وجهُه وسَرَّه يعني قولَه). ولـمّا شرح الحديث أضاف: وأخرج ابن مَرْدَوْيَه نحوه لكن فيه أن سعد بن معاذ قال: لو سِرْتَ بنا حتى تَبْلُغَ بِرْكَ الغماد لَسِرْنَا معك. كذا ذكره موسى بن عقبة وعند ابن عائذ في حديث عروة: فقال سعد بن معاذ: لو سِرْتَ بنا حتى تبلغ الْبِرْكَ من غِمْدِ ذِي يَمَنٍ. انتهى.

إذَنْ هُما خبران أحدهما يتعلق بهجرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبلوغه برك الغماد ورجوعه بجوار ابن الدَّغْنَةِ سَيِّدِ القارة إلى مكة.

والخبر الثاني: ورد في غزوة بَدْرٍ حين استشار الرسول ﷺ المسلمين لما فاتته الْعِيرُ أَيُقْدِمُ لملاقاة قريش أم لا؟ فكان مما قيل له عليه الصلاة والسلام: لو أمرتنا أن نبلغ معك برك الغماد لفعلنا. ولعل ابنَ الأثيرِ صاحب «النهاية» سَبَقَتْ إلى ذهنه الجملة التي قِيلَتْ في غزوة بدر فأوردها ظانًّا أنها قيلت في الهجرة، وقد رجعتُ إلى بعض المهتمين بدراسة الحدث النبوي من علمائنا فرأيتهم يميلون إلى هذا الرأي، وينفون عِلْمَهُمْ بورود تلك الجملة في خبر الهجرة.

١٢ ـ بِـرْمَـة: (٢٢١)

سُفُن الْفُرَاتِ مُرَفَّعٌ أَقْلاَعُهَا ... أَوْ نَخْلُ بِرْمَةَ زَانَهَا التَّذْلِيلُ

(.. بِرْمَةُ من قُرى السواد، والتذليل تسهيل اجتناء ثمرة النخلة وإِدْنَاؤُها من قاطعها).

القول بأنَّ بِرْمَةَ من السواد من كلام البكري في «معجم ما استعجم» ولكن أيُّ سوادٍ هذا؟ فهو عند الإطلاق سوادُ العِراق، وقد يراد سواد البلقاء ـ لسواد حجارة أرضها ـ ولم يُرِدِ البكريُّ واحداً منهما. لقد أوضح هذا الدكتور عبدالله الوهيبي في «العرب» ٤/١٠٠٣ إذ قال: ورد في «الإصابة» أنَّ عمرو بن سعيد بن العاص يوم مات الرسول ﷺ كان وَالِياً على سَوَادِ خَيْبَرَ ـ أي المناطق الزراعية المجاورة لخيبر ـ وهذه الصفة تنطبق على بِرْمَةَ وبَلاَكِثَ وشَبَكَةِ الدَّوْمِ وذِي خُشُبٍ بل إنَّ البكري يصفُ بِرْمَة بأنَّها من السواد..

وبِرْمَةُ هٰذه بلدةٌ ذاتُ نَخْلٍ، فقد ورد في كتاب «الجيم» ـ ٢/٢٣٦ ـ: والعُقْدَةُ حائط من نَخْلٍ، والجمع عِقَادٌ، والقرية الواحدة بنخلها الْعُقْدَةُ، تقول: مِنْ أَيِّ الْعِقَادِ امْتَرْتَ، أَمِنْ خَيْبَرَ أَمْ مِنْ بِرْمَة؟

وجاء في كتاب «المغازي» للواقدي ـ ٢/٧٠٩ ـ في ذكر خبر انصراف الرسول ﷺ من خيبر بعد فتحها: فلما أتى رسول الله ﷺ الصَّهْبَاءَ سَلَكَ بِرْمَةَ حتى انتهى

إلى وَادي القُرَى ، يريد من بها من اليهود. وذكر ابن حبيب في «المحبر» - ١١٥ - أنَّ في سنة سبع خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر ، فحاصرهم بضعة عشر يوماً ، وارتحل منها إلى (قُرَى عَرَبِيَّة) فلم يلق كيداً.

ويفهم من النصين أنَّ برمة في المنطقة المعروفة في العهد النبوي باسم (قُرَى عَرَبِيَّة).

وقال السمهودي في «وفاء الوفاء»: بِرْمَةُ - بكسر أوله - من أعراضِ المدينة قرب بلاكِث، بين خيبر ووادِي القُرى، به عيون ونخل لقريش ويقال له: ذُو الْبَيْضَة، كما سبق في مجتمع أُوْدية المدينة ومغايِضِها، وذكر أَنَّ بَلَاكِثَ بجانبِ بِرْمَةَ، ونقل عن يعقوب: بلكثة قارة عظيمة ببطن إِضِمٍ وبين ذِي خُشُبٍ وذِي الْـمَرْوَةِ، وَنَقَلَ في ذكرِ مجتمعِ أَوْدِيَة المدينة ومغايضها عن الزبير بن بكار - «الوفاء» ١٠٨١ -: ثم تَمْضِـي في وادِي إِضَمٍ حتى يلقاها وادِي بِرْمَةَ الَّذِيْ يقال لَهُ ذُوْ الْبَيْضَة، من الشام، ويلقاها وَادِي تُرْعَةَ مِنَ القبلة ثم يلتقي هو ووادي الْعِيْصِ من القبلة، ثم يلقاه دوافع وادي الْـحِجْرِ ، ووادي الْـجِزْلِ الذي فيه السُّقْيَا والرُّحْبَةِ، في نخل ذي المروة مغرباً.

ومنطقة (قرى عربية) التي تقع برمة فيها قد وفَّاها بحثاً وتحقيقاً أستاذان جليلان هما الأستاذ محمود شاكر في بحثه الممتع (قرى عربية) - «العرب» ٢/ ٧٦٩ - والأستاذ الدكتور عبدالله الناصر الوهيبي في بحث مستفيض عمقاً وتفصيلاً بعنوان (قرى عربية وعلاقتها بكلمة عرب) - «العرب» ٤/ ٩٨٣ - وفي هذا البحث الأخير معلومات قيمة عن موقع بِرْمة رجعت إليه في هذا البحث.

ولبرمة شهرة في القرن الأول الهجري، فقد تكرر ذكرها في الأشعار ومنها قول كُثَيِّر - ديوانه ٤٥٨/ ٣١٤ -:

رَجَعْتُ بِهَا عَنِّيْ عَشِيَّةَ بِـرْمَـةٍ   شَمَـاتَـةَ أَعْـدَاءٍ شُهُـوْدٍ وَغُيَّبِ

وقال:

نَظَرْتُ وَقَدْ حَالَتْ بَلَاكِثُ دُوْنَهُمْ   وَبُـطْنَانُ وَادِيْ بِـرْمَةٍ وظُهُـوْرُهَـا

إنَّ بِرْمةَ لاتزالُ معروفةً، ويظهر أنها أدركها الخراب في عهد متقدم، ثم أُحْيِيَتْ حديثاً أحياها أناسٌ من عنزة من الطَّوالعة ـ واحدهم طويلعي ـ انظر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» ٤١٦ ـ وهي تقع في الطرف الغربي من حرة تدعى (حرة الكورة) تنحدر سيولها في وادٍ يدعى وادي الطَّبق ـ في المصور الجغرافي ورد اسمه: وادي طبجه ـ وهو وادٍ بعد أن يجوز الْـحَرَّةَ يتجه إلى الجنوب، حتى يتجاوز محطة هَدِيَّةَ إحدى محطات سكة حديد الحجاز بقرب خط الطول: ٣٨/٤٥َ° ثم ينحرف نحو الغرب نسبياً حتى يجتمع بوادي الحمض عند بئر السُّليلة ـ في المصور الجغرافي: أم سليلة ـ شرق موقع ذات المروة (أم زرب في المصور) بنحو عشرين كيلاً عن خط العرض: ٣٨/٣١َ° وعند خط الطول: ٢٥/٣٠َ°، وهذا يتفق مع ما نقله السمهودي عن الزبير في ذكر مغايض الأودية، فوادي تُرْعَة ووادي الْعِيْصِ ووادي الْـحِجْرِ ووادي الْـجِزْل، كلها معروفة، ووادي بِرْمَةَ الذي سماه السمهودي ذَا الْبَيْضَة، وهو المعروف الآن باسم وادي الطبق يفيض في وادِي إضم (وادي الحمض) على مقربة من مفيض وادي تُرْعَةَ، ووادِي الْعِيْص، ويلتقي بها بعد ذالك واديا الْحِجْرِ والْجِزْل وما حولها، ونقطة التقائها قريب من موقع ذِي المروة كما نقل السمهودي. أما مَوْقِع بِرْمة فهو في أعلى وادي الطبق بقرب خط الطول: ٣٨/٤٥َ° وخط العرض: ٢٥/٤٠َ°، ولا أستبعد أن يكون موقع بلاكث هو هدية ولا يتسع المقام لتفصيل هذا.

و(الكورة) التي تضاف إليها الحرة بقية اسم روماني قديم عرف في صدر الإسلام باسم (قرى عربية) كما حقق ذالك الأستاذ الدكتور عبدالله الوهيبي في بحثه عن (قرى عربية وكورة عربية) ـ «العرب» ٩٩٧/٤ ـ.

١٣ ــ البُوَيْـــب: (١٠٦)

وَلَوْلَا الَّذِي بَيْنِـي وبَيْنَكَ لَـمْ تَجُبْ   مَسَـافَةَ مَـابَـيْنَ الْبُـوَيْبِ ويَثْـرِبَ

(البويب: نهر كان بالعراق موضع الكوفة، فمه عند دار الرزق يأخذ من الفرات كان عنده وقعة أيام الفتوح بين المسلمين والفرس في أيام أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وكان مجراه إلى موضع دار صالح بن علي، ومصبه في الجوف العتيق.

وأيضاً هو مدخل أهل الحجاز إلى مصر).

١ ــ لم أر ما يدعو لإيراد هذا الكلام الطويل عن البويب النهر الذي في العراق، فالشاعر يريد موضعاً آخر غيره وهو: مَدْخلُ أهلِ الحجاز إلى مصر، لأنه كان مدح عبدالعزيز بن مروان أمير حلوان ولاشك أنه هو المخاطب بهذا الشعر.

٢ ــ البُوَيْبُ الواقع في مدخل مصر، يقع في الصحراء الواقعة بين القاهرة وبين قناة السويس، فقد كان مُوَدِّعُوا الحجاج من القاهرة ومُسْتَقْبِلُوهُم يصلونه، وهو في أثناء المرحلة الأولى من البركة التي بها يجتمع الحجاج بقرب القاهرة ـ وقد يكون العمران في هذا العهد بلغها ـ ولِلْبُوَيْبِ هذا ذكر كثير في كتب الرحلات، فقد جاء في «رحلة ابن عبدالسلام الدرعي الكبرى» ما ملخصه: ثم ارتحلنا من البِرْكة وقد مضى من النهار ثلاث ساعات، وودع الناس أقاربهم، وذهب معهم من المودعين إلى البويب وهو في الحقيقة باب الدَّرب ومبتداه، ومررنا بوادي المنصرف والقباب حتى نزلنا الدار الحمراء، بعد مضي النصف من الليل، ومنها وقد مضى من النهار ست ساعات ونصف ولم ننزل عُجْرُوْدَ إلا بعد طلوع الفجر، وقال: الظاهر من كلام «الروض المعطار» أن السويس هو بئر عجرود، فنسبت المدينة التي على البحر له، فقال: الناس مدينة سُوَيْس، وقال الجزيري في «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة» ـ ص ١٣١٨ ـ: وكان الرحيل من البركة وقت طلوع الشمس، فسار إلى القرب من طريق البُوَيْب فكان مسيره قبل الظهر، وأما صِفةُ البُوَيْب فهو مَضِيقٌ بين جبلين صغيرين، وشرفة وتلٌ رَمْلٍ مستطيل يميناً، وباب الشيء أَوَّلُهُ، وهو ما يُتَوَصَّلُ منه إليه، وعند المترددين على هذا الطريق أَنَّ له بَابَيْنْ، هذا، وبابٌ آخر مناخُ عَقَبَة أَيْلَةَ، وهو بناءٌ على قُبَّة(؟) جبل، في أول دَوَّار حَقْلٍ، كأنَّه شارة إلى أنَّ هذا أول المفازة من حد مصر. انتهى.

مما تقدم يتضح أن البويب على أقل من مرحلة من مدينة القاهرة فيما بينها وبين السُّويس.

١٤ ــ بَيْــش: (١٣١/٩٢)

أَمِنْ آلِ سَلْمَى الطَّارِقُ الْمُتَأَوِّبُ   إِلَيَّ وَبِيْشٌ دُوْنَ سَلْمَى وَكَبْكَبُ

١ ــ (. . بِيْش: من بلاد اليمن، قرب دهلك، وقد استنتج ياقوت أنه أيضاً مكان بين مكة ومصر، وهو الأشبه هاهنا. . . ورواه البكري في معجمه: وبِيْشٌ دُونَ سَلْمَى وَجَبْجَبُ فعلق شيخنا العلامة محمود شاكر بقوله: وكأنه الصواب، فإن ظاهر الشعر يدل على أنه في ديار بني عامر بن صعصعة أو قريب منها. . . و(بيش) ضبطت في المخطوطة بكسر الباء والصواب فتحها، وهو بإزَاءِ عُنٍّ ـ بضم العين وتشديد النون ـ اسم جبل، وهما جبلان أحدهما الْقَفَا والآخر بَيْشٌ، وهما لبني هلال بن عامر بن صعصعة «معجم ما استعجم» ـ الستار ـ والأمر كله محتاج إلى تحقيق دقيق (ابن سلام): ٦٦٥) ـ ٩٢ ـ.

٢ ــ (بيش: واد من أودية تهامة، وذكره البكري في مادة بِيْشَةَ ونَصَّ على أن الأحوص حذف الهاء من بِيْشَةَ وأتى به على التذكير) ـ ١٣١ ـ.

٣ ــ ٢٤٥ ـ:

فَــإنِّي إذا حَلَّتْ بِبِيْشٍ مُقيمــةً   وحَــلَّ بِــوَجٍّ سـالِـمـاً أَوْ تَتَهَّـمَا

(بيش ـ انظر ما مضى ـ وقال محققو «الأغاني» ١/٢٩٨ ـ هامش: لم نضبطه لأنا لا ندري أهو بَيش بفتح أوله وسكون ثانيه. وقد ذكره ياقوت وقال: أحد مخاليف اليمن وفيه عدة معادن، أما بيش ـ بكسر أوله ـ من بلاد اليمن أيضاً قرب دهلك أقول: رواية «الأغاني» للبيت الرابع: يمانية شطت. . تقوّي ذالك. .) انتهى ما أورده محقق الديوان عن بَيْش، ويلاحظ على هذا أمور:

الأمْرُ الأَوَّلُ: ضَبْطُ اسم بَيْش، هَلْ هو بفتح الْبَاء أو كَسْرِهَا، فأكثر المتقدمين من العلماء نَصُّوا عَلَى الكَسْرِ، ولكنَّ بَعْضَهُم أورد الضَّبْطَيْنِ وغايَرَ بينهما، كالحازميِّ في كتاب «البلدان». فقد قالَ: (بَابُ بِيْشٍ وبَيْشٍ وتَيْس وقَيس: أمّا الأول بكسر الباء بعدها ياءٌ تحتها نقطتان وآخره شينٌ معجمة: من بلاد الْيَمَن قرب دَهْلَكَ، له ذكر في الشعر، وأمّا الثاني بفتح الباء منْ مخالِيف مكّة إلى آخر

ما ذكر وما أرى المعدود من بلاد اليمن سوى الذي هو من مخاليف مكة، فَبَيْش من مخاليفها اليمنية، وهو الواقع في طريق المتجه إلى جزيرة دَهْلك، بطريق تهامة، ويظهر أنَّ الأحوصَ حين نُفِـي إلى دهلك سلك هذا الطريق. ولهذا ذكر بَيشاً في شِعْرِهِ، وبَيْشُ هذا بفتح البَاءِ كما ينطقه سكان تلك الجهة الآن، وكَما يلحظ من كلام الهمداني في «صفة جزيرة العرب» - ٢٦٩ - طبع دار اليمامة إذ قال: وإنّما تريد العرب أسود بَيْش، ويزيدون فيه الهاء فيقولون بَيْشَةَ بفتح الباء، وهي مواضع الأُسْدِ، وبِيْشة بُعْطان بكسر الباء - إلى آخر ماذكر وسيأتي إيضاحه.

الأمر الثاني: استنتاج ياقوت بأن بَيْشاً مكان بين مكة ومصر، وقول محقق الديوان: وهو الأشبه هاهنا، يتّضح مافيه من ضعف من إيراد كلام ياقوت بنصه، قال: بَيْش - بالشين المعجمة -: من مخاليف اليمن فيه عدة معادن، وهو وادٍ فيه مدينة يقال لها أبو تراب - الخ - ثم قال: بِيْشُ - بكسر أوله: من بلاد اليمن قرب دهلك له ذكر في الشعر، قال أبو دَهْبل:

اسْلَمي أُمَّ دَهْبَلٍ قَبْلَ هَجْرِ ... وتَـفَصِّيْ مِـنَ الـزَّمَـانِ ودَهْـرِ
واذْكُـرِي كَـرَّ الْمَـطِيِّ إلَيْكُمْ ... بَعْدَما قَـدْ تَوَجَهَتْ نَحْـوَ مِصْرِ
لا تخَـالِـي أَنِّي نَـسِيْتُـكَ لِـمَّا ... حَالَ بَيْشٌ ومَنْ بِهِ خَلْفَ ظهري

وهذا الشعر يَدُلُّ على أنَّ بَيْشاً موضعٌ بين مكة ومِصْرَ، أو تكون صاحبته المذكورة في اليمن. انتهى فأنت ترى ضعف استنتاج ياقوت إذ الشعر ليس صريحاً بوقوع بيش بين مكة ومصر، بل ولا يفهم منه هذا، وإنما يفهم منه أن الشاعر رجع إلى صاحبته وكان توجه إلى مصر، فهو لم يَنْسَها وإن حال بينهما بيش، فكيف - مع هذا - يصح القول أنه الأشبه بالنسبة لشعر الأحوص، وما استشهد به ياقوت من شعر أبي دَهْبل، ولا شاهد له فيه.

الأمر الثالث: ما أورده محقق شعر الأحوص عن أستاذنا الجليل أبي فِهْرٍ محمود شاكر من أنَّ بَيْشاً بإزَاءِ عُنِّ - إلى آخر ما أورد مما هو منقول من «معجم ما استعجم» - الستار - فَبَيْشُ هنا تصحيف (بُسّ) وكُلُّ ما أورده البكري في رسم السُّتار مما ذكره عَرَّام في رسالته «أسماء جبال تهامة وسكانها» - ٤٣٦ - «نوادر

المخطوطات» ولم ينسبه البكري كعادته في كثير من النصوص الطويلة كالكلام على حمى ضرية ـ وأصله للهجري ـ والتصحيف في «معجم ما استعجم» مما لا يتّسع المجال لذكره.

الأمر الرابع: لا شَكَّ أن الأحوص حين يذكر بَيْشاً فإنّما يعني المخلاف الواقع في تهامة، وهو واد طويل عريض فيه قرى وسكان كثيرون، ولا يتسع المجال لإيراد نصوص المتقدمين عنه ـ وانظر «مقاطعة جازان» من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ووادي بَيْش تنحدر فروعه العليا الشرقية من سراة قحطان (سراة جنب قديماً) في الجنوب الشرقي من مدينة أبْهَا، فتتّجهُ نحو الجنوب الغربي مخترقة تهامة حتى تَصبُّ في البحر الأحمر شمال وادي ضَمدٍ على مقربة من جازان جَنوب واديي بَيْض وعِتْوَد، ووادي بيش من أطول الأودية التِّهاميّة وأعظمها وعلى ضفته قرى كثيرةٌ (يقع بين خطي الطول: ٣٠َ/٤٢° و ٠٠/٤٣° وخطي العرض: ٥٠َ/١٦° و ٠٠/١٨° ـ وماغَرَّب من سيول سراة قحطان ينحدر في بَيْش، وما شَرَّق ينحدر في وادي بِيْشَةَ الذي يبتلع سيول أكثر الأودية المنحدرة من تلك السراة، وما يقع شمالها من السروات الأخرى إلى سراة غامد ـ هذا مما سبق أن ذكرته عن بيش في «العرب» ١٥/ ٦٣ ـ.

١٥ ـ بِيشَة: (٢١٤)

حَتَّى كَـأَنَّـكَ يُتَّقَى بِـكَ دُوْنَهُمْ مِنْ أُسْـدِ بِيْشَـةَ خَـادِرٌ مُتَبَسِّـلُ

(بيشة: هي بِيْشَةُ السَّمَاوَةِ، مَأْسَدَةٌ).

أصل هذا في «معجم ما استعجم» فبعد القول بأنَّ بِيْشَةَ وادٍ من أودية تهامة وإيراد بعض الشواهد الشعرية والنُّصوص ورد فيه: وبِيْشَةُ أخرى وهي بيشة السماوة وهي مأسدة، وأورد خبراً عن خالد بن صفوان ذكر فيه بيشة السماوة، ثم أتبعه بقول: ولما قدم جرير بن عبدالله على النبي ﷺ قال له: «أين منزلك»؟ قال: بأكناف بِيشة، يعني بيشة السَّماوة ـ ثم أورد عن ابن قتيبة أن رسول الله ﷺ سأل جرير عن منزله ببيشة ـ ثم ساق كلامه الذي أورده ابن قتيبة في «غريب

الحديث» كاملاً مشروحاً - ١/٥٤٢ -.

والملاحظ على هذا:

١ ــ قد يكون في السماوة موضع يُسَمَّى بِيْشَة، إذا لم يكن الاسم محرفاً أو مصحفاً في خبر خالد بن صفوان.

٢ ــ بِيشةُ الّتي تُضاف إليها الأُسد هي بيشة التي هي عِرْضٌ من أعراض نَجْدٍ العظيمة - كما قال الهمداني في «صفة جزيرة العرب» - ٤٣٠ - وليستْ من أودية تهامة، كما سيأتي تعيين موقعها - وفي «صفة جزيرة العرب» - ٢٦٨ - طبع دار اليمامة في الكلام على مواضع الأسد في الجزيرة -: وأُسْدُ تبالة وأُسْد تَرْج وأُسْد بِيْشَة وأُسْدُ عِتْوَدَ، فأما تبالة وترج وبيشة فهي من أعراض نَجْدٍ ولا يكون بهذا أسُدٌ ، ولم يكن، وإنما تريد العرب أُسْدَ بَيْشٍ ، ويزيدون فيه الهاء فيقولون بيشةُ - بفتح الباء وهي مواضع الأسد، وبِيْشة بَعْطان فهي بكسر الباء ، وقيل: بل أرادوا بِيْشَةَ نَجْدٍ ، وأَنَّ رُؤوسَ هذه الأعراض من أعلى السراة، منها ما ينحدر إلى نجد ، ومنها ما ينحدر إلى تهامة، فما انحدر إلى تهامة فالأُسْدُ فيه، ولهذا الجوار نسبوها إلى هذه الأعراض وقد رُبَما طلع منها الواحد إلى أرض نجد قاطِعاً من بلده فعاث فيها، فلعل أول من نسب الأسد إلى هذه المواضع عاين منها الواحد والزوج في بعض هذه الأودية انتهى وما أرى تعليل أبي محمد الهمداني سَدِيْداً هنا، فَعِرْضُ بيشة تكثر فيه الغياض وغابات الأشجار ، وتلك مَأْلَفُ الحيوانات المفترسة والبكري الذي نَسَبَ الأسد إلى بيشَة السماوة لم يلاحظ خلوها من الغياض والآجام والغابات، بل فاته أكثَرُ من هذا وهو أنه قال في رسم (تَرْج):

قال أبو حاتِم عن الأصمعي:

هو موضع بِبِيْشة مأسَدَة، وهو من بلاد خثعم، وأنشد لأوس بن حَجَر :

وَمَا خَلِيْجٌ مِنَ الْـمَـرُوْتِ ذُوْ حَدَبٍ يَرْمِي الضَّرِيْرَ بِخُشْبِ الطَّلحِ والضَّالِ
يَوْماً بِـأجْـوَدَ مِنْـهُ حِيْنَ تَسْـأَلُهُ وَلاَ مُغِبٌ بِتَـرْجٍ بَـيْنَ أشْبَـالِ

وتَرْج - وادٍ لايزال معروفاً وهو ماهول ، وهو من أعظم روافد وادي بِيْشة، هو

وجِنْدُف والبَهِيْمُ تأتي من الجنوب منحدرة من السراة.

٣ ــ ليس جرير بن عبدالله البجلي مِنْ بِيْشَةِ السَّرَاة، بَلْ مِنْ بِيْشَة التي هي أحد أعراض نَجْدٍ، حيث كانت بَجِيْلَةُ وخَثْعَمُ تَحُلُّ السراة المعروفة باسم سراة بجيلة الواقعة شمال سراة الأزد، وتنساح في الأودية المنحدرة من السراة صَوْبَ منطقة بِيْشَة ومن أشهرها وادي تَبَالَةَ أحد روافد وادي بِيْشَة، ولهذا ندب رسول الله ﷺ جَرِيْراً لِهَدْمِ صَنَمِ ذِي الْـخَلَصَة الذي كانَ في تَبَالَة، فهدمه، ولاتزال سراة بَجِيلة تُعْرَف بسراة بني مالك ـ وهاؤلاء هم الفرع الذي منهم جرير بن عبدالله المالكي البجلي، وقد مات في بلادهم، وقبره معروف عندهم في قرية تدعى (القضاة) ـ وانظر كتاب «في سراة غامد وزهران» عن بجيلة وبلادها.

٤ ــ اسم بِيْشة يشمل منطقة واسعة، يخترقها واد عظيم ذو روافد كثيرة أشهرها هِرْجَابُ وتَرْجُ ، ووادي تَبَالَة. تنحدر فروع هذا الوادي من السفوح الجنوبية من سراة عَبِيدَةَ (سراة جَنْب قديماً) متجهاً صوب الْغَرْب، وتنتشر القرى على ضفاف الوادي، حتى يبلغ بلدة الرُّوشن قاعدة المنطقة، فينحرف مجراه نحو الشمال ثم الشمال الشرقي حيث يجتمع معه وادي رَنْيَة فتَبْتَلِعُهما أرضٌ رملية تُدْعى الفرشة، في أرض واسعة تدعى المهمل، متوسطة بين منطقة رنية غرباً ومنطقة بيشة جنوباً، ومنطقة وادي الدواسر شرقاً (تبتدئ فروع وادي بيشة من قرب خط العرض ١٨/٠٠° ويتجه على مقربة من خط الطول: ٤٢/١٠° ـ حتى قرب خط العرض ٢١/١٥° ـ وهو من أطول أودية الجزيرة، وأكثرها سكاناً.

١٦ ــ ثـبـيــر : (١٥٧)

وَقَدْ عَلِمَتْ أنْ لاَ أُطِيْعَ بِصَرْفِها مَقَالَةَ وَاشٍ، مَا أَقَامَ ثَبِيْرُ

(ثبير : من أعظم جبال مكة، بينها وبين عرفة، وكان المشركون يفيضون منه. فيقولون إذا أرادوا الإفاضة : (أشرق ثبير ، كيما نغير) ونغير: نسرع ـ ولعظم الجبل وتقديسهم له قالوا: لا أفعل كذا ما أقام ثبير ، وما أشرق ثبير ، لأن الشمس كانت تشرق من ناحيته، وكان يسدُّها ويحجبها عند أول طلوعها، لعظمه

وضخامته، فيحول دون شروقها، لذا نسبوا الشروق إلى الجبل توسُّعاً، كما في قوله عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوْا فِيْهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ أي تبصرون فيه). انتهى كلام المحقق.

١ ــ اسم ثبير يطلق على عدد من جبال مكة وقربها وعلى ماء في بلاد مُزَينة في نواحي المدينة.

٢ ــ ليس ثبير الذي من أعظم جبال مكة واقعاً بينها وبين عرفة، بل هو في أعلاها في شرقيها، وقد بلغه عمرانها الآن، وهو المعروف الآن بجبل الرخَم، كما سيأتي ذكره، على مقربة من جبل حِرَاءٍ.

٣ ــ ثبير الوارد فيه قول أهل الجاهلية: أشرق ثبير كيما نُغَيْرُ، هو جبل مزدلفة ـ أحد الأثبرة ـ كما سيأتي، وكان المشركون لا يدفعون من مُزْدَلِفَةَ يوم النَّحْرِ حتّى تُشرق عليه الشمس، فخالفهم رسول الله ﷺ فدفع قبل طلوع الشمس إلى منى.

٤ ــ جملة (ما أقام ثبير) لا يفهم منها تقديس الجبل أو تعظيمه، فهي كقول امرئ القيس:

أجارَتَنا إنَّ الخُطوبَ تَنُوبُ ... وَإِنِّي مُقِيْمٌ ما أقامَ عَسِيْبُ

وكقول الآخر:

أُحِبُّكِ مَادَامَتْ بِنَجْدٍ وَشِيْجَةٌ ... وَمَا ثَبَتَتْ أُبْلَى بِهَا وتِعَارُ

فالمقصود الثبات وعدم التغير كثبات تلك الجبال واستقرارها على حالتها، لا تقديس تلك الجبال.

كما لا يفهم من تلك الجملة أنه أراد ثبير المراد بجملة: (أَشْرِقْ ثَبير) وإنما قصد أحَدَ الأثبرة، ولعله ثَبِير الأثبرة وهو أعظمها، وهو الذي إذا ثني أُريد ومعه حراء «تاج العروس» ـ ثَبر ـ وأرفع الأثبرة وأعظمها ثَبِير غينا بأعلى مكة بقرب جبل حِرَاء.

٥ ــ وهاهي أشهر الأثبرة التي ذكرها مؤرخو مكة:

الأول ـ ثَبِيرُ غَيْنَا: قال الأزرقي في «أخبار مكة» ٢ /٢٧٨ والفاكهي: ثَبِيرُ غَيْنَا هو المشرف على بئر ميمون، وقُلَّتُهُ المشرفة على شعب علي، وعلى شعب الحضارمة بمنًى، وذكر الأزرقي أن شعب الرخم بينه وبين الرُّبَاب وزاد الفاكهي «أخبار مكة» ٤/١٦٠ ـ عن عطاء: ذهبت إلى عائشة عند بئر ميمون وهي معتكفة بثبير. وفي «شرح أشعار الهذليين» للحسن بن الحسين السكري (٢١٢/٢٧٥) ـ ٣٥٥ ـ: قال أبو جندب:

لَقَدْ عَلِمَتْ هُذَيْلٌ أن جَارِي لَدَى أطرافِ غَيْنَا مِنْ ثَبِيْر

غَيْنَا ثَبير: قُلَّتُهُ وأعلاه. الباهلي: قُلَّةُ ثَبِير التي في أعلاه تسمّى غينا، وهو حجر كأنه قنة (ياقوت عنه: قبة) وهو ثبير غينا. وفي قصيدة أبي طالب ـ عم النبي ﷺ

وَثَوْرٍ وَمَنْ أَرْسَى ثَبِيْراً مَكَانَهُ وَرَاقٍ لِبِرٍّ في حِرَاء ونَازِل

وقال البكريُّ في «معجم ما استعجم»: ثَبِيرُ جَبَلٌ بمكة، وهي أربعة أثبرة بالحجاز، وللذي بمكة كانوا يقولون: أشرق ثبير كَيْمَا نغير، وهو الذي صعد فيه النبي ﷺ فرجف به فقال: «اسكن ثبير فإنما عليك نبي وصِدِّيق وشهيد» وقد روي هذا في حِرَاء، وهو ثبير الأثبرة، والثاني ثبير غينا ـ والثالث ثبير الأعرج، والرابع ثبير الأحدب. وقال أبو حاتِم عن الأصمعي في الأول: ثَبِيْرُ حراء. انتهى ويؤخذ على هذا:

١ ـ ثبير مكة، هو ثبير غينا ـ كما تقدم في نصوص من هم أقدم من البكري وأعلم بمواضع مكة.

٢ ـ قول المشركين: أشرق ثبير.. يريدون ثبير مزدلفة ـ كما سيأتي ـ.

٣ ـ قول الأصمعي: ثبير حِرَاء، أضاف ثبيراً إلى حراء لقربه منه، فهما يتناظران وثَبِيْرُ مكة يظهر أنه المراد في كثير من الأشعار القديمة عند الإطلاق لشهرته، وعظمه، ومشاهدته من أعلى مكة، ووقوعه في مدخلها الشرقي حيث يرد أكثر القادمين إليها ـ وانظر نماذج تلك الأشعار «أخبار مكة» للفاكهي ٤/١٥٩ ومابعدها ـ ويعرف الآن باسم جبل الرَّخم. ولعل لهذه التسمية صِلَة بشعب الرخم

الذي ذكر الأزرقي أنه واقع بينه وبين الرباب، وهذا جبل يقع بين ثبير وبين الثنية الخضراء في طريق منى - انظر «أخبار مكة» للفاكهي ٤/١٥٥ - هامش، ولثبير قُنَّة بيضاء تُمَيِّزُهُ عن غيره من الجبال، هي ماعرف قديماً باسم (غينا) وبئر ميمون كانت تقع على مقربة منه في أعلى الأبطح ، وقد دخلت الآن في قصر الملك فيصل، وقد أدركتها سنة ١٣٤٨هـ والسقاة يردونها، وكأني الآن أشاهد أحدهم وهو يمتح من مائها ويرتجز .

دَلْــوِ رْشَــاهَــا الْجِــمَّــلِصْ مِــنْ كَــفْ غَــيْرِي يِمَّــلِصْ

وعرفت بِسَبِيْلِ السِّتّ، وضُمَّتْ إلى مجرى عَيْن زبيدة - وانظر لتحقيق موضعها ما كتبه الأستاذ الشيخ عبدالملك بن عبدالله بن دهيش على هامش «أخبار مكة» للفاكهي - ٤/١٠٥ وما بعدها.

الثاني: ثَبِيْرُ (الزِّنْجِ) وهذا من جبال مكة -: قال الأزرقي في «أخبار مكة»: ٢/٢٧٨ - والفاكهي في «أخبار مكة» ٤/١٦٨ -: يقال له جبل الزِّنج لأن زنوج مكة فيما مضى كانوا يلعبون فيه ويحتطبون منه، وهو من ثبير النخل. انتهى وقال الفاسي في «شفاء الغرام»: ١/٢٩١ -: ثبير الزنج يقال إنه جبل بأسفل مكة يسميه أهلها النوبي. وقال ابن ظهيرة في «الجامع اللطيف» ٣١٤ -: ثبير الزنج جبل النُّوبي بأسفل مكة في جهة الشبيكة، الذي به مولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه - انتهى ولايزال هذا الجبل يعرف باسم جبل عمر . يشرف على محلة الشبيكة.

الثالث: ثَبِير النُّخيل - من جبال مكة أيضاً -: قال الفاكهي: «أخبار مكة» ٤/١٦٣ - لما ذكر ثبير الزِّنج -: وهو ثبير النخيل، ويقال: إن الأَقحوانة الجبل الذي به الثنية الخضراء ، وبأصله بيوت الهاشميين، يمر سيل منى بينه وبين وادي ثبير . وقال الأزرقي «أخبار مكة» - ٢/٢٧٩ -: ثبير النخيل ويقال له الأقحوانة الجبل الذي به الثنية الخضراء ، وبأصله بيوت الهاشميين، يمر سيل منى بينه وبين وادي ثبير . وسبق أن قال عن ثبير الزنج: وهو من ثبير النخيل.

وثبير الزنج في أسفل مكة، والأقحوانة والثنية الخضراء من أعلاها في أول

طريق مِنى من الأبطح فكيف يكون هذا ؟ فلعل الجملة المتعلقة بالأقحوانة لا صلة لها بتعريف ثبير النخيل، كما لاحظ الشيخ عبدالملك بن دهيش محقق كتاب الفاكهي، واستدل على هذا بحذف كلمة (له) من بعض مخطوطات كتاب الأزرقي وقال: والذي ينبغي أن تعول عليه في تعريف ثبير النخيل هو ما ذكره الفاكهي والأزرقي، فالأزرقي جعل ثبير الزنج جزءاً من ثبير النخيل، والفاكهي جعل ثبير الزنج هو ثبير النخيل كله ـ هامش «أخبار مكة» للفاكهي : ١٦٣/٤ ـ.

الرابع: ثَبِيرٌ الأُعْرَج ـ وهَذَا خارجُ مكة وحَرَمِهَا ، ويقع جنوبها فيما بينها وبين عرفات، قال الأزرقي في «أخبار مكة» ٢ / ٢٨٠ ـ: ثبير الأعرج: المشرف على حقِّ الطارقيين بين الـمُغَمَّسِ والنَّخيل، وكذا قال الفاكهي «أخبار مكة»: ١٦٨/٤ ـ وقد أوضح الشيخ عبدالملك بن دُهَيْش محقق هذا الكتاب أن ثبيراً هذا هو الجبل المعروف الآن باسم جبل الطارقي، العالي الذي يكون على يسار القادم إلى مكة من طريق السيل، إذا دخل أرض الصفاح واقترب من أنصاب الحرم، وهو يشرف على حيِّ الشرائع السفلى ولايزال يطلق على أحد شعابه التي تسيل منه شمالاً على أرض ذوي الدخل المحدود اسم (شعب الأعرج). انتهى وثبير هذا خارج الحرم. أما ما جاء في كتاب «بلاد العرب» ٣٤ ـ وفي «معجم البلدان» منسوباً إلى الأصمعي: ثبير غينا وثبير الأعرج وهما حراء وثبير ففيه إشكال، إذ مفهومه أن جبل حِرَاء هو ثبير الأعرج، وهذا لا يتفق مع ما نقل عنه البكري أنه قال في الأول ـ أي ثبير الأثبرة ـ: ثبير حراء . وتقدم توجيه هذا بأنه أضاف ثبيراً إلى حِرَاء لقربه منه، كما أن أول كلامه من أن ثبيراً الأعرج هو المشرف بمكة على حق الطارقيين لا يتفق مع تحديد حق الطارقيين في كلام الأزرقي، وأنه بين المغمس والنخيل، وهذا خارج مكة، فعبارة الأصمعي مضطربة ومهما يكن فمؤرخا مكة الأزرقي والفاكهي أعرف بمواضعها. ويؤيد القول بأن ثبيراً الأعرج هو جبل الطارقي قول الزمخشري أن ثبيرَ غينًا وثبيرا الأعرج جبلان يصب بينهما أفاعية كما في «شفاء الغرام» ٢٩١/١ ـ أن أفاعية تسيل بعض فروعه من جبل الطارقي ويمرُّ الوادي بثبير غينا حتى يفيض في الأبطح ، وقد عُدِلَ أَخِيْراً إلى وادي فَخٍّ .

الخامس: ثَبِيْرُ مِنَى، قال الفاسي في «شفاء الغرام»: ١ / ٢٩٠ -: ثبير الذي يستحب للحاج إذا طلعت الشمس عليه سار إلى عرفة لينزل نمرة هو جبل كبير بمنى، على يسار الذاهب إلى عرفة، وهو يشرف على منى من جمرة العقبة إلى تلقاء مسجد الخيف وأمامه قليلاً على يسار الذاهب إلى عرفة. قال الأزرقي: اسم الجبل الذي مسجد الخيف بأَصْلِهِ الصفائح، واسم الجبل الذي وجَاهَهُ على يسارك إذا أتيت من مكة المقابل، ثبير، وهو من الأثبرة. انتهى وثبير هذا هو الذي ذكر الأزرقي في «أخبار مكة» ٢ / ١٧٥ - فيما روى عن ابن عباس: الصخرة التي بمنى التي بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم - عليه السلام - فداء ابنه إسحاق هبط عليه من ثبير كبش أعين، أقرن، - إلى آخر ماذكر - وثبير هذا هو جبل منى المستطيل الممتد من جمرة العقبة إلى ما بعد محاذاة مسجد الخيف، وهو الذي وهم القزويني في كتابه «عجائب المخلوقات» فَعَدَّهُ من جبال مكة، وقال: جبل ثبير بمكة، بقرب منى، وهو جبل مبارك... وهو الذي أُهبط عليه الكبش الذي جعله الله فداء لإسماعيل عليه السلام - والعرب تقول: أشرق ثبير كيما نغير قال الفاسي في «شفاء الغرام»: ١/٢٨٢ -: وقوله: بمكة تَجَوُّزٌ، سبق إليه الجوهري، وهو تجوز لكونه بقرب مكة، ثم نقل عن مجدالدين الفيروزآبادي شيخه - وهو صاحب «القاموس المحيط» أنه قال في كتابه «الوصل والمنى في فضل منى» أن النبي ﷺ كان يتعبد فيه قبل النبوة وأيام ظهور الدعوة، ولهذا جاورت به عائشة، وذكر أن بالمغارة التي أنشئت بلحف ثبير معتكف عائشة، وأضاف الفاسي: ويعرف هذا الموضع بصخرة عائشة. ولا أدري من أين أتى المجد بتعبد رسول الله ﷺ فيه، فالمعروف أن مكان تعبده كان بغار حراء، حيث نزل عليه الوحي أول مانزل. أما القول بأن عائشة جاورت به فأرى هذا من قبيل الالتباس، إذ تقدم قول الفاكهي عن عطاء: ذهبتُ إلى عائشة عند بئر ميمون، وهي معتكفة بثبير، فثبير الذي عند بئر ميمون هو ثبير غَيْنَا، بمكة كما تقدم - والمجاورة تكون قرب المسجد الحرام، وثَبِيرُ مُنَى هذا له ذكر في مناسك الحج، حيث ذكر العلماء أن الحاج يسير إلى عرفة إذا طلعت عليه الشمس - وسيأتي في الكلام على ثبير مزدلفة (ثبير النصع) زيادة إيضاح.

السادس: ثبير النَّصْع. قال الأزرقي في «أخبار مكة»: ٢/ ٢٨٠ ومابعدها ـ والفاكهي في كتابه ـ ٤/ ١٦٧ ـ: ثبير النَّصْعِ هو الذي فيه سِدّاد الحجاج، وهو جبل المزدلفة الذي على يسار الذاهب إلى منى، وهُوَ الذي كانوا يقولون في الجاهلية، إذا أرادُوْا أنْ يدفعوا من المزدلفة: أَشْرِقْ ثَبِير، كَيْـمَا نُغِير، ولايدفعون حتَّى يرون الشمس عليه. انتهى ويظهر أن الفاكهي نقل كلام الأزرقي بِنَصِّهِ مع مافيه من إشكال وهو قوله: عن يسار الذاهب إلى منى مع قوله: هو الذي فيه سِدادُ الحجاج الذي قال عنه (٢/ ٢٨١): السِّدَاد ثلاثة أسِدَّة بِشِعْب عمرو بن عبدالله بن خالد، وَصَدْرُها يقال له ثبير النَّصْع عملها الحجاج بن يوسف تحبس الماء، والكبير منها يدعى أثال، وهو سدٌّ عمله الحجاج في صدر شعب ابن عمرو وجعله حَبْساً على وادي مكة، وجعل مفيضه يسكب في سدرة خالد وهي صدر وادي مكة انتهى. وسِدَاد الحجاج تقع في الشمال الشرقي من عرفة بحيث يدعها الـمُتَّجهُ إلى مِنَى يمينه ـ انظر عنها ما كتبهُ الشيخ عبدالملك بن دُهيش في هامش ٤/ ١٧٠ من «أخبار مكة» للفاكهي فقد أوضح موقعها وذكر أن شعب عمرو بن عبدالله هو السِّرَر، وهو ما يعرف الآن باسم الـمُعَيْصِـم ـ الذي وقع في نفقه اختناق أكثر من ١٤٠٠ من الحجاج في ١٠ ذي الحجة سنة ١٤١٠هـ وقال الشيخ ابن دهيش (٤/ ١٦٧): يظهر أن الفاكهي والأزرقي أرادا أن يقـولا: إن ثبير النّصْع على يسار الذاهب إلى منى من شعب عمرو بن عبدالله بن خالد (المعيصم) وهذا صحيح لأن هذا الشعب هو الذي فيه سداد الحجاج وثبير النصع هو الجبل الذي لم يكونوا يدفعون من مزدلفة حتى يروا الشمس على رأسه... وهو أعلى الجبال المحيطة بالمزدلفة، وفيه سداد الحجاج، وهو أول جبل تشرق عليه الشمس في مزدلفة أما الجبال التي على يسار النازل من مزدلفة إلى منى فهي جبال صغيرة، وأسماؤها معروفة. انتهى. وقال الفاسي في «شفاء الغرام»: ١/ ٢٩٠ ـ إذا تقرر أن ثبيرا بمنى وثبيرا بمزدلفة فلا مانع من أن يكون ثبير الذي إذا اطلعت عليه الشمس سار الحاج من مبيته بمنى إلى عرفة ـ كما قال الفقهاء ـ ثَبير مِنَى لكونه إلى مبيت الحاج أقرب منْ ثبير الذي بمزدلفة، ولا مانع من أن يكون ثبيرٌ الذي عناه المشركون بقولهم: أشرق ثبير كَيْـمَا نُغِير، من المزدلفة، لأنهم كانوا يقولون ذالك

بالمزدلفة ولا يدفعون منها حتى تطلع الشمس على ثبير الذي بها، وهو إلى أبصارهم أقرب من ثبير الذي بمنى كيف وقد قال الأزرقي أن ثبيرا الذي عناه المشركون ثبير المزدلفة، وأثبت أن بمنى ثبيراً سواه. وأما قول النووي في «التهذيب» وغيره: أن ثبيرا جبل عظيم بالمزدلفة على يسار الذاهب إلى منى ويمين الذاهب من منى إلى عرفات، وأنه المذكور في صفة الحج، والمراد في مناسك الحج، فقد اعترضه شيخنا المجد ـ يقصد الفيروزآبادي صاحب «الوصل والمنى» ـ وقال: إنه قول فيه مقال، ورجم بالغيب، ومخالفة لإجماع أئمة اللغة والتاريخ ـ ثم قال المجد: نَعَمْ في المزدلفة جبل يُسَمَّى ثَبْيراً وليس هو المراد في مناسك الحج ـ انتهى. ولكن ثبير مُزْدَلِفَةَ ورد له ذِكْرٌ في مناسك الحج. فقد روى البخاري في «الصحيح» بسنده إلى عمرو بن مَيْمُونٍ قال: شهدتُ عمر ـ رضي الله عنه ـ صَلَّى بِجَمْعٍ الصُّبْحَ ثم وقف فقال: إنَّ المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس، ويقولون: أشْرِقْ ثبير، وأنَّ النبي ﷺ خالفهم، ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس ـ «فتح الباري»: ٥٣١/٣ ـ والغريب أنَّ الحافظ ابن حَجر ـ مع سعة علمه ـ قال في شرحه: ثَبِير جبل معروف هناك، وهو على يسار الذاهب إلى مِنًى، وهو أعظم جبال مكة. وتقدم أنه بمزدلفة وليس بمكة، وأنه على يمين الذاهب إلى منى، وكأن ابن حجر أخذ برأي القائلين بأن ثبيرا المعنيَّ بقول المشركين: أشرق ثبير ـ ليس ثبير مزدلفة، فقد قال ابن ظهيرة في «الجامع اللطيف» ـ ٣٤٥ ـ: ثبير النصع: جبل لطيف بمزدلفة على يسار الذاهب إلى منى ـ ثم أورد كلام الأزرقي ـ وأضاف: والمعروف المنقول عن جميع أهل المناسك أنهم ما كانوا يعنون إلَّا ثبير الأثبرة الذي بمنى ـ إلى أن قال: ووجَّه الفاسي ماذكره الأزرقي ـ وأورد كلام الفاسي المتقدم.

السابع: ثَبِيْرُ الأحدبُ، وهذا لم أر له ذكراً عند الأزرقي ولا الفاكهي، وقد عَدَّه ياقوت من الأثبرة التي بمكة، بل ذكره قبله الحسن بن الحسين السكري (٢١٢/٢٧٥هـ) في «شرح أشعار الهذليين» ـ: ٣٥٥ ـ بما نصه: الباهلي: غينا ثبير قلة ثبير التي في أعلاه تسمى غينا، وهو حجر كأنه قنة، وهو ثبير غينا وثبير الأعرج، وثبير الأحدث، قال السُكَّرِيُّ: أظنه الأحدب وثبير آخر، فهن أربعة أثبرة، وذكره البكريُّ في «معجم ما استعجم»: ثبير الأحدب هكذا ضبطناه عن

أبي العباس الأحول على الإضافة وحكاهما أبو بكر بن الأنباري على النعت ثبيرٌ الأعرجُ وثبير الأحدبُ.

وقال ابن ظهيرة في «الجامع اللطيف» - ٣٤٦ -: بمنى جبل يدعى الأُحَيْدب مقابل مسجد الخيف على يسار الذاهب إلى عرفة، وإلى جانبه آخر لا يبعد أن يكون ثبير غينا، وبينهما شعب الظاهر أنه أفاعية، وعلى هذا يصير بمنى ثلاثة أثبرة، ثبير المشهور، وثبير غينا، وثبير الأحدب. انتهى. وثبير غينا تقدم ذكره وأنه في أعلى مكة، وعلى ماذكر ابن ظهيرة فثبير الأحدب - والأحيدب - متّصل بثبير منى، وقد يكون الاسم أطلق على جزء منه فيه احْدِيْدابُ (اعوجاج).

الثامن: ثَبِيْرُ الْـخُضَيْرَاء، قال الفاسي في «شفاء الغرام»: ١/٢٩١ -: ثَبِيْرُ الْـخُضَيْراءِ الجبل المشرف على الموضع الذي يقال له الخضيراء، بطريق مِنًى، وهو مكان مشهور، وأورد كلامه ابن ظهيرة في «الجامع اللطيف»: ٣٤٦ - وأضاف: والخضيراء وادٍ معروف إلى اليوم وسبق الكلام على ثبير النَّخِيل، ومما جاء في تحديده عند الأزرقي: ويقال له الأقحوانة الجبل الذي به الثنية الخضراء، وبأصله بيوت الهاشميين، يَمُرُّ سيل مِنًى بينه وبين وادي ثبير. انتهى. لا أستبعد أنه سقط من أوّلِ الجملة: (وثبير الخُضَيْراء: ويقال له الأقحوانة) ليتم الكلام على ثبير النخيل أنه جبل الزنج، ولا يكون ارتباط بين تعريف هذا الجبل الواقع بأسفل مكة بالأقحوانة الموضع الواقع بأعلاها بقرب بئر ميمون - «أخبار مكة» للفاكهي ٤/١٦٦ -.

مما تقدم يتضح أَنَّ الأَثْبِرَة منها أربعةٌ بمكة، ثَبِيرُ غَيْنَا وثَبير الخُضَيراء في أَعْلاَهَا وثبير الزِّنْج وثَبير النخيل في أسفلها في داخلها. وثبير الأعرج جنوب شرقي مكة خارج الحرم، بينها وبين عرفة، اثنان في منى، ثَبيرٌ، وثبير الأحدب، وواحد في مزدلفة وهو ثبيرُ النَّضْعِ، فكأن الأثبرة تمتد من أَعْلَى مكة حتى تنتهي بمزدلفة ماعدا اثنين يقعان داخل مكة.

١٧ ـ ثَقِيْبُ: (٩٧)

عَفَا مُتْعَـرٌ مِنْ أَهْلِهِ فَثَقِيْبُ فَسَفْحُ اللَّوَى مِنْ سَائِرٍ فَجَرِيْبُ

المصطلحات العلمية في التراث العربي

رُؤْيـــة واستـــدراك

إنَّ الحديث عن إحْياء التراث العربي ـ وَهْو على ما نعْلَم من سعَته وشموله في الكمِّ والكيْف ـ لا بُدَّ أنْ يَمُرَّ بطريقٍ أوْ بآخر بالحديث عن التحقيق من حيْث أُسسه وقواعده. ←

→ (قال ابن الأعرابي: مَثْعَرُ وادٍ بالْفُرْع ، وثَقِيْبُ وادٍ بالفرع أيضاً ، وسائر جبل في هذا الموضع).

ثَقِيبُ: وادي لايزال معروفاً ينحدر من أسافل جبال الفُرْع ومن جنوب غرب جبل قُدْسٍ حتى يجتمع بوادي القاحة قبل اجتماعه بوادي النَّخل ـ أعظم أودية الفرع ـ بخمسة عشر كيلاً ، مجتمع وادي القاحة ووادي النخل في متّسع من الأرض، فيه محطة لقوافل الحجاج قديماً تعرف ببئر مبيرك ، وبعد اجتماعهما يسمى الوادي وادي الأبواء . ومن روافد وادي ثقيب أم كشد ـ في السيرة لابن هشام ـ: (ذو كشر) وجُداجد، وأُجيرد ، والثلاثة وردت في خبر الهجرة ـ انظر «العرب»: ١/٥٩١ ـ وقد مررت بتلك المواضع ـ (يقع بين خطي العرض ١٥َ/٢٣° و ٣٥َ/٢٣° وخطي الطول: ١٥َ/٣٩° و ٣٠َ/٣٩°، وفيه موقع مأهولٌ يدعى (البستان) بقرب خط الطول: ٢٠َ/٣٩° وخط العرض: ٢٠َ/٢٣°). وقد ورد اسم ثقيب هذا مصحفاً (نقيب) في «معجم ما استعجم» رسم حورة حيث ورد البيت منسوباً إلى نُصَيْب:

عفـا مَنْقَـلٌ مِنْ أَهْلِهِ فَنَقِيْـبُ فَسَرْحُ اللَّوَى مِنْ سَائِرٍ فَمُرِيْبُ

ويطلق اسم ثقيب أيضاً على شِعْبٍ في جبل أجإ ، ورد في «شعر حاتم».

(للبحث صلة): حمد الجاسر

وتتلخّص عمليّة التحقيق ذاتها في أنّ: «الكتاب المحقَّقُ هو الذي صحّ عنوانُه، واسْم مؤلِّفه، ونِسْبة الكتاب إليه، وكان مَتْنه أقرب مايكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه»[1].

وربّما يظنّ البعْض من خلال هذا التعريف الوجيز أنّ تحقيق المخطوطات من الأمور اليسيرة التي لا تتطلّب سوى جَمْع أكبر قَدْرٍ من النّسخ المختلفة من المؤلَّف الواحد والمقابلة بين تلك النّسخ ، والاستدراك على النسّاخ فيما يَقع بيْنَهم أثناء النّسْخ من سقْطٍ أوْ إضافةٍ أوْ تحريف. . . الخ. غير أنّ الأمْرَ في حقيقته على العكس تماماً فالتحقيق هو من أشقّ الأمور ، وأكثرها عناءً وجهْداً .

ولبيان ذالك نقول: لو افترضنا أنّ كتاباً مّا ـ من كُتب التراث ـ قد توافرت فيه كلّ الأمور الواردة في تعريف الكتاب المحقَّق، فصحّ عنوانه واسم مؤلّفه، وصَحَّتْ نِسْبَةُ الكتاب إليه، وخرج مَتْنُه كما كتبه المؤلّف أوْ كانَ أقْرَب مايكون إليه، بل لو افترضنا كذالك أنّ الحظّ قد أتاح لنا أنْ نَعْثر على كتابٍ قد خطّه المؤلّف بيده، فلم نَعُدْ بحاجَةٍ إلى بَذْل الجهْد الذي يَبْذله المحقِّقونَ عادةً في المقابلات بين النّسخ المختلفة أوْ تتبّع أخْطاءِ النُّسَّاخ من تصحيفٍ وتحريف وسهو . . . الخ .

لو افْتَرَضْنا ذالك كلّه، فهلْ يَبْلغ محتوى الكتاب في نفس القارئ مَبْلغاً سهْلاً يسيراً كما أراد له المؤلّف أنْ يَبْلغ بما كتبه في نفوس قارئيه فَهْماً وإدراكاً ؟ وهل الغاية من التحقيق هو نَشْر الكتاب كما تركه مؤلّفه دون التّعرُّض لمحتواه بالشرح والتفسير بحيث لا تشقّ على القارئ قراءته أوْ تَعْسر عليه معانيه؟

وبمعنى آخر ، ماهي الفائدة المرجوّة من نَشْرِ كتابٍ قد كُتِبَ قَبْلَ عَشْرة قرونٍ خَلَتْ دون أنْ يصاحبَ هذا النّشر ما يُعِينُ القارئ على فَهْمه واستيعابه ممّا يُخرِجُ مِثْل هذا الكتاب من دائرةٍ ضيِّقةٍ للغاية هي دائرة المخْطوط الذي يَسْتَغْلقُ على الفهْم ، إلى دائرةٍ أرْحَبَ من هذا بكثير ، ونعني بها دائرة التراث الإنساني بما قد يحتوي هذا التراث على فكرٍ راقٍ أوْ أدبٍ رفيع، أوْ علمٍ غير مسبوق.

صحيحٌ أنّ التحقيق هدفٌ في حدّ ذاته، وغايةٌ نَسْعَى إليها في سبيل إحياءِ

وبعْث التراث العربي. ولكنَّ الصحيح أيضاً أنّ التحقيق هو وسيلةٌ من وسائل هذا الإحياء والبعْث.

وفي اعتقادنا أنّ تحقيق أي كتابٍ من كتب التراث يظلُّ تحقيقاً مبتوراً مالم يَعْمل المحقّق على جلاء غوامضه بالشّرح والتعليق، فيما يخصّ اللّفظ أوْ فيما يتعلّق بالمعنى. ولا نجاوزُ الصواب إنْ قلنا إنّ الغالبية العظمى من مؤلّفات التراث العربي لا يَستقيم فهمها وإدراك محتواها إلّا من خلال شرح وتفسير ماقد يَغْمض على القاريْ فهمُه من ألفاظٍ ومعانٍ. يقول الأستاذ المحقّق عبدالسلام هارون: (لارَيْبَ أنّ الكتب القديمة، بما تَضمّنت من معارف قديمة، محتاجةٌ إلى تَوْضيحٍ يخفّف مابها من غموض، ويحْمل إلى القاريْ الثّقة بما يَقْرأ وَالاطْمئنان إليه. ومن هنا كان من المسْتحسن الاّ يَتْرك المحقّق الكتاب غُفْلًا من التعليقات الضروريّة التي تجعله مطمئنًّا إلى النُّصّ، واثقاً من الجهْد الذي بذله المحقّق في تفهّم النّصّ، وتقدير صحته)[٢]. إذن فوجود مثل هذه التّعليقات والهوامش التي تفسّر وتَشْرح الغامض والغريب من مفردات مَتْن الكتاب المحقّق لِـمَن الأمور التي لا غنى عنها، حتّى يتسنّى للقاريْ أَنْ يَقْرأ تراثاً إنسانيًّا، لا أنْ يقرأ متناً أَشْبه بالمخطوط المستغْلق على الفهم، لا يخرج منه بشيء. وعلى سبيل المثال: هل في مقدور القاريْ أَنْ يقرأ في يُسْرٍ وسهولة كُتُباً مثل «رسالة الغفران» أوْ «الصاهل والشاحج» للمعرّي دون النّظر إلى تعليقات وشروح الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطيء) التي حقّقت الكتابيْن؟ وهل كان في مستطاع القاريْ أَنْ يفهم محتوى «ألفِيّة ابن مالك» دون اللجوء إلى شروحها الكثيرة... الخ.

ومن الطريف في الأمر أنّ القدماء كانوا أكثر وَعْياً وإدْراكاً لهذه الحقيقة بدليل كثرة شروحهم المتنوعة للشعر العربي القديم. وأغلب الظن أنّه لولا وجود مثل هذه الشروح لما استقام فهم القاريْ للشعر العربي القديم. وعلى سبيل المثال: هل كان من الميسور على قاريْ الشعر الجاهلي إدراك معانيه في يسر وسهولة دون النظر في بعض شروحه مثل «المفضّليات» للمفضّل الضّبيّ أوْ «شرح القصائد التسع المشهورات» لأبي جعفر النحاس، وهل كان من الميسور ـ أيضاً ـ على القاريء،

فهم ديوان «سِقْط الزند» للمعري دون مراجعة شروح كلٍّ من التبريزي والبطْليُوسِي والخوارزمي.

ملاحظات حول تفسير المصطلح العلمي العربي:

وإذا كُنَّا قد تحدثنا عن اهمية شَرْح وتفسير المفردات في أسفار التراث الأدبي شعراً كان أَمْ نثْراً ومَدَى ضرورتها لفهم هذا الطراز من التراث، فإنّ السؤال الذي يُلِحُّ علينا الآن ؛ وماذا يمكن أَنْ يقال عن التراث العلمي ؟

والتراث العلمي الذي نعنيه هنا هو ما ألّفه العلماء في علوم الفلك والطب والكيمياء والمعادن. . . الخ.

والحقيقة أنّه إذا كانت مثل هذه التعليقات والشروح التي تفسّر ماقد يغمض على القارئ معرفته من المفردات في متون مؤلّفات التراث الأدبي هي من الأهميّة بمكان، في وجوب وجودها وضرورتها. فإنّ وجود مثل هذه التعليقات والشروح في تحقيق التراث العلمي أَشَدُّ لزوماً وأَوْجب في الضرورة، هذا إنْ لم تكن - في اعتقادنا - شرطاً أساسيًّا من شروط تحقيق مؤلّفات التراث العلمي. وذالك لسبب بسيط للغاية وهو أنّ مؤلّفات التراث الأدبي المحقّقة والتي يخلو منها مثل هذه الشروح والتعليقات، فإنه من السهل على القارئ في هذه الحالة أَنْ يستدرك مافات المحقّق أَنْ يثبته من تعليقات وشروح ، وذالك بالرجوع إلى معاجم اللغة.

غير أنّ الأمر يختلف تماماً عند تحقيق التراث العلمي لِأَنَّ المفردات الغريبة والتي لم يَألفها القارئُ والتي تأتي على غير مثالٍ مسبوق سواء من ناحية غموض المعنَى أَوْ غرابة التركيب البنائي، إنّما هي في حقيقة الأمر مصطلحاتٌ علميّةٌ، لأنّ المؤلّف - في هذه الحالة - يكتب عِلْماً مَحْضاً أَيْ أنّه يريد بذكْر تلك المفردات الغريبة؛ المعنى العلمي لها. ومِثْل هذه المصطلحات العلميّة لا تَفي معاجم اللّغة بشرحها وتفسيرها، بل ربّما يَبْعد معناها اللّغويُّ عن معناها الإصطلاحي، الأمر الذي قد يُضِلِّلُ القارئَ إذا استعان بمعاجم اللغة وَحْدَهَا. ويَرْجِعُ السَّبَبُ في قصور معاجم اللغة عن التفسير الصحيح للمصطلح العلميّ أنّ بَعْض هذه المصطلحات قد اسْتُحْدِث معناها لدى العرب لدى اشتغالهم بالعلوم الأمر الذي يبعد تماماً -

أي المعنى الإصْطلاحيّ - عن المعنى اللّغوي مثل الصّنعة أو الجبر فهُما من المصطلحات التي لا تفيد معاجم اللغة عن إدراك وبيان حقيقة المعنى العلميّ لهما. كما أنّ الكثير من المصطلحات العلميّة لا أصْل لها في معاجم اللغة لأنّها مصطلحاتٌ قد تمّ تعريبها إبّان حركة الترجمة والنقل التي اتّسع نطاقها في العصر العباسي مثل اللاّزَوَرْد، والمَرْقشِيتا والإسْطِرْلاب.... الخ.

ولعلّ التهانوي كان أكثر إدراكاً لأهميّة المصْطَلح، فكَتَب في مقدّمة كتابه «كشّاف اصطلاحات الفنون» يقول: (إنّ أكثر ما يحتاج به في تحصيل العلوم المدوّنة، والفنون المروّجة إلى الأساتذة هو اشْتباه الاصطلاح فإن لكلّ عِلْمٍ اصطلاحاً إذا لَمْ يُعْلَمْ بذالك لا يتيسّر للشّارعِ فيه إلى الاهتداء سبيلاً ولا إلى فهْمه دليلًا)[٣].

إذن لابُدّ لمحقّق التراث العلميّ أنْ يَشْرَح بشيْءٍ من التفصيل هذه المصطلحات شرحاً علميًّا حتّى يتسنّى للقاريْ فَهْم المعْنَى فَهْماً كاملاً كما يدلّ عليه سياق الكلام، وكما أراد له المؤلّف. ولقد حدّدَ التهانويُّ سبيلَيْنْ من سُبُل التعرّف على تفسير وشرْح هذه المصطلحات، السبيل الأوّل هو الرجوع إلى أساتذة العلم، أمّا السبيل الثاني فهوالرجوع إلى الكتب التي جُمعت فيها اللّغات المصْطلحة[٤]. وأذَا كان لابُدَّ لَنا مِنْ إضَافةٍ إلى هٰذَيْن السبيليْنْ، فإنّنا نذْكر سبيلاً ثالثاً وهو إيجاد الصّلة بين هذه المصطلحات العلميّة في التراث العلميّ وبينْ مايُنَاظِرُها على ضوء العلم الحديْث. ولِكيْ تتّضح هذه السبل الثلاثة في ذهن القاريْ في سبيل اكتمال المعنى العام للمصطلح العلميّ، فإنّه لابُدَّ لنا أَنْ نُورِدَ مثالاً على ذالك كنوعٍ من التّطبيق الذي يؤدّي في نهاية المطاف إلى بيان المعنى العلميّ الذي قَصده المؤلّف بذكره لهذا المصطلح أوْ ذاك.

فإذا افترضنا أنّ قارئاً قد استوقفَتْهُ كلمة (الإثْمد) مثلاً في بَعْض مؤلّفات التراث العلمي في علوم المعادن والأحجار، أوْ في كتب الطبّ، فما هو أَوْجُه التفسير المناسبة لهذه الكلمة، حيث يدلّ وجودها في مثْل هذه المؤلّفات فضلاً عن سياق الكلام؛ أنّها مصطلحٌ علميٌّ بحاجةٍ إلى التفسير العلميّ. ويمكن للمحقّق في هذه

الحالة أنْ يفسّر (الإثمد) على النحو التالي. الإثْمد ـ في «لسان العرب» لابن منظور ـ: حجرٌ يُتّخذُ منه الكحْل، وقيل؛ ضَرْبٌ من الكحْل، ويقال فلانٌ يَجْعل اللّيل إثمداً أيْ يَسْهر فجعل سواد الليل لعينيه كالإثْمد)[٥].

وجاء في «تذكرة داوود»: (الإثْمد: الكُحْل الأصفهاني الأسْود، وباليونانية سَطِيني وهو من كبريْتٍ ضعيف وزِئْبق رَدِيْءٍ عَقدتها الرّطوبة بالحرارة الضعيفة فلذلك أسودٌ)[٦]. وجاء ـ أيضاً ـ في «عجائب المخلوقات» للقزويني: (الإثْمد؛ هو حجرٌ معروفٌ له معادنٌ كثيرةٌ، وأغلبها في أكناف المشرق وهو حجرٌ يخالطه الرّصاص يَنْفع العيون اكْتحالاً)[٧].

أمّا عن حقيقة الإثْمد فهو أحد معادن عنصر (الأنتيمون Antimony) ويتكوّن كيميائيًّا من كَبْريتيد الأنتيمون) ويُرْمَزُ له بالرمز Sb_2S_3 ويعرف في علم المعادن باسم (انتيمونيت Antimonite) أو اسم (ستبنيت Stibnite)[٨]. ويرجع العالم الكيميائي (ريمي Remy) بأنّ لفظة (الأنتيمون) مشتقّةٌ من (الإثمد) العربية[٩].

نخلص من هذا إلى القول بأنّه من الخطإ الواضح أنْ يَتْرُكَ المحقّق مثل هذه المصطلحات العلميّة دون تفسيرها التفسير العلميّ، وذالك عن طريق الإستعانة بكتب التراث العلميّ التي تَرِدُ فيها مِثْل هذه المصطلحات، كما أنّ خِبْرةَ المحقّق وفَهْمه للنّصّ يلعبان دوراً هامًّا في بيان التفسير العلميّ للمصطلحات العلمية، الأمر الذي يَجْعل مؤلّفات التراث العلمي ذات قِيمَةٍ علمية في سجلّ تاريخ العلم العام، فضلاً عمّا قد يحتويه هذا التراث من علمٍ غير مسبوق.

ولقد تَتَبّعْنَا جملةً من مؤلّفات التراث العلميّ العربي التي تمّ تحقيقها ناظِرِيْنَ إلى مَنْهج التحقيق، ولاسيّما فيما يتعلّق بالكَيْفيّة التي انتهجها المحقق حيال المصطلحات العلمية، ولقد خلصنا من تتبع هذه المؤلفات إلى أن المحققين في معالجتهم للمصطلحات العلمية كانُوا ثلاثة أقسامٍ يُمْكِنُ لنا أنْ نفصّل كلّ قسمٍ على النّحْو التالي:

أوّلاً: فريقٌ من المحققين قد وَضع الحقّ في نصابه فأجاد معالجته لهذه القضيّة، بمعْنى أنّ هذا الفريق قد فسّر المصطلحات العلميّة الواردة في مؤلّفات التراث

العلمي تفسيراً علميًا صحيحاً . بل زاد البعض منهم فأوْرَد المصطلحات العلميّة الحديثة التي ترادف المصطلحات العلمية التي وضعها العلماء العرب في مؤلّفاتهم. ولعلّ في كتاب «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار»، للتّيفاشي تحقيق الدكتور محمد يوسف حسن والدكتور محمود بسيوني خفاجي المثل الواضح على تفسير المصطلحات العلميّة في مؤلّفات التراث تفسيراً علميًا صحيحاً على ضوء معطيات العلم الحديث، فعندما يتحدّث التيفاشي مثلاً عن كثرة الماء أوْ المائيّة العالية في الياقوت فإنّه - أيْ التيفاشي - كما أوضح ذالك المحققان كان يَعْني - في علم المعادن - درجة الشفافية (Transparancy)[١٠]. وعندما تحدّث كذالك عمّا أسْماه بالمحكّ أوْرَد المحققان المقابل العلميّ لهذا المصطلح، فالمحكّ هو - في علم المعادن - المخدش (Streak)[١١]. وعلى هذا النسق كان نهج المحققيْن حيال المصطلحات العلميّة، ولا نجاوز الصواب إنْ قلنا إنَّ تحقيق «أزهار الأفكار»، للتيفاشي من التحقيقات الرائدة في بابها، هذا إنْ لم يكن مثالاً يُحتذى في التحقيق. وقريبٌ من هذا النهج ماكتبه الدكتور أحمد مضر صقّال في دراسته لأسلوب الرازي في تشخيص وتدبير الجدريّ، والحَصْبَة، فقد أورد المقابل العلمي الحديث لمصطلحات الرازي، فالأسباب - يقابلها - (Eteology)[١٢] والتدبير - يقابلهُ (Management)[١٣]. . . . الخ.

ثانياً: فريقٌ استند في تفسيره للمصطلحات العلميّة إلى كتب التراث العلميّ نفسه، أوْ المؤلّفات التي تتميّز بموسوعيّة النهج، وشمول التأليف، دون أنْ يجعل لمعطيات العلم الحديْث مكاناً في تفسيره. الأمر الذي قد يشقّ على القاريْ تفسير المحتوى العلمي للكتاب.

وعلى الرغم من أنّ لجوء المحقّق إلى كتب التراث العلميّ هو أمرٌ على شيْءٍ من الصواب إلاّ أنّ تفسير المعنى العلميّ للمصطلح الذي يَرِدُ في متن الكتاب المحقّق يظلّ قاصراً مالم يكن هناك مايقابل مثل هذا المصطلح بمعطيات العلم الحديث، الأمْر الذي قد يؤدّي بالتّالي إلى نتائج ثلاث: أوّلها؛ عدم فَهْم القاريْ للكتاب المحقّق ومابه مِنْ مصطلحاتٍ علميّة فَهْماً كاملاً . وثانيها؛ حَجْب جَوْهر الإبداع العلمي العربي وماقد يتضمّنه من سَبْقٍ في أمْرٍ من أمور العِلْم. وثالثها؛ أنّ القاريْ

الذي يريد التَّعرُّف على تاريخ العلم عند العرب في مظانِّهِ ومصادره الأصليّة قد لايخرج بشيْءٍ ذِي بَالٍ حَوْل مايريد التعرّف عليه. ومن هذا الفريق من المحقّقين الدكتور رزوق فرج رزوق محقّق كتاب «حقائق الاستشهاد» للعالم الكيميائي والشاعر المشهور، الطغرائي، وعلى الرغم من أنّ الدكتور رزوق قد أجاد التحقيق ولاسيّما فيما يتعلّق باستجلاء غوامض كثيرة في مَتْن الكتاب كما وضَّحَ ذالك في مئة وخمسين حاشيةً دارت معْظمها على شرح وتفسير كثير من المصطلحات العلمية. غير أنه استند في هذا التفسير إلى كتب التراث، الأمر الذي حجب بالطبع تفسير المحتوى العلمي لِـمَا جاء في «حقائق الاستشهاد» وماعناه الطغرائيُّ نفسه، لسبب بسيطٍ للغاية وهو أنّ الاحتكام إلى كتب التراث، في محاولةٍ لشرْح بعض المصطلحات العلميّة ليس مجدياً في جميع الأحوال، لأنّ مثل هذه الشروح غالباً ماتكون بحاجةٍ هي الأخرى إلى شيءٍ من التفسير إذ يشوب بعضها أحياناً قدرٌ من الغموض. فمثل هذا التفسير الذي يستند إلى كتب التراث أقْرب مايكون إلى التفسير اللّغوي.

وقد كان من الواجب على المحقّق في هذه الحالة أنْ يهتمّ بالجانب العلميّ على ضوء معطيات العلم الحديث باعتبار أنّ ما يحققه إنّما هو عِلْمٌ محض فلا أقَلَّ من تفسيره علميًّا، وخاصة فيما يتعلّق بالمصطلحات العلميّة.

وعلى سبيل المثال فقد وردت فقرةٌ يتحدّث فيها الطغرائيُّ عن الكتب المنسوبة إلى الحكماء كفيثاغورس وسقراط جاء فيها: (مضطربة النَّظْم غير مرتّبةٍ ـ أيْ تلك الكتب ـ ولا دَالّةٍ على حقيقة معاني الحلّ والعقْد والمِزَاج والاستحالة)[١٤].

وجاء في حواشي التحقيق عند تلك المصطلحات الأربعة التي وردت بالفقرة السابقة الحلّ: ضِدّ العقْد فلذالك يكون تَرْقيق القوام حلًّا، انْظر «كشّاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي. المِزاج: عند القدماء على أرْبعة أنواع أُسَاسيّة تقوم على العناصر الأربعة: النار والهواء والأرض والماء، فيقال مزاجُ حارٌّ ورطب ويابس وبارد، ثم تتفرّع هذه الرباعيّة الأساسيّة إلى رباعيّة أخرى فيقال حارّ يابس، وحار رطب، وبارد رطب، وبارد يابس. أنظر «الصحّاح» في اللّغة والعلوم. والاستحالة: من اصطلاحات الصنعة)[١٥].

وإذا كنّا لا نعترض على الاستعانة بكتب التراث في تفسير المصطلحات العلميّة بل نعتبره أمْراً لابأس به إلاّ أنّه من الأنْسب في هذه الحالة أنْ يعتمد المحقّق على معطيات العلم الحديْث التي تقابل هذه المصطلحات العلمية. كما لا يجب أنْ نَنْسىَ عاملاً هامًّا في شرح وتفسير المصطلحات العلميّة وهو فَهْم المحقّق للنصّ، ومعرفة مراد المؤلّف من ذكره هذا المصطلح أوْ ذاك من خلال سياقِ المعنى الدّال على مايريده المؤلّف.

ولأنّ ماجاء بحاشية المحقّق في تعريفه وشرحه لتلك المصطلخات العلميّة يشوبه شيء كثير من الغموض فضلاً عن انتفاء التفسير ذاته. فما مَعْنى أنّ (الحلّ) ضِدّ (العِقْد) ومامَعْنى أنّ (الاستحالة) هي من اصطلاحات الصنعة، هذا بالإضافة إلى أنّ المحقّق قد جانبه الصواب في تفسير (المزاج).

وإذا أرِدْنا أنْ نفسّر تلك المصطلحات التي تخيّرناها من بيْن مصطلحاتٍ كثيرة على ضوء فهم سياق النصّ وما يعنيه المؤلّف من معطيات علمية لقلنا أنّ (الحلّ) تَعْني الانحلال أوْ التفكك، أيْ تحليل المركبات الكيميائية إلى وحدات أبْسَط منها كتفكّك أو حلّ الزنجفر (وهو كبر يتيد الزئبق) بالتسخين الشديد إلى زئبق ويرادف (الحلّ) علميًّا بلغة الكيمياء (Disintegration)[١٦].

أمّا (العِقْد) ـ وهو كما جاء بحاشية المحقّق ضد الحلّ. فهو تحضير مركبات كيميائية أكثر تعقيداً من مركّبات بسيطة أوْ مواد أوّليّة ويرادف العِقْدَ علميًّا وبلغة الكيمياء كلمة (Preparation)[١٧]. وعندما نصل إلى كلمة (المزاج) والتي ظنّ المحقّق أنّها تَعْني الطبائع الأربعة للموادّ، وهي الحار، والرطب، والبارد، واليابس، فإنّ المزاج التي عناها الطغرائيُّ غير ذالك تماماً. فقد قصد بكلمة (المزاج) هنا عملية المَزْج أوْ الخلط (Mixing) وهي مَزْج السوائل بعضها البعض، أوْ خلط المواد الصلبة[١٨] والدليل على ذالك أنّ الفقرة نفسها تتحدّث عن بعض العمليات الكيميائية.

يبقى لدينا بعد ذالك أنْ نفسّر كلمة (الاستحالة) والتي أوْرَد المحقّق في حاشيته بأنّها من إصطلاحات الصنعة. فالاستحالة التي قصدها المؤلّف حيث يدُلُّ سِياق

الحديث على معناها هي تحويل المواد والمركبات الكيميائيّة إلى موادٍّ ومركبات كيميائيّة أخرى من خلال التجارب الكيميائية.

نخلص من هذا إلى القول بأنّه من الضروري استنتاج المرادف العلمي للمصطلحات العلميّة الواردة في النصّ سواء أكان هذا الاستنتاج من كتب التراث العلميّ التي تعالج هذا الفنّ أَوْ ذاك من فنون العلم، أَوْ الاستنتاج من سياق المعنى نفسه. وهنا تبرز خِبْرة المحقّق وفَهْمُهُ للنصّ، مع إيراد مَعْنى المصطلح على ضوء معطيات العلم الحديث.

ثالثاً: فريقٌ حاول جاهداً ـ على الرّغم من استناده إلى مصادر العلم الحديث ـ أن يفسّر المصطلحات العلميّة الواردة في مَتْن الكتاب المحقّق، فأخطأ التفسير أَوْ على الأقل لم يُوفّق في استنتاج التفسير الصحيح. وأغلب الظنّ أنّ عدم توفيق المحقّق في تفسيره للمصطلحات العلميّة يَرْجع بالدرجة الأولى إلى عدم تخصّص المحقّق في العلم موضوع التحقيق. وهذا الفريق من المحقّقين بحاجةٍ ـ في اعتقادنا ـ إلى المراجعة والاستدراك والتصويب. وسوف نعرض لبعض الأمثلة الدّالة على هذا النوع من التحقيق لعلّنا بذالك نُلْفِت الانتباه إلى ضرورة مراجعة بعض مؤلّفات التراث العلمي المحقّقة من قِبَلِ أَهْلِ الدراية والاختصاص إتماماً للفائدة، واستكمالاً لجهد المحقّق.

المثال الأول: وهو كتاب «نخب الذخائر في أحوال الجواهر» لمحمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري المعروف بابن الأكفاني، تحقيق اللّغوي الشهير الأب أنستاس مارِي الكرملي، وهو كتابٌ يبحث في الأحجار الكريمة من ناحية أنواعها وخواصّها وفوائدها الطبيّة. وقد أنْصَبَّ الجانب الأكبر من عناية المحقّق على ضَبْطِ أسماء الأعيان من الأحجار الكريمة، وردّها إلى أصولها فارسيّة كانت أَمْ يونانيّة، مع ذكر مايرادف أسماء تلك الأحجار باللغة الفرنسيّة. وبجانب هذا الشرح اللّغوي الذي أفاض فيه الكرمليُّ إفاضة لَيْسَتْ بالغريبة على عالم لغويٍّ شهير مثله، وبجانب مازادَهُ في الكتاب من استشهاده بما ذَكره العلماء العرب في هذا الموضوع كالكِنْدي والتّيفاشي، وذكر بعض الأحجار الكريمة التي لم يذكرها ابن الأكفاني في كتابه بالإضافة إلى بعض الدراسات والفهارس التي بلغت إحدى عشر فهرساً.

وعلى الرغم من ميزات التحقيق العديدة، والتي جاءت بعض هذه الميزات على غير مثالٍ مسبوق تفرّد بها الكرمليُّ وحده إلاّ أنّه يوجد بعض الملاحظات والاستدراكات العلميّة والتي نُجْمِلُها في النقاط الآتية إتْماماً لفائدة التحقيق:

١ ــ جاء في شرح كلمة (ياقوت): (ثم أطلق الياقوت عندهم على صوفٍ أَوْ ثوْبٍ مصبوغ، ثم تَوَسَّعُوا في معناها فأطلقوها على ضربٍ من الجمست وهو الحجر الكريم الذي يجرى عليه الكلام هنا)[١٩]. والحقيقة أنّ معطيات علم المعادن (Mineralogy) لا تؤيّد مثل هذا التفسير، فالياقوت بأنواعه يختلف اختلافاً جوهريًّا عن الجمست، وليس كما قال المحقق أن الياقوت ضرب من الجمست، فأنواع الياقوت جميعها إنّما هي في حقيقة الأمر ضروبٌ من معدن (الكورندم (Corundum) والذي يتكوَّنُ كيميائيًّا من (أكسيد الألومنيـوم) والذي يتميّز عن سواه من المعادن بصلادته العالية والتي تصل إلى المرتبة التاسعة حسب مقياس الصلادة المعروف بمقياس (موه Moh's Scale) أيْ أنّه أَصْلَبُ المعادن جميعاً بعد الماس[٢٠]. أمّا الجمست (Amethyst) فهو ضربٌ من ضروب المرو (Quartz) الذي يتكوّن كيميائيًّا من ثاني (أكسيد السيليكون) وتبلغ صلادته ٧ حسب مقياس (موه) للصلادة[٢١].

٢ ــ جاء في شرح لفظة الزبرجد: (ذكرنا قبل هذا أنّ اللغويّين لا يفرّقون بين الزمرّد والزبرجد بخلاف أهْل الفنّ فإنّهم يميّزون بينها. قال التيفاشي: إنّ الفارابِيَّ قال في كتابه في اللّغة: إنّ الزبرجد تعريب الزمرد. وليس كذالك بل الزبرجد نوعٌ آخر من الحجارة. وجاء في كلام الشارح ـ أيْ الكرملي ـ في الكلام على الزبرجد أنّه نوع من أنواع الزمرد، وهو أقرب إلى الصواب لأن الزمرد يسمى بالفرنسية (Emeraude) أما الزبرجد فاسمه (Beryl) أو (Beril) وهو ضرب من نوع واحد)[٢٢].

هذا ماذكره الكرمليُّ في شرح الزبرجد، وعلى الرغم من اعترافه بأنّ النوعين ـ أيْ الزمرد والزبرجد ـ مختلفان بشهادة أَهْل الفن ـ أي أهل العلم ـ مستشهداً بقول التّيفاشي الذي خَطّأَ الفارابِيَّ في ظنّه بأنها نوعٌ واحد، فقد أهْمَل الكرمليُّ

شهادة التِّيفاشي وأيّد الفارابي، على الرغم من صواب الأوّل وخطإ الثاني. والحقيقة أنّ الزبرجد يختلف اختلافاً بيّناً عن الزمرّد، فالزبرجد ليس تعريباً لكلمة (Beryl) وإنما يقابله في اللغة الإنجليزية كلمة (Peridot) وهو - أيْ الزبرجد - ليس سوى نوع من أنواع معدنٍ يُعْرَف بِمعدن (الأوليفين Olivine) ويتميّز بجاذبية لونه الأخضر الزيتوني، وبشفافيّته وصلادته العالية التي تبلغ ٧ حسب مقياس (موه) للصلادة مما يجعله واحداً من أهم أفراد طائفة الأحجار الكريمة. ويتكوّن الزبرجد كيميائيًّا من (سيليكات) الحديد و(الماغنسيوم)[٢٣] أمّا كلمة (Emeraude) الفرنسية والتي عرّبها الكرمليُّ بالزمرد كمقابل عربيّ لها فإنّ هذه الكلمة الفرنسيّة قد أوردها عالم المعادن الشهير (دانا Dana) في كتابه الموسوعي الضخم عن المعادن (System of Mineralogy) تشمل كلًّا من (Emerald) و (Beryl)[٢٤]. أمّا الزمرد فقط فيقابِلُهُ - بالإنجليزية - في علم المعادن (Emerald) وهو في نفس الوقت أحد أنواع معادن (البيرل Beryl)[٢٥] والزمرد ذو لونٍ أخضر شفّافٍ يميل إلى الزرقة قليلاً، وتَصل صلادته إلى ٨ حسب مقياس (موه) ويتكون كيميائياً من (سيليكات الألومنيوم والبيريليوم).

وعلى هذا فإنّ الزبرجد والزمرد ليسا من نوعٍ واحد - كما قال الكرمليُّ، بل هما معدنان مختلفان تماماً سواءً في الخواص الطبيعيّة التي يمكن بواسطتها التعرّف على كلٍّ منهما والتفريق بينهما، أوْ من ناحية التركيب الكيميائي.

ولعلّ هذا الخلط بَيْنَ الزبرجد والزمرد مرجعُهُ إلى تقارب مخارج الحروف، فقد ظنّ اللغويون أنّ الزبرجد لغةٌ في الزمرّد، وقد أيّد الكرملي هذا الرأي. غير أنّه إذا جاز هذا الظنّ على اللّغويين فإنّه لا يجوز على أهل الفن، وقد كان أوْلى بالكرمليّ أنْ يأخذ برأي التّيفاشي وهو عالم بالأحجار الكريمة، لا أن يأخذ برأي الفارابي وهوليس من أهْل الفن وإنّما هو عالم لغوي.

٣ - أورد الكرملي في مُلْحقٍ خاصّ ببعض المعادن والأحجار الكريمة التي لم يذكرها ابن الأكفاني في كتابه كلمة (Hyacinthe) مرادفاً فرنْسِيًّا لكلمة (البنفسن العربيّة[٢٦] و(البنْفَسن) قد ذكره ابن الأكفاني في حديثه عن (البجادي) حيث

أوْضح أنّ (البجادي) يعرف بـ (البنفسن)[٢٧] كما أوْرد الكرمليُّ أيضاً كلمة (Grenat) الفرنسية مرادفاً لـ (بجادي) العربيّة[٢٨] والتي تقابلها في الإنجليزية كلمة (Garnet) وهو اسمٌ لمجموعة شهيرةٍ من معادن (السيليكات) تتميّز بتعدّد أفرادها وبالتالي ألوانها وبنظامها البلوري المكعبي الشكل[٢٩].

يتّضح إذن من قوْل ابن الأكفاني أنّ (البنفسن) هو (البجادي) أوْ على الأقل نوعٌ منه، غير أن كلمة (Hyacinthe) التي أوردها الكرملي كمرادفٍ للـ(بنفسن) لا تَدْخل ضمن مجموعة البجادي (Garnet) إذْ أنّ (Hyacinthe) إنّما تدل على أحد أنواع معدن (الزرقون Zircon) التي تتميز بألوانها الحمراء والصفراء[٣٠] وليستْ ضمن مجموعة البجادي أو (Garnet) إذْ أنّ هناك فرقاً واضِحاً بيْن الاثنين في أشكالها البلورية الخارجية، التي يسهل حتّى لغير أهل الفن التفريق بينهما. فأفراد مجموعة البجادي (Garnet) تنتمي في تبلورها إلى فصيلة المكعب (Cubic System) بينما يتبلْور (الزرقون Zircon) في فصيلة الرباعي (Tetragonal System) كما أنّ الزرقون أشدّ صلادة من البجادي، فصلادة الأول تصل من ٧ إلى ٨ بينما صلادة الثاني تصل من ٦,٥ إلى ٧,٥ حسب مقياس (موه) هذا بالإضافة إلى اختلافهما في الخواص الأخرى.

المثال الثاني: وهو كتاب «الجواهر وصفاتها» ليحيى بن ماسويه، تحقيق الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف، وقد أكثر المحقّق من التعليقات والحواشي التي فسّرت كثيراً من غوامض الكتاب، وهو جهدٌ محمودٌ يُحْسَبُ للمحقّق، وممّا يُحْسَبُ للمحقّق أيضاً اعتماده في التحقيق على كمٍّ كبيرٍ من أسفار التراث العربي المطبوعة منها والمخطوطة. أمّا فيما يتعلّق بالمعادن والأحجار الكريمة الواردة في مَتْن الكتاب فإنّ المحقّق قد استعان ـ بالإضافة إلى أسفار التراث العربي ـ بأحد المصادر الأوروبيّة التي تُعْنَى بالأحجار الكريمة بالإضافة إلى «دائرة المعارف البريطانية». وعلى الرغم من هذا فإنّ المحقّق قد حاول مخلصاً أنْ يستدلّ على حقيقة أسماء الأحجار الكريمة من وجهة نظر علم المعادن فأصاب أحياناً وجانبه التوفيق في أحيانٍ أخرى. وفيما يلي بعض الأمثلة التي جانب التوفيق فيها المحقّق.

١ ـ جاء في حاشية المحقّق عن الياقوت: (وتَجْدُر الإشارة هنا إلى أنّ بعض هذه الأنواع خارجةٌ عن نطاق الياقوت الأحمر، وإنْ شابهه في بعض صفاته فبعض أصناف الياقوت الأصفر نوعٌ من (سيليكات الألومنيوم) ويعرف باسم (Topaz)[٣١].

ويفهم من هذا الحديْث أنّ الياقوت الأصفر هو التوباز، وهذا ليس بصحيح، فالياقوت الأصفر والتوباز بعيدان كلّ البعد عن بعضهما البعض. فالياقوت أيًّا كان نوعه ولونه هو (أكسيد الألومنيوم) وتبلغ صلادته (٩) بينما التوباز هو (سليكات الألومنيوم) و(الفلور) المائية $AL_2 SiO_4 (F.OH)_2$ وتبلغ صلادته (٨). ونرجّح أنّ المحقق لم يَفْطن إلى أنّ هناك بعض الأسماء الشائعة لدى الجوهريّين تختلف تماماً عمّا في علم المعادن والأحجار الكريمة وعلى سبيل المثال فإنّ (الياقوت الأصفر) يطلَق في معرض المجاز وليس الحقيقة على (التوباز) دون أنْ يكون بَيْنَهما مشابهةٌ في الخواص باستثناء اللون فقط[٣٢].

٢ ـ جاء في حاشية المحقّق عن معدن (الخرين): (ولقد عَدّ الجوهريّون العرب هذا الحجر من أشباه اليواقيت، وهو أكثرها شبهاً بالياقوت البهرمان، فهو إذن نوع من المرو الوردي، (Rose Quartz)[٣٣] ولا ندري من أيْن أتى المحقّق بهذا الاستنتاج القائل بأن هذا المعدن ـ أيْ الخرين ـ وهو من أشباه اليواقيت هو نوعٌ من المرو الوردي. فالمرو مهما كان لونه يختلف تماماً عن اليواقيت في الخصائص والصفات، وحتّى لو افترضنا أنّ بعض اليواقيت تشبه ـ في اللّون ـ بعض أنواع الْـمَرْوِ، إلاّ أنّه لا يجوز القول بحالٍ من الأحوال أنّ الياقوت ـ مَهْـمَا كان نوعه أَوْ لونه هو نوعٌ من الْـمَرْوِ، لأنّ كلاًّ منهما معدن مستقلٌّ بذاته، ولكلّ منهما خصائصه الطبيعيّة والكيميائية، وهو من الأمور الشائعة والمعروفة في علم المعادن، فلا حاجة بنا إلى تفصيل ذالك.

٣ ـ أورد المحقّق ذيلاً في خاتمة الكتاب جاء فيه: (ولقد رأينا استكمالاً لمادّة الكتاب العلميّة واستدراكاً على ما أُلّفه مؤرّخو الجواهر القدامى، أَنْ نُلْحِق الكتاب بذيلٍ يشتمل على جداول دقيقة حديثة، فيها بيانات وافية عن اسم كلّ

حجر كريم وتركيبه الـجُزَيْئي (الصواب أن يقال تركيبه الكيميائي وصيغته الجزيئية) ولونه وصفته. . . الخ)[٣٤] وعلى الرغم من هذا الجهد المحمود الذي يُحْسَب للمؤلف إلّا أنّه قد وقع في بعض الأخطاء منها على سبيل المثال قوله عن الزبرجد: (الزبرجد Beryl، $Be_3 AL_3 (SiO_3)_6$ وأنواعه الزمرد (Emerald) والأكوامارين Aquamarine. . . الخ[٣٥] والحقيقة أنّ مرادف الزبرجد في مصادر علم المعادن هو (البيريدوت (Beridote) وليس (البيرل Beryl) الذي من أنواعه الزمرد و(الأكوامارين).

ومثال آخر أنّ المحقّق قد ذكر في أكثر من موضع كلمة (Cyanite) معرّباً إيّاها بأنها (سيانيت)[٣٦] والحقيقة أنّ التعريب السليم لها هو (كيانيت). لأن (سيانيت) ومرادفها في اللغة الإنجليزية هو (Syenite) ويطلق هذا المصطلح على أحد الصخور النارية الجوفية. أيْ أنّ (السيانيت) صخرٌ وليس بمعدن، بينما (الكيانيت) هو أحد معادن (سيليكات الألومنيوم) الدائمة التواجد في الصخور المتحولة[٣٧].

خاتمــة: نخلص من هذا إلى القول بأنّه من الأهميّة بمكان أنْ يكون تفسير المصطلحات العلمية في التراث العربي تفسيراً علميًّا صحيحاً. وقد يبدو لأوّل وهلة أنّ الهدف من ذلك كلّه هو اكتمال عدّة التحقيق العلميّ السليم، وعلى الرغم من أنّ هذا الهدف ليس بالشيْء القليل إلّا أنّنا نَرْمي من وراء هذا الهدف، هدفاً أكبر وغايةً من أجلّ الغايات نسْعَى إليها. فممّا لاشكّ فيه أنّ تفسير المصطلحات العلميّة في التراث العربي سوف يؤدّي إلى اكتشاف ماقد يتضمّنه هذا التراث من آراءٍ غير مسبوقةٍ، أوْ نظريات علميّة مبتكرة، أوْ تجارب رائدةٍ في مجال العلم، وبالتالي فإنّ مثل هذه الاكتشافات سوف تكون المدخل الطبيعي لتأريخ العلم العربيّ تأريخاً صحيحاً، وبيان دور العرب الرِّيَادِيّ في بناء الحضارة الإنسانية ذالك الدور الذي تجاهله مؤرّخو العلم من الغربيّين، فقد كاد ينعقد الرأي عند جمهرة المستشرقين في القرن التاسع عشر على الاستخفاف بدور العرب في بناء الحضارة الإنسانيّة، والإصرار على أنّ الحضارة الأوروبيّة لا تدين بالفضل لغير أجدادهم من اليونان والرومان والادّعاء بأنّ العرب بطبيعتهم لم يخلقوا للتفكير الأصيل المبْتكَر[٣٨].

وعلى هذا الأساس فإنّ تحقيق التراث العلميّ العربيّ تحقيقاً علميًّا سليماً - ونَعْنِي بالتحقيق العلميّ هنا، هو التحقيق على ضوء معطيات العِلْم الحديث - هو اللّبنة الأولى في صرح تأريخ العلم عند العرب.

القاهرة: جيولوجي/ مصطفى يعقوب عبدالنبي
الهيئة العامة للمساحة الجيولوجية

الهوامش:

(١) و(٢) «تحقيق النصوص ونشرها» عبد السلام هارون ص ٤٢.
(٣) و(٤) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي - تحقيق د. لطفي عبدالبديع ص ١.
(٥) «لسان العرب» لابن منظور - تحقيق عبدالله الكبير وآخرين ج ١ ص ٥٠٣.
(٦) «تذكرة أولى الألباب» داود الأنطاكي - ج ١ ص ٣٧.
(٧) «عجائب المخلوقات» للقزويني - تحقيق فاروق سعد ص ٢٥٢.
(٨) Mineralogy, E.H. Kraus, P.284.
(٩) Treatis on Inorganic Chemistry, H. Remy, Vol. 1, P.663.
(١٠) «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» للتيفاشي - تحقيق د. محمد يوسف حسن ود. محمود بسيوني خفاجي ص ٢٥٠.
(١١) المصدر السابق ص ١١٨.
(١٢) مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد ٢٧ - الجزء الأول - يونيو ١٩٨٣م «أسلوب الرازي في تشخيص وتدبير الجدري والحصبة» - د. أحمد مضر صقال ص ٢٠٧.
(١٣) المصدر السابق ص ٢٠٧.
(١٤) «حقائق الاستشهاد» للطغرائي - تحقيق د. رزوق فرج رزوق ص ٥٠.
(١٥) المصدر السابق ص ٧٩.
(١٦) «رسالة العلم» - المجلد ٤٥ العدد الأول، مارس ١٩٧٨م - (أثر الفكر الإسلامي في تقدم علوم الكيمياء) - د. أحمد مدحت إسلام ص ٢.
(١٧) و(١٨) المصدر السابق ص ٣.
(١٩) «نخب الذخائر» لابن الأكفاني - تحقيق أنستاس ماري الكرملي ص ٢.
(٢٠) و(٢١) «علم المعادن» - د. عزالدين حلمي.
(٢٢) «نخب الذخائر» - مصدر سابق - ص ٥٣.
(٢٣) «رسالة العلم» العدد ١٨ نوفمبر ١٩٨٥م - (الزبرجد) - مصطفى يعقوب عبدالنبي.
(٢٤) System of Mineralogy, Dana, P.405.
(٢٥) «علم المعادن» - مصدر سابق - ص ٣٤٥.
(٢٦) «نخب الذخائر» - مصدر سابق - ص ٨٥.
(٢٧) و(٢٨) المصدر السابق ص ١٧.
(٢٩) System of Mineralogy, Dana, P.437.
(٣٠) Mineralogy, Kraus, P.367

←

مطالعات في كتاب:

«التعريف بالأنساب، والتنويه بذوي الأحساب»

(٣)

مخطوطة الكتاب:

ولكن هل هذه النسخة التي وصلت إلينا من كتاب الأشعري تمثل الصورة الصحيحة للكتاب بدون زيادة أو حذف ؟

إنها ليست على درجة من الصحة تحمل على الجزم بمطابقة نصوصها لنصوص مؤلفها. ولعل أَوَّلَ ما نلحظ من ذالك الاسم «التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب». والصواب «التعريف بالأنساب»، كما في «كشف الظنون» - ١/٤٢٠ - وكما ورد في «طبقات فقهاء اليمن» هامش - ١٨٤ - (انظر صورة الصفحة الأولى).

أما كلمة (والتنويه لذوي الأحساب) فأرى صوابها: (والتنويه بذوي الأحساب) إذْ يُقال لُغَةً: نَوَّهْتُ بِالْأمْر، ونَوَّهْتُ باسم الرجل، أي رَفَعتُ ذِكْرَهُ، والمقصود هنا التنويه بأقدار المذكورين في الكتاب ورفع ذكرهم.

ولا داعيَ لإيرادِ جمل كثيرة محرفة في هذه المخطوطة مما يحمل على الجزم بوقوع تحريف في كثير من عباراتها.

← (٣١) «الجواهر وصفاتها» لابن ماسويه - تحقيق عماد عبدالسلام رؤوف ص ٤١ .

(٣٢) Glossary of Geology, P.774

(٣٣) «الجواهر وصفاتها» - مصدر سابق - ص ٥١ .

(٣٤) المصدر السابق ص ٧٦ . (٣٥) المصدر السابق ص ٧٨ .

(٣٦) المصدر السابق ص ٨٤ ، ص ٩٤ .

(٣٧) A Textbook of Mineralogy, Dana, P. 617

(٣٨) «في تراثنا العربي الإسلامي» - د. توفيق الطويل ص ٥٨ .


كتاب التعريف في الأنساب
والتنويه لذوي الأحساب
تأليف الشيخ الإمام العلامة المتبحر
أحمد بن محمد بن ... الأشعري ...
القرني الحنفي رضي الله عنه آمين
بسم الله الرحمن الرحيم
...
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الصفحة الأولى

وهناك إضافةٌ جديرة بالانتباه وردت في آخر النسخة ـ ص ٢٠٧ ـ ونصها: (قال يوسف بن محمد البكري الناسخ لهذا الكتاب: قد اجتهدتُ في ضبط أنساب القبائل، وأمهات البيوت والفروع والعماير، وضبطتُ المؤتلف والمختلف فيه، اجتهاداً، واحترازاً من زلل، وزيغٍ وعصبية وخلل، في نسبٍ، فما شَذَّ من غلطٍ أو سهو فأنا أستغفر الله العظيم من ذالك، بعد اجتهادي وحرصي على ذالك، وكان الفراغُ من نسخي له يوم الجمعة لسبعة أيام خلتْ من شهر رجب العظيم سنة سبع وعشرين وست مئة سنة من الهجرة النبوية، وعلقت بعد ذالك الكتاب تعاليقَ أُخَرَ ليست من الكتاب، وإنما علقها المصنف فاستحسنتها فيه) إذَنْ يُوسفُ هذا له أَثَرٌ في هذه النسخة من حيثُ ضَبْطِ المؤتلف والمختلف في أنساب القبائل، وهو كثير في هذا الكتاب.

ولاشك أن عمل يوسف هذا يُعَدُّ متمماً لما وقع من نقص، ولعل أمانته العلمية هي التي دفعته إلى إلحاق تعاليق في آخر الكتاب كان المصنف ألحقها فاستحسن هذا الكاتب إلحاقها.

ويظهر أن يوسف بن محمد البكري كتب نسخته هذه لخزانة أحد وزراء اليمن في ذالك العهد، فقد جاء في طرة المخطوطة ما نصه: (نسخ برسم خزانة مولانا سيد الوزرا، وتاج الكبرا، وزير اليمنين، ذي الرياستين، نور الدنيا والدين، علي ابن عمر بن أبي القاسم بن معد؟ بن الشكير؟ الركَبِي الأشعري).

ولا أستبعد أن يكون علي بن عمر الذي نُسِخ الكتاب برسم خزانته هو القاضي أبو الحسن علي بن عمر بن محمد بن علي بن أبي القاسم الحميري، ولكن هذا كان قاضياً في مدينة إبٌّ، على ماذكر الخزرجي في «العقود اللؤلؤية» ـ ١ / ٦١ ـ وقد توفي سنة (٦٣٣هـ) أي بعد نسخ يوسف بن محمد للكتاب بست سنوات سواء صح هذا أو لم يصح. فهذه النسخة التي بين أيدينا من مخطوطات القرن الثامن الهجري، كما في ص ـ ٢٠٧ ـ: (تم الكتاب بعون الله وتيسيره في يوم الثلاثاء في شهر المحرم الثامن والعشرين منه أول شهور سنة خمس وثمانين وسبع مئة).

على أنه ألحق بالنسخة أوراق يتقدم تاريخها على هذا التاريخ منها ـ

[illegible]

ابن ملكان بن متوشلح بن عويل بن عدي بن انوح بن قابيل بن ادم ه وأما قابيل

ابن ادم فقتل ولا عقب له ه ومن ولد ادم صلى الله عليه

وسلم هابيل وقابيل وعبد الله وعبد الرحمن وعبد الحرث

وصالح وابليد ودعى وأباد وشارد وصردد وصرواس من اولاد ادم المصطفى

صلوات الله عليه وسلم تسليما دائما كثيرا ه وروي انه ولد لادم عليه السلم

اربعون رجلا في عشرين بطنا في كل بطن رجل وامراه ه والله اعلم ه واحكم

تم الكتاب

بعون الله تعالى وتيسيره

فله الحمد كثيرا ه

في يوم الثلاثا في شهر المحرم الذي هو العشرين منه لعله سنة

سنة خمس وثمانين وستمائة من الهجرة النبوية

احسن الله خاتمتها للرب

قال يوسف بن محمد البكري الناسخ قد اجتهدت في ضبط انساب القبائل وامهات

البيوت والفروع والعمائر وضبطت المؤتلف والمختلف فيه احتياطا واحترازا

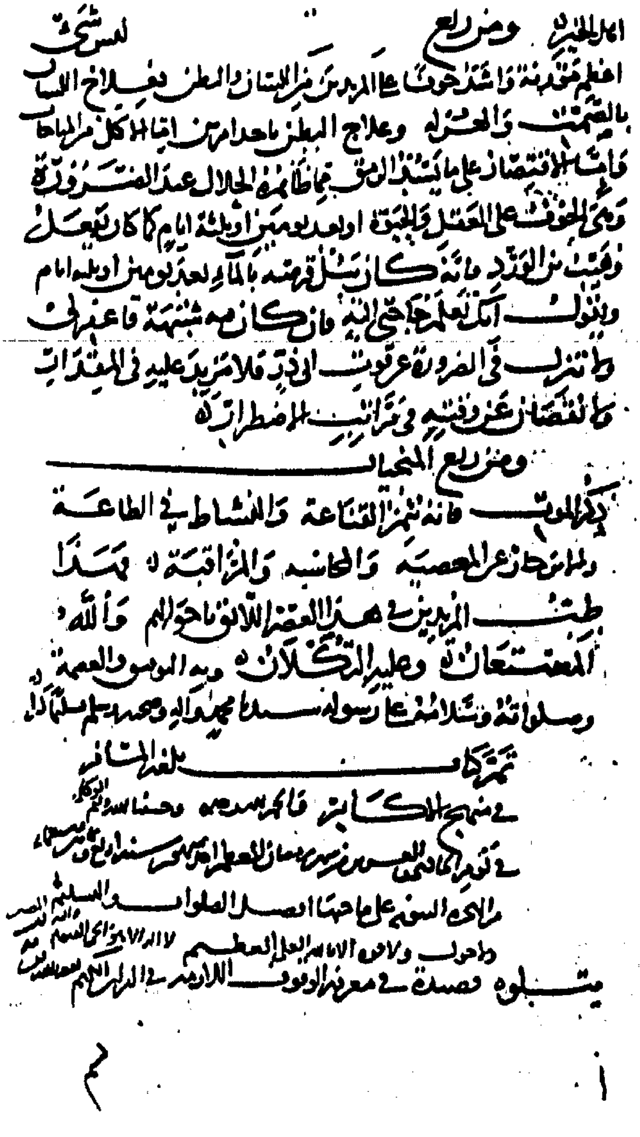
من الله دخل وعصبيه وخلافه نسب فما شذ من غلط او سهو فالمستغفر الله العظيم

من ذلك فصاحبها يرد حرمي على ذلك وكان الفراغ من نسخه يوم الجمعة لسبعة ايام خلت

من شهر رجب العظيم سنة سبع وعشرين وستمائة من سنة من هجرة النبوية بمدينة ...

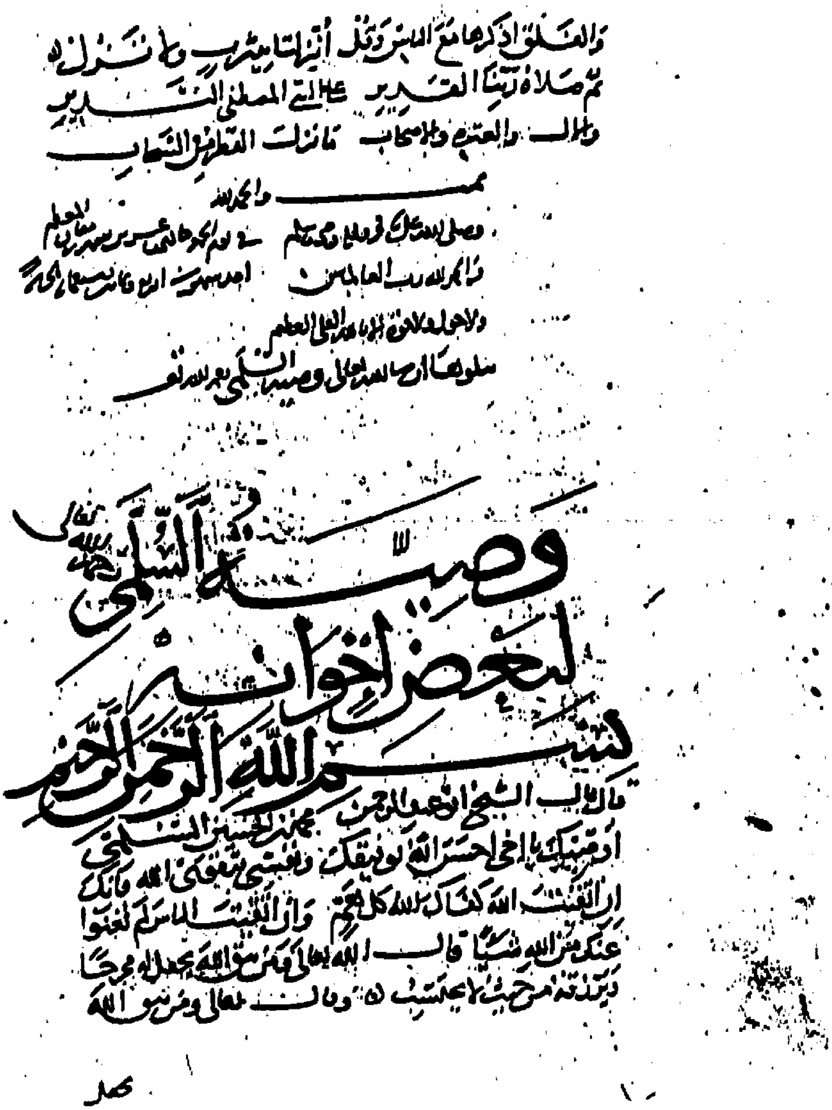
الصفحة (٢٠٧) من الكتاب

ص ٢٠٩ ـ: (تم كتاب «بلغة المسافر، في منهج الأكابر... في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان... أحد شهور سنة أربع وثمانين وسبع مئة)، على أن



الصفحة (٢٠٩)

هذا الكتاب ساقط من هذه النسخة، وفي صفحة ـ ٢١٦ ـ في آخر أرجوزة في معرفة السور المكيات والمدينيات: (تمت والحمد لله في يوم الجمعة حادِي وعشرين شهر رمضان المعظم أحد شهور سنة أربع وثمانين وسبع مئة).


وصية السلمي رحمه الله تعالى لبعض إخوانه

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي

الصفحة (٢١٦)

وما أرى هذه الأوراق إلا أنها كانت في الأصل في أول النسخة، ووضعت في آخرها عند التجليد. وخلاصة القول أن هذه النسخة وإنْ قدمت لنا كتاباً يُعَدُّ أَصْلاً من أصول علم النسب لقبائل تهامة وماحولها ـ إلاَّ أنها كثيرة التحريف والتصحيف، وفي عباراتها نقصٌ سَبَّبَ تداخُلَ الأنساب بعضها في بعض، وحذف أسماء كثير من الفروع والأعلام المشهورة.

من هنا تبدو الصعوبة في تحقيقها، بحيث لا يتمكن من ذالك إلا واسع

الاطلاع في علم النسب، مع معرفة وإلمام تام بأنساب القبائل عامة والتهامية بصفة خاصة.

وليس من المستبعد العثور على نسخة أوثق من هذه فقد كان الكتاب معروفاً لدى بعض علماء تهامة كما تقدم النقل عنه في الكلام على نسب قبيلة عَسِير حيث ورد ذكره في رسالة «قمع الـمُتَجَرِّي» للشيخ حسن بن عبدالله الضَّمَدِي من علماء «المخلاف السليماني» في القرن الثاني عشر الهجري.

وفي كتاب «حول مصادر التاريخ الحضرمي» للمستشرق آر. بي. سرجنت، ترجمة الدكتور سعيد عبدالخير النوبان، ونشر (جامعة عدن) إشارات إلى كتاب الأشعريِّ هذا، ففي الكلام على (نبذة) أو (كتاب محمد بن سعد بن أبي شكل (شكيل) أنه اقتبس من «الفرج بعد الشدة» ومن «تعريف الأشعري» الذي لايزال مخطوطاً، وذكره بروكلمان في كتابه - الملحق ١ ــ من ٥٥٨ ــ وقال: بأنه كان مصدراً لأبي شكل (شكيل). على أن من علماء الأنساب التي ترد في بعض المؤلفات الحضرمية عالماً آخر، هو أبو الحسن الأشعري الذي ورد عنه في كتاب السيد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف ما نَصُّهُ ــ ١٣ ــ: وعَنْ بارضوان عن «شجرة الأنساب» لأبي الحسن الأشعري أنَّ بَنِـي دَغَّار بِمُدَوَّرة. انتهى. وقد يكون هاؤلاءِ متأخرين عن زمن صاحب «التعريف بالأنساب» إذ هم من أهل القرن الخامس أو مابعده - كما يفهم من كلام السقاف -.

وهاهو ما حاولت تصحيحه مما ورد في المطبوعة من الأخطاء الكثيرة، منها ماقد يكون ناشئاً عن قراءة المخطوطة قراءة غير صحيحة، ومنها ماهو من أخطاء المخطوطة نفسها، ومنها ماهو من خطإ المحقق، ومنها ماهو نقص في المخطوطة يُخِلُّ بالمعنى، ولاشك أنه من فعل الناسخ، وقد أكملته، كما صححت أسماء محرفة في المخطوطة نفسها بالإضافة إلى تصحيح أخطاء المطبوعة، ومما تجب ملاحظته أن المخطوطة كثيرة الخطأ والتحريف بدرجة تستلزم التثبت والوقوف عند كثير من الكلمات التي ترد فيها، وهو يستلزم مع طول وقتٍ فراغًا وقراءة متأنية، وهذا مالم أتمكن منه، فتجاوزت عن كلمات كثيرة استشكلتها ولم أهتد إلى وجه الصواب فيها، ولعل الله يُهَيِّـيءُ نسخة أخرى خيراً منها.

(للبحث صلة) حمد الجاسر

ملاحظات على كتاب:

رحلة إلى بلاد نجد

[لليدي آن بلنت، تعريب الأستاذ محمد أنعم غالب، نشر دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض سنة ١٣٨٩هـ].

١ ـ ص: (٣١ و٣٢) الهامش: (ابان حكم طلال بن عبدالله بن رشيد الحاكم الثاني في الأسرة الرشيدية (من سنة ١٢٦٣هـ إلى سنة ١٢٨٥هـ) .. الخ).

وطلال بن رشيد توفي في (١٧ ذي القعدة ١٢٨٣هـ) كما نقل ذلك أحد الرحالة الغربيين من شاهد قبره[١].

وعثرت على رسالة قديمة بحوزة (الشيخ عبداللطيف الطلق) من أهل (تيماء) بخط (متعب بن عبدالله بن رشيد) مؤرخة في (١٩ جمادى الأولى ١٢٨٤هـ) وجاء فيها العبارة التالية: (من متعب بن رشيد إلى مطلق سلام وبعد طلال الله يرحمه وكلك على عيال العوشزي.. الخ).

وهذا شاهد آخر على أن (طلال بن رشيد) توفي قبل سنة ١٢٨٥هـ !!

٢ ـ ص: (٦٣): (ولكن أنبل الأسر هي أسرة محسن بن دره شيخ الجوف السابق)! وقد تكرر هذا في عدة صفحات لاحقة.

وصحة الاسم: (ابن درع) بالعين المهملة: قال الشاعر (مفضي العطية):

الضلع مـاهـو ضلع ابن درع   الضلع ما ترقاه كود بصعيعـه!

٣ ـ ص: (١١٦): (يرأسهم رجاء نفسه شيخ بطن الأرفدي ؟) وصحته: الرفدي رهط ساجر الرفدي.

٤ ـ ص: (١٢٤): (وكان للزناتي بنت باهرة الجمال اسمها سفيري)!!

وسفيري ترجمة خاطئة (للصفيرا) على هيئة التصغير من (الصفراء) وهو لقبها الذي تعرف به في (نجد) أما اسمها فهو: سعدى بنت خليفة الزناتي الذي ذكره ابن خلدون في تاريخه .

٥ ــ ص: (١٥٩): (مات عبدالله بن رشيد عام ١٨٤٣).

وهذا غير صحيح فقد كانت وفاة عبدالله بن رشيد في (ايار سنة ١٨٤٧) الموافق (جمادى الأولى ١٢٦٣).

وكذا ورد خطأ في كتابات بعض الأجانب أن عبدالله بن رشيد توفي سنة ١٨٣٧ .

٦ ــ ص: (١٦٠): (وترك (طلال) خلفه عدة أبناء أكبرهم بندر وأخوين متعب ومحمد إلى جانب عمه عبيد وكان شيخاً طاعناً في السن آنذاك وعدة أعمام).

والمعروف أن عبدالله والد طلال لم يكن له سوى عُبَيْد وعبدالعزيز ذلك الفتى الذي شهد مع أخيه عبدالله معركة (الحلّة) بالعراق وقتل فيها، وأخ ثالث لأمهم من أسرة (آل جراد) التميمية النسب وهو الذي قتل في وقعة بقعاء سنة ١٢٥٧هـ .

٧ ــ ص: (١٦٠): (وبموت (متعب بن رشيد) المفاجئ إلى حدٍّ مّا ، ثار نزاع بالنسبة لمن يخلفه. وبندر كان في العشرين من عمره أعلن أميراً وعاضدته الأسرة كلها إلا محمد وحمود) .

والذي حدث فعلاً أن متعباً مات مقتولاً بيد (بندر الطلال) في رمضان سنة ١٢٨٥هـ وكان ذالك فيما يقال بتدبير من بعض أفراد الأسرة، ولأن الوفاة لم تكن طبيعية فلم يكن هناك أصلاً فرصة للتفكير فيمن يلي الإمارة بعد متعب، لأن بندراً وليها بمجرد أن قتل عمه .

٨ ــ ص: (١٦١): (إلا أنه (محمد) ظل يتآمر من أجل الشياخة يدبر الدسائس مع الشرارات). وبعد ذلك: (حدث ذات يوم أن قافلة من الشرارات

جاءت إلى حائل لشراء تَمْرٍ ، ووضعت نفسها تحت حماية محمد بدلاً من الأمير ، أغضب هذا بندراً فاستدعى محمد وسأله عن معنى هذا الصلف (هل أنت الشيخ أو أنا)؟ ثم امتطى مهره وانطلق مهدداً بمصادرة جمال الشرارات فقد كانوا مخيمين تحت أسوار حائل، إلا أن محمداً تبعه وثار نزاع عنيف بينهما فاستل محمد شبريته وطعن ابن أخيه. الخ).

وبصرف النظر عن الرواية الشاذة للقصة، فالقافلة التي جاء بها (محمد) كانت لأفراد من قبيلة (الظفير) ولم يكونوا قادمين للشراء من حائل، وإنما جاءوا ومعهم حمول رز وغيره، كان محمد اشتراها، واستأجرهم لنقلها إلى حائل، ولأن العلاقات مع (الظفير) في تلك الفترة كانت علاقات حرب فقد تطلب أن يكونوا في (وجه) أو حماية أحد أعيان المدينة، ومنحهم محمد (وجهه) مما أغضب بندراً وأقسم أن يصادر جمالهم فكان ماكان .

٩ ــ ص: (١٦٢): (كان له بعض أبناء عم، هم أبناء جبر ، وهو أخ أصغر لعبدالله وعبيد، فأرسل إليهم وأتوا إلى القلعة منزعجين إلى حد مَّا . الخ).

وهاهنا وقفتان:

الأولى: أن جبراً حسب ماذكر (ضاري الفهيد) في نبذته أخ لعلي بن رشيد، وعم لعبدالله وعُبَيْد، وليس صحيحاً أنه أخ أصغر لعبدالله وعبيد، لأن عبدالله تزوج منيرة بنت جبر ، وهي أم أولاده طلال ومتعب وهيا ورثعة، ولو صح قول (الليدي) أن جبراً أخ لعبدالله لكان عبدالله في هذه الحالة تزوج ابنة أخيه وهذا مستحيل بالطبع .

والثانية: أن حادثة مقتل أبناء جبر ليس لها علاقة بمقتل أبناء طلال، كما قد يفهم من رواية (الليدي) وإنما كانت ذالك، وبسبب وشاية بلغت محمداً عنهم والله أعلم .

١٠ ــ ص: (١٦٧): (وهو شيخ من شمر من آل الراهس).
والظاهر أن ذلك تحريف (لآل رخيص).

١١ ـ ص: (١٨٥): (قابلنا حوالي عشرين رجلاً حسني الهندام، مما جعل دليلي يهمس: أولاد الأمير).

هذا مع أن الكاتبة كان لديها فكرة مسبقة عن عقم الأمير، وأنه لم يرزق بولد أبداً ويبدو هذا في قولها ص (١٦٣): (فمع أن محمداً تزوج مراراً وتكراراً فإنه لم ينعم عليه بولد ولا حتى ببنت).

١٢ ـ ص: (١٩٣): (وتقاسم لؤلؤة وعمشا امتياز عدم مغادرة المدينة وبذلك تتقدمان دوشة. الخ).

ولؤلؤة هي أخت حسن المهنا أبا الخيل لأبيه، أما عمشاء ويقال لها في الغالب عموشة فهي بنت عُبَيْد الرشيد، وأخت حمود العبيد لأبيه، ودوشة بنت ابن جبرين من المفضل من اليحيا من عبدة من شمر.

١٣ ـ ص: (١٩٤): (تركية بنت جدران).
وصحة ذلك: تركية بنت جدعان بن مهيد (مصوّت بالعشا).

١٤ ـ ص: (١٩٧ و ١٩٨): (والزوجتان الثالثة والرابعة من الأقارب بنت طلال وبنت سليمان).

(وزرت عائلة (سليمان) عم حمود وسليمان عرفته في البلاط وهو يصبغ لحيته بالحناء ويحب الكتب ووجدته غارقاً بينها في غرفة الاستقبال عندما ذهبت لزيارة زوجاته وكنت آمل أن محادثته ستكون مفيدة، لولا أنه بمجرد مابدأ من الحديث دخلت زوجته (قوت) مندفعة يتبعها جمهور من النساء فجمع كتبه ومخطوطاته وخرج مسرعاً).

(وجاءت (زهوة) وهي زهوة أخرى بنت سليمان تحمل طفلها).

والحقيقة أن (سليمان) الذي تعنيه الكاتبة ليس عمًّا (لحمود العُبيد) بمعنى أخي الأب، وإنما هو والد زوجته وهو (سليمان بن مبارك القريشي) وزوجته (قوت بنت عبدالرحمن الكريشان) وكان (حمود العبيد) تزوج ابنتهما (زهوة السليمان القريشي) فقيل: إنها أخت من الرضاع لزوجته (بنية المتعب العبدالله الرشيد) فطلق حمود

(زهوة) وتزوجها بعده أخوه (فهيد العُبَيْد الرشيد) فولدت له (إبراهيم الفهيد العبيد).

أما تعبيرها عن (زهوة) بأنها زوجة من الأقارب فذالك لأن (سليمان القريشي) أخ لسلمى بنت محمد بن عبدالمحسن آل علي، والدة الأمير محمد العبدالله الرشيد، من أمها وأمهما (شماء العيسى) من (الصاهود) من أسرة (القوعة) من (الجعفر) من (عبدة) من (شمر) فسليمان القريشي خال لمحمد بن رشيد.

قال (حمود العبيد الرشيد) يخاطب (سليمان القريشي)[٣]:

يَامَنْ يْوَدِّي الْعِلْم لِـي يَمْ اَهَلْ نَوْف — هَلَ الحَمِيْرَ اللِّيْ كَـمَا وصْفِ غِزْلاَنَ
إنْ جِيْتهم سَلِّمْ عليهُمْ علَى الشُّوْف — خصِّصْ بِهَا (قوْتٍ) ورَجْلَهْ (سليمان)
حبِّي لَهُمْ ماهُو عَلَى شَانْ مَصْرُوْف — مانا من اللِّي حبِّهم كُوْد بَاثْمان
ودٍّ لَنَا مِنْ خِلْقَةَ الجِلْدْ والصُّوف — (لمحمدٍ خال وَلِـي زَادْ خِلاّن)

وعجز البيت شاهد على ما سبق.

وقد تسبب هذا اللبس في الاعتقاد أن لعبدالله وعبيد أخ اسمه (سليمان)؟.

قال أبوعبدالرحمن بن عقيل: (وذكرت الليدي آن بلنت أن لحمود بن عبيد عمًّا اسمه سليمان، طالب علم وعلى هذا يكون سليمان ابناً لعلي)[٤].

١٥ ــ ص: (٢٦٢): (بقعا أوطيبة اسم: لقد كان المحل يسمى دائماً (نقعة) هكذا أخبرنا حتى سنوات قليلة حينما ظن أن الاسم كان سيء الحظ).

والكاتبة هنا تلفت النظر إلى نقطة مهمة تفسر ورود اسم (بقعاء) في عدد من المؤلفات مثل «معجم البلدان» وكتاب نصر و«مسالك الأبصار» بالنون بدل الباء (نقعاء)[٥].

١٦ ــ ص: (٢٧١): كانت مطير أحياناً تسمى (الدوشان).

ومعروف أن (مطير) قبيلة و(الدوشان) جمع (الدويش) هم زعماء قبيلة (مطير).

احمد فهد العريفي ←

الشعـر والشعـراء

في «التعليقات والنوادر» للهجري

ـ ٨ ـ

٦٣ ـ حَرْدَبَـةُ بن ابي المزعوق الحنفـي

ذكر(١) الْهَجَرِيُّ أثناء كلامه على بطون بني سُحَيْمٍ الحنفيِّين أن بينهم وبين بَلْعَنْبَرِ بنْ عَمْرِو بن تميم بلاء وخاصة بنو الحصين رهطُ عُبَيْدِ بن أَيُّوبَ أَلِيْفِ الذِّيب فقال:

١ ـ وَلاَ خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَنَا ... بِـقُـرَّانَ يَـوْمٌ لاَتُـوَارَى كَـوَاكِـبُـهْ

فَرَدَّ عليه حَرْدَبَةُ بْنُ أَبِـي الْمَزْعُوْقِ احدُ بني عُبَيْدِ من عَمْرِو بن سُحَيْمٍ:

١ ـ تَمَنَّيْتُ طَـوْداً مِنْ حَنِيْفَـةَ شَـامِخـاً ... مَنِيْـعَ الذُّرَى صَعْبٌ عَلَيْـكَ مَـوَاثِبُـهْ

٢ ـ فَهَلاَّ غَدَاةَ الْفَقْـيِ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً ... وَقَفْتَ وَبَـطْنُ الْفَقْيِ تَجْرِي مَـذَانِبُـهْ

٣ ـ دَمـاً مِنْ حُصَيْنٍ أَمْـطَرَتْهُ سُيُـوْفُنَا ... عَلَيْـهِ فَهُـوَ يَسْتَنُّ بِـالْمَـوْتِ حَـاصِبُـهْ

(١) (٣٠٠ هـ). ويفهم من معاصرة حَرْدَبَةَ لِعُبَيد بن أيوب العنبري أنه متقدم على عصر الهجري فالعنبري ـ كما يفهم من ترجمته ـ شاعر أُمَوِيٌّ. وقُرَّانُ هو في أعلى وادي مَلْهَمَ ـ البلدة المعروفة الآن ـ والْفَقْيُ هُوَ وادي سُدَيْرٍ الواقع شمال قُرَّان، وهو معروف.

→ الحواشـي:

(١) (Hail Oasis City of Saudi Arabia. 522.

(٢) عن (أحمد بن صالح القريشي) أحد نبهاء هذه الأسرة والذي نقله عن كبار أسرته و(القراشا) من (بني خالد) و(الكريشان) فرع منهم.

(٣) مخطوطة الصويغ (١٣٠٨).

(٤) «ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد»: ٢/١٠٩.

(٥) انظر «المعجم الجغرافي» (شمال المملكة): ٣.

٦٤ ـ الحَرَشِيُّ

الْحَرَشِيُّ(١):

١ ـ خَلِيلَيَّ لَوْ سَيَّرْتُمَا بَيْنَ رَزَّةٍ ... وَبَيْنَ الصَّفَا مِنْ شُوْطَ فَالْمُتَمَانِيَا

رَزَّةُ وشُوْطُ: هَضْبتان من أَكْنافِ أَجَإ.

وأنشدني(٢) لِلْحَرَشِيِّ يمدح آل مُنَيْنٍ رهط الحر (؟) من بني مالك، ثم أحد بني ربيعة عن(٣) عوف بن عامر بن عقيل، وجاوَرَهُمْ فَأَحْمَدَ:

١ ـ رَحَلْنَا وَوَدَّعْنَا بِطِخْفَةَ(٤) جِيْرَةً ... مِنَ آلِ مُنَيْنٍ كُلُّ جَارٍ مُوَدَّعُ

٢ ـ سَوَاءٌ أَجَاوَرْتَ الْمُنَيْنِيَّ أَمْ دَجَا ... عَلَيْكَ الْحَيَا فِيْ كُلِّ صَيْفٍ وَمَرْبَعِ

٣ ـ لَكَ اللهُ لَايَأْتِيْكَ ضَيْمٌ وَلَا أَذًى ... وَلَا ذِلَّةٌ مَادَامَ يُعْطِي وَيَمْنَعُ

من الدُّفْعَةِ والمنع، لا من حرمان الطالب.

٦٥ ـ الحسين بن جابر المريحي

نَادِبَةُ بني سَعْدِ بن زَيْد، وقَتَلَهُمْ بَنُو قُشَيْرَ وعُقَيْل، وقائدُ الجيش المختار بنُ وَهْبِ الْعَبِيْدِيُّ(١):

١ ـ هَيَا جَبَلَيْ(٢) وَيَادُمْنَتَيْهِمَا ... وَيَالَكَ مِنْ دَاوِيَّةٍ مَا أَجَنَّتْ

---

(١) (١٢٤م) الحرشيُّ منسوب إلى الْحَرَيش ـ واسمه معاوية بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من هوازن، وهم قُبَيْلٌ ذو فروع، ومنهم أبو المِعْضادِ الحرشي (٤٧١م) روى عنه الهجري ولهم بلاد واسعة في الأفلاج.

(٢) (١٧١م) والمنشد غير واضح لتداخل مايورد من الأسماء وآخر مُسَمًّى: الكلابي.

(٣) كذا ولعل الصواب (من عوف).

(٤) في الهامش فوق طخفة (بَيْدَان) وهما موضعان مذكوران في (قسم المواضع).

(١) (١٠٥م) والمختار قال عنه (٦٥م): أحد بني عبيدة ثم أحد بني عُطارد، من معاوية بن قشير، أورد له رجزاً سيأتي في محله وربيعة في نسبه هو جد قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وفي هامش مخطوطة (مغلطاي) من «معجم الشعر» للمرزباني: مختار بن وهب القشيري أنشد له الهجري شعراً في نوادره. انتهى.

(٢) كذا بياض في الأصل.

٢ - أَجَنَّتْ كَخِيْطَانِ القَنَا طَلَبَ الْغِنَى إِذَا مَا الْحُرُوبُ اللاَّقِحَاتُ اشْمَعَلَّتِ
٣ - فَإِنْ تَكُ زَلَّتْ نعل سَعْدٍ فَرُبَّما عَلَوْا بِالسُّرَيْجِيَّاتِ قَيْساً فَذَلَّتِ

وفيها يقول الحُسَيْنُ بن جابر المُرَيْجِي يمدَحُ المختار:

١ - غداةَ يَسُوْسُ رَأْيَ بَنِي قُشَيْرٍ أَبُو وَهْبٍ وَيَأْمُرُ بِالصَّوَابِ
٢ - يُدَانِي بَيْنَهُمْ وَيَلِيْنُ إِرْباً لِيَحْمِلَهُمْ عَلَى قُحَمٍ صِعَابِ
٣ - عَبِيْدِيُّ الصَّمِيْمِ عُطَارِدِيٌّ تَمَكَّنَ مِنْ رَبِيْعَةَ فِيْ الرَّوَابِي
٤ - غَذَتْهُ جَعْفَرُ وَبَنُو قُشَيْرٍ كِلاَ الْجَدَّيْنِ صَحَّ بِغَيْرِ عَابِ

وتمثل ببيتِ الحُسَيْنِ بن جابِرٍ الْمُرَيْجِيِّ(٣):

١ - هَلْ يُرْجِعَنَّ لَكَ الصِّبَا فِيْ عَهْدِهِ طُوْلُ الْعَضِيْضِ عَلَيْهِ بِالإِبْهَامِ

وأنشدنِي لِحُسَيْنِ بن جابرٍ، ومرَّ فَرَمَتِ امرأَتُهُ بسهامٍ تلعب معه، وكان يحبها(٤):

١ - يَاصَاحِبَ النَّبْلِ تَبْدُوْ لِيْ تَرَائِبُهُ نَفْسِيْ بِكَفَّيْكَ فَانْظُرْ كَيْفَ تُوْلِيْهَا
٢ - عَيْنَاكَ قَبْلَ احْتِمَالِ الْحَيِّ لَمْ تَدَعَا شَيْئاً فَحَتَّامَ يَاذَا الْقَوْسِ تَرْمِيْهَا
٣ - أَشْرَكْتُ بِاللهِ يَاذَا النَّبْلِ مَااهْتَبَشَتْ نَفْسِي مِنَ النَّاسِ شَيْئاً عَنْكَ يُسْلِيْهَا

وللحسين(٥) بن جابر الْـمُرَيْجِيِّ في حربهم وحرب بني سعد بن زيد بن تَمِيم، من كلمته:

---

(٣) (١٢٥م): وأقرب راوٍ مذكور أبو الميمون يحيى بن عبادة بن جحاف بن عَمْرِو بن عبدالله بن هانىء بن عَمْرو بن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. والمُرَيجي نسبة إلى مُرَيْحٍ قال الهجري (٦١م): فَصَائل معاوية بن قشير: عَبيدة، وخزيمة، ومُرَيْح، وسَامَة، والحَجَّاج، وعَمْرو، كلهم أهل الرَّيْب، وهم بنو معاوية. انتهى والرَّيْبُ يعرف الآن باسم الربن، وأكثر سكانه عَبِيْدَة، وفيه واد يعرف بالحجَّاج. قد يكون مُسَمَّى باسم الفَصِيلة القُشَيْرِيَّة. ولكن سكان الريب (الربن) ينتسبون إلى عَبيدة قحطان (مَذحج) ولعل هذاناشيء عن اتفاق الأسماء وهو خطأ يحدث كثيراً بين القبائل كما أوضح الهمداني في «صفة جزيرة العرب».

(٤) (٢٦٧م) وأقرب مذكورٍ من الرواة أَبُو الْغَطَمَّشِ الْـمُعْرِضِيُّ أحدُ بني معاوية بن حزْن بن عُبادة بن عُقَيْل كما في (٣ م).

(٥) (٣٠٤م).

١ ـ وَيَوم (أَهْوَى) ذَبَحْنَا تَحْتَ رَايَتِنَا عِمْرَانَ ذَبْحَ سَلِيْطِ الشُّفْرَةِ الْحَمْلَا
٢ ـ يَارُبَّ شَمْطَاءَ مِنْ سَعْدٍ تَعُدُّ لَهُمْ تَرْجُو إِيَابَ ابْنِهَا فِيْهِمْ وَمَا قَفَلَا
٣ ـ لَاقَى بِأَيْدِيْ قُشَيْرٍ يَوْمَ (ذِيْ يَقَنٍ) ضَرْباً وِجَاءً وَطَعْناً يَخْضِبُ الْأَسَلَا
٤ ـ ضَرْباً وِجَاءً بِأَيْدِيْنَا يُشَيِّعُهُ طَعْنٌ كَوَلْغِ سِبَاعٍ الْمَضْبَةِ الْوَشَلَا
٥ ـ تَنْهَدُّ سَعْدٌ وَتَرْجُو أَنْ نَخِفَّ لَهَا وَلَا تَرَى خِفَّةً مِنَّا وَلَا وَهَلَا
٦ ـ نَرْسُو إِذَا حَمَلُوْا فِيْنَا وَنَضْرِبُهُمْ ضَرْباً تَرَى فِيْ تَصَابِي مَيْلِهِ هَدَلَا
٧ ـ وَالْخَيْلُ تَحْجِلُ فِيْ أَقْطَانِ رَيْقِنَا شُعْثاً كَأَنَّ بِهَا مِنْ لَقْوَةٍ مَيَلَا
٨ ـ وَالدَّارِعُوْنَ عَلَى أَثْبَاجِ قُرْحِهَا مُسْتَحْنِطِيْنَ لِيَوْمٍ يُسْقِطُ الْحَبَلَا

وللحسين(٦) في بني جَعْدَة:

١ ـ أَيَا إِخْوَةً قَدْ أَلْزَمَتْهُمْ عَبِيْدُهُمْ حُرُوْباً وَتَقْصِيْراً إِذَا الْحَرْبُ شَمَّرَا
٢ ـ إِذَا مَاجَنَوْا حَرْباً عَلَيْهِمْ عَشَوْزَناً بِأَيْمَانِنَا قَامَتْ تُشَيِّدُ عَسْكَرَا
٣ ـ وَلَيْسَ بِنَاءُ الطِّيْنِ يَدْفَعُ عَنْهُمُ إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ بِالْقَنَا وَتَكَسَّرَا
٤ ـ طَوامِحَ بِالْفِتْيَانِ مِنْ دُوْنِ عَسْكَرٍ تُثِيْرُ عَجَاجاً بِالسَّنَابِكِ أَكْدَرَا
٥ ـ وقد نَشَبَتْ(٧) النَّبْلُ وَالْقَنَا وكلُّ سُرَيْجِيٍّ إِذَا هُزَّ أَنْهَرَا
٦ ـ قَتَلْنَا خِيَارَ الْقَوْمِ مِنْهُمْ وَأَفْلَتَتْ لِئَامُهُمْ تَبْغِيْ مِنَ الْمَوْتِ مَحْجَرَا
٧ ـ وَلٰكِنَّ أَوْلَادَ الْخَوَادِمِ كُلَّمَا رَأَتْ سَلَّةً لَا تَسْتَحِيْ أَنْ تُنَفِّرَا
٨ ـ وَصَافَحْنَا بِالْبِيْضِ كُلُّ مُهَنَّدٍ تَنَقَّى أَبُوْهُ أُمُّهُ وَتَخَيَّرَا
٩ ـ مِنَ الْبَاسِلِيِّيْنَ الْحِسَانِ وُجُوهُهُمْ إِذَا عَارِضُ الْمَوْتِ اسْتَهَلَّ وَأَمْطَرَا

وأنشدني لِلْمُرَيْجِيِّ(٨):

١ ـ فَمَا رَوْضَةٌ يَسْقِي النَّدَى دَبْرَاتِهَا لَهَا بَيْنَ أَجْمَادٍ تَقَابَلْنَ مِذْنَبُ
٢ ـ مُطِيْفٌ بِشَطَّيْهَا خُزَامَى وحَنْوَةٌ وَمُعْتَلِجٌ مِنْ طَيِّبِ النَّبْتِ عُزَّبُ(٩)

---

(٦) (٣٠٦هـ). (٧) (بياض في الأصل).
(٨) (٢٥٣م) لَيْسَ في كلام الهجريّ الذي بين يديّ مايدل على أنَّ المريجيّ، صاحب هذا الشعر هو حسين بن جابر. ولكنَّ حسيناً هو أبرز شاعر مريجي في كتاب الهجري وأقْرَبُ رَاوٍ للشعر لأبي علي أبو الْغِطَمَّشِ السُّمَعْرِضِي الذي قال عنه ـ ٣م ـ: أحد بني معاوية بين حزن بن عبادة بن عقيل. فهو من قوم الشاعر.
(٩) في الأصل (عزف).

٣ - إذَا جَادَ فِيْهَا كَوْكَبٌ شَجِيَتْ بِهِ ... مَـذَانِبُهَا مِنْ رِهْمَـةٍ جَـادَ كَـوْكَبُ
٤ - أَتَتْنَـا بِـرِيَّـاهَـا جَنُـوبٌ مُـطِلَّةٌ ... مِنَ الصُّبْحِ تُهْدِيْهَا هَـذَالِيْـلُ لُغَّبُ
٥ - جَنُوبٌ تُسَامِي أَوْجُهَ الرُّكْبِ، نَسْمُهَا ... لَـذِيْـذٌ وَمَسْرَاهَـا مِنَ الْأَرْضِ طَيِّبُ
٦ - بِـأَطْيَبَ مِنْ رَيَّاكِ حِـيْنَ يَـزُوْرُنَـا ... خَيَـالُكِ بَـلْ رَيَّاكِ مِنْ بَيْـتِكَ أَطْيَبُ

وأنشدني للمُرَيْجِيِّ وهي أتَمُّ مما في سَائِر الكتب[١٠]:

١ - أَقُـوْلُ لِجَوْنٍ لَـوْنُـهُ شَنِـجِ النَّسَا ... أَطَـافَ بِمَـغْنَى دَارِهَـا ثُـمَّ وَقَّـعَـا
٢ - كَـأَنَّـهُ إِثْـرَ الـظَّاعِنِـيْنَ مُقَيَّـدٌ ... بِقَيْـدَيْنِ يَـرْدَى فِيهِـمَا حِينَ رَجَّعَـا
٣ - أَرَاعَــكَ أَنَّ الـدَّارَ وَدَّعَ أَهْلُهَــا ... لَعَمْرِي لَذَاكَ الْبَيْنُ لِـيْ كَانَ أَرْوَعَا[١١]
٤ - أتاهم رُوَيْعٍ لَا رَعَى الْـمَالَ بَعْدَهَا ... فَقَـالَ: أَلَا لَمْ نَلْحَقِ الْيَـوْمَ مَـرْتَعَـا
٥ - فَبَات شَوَارُ الْقَوْمِ كَالْقَرْعِ بِالْعَصَا ... وَلَا يَلْبَثُ القَرْعُ[١٢] الْعَصَا أَنْ تَصَدَّعَا
٦ - وَقَـدْ رَاعَنِـيْ وَاللهِ أَكْـبَرَ رَوْعَـةٍ ... أَذِيْنُ عَمُــوْدِ الْـحَيِّ لَـمَّا تَضَعْضَعَـا
٧ - إِذَا جِيْرَةٌ مِنْ جَانِبِ الصُّرْمِ قَوَّضَتْ ... لِبَـيْنٍ وَأُخْـرَى قَـدْ أَبَتْ أَنْ تَـرَفَّعَـا
٨ - وَوَدَّعَ بَعْضُ الْـحَيِّ بَعْضاً وَلَيْتَنِـيْ ... عَـلَ ذَاكَ مِمَّنْ كَـانَ حَيًّـا وَوَدَّعَـا
٩ - وَبَــرَّحَ بِـيْ أَلَّا أُشِـيْرُ عَـلَيْهِـمْ ... وَأَلَّا أَرَى فِـيْ نِيَّـةِ الْـحَيِّ مَطْمَعَـا

وله أيضاً[١٣]:

١ - أَمَا رَاعَكَ الْبَيْنُ الَّذِيْ قَالَ غُدْوَةً ... اجِـدًا وحُثَّتْ بِـالنُّعُـوسِ[١٤] جَمَـائِلُهْ
٢ - أَلَا فَهَفَا قَلْبِـيْ مِنَ الْوَجْدِ هَفْوَةً ... وَكَـادَتْ عُـرُوْقُ الْكَبْـدِ مِنِّيْ تُـزَايِلُهْ
٣ - وَمَا كُنْتُ أَخْشَى الْبَيْنَ حَتَّى رَأَيْتُهُ ... تَـطَلَّعُ مِنْ بَـيْنِ الْخِيَـامِ رَجَـائِلُهْ
٤ - وَرَدُّوْا إِلَى حَمْـلِ النُّعُوسِ مُـدَيَّثاً ... أَحَمَّ الْقُوَا[١٥] لَمْ يَعْدُ أَنْ شَقَّ بَازِلُهْ
٥ - وَمَـازِلْنَ بِـالْبَـاجُـوْرِ يَضْـرِبْنَ دَفُّـهُ ... وَحَـاذَيْـهِ حَتَّى ثَـارَ وَالـذُّعْـرُ شَـامِلُهْ

---

(١٠) (٢٦٠م) وأقْرَبُ مُنْشِدٍ هو أبو الْغَطَمْشِ الذي يروي شعر حسين بن جابر.
(١١) في الهامش: (وروى الأزهري: أراعك أن جل عن الدار أهْلُها).
(١٢) فوقها: (ولن أيضاً). اي محل (ولا يلبث).
(١٣) (٢٦١م) (١٤) النُّعُوس من أسمائهن.
(١٥) كذا (القوا) ولعله (أحم الْقَرَا) أي الظهر.

قال: قال لي: الباجور: بعضُ أعمِدةِ البيت.

٦ - تـربَّـعَ بِـ(الْـمَلْحَـاءِ) أَوَّلَ صَيْفِـهِ إلَى جِزْعِ (خَوْعَى) حِينَ جِيْدَتْ خَمَائِلُهْ
٧ - فَلَـمَّا تَعَـالَتْـهُ النُّعُـوسُ وَنَى بِهَـا وَرَدٌ وَكَثُـرَتْ فِـي الْـمُنَـاخِ زَلَازِلُـهْ

قال بعد أن أورد معاني بعضِ أسماء ولد البقرة الوحشية: وأنشد للمُرَيْجي[١٦]:

كـأنَّها أُدْمَـاءُ تُـزْجِـي شَصْرَا

وهذه يتكلم بها قُشَيْرٌ ونَهْدٌ والْعَتِيْك أهل الوَحْفَةِ. - إلى آخر ما ذكر -.

٦٦ — حسين بن مزاحم العكرمي

وأنشدني[١] الحِصْنِـيُّ من عَوْفِ سُلَيْمٍ لحسين بن مُزَاحم العِكْرِمِـيِّ من عكرمة خَصَفَة، حلفاء سُلَيْـمٍ في الجاهلية:

١ - ألا بِأَنَا مَنْ جِئْتُ أَبْغِـيْ كَلَامَهُ فَكَلَّمَنِـيْ مَنْ حَـوْلَـهُ وَهْـوَ سَـاكِتُ
٢ - وَأَعْـرَضَ إِعْـرَاضَ الْعَـدُوِّ وَحُبُّـهُ عَلَى كَبِدِيْ فِـيْ مُضْمَرِ الْقَلْبِ نَاكِتُ
٣ - وَمَنْ حُبُّـهُ يَزْدَادُ فِـيْ كُـلِّ لَيْلَةٍ كَـمَا ازْدَادَ مَـوْلِـيٌّ مِنَ الْبَقْلِ نَـابِتُ

٦٧ — الـحُـصَيْـبُ الـخُـزَاعِـيُّ

وأنشدني[١] أبو عبدالله محمدُ بنُ عبدالكريم من وَلَدِ عُتْبَةَ بْنِ جُوَيَّةَ الْكَعْبِـيِّ من

---

(١٦) (٣٧١م).

(١) (٤٨٠هـ). ولم أجد لدى الهجريِّ عن الحصني هذا وعن قومه عوف غير هذا وقوله (٤٧٦هـ): وقال العكرمي من عامر بن خصفة وهم فصحاء جيران في بني عوف من سُلَيْم.

(١) (٤٥٢هـ). لم أجدْ ذِكراً للحُصَيْب الخزاعي فيما اطلعت عليه ولكنَّ القصيدة أوردها السُّكريُّ منسوبة لِعُمَيْر بن الْجَعْدِ بن الْقَهْدِ من بني كعب بن عمرو (من خزاعة) فلعل الحُصيب لَقب لعمير، وذكر خبر فراره مُفَصَّلاً في كتاب «شرح أشعار الهذليين» - ٤٦٣ - بِمَا خُلَاصته - في الكلام على (يوم خشاش) - ورد في الكتاب (حشاش) والموضع لايزال معروفاً بالخاء المعجمة، قال: ثم خرج عمير بن الجعد بن الْقَهْدِ مِنْ ذِي غُلَايِلٍ، بمئة من كعب بن عمرو، حَتَّى صَبَّحُوا بَنِي لِحْيَان بالحُشاش يوم حُشاش، فوجدوا الناس غير =

هُذَيْلٍ، لِلْحُصَيْبِ الخزاعي وكان فَرَّاراً:

١ ـ صَدَفَتْ أُمَيَّةُ أَيَّ حِينَ صُدُوْفِ(٢)   صَـدَفَتْ وآذَنَ صُحْبَتِي بِـخُفُـوْفِ
٢ ـ وغُفُـورُهَا تَحْتَ السُّجُـوف غُدَيَّـةً   خَـفَـأٌ تَـتَـابَـعَ نَبْتُـهُ مَـصْيُـوف

الخفأُ: أصولُ الْبَرْديّ يشبه الشعرَ، ويروى: وفروعها.

٣ ـ أأُمَيْمَ هَلْ تَدْرِيْنَ كَمْ مِنْ صَاحِبٍ   فَـارَقْتُ يَوْم (خُشَـاشَ) غَـيْرَ ضَعِيْفِ
٤ ـ يُـرْوِيْ النَّدِيْمَ وَلاَ يُقَـاسِمُ فَضْلَهُ   سَمْحُ الْـمَوَاهِبِ بِـالنَّدَى مَـوْصُوفُ(٣)

ويروى: سَمْحُ الْيَدَيْنِ وثَوْبُهُ مَلْحُوف.

٥ ـ يَسَرٍ إذَا هَـبَّ الشِّـتَـاءُ وأَمْحَلُوا   فِـي الْقَـوْمِ غَـيْرَ كِبُنَّـةٍ عُلْفُـوفِ
٦ ـ لَـمَّا رَأَيْـتُـهُـمُ كَـأَنَّ نِـبَـالَهُـمْ   بِـالْجَزْعِ مِنْ (نَقَـرَى) نَجَاءُ خَـرِيْفِ
٧ ـ أَيْقَنْتَ أَنْ مَنْ يُـدْرِكُوه يَتْـرُكُـوْا   لِلضُّبْـعِ أَوْ يَضْـطَافُ شَرَّ مَصِيْفِ
٨ ـ رَفَّعْتُ رِجْـلاً لاَ أَخَافُ عِثَارَهَا   إنَّ الـنَّجَـاءَ لِهَـارِبٍ مَـوصـوف(٤)
٩ ـ وعـرفت أَلاَّ شَيْءَ يُنْجِيْ مِنْهُمُ   إلاَّ تَـعَـاوُرُ جَمُّ كُـلِّ وَظِـيْـفِ(٥)
١٠ ـ وَإِذَا أَرَى شَـدَفاً أَمَامِيْ خِلْتُهُ   رَجُـلاً فَـجُلْتُ كَـأَنَّنِي خُـذْرُوْفُ

جمعه شُدُوْفٌ وهي الشخوص.

= مفترقين، وعُمَيْرٌ صاحب الراية، فاقتتلوا فقتلَتْهُم بنو لِحْيَانَ، وَلَمْ يَنْجُ منهم أحدٌ إلاَّ عمير، وعُمَيْرٌ صاحب الراية، تلَفَّت حين رأى أصحابه قد قُتِلُوا ثم قال: مَنْ ذُوْ حاجَةٍ فِي أهْلِ غُلاَئِل؟ ثم رَمَى بالرَّاية، وأعْجَزَ فقال في ذالك عمير بن الجَعْدِ حين أعْجَزَ ـ واورد القصيدة في تسعة أبيات. مع اختلاف في بعض الكلمات وشرح لغريبها ـ فلتراجع هناك. أمَّا الرَّاوي فلعل له صلة بالشاعر ساعـدة بن جُؤَيَّة الْهُذَلي فهو كعبي جاء عنه في «شرح أشعار الهذليين» ـ ١٠٩٧ ـ و«خزانة الأدب» ٣/٨٦ ـ: ساعدة بن جُؤَيَّة أخو بني كعب بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل. والشاعر الخزاعي ـ صاحب القصيدة متقدم على عصر الهجريّ فالسكري المتوفى سنة ٢٧٥ روى الخبر والشعر عن عبدالله بن إبراهيم السُجُمَحيّ، وهذا فيما يظهر ممن أدرك القرن الثاني.

(٢) في الهامش: (يروى لات حين). و(أمية) كَذا في الأصل، وسيأتي (أأُمَيْم) مما يدل على أن الصواب (أميمة) كما في كتاب «شرح أشعار الهذليين».

(٣) في الهامش: (من الندوى)؟

(٤) فوق (موصوف): (ومعروف) وفي الأصْل: (... رِجْلاً لها... لهارِبٌ).

(٥) في «شرح أشعار الهذليين»: إلاَّ تغاوث جَمّ الخ وفسَّر (تغاوث): (تعاون) و(جَمُّ الوظيف: ماجَمُّ مِنْ عَدْوِهِ.

٦٨ ــ حَمَّادُ بْنُ مَهْدِي

حَمَّادُ بنُ مَهْدِي في امرأته، ورآها تبكي على ابنةٍ لها في الرَّيْب(١):

١ ـ نَظَرْتُ بِحِلِّيْتٍ إلَى أُمِّ صِبْيَتِي ... تُرَقْرِقُ دَمْعَ الْعَيْنِ مِنْ شَهْوَةِ التَّمْرِ

حَلِّيتُ: جبلٌ بين ضَرِيَّةَ والْحَزِيزِ، حزيزِ رَامَةَ، أشهبُ، يخرج من الحزيز، وينْشَبُ في حمى ضرية.

٢ ـ تَصُرُّ بَقَايَا التَّمْرِ فِي عَذَنِيَّةٍ ... مَصَرَّ صِوَارِ الْمِسْكِ مِنْ حُوْلَةِ الدَّهْرِ

عَذَنِيَّةٌ: يعني عمامةً سوداء، والْحُوْلَةُ: الداهية، وصِوَارُ وجَمْعُهُ أَصْوَارٌ، مِنَ الْبَقَرِ صُوَارٌ، وجمعها صِيْرَانٌ، قال أحمرُ الرأس:

وَلاَ فَأْرَ مِسْكٍ رُضَّ أَصْوَارُهُ رَضًّا

٦٩ ــ امراة حمّاد بن مَهْدِي

وأَنْشَدَ(١) لإمْرَأَةِ حَمَّادِ بن مَهْدِي:

١ ـ نَظَرْتُ بِحِلِّيْتٍ مَعَ العَصْرِ نظرةً ... ولِلْعَيْنِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ مَائِحُ
٢ ـ لِأُونِسَ مَنْ أَمْسَى الْجِرَارَ مَحَلُّهُ ... ومُسْتَأْنِسٌ عَنْكَ العَشِيَّةَ نَازِحُ

الْجِرارُ: جَمْعُ جَرٍّ، للجبل: مَا غَلُظَ مِنْ قُربِ الجبالِ، ومُسْتَأْنِسٌ مثل مُسْتَبْصِر.

٣ ـ فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي عُبَيْدًا وَأَهْلَهُ ... رَسَائِلَ تُزْجِيْهَا الْقِلَاصُ الطلائحُ
٤ ـ بِأَنَّا جَمِيعٌ صَالِحُونَ وأَنَّنَا ... بِحَيْثُ اسْتَهَلَّ الْمُرْبِعَاتُ اللوامِحُ

(البحث متصل)

(١) (١١٢م) لم أَرَ عند الهجريِّ ولا عند غيره ما أذكره عن حَمَّادِ بن مَهْدِي، ولكن يظهر أنه قُشيريٌّ حيث ذكر منزله في الريب ـ بلاد بني قشير ـ ولأن شعر امرأته الوارد بعد هذا رواه أبو الميمون المُرَيْجِي القشيري.

(١) (١١٤م) وأقرب مذكور من الرواة هو أبو الميمون المُرَيْجِيُّ القُشَيْرِيُّ.

ما اتفق لفظه وافترق مسماه

من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

ـ ٧١ ـ

٣٠٣ ـ باب خَرَّارٍ، وَخَزَّازٍ، وخَزَازٍ، وَجِزَارٍ، وَحُزَازٍ[1]

أَمَّا ٱلْأَوَّلُ: ـ بِفَتْحِ الْـخَاءِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ ٱلْأُوْلَى: ـ مَوْضِعٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْـحِجَازِ، ويُقَالُ: قُرْبَ الْـجُحْفَةِ، وَفِـي حَدِيْثِ السَّرَايَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَبَعَثَ رَسُوْلُ الله ﷺ سَعْدَ بْنَ أَبِـي وَقَّاصٍ فِي ثَمَانِيَةِ رَهْطٍ مِنَ الْـمُهَاجِرِيْنَ، فَخَرَجَ حَتَّى بَلَغَ الْـخَرَّار مِنْ أَرْضِ الْـحِجَازِ، ثُـمَّ رَجَعَ وَلَـمْ يَلْقَ كَيْداً[2].

وأَمَّا الثَّانِـي: بِتَشْدِيْدِ الزَّايِ الأُوْلَى: ـ نَهْرٌ كَبِيرٌ بِالْبَطِيْحَةِ بَيْـنَ الْبَصرَةِ وَوَاسِط[3].

وأَمَّا الثَّالِثُ: ـ الزَّايُ ٱلْأُوْلَى مُخَفَّفَةٌ ـ: جَبَلٌ بَيْـنَ مَنْعِجَ وَعَاقِلٍ بِإِزَاءِ حِمَـى ضَرِيَّة[4].

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ: (بَابُ خَزَازٍ، وَخَزَّازٍ، وخَرَّارٍ، وجِزَارٍ، وجُزَارٍ، وحُرَارٍ، وَحَرَّان).

(٢) خَرَّارُ ـ قَالَ نَصْرٌ: وَأَمَّا بِخَاءٍ مُعْجَمَةٍ وَرَاءَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ ٱلْأُولَى مُشَدَّدَةٌ: مَوْضِعٌ أَوْ وَادٍ قُرْبَ الْـجُحْفَةِ، وَفِـي عِدَّةِ مَوَاضِعَ. وَقَالَ يَاقُوتُ: فِي «المعجم»: الْـخَرَّارُ مَوْضِعٌ بِالْـحِجَازِ، يُقَالُ: هُوَ قُرْبَ الجُحْفَةِ، وَقِيْلَ: وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الْـمَدِيْنَةِ، وَقِيْلَ: مَوْضِعٌ بِخَيْبَر، وفِي حَدِيْثِ السَّرَايَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وفِي سَنَةِ إِحْدَى وقِيْلَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ ـ بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ سَعْدَ بْنَ أَبِـي وَقَّاصٍ ـ وَسَاقَ الْـخَبَرَ كَمَا فِي كِتَابِ الْـحَازِمِـيُّ. وَلِصَاحِبِ كتابِ «الْـمَنَاسِك» كَلَامٌ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْـخَرَّارَ هُوَ وَادِي الْـجُحْفَة الَّذِيْ يَفِيْضُ فِي الْـبَحْرِ جَنُوبَ مِيْنَاءِ رابِغ، وقَدْ كان هذا الوادِي مَعْمُوراً حَيْثُ ذَكَرَ صَاحِبُ «معجم ما استعجم» أَنَّ الْوَلِيْدَ بْنَ عَبْدِ المَلِكِ اشْتَرَاهُ مِنْ بَنِي عَبدالله بْنَ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ.

(٣) خَزَّازُ ـ كَتَعْرِيْفِ نَصْرٍ سِوَى كَلِمَةِ (كَبِيْرٌ) فَهِـيَ (عَظِيْـمٌ). وعِنْدَ يَاقُوتٍ نَصُّ الْـحَازِمِيِّ غَيْرُ مَنْسُوبٍ.

(٤) خَزَازُ: قَالَ نَصْرٌ: أَمَّا بِفَتْحِ الْـخَاءِ وَرَاءَيْنِ خَفِيْفَة ـ: جُبَيْلٌ بَيْنَ مَنْعِجَ وَعَاقِلٍ، بِإِزَاءِ حِمَى ضَرِيَّةَ، وقِيْلَ: =

وأَمَّا الرَّابِعُ: ـ أَوَّلُهُ جِيْمٌ مَكْسُورَةٌ وَالزَّايُ مُخَفَّفَةٌ ـ: مَوْضِعٌ مِنْ نَوَاحِي قِنَّسْرِيْنَ[٥].

وَأَمَّا الْـخَامِس: ـ أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَضْمُومَةٌ، والْبَاقِي نَحْو الَّذِيْ قَبْلَهُ ـ: هِضَابٌ بِأَرْضِ سَلُولِ بَيْـنَ الضِّبَابِ وعَمْرِو بْنِ كِلَابٍ وَسَلُوْلٍ[٦].

= خَزَازَانِ جَبَلَانِ طَوِيْلَانِ بِمَنْعَجَ، في بِلَادِ بني أَسَدٍ، وقال ياقوت في «معجم البُلْدَانِ»: خَزَازٌ وَخَزَازَى هُمَا لُغَتَانِ ـ إِلَى أنْ قَالَ: وَاخْتَلَفَتِ العِبَارَاتُ فِي مَوْضِعِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ جَبَلٌ بينَ مَنْعِجَ وعَاقِلٍ بِإِزاءِ حِمَى ضَرِيَّةَ قَالَ:

وَمَصْعَدُهُمْ كَيْ يَقْطَعُوا بَطْنَ مَنْعِجٍ ... فَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً خَزَازٌ وَعَاقِلُ

ثُمَّ قَوْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ: خَزَازٌ وَكِيْرٌ ومُتَالِعُ أَجْبَالٌ ثَلَاثَةٌ بِطِخْفَةَ مَابَيْنَ الْبَصْرَةِ إِلى مكّة، فَمُتَالِعُ عَنْ يَمِيْنِ الطَّرِيْقِ للذَّاهِبِ إِلَى مَكَّةَ وَكِيْرٌ عَنْ شَمَالِهِ، وَخَزَازٌ بِنَحْرِ الطَّرِيْقِ إلَّا أنها لا يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهَا ثَلاثتها. وَقَالَ أَبُو زِيَادٍ هُـمَا خَزَازَانِ وهُمَا هَضْبَتَانِ طَوِيْلَتَانِ بَيْنَ أَبَانَيْنِ ومَهَبِّ الْـجَنُوبِ، عَلَى مَسِيْرَةِ يَوْمَيْنِ بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ مَنْعِجُ، وَهما بَيْنَ بِلَادِ بَنِي عَامِرٍ وَبِلَادِ بَنِي أَسَدٍ، وسَاقَ خَبَرَ يَوْم خَزَازٍ عَنْ أَبِي زِيَادٍ الكِلَابِيِّ. وخَزَازُ هَذَا الْـجَبَلِ لَايَزَالُ مَعْرُوفاً في الْـجَنُوبِ الْغَرْبِـيِّ مِنْ مِنْطَقَةِ الْقَصِيْمِ، وفي سَفحِهِ الشَّرْقِيِّ تَقَعُ هِجْرَةُ دُخْنَةَ، وَمِنْهُ تَنْحَدِرُ فُرُوعُ وَادِي مَنْعِجٍ (وَادِي دُخْنَةَ الآن) الَّذِي يَفِيْضُ في عَاقِلٍ (العَاقلي) مِنْ رَوَافِدِ وادي الرُّمَةِ (يَقَعُ عَاقِلُ بِقُرْبِ خطِّ الطُّولِ: ٣٨/٤٣° وخطِّ العَرْضِ: ٢٨/٢٥°).

(٥) جِزَازٌ: عِنْدَ نَصْرٍ جِرَارٌ قَالَ: وَأَمَّا بِكَسْرِ الْـجِيْمِ وَرَاءَيْنِ مُهْمَلَتَيْـنِ خَفِيْفَة: مِنْ نَوَاحِي قِنَّسْرِيْنَ، وَجَرَارُ سَعْدٍ مَوْضِعٌ بِالْـمَدِيْنَةِ كَانَ يَنْصِبُ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ جِرَاراً يُبَرِّدُ فِيْهَا الْـمَاءَ لِأَضْيَافِهِ، بِهِ أُطُمٌ دُلَيْمٍ، وكَذَا وَرَدَ فِي «معجم البُلْدَان» إلَّا أَنَّ اسْم جُزَازٍ وَرَدَ وَفِيْهِ ـ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وقِيْلَ بالكَسْرِ وَزَايَيْنِ: مَوْضِعٌ مِنْ نَوَاحِي قِنَّسْرِيْنَ، وَقَالَ نَصْرٌ: جُزَازٌ جَبَلٌ بالشَّام بَيْنَهُ وبَيْنَ الْفُرَاتِ لَيْلَةٌ، ويُرْوَى بِرَاءَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ. انتهى والَّذي فِي كتابِ نَصْرٍ: جُزَاز قال: وَأَمَّا بِجِيْمٍ مَضْمُومَةٍ وَزَايٍ مُعْجَمَةٍ وَآخِرُهُ رَاءٌ: جَبَلٌ شَامِـيٌّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الفُراتِ لَيْلَةٌ. انتهى.

(٦) حُزَازٌ ـ عِنْدَ نَصْرٍ: حُرَارٌ: بِضَمِّ الْـحَاءِ ورَاءَيْنِ مُهْمَلَاتٍ: هِضَابٌ بِأَرْضِ سَلُول ـ إِلَى آخِرِ الْكَلَامِ ـ وَعِنْدَ يَاقُوتٍ: حُرَارٌ ـ بِالضَّمِّ وَرَاءَيْنِ مُهْمَلَتَيْـنِ ـ كَمَا فِي كِتَابِ نَصْرٍ ـ ثُـمَّ أَوْرَدَ الاسْمَ مَرَّةً أُخرى: حُزَازٌ ـ بِالضَّمِّ والتَّخْفِيْفِ وَآخِرُهُ زَايٌ أُخْرَى: هِضَابٌ إلى آخرِ الْكَلَامِ.

وَزَاد نَصْرٌ:

١ ـ حَرَّانَ ـ وَقَالَ: وَأَمَّا بِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ وَرَاءٍ أَيْضاً مُشَدَّدَةٍ وَنُوْنٍ: الْبَلَدُ مِنْ دِيَار مُضَر، واطَالَ ياقُوتُ الْكَلَامَ عَلَى حَرَّانَ هَذَا وَذَكَرَ مُسَمَّيَاتٍ أُخْرَى غَيْرَهُ مِنْهَا: حَرَّان قَرْيَتَانِ بِالْبَحْرَيْنِ لِبَنِي عامِرِ بْنِ الْـحَارِثِ بْن أَنْمارٍ ـ مِنْ عَبْدِ الْقَيْس ـ وبَنُو عَامِرٍ هَاؤُلاءِ كانُوا مُنْتَشِرِيْنَ في الْجَوْفِ وَمَا حَوْلَهُ وَلَا تَعْرَفُ الآنَ في تِلْكَ الْـجِهَاتِ الْقَـرْيَتَانِ الْـمَذْكُورَتَانِ.

٢ ـ جُزَازٌ ـ تَقَدَّمَ نَصُّ كَلَامِ نَصْرٍ عِنْدَ ذِكْرِ (جزاز) وَلَـمْ يَرِدْ فِي «مُعْجَم الْبُلْدَانِ» إلَّا مَا يُفْهَمُ مِنْهُ تَصْحِيفُهُ.

٣٠٤ ـ بابُ خُرَيْبَةَ ، وحَرْبِيَّةَ[١]

أَمَّا ٱلأَوَّلُ : ـ بَعْدَ الْـخَاءِ الْـمَضْمُومَةِ رَاءٌ ثُـمَّ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ : ـ خُرَيْبَةُ الْبَصْرَةِ يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبُو عَبْدِالرَّحْمٰنِ عَبْدُالله بْنُ دَاوُدَ الْـخُرَيْبِـيُّ ، وهُوَ كُوْفِـيٌّ نَزَلَ خُرَيْبَةَ الْبَصْرَةِ فَنُسِبَ إِلَيْهَا ، حَدَّثَ عَنْ إِسْمَاعِيْلَ بْنِ أَبِـيْ خَالِدٍ وَنَفرٍ مِنَ التَّابِعِيْنَ[٢] .

وَأَمَّا الثَّانِـي : ـ أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ ثُـمَّ رَاءٌ سَاكِنَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَكْسُورَةٌ ثُـمَّ يَاءٌ مُشَدَّدَةٌ ـ : إِحْدَى مَحَالِّ مَدِيْنَةِ السَّلَامِ ، فِـي غَرْبِـيِّ دِجْلَةَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا خَلْقٌ كَثِيْرٌ مِنَ الْـمُتَقَدِّمِيْـنَ وَالْـمُتَأَخِّرِيْنَ ، وَهِـيَ تُنْسَبُ إِلَى حَرْبٍ ، وَكَانَ أَحَدَ قُوَّادِ أَبِـيْ جَعْفَرٍ الْـمَنْصُورِ[٣] .

٣٠٥ ـ بَابُ خَرْنَبَا ، وَحَرْبَثَا ، وَحُدَيْبَاء[١]

أَمَّا ٱلأَوَّلُ : ـ بَعْدَ الْـخَاءِ الْـمَفْتُوحَةِ رَاءٌ سَاكِنَةٌ ثُـمَّ نُوْنٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَبِالْـمَدِّ ـ : مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ، وَلِأَهْلِهَا حَدِيْثٌ فِي قِصَّةِ عَلِيٍّ وَمُحَمَّدِ بْنِ أَبِـيْ بَكْرٍ ـ رَضِـيَ الله عَنْهُمْ[٢] . ←

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ فِي بَابِ الْـخَاءِ.

(٢) قَالَ نَصْرٌ وَأَمَّا بِضَمِّ الْـخَاءِ وَفَتْحِ الرَّاءِ ثُـمَّ يَاءٍ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ وَبَاءٍ مُوَحَّدَةٍ : نَاحِيَةٌ بِالْبَصْرَةِ . انتهى . وَقَالَ يَاقُوتُ فِي «المعجم» : سُمِّيَتْ بِذَالِكَ لِأَنَّ الْبَصْرَةَ بُنِيَتْ سنة ١٤ على طَرَفِ الْبَرِّ إلى جَانِبِ مَدِيْنَةٍ عَتِيْقَةٍ مِنْ مُدُنِ الْفُرْسِ فَخَرَّبَهَا الْمُثَنَّى بنُ حارِثَةَ الشَّيْبَانِـيُّ بِشَنِّ الْغَارَاتِ عَلَيْهَا ، فلـمَّا قَدِمَتِ الْعَرَبُ الْبَصْرَةَ سَمَّوْهَا الْـخُرَيْبَةَ ، وعِنْدَهَا كَانَتْ وَقْعَةُ الْجَمَلِ . وذَكَرَ أَنَّ الْـمَوْضِعَ لَايَزَالُ مَعْرُوفاً بِالْبَصْرَةِ ، وذَكَرَ مِنَ الْـمَنْسُوبِيْنَ إِلَيْهَا عَبْدَالله بْنُ دَاوُدَ ، وَنَقَلَ تَوْثِيقَهُ وأنه وُلِدَ سنة ١٢٦ وتوفي سنة ٢١١ . وعَدَّ غيرها مِمَّا يُسَمَّى الْخُرَيْبَةَ . وفِي الْـجَزِيْرَةِ ـ فِي جَنُوبِهَا الْـخُرَيْبَةُ فِي حَضْرَمَوْت ، وفِي شَمَالِهَا بِمَنْطَقَةِ تَبُوْكَ أَيْضاً ـ قَرْيَتَانِ .

(٣) الْـحَرْبِيَّةُ قَالَ نَصْرٌ : وَأَمَّا بِفَتْحِ الْـخَاءِ وسُكُونِ الرَّاءِ ثُـمَّ بَاءٍ مُوَحَّدَةٍ مَكْسُورَةٍ وَيَاءٍ مُشَدَّدَة : بِمَدِيْنَةِ السَّلَامِ ، طَرَفٌ مِنْ أَطْرَافِهَا الْوَاسِعَةِ ، نُسِبَتْ إلى أَحَدِ قُوَّادِ أَبِـي جَعْفَرٍ . وَقَالَ يَاقُوتُ ـ مَا مُلَخَّصُهُ : الْـحَرْبِيَّةُ مَحَلَّةٌ كَبِيْرَةٌ مَشْهُورَةٌ بِبَغْدَادَ ، تُنْسَبُ إلى حَرْبِ بْن عَبْدِالله الْبَلْخِي ـ ويُعْرَفُ الرَّاوَنْدِي احدِ قُوَّادِ الْـمَنْصُور ، وَكَانَ يَتَوَلَّى شُرْطَةَ بَغْدَاد ، وقَتَلَتْهُ التُّرْكُ سنة ١٤٧ ـ وَأَطَالَ الْـحَدِيْث عَن وَصْفِ مَوْقِعِهَا ، وذكَرَ مِنْ مَشَاهِيْرِ الْـمَنْسُوبِيْنَ إِلَيْهَا الإمامُ إِبْرَاهِيمُ بْن إِسْحَاقَ الْـحَرْبِي (١٩٨/٢٨٥هـ) وَلِـي عَنْهُ كِتَابَةٌ وَافِيَةٌ فِي مُقَدِّمَة كِتَابِ «المناسك» الَّذِي نشرته ظَنًّا انه لَه .

(١) عِنْدَ نَصْرٍ بِنَصِّهِ .

(٢) وَزَادَ نَصْرٌ : وَأَيْضاً : صُقْعٌ فِي الطَّرِيْقِ بَيْنَ حَلَبَ والرُّوْم . عَقَّبَ يَاقُوتُ عَلَى كَلَام نَصر عَن الْـمَوْضِع =

العُرف: قُراهُ وسُكّانه

يقع العُرْف ـ بعين مضمومة وبعدها راء ساكنة، وآخره فاء ـ بعالية نجد بين ←

→ وَأَمَّا الثَّانِيْ : ـ أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ، وَبَعْدَ الرَّاءِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ ثُـمَّ ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ : ـ نَاحِيَةٌ مِنْ نَوَاحِـيْ حَلَبَ(٣).

وَأَمَّا الثَّالِثُ : ـ بِضَـمِّ الْـحَاءِ الْمُهْمَلَةِ، بَعْدَهَا دَالٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ ـ، ثُـمَّ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنَةٌ، وَبَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَمَدٌّ : ـ مَاءٌ لِبَنِـي جَذِيْمَةَ(٤).

= الَّذِيْ بِمِصْرَ قائلاً: وهُوَ خطأٌ ، وَقَدْ سَأَلْتُ أَهْلَ مِصْرَ فَلَـمْ يَعْرِفُوْا إِلاَّ خَرْبَتا ـ وَقَدْ ذُكِرَتْ ـ ثُمَّ لم يَزِدْ عَلَى قَوْلِ نَصْرٍ عَنِ الْـمَوْضِعِ الثَّانِي. وقال عَنْ خَرْبَتَا ـ وَقَدْ ضَبَطَهُ الْـحَازِمِـيُّ خَرْنَبَا ـ بِالنون ثُمَّ الْبَاءِ ـ وَهُوَ خطأ ـ ثم نَقَلَ عَنِ الْقُضَاعِيِّ الاخْتِلاَفَ بَيْـنَ فَتْحِ خَاءِ (خَربتا) وكسْرِها ـ وأَنَّ للموضعِ ذِكْراً فِي حَدِيْثِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِـي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَمُحَمَّدَ بْنِ أَبِـي حُذَيْفَةَ بْنِ عُتْبَةَ. وَقَالَ: وَهُوَ الآنَ خَرَابٌ لاَ يُعْرَف.

(٣) عِنْدَ نَصْرٍ : ناحِيَةٌ مِنْ حَلَب.

(٤) وَزَادَ نَصْرٌ : فَوْقَ غَدِيْرِ الصُّلْبِ، وَهُوَ جَبَلٌ مُحَدَّدٌ لِـمُرَّةَ بْنِ عَبَّاس. وَقَالَ ياقوتُ في «المعجم»: الْـحُدَيْبَاءُ ـ بلفظ تَصْغِيرِ الْـحَدْبَاءِ ـ مَاءٌ لِبَنِـي جَذِيْمَة بن مالِك ـ وَأَوْصَلَ النسب إلى دُوْدَانَ بْنِ أَسَدٍ ـ فَوْقَ غَدِيْرِ الصُّلْبِ، وَهُوَ جَبَلٌ مُحَدَّدٌ ـ قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّ الْـحُـدَيْبَـاءَ شَحْمٌ إِنْ سَبَقْتَ بِـهِ ... مَنْ لَـمْ يُسَـامِنْ عَلَيْـهِ فَهُـوَ مَسْمُـوْنُ

وَأَصْلُ هذَا الْكَلاَمِ في كتابِ «بِلاَدِ الْعَرَبِ» لِلُغْدَةِ الاصْفَهانِـيِّ ـ ٥٦ ـ فِي الْكَلاَمِ عَلَى أَسْفَلِ مِيَاهِ الثَّلَبُوتِ أَحَدِ فُرُوْعِ وَادِي الرُّمَةِ الشَّمالِيَّةِ لَـمَّا ذَكَرَ مَاءَ الْبَنَانَةِ لِبَنِـي جَذِيْمَةَ وَهِيَ بِطَرفِ بَنَانٍ الَّذي يَقُولُ الشَّاعِرُ. . . وَغَدِيْرُ الصُّلْبِ، والصُّلْبُ جَبَلٌ مُحَدَّدٌ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

كَـأَنَّ غَـدِيْـرَ الصُّلْبِ لَـمْ يُضْـحِ مَـاؤُهُ ... لَـهُ حَـاضِرٌ فِي مَـرْبَـعٍ ثُـمَّ رَابِـعُ

وَهُوَ لِمُرَّةَ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَفَوْقَ ذَالِكَ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ الْـحُدَيْبَاءُ لِبَنِـي جَذِيْمَةَ ، قَالَ الشَّاعِرُ : ـ الْبَيْت ـ فَهل الَّذي لِمُرَّة الْـجَبَلُ أَمِ الشِّعْرُ ، الظَّاهِرُ أَنَّهُ الشِّعْرُ لاَ الْـجَبَل ـ إِنْ لم يَكُن الْغَدِيْرُ ، وَمُرَّةُ وَرَدَ لَهُ شِعْرٌ كَثِيْرٌ فِي الكِتَابِ عَنْ تِلْكَ الْـمَواضِعِ، والثَّلَبُوتُ يُعْرَفُ الآن باسْم وادِي الشُّعْبَةِ، والْبَنَانَة مَعْرُوفَةٌ باسْمِهَا قَرْيَةٌ صَغِيْرَةٌ مِنْ قُرَى شَمَّرَ ، جَنُوبَ مَدِيْنَةِ حَائِلٍ بِنَحْوِ ١٢٠ كِيْلاً وغَدِيْرُ الصُّلْبِ يُدْعَى غَدِيْرُ الضِّرْسِ ـ والْـجَبَلُ أَكَمَةٌ حَمْرَاءُ تَحْتَهَا مَكَانٌ يَجْتَمِعُ فِيْهِ مَاءُ المطرِ فَيَبْقَى زَمَناً ، هُوَ ذَالِكَ الْغَدِيْرِ ، الَّذِيْ يُسَمَّى أَيْضاً (ثَغَبَ الضِّرْسِ) يَبْعُدُ عَنْ قَرْيَةِ الْـمُسْتَجِدَّةِ غَرْباً نَحْوَ عَشَرَةِ أَكْيَالٍ (بقرب خَطِّ الطُّول: ٢٠/٤١° وخطِّ الْعَرْضِ : ٣٥/٢٦°).

← الحِناكية والمهد، وهو كظهر الحصان تفيض شعبانه شمالاً في وادي (الـمِخْيَط)[1] وجنوباً في وادي (الشعبة)[2] وبدايته من الغرب من جبل (تَعَار)[3] ومن مجموعة جبال تسمى (أُفَخَاذ)[4] مفردها فَخْذ إلى (السُّلِيْلَة)[5] شرقاً.

والعُرْف بلاد واسعة، ذات مراع جيدة، فيه قُرى مأهولة بالسكان، ومياه بادية كثيرة، وبه سلسلة جبال متناثرة تتخللها أودية وشعاب.

ويسكن العُرْف بطون وأفخاذ من قبيلتي حَرْبٍ ومُطَيْر.

وهو تابع إداريًا لإمارة المدينة المنورة عن طريق مركز إمارة الحناكية.

أولًا: قراه وسكانه:

١ ــ (أم الـمَخَابِيْل) وتقع غربَ السُّلِيْلَة، وجنوب وادي المِخْيَط، وسكانها الوطَابِيْن من الصُّعَبَة، من بني عبدالله من مُطَيْر.

٢ ــ (أُم شُكَاعَا) وتقع على جانب وادي المِخْيَطِ من الجنوب، وبها مدرسة ابتدائية للبنين، وسكانها الْـمشَارِيْفُ مِنَ الصُّعَبَةِ من بَنِـي عَبْدِ الله من مطير.

٣ ــ (حزْرَة) وتقع على جانب وادي مِنْيَة، وبها مستوصف، ومدرسة ابتدائية للبنين، ومدرسة للبنات، وسكانها من قبيلة حَرْب.

٤ ــ (الرُّكْنَة) وتقع على الطرف الشمالي من وادي الشُّعْبة، وهي حديثة العهد، وسكانها الـمَشَارِيْف من مطير.

٥ ــ (فَرْحَة الجديدة) وتقع في وَسَط العُرْف، في منتصف وادي فَرْحَة، وسكانها الْيُبّس من الهُوَيْمِلات من بَنِـي عَبدِ الله من مُطير.

٦ ــ (الـمُرَيْر) ويقع شمال جبل تَعَار، وسُكّانُه بني جابر من بني عمرو من حرب.

ويبدو لي أنه هو الماء الذي ذكره ياقوت وقال: إنه ماءٌ من مياه بني سُلَيْمٍ بنجد قال:

هذا الْـمُرَيْرُ فاشْـرَبِيهِ أَوْ ذَرِي   إنَّ الْـمُـرَيْرَ قِـطْعَـةٌ مِنْ أَخْضَرِ

٧ ــ (النُّعَيرِيَّة) وتقع في وسط العُرْف، وهي ماءٌ قديم، آبَارٌ كثيرة أُنْشِئَتْ عليها هجرة لِلشُّطُر من الصُّعَبَة من بني عبدالله من مطير.

ثانيا: اهم الموارد المائية:

١ ــ (الحَشْوَرِيَّة) مورد قديم، ومن أشهر الموارد في العرف، وورد ذكر الحَشْوَرِية في قصيدة طويلة للشيخ جهز بن شرَار أمير ميمون من بني عبدالله من مطير، ردًّا على قصيدة الشيخ مشعان البرَّاق التي قالها عندما أراد الغزو على الدَّيَاحِيْـنِ من واصِلٍ من بُرَيْهٍ من مطير فقال جهز:

قذمِكْ بَنِي عُثْمَان دَفْعَ السُّلاَطِيْـنْ   وِخْـرُوبْهُمْ نـاوِنْهُم بـالْقَـضِيَّـهْ
وِآش انْتْ خَابِرْ يوم رَاحُوا مْعِيْفِيْنْ   يَـوْمَ آنَّهُمْ جوهم علـى الحَشْـوَرِيَّـهْ

٢ ــ (خُثَارِق) مورد قديم، واقع في واجهة العُرْف الشمالية بين أُم الـمَخَايِيْل وأُم العَوْشَزْ.

٣ ــ (شَبَيْشِير) مورد من أملاك ميمون من بني عبدالله من مطير، واقع في منتصف العرف من الجهة الشرقية.

٤ ــ (فَرْحَة القديمة) مورد قديم مهجور.

٥ ــ (القَرَارَة) مورد قديم، واقع في منتصف الجهة الغربية للعُرْف.

٦ ــ (القِنِيْنِي) مورد قديم، واقع في الجهة الغربية للعرف، شرق جبل تَعَار.

٧ ــ (لِقْطَان) مورد من أملاك ميمون من مطير، واقع في منتصف العرف من الجهة الشرقية.

٨ ــ (مُبْغِرَة) مورد قديم مهجور.

٩ ــ (مِنْيَة) مورد من أملاك الشمالين من قبيلة حرب، واقعة في وادي مِنْيَة.

ثالثا: اهم الجبال:

(الأباهِي)، (الحُمَيْمي)، (رُوَيْث)، (الزَّيْنَات)، (الصَّخْرة)، (العَبْدلِية)،

(العَبِيْد: مجموعة جبال متناثرة على الضفة الشمالية من وادي الشعبة)، (فَرَاح)، (القِنَة: مجموعة جبال)، (المُرَيْر)، (المَضْبَعَة)، المَنْصَىٰ).

رابعاً اهم الأودية:

١ ـ وادي (العُوشَز) والذي يتفرع من جبال المَضْبَعَة وينحدر شمالاً مروراً بقرية أُم شُكَاعَـا، ويفيض في وادي المخيط .

٢ ـ وادي (عُرَيْفِطَان) والذي ينحدر من جبال المَضْبَعَة حتى يلتقي بوادي فَرْحَة بالقرب من المُرَيْر ، ويفيض في وادي المخيط .

٣ ـ وادي (فَرْحَة) والذي يتفرع من جبل رُوَيْث، مروراً بمجموعة جبال القِنَّة، ثم يفيض في وادي المخيط شمالاً .

٤ ـ وادي (مِنْيَة) يتفرع من جبل العَبْدلِية مروراً بمورد مِنْيَة المسمى باسم الوادي، ويمر بقرية حَزْرَة، ثم يفيض في وادي الشُّعْبة غرباً.

خامسا: اهم الأشجار الدائمة الخضرة في منطقة العُرْف:

الإذْخِرُ ، والسَّلم ، والسَّمُرُ ، والعَوْسَجْ ، والقتاد ، والوَهَطُ .

عبدالعزيز بن سعد المطيري

الحواشي :

(١) جبل تَعَار: شمال منطقة أُبْلَى، وجنوب الحناكية، لونه أحمر ، واقع في بلاد قبيلة حرب، وهو آخر حدود منطقة العُرْف من الغرب.

(٢) أَنْخَاذ: مجموعة جبال متناثرة على مفيض وادي الشعبة، وهو آخر حدود منطقة العرف من الغرب.

(٣) السُّلَيْلَة: ماء قديم مر ، آبار كثيرة يقع غرباً من شَابَة ورُوم، وغرب قرية صُخَيْبِرة على بعد ٣٠ كيلاً في بلاد ميمون من بني عبدالله من مطير ، معروف بهذا الاسم قديماً وحديثاً ، وهو آخر حدود منطقة العرف من الشرق.

(٤) وادي المُخَيْط : يذهب سيله صوب المدينة المنورة، ويحد العرف من الشمال.

(٥) وادي الشعبة: يبدأ سيله من ناحية الغُرَابَة وخَرب، غرب السَّجِرير ، ثم يتجه شمالاً غربيًّا، ويلاقيه المخيط ، ويحد العرف من الجنوب.

بنو هلال وبلادهم

بعث الأخ الشيخ إبراهيم بن علي بن مفرح الهلالي تفصيلاً لما نشر في «العرب» س ٢٦ ص ٨١ عن بني هلال سكان بِرْكِ الْغِمَاد خلاصته :

* **نسب قبيلة بني هلال**: نسبة قبيلة بني هلال التي تسكن بِرْكَ الْغِماد إلى بني هلال بن عامر بن صعصعة لا إلى كنانة كما ذكر بعض النسابين، ومنهم من استدل على أنها كنانية الأصل بكونها تسكن وسط ديار كنانة، وأن الهمداني ذكر بعض الأمكنة التي تسكنها، ووصفها ببلاد بني حرام من كنانة، ولكن القول بأنها من بني هلال بن عامر يؤيده أنَّ كل من ذكر حرة البرك بعد الهمداني يذكر أن سكانها هلاليون، وكبار السن من هذه القبيلة يكادون يجمعون على أنهم من قيس من جماعة أبي زيد الهلالي، ويقولون بأن أصلهم يرجع إلى أربعة رجال من بني هلال تخلفوا في هذه الحرة إبَّانَ رحيل الهلاليين، وإليهم تنسب عشائر القبيلة وهم : ـ

١ ـ علي: وإليه ينسب آل علي. ٢ ـ مقاري : وإليه ينسب آل مقاري .
٣ ـ يحيى : وإليه ينسب آل يحيى . ٤ ـ جابر : وإليه ينسب آل جابر.

* **حرة بني هلال**: تعرف أيضاً باسم (حَيْل بني هلال) وهي هضبة سوداء صخرية تتوسط إقليم تهامة، يزيد ارتفاعها عن خمس مئة متر على مستوى سطح البحر ، وعرة المسالك ، ذات أحجار سوداء ركامية خشنة، مخلوطة بالطين، تنمو فيها الأشجار الشوكية وغيرها، وتعيش بها بعض أنواع الطيور والحيوانات البرية، وتبرز في أعاليها جبال منفردة أشبه ماتكون بالرؤوس البركانية الخامدة، إذْ هي خليط من الطين والحجارة الهشة المفتتة البُنِّيَّة اللون، وترتفع جوانبها كفوهة بركان منسدَّة، مثل جبل التَّيس وجبل زَوْر الـحَمَاط ، ويوجد في بعضها كهوف منحوتة لإيواء الأغنام في المواسم الممطرة ، مثل جبل الشَّوَالة والطُّبَاب، والحُمِيْرَي ورَيْحَانة، ليست تلك الكهوف واسعة، وارتفاعها قدر القامة وأقل، يسمونها (قُـمَر) مفردها (قُمْرَة) ويسمون تلك الجبال (حَشَاجِيش) مفردها (حَشَّاء) أو (حُش) وتتخلل الحرة أودية يغلب على أكثرها الجفاف، ترتفع جوانبها فتبدو

عسرة، كثيرة التعرجات، تأخذ مساقط المياه من سلسلة جبال تحف بحرة بني هلال من الشرق وتصب سيولها في البحر الأحمر.

* **الأوديـة**: أبرز أودية الحرة الثلاثة: ـ

١ ـ وادي ذَهْبان: من أودية الهلاليين، تنحدر أعاليه من جبال الْـمفَارِق آخِذًا بمشارف الأطراف الجنوبية لحرة بني هلال، بحيث يفصل بين الهلاليين وبين عشائر الْـمُنْجِحة، تحيط به التلال الشاهقة وينتهي سيله إلى رَدْحَان ومَسَرَّة بساتين نخل هلالية، تقع في مصب الوادي قربَ البحر، ومن روافد وادي ذهبان وادي البَاخِن، ووادي ضَنْكَان، ووادي أَثْلَة ووادي لَنَكَة.

ويبعد مصب وادي ذهبان ١٥ كيلًا جنوباً عن بلدة البِرْك.

٢ ـ وادي رَاكَة: هو ثاني أودية الهلاليين من حيث الأهمية، إذ هو الحد الفاصل بينهم وبين جيرانهم من جهة الشمال، يماثل وادي ذَهْبان في الطول وكثرة الروافد ومنها وادي الـمُعَقَّد، ووادي غَيْزٍ ووادي الدُّبُوبْ.

٣ ـ وادي عَمِق: أوسط وادٍ في ديرة الهلاليين، وأكثرها سكاناً وزراعة، ويبعد مصبه ثلاثين كيلًا عن البِرْكِ شمالاً، واثني عشر كيلًا عن مصب وادي رَاكَة.

* **منازل الهلاليين في بلادهم**: تتحد قبيلة بني هلال في إقليم وحدها لا يخالطها فيه إلا مصاهر ابتداء من سواحل البرك غرباً ووادي ذهبان جنوباً، ووادي رَاكَة شمالاً، ثم شرقاً إلى أسافل وادي مَقْلَمٍ.

فآل علي تنتشر أغلب مساكنهم على الساحل.

وبنو صبيح تسكن في وادي ذهبان بدءًا من مصبه في البحر، وتمتد شرقاً آخذةً بقصب الوادي وضفافه الشمالية إلى نهايته، ثم تفرغ شرقاً مع جبال الْـمَفارِق فتحل في أحضان الجبال وجوانب الأودية.

ومن أشهر أوديتها: وادي تَظْبِّي وروافده مثل مَقْلَمٍ وأَغْصَانٍ وعذْنانٍ وأبو نغفة.

وآل مقاري وآل يحيى وآل جبار تتوزع منازلهم في باقي البلاد، ولاسيما في وادي عَمِق والـمُعَقّد ورَاكَة وقرى ذَرَى والـجَمّة.

* **جيران بني هلال**: تتوسط قبيلة بني هلال بين عدد من قبائل تهامة: ـ

١ ـ قبيلة المنجحة من جهة الجنوب وإمارتها في القحمة.
٢ ـ قبيلة آل ختارش من جهة الشرق وإمارتها في بحر أبو سكينة.
٣ ـ بطون من آل مهر والـمَشْغَلَة من جهة الشمال الشرقي.
٤ ـ ثم قبيلة الصوالحة من جهة الشمال الغربي وإمارتها في شفقة.

الجبيل: إبراهيم بن علي بن مفرح الهلالي

القَـنَّاص لا القنامي

جاء في ص ١٢١ : السطر قبل الأخير : (٩ ـ عائلة القنامي) والصواب: (عائلة القناص). كما نبه على هذا الأخ سليمان بن علي البطي.

أسرة العريض من الأسلم من شمر

كتب الأخوان محمد وإبراهيم ابني عبدالله الصالح المد الله العريض إلى «العرب» كتاباً مفصلاً عن تفرع أسرتهم وأصلها خلاصته :

١ ـ أن الأسرة من الأُسر المتحضرة في نجد منذ أكثر من مئة وثلاثين عاماً .
٢ ـ تنسب الأسرة إلى عريض بن حمُيِّر بن سويعد بن عركي من فخذ الأسلم من الصلتة من الفضول من قبيلة شَمَّر، انتقل من سَلْمَى بمنطقة حائل إلى قرية المديّةِ الواقعة على نحو عشرة أكيال من مدينة بريدة، ثم انتقل بعد ذالك إلى خَبِّ القبر المجاور لِـخَبِّ العِكْرِش، شرق نفود الرفيعة.
٣ ـ خلف عريض أربعة أبناء : جار الله وضيف الله ومدُّ الله وعبد الله . وقد قام اثنان من أبنائه هما جار الله وضيف الله بالاشتراك مع عائلة البريكان بمغارسة ملك سمي نصيبهم فيه بملك العريض، لايزال معروفاً إلى وقتنا الحاضر

في نفس الموقع المذكور ، وهناك ملك آخر باسم جار الله العريض جنوب خب القبر .

٤ ـ وأسرة العريض منتشرة فروعها في الرياض وبريدة وتبوك والقليبة.

٥ ـ والأُسَر التي صاهرت أسرة العريض:

أسرة عبدالله القهيدان من أهل أُشيقر ، وأسرة التويجري في الطرفية وأسرة الحديثي من البكيرية، وأسرة الجربوع في بريدة وهم من شمر ، والماضي في بريدة من تميم، والفيَّاض من روضة سدير من الوهبة من تميم ، والفلاج في القصيعة من شمر ، والرشودي واللهيب في بريدة والبراك في البكيرية، والسلامة في البدائع، وأسر أخرى.

أسرة آل صيخان من بني خالد

كتب إلى «العرب» الأخ علي بن سالم بن محمد بن سالم الصيخان من الأحساء موضحاً ما يلي:

١ ـ تنتمي عائلة الصيخان إلى الجُبُور ، من بني خالد .

٢ ـ من أسرة الصيخان: البلاع ـ الكفيل ـ السمنان ـ العندس.

٣ ـ تنتشر الأسرة في عُنيزة والرس والرياض.

٤ ـ أما ما ذُكِرَ من أنَّ الصيخان من الفداغة من بني تميم ، فهو غير صحيح وليس هناك ما يثبته.

آل حسين وآل مرشد

ورد في «العرب» ج ١١ ، ١٢ س ٢٥ ص ٨١٨ إلى ٨٢١ تحت هذا العنوان بيان لفروع هذان القبيلتان إلا أن هناك ملاحظات هامة جداً حيث ذكر بعض الألقاب التي يكرهها أهلها.

١ ــ في الفرع الثاني من فروع قبيلة آل حسين ذكر آل حويل والضميدة والعظم وهم يعرفون بآل راشد لا بما ذكر.

٢ ــ في الفرع الرابع وهو فرع عبدالله ذكر آل بيطارة وهم يعرفون بآل حسين.

٣ ــ وفي الفقرة الثانية من بيان فروع سعود بن حسين ذكر (آل أبو حليقة) وهم يعرفون كسابقيهم وذكر في الفقرة الرابعة من بيان فروع هذا الفخذ (آل أبو ضميدة) وهم يعرفون بآل حسين وذكر في الفقرة الخامسة (الهرره) وهم يعرفون بآل علي لابما ذكر وذكر في هذه الفقرة وهي خاصة بمرشد بن سعود.. ومنهم آل حسين. وهذا غير صحيح حيث أن الصحيح آل حسن بن رشيد.

لهذا ألفت انتباه قراء هذه المجلة إلى ذالك.

حوطة بني تميم: حسين التميمي

الشيابين: فروع القبيلة وبلادها

[كتب الأخ الكريم فهم بن ذعار بن فُهيد إلى «العرب» مفصلاً فروع قبيلة (الشيابين) وبلادها، وشيوخها من آل فُهيد، وهاهو ملخص ماكتب]:

تنقسم قبيلة الشيابين من برقاء من عتيبة إلى قسمين كبيرين هما:

أ ــ ذوي صالح. ب ــ ذوي خليفة

وينقسم (ذوي صالح) إلى ثمانية أفخاذ:

١ ــ الفهيدات.
٢ ــ ذوي عبدالله.
٣ ــ القرافين.
٤ ــ ذوي عواد.
٥ ــ الحفاراء.
٦ ــ الزبالقة.
٧ ــ الثقبان.
٨ ــ العمور.

وينقسم (ذوي خليفة) إلى سبعة أفخاذ:

١ ــ ذوي شيبة.
٢ ــ الشوام.
٣ ــ الفوارين.
٤ ــ الحوائمة.
٥ ــ الغدران.
٦ ــ الصخلة.
٧ ــ المغارقة.

بلاد قبيلة الشيابين:

١ ــ حلبان: بلدة واقعة في إقليم العرض على الطريق السريع، فيها مركز إمارة، ومدرستان ابتدائيتان للبنين والبنات، وفندق على الطريق العام، ومستوصف صحي، ومكتب بريد، وأميرها الشيخ جهز بن نائف بن ضاوي بن فهيد، تابعة لإمارة الرياض.

٢ ــ الخرائق: بلدة واقعة في العِرْض على الطريق السريع، فيها مركز إمارة، ومدرستان ابتدائيتان للبنين والبنات، وفندق كبير على الطريق يخدم المسافرين والقاطنين على حدٍّ سواء ويوجد بها جميع الخدمات، وأميرها الشيخ ضيف الله بن نقاء بن فهيد.

٣ ــ الراضة (الروضة): بلدة واقعة بالعرض، جنوب بلدة الرويضة (رويضة السهول) فيها مركز إمارة، ومدرستان ابتدائيتان للبنين والبنات، وأميرها الشيخ فيحان بن هذّال بن فيحان بن فُهَيد.

٤ ــ هجرة الرفائع: واقعة في العرض، على الطريق السريع، فيها مركز إمارة، أميرها الشيخ فيحان بن هذال بن هذال بن فهيد.

٥ ــ الخاصرة: بلدة عامرة، واقعة على الطريق السريع، فيها مركز إمارة، ومركز شرطة، ومحكمة، ومدارس ابتدائية للبنين والبنات.

٦ ــ هجرة الـمُحْدَثَة، واقعة على الطريق السريع [بين البِرْكة وعُشَيْرَة في العقيق] وأميرها ذيب بن ناشي بن عديس الشيباني.

٧ ــ عُشَيْرة: بلدة، تقع شمال غرب العرفاء، لها مفرق من العرفاء [في العقيق كانت من منازل طريق الحج القديم] وتبعد عن الطريق السريع ٦٥ كيلاً،

فيها مركز إمارة، ومدرستان ابتدائيتان للبنين والبنات.

وذكر الكاتب جميع من تولى الإمارة من أسرة الفُهيدات على قبيلة الشيابين إلى العهد الحاضر.

قوات الامن الخاصة: فهم بن ذعار بن نقاء ابو لهب بن فهيد

هِدَانُ الجبل الواقع في عالية نجد

[«العرب» س ٢٥ ص ٤١٥]

اطلعتُ على ما نشر في مجلة «العرب» س ٢٥، ص ٤١٥ تحت عنوان (هِدان) من جبال أَبْلَى، وبما أنني من سكان تلك الناحية من بلادنا الغالية. وأعرف موقع الجبل المذكور، فإنني أُوَضِّح - وبالله التوفيق - أَنَّ جبل (هِدَانْ) ليس من جبال أَبْلى، بل في المحوي شرق حَرَّة بني عبدالله، وهو واقع في جنوب شرق بلدة (صُفَيْنَة) التي تبعد عن المهدب ٥٥ كيلاً جنوباً، وشمال شرق بلدة (حَاذَة) بـ ٥٠ كيلاً، وحاذة تقع على حدِّ السهل من حَرَّة بني عبدالله.

وهِدانُ: علم بارز، ومعروف بهذا الاسم قديماً وحديثاً، ومنفرد ليس حوله جبال، لونه أحمر.

ويقع شمال شرق هجرة (أُمّ الغِيْرَان) بعشرة أكيال، وأم الغيران شمال شرق حاذة بـ ٤٠ كيلاً.

وهو بين وَادِيَيْـنِ هما وادي (السِّر) من الشمال ووادي (حَبْرِي) من الجنوب والوادِيان المذكوران يبدآن من حرَّة كُشُب ويتَّجِهان غرباً، ويَصُبَّان في صبخا أُم الغيران شرقاً. وهِدَانُ يقع في بلاد العَقَالِية من الهويملات من بني عبدالله من مطير.

وورد ذكر جبل هدان في قصيدة طويلة للشاعر شداد بن سعد بن فرس الشاطري قالها في والدته عندما رحلت إلى أخواله من قبيلة عُتَيْبة:

عَهْدِي بْشَوْفَةْ والدي هَـالزَّمـانِ يَوْمَ الْعَرَبْ يَرْعَوْنَ نَبْتَ الْمَخاضِيرْ
شَدَّتْ وَأَنَا بَيْتِي مُقِيما مكانِـي مَاجَاتُهَا الْخَصَّةْ يَـاوَيْش التَّدابـير
دَايـمْ مَـرَابِيْهَـا طـوارف هْـدَانِ وْلَابدْها تَاصَلْ إلى هِجْرَة الزِّيْرْ

ــ هجرة الزِّير : صُفَيْنَةْ ، ومن المعلوم أن بلاد قبيلة عتيبة جنوب شرق جبل هدان .

امير بلدة صفينة وشيخ قبيلة العقالية من مطير
غازي بن عطاالله بن بنش

حول اسم (لغاطِ): الغاط

جاء في «معجم اليمامة» من «المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية» - ومؤلفه عبدالله بن محمد بن خميس - جاء في العمود الأول في صفحة ٢٠٩ مانصه: الغاط - لغاط - يعرف الآن مُحَليًّ بالألف واللام ، مفتوح الغين بعدها ألف فطاء ، أما قديماً فبلام مضمومة الخ .

وجاء في العمود الثاني من صفحة ٢١٠ مانصه: (والغاط معروف الآن باسمه هذا أدخلت عليه الألف واللام، وحذفت منه فاء الكلمة فصار الغاط).

وقد تحدث المؤلف بإفاضة وإجادة مستشهدًا بأقوال الشعراء قديماً وحديثاً .

ولقد استوقفني قول المؤلف: (يعرف الآن محلى بالألف واللام)، وقوله في الصفحة التالية (أدخلت عليه الألف واللام ، وحذفت فاء الكلمة) فمادام قد ذكر أنه بلام مضمومة على وزن غراب، فإني أرى بل أجزم أن فاءه باقية - التي هي اللام المضمومة - وأجزم بأنه لم يُحَلَّ بالألف واللام المعروفة لدى النحويين بـ(أل) التعريفية، وإنما النطق العامي فعل به ما فعل بغيره، فَسُكِّنَتْ فاؤه التي هي اللام فاستلزم التسكين إلحاق ألف وصل لأجل النطق بالساكن، كما لو نطقت كلمة (غراب) ساكنة الغين لاضطررت لإيجاد ألف وصل قبلها وقلت: (اغْراب)

وما رأي الأستاذ الكريم بهذه الكلمات المماثلة بعضها وزناً، وكلها مبدوءة باللام: لباب، لبان، لعاب، هذه ثلاث كلمات تماثل لغاط وزناً وبَدْءًا باللام. ومن مكسور الأول: لثام، لجام، لحام، لحاف، لسان الخ.

ومن مفتوح الأول: لجاج، لحاق الخ.

ما رأيه لو طلب من عامي أن ينطق بواحدة من هذه الكلمات؟ هل سيقول: لُعاب أَوْ لُبان أو لِسان أو لحاف او لحاق، فيضم الحرف الأول أو بكسره أو بفتحه حسب مايجب لغةً، إنه سيقول: (الْعاب، الْبان، انْسان، الحاف، الحاق) فيسكن الحرف الأول ويأتي قبله بألف وصل.

هل نقول: إنَّ هذه الكلمات - بعد أن نطقها العامي - حُذِفَت الفاء منها، وأُدْخِلَتْ عليها الألف واللام بمعنى أنها صارتْ كلماتٍ مُنَكَّرَة هكذا: عاب، بان، سان، حاف، حاق. ثم عرفت بأل؟!

لا أحد يقول بهذا لأن المعاني اختلفتْ بعد حذف الحرف الأول.

وهكذا كلمة (لغاط) سكنت اللام فنتج ألف وصل فقط.

ولهذا أرى أن النِّسبة إليه أن يقال (اللغاطي) بلامين، وعند جره بالباء أن تربط الباء باللام دون ألف هكذا (بلغاط) لا (بالغاط). كما لو قلنا: نطق هذا القول بلْسانه، باسكان اللام.

ولو قيل: إنه أدخلت عليه همزة في أوله قبل فائه فتحول إلى جمع لَغَطٍ كقلم: أقلام، وعَلَم: أعلام أو قيل: أدخلت عليه همزة مكسورة قبل فائه فتحول لمصدر الرباعي من ألغط إلغاطاً كأكرم إكراماً. لو قيل هذا لكان أقرب من قولنا: إننا حذفنا اللام فصارت (غاط) ثم أتينا بألف ولام لتعريف الكلمة، لأنني لم أجد لكلمة (غاط) اسماً معنى إلا (جماعة) يقال: مافي الغاط مثله أي في الجماعة كما في «لسان العرب».

ويبعد جدًّا أنَّ العامة حذفت اللام من (لُغاط) ليصبح معناها (جماعة) ثم عرفوها بأل هذا وزاد من عجبي أن الشيخ حمد الجاسر ذكر الغاط في باب الغَيْنْ ←

* «ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد» :

ومَنْ أوْلَى بالقيام بنشر مؤلفات علماء هذه البلدة الطاهرة مكة المكرمة من جامعتها (جامعة أُمِّ القرى) وهي خطة حميدة سار عليها (مركز إحياء التراث الإسلامي) منذ عهد مبكر ، من إنشاء هذه الجامعة، ومن آخر ما أتحف به الباحثين الجزء الأول من كتاب «ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد» ومؤلفه عالم مكة الحفي بتاريخها محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (٧٧٥-٨٣٢هـ) وهو ذيل على كتاب «التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد» الذي ألفه الحافظ محمد بن عبدالغني المعروف بابن نقطة الحنبلي البغدادي (٥٧٩-٦٢٩هـ) وعنوان الكتاب يدل على موضوعه، وقد قام بتحقيق هذا الجزء من الكتاب الذي ينتظر أن يقع في ثلاثة أجزاء الأستاذ محمد صالح بن عبدالعزيز المراد ، أحد الباحثين في (مركز إحياء التراث الإسلامي) بجامعة أم القرى، وقد صدره بترجمتين موجزتين لمؤلفي الأصل والتذييل، وقام في خلال متابعته لتراجم الكتاب بالإشارة إلى المؤلفات التي وردت فيها الترجمة، وإكمال مايحتاج إلى إكمال من نقص فيها، وقد تضمن هذا

← من كتابه الضخم - مقدمة المعجم الجغرافي صفحة ٨٨٥ - والصحيح أنَّها في باب اللام . فهل نستطيع وضع (السان) بلام ساكنة في باب السين، أو (العاب) بلام ساكنة في باب العين ؟!

وحين نجعل كلمة الغاط جمع لغط أو مصدر أَلْغَطَ ، فتذكر في باب الهمزة ، أما باب الغين فلا . على أَيَّةِ حَالٍ ــ قال المرّار بن منقذ في (المفضلية (الـ ١٦) :

ظَـلَّ في أَعْلَى يَفَـاعٍ جَـاذِلاً ... يَقْسِمُ الأَمْـرَ كَقَسْمِ الْمُـؤْتَمِـرْ
أَلِـسَـمْـنَـانَ فَـيَـسْـقِـيْـهَـا بِـهِ ... أَمْ لِقُلْبٍ مِنْ لُغَـاطٍ يَـسْـتَـمِـرْ

سليم بن احمد الرشيد

الجزء من التراجم (٥٧٣ ترجمة) خاصة بالمحمدِيْن، ويلي هذا الجزء تراجم الأحمدين ثم بقية التراجم مرتبة على حروف الهجاء، وقد اكتفى المحقق الفاضل بوضع فهرس يشمل أسماء المترجمين كما وردت في الجزء، ووعد بوضع فهارس مفصلة في آخر أجزاء الكتاب، وقد وقع هذا الجزء في (٥١٦) من الصفحات في طباعة حسنة، وصدر هذا العام (١٤١١هـ).

وما كان لي - وأيْمِ الحقّ - إزاء هذا العمل الجليل الذي يقوم به أساتيذ مركز إحياء التراث إلا أن أُشيد بجهدهم، وأُحَيِّي نشاطهم، مستزيداً مما يبذلونه من جهود مشكورة.

ولعل من قبيل الاعتراف بفضلهم وتقديره أن أُحاول مذاكرتَهم ببعض كلمات مرت بي في المقدمة منها:

١ - قول الأستاذ الدكتور مصطفى عبدالواحد مدير المركز في الكلام على كتابي «شفاء الغرام» و«العقد الثمين» ص ٨: (الذين اعتمد عليهما كثير ممن أرخوا للبلد في علم رجال الحديث). بصرف النظر عن كتابة (الذين) فمن المعروف أن «شفاء الغرام» ليس فيه ما يحمل المؤرخين على الاعتماد عليه في علم رجال الحديث، بخلاف «العقد الثمين» الذي يحوي تراجم للعلماء وغيرهم.

٢ - وفي ترجمة التقي الفاسي في مقدمة الأستاذ المحقق ص ١٩ عن «العقد الثمين» في الحاشية: (طبع بمصر بتحقيق حامد الفقي).

والواقع أنّ الكتاب يقع في ثماني مجلدات، طبع المجلد الأول منه بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي، وبعد طبعه قدم لي الشيخ محمد سرور الصبان نسخة منه وأنا إذ ذاك في القاهرة، زارني هو والأخ الأستاذ السيد علي حسن فَدْعَق، فلما تصفحت الجزء أظهرت للشيخ الصبان أن التحقيق رَدِيْءٌ جدًّا، ويحسن أن يوكل تحقيق الكتاب إلى من هو أقدر من الشيخ الفقي، ونصحت بأن يتولى ذالك الأستاذ فؤاد السيد أمين المخطوطات في دار الكتب المصرية في ذالك العهد، فوافق الشيخ الصبان، وعهد إليه بذالك، فتولى تحقيق الكتاب حتى بلغ الجزء الثامن منه وتوفي أثناء طبعه فأكمله الأستاذ محمود محمد الطناحي، ولقد أَبْدَيْتَ

للشيخ الصبان ضرورة إعادة طبع الجزء الأول مُحقَّقًا لكثرة مافيه من الأخطاء، فوعد ولا أدري ماذا تم في الأمر.

إذنْ لا تصح نسبة تحقيق الكتاب إلى الشيخ حامد الفقي الذي توفي أثناء طبع الجزء الأول منه.

٣ ـ ص ١٩ المقدمة: «تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام» اختصره من الكتاب السابق).

والكتاب السابق هو «شفاء الغرام» والواقع أن كتاب «تحفة الكرام» ليس مختصراً من «شفاء الغرام». فقد ذكر مؤلفه ـ في الكتاب نفسه ـ أنه أُلِّفَ في سنة ٨١١هـ بصورة مختصرة، وبعد أن خرج من يده وانتشر في مصر والمغرب واليمن والهند عثر على بعض معلومات تدخل في موضوعه، ولذالك لم يتمكن من وضعها فيه، فألف بعده كتاب «شفاء الغرام» بصورة أكمل وأوفى، وقد ألف «شفاء الغرام» فيما بين سنتي ٨١١ ـ ٨٢٠هـ.

وقد اطلعتُ على نسخة من كتاب «تحفة الكرام» المؤلف قبل «شفاء الغرام» في دار الكتب المصرية في أولها نقص بقدر ورقة، وذكر الأستاذ عبدالوهاب الدهلوي أن منه نسخة في (مكتبة عارف حكمة) في المدينة وأخرى في باريس.

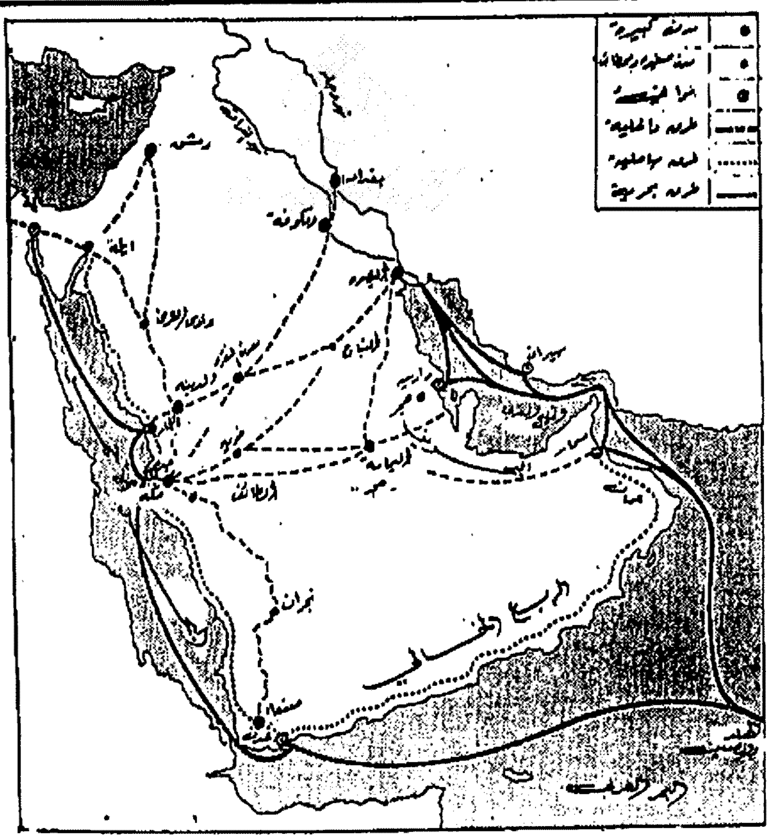
ويظهر أن تقي الدين الفاسي أعاد تأليف كتاب «تحفة الكرام» مرة أخرى، فقد ذكر في مقدمة «تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام»: (ثم إنِّي بعد تسويدي لغالبه ـ يعني «شفاء الغرام» ـ وترتيب مابقي منه في ذهني، حزرت أن يكون في مجلدين ضخمين، فاستطلته واختصرته، كيلا يحصل للناظر فيه بسبب طوله مَلَلٌ، ولا يكون على المسافر في حمله ثِقَلٌ، وسميت هذا المختصر «تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام» وهو في مقدار نصف أصله وأزيد، ثم إني اختصرت هذا المختصر في هذا الكتاب ليسهل تحصيله على المقيم والمسافر، وأفوز من دعائهما بحظ وافر، وسميت هذا الكتاب «تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام»، وعدد أبوابه أربعون باباً كأصله، وهو موافق له في كثير من العبارة) انتهى.

٤ ـ ص ٢٠ المقدمة: («المقنع من أخبار الملوك والخلفاء وولاة مكة الشرفاء»).

لم يشر المحقق الفاضل إلى أنه طبع منه القسم الأول إلى آخر خلفاء العباسيين في قازان (روسيا) سنة ١٨٢٢م في ٢٨ صفحة بعناية فرنسيس اردمن ـ على ماجاء في كتاب «معجم المطبوعات العربية والمعربة».

٥ ـ لم يذكر المحقق الفاضل من مؤلفات تقي الدين الفاسي كتاب «منتخب المختار، المذيل به على تاريخ ابن النجار».

فقد ألف الحافظ الخطيب البغدادي «تاريخ بغداد» ثم ألف ابنُ النجّار ذيلاً له ثم جاء الحافظ تقي الدين محمد بن رافع السلامي المتوفى سنة ٧٧٤هـ فألف «المختار» المذيل به على «تاريخ ابن النجار»، فجاء المؤلف تقي الدين أبو الطيب الحسني الفاسي فانتخب هذا الكتاب، الذي قام بتحقيقه وطبعه المؤرخ العراقي المعروف الأستاذ عباس الغزاوي المحامي ـ رحمه الله ـ.



الطرق البرية والبحرية الموصلة إلى الحجاز المذكورة ص ٤٤٧

نتيجة مسابقة أرامكو السعودية السنوية
الثانية عشرة لرسوم الأطفال



تتقدم أرامكو السعودية، ممثلة بإدارة العلاقات العامة فيها، بخالص الشكر والتقدير لجميع الأطفال الذين شاركوا في مسابقتها السنوية الثانية عشرة لرسوم الأطفال، وبأحر التهاني للأطفال الذين فازوا في هذه المسابقة، وهذا الشكر وهذه التهاني تشمل، بدون شك، أولياء أمور هؤلاء الأطفال ومدرسيهم ومن شجعهم وحثهم على المشاركة.

وعلى الرغم من الظروف العصيبة التي مرت بها بلادنا الحبيبة والمنطقة ككل، والتي أزاحها الله بفضله وكرمه على مدى عام، على الرغم من هذا بقيت روح أطفالنا الزاهية المليئة بالأمل والتفاؤل، فقد وصلت إلى الإدارة أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة لوحة من مختلف أنحاء المملكة، وقد اضطرت الإدارة آسفة إلى استبعاد عدد منها لعدم مطابقتها لشروط المسابقة، ودخلت المسابقة أكثر من ثلاثة آلاف لوحة.

إن أرامكو السعودية إذ تكرر شكرها وتهانيها، توجه الدعوة لجميع الأطفال في المملكة للمشاركة في المسابقة القادمة التي سيعلن عنها مع بداية العام الدراسي القادم إن شاء الله.



فيما يلي أسماء الفائزين في المسابقة

ابراهيم خليل صالح العنزي
[illegible] - عرعر

ابراهيم عويض سالم العفر
[illegible] - عرعر

آبي برهتويين
مدارس الأهلية السعودية - الظهران

احلام سعد مهنا الشرهان
[illegible]

احمد ابراهيم الأشرم
[illegible] - جدة

احمد حسين محمد نور الدين
[illegible] - الرياض

احمد داخل العتيبي
متوسطة الملك فهد - الطائف

احمد شرواني
[illegible] - ينبع

احمد علي رداد الطلحي
متوسطة الملك فهد - الطائف

احمد عثمان علوب
[illegible] - عرعر

احمد ماهر طالب
مدارس الروضة الأهلية - الطائف

احمد محمد بكر بالخيور
مدارس دار الفكر - جدة

احمد محمد علي آل صبحي
[illegible] - الدمام

احمد محمد عمر العسكري
[illegible]

ادريس لافي معيزي
[illegible] - عرعر

آراش سوخانت
[illegible]

اريج عبدالرحمن محمد ابوبكر
[illegible] - الرياض

إسلام احمد نظيم سليمان
[illegible] - الطائف

اضواء بنت سلطان آل سعود
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

الهام طالب سعد العمري الحربي
[illegible] - الدمام

اليسا زهير امطير
ص ب ۱۱۷ الخبر ۳۱۹۵۲ - الخبر

آمنة محمد يوسف بناني
مدارس دار الفكر - جدة

إيلاف عبدالمقصود محمد خوجه
مدارس دار الفكر - جدة

ايمن محمد النجار
[illegible] - عرعر

ايهاب حافظ محمد احمد عثمان
[illegible]

بتول محمد فلاح الملاحي
مدارس دار الفكر - جدة

بدور بنت زيد علي جابر
[illegible] - جدة

بشار احمد عبدالعزيز السالم
[illegible] - جدة

بندر فهد رداح نوات
[illegible] - عرعر

ثامر احمد الصمعاني
[illegible]

ثامر عبدالله القرعاوي
[illegible]

جيبا براتنك
[illegible] - ينبع

حامد انور الحربي
[illegible]

حسين محمد الزاكي
[illegible] - الدمام

حصه محمد عبدالله السويلم
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

خالد شريم عمير الحربي
[illegible]

خيرالدين صبري
[illegible] - الظهران

دلال عبدالله عبدالعزيز العقيل
[illegible] - الرياض

ديم البابطين
[illegible] - الخبر

ديمه محمد البرجس
[illegible] - الدمام

رامي سالم حمرين
[illegible]

راكي عبدالرحيم واكد ابوعقلين
[illegible] - الطائف

رؤى العماري
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

رشا يحيى مصطفى العطيات
[illegible] - جدة

رضا تكليف عودة
[illegible] - عرعر

رها طارق عبدالوهاب اسماعيل
مدارس دار الفكر - جدة

رواء عبدالله العماري
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

روان رشاد رضا
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

رويشد لافي الرويلي
[illegible] - عرعر

ريما ماهر ابوالهدى خاشقجي
[illegible] - جدة

ريهام كريم عبيد بليدي
[illegible]

زهير عمر مختار
[illegible]

زينب محمد عبدالله المشخص
ص ب ۲۱۹٦ الخبر ۳۱۹۵۲ - الخبر

زينه السقاف
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

سانشد جدي ناجي
[illegible] - عرعر

ساجي عبداللطيف ابوشنب
[illegible] - الظهران

ساره احمد حسن منير
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

ساره سيد عبدالفتاح
[illegible] - الطائف

ساره عبدالله الغامدي
[illegible] - الدمام

سامر سمير ابراهيم بركات
[illegible] - الرياض

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للافراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالا

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
يصدرها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

العنوان
في الورود - شارع حمد الجاسر - ص.ب ١٣٧ - ٤٦٢١٣٢٣
ص.ب ١٣٧، الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٩، ١٠ س ٢٦ الربيعان سنة ١٤١٢هـ - أيلول/تشرين أول (سبتمبر/أكتوبر) سنة ١٩٩١م

يَبَنْبَم
مَأْلَفُ السّاجِعَات، ومرتع الشَّوَادِنِ قَدِيمًا

لفت نظري وأنا أتصفَّحُ دِيوانَ الشاعر حُمَيْدِ بْنِ ثورٍ أثناءَ كتابة كلمة عن فائت شعره، ماورد في قصيدتِهِ الميمية المشهورة من قوله:

إذَا شِئْتُ غَنَّتْنِيَ بِـأَجْزَاعِ بِيْشَـةٍ ... أوِ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيْثَ أَوْ مِنْ يَبَنْبَمَا

وهو البيت الثاني والتسعون من القصيدة الواردة في ديوانه،[١] تحقيق أستاذنا الجليل الشيخ عبد العزيز الميمني - رحمه الله - ورأيته يقول في الحاشية: في «البلدان»: يَبَنْبَمُ، ويَبَنْبَم. وفي «الوسيط» (يَلَمْلَمَا) مصحفا. ثم نقل كلامَ البكريِّ في «معجم ماستعجم» في تعريف المواضع الثلاثة.

وسبق لِيْ أَنْ عُنِيتُ بالبحث عن موقع يَبَنْبَمَ، فكتبت إلى أحد إخواني في تلك البلاد، رجوته أنَ يبحث لي عن تحديد الموضع، وهو الأخ الأستاذ فرَّاج بن شافي المُلَحِم، فقام برحلة في جمادى سنة ١٤٠٤هـ وكتب إليَّ يقول:[٢] يَبَنْبَمُ وبنات حرب والجَسَدَاءُ لَمْ نَجِدْ لها خَبَرًا ولاأسا في المنطقة.

كيف هذا والمواضع الثلاثة تقع على أشْهَرِ طريق كان معروفا منذ العصور القديمة، حين كان ملوك حمير يأتون بجيوشهم الجرارة من هذا الطريق لإخضاع جوانب الجزيرة، حتى كان يعرف إلى عهدنا الحاضر باسم (درب الملك الكامل)[٣] لأنه مَرُّبه حين غزا بني عامر في نجد سنة ٤١٥م، ثم سلكه أصحاب

الفيل سنة ٥٧٠م. وبعد أن ظهر الإسلام أصْبَحَ طريقَ حجاج اليمن الآتين عن طريق صعدة طِوَالَ ثلاثة عشر قرنا، وقد حدَّدَ مؤلفو كتب المسالك المسافات بين منازل هذا الطريق، وَعَرَّفُوا كُلَّ منزلة، حتى أنَّ من بينهم من حدد خطوط العرض لهذه المنازل تحديدًا دقيقا بحيث لو سار المرء على وصف ماذَكَرَ أَحَدُهُم وقاس المسافات التي حددها بين منازل لاتزال معروفة ــ مثل بِيْشَةَ وسَرُوْم الْفَيْضِ ــ لَاَ هْتَدَى إلى الموقع، وإن جُهِلَ اسْمُهُ، واحتفى.

ثم كان منْ حسن الحظ أنْ أُكْرِمْتُ من إحدى الجهات بمجموعة من المصورات الجغرافية (الخرائط) لتلك الناحية الواقعة في جنوب المملكة، وفي منطقة بلاد عسير بالذات حيث يمرُّ ذالك الطريق، فما أَشَدَّ سروري حين وقع نَظَرِي على إحدى تلك المصورات (الخرائط) تحمل اسم (ابن ابن) فكان أول ماتبادر إلى الذهن أنه هو اسم الموضع المقصود (يَنْبَم) وعادةُ العامَّةِ تحريفُ الْأَسْمَاءِ بِتقديمٍ أَوْ تأخيرٍ في الحروف، وبإبدال بعضها ببعض، بل بعضها بتغييره أصلا إلى مايقاربه، ومن الأول اسم (يبنبم) غيروه إلى (ابن ابن) ومن الثاني (الرقم)(٤) أبدلوا الميم في أخره (باءً) فصار يعرف باسم (الرقب) بالباء، ومن الثالث تغيير هم اسم مكان سماه ياقوت (أسنان بلالة) وهي رؤوس جبال شامخة من الْعَرَمَةِ في الطريق بين الرِّياض والْخَرْجِ، سموها (ثَنَايَا بِلَال) وهكذا مما لايتسع المقام للإفاضة في تفصيله.

كان أول ماستطعت به ترجيح القول بأنه هو الموضع المقصود مقارنة المسافات بين هذا الموضع وبين المنزلين الواقعين قبله وبعده في وصف طريق الحج عندالهمداني، ثم مقارنة قول الهمداني نفسه بأن هذا الموضع يقع غرب تثليث.

يبنبم في الشعر القديم:

ويحسن هنا أنْ أوردَ ماستطعتُ العثور عليه من أشعار المتقدمين عن هذا الموضع.

قال طُفَيْلٌ الغنويُّ: (٥)

أَشَاقَتْكَ أَظْعَانٌ بِحَفْرِ يَبَنْبَمِ ... غَدَوْا بُكْرًا مِثْلَ النَّخِيْلِ الْمُكَمَّمِ

وقال حُمَيْدُ بن ثور الهلاليُّ:(٦)

إذَا شِئْتُ غَنَّتنِي بِأَجْزَاعِ. بِيْشَةٍ ... أوِ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيْث أَوْ مِنْ يَبَنْبَمَا

وقال العامِرِيُّ من أبيات:(٧)

يَاجَارَتِيَّ وَقَدْ أَرَى شَبَهَيْكُمَا ... بِالْجِزْعِ مِنْ تَثْلِيْثَ أَوْ بِيَبَنْبَمَا
عَنْزَيْنِ بَيْنَهُمَا رَشَأً مِنَ الْغِزْلاَنِ لَمْ يَكُ تَوْأَمَا ... غَزَالٌ شَادِنٌ

وإذا صح استنتاج تحديد الموقع بالنسبة لقائله جاز القول بأنه من بلاد بني عامر أو بقربها لوروده في شعر عامريَّيْنِ هما: حُمَيْدُ بن ثور الهلالي، والْعامِرِيُّ الثاني الذي ورد قوله في كتاب «بلاد العرب» ومؤلفه من أهل القرن الثالث ولابد أن يكون هذا العامريُّ قبل ذالك العهد، ودلالةُ قول حُمَيْد أَبْلَغُ، لأنه وصف موقع الحمامة التي أثارتْ شجوه بأنه كان في تَثْلِيْثَ ويَبَمْبَم، مما يدل على أنه كان استقر في تلك البلاد، وبنو هلال الذين منهم حُمَيْدُ كانوا جاوروا خَثْعَم التي كانت تسكن بقرب تَثْلِيْثَ، يضاف إلى هذا أنَّ كثيرًا من بطون بني عامر كانت منتشرةً في جنوب البلاد المتاخمة لمنازل اليمنيين، كما يُفْهَم من ذكر الموضعين معاً على تقاربهما، وتَثْلِيْثُ من أشهر الأَوْدية التي لاتزال معروفة، وكانت أسافله من منازل العامريين بني عُقَيْلٍ وغيرهم.

وإذَنْ فينبغي أن يكون يبمبم بقرب تثليث.

أما ذكرُ طُفَيْلٍ الغَنَوِي للموضع فهو من قبيل السير على عادة الشعراء حين يصفون الظَّعائن المنتقلة من مكان إلى مكان، دون أن يكون هناك ارتباط بين الموضع وبين صلة الشاعر به، إذ قبيلة غني التي منها الشاعر تقع منازلها في عالية نجد فيما بين جبال النِّير وحمى ضرية، مع أنَّ طُفَيْلاً ذكر مواضع بقرب يَبَنْبَم في شعره مثل (القَهْر).

تصحيف الاسم:

صواب اسم الموضع (يَبَنْبَمُ) وقد تُقْلَبُ النون مِيْماً لوقوع الباء بعدها، وهذا

أمرٌ مضطرد ليس خاصاً بهذا الاسم فيقال (يَمْبَمُ) كما سيأتي في نصوص المتقدمين.

وقد وقع الاسم مُحَرَّفاً ومُصَحَّفاً في كثير من كتب الأدب. فقد جاء في كتاب «الأغاني»: [٨]

إذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيْشَةٍ أَوِ النَّخْلِ من تَثْلِيْثَ أَوْ مِنْ يَلَمْلَمَا

حُرِّفَ إلى (يلملم) ثم زِيْدَ هذا التحريف في الحاشية: ويقال فيه (أَلَمْلَمُ) و(يَرَمْرَمُ). فلم يكتف المحقق الفاضل بما وقع من تحريف في الاسم، بل أضاف خطأً آخر هو قوله: بأنَّ يلملم يسمى (ألملم) و(يرمرم) وفرق بين يرمرم ويلملم. فيلملم: موضع تهامي ساحليٌّ هو ميقات حُجَّاجِ تِهَامَةَ، ويَرَمْرَمُ جبل نَجْديٌّ خارج سلسلة جبال الحجاز بقرب مَعْدِن بني سُلَيْم، قال عنه الْهَجَرِيُّ: [٩] (قال السُّلَمِيُّوْنَ: يَرَمْرَمُ عَلَمٌ من الأعلام، أَسْوَدُ أقربُ المنازل إليه مَعْدِنُ بني سُلَيْمٍ عن يمين الذاهب إلى مكة من العراق) ولا يزال هذا الجبل معروفاً، ولكن العامة تسميه (رَمْرَم) كعادتهم في حذف الياء من أول كثير من الأسماء مثل (ينوف): (نوف) و(ياقوت) (قوت) و(يجودة) (جودة) و(يعقوب) (عقوب) وهكذا.

ويقول الشاعر العامي مُخْلِد الْقَثَامِي العتيبي في رمرم:

الدَّرْبَ عَانهْ من حَصَا كُشْبٍ وَيَسَارْ مَاحَدَّ رَمْرَم والْهِضَابَ الْعَسِيْبِ[١٠]

وقال خُصَيْوِي الْقَوْسُ الْمَرْشَدِيُّ العُتيبِيُّ من أبيات سنة ١٣٤٨هـ:

تَعَـرَّفِيهـا تَـرَاهـا دِيْـرَةَ الْقَـوْمْ رَمْـرمَ ورَايَـانْ لَـزْمًـا تَـاصَلِيْنِـهْ[١١]

وجاء بعد صدور طبعة دار الكتب المصرية من «الأغاني» صديقنا الأستاذ أحمد عبد الستار فراج ــ رحمه الله ــ فسار في تحقيقه لهذا الكتاب على نهج ماورد في طبعة الدار، مع التعليق على البيت بذالك التعليق الخاطيء.

وجاء محقق كتاب «الكامل»[١٢] للمبرد صديقنا الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ــ رحمه الله ــ فأورد البيت كما ورد في كتاب «الأغاني» وحاشيته.

ومع أن شيخنا الميمني ــ رحمه الله ــ أورد الاسم صحيحاً في تحقيق ديوان

حميد، وأشار إلى أن كلمة (يلملم) تصحيف، إلاَّ أنَّ المشرف على طبع كتاب «الوحشيات»(١٣) الذي حققه الشيخ الميمني أورد البيتَ على الصفة التي قال الشيخ الميمني: إنها تصحيف.

وجاء صديقنا عبد السلام محمد هارون ــ رحمه الله ــ فأورد البيت في كتاب «الحيوان»(١٤) كما ورد في مطبوعة دار الكتب المصرية من «الأغاني» وأشار إلى وقوع تصحيفين آخرين في مخطوطتين من مخطوطات كتاب «الحيوان» في إحداهما (بينمنما) وفي الثانية (بتلملما).

ومن تصحيفات هذا الاسم أيضاً ماورد في «معجم البلدان» في حرف الباء الموحدة من قوله: بَبَمْبَمَ ــ بفتحتين ــ وزن غَشَمْشَم ــ: موضع أو جبل، وكذا ذكره الأزهري والخارزنجي ولم تجتمع الباء والميم في كلمة اجتماعهما في هذه الكلمة، ورواه بعضهم يَبَمْبَم، وقد روي على اللُّغتين قولُ حُمَيْدِ بن ثَوْرٍ حيث قال:

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيْشَةٍ وبِالرَّزْنِ مِنْ تَثْلِيْثَ أَوْ مِنْ بَبَمْبَمَا

مع أنه أورد في حرف الألف مانصه: أَبَنْبَمُ ــ بفتح أوله وثانيه، وسكون النون، وفتح الباء الموحدة وميم بوزن أَفَنْعَل من أبنيةِ كتاب سيبويه، ويُرْوَى يَبَنْبَم بالياء وذُكِرَ في موضعه، وانشد سيبويه لِطُفَيْلٍ الغَنَوِيِّ يقول:

أَشَاقَتْكَ أَظْعَانٌ بِجَفْرِ أَبَنْبَمِ نَعَمْ بُكَراً مِثْلَ الْفَسِيْلِ الْمُكَمَّمِ

ثم قال في حرف الياء: يَبَمْبَمُ - بفتح أوله وثانيه والميم ساكنة وباء موحدة أخرى وميم -: اسم موضع قُرب تَبَالَةَ عند بِيْشَةَ وَتَرْجٍ، والتَّلَفُّظُ به عَسِيرٌ لِقُرْب مخارج حروفه، قال حُمَيْد بن ثور:

وَمَاهَاجَ هَذَا الشَّوْقَ ــ خمسة عشر بيتًا أوردها وبعدها: ــ

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِيْ بِأَجْزَاعِ بِيْشَةٍ أَو النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيْثَ أَوْ مِنْ يَبَمْبَمَا

وقال بعض بني عامر:

يَاجَارَتِيَّ وَقَدْ أَرَى شَبَهَيْكُمَا بِالْجِزْعِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ بِيَبَمْبَمَا

عَنْـزَيْنِ بَيْنَهُمَا غَـزَالُ شَـادِنٌ رَشَأٌ مِنَ الغِزْلَانِ لَمْ يَكُ تَوْأَمَا

وأضاف في حرف الياء مانَصُّه: يَيْنَبَمُ ـ بفتح أوله وثانيه وسكون نونه، وباء مفتوحة وميم ـ ويقال: أَبْنَبَمُ ـ: موضع، وهو من أبنية كتاب سيبويه، قال طُفَيْلُ الْغَنَوِيُّ:

أَشَـاقَتْـكَ أَظْعَـانٌ بَجِفْـرِ يَبَنْبَمِ نَعَمْ بُكُراً مِثْلَ الفَنِيْقِ الْمُكَمَّمِ(١٥)

ولاشك أنَّ إيرادَ الِإسْمِ بالباء (بَبَنْبَم) وبالياء الثانية (يينبم) تصحيف يَبَنْبَم، وياقوت ـ رحمه الله ـ كثيرا مايكرر الاسم الذي لايتيقن صحة ضبطه مثل (رَبِثَة) رَنْية، أوردها في الموضع الصحيح، ثم أوردها في حرف الزاي.

ومن أَسْوَإِ أنواع التصحيف في هذا الاسم ماوقع في المطبوعة التي حققها الدكتور محمد حسين الزُبَيْدي وطبعت في العراق، من كتاب «الخراج» لقدامة بن جعفر، فقد ورد فيه الاسم بهذا النص: (ومن نبات حرم إلى شميص [بدون نقط] منزل في صحراء فيه بئر واحدة عذبة وليس به أهل . . . . . . ومنه إلى كُثْبَة) وكرر (كُثْبَة) مرة أخرى، ووردت (سَروم) (شَروم) ولكن اسم (يَبَمْبَم) ورد صحيحاً في المطبوعة الأوروبية وماصُوِّرَ عنها.

مما تقدم يتضح أن سبب صعوبة النطق بالاسم التي عبر عنها ياقوت بقوله: (التلفظ به عسر لقرب مخارج حروفه) سَبَّبَ تحريفه وتصحيفه إلى يلملم، وببنبم، ويممبم، إلى غير ذالك من أوجه التصحيف والتحريف.

أقوال علماء اللغة:

لعل من أقدم من ذكر اسم الموضع من اللغويين سيبويه في «الكتاب» على ماذكر البكري وياقوت في معجميها، وسيأتي نَصُّ ماذكرا، وقد تتبعت فهرس الكتاب في مطبوعة الأستاذ عبد السلام محمد هارون فلم أُعْثُرْ على النص المنسوب لسيبويه في الكتاب.

وقال الأزهري في «تهذيب اللغة»: يَبَنْبَمُ: وذكر حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ يَبَنْبَمَ:(١٦)

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيْشَـةٍ أَوِ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيْثَ أَوْ مِنْ يَبَنْبَمَا

وقال ابنُ دريد:(١٧) (بـم بـم): لم تجتمع الباء والميم مكررة في كلمة إلاّ في يمبم، وهو جبل أو موضع.

وقال صاحب «اللسان»:(١٨) أبنبم ويبنبم موضع، قال ابنُ بَرّي: أَبْنَبَمُ على أَفْنَعَلَ من أبنية الكتاب، قال طُفَيْل:

أَشَـاقَتْـكَ أَظْعَـانٌ بِجَفْـرِ يَبَنْبَـمِ ... نَعَمْ بُكَراً مِثْلَ الْفَسِيْلِ الْمُكَمَّمِ

ثم نقل مافي «التهذيب» وتقدم.

وقال في «تاج العروس»(١٩) فصل الياء مع الميم: ومما يستدرك عليه يَمْبَمُ — بفتح الياء والباء الأولى والثانية بينهما ميم ساكنة: اسم موضع قرب تَبَالَة، قال حُمَيْد بن ثَوْرٍ:

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيْشَـةٍ ... أَوِ الْجِزْعِ مِنْ تَثْلِيْثَ أَوْ مِنْ يَمْبَمَا

قال ياقوت: والتلفظ به عَسِرٌ لقرب مخارج حروفه، وقد أشار اليه المصنف في أول الحرف ويقال: بالألفِ أَيْضاً بدل الياء، وقد تقدم ذالك للمصنف أيضاً، ويقال أيضاً بالباء الموحدة أولا.

واختلف في وزنه فقيل: فعلل(؟) كَسَفَرْجَلٍ، وقيل: يَفَمْعل، ويروى أيضاً يَبَنْبَم بقلب الميم الأولى نونًا، أورده ياقوت هكذا، وبه رُوِيَ قول طُفَيْل الذي سبق في أول الحرف، وعلى كل حال كان الواجب على المصنف الإشارة اليه هُنَا.

وفي «التاج» أيضا قبل ماتقدم: ابنبم: أهمله الجوهري، وهو من أبنية كتاب سيبويه وزنه أَفَنْعَلَ، ويقال يبنبم بالياء وزنه يفنعل، وهو موضع قرب تَثْلِيْثَ، وأنشد سيبويه لطُفَيْلِ الغَنَوِيّ:

أَشَـاقَتْـكَ أَظْعَـانٌ بِحَفْـرِ يَبَنْبَـمِ ... نَعَمْ بُكَراً مِثْلَ الْفَسِيْلِ الْمُكَمَّمِ

وأنشد الصاغاني لِحُمَيْد بن ثَوْر — رضي الله عنه —:

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيْشَـةٍ ... أَوْ الرِّزْنِ مِنْ تَثْلِيْثَ أَوْ بِأَبَنْبَمَا(٢٠)

ثم أورد كلام ياقوت في معجمه.

ومن اقوال علماء المواضع:

قال الهمداني في «شرح القصيدة الدامغة»[٢١] بعد أن تكلم على يوم رَنْيَة: ورَنْيَةُ القُرَيْحَا، وأورد شعراً لِعَمْرِو بن معدي كرب في ذالك اليوم، وجواب عامر ابن الطُفَيْل له وفيه يقول:

لَاتَعْجَلَنْ يَاعَمْرُو وَانْظُرْ كَتَائِبًا ... تُسَاقُ إِلَيْكُمْ بَعْدَهُنَّ كَتَائِبُ
إِلَى أُطْم طَبْي يَعْتَلِكْنَ شَكَائِمًا ... مَقَانِبُ تُهْدِيهَا إِلَيْكَ مَقَانِبُ
هُنَالِك لاتُنْجِيْكَ مِنَّا قُضَاعَةٌ ... وَلَا مَذْحِجٌ إِنْ سَارَ كَعْبٌ وَحَاطِبُ

الاطم: الحصن الحصين المبني، وطَبْيُ: موضع عَمْرٍو وهو يَبَمْبَمُ، وهو الذي ذكره امرؤ القيس فقال:[٢٢] وحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ طَبْيٍ فَعَرْعَرَا.

والنَّاسُ يُرْوون ظبي، وهذا غلط طبي وعرعر من أودية نجد، وقد يسميه بعض من يجهله طب. انتهى

والشاهد من هذا النص صلةُ الموضع بعمرو بن معدي كرب، والهمداني نفسه قد أوضح في «صفة جزيرة العرب»[٢٣] أن عمرو بن معدي كرب من أَهْل تَثْلِيْث، فقال في ذكر بلاد بني نَهْدٍ: طَرِيْبُ وأَرَاكُ وتَثْلِيْثُ، وكان لعمرو بن معدي كرب فيه حِصْنٌ ونَخْلُ، وجَاشُ ومَرِيْعُ والعشَّتَانِ والبردان انتهى ملخصاً، ولم تذكر إلَّا المواضع التي لاتزال معروفة.

وأورد الهمداني في «صفة جزيرة العرب»[٢٤] من أرجوزة لِلرَّدَاعِي في وصف طريق عودته من مكة إلى اليمن بعد أن ذكر منهلَ بناتِ حَرب:

ثم اصْدُرِيْ مِنْهُ إلَى هِرْجَاب ... لِابْنَيْ دَدٍ فَجُلْجُلِ الأَحْزَابِ
وبَعْدَ نَجْرٍ أبْتِ لِلْمَثَاب ... يَبَمْبَمَا مَحْمُوْدَةَ الإِيَاب

إلى أن قال:

حَتَّى إذَا أَوْرَدْتُهَا يَبَمْبَمَا ... وَاللَّيْلُ قَدْ أَلْقَى جِرَاناً مُظْلِمَا

قال:

فَصَبَّحَتْ واللَّيْلُ قَدْ تَجَرَّمَا ... كُتْنَةَ إذْ كَانَتْ لِوِرْدٍ مَعْلَمَا

ونقل عنه الْبَكْرِي في «معجم ماستعجم»[٢٥] ماهذا نصه: قال الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني في كتاب «الإكليل»: يَبَمْبَمُ وحَبَوْنَنُ وَجَاشُ وَمَرِيْغُ مِنْ دِيَارِ مَذْحِج. قال: وكذالك الْحُجَيْرَةُ والْكُتَنَةُ، قال: وهي اليوم لبني نَهْدٍ انتهى. وكل هذه المواضع معروفة سوى يبمبم، وقال أيضًا:[٢٦] قال الْهَمْدانيُّ: حَبَوْنَنُ من ديار مَذْحِجَ، وكذالك جَاشُ ومَرِيغُ ويَبَمْبَم. قال: هي اليوم لبني نَهْدٍ:.

وقال البكري أيضًا: يَبَنْبَم ـ بفتح أوله وثانيه وبعده نون وباء أخرى ـ: وادٍ شَجِيرٌ قِبَلَ تَثْلِيثَ. قال حُمَيْدُ بنُ ثَوْرٍ:

إذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بأَجْزَاعِ بِيْشَـةٍ ... أوِ الْجِزْعِ مِنْ تَثْلِيْثَ أَوْ مِنْ يَبَنْبَمَا

وذكر سيبويه في الأَبْنِيَة: أَبَنْبَمَ ـ بالهمز على وزن أَفَنْعَلَ، وهي لغتان فيها الهمزة والياء كما هي في (يَلَمْلَم) ولم يَذْكُرْ سِيْبَوَيْهِ فيه الياء.

وتقدم كلام صاحب «معجم البلدان».

ومن اقوال علماء المسالك:

تقدم القول بوقوع (يَبَمْبَم) في أشهر الطرق التي تأتي من اليمن إلى داخل الجزيرة، ويحسن إيراد بعض أقوال أصحاب المسالك في ذالك، ولعل من أقدمهم ابنُ خُرْدَاذْبَةَ فقد جاء في كتابه «المسالك والممالك» يصف طريق المتجه إلى اليمن بعد تَبَالة:[٢٧] ثم إلى بِيْشَةِ بُعْطَانَ كبيرة فيها ماء ظاهر، قال حُمَيْدِ بن ثَوْرٍ الهلاليُّ:

إذَا شِئْتُ غَنَّتِنِي بِأَجْزَاعِ بِيْشَةٍ ... إلَى النُّخْلِ مِنْ تَثْلِيْثَ أَوْ بِيَبَمْبَمَا

ثم إلى الْجَسَدَاء فيها بئر، ولا أهلَ فيها، ثم إلى بنات حَرْب قرية عظيمة فيها عين وبئر، ثم إلى يَبَمْبَمَ ولا أهل فيها، ثم إلى كُتْنَةَ قرية عظيمة فيها آبار، ثم إلى الثَّجَّة فيها بئر، ثم إلى سَرُوْمِ رَاحٍ قريةٌ عظيمة فيها عيون وكروم، وجُرَشُ منها على ثمانية أَمْيَالٍ.

وفي كتاب «المناسك» في وصف الطريق من اليمن إلى مكة:[٢٨] ومن ذاتِ عُشٍّ إلى كُتْنَة ومن كُتْنَة إلى يَبَنْبَم وبينهما الماء، ومن يَبَنْبَمَ إلى بنات حرب وبينهما المسله(؟) ثم جَسَدَاء ثم الْمَيْثاء ومن بِيْشَة إلى تَبَالَة. انتهى.

وقال قُدَامة بن جعفر في كتاب «الخراج وصناعة الكتابة»:(٢٩) ومن بِيْشَة إلى جَسَدَاء ـ منزل أعراب من قَيْسٍ، ومن جَسَدَاء إلى بنات حرم(؟) قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع والماء من عين وبئر عذبة، ومن بنات حرم إلى يَبَمْبَم منزل في صحراء فيه بئر واحدة عذبة، وليس به أهل، وحوله أعراب من خَثْعم، وبينها وبين جُرَش أربعة عشر ميلاً، ومنه إلى كُتْبَة(؟) قرية عظيمة، ومنازل وقصور وآبار في صحراء، بينها وبين جُرَش ثمانية أميال. انتهى.

أما أدَقُّ هاؤلاء العلماءِ وصفاً للطريق، وتحدِيداً للموضع، فهو أبو محمد الحسن ابن أحمد بن يعقوب الهمداني، قال في وصف محجة صنعاء إلى مكة بعد أن ذكر ماقبل سَرُوم الفيضِ فكتنة:(٣٠) ومنها إلى سَرُوْمِ الْفَيْضِ أربعة عشر ميلاً وعرضها ستة عشر جزءاً ونصف وخمس جزء، ومنها إلى الثُّجَّةِ ستة عشر ميلاً، وعرضها ستة عشر جزءاً وثُلثَا جزء وربع جزء، ومنها إلى كُتْنَةَ عشرون ميلاً، وهي على تمام خمسة عشر بريداً من صنعاء وثمانين ومئة ميل، وكُتْنَةُ أَوَّلُ حَدِّ الحجاز، وعرضها سبعة عشر جزءاً وسدس ونصف عشر، وعرضها وعرض جُرَشٍ واحدٌ، لأنها منها على خط الطول من المشرق إلى المغرب على مسافة أقل من يوم، ومن الْمُجَيْرَةِ وتَثْلِيْثَ عن يوم في مشرقها، ثم منها إلى يَبَمْبَم عشرون ميلاً، وذالك مئتا ميل من صنعاء، وعرضها سبعَة عَشَرَ جزءاً ونصف، وسدس عُشْرِ جزء، ومنها إلى بنات حَرْب عشرون ميلاً،وعرضها سبع عَشْرَةَ درجة وأربعة أخماس درجة، ومنها إلى الْجَسَدَاء اثنان وعشرون ميلاً، وعرضها ثماني عشرة درجة وعُشْرٌ ونصفُ عُشْرٍ، ومنها إلى بِيْشَةِ بُعْطَان أحدٌ وعشرون ميلاً وعرضها ثماني عشرة درجة وثلث وثمن، ومنها إلى تَبَالَة أحد عشر ميلاً. انتهى، فهو كما ترى لم يكتف بتحديد المسافة بالأميال بل ذكر درجاتِ عرض كل منزلة من المنازل المذكورة، ومن المعلوم أن درجات العرض عند المتقدمين قد تختلف عنها عند المتأخرين فهي وان كانت تبتدئ من خط الاستواء عند الفريقين إلاَّ أن هناك اختلاف يسير يتضح بمقارنة عروض المنازل:

١ ـ فدرجة العرض في سروم الفيض عند الهمداني تقل عن سبع عشرة درجة

بينما هي عند المتأخرين تقع على درجة العرض (١٨ درجة) وعلى درجة الطول: ٢٥ ـ/٤٣°.

٢ ـ ومنزل الثُّجَّةِ الواقع بين سَروم الفيض وكُتْنَة ليس معروفاً الآن ولاتفوت الإشارة إلى أن من المواضع الواقعة على الطريق في هذا الاتجاه بقرب منتصف الطريق بين الفيض وكتنة موضع يسمى (الثُّجْر) في إمارة (الأمواه) إحدى إمارات بلاد عسير، ولا أستبعد أن يكون هو (الثُّجَّة) فحرف الاسم، وهو اسم قرية مأهولة تقع على خط الطول. ٣٠ ـ/٤٣° وعلى خط العرض ٣٥ ـ/١٨° في وادٍ بهذا الاسم أيضاً، تقع آثار الجُعَيْفِرة المكان الذي يُظَنُّ أنه هو الْمُجَيْرة شرق الثُّجْر هذا، بميل نحو الجنوب بقرب خط الطول ٤٣ ـ/٣٠° وخط العرض ٤٥ ـ/١٨° بحيث تقرب من مُحاذاة منزلة كُتْنَة التي ذكر الهمداني أنها في مشرقها.

٣ ـ أما كُتْنَة المنزل الواقع على هذا الطريق فعرضها يزيد على سبع عشرة درجة عند الهمداني وعند المتأخرين تزيد على تسع عشرة درجة، ودرجة الطول ٢٠ ـ/٤٣° ويلاحظ أنَّ اسم كُتْنَة يطلق على أربعة مواضع واقعة فيما بين سَروم الفَيْض ورَنْية، ولكن المنزلة التي حددها الهمداني هي التي سبق تحديد درجاتها ولاتزال معروفة قرية في وادٍ بهذا الاسم.

٤ ـ يبمبم: حدَّدَ الهمدانيُّ درجاتِ عرضها بأقَلَّ يسيراً من ثماني عشرة درجة، وهي تقع على درجة العرض ٣٠ ـ/١٩°، وعلى درجة الطول ٠٠/٤٤°

٥ ـ بنات حرب: على درجة تبلغ ثماني عشرة إلَّا يسيراً عند الهمداني، والموضع ليس معروفاً ولكن هناك جبال تقع في تلك الجهة يطلق عليها الاسم، على ماحدثني بهذا أديب بلاد عسير الشيخ عبدالله بن علي بن حُمَيِّدٍ ـ رحمه الله ـ.

ومع أن الموضع ذو شهرة عند المتقدمين حيث وصفه قدامة بن جعفر بأنه قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع والماء من عين وبئر عذبة، وقريب من هذا الوصف ورد في كتاب «نزهة المشتاق»[٣٢] إلَّا أن الاسم في الكتابين وَرَدَ مُحَرَّفاً، ففي الأول (بنات حرم) وفي الثاني (بيات) كتحريف غيره من الأسماء الكثيرة

الواقعة في المسالك في هذين الكتابين.

٦ ـ الجَسَدَاءُ: درجات عرضها تزيد على ثماني عشرة ولكن الموضع لايزال مجهولاً، وإنْ عرفت المنطقة التي يقع فيها، فقد ذكر الهمداني[٣٣] أنه من (يَعْرَا) ويَعْرَا: وادٍ لايزال معروفاً بل هو من أشهر الأودية في منطقة بلاد عسير، ينحدر من السراة ويصب في وادي تَثْلِيْث مع وادي طَرِيْب، وسكانه ناهس من شَهْرَان القبيلة الخَثْعَمِيَّة المعروفة.

٧ ـ بِيْشَة بُعْطاَن: ودرجة العرض عند الهمداني تقارب ثماني عشرة ونصفاً وهي كما في المصورات الجغرافية الحديثة يقارب عرضها عشرين درجة وخط الطول: ٤٠ـ/٤٢°، ويلاحظ أن وادي بِيْشَة يُعَدُّ من أطول أودية بلاد العرب، ولعل المقصود هنا هو أقرب ثني منه من الطريق حيث أضَافه إلى بُعْطان، وبُعْطَان هذا رافد صغير من روافد وادي بِيْشَة يقع بقرب خط العرض المذكور.

اتجاه الطريق: ـ

ومما ينبغي أن يلاحظ أنَّ الهمداني ذكر أن الاتجاه في هذا الطريق يستمر إلى جهة الشمال الغربي حتى يبلغ رأس المناقب، ويقصد مايعرف الآن باسم (الريعان) جمع رِيْعٍ قبل قرن المنازل، قال عند ذكر هذا الموضع:وهو منتهى الطريق إلى وجه الشمال، ثم رجعت نحو المغرب والجنوب، وعلى أساس قوله هذا كان تقديره لدرجات العرض، فوقع في شيء من عدم الدقَّة، لأنه لم يلاحظ أنه بَعْدَ أن يتجه الطريق من منزلة الفَيْض يأتي إلى أرضٍ منحدرة هي فروع الأودية التي تنحدر من السراة، فيسلك الطريق ماتساهل منها، وقد يأخذ إلى الجنوب الغربي تبعا لاختيار الطريق السهل.

وينبغي أن تكون منزلة يَبَنْبَم، مماثلة في درجة العرض لمنزلة كُتْنَةَ، أي تزيد على الـ (٤٣°). وبعد منزلة يَبَنْبَمٍ يبدأ انحراف الطريق من الشمال إلى الشمال الغربي، حيث يَتَنَكَّبُ الطريق منحدراتِ فروع وادي تَثْلِيْثَ ومجرى الوادي المنخفض الذي اتسع عندما بلغ منطقة يَعْرَا، فَسَهُلَ اجتيازه إلى منزلة الجَسَدَاءِ الواقعة في هذه المنطقة بقرب درجة الطول: ٤٣° ودرجة العرض: ٤٥ـ/١٨°.

ومما تجدر ملاحظته هنا أنَّ وادي بيشة من أطول الأودية التي تخترق تلك المنطقة، ففروعه تنحدر من قرب خط العرض: ٣٠ َ/١٧° ومفيضه يتجاوز خط العرض: ٠٠/٢١، ولكل ثنِي من أثنائه اسم خاص به، ففي أعلاه يسمى بيشةَ ابن سالم، وفي أثنائه يعرف ببيشة ابن مُشَيْطٍ، وفي حوضه يعرف ببيشة بُعْطَان، وفي أسفله بقرب فروعه يعرف ببيشة النخل.

أما منزلة الطريق في هذا الوادي فهي بيشة بُعْطَان اسْم رافد صغير من روافد الوادي ينحدر في وادي هِرْجَابَ الوادي المشهور الذي يجتمع مع وادي بيشة بعد اجتماعه برافد بعطان، ويوضح هذا ان الرداعي وهو يصف الطريق يقول في أرجوزته المشهورة ما مُلَخَّصُهُ:(٣٤)

لِــلْجَسَــدَاءِ شُــخَّصــاً لِــلْمَاءِ ثُــمَّ الْـغَـضَــارِ فَــإِلى الْمَـيْـثَـاءِ
حَــتَّى إِذَا أَوْرَدْتُهَــا رَنُــوْمَــا وَادِيَهَــا والْمَــنْهَــلَ الْمَـعْــلُوْمَـا
ثُمَّ بِبُعْــطَانَ بِـوَاجِي الْــوَسْـجِ تَــؤُمُّ مِنْ بِـيْـشَــةَ وَادِيْ تَــرْجِ

والهمداني حيمنا ذكر المنزل سماه (بيشة بُعْطان)(٣٥)، والمَيثاء ورنوم شعبان لايزالا معروفين، وكذالك بعطان، والموقع هو بقرب درجة الطول: ٣٠ َ/٤٢° ودرجة العرض: ٣٥ َ/١٩°، ثم اتجه الطريق نحو مَصَبِّ تَرْجِ في وادي بِيْشَةَ فكأنه انحرف ذات اليسار عن منخفض الوادي، الذي تكثر فيه المنحدرات والقرى، ووادي تَرْجٍ يجتمع في وادي بيشة عند قرية الْحَيْفَةِ بقرب خط الطول: ٣٠ َ/٤٢° وخط العرض: ٥٠ َ/١٩° وهي في منطقة إمارة الحازمي، تقع شرق بلدة الحازمي قاعدة الإمارة، بِقُرْبِهَا.

ثم كان الاتجاه من هذه المنزلة إلى منزلة تَبَالة حيث خط الطول: ٢٠ َ/٤٢° وخط العرض: ٢٠°، ومن تبالة هذه انحرف نحو اليمين، فاجتاز وادي رَنْيَة ثم جزع الْحَرَّةَ، ونزل إلى وادي كَرَاء، فوادي تُرَبَة، واتجه شمالا قصدا حتى المناقب.

مما تقدم يتضح اتجاه الطريق، والغاية من ذالك الإشارة إلى عدم دقة كلام الهمداني من وصفه بأنه يتجه إلى الشمال حتى رأس المناقب في جميع منازله، كما يفهم من قوله المتقدم ومن قوله أيضا: إن الإتجاهَ من كُتَنَةَ إلى بِيْشَةَ إلى مغيب

الأوسط من بنات نَعْشٍ الذي بجنب السُّهَا، وإلى المناقب على سمت مغيب الأخِرِ منها الذي يطلع آخِرها ويغيب آخِرها.(٣٦)

وهذا الانحراف الواقع في الطريق ناشيءٌ عن اختيار ماسَهُل من الأرض لسير الإبل والدواب، وهذا يتطلب البعد عن منحدرات جبال السراة ما أمكن، ثم تحاشي السير في الأوديةِ المنحدرة منها التي كثيرا ماتجرف بسيولها مايقع فيها.

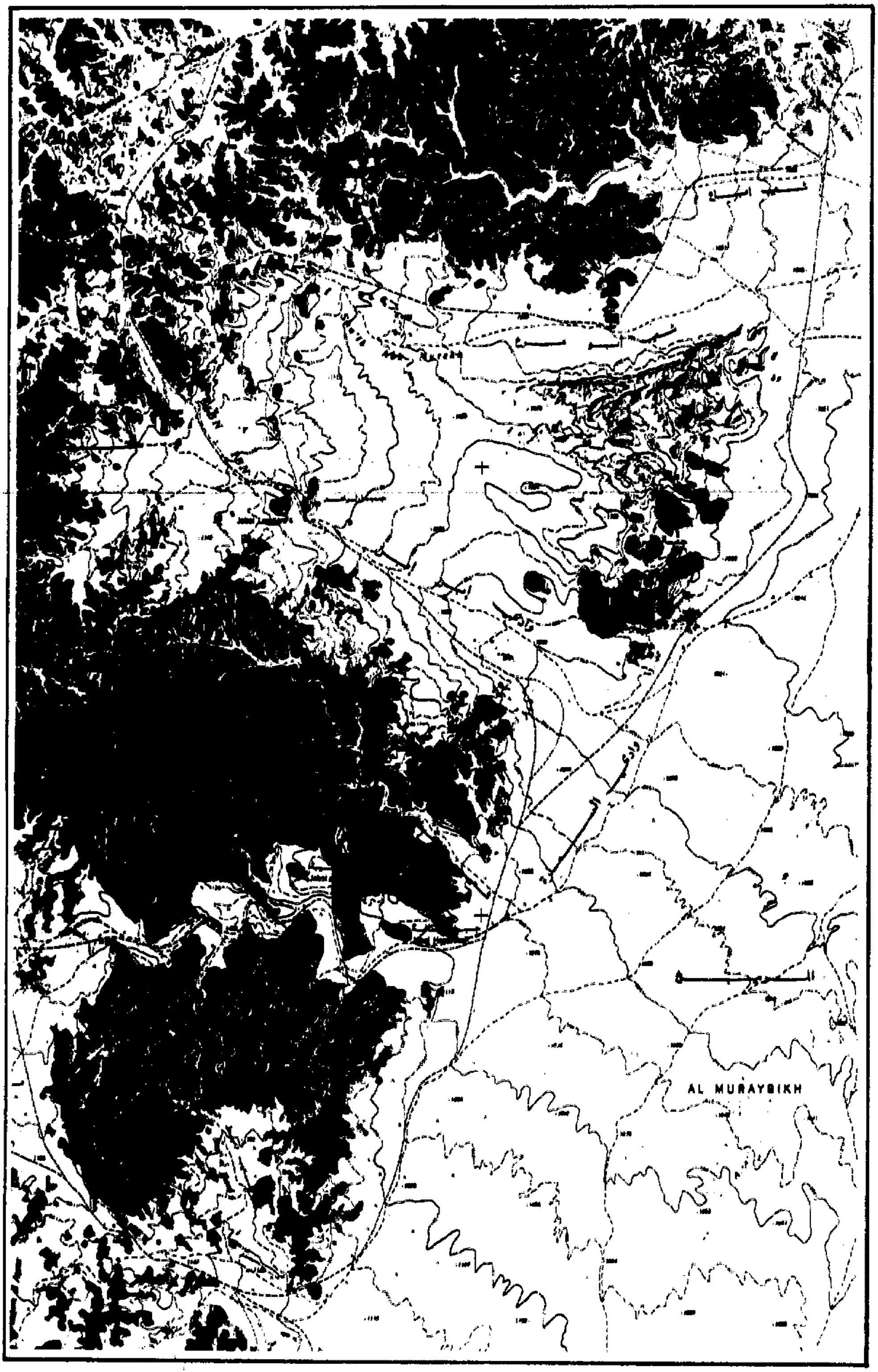
فقد جزَعَ الطريقُ فروعَ وادي تَثْلِيْث ونَكَّبَ مَجْرَى الوادي وروافده الكبيرة يسارَهُ، واتجه مع الأرض السهلة من منزل سَرُوْمِ الفَيْضِ، واتخذ اتجاهه الذي يُجَنِّبُهُ اعتراضَ الأودية حتى تساهلت له الأرض الفسيحة، بعد اجتياز المرتفعات، وانبساط وادي تَثْلِيْث حيث جَزَعه إلى سهل حوض وادي بِيْشَةَ.

اين يقع بيمبم من هذا الطريق: ـــ

تحديد المتقدمين يوضِّحُ أنَّه في المنتصف فيما بين بِيْشَةَ وسَرُوْمِ الفَيْض، الموضعين اللذين لايزالان معروفين، فهو المنزل الثالثُ من بِيْشَةَ لقاصد سَرُوْم، وهو المنزل الرابع من سَروم لقاصد بِيْشَةَ، والمسافة بينه وبين بِيْشَة ثلاثة وستون ميلًا، والمسافة بينه وبين سروم الفَيْض ستة وخمسون ميلًا، والمنزلة التي تليه فيما بينه وبين سروم الفَيْضِ هي كُتْنَة، الواقعة على خط الطول ٢٠ ⁻/٤٣° وخط العرض ١٠ ⁻/١٩°، أما المنزلة التي بعده وهي بَنَات حَرب فيما بينه وبين بِيْشَة فغير معروفة، وكذا الْجَسَدَاء إلاَّ أنَّ الأخيرة هذه وإنْ كانت مجهولة فقد أشار الهمداني إلى وقوعها في منطقة وادي يَعْرَا، ووادي يَعْرَا لايزال معروفاً وهو واقع على خط الطول ٠٠/٤٣°– و ٤٥⁻/١٨°.

وإذَنْ فكأن الطريق انحرف يسيراً من اتجاهه من كُتْنَة إلى يَعْرَا، إذْ كُتْنَة على خط عرض ٢٠⁻/٤٣° فينبغي إذَنْ أن تكون المنزلة الواقعة بعد كُتْنَة حين يُلاَحظ أنَّ الأرض مستوية وانه ليس هناك مايدعو إلى الانحراف فتكون المنزلة على خط طول لايزيد على ٢٠⁻/٤٣° ولاينقص عن ٤٣° درجة، وخط العرض ينبغي أن يكون بين ١٠⁻/١٩° وهو عرض كُتْنَة و ٤٥⁻/١٨° وهو عرض يَعْرَا.

أما المسافة بين كُتْنَة ويَعْرَا فهي على تقدير الهمداني اثنان وستون ميلًا منها



موقع (ينبم) كما جاء في مصور وزارة البترول والثروة المعدنية

عشرون قبل منزل يَبَمْبَم، واثنان وأربعون بعدها.

وعلى هذا تكون المسافة بين كُتْنَةَ ويَبَمْبَم على وجه التقريب تزيد يسيراً على خمسين كيلاً، إذْ الميل حسبما اتضح لي من الأميال التي لاتزال باقية في طريق زُبَيْدَة في طريق الحج البصري المارِّ بنجدٍ، يتراوح بين ألفين ومئتين، وألفين وأربع مئة متر.

أما درجة العرض فينبغي أن تكون منزلة يَبَمْبَم بقرب خط العرض ١٩ درجة بدون زيادة وخط الطول ١٥ ⁻/٤٣°.

وَإذًا صح هذا التقدير فإن الموقع المعروف الآن باسم (ابن ابن) تنطبق عليه أكثر تلك الأوصاف.

يبدو ان اسم (يبنبم) يطلق على الوادي الذي يعرف الآن باسم (وادي ابن ابن) وهذا الوادي قد رُسم له مُصَوَّرٌ جغرافي خاص باسمه، وفروعه تقع بقرب خط الطول: ٥ ⁻/٤٤° وهي تنحدر من جبال القهر[٣٧]، ويجتمع بوادٍ يدعى وادي السَّمارة، تاركا جبال عَرْوَا جنوبه، وجبال عروا هذه هي عَرْوَا القَهْر، التي ذكر الهجري[٣٨]، وفي جنوب الوادي سهل واسع يطلق عليه اسم سهل المنقع، وسهل منقع الحمام، وهناك قرية بهذا الاسم (منقع الحمام)[٣٩] في منطقة العين تقع بقرب خط الطول: ١٥ ⁻/٤٤° وخط العرض: ٠٠/١٩°، وهذا السهل المنبسط من الأرض تَلُبُّ به جبال القَهْرِ من شماله، كما تَلْهَزُه من الجنوب جبال عروا، وفي شماله واد يعرف بوادي الْمَغْرَة، فيه بئر بهذا الاسم، وواد آخر يدعى وادي جَبْجَبٍ، يتجه الواديان صوب الشمال، وفي جنوب ذالك السهل تقع جبال تعرف باسم جبال القباقب، وجبل الْخشيبة، تنحدر منها شُعَبُ أودية تفيض في وادي السمارة منها شعب خمط وشعب الخشيبة وشعب مُكَسِّرٍ من جبل بهذا الاسم، وشعب ضبير، وأشهر الأودية الواقعة في جنوبه وادي السمارة الذي يدع سهل الْمُرَيْبخِ جنوبه، وأكثر الشعاب تنحدر في وادي السمارة ومنها وادي (ابن ابن).

ومنطقة وادي ابن ابن كما رسمت في المصور الجغرافي (الخريطة) تقع بين خطي

الطول: ٤٤/٠٠° و ٤٤/١٥-° وبين خطي العرض: ١٩/٣٠-° و ١٩/٥٥-° والمسافة إلى هذا المكان من كتنة تقارب ماحدد الهمداني عشرين ميلا أي نحو خمسين كيلا. يتضح هذا من أن الهمداني حدد المسافة بين سروم وبين كتنة بستة وثلاثين ميلا وهي بسير السيارات الآن تقارب ستين كيلا.

وقد يلاحظ هنا أنَّ هذا الموقع بالنسبة إلى منزل كتنة منحرف شمالا، ولكن الانحراف بين منازل الطريق قد تسببه وعورته وهذا مما يكثر في منازل طرق الحج مما لايتسع المجال لتفصيله.

وبالإجمال فلا شك أنَّ الاسم الذي يطلق على هذا الموضع طوال السنين له صلة بالاسم القديم (أَبْنَبَم) بصرف النظر عن الموقع الذي كانت منزلة الطريق تقع فيه منه، فقد يكون الاسم تقلَّص فصار لايشمل إلَّا هذا الجزء الواقع في منطقة جبال الْقَهْرِ، بينما كان يشمل ماهو أوسع منها بحيث كان الطريق يمر بجانب منه.

وقد يتصدَّى أحد الدارسين لتناول الموضوع بدراسة أدَق وأوفى وأشمل مما تقدم.

حمد الجاسر

الحواشي:

(١) ص٢٦. (٢) «العرب» - س١٨ ص١٠٢٦ -.
(٣) كتاب فلبي «المرتفعات العربية» ص٤١ - ٧٤ (ARABIAN HIGHLANDS).
(٤) انظر هذا الاسم في «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم شمال المملكة.
(٥) «صفة جزيرة العرب» ٣٢٥ نشر دار اليمامة، وديوان الشاعر ٧٢ مع تصحيف (بجفر) إلى (بجفن).
(٦) ديوانه: ٢٦. (٧) «بلاد العرب» - ١٤٩ -.
(٨) ٣٥٥/٤ - ط دار الكتب المصرية.
(٩) «التعليقات والنوادر» للهجرى: ١٩ المخطوطة المصرية.
(١٠) (عانه): انظره.
(١١) (تراها ديرة القوم): هي ديرة الأعداء. (لزما تاصلينه): أي تصلي اليه يخاطب ناقته.
(١٢) ١٢٤/٣ ط نهضة مصر. (١٣) ١٩٣. (١٤) ١٩٨/٣.
(١٥) أرى أن كلمة (الفنيق) تصحيف (الفسيل).
(١٦) ٥٩١/١٥. (١٧) «جمهرة اللغة»: ١٧٧. (١٨) رسم (يبم). (١٩) رسم (يبم).
(٢٠) الرزن: هو المكان المرتفع يكون فيه الماء. (٢١) ص١٨٢.
(٢٢) ظبي وعرعر في قول امرئ القيس واقعان في شمال الجزيرة ولا يزالان معروفين من أشهر الأودية تحدثت ←

أسر الفقهاء ببلاد بني شهر وبني عمرو
خلال القرون المتأخرة الماضية

إن الباحثين المحدثين في هذا العصر قد أحجموا عن الدراسات الميدانية المهمة ، واكتفوا في معظم الأحيان ـ بالدراسات المكرورة التي تعتمد على المصادر المعروفة ، ولهذا فلم تَلْقَ بعض الجوانب الحضارية في الجزيرة العربية من أولئك الباحثين شيئاً من الرعاية والاهتمام ، والحق أن بلاد عسير من المناطق المنسية التي أهملها الدارسون ، وابتعدوا عن دراستها ، ناهيك عن بعض الأجزاء الداخلية بمنطقة عسير ، فلم يكشف عنها الغِطاء من قبل الباحثين ، وفي جميع المجالات ، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو فكرية أو حتى أثرية ، ولست في هذا المقام بمنصرف إلى دراسة أوضاع الحياة المختلفة في البلاد العسيرية ، لأن دراستها تحتاج إلى عدد من المجلدات ، لكي يغطِّى تاريخُ المنطقة ، سواء كان في العصور القديمة أو الوسيطة أو المعاصرة[1] ، ولكن سوف أركز الحديث على تاريخ أسر الفقهاء[2] في بلاد بني شِهْرٍ وبني عَمْرٍو ، والتي هي جزء من بلاد عسير[3] ، لنرى دور هذه الأسر في الجوانب العلمية والفكرية ، وكذلك تَنقلهم في المنطقة المعنية بالدراسة من حيث حل المشاكل ، والسعي بالإصلاح في الخصومات بين الناس خلال القرون المتأخرة الماضية .

←

→ عنها في «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ـ قسم شمال المملكة ـ ولعل هذا من هفوات الهمداني ـ رحمه الله ـ .

(٢٣) ٢٥٣ . (٢٤) ٤٥٤ . (٢٥) ٣٥٩ . (٢٦) ٤٢١ .

(٢٧) ١١٨ . (٢٨) ٦٤٤ . (٢٩) ١٥ .

(٣٠) «صفة جزيرة العرب» ٣٣٩ ط دار اليمامة .

(٣١) المصدر السابق . (٣٢) ١٤٥ طبع روما .

(٣٣) «صفة جزيرة العرب : ٤٢٩ . (٣٤) المصدر السابق : ٤٢٨ باختصار .

(٣٥) المصدر السابق : ٣٤٠ . (٣٦) المصدر السابق : ٣٣٨ .

(٣٧) «العرب» س١٩ ص٨٤٨/٣٠٠ .

(٣٨) «ابو علي الهجري» ٣٤٠ .

(٣٩) «اطلس منطقة عسير الادارية» ص٥٤ ، ومجلة «العرب» ٣٠٠/١٩ .

← أسَرُ الفقهاءِ على حدِّ قول أفراد هذه الأسر المعاصرينَ كانت قد قدمت من مكة ، في فترة زمنية لا تعرف ، إلى بلاد عَبْسٍ أحد الاجزاء التهامية من ديار قبائل بني شِهْرٍ ، وسُمُّوْا بالفقهاء ربما لأنهم كانوا من ذوي القدرات في القراءة والكتابة . ومعرفة بعض علوم الشريعة ، كالقرآن ، والفقه ، والحديث وغيرها من العلوم الشرعية ، ومن المؤسف حقا أنه لا يوجد لدينا دليل قاطع على معرفة موطن الجد الأول لهذه الأسَرِ ، وهل هم فعلا قدموا من مكة كما يدعونْ أم هم قدموا من مكان آخر لا تُعْرَفُ حقيقته الى الآن .

تلك الأسر التي استوطنت بلاد عبس لا يعرف على وجه الدقة عددها ، علما بأن هناك روايات من أحفاد تلك الأسر تقول : أنهم كانوا على هيئة قرية كاملة ببلاد عَبْسٍ ، وقد تزيد فيها الأُسَرُ على العشر ، ولكن مثل هذه الروايات لا يُدْرىَ عن نسبة الصواب فيها .

ومما ورد للباحث من روايات خلال دراسته الميدانية والتقائه بأحد أحفاد تلك الأسر في منطقة النِّمَاصِ وما حولها من بلاد بني شِهْرٍ وبني عمرو ، ذكر له أن أجداد أسَرِ الفقهاء أقاموا ببلاد عَبْسٍ حتى ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد ، ثم امتدادها إلى منطقة عسير في العقدين الأوليين من القرن الثالث عشر ، وعندئذ كانت الفرصة سانحةً لأفراد أُسَرِ الفقهاء ليبرزوا في مجال العلم والتعليم ، ولمعرفتهم ببعض العلوم الشرعية ، ساعد ذلك الى أن يقوم حاكم بني شِهْرٍ وبني عمرو من قبل ابن سعود في الدرعية ، الأمير محمد بن دهمان(٤) ، بتوزيعهم في أجزاء عديدة من البلاد الشِّهْرية والْعَمْريَّةِ لكي يعلموا الناس أمور دينهم ، ويقيموا فيهم الْجُمَعَ والجماعات ، ويفصلوا بين الناس في خصوماتهم ومشكلاتهم .

ومن تلك الأسر التي نقلها ابن دهمان من بلاد عَبْسٍ ، أسرة آل طٰه ، حيث أنزلها قرية البردة من بلاد العوامر ، ببلاد بني شِهْرٍ ، وأسرة آل شيبان ومقرها بقرية الحتار من قبيلة كعب العَمْرِية ، وأسرة آل حِسْنٍ ، ومقرها بقرية خميس العرق ببلاد قبائل بني التيم الشِّهرية ، وأسرة آل زين الدين بقرية بني لام من

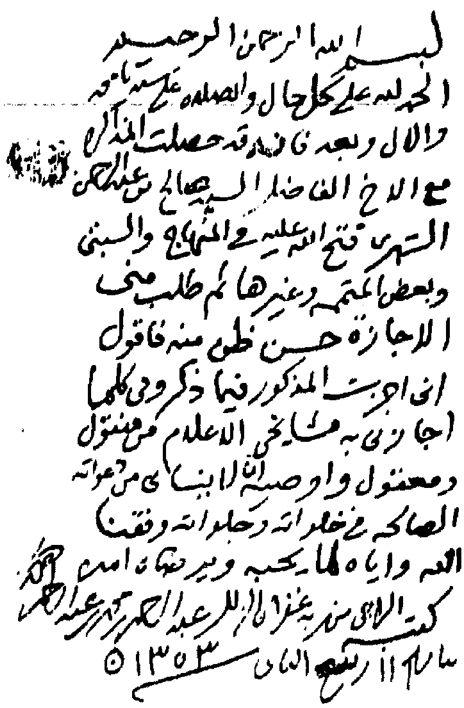
منطقة تَنُومَةَ ببلاد بني شِهْر ، وكل هذه الأسر السابقة الذكر كان قد تم توزيعها على الأجزاء السَّرَوِيَّةِ من منطقتي بني شِهْرٍ وبني عمرو ، في حين أن هناك أسر أخرى وزعت على أجزاء مختلفة من المناطق التهامية ، فأسرة علي بن محمد بن عيشة وضعت في تهامة ختبة (؟) بالأجزاء التهامية من بلاد بني التِّيْم الشَّهْرِية ، وأسرتا عبد الله بن ياسين وعبد العزيز بن عيد الله بن عبد الرحمن بأرض ريمان من تهامة ، وأسرتا آل محمد بن صالح ومحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بوادي الغيل بديار عشيرة آل الدهيس الْعَمْرِيَّة(٥)

وحسب ما تم جمعه عن تاريخ تلك الأسر المتفرقة في ديار بني شِهْرٍ وبني عَمْرٍو لا يعكس إلا بعض النشاطات الفكرية والعلمية والاجتماعية والإدارية لبعض تلك الأسر ، واحيانا لبعض الأفراد من بعض الأسر المعنية .

ففيما يتعلق بالكتاتيب التي كانت موجودة بالمنطقة خلال القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر ، نلاحظ أن وجود العديد منها كان خاصا ببعض الأُسَرِ السابقة الذكر ، فعبد الهادي بن عبد الله بن طه في قرية البردة كان صاحب كُتَّاب في تلك المنطقة ، وعلي بن صالح بن جِسْن بقرية خميس العرق ، وكُتَّاب للفقيه عبد الرحمن بن أحمد ببلاد عبس ، وكُتَّابَا عبد الله بن ياسين وعبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن ببلاد ريمان في تهامة ، وكُتَّابَا أسرتي آل محمد بن صالح ومحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بوادي الغيل في تهامة بني عمرو(٦) ، وجميع تلك الكتاتيب كانت تقوم بتعليم أولاد أهالي البلاد القراءة والكتابة ، وحفظ بعض السور من القرآن ، وبعض الأحاديث النبوية وغيرها من العلوم الدينية .

ولم يكن أفراد اسر الفقهاء يقتصرون في تعليمهم وتعليم أولادهم على الكتاتيب التي كانت موجودة في المنطقة ، وإنما هاجر البعض منهم إلى مدن الحجاز واليمن ، ورجال ألمع في عسير لكي يتعلموا على أيدي مشايخ أكثر عِلْماً ، فكان ضمن من هاجر من أفراد تلك الأسر ، محمد بن عبد الهادي آل طه من قرية البردة ، ومحمد بن علي الجرودي ، وابراهيم الزمزمي ، ومحمد بن عبد الله بن سراج من أسرة آل محمد بن صالح القاطنة بوادي الغيل ، وصالح بن جِسْن من

قرية خميس العرق ، وجميع أولئك الطلاب وغيرهم من طلبة العلم كانوا يهاجرون لتعلم بعض العلوم الشرعية واللغوية على يدي بعض المشايخ في المراكز الحضارية بشبه الجزيرة العربية ، وعندما ينهي الواحد منهم الدراسة على يد شيخه يُمنح إجازة تبين الكتب التي درسها ، وأحيانا توضح مقدرته على التعلم والوعظ والإرشاد والفتيا وغيرها من الجوانب الشرعية ، ونجد نموذجا من تلك الإجازات مرفقا بهذا المقال كان قد منحه الشيخ عبد الرحمن بن محمد الأهدل باليمن طَالِبَهُ صالح بن عبد الرحمن الشهري - الملقب بابن جِسْن - عام ١٣٥٣ هـ(٧) .


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله على كل حال والصلاة على سيدنا محمد
وآله وبعد فانه قد حصلت المذاكرة
مع الاخ الفاضل السيد صالح بن عبد الرحمن
الشهري فتح الله عليه في المنهاج والسنن
وبعض المتممة وغيرها ثم طلب مني
الاجازة حسن ظن منه فاقول
اني اجزت المذكور فيما ذكر وفي كل ما
اجازني به مشايخي الاعلام من منقول
ومعقول واوصيه ان لا ينساني من دعواته
الصالحة في خلواته وجلواته وفقنا
الله واياه لما يحبه ويرضاه آمين
كتبه الراجي من ربه غفرانه الفقير عبد الرحمن بن محمد الاهدل
... ربيع الثاني ١٣٥٣

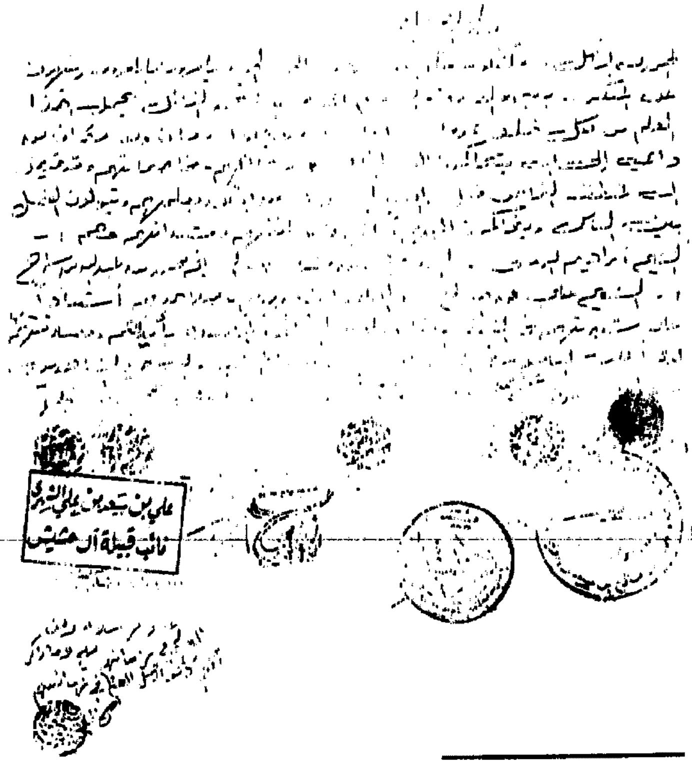
* إجازة علمية من الشيخ عبد الرحمن بن محمد الاهدل إلى تلميذه السيد صالح بن عبد الرحمن الشهري - الملقب بابن جِسْنْ ، عام ١٣٥٣ هـ .

ومن أشهر أسر الفقهاء أسرة آل محمد بن صالح المستوطنة بوادي الغيل بتهامة بني عمرو ، بل إن من أشهر أفراد تلك الأسرة الشيخ محمد بن صالح الذي كان يعمل بالتدريس والوعظ والإرشاد والإفتاء خلال عهد الامير عائض بن مرعي (١٢٤٩ هـ/١٨٣٣ م - ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٦ م) ثم عمل قاضيا في النِّمَاص لقبائل بني شهر وبني عمرو ، أثناء إمارة الامير محمد بن عائض بن مرعي على بلاد عسير

(١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦ م - ١٢٨٩ هـ/ ١٨٧٢ م) فكان مثلا في الحكمة ورزانة العقل ، وحل مشكلات الناس ، برأي وبصيرة وسعة أفق ، ومعرفة بالعلوم الشرعية[٨] ، ثم جاء من بعده العديد من اولاده كعبد الهادي بن محمد بن صالح ، وعبد الله بن سراج بن محمد بن صالح ، الذي كان يلقب بالدنقيري ، وقد عرف عنه سعة علمه في بعض الجوانب الشرعية كالفقه وما شابه ذلك ، بل كان له أسلوب معين في إصدار الفتوى والإصلاح بين الناس ، فيكتب كل ما يفتي به أو يقرره لإقامة الصلح بين متخاصمين ، ثم يختم ما كتب بختمه ويكتب الى جانب الختم « خادم الشريعة والمنهاج عبد الله سراج »[٩] . كما يوجد لدى الباحث وثيقة تبين أسماء عدد من فقهاء وعلماء منطقة بن شِهْرٍ وبني عمرو خلال العقود الأولى من القرن الرابع عشر ، وجُلّ أولئك الفقهاء كانوا من سلالة أسرة آل محمد بن صالح ، ونص الوثيقة كالاتي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله القائل ﴿ وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُوْنَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنكر . . . . . ﴾ الآية . . . والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل : « يحمل هذا العلم من كل خلفه عَدُوْلُهُ » ، أما بعد فلا يخلو زمان ولا مكان من داعية إلى الله يتحاكمون إليه الناس في مشاكلهم ومخاصماتهم ، وقد قيض الله لمنطقة النماص قبل العهد السعودي من يوثق بعلمه ، ويتولون الفصل بين الناس ، ويتحاكمون إليهم ، ويكتبون وثائقهم ومستنداتهم وهم (١) - الشيخ ابراهيم الزمزمي . (٢) - الشيخ محمد بن مشرف[١٠] . (٣) - الشيخ محمد بن عبد الله بن سراج . (٤) - الشيخ علي بن صالح[١١] . . . . ولعلمنا بفقههم وصلاحهم استنادا على شهرتهم في المنطقة وبناء على الوثائق المرصودة بأيديهم ومصادقتهم لدى أغلب الناس في المنطقة جرى تصديق هذا المشهد والله خير الشاهدين[١٢] » . ثم وقع على هذه الوثيقة ما يزيد على ثلاثة عشر شيخا أو نائبا لعدد من العشائر الْعَمْرِية والشُّهْرِيَّة .

وكما مر سابقا لم يكن الشيخ محمد بن صالح هو الوحيد الذي تولى منصب القضاء في المنطقة خلال عصر الأمير محمد بن عائض . وإنما إيضا كان هناك من تولى القضاء من قبل حكام آل سعود في القرن الرابع عشر ، فكان عبد الهادي بن



* وثيقة تبين أشهر فقهاء بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العقود الأولى من القرن الرابع عشر .

عبد الله آل طه أول قاضٍ عين في النماص بعد توحيد المملكة العربية السعودية ، في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، وقد استمر في القضاء حوالي عشر سنوات ، وكان يفرض له مقابل عمله نسبة من زكاة الأغنام والمحاصيل الزراعية[١٣] أيضا تولى القضاء من أسرة آل شيبان ، القاطنة بقرية الحتار ببلاد كعب العَمْرِيَّة الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عبد الله بن شيبان من عام ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٦ إلى نهاية جمادي الآخر عام ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م بعدها أحيل الى التقاعد[١٤] .

ومن أفراد أسر الفقهاء من كان يقتني مكتبات غنية بالوثائق والمخطوطات المتنوعة ، في عدد من المجالات العلمية والفكرية والأدبية ، فأسرة آل محمد بن صالح كانت أعظم تلك الأسر في جمعها واقتنائها لعدد كثير من المخطوطات ، حتى النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري ، وبعد ذلك التاريخ مات الفقهاء والرجال الذين كان لهم اهتمام بالعلم والتعليم ، ثم خلفهم في الأسر

أشخاص لم يكن لهم الاهتمام الذي كان لأسلافهم فتناثرت كتبهم ومخطوطاتهم بين أيدي الناس الذين لم يكن يقدرون أهميتها العلمية ، فضاع بعضها وتلف البعض الآخر حتى أصبحت أثرا بعد عين(١٥) ، ومن الأسر الأخرى التي كانت تمتلك الكتب القيمة والمخطوطات النادرة أيضا أسرة آل زين الدين في قرية بني لام بتنومة ، وأسرة آل طه في قرية البردة ، واسرة آل حِسْن في قرية خميس العرق .

ومن خلال تجوال الباحث في ديار بني شِهْرٍ وبني عَمْرٍو للالتقاء بأولاد وأحفاد تلك الأُسَر التي كان لها دور نشيط في الجانب العلمي ، لم يستطع العثور على أي مخطوط أو كتاب نادر ، لدى كل من أسرتي آل زين الدين وأسرة آل طه ، في حين أنه رأى فقط مخطوطا واحدا لدى السيد علي بن صالح بن عبد الرحمن بن حِسْن بقرية خميس العرق بعنوان « بداية المحتاج في شرح المنهاج » للقاضي بدر الدين محمد شيخ الاسلام تقي الدين أبو بكر ابن أحمد بن محمد بن عمر الملقب بابن قاضي شُهْبَة ، وهذا المخطوط صار في حالة رَثَّةٍ لعدم الاعتناء به ، وحبذا لو أن مالكه في الوقت الحالي يسعى إلى صيانته وترميمه لكي لا يزداد سوءا ، أو أنه يبيعه أو يهديه إلى أحدى مكتبات الجامعات في المملكة العربية السعودية لكي تحافظ عليه وتعتني به .

ومن أفضل المكتبات التي استطاع الباحث مشاهدتها كانت لدى الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عبد الله بن شيبان في مدينة النماص ، التي لم تكن كبيرة الحجم ، لكن بها العديد من الكتب والمخطوطات التي لا بأس بها ، فمنها ما هو في علم الفقه ، والتفسير ، والقراءات ، والحديث ، والسير والمغازي ، والزهد والتصوف وما شابه هذه المجالات(١٦) .

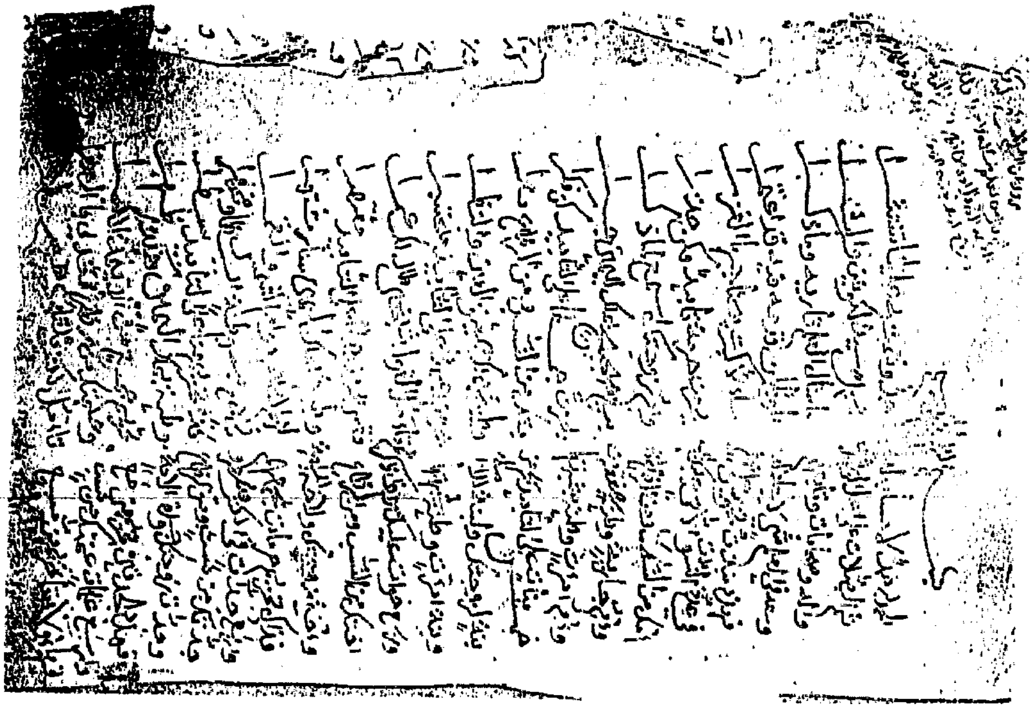
ومن الإنتاج الفكري والعلمي لأفراد أُسَرِ الفقهاء فبدون أدنى شك أنهم كانوا ممن يتولى إقامة حلق الذكر والتدريس ، كما كانوا يقومون بالفصل في الخصومات بين الناس ، أيضا تولى البعض منهم منصب القضاء في بلاد بني شِهْرٍ وبني عَمْرٍو ، بل وكان بين البعض منهم مراسلات مع الجهات الحكومية ، سواء في

مدينة النماص أو مدينة أبها ، التي كانت ولا تزال المركز الإداري الرئيس لمنطقة عسير ، وسنورد نماذج من هذه المراسلات لاَحِقاً ، ولكن جانب التأليف والكتابة لأفراد تلك الأسر فلم أر للآن أي مخطوط من تدوين أحد منهم ، اللهم إلا بعض الوثائق المتنوعة المواضيع ، كخطب ليوم الجمعة والعيدين خلال القرن الرابع عشر ، وبعض المستندات التي تعكس نوعية الفتاوى والإصلاح في الخصومات ، وتقسيم المواريث ، وعقود للأنكحة ، وما شابه هذه المواضيع التي كان يكتبها ويصدرها بعض رجال تلك الأسر ، وخصوصا أسرة آل محمد بن صالح .

كما أن الباحث استطاع الحصول على بعض الوثائق والمستندات الأخرى التي تعكس نوعا من الإنتاج الفكري الذي كان يعمل به بعض أفراد تلك الأسر ، حيث أن لديه وثيقتين على هيئة نظم شعري ، إحدىٰ هاتين الوثيقتين رثاء من الشيخ ابراهيم الزمزمي ، المنتسب الى اسرة آل ابن صالح ، في اخيه زين العابدين بن محمد بن صالح ، وهذه المنظومة ليست من الشعر العربي في شيء ، فلم يكن وزنها منسقا مع الأوزان الشعرية المتعارف عليها ، وليست مستقيمة لا من النواحي الإملائية ولا اللغوية ، وسوف تُدَوَّنْ هذه المنظومة كاملة في كتاب للباحث هو في طريقه للنشر ، ومن مطلع هذه المرثية[١٧] .

سبحان من يبقا وكل فانيا	من الجوامد وكذا الابداني
بوعده الصادق في نص الكتاب	على النبي المصطفا العدناني
صلى عليه الله ما هب الصبا	والآل والاصحاب ذالاحساني
يأهل المصائب فصبرْوا وصابروا	وتنضروا في آية الرجعاني

أما الوثيقة الاخرى فهي أيضا منظومة شعرية ليست ببعيدة عن مستوى المنظومة السابقة في عدم تقيدها بالاوزان والعروض الشعرية ، كما أنها مليئة بالأخطاء النحوية والإملائية ، وناظمها هو عبد الله سراج بن محمد بن صالح ، وهي مسألة فقهية تدور حول ما يحل نكاحه من النساء ـ انظر الصفحة الاولى من هذه المنظومة ـ علما انها تقع كاملة في حوالي ثلاث صفحات إلى جانب تعليقات نثرية أخرى توضح سنوات الوفاة لبعض أفراد أسرة آل محمد بن صالح التي



● الصفحة الأولى من المنظومة الشعرية التي قالها عبد الله سراج في ما يحل نكاحه من النساء .

ينتسب اليها عبد الله سراج[١٨] . ففي احدى التعليقات يقول الكاتب . (كانت وفاة الأخ العلامة السيد محمد بن ابراهيم الزمزمي عند يوم الربوع[١٩] من شهر ذي الحجة سنة ١٣١٩ هـ ، رحمه الله رحمة الابرار ، وادخله جنات تجري من تحتها الانهار ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم) وفي تعليق آخر قال . (كانت وفاة الوالد عبد الهادي بن محمد في ضحا يوم الاثنين من شهر صفر مضى (٢٥) من سنة ١٣١٧ هـ رحمه الله رحمة الابرار) وفي تعليق آخر قال . (الحمد لله الذي اختار لنفسه البقاء ، وقدر على خلقه الفناء ، أما بعد ، فكان وفاة الوالد العلامةابراهيم الزمزمي ابن محمد عشا[٢٠] ليلة الجمعة من ذي القعدة مضى عشرين يوما سنة ١٣٠٧ هـ ، سبع وثلاث مئة بعد الالف ، رحمه الله رحمة الابرار وادخله جنات تجري من تحتها الانهار ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم).

ومن أسلوب الوثيقتين السابقتي الذكر ، ومن أسلوب التعليقات يتضح لنا

انحدار المستوى الفكري والادبي لدى كاتبيها ، مع العلم أنها ممن ينتسب الى أسرة عرفت بالعلم والتفقه في العلوم الشرعية .

ولكون بعض أفراد اسر الفقهاء كانوا من المشتغلين في الجوانب التعليمية ، والوعظ والارشاد ، وممارسة القضاء ، والفتيا وغيرها ، فكانوا أيضا على صلات بالقضاء والأمراء في كل من النماص وابها خلال حكم دولة آل سعود في العصر الحالي ، ولهذا سوف نعرض نماذج لبعض المراسلات التي حدثت بين امراء عسير وقضاة النماص ، في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، وبين الفقيه على بن صالح بن جِشْن بقرية خميس العرق ببلاد بني شِهْر ، لنرى ماذا تعبر عنه تلك الرسائل وكيف كانت الصلات بين بعض موظفي الدولة وبين بعض أفراد اسر الفقهاء ، بالمنطقة المعنية بالدراسة .

ففي رسالة من أمير عسير وملحقاتها ، عبد الله العسكر (١٣٤٣ هـ/ ١٩٢٤ م - ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م) ارسلها للسيد على بن صالح بن جِشْن قال فيها (بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله العسكر الى المكرم الاحشم السيد علي بن صالح سلمه الله تعالى ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، موجب الخط السلام ، والسلام والسؤال عن احوالكم ، والخط المكرم وصل وما ذكرت كان معلوما خصوصا ما عرفت من طرف احوال بعض الناس ، واكثر ظلم الخلق على انفسهم ، قال رب العالمين ، انا وعبادي في نبأ عظيم ، اخلق ويعبد غيري ، وارزقهم ويشكرون غيري ، فاذا كانت هذه احوال العباد مع ربهم ، فلا يلزمنا حنا[٢١] ولا انت إلا الصبر عليهم ، خصوصا ما خفي من افعالهم ، وما بان فالخطر على المخالف ، وانت لا تكن في فكر الّي في الخاطر كافي[٢٢] ، ولا خافين شيء[٢٣] خصوصا قبائلكم تحققنا سيرتهم وافعالهم ، هذا ما لزم تعريفكم وسلم لنا على من عَزَّ عليكم ، كما منا العيال[٢٤] يسلمون وانتم في امان الله وتوفيقه والسلام ، حرر ، ١٩ ربيع الاخر سنة ١٣٤٥هـ[٢٥]) .

فمما يتضح من الرسالة السابقة تبادل المراسلات بين أمير عسير ، ابن عسكر ، والفقيه على بن صالح ، كما أن لدى الباحث وثائق اخرى ، رسائل من علي بن

صالح الى امراء عسير في عهد الملك عبد العزيز ، طيب الله ثراه ، وستجد بعضها ضمن الملاحق بآخر هذا البحث .

أما المراسلات بين بعض أفراد أسر الفقهاء وبين القضاة في مدينة النماص ، فكذلك يوجد هناك العديد من الرسائل المتبادلة بين قضاة النماص وبين علي بن صالح بن جِشْن السابق الذكر وسوف نورد بعضها في متن البحث في حين أننا سوف نورد نماذج أخرى في الملاحق المذيلة بنهاية هذه الدراسة . ففي رسالة من قاضي بن شهر وبني عمرو، الشيخ عثمان بن عبد العزيز بن ركبان إلى السيد علي بن صالح بن جِشْن قال فيها (بسم الله الرحمن الرحيم ، من عثمان بن عبد العزيز ابن ركبان الى حضرة الاخ المكرم والمحب المقدم السيد على بن جِشْن ، حسن الله اعماله وسدده في اقواله وافعاله آمين ، بعد السلام وفائق الاحترام عليكم أيها المحب ورحمة الله وبركاته ، ما تعاقبت غدوات الدهر وروحاته ، على الدوام ادام الله علينا وعليكم سوابغ النعم ، وصرف عنا وعنكم حلول النقم ، وان تفضلتم بالسؤال عن محبكم فهو بحمد الله بخير وعافية ، ونعم من المولى الكريم مترادفة وافية ، ولا نسأل إلا عن صحتكم واستقامة احوالكم اسمعنا الله عنكم ما تطيب به النفوس ، وادخلنا وأنتم جنة الفردوس ، ثم الداعي لرقمه وتحريره ونقشه وتسطيره اني لما تلوت محرركم الشريف وخطابكم المنبئ عن ما استغربته بشأن المكيال الذي لم تجر العادة به ، وصار فيه الجور عن المعيار الشرعي ، فاعلم يا محب ان هذا طريق العدل والانصاف ، اذا كان المكيال واحدا مقررا في الجهة ، واما الجور والظلم الذي ورد فيه الوعيد الشديد والنهي الأكيد بنص القرآن والسنة فهو بخس المكاييل والموازين ، وهو ان يكون للإنسان مكيالان ، يكيل باحدهما إذا باع ، ويكتال بالآخر إذا اشترى ، يأخذ الحق إذا كان له بالزائد ، ويدفعه إذا كان عليه ناقص ، فهذا سبب نزول آية المطففين وغيرها ، واما إذا كان مكيال مقرر في جهة لا يزيد ولا يبخس فهذا عين الانصاف ، الذي لا يسوغ لأحد مخالفته ، واقتضاء نظرة ملكنا ايده الله ، وأما الفطرة[٢٦] وما يتعلق بها من الامور الدينية فتقدرها بالصاع النبوي ، وأما الزكاة وما شبهها فتقع على الخراصة[٢٧] إذا كان الخرص به فيقع الاستيفاء به ، وأما الضرر كما ذكرت

على أهل الإعسار من وجه فالمنافع من وجوه عديدة في أمور الدين والدنيا . . .)

ثم ختم هذه الرسالة ببعض التوجيهات والنصائح فيما يخص مراعاةالله في السر والعلن ، ثم اهدى سلامه إلى المرسل إليه مع تحريرها في شهر رجب عام ١٣٥٨ هـ ، ثم وقع تحت عبارة (محبكم قاضي بني شهر وبني عمرو) .

وخلاصة القول أن أسر الفقهاء قد استوطنت أجزاء متفرقة من بلاد بني شِهْرِ وبني عمرو ، ثم برز من أفرادها من عمل في مجالات التعليم ، والوعظ والارشاد ، وممارسة القضاء ، بل كان في تلك الأسر من هاجر الى مدن اليمن والحجاز للاستزادة في التعليم ، وكان لبعضهم أيضا مراسلات مع مسؤولي الحكومة في كل من عسير وأبها خلال النصف الأخير من القرن الرابع عشر .

جامعة الملك سعود : كلية التربية ـ فرع أبها

الدكتور غيثان بن علي بن جريس

الهوامش والتعليقات :

(١) هناك بعض الأبحاث القليلة التي قدمت عن منطقة عسير ، ومنها . يحيى ابراهيم الالمعي . «رحلات في عسير ، نصوص ، انطباعات ، وصف مشاهدات » (الناشر والتاريخ بدون)؛ عبد المنعم ابراهيم الجميعي . « الادارسة في المخلاف السليماني وعسير ١٣٢٦ ـ ١٣٤٩ هـ / ١٩٠٨ ـ ١٩٣٠ م » (خميس مشيط : دار جرش ، ١٩٨٧ م) : الجميعي ، «عسير خلال قرنين ، ١٢١٥ ـ ١٤٠٨ هـ / ١٨٠٠ ـ ١٩٨٨ م » (أبها : النادي الادبي ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م) ؛ فؤاد حمزة . في بلاد عسير ، ط٢ (الرياض مكتبة النصر الحديثة ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م) ، محمود شاكر . « شبه جزيرة العرب ، عسير » (بيروت : المكتب الاسلامي ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) ؛ علي أحمد عسيري «عسير من ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م ـ ١٢٨٩ هـ/ ١٨٧٢ م » (أبها : النادي الادبي ، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ ، عبد الله بن علي بن مسفر « السراج المنير في سيرة امراء عسير » (بيروت : مؤسسة الرسالة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م) هاشم النعمي « تاريخ عسير في الماضي والحاضر » . . . مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، بدون تاريخ) .

(٢) الفقهاء : جمع فقيه وهو الرجل العالم بعلوم الشريعة ، والفقه في الاصل الفهم يقال أوتي فلانا فقها في الدين أي فهما فيه ، قال الله عز وجل ﴿ ليتفقهوا في الدين ﴾ أي ليكونوا علماء به ، أنظر . « لسان العرب » لابن منظور ، كلمة (فقه) .

(٣) بلاد بني شهر وبني عمرو من القبائل العسيرية المنتسبة الى الحَجْر بن الهنوء الازدي وتقع في الجزء الشمالي من منطقة عسير المعروفة في عصرنا الحالي ، فيحدها من الشمال بلاد بَلْقَرن وشِمْران ، ومن الجنوب ابناء عمومتهم قبائل بَالْلَسْمَر ، ومن الشرق البوادي الممتدة الى بيشة وبلاد شهران ، ومن الغرب السهول الممتدة الى شواطىء البحر الاحمر .

(٤) محمد ابن دهمان : برز حاكما لقبائل بني شهر وبني عمرو خلال الفترة التي امتد فيها حكم الدولة السعودية الأولى إلى عسير (١٢١٥ هـ/١٨٠٠ م ـ ١٢٣٣هـ / ١٨١٧ م) واثناء انتشار مبادىء دعوة الشيخ محمد بن =

المــلاحق :

ملحــق رقـم (١)

رسالة من السيد علي بن صالح بن جِشْن ، بقرية خميس العرق ببلاد بني شِهْر ، الى أمير عسير وملحقاتها ، الامير تركي بن أحمد السديري ، في ١٠ محرم عام ١٣٥٤ هـ .

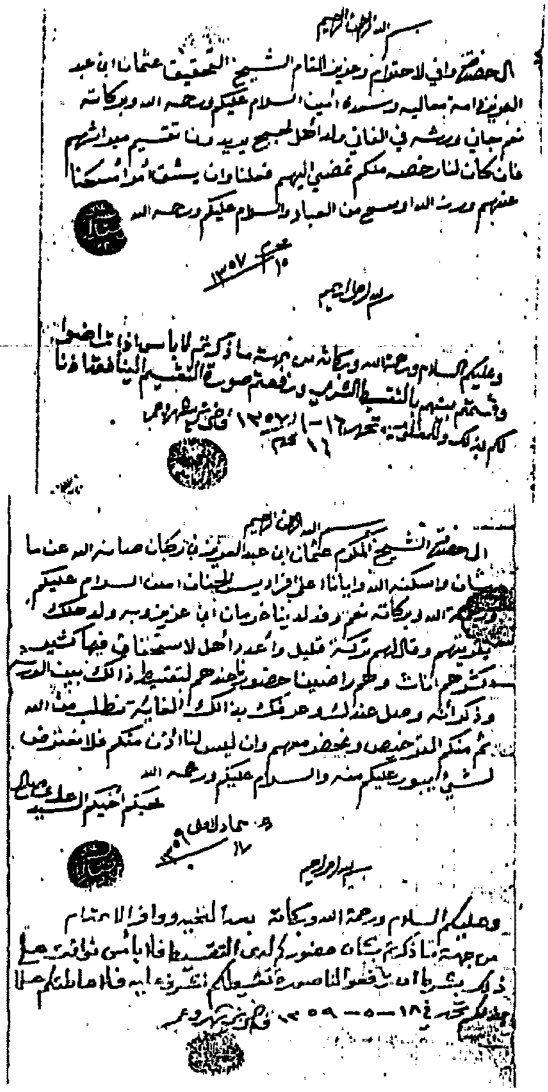


= عبد الوهاب في الجزء العسيري ، وهذا الرجل من عشيرة آل الصعدي احدى عشائر قبائل بالحارث ببلاد بني شهر ، الواقعة بمنطقة تنومة ، ولا زال له احفاد يعيشون في تنومة الى وقتنا الحالي .

(٥) مقابلة مع القاضي عبد الرحمن بن علي عبد الله بن شيبان (احد احفاد أسرة آل شيبان) بالنماص ، في تاريخ ١٤١٠/١/٢١هـ ، مقابلة مع مصطفى بن عبد الهادي آل طه بقرية البردة ببلاد العوامر الشهرية في١٤١١/٩/٢٤هـ ، كل الاسماء ، الواردة بالمتن ، والخاصة بالمواقع الجغرافية ، انظر لها في « المعجم =

ملحـــق رقم (٢)

رسائل وردود في بعض المسائل الفقهية بين السيد على بن صالح بن جِسنْ ، بقرية خميس العرق ، وبين قاضي بني شهر وبني عمرو بالنماص ، الشيخ عثمان بن عبد العزيز بن ركبان في شهري محرم وجمادي الأول من عامي ١٣٥٧ هـ و١٣٥٩ هـ .



بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة ولي الاحترام وعزيز المقام الشيخ المحقق عثمان ابن عبد العزيز ادام الله معاليه ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ...

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الشيخ المكرم عثمان ابن عبد العزيز بن ركبان ...

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ...

[illegible]

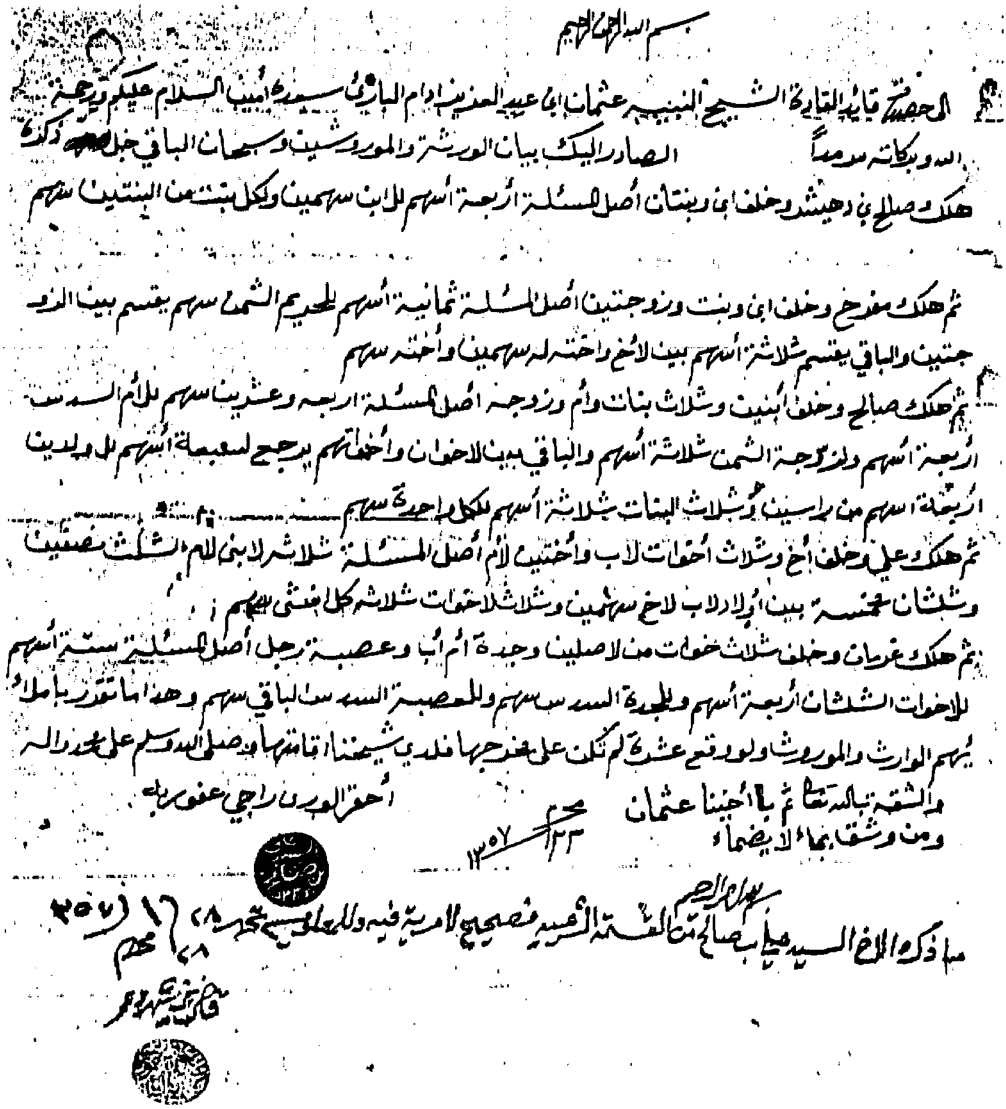
= الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، بلاد رجال الحجر » لعمر غرامة العمروي .

(٦) عبد الله بن محمد أبو داهش . « الحياة الفكرية والادبية في جنوبي البلاد السعودية » ١٢٠٠ ـ ١٣٥١ هـ/ ١٧٨٥ ـ ١٩٣٢ م) (أبها : النادي الادبي ، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م) ص ٤٥ ، ٤٧ ، مقابلة مع القاضي عبد الرحمن بن علي عبد الله بن شيبان في النماص ، بتاريخ ١٤١٠/١/٢١ هـ .

(٧) صورة من الاجازة محفوظة لدى الباحث برقم (٤٨٠) ، والاصل لدى السيد على بن صالح بن عبد الرحمن =

ملحـــق رقم (٣)

رسالة من السيد علي بن صالح بن جِشْن الى قاضي بني شهر وبني عمرو الشيخ عثمان بن عبد العزيز بن ركبان حول مسألة فقهية في تقسيم ميراث لاحد الاسر ببلاد بني شهر ، في ٢٣ محرم سنة ١٣٥٧ هـ .



بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة قايد القايد الشيخ النبيه عثمان ابا عبد العزيز ادام الباري سيدنا امين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته سرمداً الصادر اليك بيان الورثة والموروثين وسبحان الباقي جل [illegible] ذكره

هلك صالح بن دهيش وخلف ابن وبنتان اصل المسئلة اربعة اسهم للابن سهمين ولكل بنت من البنتين سهم

ثم هلك مفرح وخلف ابن وبنت وزوجتين اصل المسئلة ثمانية اسهم للحريم الثمن سهم يقسم بين الزوجتين والباقي يقسم ثلاثة اسهم بين الاخ واخته له سهمين ولاخته سهم

ثم هلك صالح وخلف ابنين وثلاث بنات وام وزوجه اصل المسئلة اربعه وعشرين سهم للام السدس اربعة اسهم وللزوجة الثمن ثلاثة اسهم والباقي بين الاخوان واخواتهم يرجع لسبعة اسهم للولدين اربعة اسهم من راسين وثلاث البنات ثلاثة اسهم لكل واحدة سهم

ثم هلك علي وخلف اخ وثلاث اخوات لاب واختين لام اصل المسئلة ثلاثة لابني للام الثلث مضعفين والثلثان تخمسة بين اولاد الاب للاخ سهمين وثلاث الاخوات ثلاثة كل [illegible] سهم

ثم هلك غرمان وخلف ثلاث خوات من الاصلين وجدة ام اب وعصبة رجل اصل المسئلة ستة اسهم للاخوات الثلثان اربعة اسهم وللجدة السدس سهم وللعصبة السدس الباقي سهم وهذا ما تقرر باملاء يهم الوارث والموروث ولو وقع غلط لم تكن على مخرجها فلدي يشعرنا [illegible] وصلى الله وسلم على محمد واله

والشفقة بالله تعالى ثم باخينا عثمان ومن وشقا بها الا يضماء

احقر الورى راجي عفو ربه

٢٣ محرم ١٣٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

ما ذكره الاخ السيد علي بن صالح من القسمة الشرعية صحيح لا مرية فيه [illegible] ٢٨ محرم ١٣٥٧

[illegible] قاضي بني شهر [illegible]

= بن جِشْن بقرية خميس العرق ببلاد بني شهر .

(٨) اشارت بعض المصادر الى هذا القاضي انه عندما ذهب الامير محمد بن عائض لغزو الحُديدة عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠ م ، حدث ان انتهب بعض رجاله من عسير مكتبة الشيخ محمد بن عبد الله الزواك ، وقد أُخذ أكثر الكتب إلى الجهات الشمالية من منطقة عسير ، فأرسل الشيخ الزواك رسالة الى قاضي بني شهر وبني عمرو الشيخ محمد بن صالح يستعطفه فيها ويطلب منه المساعدة في رد كتبه المنهوبة ، وبعد ايراد مقدمة لتلك =

ملحــق رقم (٤)

رسالة من قاضي منطقة النماص الشيخ عبد الرحمن بن علي بن شيبان الى السيد صالح بن عبد الرحمن بن جشن ، بقرية خميس العرق ، يطلبه فيها الاستغاثة بالناس ووعظهم وارشادهم ، في تاريخ ١٣٨٣/١١/٤هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرم السيد صالح بن عبد الرحمن بن جشن وفقه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، بناء على طلب بعض
اهل جهتكم الارشادية بالاستغاثة وعلى حاجة
الناس والبهائم الى الغيث وعلى ما امر الله به
من دعائه وعلى سنية الاستغاثة فانتم ان شاء الله
تعظون الناس وترشدونهم بما يدلكم الله عليه من
امور الخير والتحذير من المعاصي ...
والاستغاثة ونسأل الله ان يرحم العباد والبلاد
ويقمع أهل الشر والفساد والسلام عليكم ورحمة الله
١٣٨٢ - ١١/٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطاب الصادر		محررات	الخطاب الوارد	
عدده		رئاسة القضاة	عدده	
تاريخه		المحكمة الشرعية	تاريخه	
مشفوعاته			قيده	

الموضوع ....

حضرة الوالد الكريم السيد صالح بن عبد الرحمن بن جشن المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فجاء الينا رجل من الزيدان ...
يذكر انه سرق عليه ... والح علينا في الكتابة لكم
فاذا رايت أن تعظ الناس وتذكرهم بالله بما تراه وتبين لهم
... وتبين حرمة اموال الناس واعراضهم ودماءهم ونسأل الله
ان يوفقنا واياكم لما يحبه ويرضاه والسلام عليكم ٢/٥/١٣٨٣
محبكم
بن شيبان

= الرسالة قال الزواك قصيدة طويلة منها الأبيات الأتية : -

من المـرتجي مـولاه ارحـم راحم — محمـد الـزواك منسـوب صـائم
الى الفاضل الفذ النبيل ابن صالح — حليف التقي في نسكه لم يزاحم
واهـدي اليـه كلما هـب شـمال — تحيـة ود في جنـاح الـغـمائم
وبعـد فقـد وافـا الى كـتـابكم — على البعد من نجد لغور التهائم =

= وبعد عدة ابيات يذكر فيها الزواك اتصالاته مع بعض قبائل عسير من شأن رد كتبه المنهوبة ، وكيف استجاب له البعض فى رد ما لديهم ، قال عندئذ للقاضي ابن صالح في شأن قبائل بني شهر .

فقــل لبني شهــر مقالــه مشفق	عليهــم ولا تخشى مــلامــة لائــم
عــلام حبستم كتبنــا بـديــاركم	ولم تختشــوا من مــوبقــات المــأثم
فنحــن انــاس مسلمــون ومــالنــا	حــرام بــنص مــالــه مــصــادم
فهــل لكــم عــزم بــإبــراء ذمــة	لــدى زمن الإمكان قبــل التخاصم
ومن غلهــا يأتي بمــا غــل حــاملا	وصــار لــه الخسران ضربــة لازم

انظر الرسالة وقصيدة الزواكّ، محمد بن يحيى بن زباره . « أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر » (اليمن : الدار اليمنية للنشر ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) ص ٣٢٣ - ٣٢٤ ، ايضا توجد مخطوطة متنوعة المادة العلمية وبدون عنوان من جمع ابراهيم بن محمد بن حسن الحفظي لدى الاستاذ على بن الحسن الحفظي بأبها ص ١٣٩ - ١٤٠ ، وصورة من المخطوطة لدى الباحث .

(٩) مقابلة مع القاضي عبد الرحمن بن علي بن عبد الله بن شيبان بمدينة النماص في ١٤١٠/١/٢١هـ .

(١٠) الشيخ محمد بن مشرف ليس من اسر الفقهاء ، ويدعى محمد بن مشرف بن نازح القبيسي الشهري ، ولد عام ١٣٢٠ هـ ، بدأ حياته العلمية في مدارس الكتاب ببلاد بني شهر وبني عمرو ، ثم رحل الى ابي عريش ثم الى مدن اليمن ، بقي بعيدا عن وطنه حوالي خمس وعشرين سنة ، وبعدها رجع الى مسقط رأسه ليعمل بالتدريس والوعظ والإرشاد ، توفي في آواخر العقد الثامن من القرن الرابع عشر . لدى الباحث ترجمة لهذا الرجل ، كما لديه العديد من المراسلات والخطب وبعض المخطوطات التي كتبها أو كان يحتفظ بها اثناء حياته ، ولا زال اولاده واحفاده بقرية آل ابي قبيس بعشائر بني القيم ببلاد بني شهر .

(١١) علي بن صالح المقصود به ابن جِسْن من اسر الفقهاء بقرية خميس العرق .

(١٢) صورة من الوثيقة محفوظة لدى الباحث تحت رقم (٢٨٢) أخذت من صورة اخرى لدى شيخ عشيرة آل زيدان ببلاد بني شهر .

(١٣) مقابلة مع مصطفى بن عبد الهادي آل طه بقرية البردة ، ببلاد العوامر الشهرية ، في ١٤١١/٩/٢٤هـ .

(١٤) مقابلة مع الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عبد الله بن شيبان بمدينةالنماص بتاريخ ١٤١٠/١/٢١هـ .

(١٥) مقابلة مع الشيخ عبد الرحمن بن شيبان في تاريخ ٢٠ و١٤١٠/١/٢١هـ .

(١٦) انظر . رياض عبد الحميد مراد . فهرس مخطوطات مكتبة القاضي عبد الرحمن على شيبان الخاصة ، النماص ، المملكة العربية السعودية « مجلة معهد المخطوطات العربية » ، الكويت مج ٢٧ ، جـ ٢ ، رمضان ، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣ م ص ٥٩٧ - ٦٠٥

(١٧) صورة من الوثيقة لدى الباحث ضمن وثائقه الخاصة تحت رقم (٤٦٨) ، الاصل لدى على بن صالح بن جِسْن بقرية خميس العرق ببلاد بني شهر .

(١٨) صورة المنظومة كاملة لدى الباحث تحت رقم (٤٦٧) .

(١٩) الاربعاء. (٢٠) عشاء. (٢١) نحن.

(٢٢) أي لا تشغل بالك فالذي لديك ولدينا من المشكلات كاف .

(٢٣) أي لا يخفى عليه شيء .

(٢٤) أي كما من عندنا الاهل والاولاد .

(٢٥) صورة من الوثيقة لدى الباحث ضمن اوراقه الخاصة تحت رقم (٤٧٨) .

(٢٦) يقصد بذلك زكاة الفطر .

(٢٧) الخرّاصة هم جباة زكاة المزارع .

الاتعاظ بما ورد في سوق عكاظ

لمحمد بن عبد العزيز بن عمر بن فهد المكي المتوفى سنة ٩٥٤

لِبَني فهد المكيين فضلٌ كبير في تدوين التّاريخ الإسلامي عموما وأخبار مكة خصوصا ، وهم في مجموعهم ثلاثة أشخاص ، الجدُّ والابن والحفيد . فالأول هو : عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد القرشي الهاشمي المكي [٨١٢/٨٨٥] له « إتحاف الورى بأخبار أم القرى » و « التبيين في تراجم الطبريين » أهل مكة و « ذيل تاريخ مكة » للفاسي وغيره .

والثاني هو : عبد العزيز بن عمر بن محمد [٨٥٠/٩٢٠] له « غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام » و « بلوغ القرى لذيل إتحاف الورى » وغيرهما .

والثالث الحفيد والأخير وهو : أبو الفضل محب الدين جارالله محمد بن عبد العزيز بن عمر ، ولد سنة ٨٩١ بمكة ، ورحل إلى مصر والشام ، وألف المؤلفات العديدة في أخبار مكة منها « التحفة اللطيفة في بناء المسجد الحرام والكعبة الشرّيفة » و « فضائل الطائف وابن عباس » و « السلاح والعُدَّة في فَضائل بندر جدة » ورسائل أخرى وكانت وفاته سنة ٩٥٤ .

وهذا الأخير ساقتنا الصُّدَفُ السعيدة إلى العثور على مجموع خَطي نفيس له جميعه من تأليفه وبخطه وهو عبارة عن مسودات لرسائل ، وكُتُبٌ كان قد ألفها في فترات مختلفة ، وهذا المجموع يقبع في مكتبة العلامة المحدث الجدّ عيدروس بن عمر الحِبْشي المتوفى سنة ١٣١٤ - مترجم له في الاعلام للزركلي ٥/٩٩ - وهو يقع في نحو ٢١٤ ورقة مقاس ١٧×١٢ س م مسطرته ما بين ٢٠ و٢٣ سطرًا ، مع ما يتخلله من حواشي وزيادات ، على هوامش الصفحات ، وما يعيب هذا المخطوط سوى أنه تُرِكَ نَهْبًا للزمن ، فلم يَقُمْ أحد بتجليده ، - أو أنه جُلِّدَ ثم تفلّتَتْ أوراقه على أثر الاستعمال - كما أن الأَرَضَة قد نَخرتْ بعض أوراقه ، وكذا تساقطت بعض الأوراق منه ، وقلّما تسلم رسالةٌ منه من البتر والسقط وفي الحقيقة

أنّنا قمنا بجمع هذا المخطوط من ضمن مجموعة كبيرة من الأوراق تعد بالآلاف حتى استطعنا استخراج ما قدرنا عليه منه .

وعلى كلٍّ فالمخطوط في مجموعه يُعَدُّ تُحْفةً من تحف التراث الإسلامي ، وهو يعطي صورةً كاملة للباحث في معرفة التّأليف ومعالجة الكتابة عند المؤرخين الإسلاميين .

ويحّق لنا قبل اقتطاف زهرة من ثمراته أن نقف قليلاً عند وصف محتويات رسائله ، فهو يعطي الجديد عن تراث هذاالعالم وآثاره التاريخية ، ونظرًا لأن الكتاب لا يَضُمُّهُ مجلد نَعرف منه ترتيب تلك الرسائل عند المؤلف فإننا نصف هنا تلك الرسائل كيفما اتفق فنقول :

١ ـ كتابٌ « المراح الزكية في النخوة الشريفة الهاشمية » الموجود منه ورقتان قال فيه : (أما بعد فهذا تأليف لطيف . . . جعلته لنفسي تذكرة ولمن ألفته له نصيحة وتبصرة) . . .

٢ ـ كتاب « تبصرة ذوي الألباب بكتّاب السِّرِّ الأنجاب » : قال فيه (وبعد فهذه تحفة لطيفة جمعتها في الكتّاب . من زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأنجاب ، إلى زماننا في أيام الخلفاء والسلاطين خصوصا كتاب السِّرِّ المشهورين ، وذلك أنّي اطّلَعْتُ على ذكرهم في بعض تواريخ العلماء والفقهاء المتقدِّمين ، وغيرها من مؤلفات مشايخنا المتأخرين) . وهذا الكتاب يقع في تسع ورقات وهو كامل ، قال في أخره (كتب ذلك وحرر في سنة ٩٣٥) .

٣ ـ « نعمة الودود بعقيقة المولود » . وهو في موضوع طريف يتعلّق بالعقيقة المعروفة وأحكامها ، ولكنه مبْتور والموجود منه ستّ ورقات قال في آخرها (كتبه الفقير الى لطف الله وكرمه المدعو جار الله . . . لطف الله به والمسلمين وذلك في يوم واحد يوم الأحد من شهر ربيع الاول عام ثلاث وخمسين وتسع مئة بمكة المشرفة والحمد لله وصلى الله على من لا نبي بعده وحَسبنا الله ونعم الوكيل) .

٤ ـ « القول المبين لحصول المَغْفرة بقول آمين » . وهو كامل الأوراق يقع في ستّ

عشرة ورقة قال : (فرغ منه في يوم واحد يوم الاثنين سابع جماد الثاني عام ست واربعين وتسع مئة بمكة المشرفة جوار المسجد الحرام تجاه ميزاب سُحُبِ الإنعام) . . . الخ .

٥ - « السّهم المصيبة لكبد الطاعن في نسب بني شيبة » وهو في موضوع طريف قال فيه (وبعد فقد سألني بعض الفقهاء والأصلاء النُبهاء عن نَسَب بني شيبة المعروفين بِحُجّاب الكعبة وقال إنّه اطلع على كلام الشريف النّسابة محمد بن احمد الجوَّاني في بعض مؤلفاته ونقله عن شيخ الشرف الحسيني النّسابة فقال : وليس لِبني عبد الدّار بقية ، درج عقبه زمن هشام بن عبد الملك فَوَرِثُوا كَلاَلَةً - الى غير ذلك مما سيأتي فيما قاله) . . الخ . . . قلت هذه الرسالة كاملة لولا ما يتخلَّلها من فعل الأرضَة وهي تقع في أربع وعشرين ورقة .

٦ - « رسالةٌ في تحقيق نَسَب اشراف مكة » . وهي عبارة عن سؤال والجواب عليها نصّه (ما يقول سيدنا . . . فيما وقع فيه الاختلاف وعدم الجزم والائتلاف بين بعض المتعصّبين وأهل الإنصاف من انخراط بعض أهل البيوت في سلك السادة الأشراف . . . بَيِّنُوا لَنَا غايةِ التَّبيين عن بيت كل من الفاسي والطبري وعبد القوي ، والبخاري والطباطبيين القاطنين بمكة المشرفة الى وقتنا هذا) . ثم الجواب عليه يقع في سبع ورقات فرغ منه (يوم الجمعة خامس عشر جمادي الثاني عام ثمان وثلاثين وتسع مئة بزيادة دار الندورة من المسجد الحرام) .

٧ - كتاب « الكفاية لنصرة الحق وطلب الهداية » قال فيه عن سبب تأليفه (الحمد لله : ألفت في وقعتي مع أخي من جهة خصَامة معي في وقف والدي رحمه الله تعالى في سنة أربع واربعين وتسع مئة مؤلَّفًا قبل هذا سمَّيتهُ « حفظ العهود على حكم وقف دار الفهود »، ثم عملت هذا الثاني ردًّا على أخي فيما كتبه على خطية المرضية من جهة الوقفيّة ، سميته « الكفاية لنصرة الحق وطلب الهداية » . ثم انتخبته في مؤلف ثالث في نحو نصف حجمه ثم جرًّا ولده عليٌّ بدعواه نظم قصيدة قال إنّها موعظة لحالي ، نَظمها له خاله . . . ورَدَّيْتُ له جوابها في مؤلف رابع سَّميته « قمع الشهوات في رد . . . ناظم المفوات » الخ

ماذكره ونعلم من هذه الرسالة انه كان على خلاف مع أخيه وهي تقع في عشر ورقات كاملة .

٨ - « نخبة الكفاية لنصرة الحق وطلب الهداية » اختصره من مؤلفه السابق ويقع في ست ورقات .

٩ - « إزالة الهمّ برد جرأة النظم » . في الموضوع السابق والموجود منه ورقة واحدة .

١٠ - « التمسك بالسبب الأقوى ، على التّعاون بالبرِّ والتقوى » . كتبه في حادثة تتعلق بميراث بعض أهل مكة . في خمس عشرة ورقة كاملة فرغ منه سنة ٩٥٣ .

١١ - كتاب « نعمة الرحمن في الوارد لحفظ القرآن » جعله في موضوع حفظ القرآن والحفاظ وآدابه . يقع في خمس وعشرين ورقة مبتور من اثنائه قال في أخره : (وكتبتْ هذه النسخة وبيضّتْ في ثلاثة مجالس متوالية في الجمعة التي الفت فيها يوم الثلاثا عشري شهر صفر الخير عام ست وأربعين وتسع مئة بمكة المشرفة على يد مؤلفها وراقم حروفها الفقير الى لطف الله وكرمه الملتجي الى بيته وحرمه والمحتاج إلى صلة رحمه محمد المدعو جار الله) الخ . .

١٢ - كتاب « الوصلات في الأربعين الواردة بالصلات » . قال في التعريف بها : (أُلِّفتُ في خصام أخِي ومخالفته لي ، وعدم سكنه معي ، ووقف والدي رحمه الله - ستُّ مؤلفات أولها : « حفظ العهود على حكم وقف دار الفهود » وثانيها : جوابه فيما كتبه على الأجوبة المرضية في حجج شرط الوقفية وسَمَّيتهُ « الكفاية لنصرة الحق ، وطلب الهداية » وثالثها انتخابه في نصفه ، ورابعها جواب على جرأة ولده لدعواه نظم قصيدة جَرَّأَهُ عليها خالُه الدُّبُّ القالي (كذا) سميته « قمع الشهوات في رد كذب ناظم الهفوات » . . . وخامسها « وصلة المنّعم بأحاديث صلة الرحم » وسادسها مختصره هذا في أربعين حديثا اسمها « الوصلات في الأربعين الواردة بالصلات » يقع في ثلاثين

ورقة ناقص من أثنائه وآخره .

١٣ ـ كتاب « تحفة العابد الساجد لما لمكة وأعمالها من المآثر والمساجد ». وهو كتاب نفيس قال في مقدمته : (وبعد فهذا تأليف لطيف ، معظم منيف ، سبب جمعي له أنني حضرت مجلس سيدنا ومولانا شيخ الاسلام ، عين الأعيان . . . الأفندي شرف الدين عبد الباقي ابن المرحوم الشيخ . . . ابي الحسن علي الشهير بعرب . أدام الله له المعالي والقرب . . . فسألني عن الأماكن الشريفة ، والمساجد المعظمة المنيفة الكائنة بمكة المشرفة واعمالها وما أضيف اليها فقلت له : جمعها شيخ شيوخنا الامام الحجة ، والحافظ العمدة ، أول قضاة المالكية بمكة البهية السيد الشريف الأمجد تقي الدين ابو الطيب محمد بن احمد بن علي الحسني الفاسي . . في مؤلفه « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام » فأمرني بجمعها ليسعى في عمار ما خرب منها ؛ فاستخرت الله تعالى وأجبته عجلاً ولأمره ممتثلاً وجمعت حينئذ ذلك من الكتاب المذكور ، وغيره مما هو عنده مشهور ، ووجدته بخط والدي وجدّي رحمة الله عليهما مما اطلعا عليه من عمارة المساجد وخرابها مما لم ينسب إليه فتم لي بذلك ولله الحمد) . يقع في ست عشرة ورقة ويتخلله نقص من اثنائه . ويبدو أنه لم يفرغ من تأليفه بدليل أنه لم يؤرخ لسنة الانتهاء منه ولم يذكر ما يشعر بالفراغ منه .

١٤ ـ « حسن السلوك في فضل الملوك » وهو كتاب كبير يبدو أنه كان يتصدّر مجموعة هذا المجلد من الرسائل والكتب بدليل انه يوجد عليه تمليك بخط ابنه ولد المؤلف ، ثم اختفى الاسم على اثر تآكل طرف الورقة ، وهذا الكتاب ذكر في آخره انه (ألفه للسلطان الأعظم ، والخاقان المكرم مظفر شاه صاحب المملكة الكجراتية والأعمال الهندية ، في مجالس عديدة أخر في عشري شهر رجب الفرد عام خمسين وتسع مائة بمكة المشرفة) . وهو في اربع وعشرين ورقة مفقود منه ورقات .

١٥ ـ « الخبر المرفوع ، في أيام الاسبوع » . رسالة في فضل أيام الأسبوع قال فيها : (وبعد فقد سألني بعض الأصحاب من العلماء الأنجاب عن ايام

الاسبوع وما ورد فيها من خبر مرفوع أو مقطوع ، وهل يوم الأربعاء يوم نحس مُستمر ، وما ذكر فيه من قول مشتهر) . تقع في خمس ورقات مفقودة من آخرها .

١٦ - « **الاتّعاظ لما ورد في سوق عكاظ** » . وهو هذا الذي بين يديك ، أفرده بأخبار هذه السوق الشهيرة ، ولعله أول من أفرده بالتّصنيف ، وفيه جمع ما يتعلق بوصفه وما جرى فيه من خطب وحوادث ، وحروب في الجاهلية وقد أشار عليه بتأليفه أحد أمراء عصره هو أبو محمد عامر بن القائد الكبير زين الدين مفتاح البقيري الحُبْشي عتيق أمير مكة السيد بركات ومقدمه على أمواله ومن بعده على أولاده . هكذا وصفه في هامش المخطوطة . ولعل الطرافة فيها هو موضوعها ، وإن كنّا نَجده يستقي معلوماته من مراجع معروفة مشهورة إلا أنه لا يخلو بحثه من تَصْويبات وانتقادات يَنْثُرُهَا هنا وهناك .

وعلى الرغم من صغر حجمها فهي أيضا مبتورة من أولها (ورقة العنوان والديباجة) ومن وسطها ورقات لا نظنّها كثيرة . ولكن أهميتها أنها بخط مؤلفها ولعل الله يمن بنسخة كاملة يقوم بنشرها أحد الباحثين بعد الاستفادة من هذه النسخة الأم . والله ولي التوفيق .

النــص :

[١ - أ] وكشف بِدَعْوَتِهِ جميع المضَارّ ، وفرق بشريعته بين المتّقين والفجار ، وشرفهم بازالة أسواق أهل الجاهلية بأيام الحج والاعتمار ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السُّادة الأبرار وعلى التابعين لهم باحسان في جميع الأقطار ، وسلم تسليما كثيرا نبلغ به نهاية الأوطار .

أما بعد : فقد سألني بعض القُوَّاد المعتبرين[١] ممن له ذكر في بلد الله الأمين ، عن أسواق الجاهلية ، وما كان فيها من الهمم العلية ، ومنها سوق عكاظ ، الذي وقع فيه من خطبة قسٍّ بن ساعدة الاتعاظ ، فَكَشفتُ له على تواريخ مكة المشرفة ، وجمعت منها الرّوايات المختلفة في ذكرها ، والتعريف بها ، وما وقع فيها وأجبته عَجلا ولجوابه ممتثلا ، وسميّت هذا الجواب باسمه الموافق للصواب « **الاتعاظ لما ورد في سوق عكاظ** » وأسأل من الله تعالى أن ينفع به الطُّالبين ،

ويجعلنا من المتعظين إنّه بالآمال كفيل . وهو حسبي ونعم الوكيل .

قرأت على سيدي : والدي الحافظ الرحلة شيخ السّنة عز الدين أبي الخير وأبي فارس عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي الشافعي(٢) رحمه الله تعالى بالمسجد الحرام عام اثني عشرة وتسع مئة قال : قرأت على والدي الحافظ [١ - ب] العمدة المؤرخ، نجم الدين عمر بن فهد الهاشمي(٣) ، عَوْدًا على بَدْءٍ بالمَسْجد الحرام .

ح(٤) : وأنبأني بِعُلُوٍّ درجة(٥) جماعة منهم : الإمام الحجة عالي الاسناد قاضي القضاة بمكة محبّ الدين أبو المعالي محمد بن الرّضيّ محمد الطبري(٦) المكي الشافعي قال : هو وجَدّي عمر بن فهد : أخبرنا العلامة الحافظ قاضي القضاة تقي الدين أبو الطيب محمد بن احمد بن علي الحسني الفاسي(٧) المكي المالكي إذْنًا إنْ لم يكن سماعًا قال في كتابه « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام » الباب الاربعون في ذكرى شيء من أخبار أسواق الجاهلية والإسلام(٨) روينًا في تاريخ الأزرقي كما اخبرني به أبو المعالي عبد الله بن عمر الصُوفي بِقراءتي عليه في القاهرة عن أبي زكريا يحيى بن يوسف القدسي إجازة إنْ لم يَكن سماعًا : أَنَّ أبا الحسن على بن هبة الله الخطيب وعبد الوهاب بن ظافر الازدي أنبأه عن أبي طاهر احمد بن محمد الحافظ قال : أخبرنا به المبارك بن عبد الجبار المعروف بابن الطيُوري ، قال : أخبرنا به أبو طالب محمد بن علي بن الفتح العشاري(٩) ، قال : أخبرنا به أبو بكر احمد بن محمد بن أبي موسى الهاشمي قال : اخبرنا به أبو [اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي قال اخبرنًا به ابو](١٠) الوليد محمد بن عبد الله الازرقي(١١) رحمه الله قال(١٢) : حدثنا جدي قال : حدثنا سعيد بن سالم عن عمر(١٣) بن ساج عن محمد بن اسحاق عن الكلبي . فذكر خبراً طويلا لا نطّول بذكره الآن فيه حجّ الجاهلية ومواسمهم وإنْسَاء الشهور . فعرضنا مما قال فيه(١٤) : [٢ - أ] فإذا كان الحج في الشهر الذي يسمونه ذا الحجة خرج الناس فيصبحون بعكاظ يوم هلال ذي القعدة فَيُقيمون به عشرين ليلة تقوم فيها أسواقهم بعكاظ والناس على مراعيهم(١٥) وراياتهم مُنْحازِين في المنازل تضبط كُلَّ قبيلة أشرافُها وقادَتُها ، ويدخل بعضهم في بعض للبيع والشراء ، ويجتمعون في

بَطْنِ السوق ، فإذا مضتْ العشرون انصرفوا الى مِجَنَّة(١٦) فَأقامُوا بها عشراً أسواقُهم قائمةٌ فإذا رَأَوْا هلالَ ذي الحجة انصرفوا إلى ذي المجاز(١٧) (١٨) فأقاموا بِها ثمان ليالٍ ، أسواقُهم قائمة ، ثم يخرجون يوم التَّرْوِيَةِ مْن ذي المجاز(١٩) إلى عرفة فَيَتَرَوَّوْنَ ذلك اليوم من الماء بِذي المجاز ، وإنما مُسّمى يوم التّروية لِتَرَوِيْهِمْ من الماء بذي المجاز ، يُنَادِي بعضهم بعضًا تَزَوّدُوا(٢٠) منَ الماء لأنه لا ماء بِعرفة ولا بالمُزْدلفة يومئذ ، وكان يوم التّروِيةِ آخر أسواقهم . وإنّما كان يحضر هذه المواسم بعكاظ ومِجَنَّةَ وذِي المجاز التجارُ ، ومن كان يريد التّجارة ، ومن لم يكن له تجارة ولا بيع فإنه يخرج من أهله متى أراد ، ومن كان من أهل مكة ممن لا يريد التّجارة خرج من مكة يوم التّروِيةِ فَيتروّى من الماء فينزل الحُمْسُ(٢١) [وهم قريش وحلفاؤهم وماولدت(٢٢)] ، أطرافَ الحرم من نَمِرَة(٢٣) يوم عرفة ويَنْزل الحِلَّةُ [وهم بَقية الناس](٢٤) عرفة ، وكان النّبي صلى الله عليه وسلم في سنَتِهِ التي دعا فيها بِمكة قبل الهجرة لا يَقفُ مع قريش وهم الحُمْس في طرفِ الحرم وكان يَقفُ مع الناس بعرفة[٢ ـ ب] .

قال الأزرقي(٢٥) : وكانوا لا يتبايعون في يوم عَرفة ولا أيام منى : فلما أن جاء الله بالاسلام أحَلَّ الله عز وجل ذلك لهم فأنزل الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ ﴾(٢٦) وفي قراءة أُبَيّ بن كَعْبٍ في [مَوَاسِمِ الْحَجّ] يعني مِنَى وعرفة وعكاظ ومِجَنَّة وذِي المجاز ، فهذه مواسم الحج قال الكلبيُّ : وكانت هذه الأسواق بِعُكَاظَ ومِجَنَّة وذي المجاز قائمةً في الإسلام حتى كان حديثًا من الدَّهر .

فأما عكاظ : فإنها تُرِكَتْ عام خروج الْحَرَوْرِيِّ بِمكة(٢٧) مع أبي حَمْزة المُخْتار بن عوف الازدي الأباضي في سنة تسع وعشرين ومئة ، خاف الناس أَنْ يُنْتَهَبُوا وخافُوا الْفِتْنَةَ فَتُرِكَتْ حتى الآن .

ثم تركت مِجَنَّةُ وذو المجاز بعد ذالك واستَغْنَوْا بالأسواق بمكة وبِمِنى وعرفَةَ(٢٨) هذا ملخص كلام أبي الوليد الأزرقي(٢٨) كما ذكره القاضي تقي الدين الفاسي ، وقال بعده :

قال أبو الوليد الأزرقي[٢٩] : وعكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة على طريق صنْعاء في عمل الطائف على بريد منها ، وهو سوق لِقَيْسِ عَيْلان .

قال القلقشنديُّ في نهاية الأرب[٣٠] : بنو قيس عيلان بالعين المهملة قبيلة من مضر من العدنانية وهم بنو قيس بن عيلان واسمه الناس بالنون بن مضر ، فيكون مضافاً إلى أبيْهِ ، وقيل عيلان فرسه ، وقيل : خادمه ، وقيل : كلبه ونَقَل عن المؤيد صاحب حماة أنه قد جعل الله في قيس من الكثرة أمْراً عظيماً حتى كان منه عدة قبائل . انتهى][٣١] .

وثَقِيفٌ وأرضها لِنَصْرٍ .

وأما مِجَنَّة فهي سوق بأسفل مكة على بريد منْها وهي سوق لكنانة وأرضها من أرض كنانة ، وهي التي يقُوْل فيها بلال رضي الله عنه[٣٢] :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ[٣٣] وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيْلُ
[٣ - أ] وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مِجَنَّـةٍ وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيْلُ

وشَامةُ وطَفِيل جبلانِ مشرفان على مجَنَّة ، وأما ذو المجاز فسوقٌ لِهذيلٍ عن يمين الموقف بعرفة ، قريب من كبكب على فرسخ من عرفة .

وأمَّا حُبَاشة[٣٤] [هي بفتح الحاء والباء الموحدة بعدها ألف وشين معجمة] ، فَسوقُ الأزدِ وهي في ديار الأوصام[٣٥] من بارق[٣٦] مِنْ صَدْر قَنَوْنَا وَحَلْي ، بناحية اليمن ، وهي من مكة على ست ليالٍ ، وهي آخر سوق خَرِبَتْ من أسواق الجاهلية ، وكان والي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه بِجُنْد فيقيمون بها ثلاثة أيام من اول شهر رجب متوالية ، حتى قتلتِ الأَزْدُ واليًا كان عليها من غَنيٍّ . . . . [بنو غني قبيلة عربٍ باليمن ، قال القلقشندي[٣٧] : هم بطن من بني عروة بن الزبير من بني أسد بن عبد العزّى من قريش من العدنانية][٣٨] .

بعثه دَاوود بن عيسى بن موسى في سنة سَبْع وتسعين ومئة فأشار فقهاء أهل مكة على داوود بن عيسى بِتَخْريبها فَخرَّبها ، وتركت إلى اليوم ، وإنما [جعل][٣٩] تُرِكَ ذِكْرُ حُبَاشة مع هذه الأسواق لأنها لم تكن في مواسم الحج ، ولا في أشهره ،

وإنما كانت في رجب . انتهى كلام الأزرقي(٤٠) باختصار .

وقال عَقِبهُ القاضي تقي الدين الفاسي في « شفاء الغرام(٤١) » : وقد خولف الأزرقي في ما ذكره في مجنة وشامة وطفيل من وجوه : منها : أن الفاكهي(٤٢) ذكر ما يقتضي أنَّ مجنّة في غير المحلّ الذي سبق ذكره لأنه قال : حدثني عبد الملك بن محمد عن زياد بن عبد الله عن ابن اسحاق قال : كانت عكاظ ومجنّةٌ وذو المجاز الأسواق التي تجتمع بها العرب للتجارة كل عام ، إذا حضر الموسم ، يحج العرب فيها ، ويأمن بعضهم بعضاً [٣ - ب] حتى تنقضي أيامها . وكانت مجنة بِمَرّ(٤٣) الظهران إلى جبل يقال له الأَصْفَر ، وكانت عكاظ فيما بين نخلة والطائف إلى بلد يقال له الْفُتْقُ ، وكان ذو المجاز ناحية عرفة إلى جانبها قال عبد الملك : الأيسر ، وإنما هو الأيمن إذا وقفتَ على الموقف . انتهى .

ومنها أن كلام الأزرقي [يقتضي](٤٤)أنَّ مجّنة على بريدٍ من مكة ، وذكر القاضي عياض في « المشارق » ما يخالف ذالك لأنه قال : طفيل وشامة جبلان على نحو من ثلاثين ميلاً من مكة انتهى .

ووجه مخالفة هذا لما ذكره الأزرقي أن شامة وطفيل جبلان مشرفان على مجنة على ما ذكره الأزرقي فإذا كانا كذالك وكانا من مكة على المقدار الذي ذكره القاضي عياض وكانا مشرفين على مجنة كما ذكر الأزرقي فتكون مجنة من مكة على المقدار الذي ذكره القاضي ، وهو نحو ثلاثين ميلاً وذلك بريدانِ أو أزيد ، فإنَّ البريد اثنيَ عشر ميلاً والعيان يشهد بصحة ما ذكره القاضي في شامة وطفيل لكون الجبلين المعروفين عند الناس شامة وطفيل من مكة على المقدار الذي ذكره القاضي أو نحوه .

وَإذا كان كذالك فتكون مجنّةٌ من مكة على بريدين على ما ذكر الأزرقي من أن شامة وطفيل مشرفان على مجنة ، ولَعَلَّ الأزرقي أراد أن يكتب أن مجنة [٤ - أ] على بريدين من مكة فسها عن الياء والنون وكتب بريد والله أعلم .

وذكر المحبُّ الطبريُّ(٤٥) ما يوافق ما ذكره القاضي عياض في مقدار ما بين مكة وشامة وطفيل [وسياتي الكلام على ذلك . . . ومنها : ان كلام الازرقي يقتضي

ان شامة وطفيل جبلان][٤٦] .

وذكر الخطابي[٤٧] ما يخالف ذلك حكى ذالك عنه القاضي عياض لأنه قال بعد أن قال ما سبق ذكره في شامة وطفيل قال الخطابي : كنت أحسبهما جبلين حتى اثبت لي انهما عينان انتهى .

وذكر المحب الطبري ما ذكره الخَطابي ولم يَعْزُهُ ، ورجّح ما ذكره الأزرقي ، لأنه قال : وشامة وطفيل قيل جبلان مشرفان على مجنة ، وقيل عينانِ عندها والأول أشهر ، والمعروف عند العرب اليوم أن شامة وطفيل جبلان على مرحلتين واكثر من مكة في جهة اليمن انتهى .

وقول المحبّ الطبري : والمعروف إلى آخره هو ما أشرنا إلى أنه يأتي ذكره منْ كلامه ، ولا يبعد أن يَترجح[٤٨] كونهما جبلان فإنهما لو كانا عَيْنَينْ لتمنّى بلالٌ ورودهما كما تمنى ورود ماء مجَنّة والله اعلم .

يقول مؤلفه : أخبرني من شاهدهما وهما جبلان معنيان(؟) بيرانِ ، وفي واديهما أحداهما تعرف الآن بِبِئْر الخيل وبير الحما[٤٩]] .

ومنها ماذكر أن الأزرقي قال : شامة بالميم وكذا في الصَّحيحين وغيرهما وقيل في شامة شابة بالباء ذكر ذلك ابنُ الأثير[٥٠] ورجّحه الصّاغاني ، لأنَّ المحِبَّ الطّبري قال : قال ابنُ الأثير : وبعضهم يقول شابة بالباء الموحدة وهو جبل حجازي ، وصحّح هذه القصة[٥١] شيخنا رضي الدين الحسن الصاغاني اللُغوي انتهى .

ومِجَنّة بفتح الميم وكسرها [٤ - ب] وبالفتح قيدها الحِبابي[٥٢] والفتح أكثر على ما ذكر المحب الطّبري لأنه قال : وبعضهم يكسر ميمها والفتح أكثر وهي زائدة ، ورايت[٥٣] بخط الطبري في نسخة من كتابه « القِرى » ما استشكله مع ما ذكره الأزرقي في جهة موضع مَجنة وصورة ما رأيْته : ومجنة موضع بأعلا مكة على أميال ، كان يقام للعرب بها سوق انتهى .

ووجه استشكال ذالك مع ما ذكره الأزرقي أن الذي رَأَيْتُه في « القرى » ، يَقْتضي أن مجنة بأعلى مكة ، وكلام الأزرقي يقتضي أنها بأسفل مكة لقوله : ومجنة

سوق بأسفل مكة والظّاهر أن الذي في «القرى» سَبْقُ قَلَمٍ من المؤلف واللّه أعلم .

ومَجَنَّة غير معروفة الآن ورأيت من يَتَخَيَّل(٥٤) أنها الموضع المعروف بالأطواء . . . في طريق اليمن إلى مكة ، وَعلَّل ذلك بأنها تُسمّى عند العرب بالجُنَيْنَةِ لطيب مائها . وفي ذالك نظر لماذكره الأزرقي من أن شامة وطفيل جَبلان مشرفان على مجنة ، والجبلان المعروفان عند الناس بشامة وطفيل لا يشرفان على الموضع المعروف بالأطْوى لبعدهما منه والله اعلم انتهى(٥٥) كلام شيخ شيوخنا القاضي تقي الدين الفاسي رحمه الله تعالى والعمدة عليه فيما اسند إليه من أخبار مكة وأهلها لأنه عمدة المؤرخين فيها .

وقد أطلنا الكلام لماذكر من اختلاف العلماء الأعلام وأعقب ذالك بموعظة [٥ - أ] قسّ بن ساعدة التي ذكرها في سوق عكاظ هنالك ، لينتفع بها كل قاطن أو سالك ، وهي أربع روايات بألفاظ مختلفات .

أخبرني بها الشّيخان الجليلان سيدي والدي الحافظ الرحلة شيخ المحدثين ، عز الدين أبو الخير عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي العلوي الشافعي ، والعلامة الحجة قاضي المسلمين نور الدين ابو الحسن علي بن ابي بكر ابن عبد الغني المرشدي(٥٦) الأنصاري الحنفي المكيّان رحمة الله عليهما قراءة عليهما مُفْتَرِقَيْنِ فعلى أوّلهما بمكة المشرفة سنة اثني عشر وتسع مئة وعلى الثاني بوادي نَخْلَةَ الشامية في جِهة سوق عكاظ عام أربعة(٥٧) وعشرين وتسع مئة قالا : أخبرنا الإمام الحافظ العمدة نجم الدين ابو القاسم عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي شفاهاً ، قال والدي : إن لم يكن سماعًا ، قال في كتابه « إتحاف الورى بأخبار أم القرى »(٥٨) السنة الخامسة عشر من مولد النبي صلى الله عليه وسلم .

الخبر الأول : فيها خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى سوق عكاظ ، وسمع خطبة قس بن ساعدة الإيادي ، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : قدم وفدُ إياد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن قس بن ساعدة الإيادي ، فقالوا : هلك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدته في الموسم بعكاظ وهو على جملٍ له أحمر أو على ناقة حمراء وهو ينادي

في الناس : أيها الناس اجْتَمِعُوْا وَاسْمَعُوا وَعُوا ، واتَّعِظُوا تنفعوا [٥ - ب] مَنْ عاشَ ماتَ ومن ماتَ فَات وكل ما هو آتٍ آت . أما بعد فانَّ في السماء لَخَبَرًا ، وإنَّ في الأرض لَعِبَرًا ، بَحُوْرٌ تَمُوْرُ ، ويقال نُجوم تَغُور ، ولا تفور ، وبِحارٌ تَفُوْرُ ولا تَغُور ، وسَقْفٌ مرفُوع ، ومِهَادٌ مَوْضُوع ، وأنهارٌ ويَنْبُوع ، أَقْسَمَ قَسٌّ قَسَمًا بالله ، لا كاذِباً ولا آثِمًا لَيَتْبَعَنَّ هذا الأمر سخطا ، ولئن كان في بعضه رِضًا إن بعضه سُخْطا ، وما هذا بالَّلعِب وإنَّ من وراء هذاَ لَعَجبًا . أقسم قَسٌّ قسمًا بالله لا كاذباً ولا آثِماً أنَّ لِلَّه دِيْناً هو ارضَى له من دِيْنِ نحنُ عليه ، ما بال النَّاس يَذْهَبُونَ ولا يرجعونَ ؟ ارَضُوْا بالإِقَامَةِ فأقامُوْا ؟ أَمْ تُرِكُوا فَنَامُوَا » .

ثم أنشد قسُّ بن ساعدة أبياتا من الشعر لم احفظها عنه فقام أبو بكر الصّديق رضي الله عنه فقال : أنا حَضرَت ذالك المقام وحفظْتُ تلك المقالة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماهي » ؟ فقال أبوبكر رضي الله عنه : قال قَسٌّ ابن ساعدة في آخر كلامه :

فِي الذَّاهِبِيْنَ الأَوَّلِيْنَ مِنَ الْقُرُوْنِ لَنَا بَصَائِرْ
لَمَّا رأَيْتُ مَوَارِداً لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرْ
وَرَأَيْتُ قَوِمي نَحْوَهَا تَمْضِي الأَكَابِرُ وَالأَصَاغِرْ
[٦-أ] لاَيَرْجِعُ الْمَاضِي وَلا يَبْقَى مِنَ الْبَاقِيْنَ غَابِرْ
أَيْقَنْتُ أَنِّيْ لاَ مَحَالَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرْ

الخَبر الثاني : ويقال إنه قدم وفد إياد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما فعل قَسُّ بن ساعدة » ؟ قالوا : مات . قال « كأنّي أَنْظر إليه بِسوق عكاظ على جمل له أوْرَق ، وهو يتكلم بكلام له حلاوة ، ما أجدني أحفظه » فقال رجل من القوم : أنا أحْفظه ، سَمِعْتُهَ يقول : أيها الناس احفَظُوا وَعُوْا ، مَنْ عاشَ ماتَ ، ومن ماتَ فات ، وكلُّ ما هو آتٍ آت ، ليل داج ، وسماءٌ ذاتُ أبراج ، وبحار تَزْخَر ، ونجوم تزهى ، وضَوْءٌ وظلاَمٌ وَبرٌّ وظلام (؟) ومطعم ، وملبس ، ومشرَبٌ ومركب ، مالي أرى الناس يَذْهبونَ فلاَ يَرْجعون ، أَرَضُوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تُرِكُوا فَناموا ؟ وإلهِ قسٍّ ما على وَجْهُ الأرض دِينٌ أفضل من

دِيْنٍ قد أظلَّكم زمانُه ، وأدرككم أوانُه ، فطوبَى لمن أدركه فاتَّبَعَهُ ، وويل لمن خالفه ثم أَنْشَأَ يَقول :

فِي الـذَّاهِـبِـيـنَ الأَوَلِـيـنْ   من القـرون لنـا بصـائـر
لَمَّـا رَأَيْـتُ مَـوَارِداً   لِلْمَـوْتِ لَيْسَ لَهَـا مَصَـادِرْ
وَرَأَيـتُ قَـوْمِـي نَـحْـوَهَـا   تَمْضِي الأَصَـاغِـرُ وَالأَكَـابِـرْ[٦ - ب]
لاَ يَـرجِـعُ المـاضِي إِلَـيْـكَ   وَلاَ مِـنَ الْبَـاقِـيـنَ غَـابِـرْ
سَكَنُـوا الْبُيُـوْتَ فَـوَطِّـنُـوا   أَنَّ الْبُيُـوتَ هِـي المَقَـابِـرْ
أَيْـقَـنْـتُ أَنِّي لاَ مَحَـا   لَـة حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِـر

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يرحم اللهُ قسًّا إني لأرْجُو يوم القيامة أن يبعثه الله أمة وحده » .

الخبر الثالث : ويُقال لما قدم وفد إياد على النبي صلى الله عليه وسلم قال النَّبي صلى الله عليه وسلم : « ما فعل قَسُّ بن ساعدة الإيادي » ؟ قالوا : هلك . قال « أما إني سمعت منه كلامًا لا أرى أني أحْفَظه فقال بعض القوم : نحن نحفظه يا رسول الله فقال « هاتوا » فقال قائلهم : إنه وقف بسوق عكاظ فقال : أيها الناس اسمَعُوا واسْمعوا (؟) وَعُوْا كُلُّ من عاش مات ، وكل من مات فات ، وكل ماهو آتٍ آت ، لَيْلٌ داج ، وسماءٌ ذاتُ أبراج ، ونجوم تَزْهى ، وبحار تزخر ، وجبال مُرْسَات ، وأنهار مُجْرَّات ، إنَّ في السَّماء لخَبَرًا وإنَّ في الأرض لَعِبَرًا أرى الناس يَمُرُّوْنَ ولا يرجعون ، أَرَضُوا بالإقامةِ فأقاموا أو تركُوا فناموا، ثم أنشأ يقول : يُقسِمُ قَسٌّ قسَمًا بالله ، لا إثم فيه إنَّ لله دِيْنًا هُوَ أرضَى مما أَنْتُم عَلَيه .

ثم أنشأ يقول :

فِي الـذَّاهِـبِـيـنَ الأَوَلِـيـنْ   من القـرون لنـا بصـائـرْ
[٧-أ] لَمَّـا رَأَيْـتُ مَـوَارِدًا   لِلْمَـوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصِـادِرْ
وَرَأَيْتُ قَـوْمِي نَـحْـوَهَـا   تَمْضِي الأَكَـابِـرْ والأَصَـاغِـرْ
أَيْـقَـنْـتُ أَنِّي لاَ مَحَـا   لَة حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرْ

الخبر الرابع : ويقال : إن النبِّي صلي الله عليه وسلم قال للجارود بن عبد الله الإيادي لما قدم عليه وسأله عَن قَسّ بن ساعدة ، فقال : « يا جارود لستُ أنساه بسِوق عكاظ على جمل له أورق ، وهو يَتكّلم بكلام مونق ، ما أظنَ أني أحفظه فهل منكم يا معشر المهاجرين والأنصار من يحفظ لنا منه شيئًا » ؟ فوثب أبو بكر رضي الله عنه قائما وقال يا رسول الله إنّي أُحفظه ، وكنْتُ حاضِرًا ذالك اليوم بسوق عكاظ ، حين خطب فأطنَب ورغّب ورَهَّب ، وحذَّرَ وأَنْذَرَ ، وقال في خطبته : أيها الناس اسْمَعُوا وَعُوا وإذا وَعَيْتُمْ فانْتَفِعُوا ، إنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آت ، مطر ونَبات ، وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات ، جَمْع وأَشْتَات ، وآياتٌ بعد آيات ، إن في السَّماء لَخَبَرا ، وإن في الأرض لَعِبَرَا ، ليل داجٍ ، وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات رتاج ، وبحار ذات أمواج ، مالي أرى الناس يَذْهَبُونَ فلا يرجعون ، أَرَضُوا بالمقام فَأَقَامُوا أم تِرُكوُا هُنَاكَ فَنَامُوْا ، اقْسَم قَسٌ قَسمًا حَقًّا لَاحانِثًا فِيْهِ ولا آثِماً ، أن لِله دِيْنًا هو أحبُّ من دِيْنكم الذي أنتم علَيه ، ونَبِيًّا قد حان حِيْنه وأظلكم أوانه (٧ ـ ب] وأدرككم إبَّانُه ، فَطُوْبَى لمن أدركه وآمن به فهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه ثم قال : تَبًّا لأرباب الغفلة من الأمم الخالية ، والقرون الماضية ، يا معشر إياد أَيْن الآباء والأجداد ، وأَيْنَ المريض والْعُوَّاد ، وأين الفراعِنة الشّداد ، أَيْنَ مَنْ بَنَى وشَيَّدَ ، وزَخْرَفَ وَمَجَّد ، وعنده المال والولد ، أين من بَغَى وطَغَى ، وجمع فَأَوْعى ، وقال : أنا ربكم الأعلى ، ألم يكونُوا أكثر منكم أموالا ، وأبعد منكم آمالاً ، وأطول منكم آجالا ، طحنهم الثَّرى بكلكله ، ومزّقهم بتطاوله ، فتلك عِظامهم بالِيَة ، وبيوتهم خالية ، عَمَّرَتْهَا الذِّئاب العادية ، كلاَّ بل هو الله الواحد المعبود ، ليس بوالد ولا مولود ، ثم أنشأ الأبيات المذكورة ، كما تقدمت مسطورة ، وذكرها جَدِّي عمر بن فهد المكي في تاريخه بروايات مَشْهورة ، وفي جميعها عِبْرة لمن اعتبر ، وتَبْصِرة لمن ادَّكَر ، إلى يوم المحشَر والمنشَر جعلنا الله لها من المُعْتبرين ، وحشرنا في زمرة نَبِّينا محمد المصطفى الأمين ، خاتم الأنبياء والمرسلين الذي هو المقصود في هذه الموعظة بالوجود أحيانا الله على سنته ، وأماتنا على مِلَّتِهِ .

وقد ذكر أهل السِّير والتَّاريخ عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرّم أن في السَّنة الخمسين من مولده والعاشرة من بعثته وقيل التاسعة لما عاد من الطَّائف راجعًا إلى مكة ، وكان بِنَخْلة [٨ - أ] قام من جوف اللَّيل يُصلِّي مَرَّ به نَفَرٌ تسعة ، وقيل سبعة من جِنِ نصيبْينَ وهم أوْلَ بَعْثٍ بعثه إبليس منْ جنوده ليعرفوا له الأخبار عن سبب منعهم من استراق السَّمع ، فلَمَّا سمِعوا قراءة النبّي صلى الله عليه وسلم وَلَّوْا إلى قَوْمهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا بما سمعوا ، فَقصَّ الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم خبرهم فقال تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ ﴾[٥٩] الآية . . .

وقال الإمام أبو بكر محمد بن اسحاق المطّلبي في السيرة النبوية تهذيب ابن هشام النحوي[٦٠] : ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف راجعا الى مكة حتى إذا كان بوادي نَخْلَة قام من جوف الليل يصلّي فمر بِهِ النَّفر من الجن الذين ذكرهم تبارك وتعالى وهم فيما ذكر لي سبعة نفر من جنّ اهل نصِيْبِيْنَ ، فَاسْتَمَعُوْا له فلما فرغ من صلاته وَلَّوْا إلى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا الى ما سمعوا فقصّ الله تعالى خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ ﴾ الى قوله ﴿ ويُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيْمٍ ﴾ وقال تعالى ﴿ قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنّ ﴾[٦١] الى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة[٦٢] .

وقال شيخ شيوخنا محدث اليمن أبو زكريا يحيى العامريّ رحمه الله تعالى في مؤلفه « بهجة المحافل ، والسِّيَر والمعجزات والشمائل » بعد ذكر هذه القصة كما تقدم[٦٣] : حكي أن الجنّ من نَصيبين قرية باليمن غير التي بالعراق . وقيل إنهم من نَيْنَوى وأن جِنّ نَصيبين أتوه بعد ذالك بمكة والصَّواب أنه لم يَرَهُم [٨ - ب] ليلتئذٍ[٦٤] ، هكذا نقل عن ابن اسحاق وتبعه غيره ان سماع[٦٥] الجنّ بِنَخْلة كان عند مَرْجعه صلى الله عليه وسلم من الطائف وحده .

وثبت في « صحيح البخاري » عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أن ذالك كان عند انطلاقه في طائفة من أصحابه عامِدِيْنَ الى سوق عكاظ فسمعوه وهو يصلّي بهم صلاة الفجر ، وما ثبت في الصحيح مقدّم على غيره .

ويدلّ عليه ما رواه الترمذيُّ عن أنس رضي اللّه عنهما (؟) وصحّحه أنهم لما رأوه يصلّي بأصحابه وهم يصلّون بصلاته ويسجدون معه فعجبوا من طواعية أصحابه لهُ قالوا لقومهم ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللّهِ يَدْعُوْهُ كَادُوْا يَكُوْنُوْنَ عليه لِبَدًا ﴾ .

وثبت في « صحيح مسلم » أنه أتاه داعي الجن مرة أخرى بمكة ، وذَهَب معه وقرأ عليهم القرآن وسألوه الزَّاد فقال لهم : « لكم كُلُّ عَظْمٍ لم يذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوْفرَ ما يكون لَحْما ، وكل بَعرة عَلَفٌ لدوابِكم » فقال صلى الله عليه وسلم : « فَلا تَسْتَنْجُوا بهما فإنهما طعام إخوانكم » . قال عكرمة : وكانُوا اثني عشر ألفا من جزيرة الموصل وَوَردت أحاديث أخر [تدل](٦٦) على تكرار اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان ابن مسعود رضي الله عنه معه في إحدى المرَّات . انتهى كلام العامري(٦٧) .

وقد ذكر الفقهاء في كتبهم أن النبي صلى الله عليه وسلم صلَّى صلاة الخوف ببطن نَخْلَةَ وهي غير هذه لأن شيْخَنَا عالم المدِيْنة(٦٨) . . . [٩ ـ أ] وادٍ يَصُبُّ في يَدَعَان ، به مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبه عسكر هوازن يوم حُنَيْن . السادس درب النخلة في عدة مواضع ببغداد وحلب وغيرهما انتهى كلام ياقوت(٦٩)

أقول : في بعض كلامه هَذَا تَدَاخُلٌ وَوَهْمٌ فإن المشهور الآن بالحجاز موضعان فقط أولها نَخْلَةَ الشامية هذه وفيها قَرْيتان البردان(٧٠) والتَّنْضب(٧١) ، وثانيهما نخلة اليمانية ، وفيها الزَّيْمَة(٧٢) وسَوْلة(٧٣) ، وكل منهما قريب من الأخرى وبينهما جبال ، ومسيل يَصُبُّ أحدهما في الآخر كما تَقدَّم ولم يعرف المسجد المنسوب الى النبي صلى الله عليه وسلم .

ووجدتُ بِخَط والدي الحافظ عز الدين عبد العزيز بن فهد المكي رحمه الله تعالى : أن وادي نَخْلَةَ كان للطَّلْحِيِّيْنَ عَمَرُوه قبل أيام بني أمية ، ثم أخذه بعدهم بنو العباس رضي الله عَنه ، ثم صارت في أول المئة السادسة لهذيل كذا في « منازل الحاج » لأبي عبد الله الإشبيلي(٧٤)

ورأيت أنا في أصل هذا الكتاب غير ما نقله والدي بقوله الصَّواب ولعل نُسْخَته أصحُّ من نُسْختي ولفظها : البستان أهل اليمن يسمونه نَخْلة ، وهي من بلاد بني هلال [٩ ـ ب] من قريش إلا أن سكانها قوم من ولد طلحة بن عبد الله وغيرهم من قريش وأخلاط من النَّاس كثير ، وأن البريد السادس والخمسون (؟) خلف البستان ،وعلى ثلاثة أميال سقاية حماد البربري[٧٥] وعندها بِناء وقصور ونخل يَمْنَةَ الطريق ، ويُسْرةً ، وبالقرب من سقاية حماد البربري سقاية لابن المتبلي المكي وعلى خمسة أميال من البستان بئر لابن جميل وسقاية تُعرف بحماده امرأة من أهل البصرة انتهى .

أقول : ولعل سقاية حماد هي البركة التي في علو وادي نَخْلة وقد ذكرتُ ذلك مُبَيَّنًا في مؤلفي للأودية المسمى « حسن القرى في أودية أم القرى »[٧٦] وشاهدت بوادي نخلة الشامية بيوتًا قديمة جاهلية يقال : إنها محلّ سوق عكاظ ، التي وقع فيها لِقَسٍّ بن ساعدة الاتعاظ .

وحدث فيها عدة حروب في أيام الجاهلية سميت بالفجار بكسر الفاء على لغة مروية . وقال الإمام الجوهري في الصحاح : والفجار يوم من ايام العرب وهي أربعة أفْجِرةٍ كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عَيْلانَ في الجاهلية وكان[٧٧][١٠ ـ أ] . . . . . وقيدت[٧٨] بنو أمية فيه أنْفُسَهم ، وحافظتْ مخزوم فصَبَرت ، وبنو عبد مناة بن كنانة ليعفى على صنيعها وصنيع بَلعاء يوم شيطمة[٧٩] وصابَرَتْ مضر[٨٠] وثقيف ، وذلك أن عكاظ بلد لهم به نخل وأموال فلم يغنوا شيئًا فقاتلوا حتى أمسوا وانْهَزَمُوا . وذكر شعر لابن الزِّبَعْرَى يَمْدح به نَفَرًا من قريش .

ثم قال : وحدثني الزبير بن أبي بكر قال حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال : الْعَنَابِسُ حرب وأبو حرب ، وسفيان[٨١] وأبو سفيان بنُو أمية ، وإنما سُمُّوْا الْعَنَابِسَ لأنهم عَقَلُوْ أنْفُسَهُمْ يوم عكاظ ، وقاتلوا قتالًا شديدًا فَشُبِّهُوْا بِالأَسْدِ ، والأَسَدَ يقال له الْعَنْبَس . قال : وحدثنا الزبير بن أبي بكر قال : حدثني مصعب بن عثمان ومحمد بن الضحاك الحُزامي : أن خويلد بن أسد كان يوم عكاظ على بني[٨٢] أسد بن عبد العزى .

ذكر يوم الحُرَيْرَة : حدثني الازدي حسن بن حسين قال حدثني محمد بن حبيب الهاشمي عن أبي عُبيدة قال : كانت فيه الدائرة لهوازن على كنانة وهو آخر أيامهم وهي بحزَّة[٨٣] الى جنب عكاظ مما يلي مَهَب جَنُوبها لمن يُقْبل يريد مكة من مهبّ صباها[٨٤] حتى يَنْقطع[٨٥] دوين قرن ، فكان رؤساؤهم الذين كانوا [١٠ - ب] إلاّ بلعاء[٨٦] فإنه مات ، وكان بعده الرئيس عليهم جثامة[٨٧] ابن قيس ، وقيل يومئذ أبو سفيان بن أمية ومن كنانة ثلاثة رهط قتلهم عثمان بن أسيد بن مالك بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وقتل ورقاء بن الحارث ابن مالك بن ربيعة بن عمرو بن عامر أباكتف[٨٨] [وابني اياس][٨٩] وعمرو وابن أيوب ، وقد ذكرهم خداش بن زهير في شعره .

فهذه أيام الفجار الخمسة التي تزاحفوا فيها في اربع سنين أولهن : يوم نخلة حين تبعتهم هوازن فكان كفافا[٩٠] لا على هؤلاء ولا على هؤلائك . ثم يوم شيطمة[٩١] فكان لهوازن على كنانة ، ثم يوم عكاظ الأول وهو يوم العَبَلاء وكان لهوازن على كنانة ، ويوم عكاظ الثاني وهو يوم شِرب ، كان لبني كنانة على هوازن ولم يكن بينهم يوم أعظم منه . ثم يوم الحُرَيْرة وهو آخر أيام [مزاحفاتهم][٩٢] .

قال الفاكهي[٩٣] رحمه الله . ثم كان الرجل يلقي الرّجل أو الرجلين أو اكثر من ذالك أو أقل فيقتتلون فربّما قتل بعضهم بعضا فلقى ابن محمّيه أخو بني الديل ابن بكر أباخداش[٩٤] بن زهير بالصفاح[٩٥] ، فقال[٩٦] ابن زهير : اني حرام جئتُ مُعْتَمِرًا [١١ - أ] فقال : لا تلقى الدهر[٩٧] إلاّ قلت معتمرا فقتله ثم ندم فقال :

اللهم إنَّ العامريَّ الْمُعْتَمِرْ ... لَم آتِ فيه عُذْرًا لِمُعْتَذِرْ

ثم ان الناس تَدَاعو الى السلم على أن يُدىَ[٩٨] الفضْل من القَتْلَى التي فيهم أي الفريقين أفضل على الآخر ، فتواعَدُوا عكاظًا ليتعَادُّوْا القتلى ، وتعاقدوا وتواثقوا ان يتموا على ذلك ، وجعلوا بينهم أمدا يلتقون فيه لذَلك ، فأبَى ذالك وهب بن معتب[٩٩] وخالف على قومه وجعل لا يْرضَى بذالك حتى يدركوا آثارهم فقال في ذالك أمية بن جدعان بن الأشكر :

المرء وهب وهب آل معتب[١٠٠] مَلَّ الْغُوَاة وأَنْتَ[١٠١] لَمَا تَمْلَلِ
تَسْعَى تقوِّدَها بحول[١٠٢] وقودها وإذَا بقايَا صُلْح قَوْمِكَ تأتلِي[١٠٣]

وهي في شعره واندس وهب حتى مكرت هوازن بكنانة وهم على رأس الصّلح ، فبعثت خيلاً عليها سلمة بن شعل البكّائي وخالد بن هوذة ، فيهم ناس من بني هلال ، وجعل مالك يقاتل ويرتجز وهو أمرد يومئذ يقول : أَمْرَدُ يَهْدِي حِلْمَهُ مشيب اللحا[١٠٤]

وهو أول يوم ذكر فيه مالك بن عوف ، فقتلت بنو مذحج[١٠٥] يومئذ عبيد بن عوف البكائي وسبيع بن المومل[١٠٦] من حصن[١٠٧] (؟) محارب ثم انهزمت بنو ليث ، فاستحر القتل ببني الملوح بن يعمر ، فقتلوا منهم ثلاثين رجلاً [سوى نساء][١٠٨] وساقوا نعما ثم أقبلوا فعرضت لهم خزاعة وطمعوا فيهم فقاتلوهم فلما رأوا أنهم لا يَدَ لهم بهم قالوا : عرضونا [١١ ـ ب] من غَنيمتكم عراضة ، فأبوا فخلُّوا سربهم[١٠٩] [فقال مالك بن عوف[١١٠] .

نحن جلبنا الخيل مِنْ بَطْنِ لِيَّةٍ وجِلْذَان قُبّا خَافِيَاتٍ وَوُقَّفَا
تواعد ضيطارو خزاعة حربنا وما وجدت ضيطار تقلب مصحفا[١١١]

ثم ان الناس تداعوا إلى الصّلح ورهَنُوا رَهْنا بالوفاء بديات من كان له الفضل في القَتْلى ، وتم الصُّلْح ، ووضعت الحربُ أوزارها انتهى كلام الفاكهي في حروبها .

واقتصرت هنا على الوارد من أخبارها ، في سوق عكاظ وأيامها ، وإن حصل فيه التطويل استفدنا منه الغرض الجزيل ، ونحمد الله تعالى اذ هدانا للاسلام ، وجَنّبنا طريق أهل الشرك الجهلة الطغام ، ومَنَّ علينا بشريعة نبيّنا محمد عليه افضل الصّلاة والسلام ، فنسأله استمرار ذلك إلى يوم القيام ، وأن يهدينا إلى سواء السبيل إنه بالآمال كفيل وهو حَسْبنا ونعم الوكيل نعم[١١٢] المولى ونعم النّصير ، انتهت كتابة هذا التّاليف اللّطيف ، المسمى « بالاتعاظ[١١٣] بما ورد في يوم عكاظ » في يومين متواليين أحدهما يوم الجمعة ثاني ربيع الثاني عام ستّ وأربعين وتسع مئة بمكة المشرفة ثم كتبت هذه النسخة الثانية في مجلسَين آخرين

آخرهما في يوم الأحد تاسع شهر تاريخه وعامه بالمسجد الحرام ، تجاه ميزاب سُحَب الانعام ، على يد مؤلفه وراقم حروفه الفقير الحقير ، الراجي عفو ربه (القدير) محمد المدعو جار الله بن عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمي المكي الشافعي لطف الله به والمسلمين اجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

تحقيق : عبد الله بن محمد الحبشي

الهــــوامش :

(١) علق المؤلف بهامش المخطوطة أنه الشجاع الماهر أبو محمد عامر بن القائد الكبير زين الدين مفتاح البقيري الحبشي عتيق امير مكة سيدي بن بركات الحسني ومقدمه على امواله ومن بعده على أولاده .

(٢) حياته من سنة ٨٥٠ الى سنة ٩٢٠ . الضوء اللامع ٤: ٢٢٤ والكواكب السائرة ١ : ٢٣٨و شذرات الذهب ١٠٤٨ والاعلام ٤: ٢٤ .

(٣) حياته من سنة ٨١٢ الى سنة ٨٨٥ . الضوء اللامع ٦: ١٢٦ والبدر الطالع ١: ٥١٢و الاعلام ٥: ٦٣

(٤) اشارة الى تحويل السَّند

(٥) كذا تقرأ في الاصل وربما قرأت هكذا (بعلوم مه)

(٦) ترجمته في الضوء اللامع ٩: ١٩ وفيه مولده سنة ٨٠٧ ووفاته سنة ٨٩٤

(٧) هو مؤرخ مكة عاش بين سنتي ٧٧٥ ـ ٨٣٢ . الضوء اللامع ٧: ١٨ والاعلام ٥: ٢٣١

(٨) « شفاء الغرام » ٢: ٢٨٢ ط العلمية المصورة .

(٩) في الأصل العنساري

(١٠) سقط من الأصل وأضفناه من « شفاء الغرام »

(١١) أنظر هذا السند في أول كتاب « شفاء الغرام » ١ : ٩ ط العلمية المصورة .

(١٢) تاريخ مكة للازرقي ١ : ١٧٩ .

(١٣) تاريخ مكة (عثمان) وهو الصواب .

(١٤) تاريخ مكة ١ : ١٨٧ وشفاء الغرام ٢: ٢٨٢ .

(١٥) تاريخ مكة (مداعيهم) والشفاء : (مراعيهم) كما هو هنا.

(١٦) المجنة سوق بأسفل مكة بمر الظهران المعروف اليوم بوادي فاطمة قرب جبل يقال له الأسفل ا هـ من هامش الأزرقي وانظر المناسك المنسوب للحربي ٦٥٣ .

(١٧) ذو المجاز سوق بعرفة على ناحية كبكب . من هامش الأزرقي ١ : ١٨٨ وانظر المناسك ٥٠٩ .

(١٨) ساقط من مطبوعة « شفاء الغرام » .

(١٩) « شفاء الغرام » : ثم يخرجون لذي المجاز فيقيمون بها الى يوم التروية ويخرجون يوم التروية من ذي المجاز الى عرفة فيتروون .... الخ .. وما جاء عند المؤلف في الأزرقي .

(٢٠) كذا في الاصل والازرقي والشفاء : ترووا .

(٢١) الحُمْسُ : قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس وهم فهم وعدوان ابناء عمرو بن قيس عيلان وبنوعامر بن صعصعة هولاء الحمس سموا حُمْسًا لأنهم تحمسوا في دينهم أي تَشَدَّدوا قال : وكانت الحمس =

= سكان الحرم وكانوا لا يخرجون ايام المواسم الى عرفات انما يقفون بالمزدلفة ويقولون : نحن أهل الله ولا نخرج من الحرم وصارت بنو عامر من الحمس وليسوا من ساكني الحرم لأن امهم قرشية . انظر اللسان ٦ : ٥٨ وشفاء الغرام ٢ : ٤١ .

(٢٢) زيادة من عند المؤلف .
(٢٣) في الشفاء « غرة » وما جاء في تاريخ مكة للازرقي .
(٢٤) زيادة عند المؤلف .
(٢٥) تاريخ مكة ١ : ١٨٨ وشفاء الغرام ٢ : ٢٨٢
(٢٦) الآية : ١٩٨ سورة البقرة .
(٢٧) « الكامل » لابن الاثير ٥ : ٢٥ ط العلمية (وهوشيبان الحروري) .
(٢٨) الأزرقي ١ : ١٨٨ - ١٩٠ و « شفاء الغرام » ٢ : ٢٨٢ - ٢٨٣ .
(٢٩) الأزرقي ١ : ١٩ وشفاء الغرام ٢ : ٢٨٣
(٣٠) أنظر « نهاية الأرب » للقلقشندي : ٤٠٣ - ٤٠٤ ط دار الكتب الاسلامية سنة ١٤٠٠ .
(٣١) مابين المعقوفتين الحاق بخط المؤلف من هامش النسخة .
(٣٢) البيتان في الأزرقي ١ : ١٩١ و « شفاء الغليل » ٢ : ٢٨٣ .
(٣٣) كذا في الاصل وفي الأزرقي و « شفاء الغليل » : (بفخ) .
(٣٤) حباشة : اكتفى ياقوت والزبيدي بقولهما : إنه سوق تهامة القديمة وهي سوق لقنيقاع (من هامش الازرقي ١ : ١٩١)
(٣٥) ذكرها الزبيدي في التاج باسم (الوصم) وقال إنها قرية باليمن (من هامش الأزرقي) .
(٣٦) بارق : واد عظيم من أعظم الاودية اتساعًا بين محايل والقنفذة في تهامة عسير انظر (الازرقي هامش) .
(٣٧) القلقشَنْدي « نهاية الأرب » . ٣٩ .
(٣٨) زيادة ملحقة بخط المؤلف . (٣٩) زيادة عند المؤلف .
(٤٠) الازرقي ١ : ١٩١ - ١٩٢ و « شفاء الغرام » ٢ : ٢٨٣ .
(٤١) « شفاء الغرام » ١ : ٢٨٣ .
(٤٢) كذا في الاصل بخط المصنف وهو سبق قلم . صوابه « القاضي عياض » كما في « شفاء الغرام » (المطبوعة) . والله اعلم إلا أن يكون الخطأ وقع في المطبوعة فتصحح وهذا ما أميل إليه لقرب الرواية الآتية بين الفاكهي وابن اسحق .
(٤٣) مطبوعة الشفاء بمر .
(٤٤) زيادة من « شفاء الغرام » لعله سقط على المؤلف سهواً .
(٤٥) النقل هنا عن « شفاء الغرام » .
(٤٦) ساقط من الاصل . (٤٧) ساقط من الشفاء . (٤٨) « الشفاء » يسترجع .
(٤٩) زيادة بهامش النسخة للمؤلف .
(٥٠) ابن الاثير : « النهاية في غريب الحديث » ٢ : ٥٢١ .
(٥١) كذا في الأصل و « الشفاء » : الوجه .
(٥٢) « الشفاء » الجبالى .
(٥٣) الكلام هنا للفاسي في « شفاء الغرام » ٢ : ٢٨٤ .
(٥٤) « الشفاء » بجبل .
(٥٥) انظر « شفاء الغرام » ٢ : ٢٨٢ - ٢٨٥ .
(٥٦) ترجمته في « الضوء اللامع » ٥ : ٢٠٣ .

(٥٧) كذا في الأصل صوابه أربع وعشرين .
(٥٨) طبع اخيرا ضمن منشورات جامعة ام القرى . ولم نقف عليه .
(٥٩) الآية ٢٩ سورة الاحقاف .
(٦٠) كذا عند المؤلف رحمه الله وقد تبادر إلى ذهنه العلامة النحوي عبد الله بن يوسف بن هشام المتوفى سنة ٧٦١ صوابه عبد الملك بن هشام المؤرخ المتوفى سنة ٢١٣ وكلاهما مشهور معروف .
ولكن قول ابن فهد : وقال الامام أبو بكر بن محمد بن اسحاق المطلبي يظهران فيه نقصا فليس صاحب السيرة ابابكر .
(٦١) سورة الجن الآية : ١ .
(٦٢) انظر « سيرة ابن هشام » ١ : ٢٦٦ ط دار التراث .
(٦٣) « بهجة المحافل » ١ : ١٢٣ .
(٦٤) في الأصل : ليتنذ وأصلحناه من « بهجة المحافل » .
(٦٥) في « البهجة » استماع . (٦٦) زيادة في « المحافل » .
(٦٧) انظر « بهجة المحافل » ١ : ١٢٣ - ١٢٤ .
(٦٨) هنا سقطت ورقة من الأصل فيها الكلام على وادي نخلة .
(٦٩) أنظر ياقوت الحموي : « معجم البلدان » ٥ : ٢٧٧ ويقارن هذا النّص بكتاب المشترك وَضْعًا والمختلف صقعًا لياقوت وهو لا يحضرني الان .
(٧٠) — (٧٣) « المناسك » : ٣٥٤ - ٣٥٥ .
(٧٤) هو أبو عبد الله محمد بن محمد البكري العطار الشافعي المتوفى سنة ٨٤٠ انظر ترجمته في « الضوء اللامع » ٩ : ٣ و « هدية العارفين » ٢ : ١٩١ و « معجم المؤلفين » ١١ : ٢٧٣ وفي نسبته إلى اشبيلية نظر .
(٧٥) هو والي اليمن و « تاريخ اليعقوبي » ٢ : ٤١٢ .
(٧٦) نشر ضمن اعداد مجلة العرب س ١٣ ص ٤٦٤ وس ١٨ ص ١٨٧ فينظر هنالك .
(٧٧) هنا سقطت ورقة من الأصل فيها الكلام على حرب الفجار وأغلبه منقول عن « شفاء الغرام » ٢ : ٩٢ - ٩٥ .
(٧٨) هنا بقية الكلام عن يوم شرب من أيام الفجار انظره بنصه في « شفاء الغرام » ٢ : ٩٤ .
(٧٩) « شفاء الغرام » (شطيمة) وفي أيام العرب لجاد المولى : ٣٣١ « شمطة » .
(٨٠) « شفاء الغرام » (نصر) .
(٨١) ساقط من « شفاء الغرام » .
(٨٢) « شفاء الغرام » : ابن أسد .
(٨٣) كذا في الأصل وفي « شفاء الغرام » (وجزيرة الى جنب عكاظ) والصواب وهي حرة الى جنب عكاظ .
(٨٤) « شفاء الغرام » (شمالها) قال وفي نسخة (صبابها) كذا .
(٨٥) شفاء الغرام « يقطع » .
(٨٦) كذا في الأصل ولعله سقم في نسخه ابن فهد (مؤلف الكتاب) من شفاء الغرام وفي المطبوعة - أي من شفاء الغرام - هكذا (فكان رؤساؤهم الذين كانو قبلا الا قيسا فإنه مات وكان بعده) الخ . . .
(٨٧) « شفاء الغرام » (مختار) .
(٨٨) « شفاء الغرام » : أبا مكنف .
(٨٩) ساقط من « شفاء الغرام » .
(٩٠) « شفاء الغرام » : كفاها .
(٩١) « شفاء الغرام » شطيمة بتقديم الطاء على الياء والصواب (شمطة) .

←

من تاريخ الدولة السعودية الأولى
في المؤلفات اليمنية

ـ ٢ ـ

قال المؤرخ اليمني جحّاف في «درر نحور الحور»: سنة ١١٨٩هـ (ص٨٠):
وفي هذا العام غَزَتْ قبائلُ عبد العزيز النجدِي إلى بداوات نَجْرَان، فالتفَتْ عليهم قبائل يام فكانتْ مُلْحَمَة دارتْ بها الدائرة على أهْلِ نَجْدٍ، وذالك أوَّلُ أمْرٍ نَجم لهذه الطائفة بجهات اليمن. وقد تكلم الناس في هذه الفتنة قديماً وحديثاً، وكان أوَّل ماتحدث الناسُ عنهم لمَّا كاتبهم علاَّمة الدنيا البدر السيد محمد بن إسماعيل الأمير، وأرسل بتلك القصيدة إلى رئيسهم الداعي لهم إلى التوحيد، محمد بن عبد الوهاب، وأثْنَى عليه وأوَّلَهَا. ←

→ (٩٢) ساقط من «شفاء الغرام» ولعله من عند المؤلف.

(٩٣) النقل هنا عن «شفاء الغرام» و«تاريخ مكة» للفاكهي طبع أخيرًا بتحقيق الشيخ عبد الملك بن دهيش، ولكن الاخبار المتعلقة بحروب الفجار في القسم المفقود من الكتاب الذي لم يطبع سوى القسم الاخير منه.

(٩٤) في الأصل اناخلاس وأصلحناه من «الشفاء».

(٩٥) الصفاح موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسار الداخل الى مكة من مشاش «شفاء الغرام».

(٩٦) «شفاء الغرام»: أخو زهير.

(٩٧) كذا وفي «شفاء الغرام» (الدين أن قلت معتمرا).

(٩٨) «الشفاء» (يرى). (٩٩) «الشفاء» (متعب). (١٠٠) «الشفاء» (متعبة)

(١٠١) «الشفاء» (مل الغواة وان يماطل يملل).

(١٠٢) «الشفاء» (يسعى يعوذها بجزل وقودها).

(١٠٣) «الشفاء» (واذا تعابى صلح قومك فاعمل).

(١٠٤) كذا في الأصل وفي «الشفاء» أمرد بهدي حلة شيب اللحاء.

(١٠٥) الشفاء «مدْلج».

(١٠٦) الشفاء «بن ابي المؤمل».

(١٠٧) كذا في الأصل وفي الشفاء «من بني محارب».

(١٠٨) زيادة من عند المؤلف لا توجد في الشفاء وهي زيادة غير موفقة لأن العرب لا تقتل النساء. والله اعلم (قلت يرجع الى أصله تاريخ الفاكهي فعنده الخبر اليقين).

(١٠٩) كذا في الاصل وفي الشفاء (سبيلهم).

(١١٠) وردا مضطربين في الاصل فأصلحناه من الاغاني ١٣:٣ط دار الفكر.

(١١١) ساقط من الشفاء ولعل المؤلف نقله من تاريخ مكة للفاكهي مباشرة فيحقق.

(١١٢) الأصل: هم. (١١٣) قد تقرأ (بالايقاظ).

← ثم أورد القصيدة، واسترسل في الكلام عن دعوة الشيخ محمد، مما سيأتي مُفَصَّلاً في مبحث آخر.

إضافة:

١ ـ كلمة (بداوات) يقصد بها (بدو) وهي كلمة عامية لا تؤدي هذا المعنى، إذْ البدوات لها معنى آخرْ ولكن المؤلف يستعمل كثيراً من الكلمات والتعابير العامية.

٢ ـ الوقعة التي يشير اليها هي وقعة الحائر التي فصلها ابن غنام وابن بشر في تاريخيهما في حوادث سنة ١١٧٨هـ، وفيها قال ابن بشر: في هذه السنة في ربيع الأول كانت وقعة الحائر المشهور (بحائر سُبَيْع) بين الخرج والرياض وسبب ذالك أن العُجْمَان لما قتل منهم من قتل، وأسر من أسر في (قِذْلَة) جدُّوا في المسير إلى نجران، فشكوا لصاحب نجران ولسائر قبائلهم من يام المعروفين بالوعلة إلى آخر ماذكر.

أما سبب هذه الوقعة فقد فصلها أيضاً فقال في حوادث سنة ١١٧٧هـ: وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز إلى سُدَيْرَ إلى أن قالَ: ثم إن عبد العزيز رحل من سُدَيْرٍ رَاجِعاً فلما وصل بلدة رَغْبَةَ بلغه خبر غزو من الْعُجْمَان قد أخذوا فريقاً من سُبَيْعْ فَجَدَّ في طلبهم حتى أدركهم في موضع يسمى قِذْلَة بين بلد القُوَيْعِيَّة والنفود، فأحاط بهم وقتل منهم خمسين رجلاً منهم ابن طهمان وقتل من المجاذمة عشرون رجلاً، وأسر منهم نحو المئتين واستأصل ركابهم وخيلهم وهم قريب أربع مئة مطيَّة، ورِكَابُ عبد العزيز لاتزيد على المئة وخيله أربعون فرساً، وكانت هذه الوقعة هي سبب مسير أهل نجران. انتهى.

إذن فقد سار أهل نجران لأخذ ثأر مَنْ قتل من قومهم العجمان، أما المجاذمة وهاؤلاء ليسوا من العُجْمَان بل أصلهم من قبيلة زِغْب من بني سُلَيْمٍ ولكنهم دخلوا في قبيلة الدواسر سكان الوادي، ومن بطونهم الوهابا، وآل موقن والخوران، والوهابا واحدهم وَهِيْبِي، فرع رئاسي في الدواسر منهم فهاد الوهيبي عقيد معروف في الدواسر، وبقيتهم الآن مع المصارير من بطون الدواسر.

سنة ١٢١١هـ قال صاحب كتاب «درر نحور الحور»: ـ وفيها كانتْ وَقْعَةُ

الخُرْمَةِ ـ بخاءٍ معجمة مضمومة، فراءٍ مهملة ساكنة، فميم مفتوحة، فتاء تأنيث ـ مَحَلَّةٌ على ثماني مراحل من مكة المشرفة.

خرج الشريف غالبُ بن مُسَاعد إلى بِيْشَةَ في أربعة آلاف مقاتل، فحدَّثنا سرور مملوك الشريف غالب، بحضرة سيف الإسلام، عام عشرين ومئتين وألْف، أنه كان محبوسا بالقنفذة، عام تسع ومئتين في جماعة، بَقي في الْحَبْس هنالك ثمانية أشهر مع رفقته، وأُخْرجوا إلى محل آخر فحبسوا به شهرين، قال لنا: سأُحدثكم عن مَلْحَمَةِ الْخُرْمَةِ: مازال الشريف غالب يتتبع آثارَ الموهبَيَّةِ بما حادَدَهُ من البلاد وأوقع بهم مَرَّاتٍ، ولما كان شوال في هذا العام سنة تسع سَارَ في نحو ثمانية آلاف، وأظهر قُوَّةً ما أظهرها من قَبْل، فوصل إلى الْخُرْمَةِ، وهو آمِنٌ من جنود عبد العزيز، وكان قدْ عَاثَ هنالك، فلاقته جنودُ نَجْدٍ، يقودهم ستة من الأمراء، منهم الأمير ابْنُ قَرْمَلَةَ ـ بقاف مفتوحة فراء مهملة ساكنة فميم مفتوحة فلام فتاء تأنيث ـ في نحو الألفين، قُلْتُ: ومن قبائله عَبِيْدَةُ ووادِعَةُ وسَنْحان الشام.

ومنهم الأمير سالم بن شُكْبَان ـ بشين معجمة مضمومة بعدها كاف ساكنة فموحدة فألف ونون ـ أمير بِيْشَةَ، في جيش من قبائله، قلت: واليه ذهبانُ الشام، ودرب العقيدة، ودرب سلمان ووقشة قال: وكان في ألفٍ منهم ومنهم الأمير ابن قُطْنان ـ بضم القاف بعد ها طاء مهملة فنون فألف فنون ـ في نحو خمس عشرة مئة، ومنهم الأمير ابن غِشْيان ـ بكسر الغين المعجمة فشين معجمة ساكنة فتحتانية مثناة، وألف فنون ـ في نحو الست مئة.

ومنهم الأمير رُبَيِّع ـ تصغير رَبِيْع الشهر ـ في نحو الألفين.

والأمير جَهّار صاحب الْقُوْعيَّة ـ بجيم مفتوحة فهاء مشددة فألف فراء معجمة ـ والقُوْعِيَّةُ ـ بقاف مضمومة بعدها واو ساكنة فعين مهملة فياء مشددة مثناة تحتانية فتاء تأنيث ـ في ألف.

فكان هنالك المصاف، تقدم فيه اليوم الأول ابنُ قَرْمَلَة، وكانت به الدائرة عليه، فأخذوا في حملتهم ما أَجْلَبَ به ابنُ قَرْمَلَة، فلما عاد جيش غالب مكانه طلب منهم الشريفُ غالبُ بعضَ الغنيمة فامتنعوا، فألزمهم، فسلموا المطلوب

له، وكان انكسارُ ابْنِ قرملة باليوم الأول إلى قصر الأمير ابن قُطنان، وحُصِرتْ قَتْلى ابن قرملة في اليوم الأول فكانوا قريبا من المئة، فاستدعَى ابنُ قرملة القبائل الملتفة للقاء غالب، فأقبلتْ من أغوار تلك الجهة، وقامت الحرب، واشتدَّ الطعنُ والضرب، والتحم القتال، وتلاقَى الأبطال، فثابر غالبٌ على الجلاَدِ أكثرَ يومه، والقتل مسرعاً في قومه، وعقِرت فَرَسُهُ من تحته، وكان عليها وأَنْتُهِبَتْ خَزْنَتُهُ، وكانت عن يمينه وشماله، ولما حازوها تهالكوا عليها، ومدُّوا أيديهم إليها، وأتوا على مافيها وهنالك كانت الملحمة العظمى، حتى خاضت الأقدامُ الدما وكثر القتل في الموهبة، إلَّا أنهم اشتدُّوا بالكثرة لَتَبَدَّدَ جيش الشريف، ولم يبقَ إلا في نفر ضعيف، ممن له محبة، ومضى كل نفر من جند الشريف قِبَلَ وجهه، وحُصِرَتْ قتلاه بذالك المحلّ فكانوا بين مصاب وجريح ثمان مئة وعُقِرَتْ عليه عشرون فرسا، قتل من ركابها ثمانية، وعاد آخر يومه قافلا نحو مكة فدخلها وَقَدْ فُتَّ في عَضُدِهِ، واستعرضَ الداخلين فكانوا قريب المئتين،وتفرق البقية أيدي سبا، إلا أنه لم يَنْحَسِم له جُرَحٌ من تلك الداهية، ومازالت عينه في لياليه ساهرةً باكية، يتضرب في الآراء، ويستشير الكبراء، فيقدم رِجْلاً ويؤخِّرُ أُخْرى، فحمله بَأْسُهُ على تَعْبِيَةِ الأزواد، وإعادة فرض الجهاد، فطلب قبائلَه من كل وِجْهَةٍ، فوصل إليه بعض وتخلف آخرون فسار عن مكة، واقام بالطائف نحوا من شهرين واستعرض جندَه فكانوا في ثلاثة آلاف، فسار بهم يطوي البيداءَ فبلغ محلة يقال لها التربة، فنزل بها يوما، فورد الأمير ابنُ قَرْمَلَةَ ورُبَيِّعُ في اليوم الآخر للغارة، فتصافُّوا بها للقتال أربعة أيام، فانتصف منهم، وأخرجهم في النخيل، والقُرَى، وغنم ثلاثين فرسا قُتِلَ عليها ركابُها، وأخذ أربعين مطيَّةً مثقلةً بالزاد، وقتل ثمان مئة وثلاثين رجلا من حملة السلاح، وفقد من أصحابه خمسة عشر، وعاد لايَلْوِي على أحد وبلغ إلى الْقُرَيِّ تصغير قرية مذكرا فملكها فتسلم مابها، وأسر كبيرها الشيخ ابن عَيَّاف ــ بفتح المهملة فمثناة تحتانية فألف ففاء ــ وبقي بها نحواً من أسبوع، هذا وهو يدَلِّي العيون إلى جميع الجهات، حذراً على نفسه من الآفات، ثم دعا إليه الشيخ ابن عياف، فأجابه، فعطف عليه، واستماله إليه، ودعاه إلى أَنْ يعاهده فعاهده، وسارَ عنه، فَحفظَ له العهد عاما ونكث، وتَأَوَّى إليه الأبطال، وَأزمع

على المصاولة والقتال، ومازال على الحال، حتى صحب عثمان المضايفي بعد أنْ رَاسَلَهُ وَمنَّاه، ووَعَدَهُ العداة، وأرسل اليه بخمس مئة قرش فرانصه، حتى كان من أمر المضايفي ماكان، فإنه أوَّلاً خرج عن بلد الله الحرام، قاصدا للشيخ ابن عياف، على كتم من الشريف غالب، وعدم معرفة له بما دار بينه وبين الشيخ ابن عياف، وكان مسيره بإذْنٍ من غالب، فإنه خرج بكتاب منه إلى عبد العزيز، يدعو إلى الهدنة والمصالحة، فلما بلغ إلى الشيخ ابن عياف أفهمه بمراده فقال: دَعْ هذا، وتوقف حتى أبعث إلى الشيخ عبد العزيز بمسيرك، وأرفع لك قدراً عنده، فسار البريد، ليقضي لإبنْ عياف مايريد، فاستدعاه، واستحثه في المبادرة إلى لقاه ولما بلغ مقام عبد العزيز أدناه ورغبه أن يسعى في هواه، ووعده الخير وأعظم أمره، وحقَّرَ له عطية الشريف، ثم طلبه إلى المعاهدة فعاهد على الموت، وأعطاه فرساً وعبدينِ وجاريةً وسيفا، وأمره بالجهاد، فسار عنه لايظهر أمراً من الخلاف، وقد حمل معه كتابا تَضَمَّنَ الهدنة والإئْتِلاَف، ودخل مكة، ووجهه وجهُ الصلاح، ومازال يستخرج أمواله، ويخلص نفسه، حتى فرَّ إلى صاحب نجد، عام اثني عشَرَ تقريبا، وقد أتينا على أحواله مفصلة وماكان منه في كتابنا هذا عند تَعَرُّضِنَا لأحوالِ السنين، وماكان من أمره مع غالب.

اضافـــة: ــ

١ ــ الخُرْمَةَ الآن بلدة تقع في ثِنْيِ وادي تربة في أسفله، تتبعها قرى كثيرة.

٢ ــ ووقعة الخرمة هذه فصلها ابن بشر في حوادث سنة ١٢١٢هـ، وقال بعد إيرادها: ولم يلبث الشريف غالب بعدها أن صالح عبد العزيز وبايعه وأذن له في الحج.

٣ ــ كلمة (الموهبة) يقصد بها المؤرخ أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٤ ــ قول المؤرخ أن (ذهبان الشام، ودرب العقيدة، ودرب سلمان ووقشة) من أتباع الأمير سالم بن شكبان، لاأدري ماوجه صحته.

٥ ــ ابن غِشْيان: الصواب: ابن غُشَيَّان ــ بضم الغين وفتح الشين، وبالمثناة التحتية المشددة بعدها ألف فنون، أسرة معروفة. ←

مواضع بين الخرمة ورَنْية(*)

- ٣ -

ضَبُع : أوله ضاد معجمة مفتوحة ثم باء موحدة ثم عين بلفظ الضَّبُع من السباع - : جبل واقع في مَرْتٍ من الأرض ، حوله جبال صغيرة ، يبعد عن طريق الخُرمة الى رَنْية عشرة أكيال بينه وبين الطريق وادي الناصفة [انظر العرب ٧٧/٢٦] ويبعد عن الخرمة ٨٥ كيلاً إلى الشرق .

والأرض بين ضبع والطريق حزون وأودية فيها نباتَاتٌ من الثُّمام والْقَطَفِ ، وإلى الشرق والغرب أرض منبسطة بها نباتات يسميها الأهالي (خُنَازى) ، وتسمى في شمال المملكة (السيكران) .

وإذا جاوزنا جبل ضبع شاهدنا جنوباً سنافين أحمرين بجوار وادي الناصفة ، وراءهما جبال (يعومة)وأرض ضبع حمراء جبالها وسنفانها يقابلها من جهة طريق رنْيَة وادٍ صغير يسمى وادي الْبُتَيْرَا يتجه إلى الشمال الشرقي من حرّة تسمى باسْمِه ، ويعارض وادي الناصفة والأرض في هذا الوادي وما حولها رمليّة حمراء ، شبيهة بتربة حثاق (العرب ٢٥ /٢٢٧) ويرى على البعد يميناً أكيمات وحزون متطامنة وخباري مثل خبرا السجرا التي يغذيها واديان أحدهما يسيل إلى النويصفة .

وقد سمي ضبع بهذا الاسم لكثرة ما عليه من الحجارة التي كأنها منضدة تشبيها ←

→ ٦ - (جهار صاحب القوعية): الكلمتان بحاجة إلى تصحيح ، و(جهار) لاأدري صوابها أما (القوعية) فصوابها: (القُوَيْعِيَّة) البلدة التي هي قاعدة العِرْض.

٧ - كلمة (التربة) صوابها: (تُرَبَة) بدون تعريف، ووقعتها التي أشار اليها المؤرخ اليمني ذكرها ابن بشر في حوادث سنة ١٢١٠هـ، أي قبل وقعة الخرمة .

٨ - القريُّ وابن عياف صاحبه: لم أرَ لهما ذكراً عند مؤرخي نجد الذين اطلعتُ على كلامهم .

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

← لها بالضبع وعُرْفِها ، لأن للضبع عُرْفاً ، وقد أورده ياقوت في معجمه وقال : هو اسم جبل ، ويوجد العديد من الجبال بهذا الاسم[١] قال أعرابي :

خَلِيلَيَّ ذُمَّا الْعَيْشَ إلاَّ لَيَالِيًا بِـذِيْ ضَبُعٍ سُقْيًا لَهُنَّ لَيَالِيًا

وأرض ضبع مرتفعة قليلاً تكثر فيها أشجار الأشبهان (القتاد) بينه وبين جبل (تِينْ) أرض المعاشير ، وهي أودية يكثر فيها النَّصِيُّ والرِّمْثُ والثُّمَامُ ، وأشجار أخرى ذكرها فؤاد حمزة وقال : أرض المعاشير بالقرب من تِيْن .

وقال في كتاب « بلاد عسير »[٢] أرض شعيب الناصفة وبقربه ضلعان أبو سنون ، وضبع واليعايم .

وقال شاعر من قحطان يَحِنُّ إلى أرض قومه .

وِمَشْهَاةْ قَلْبِي لا تَعَدَّيْتْ ضَبْعْ وتين وحَطَّيْت رَنْيَةْ ، وَالْمَصَالِيخْ من دُوْنِي[٣]
تَنَحَّرْت رَبْعٍ دَايْم فَالّلقَا ذَرْبِينْ (قَحَاطِينْ) لاَ صَاحْ المنادِي يُلَبُّونِ

وقال مُهَنا بن شُلَيِّه[٤]

جِينَا مْنَ الصَّمَّانِ نَبْغِي ضِلْعنَا نَبِي ضِلْعَنَا نَرْعَىٰ الْحَيَا فِي حَضَايْبه
وْجِينـا فِي مْثَنَاة ضَبْـعٍ وَاقْمْـنَـا وَجَتْنَا مْن الْعُدْوَان فِي غَيْر وَاجبه

وقال أبو حمزة العامري السبيعي[٥]

أَيْنْ ضْبَيْعِي فِي دَعَاثِيرْ الغَضَـا مَقْصَـدْ مَغِيْبَ النَّجْمَـةِ الْجَـوْزَاءِ

الوُصَيْم : جبل مرتفع يبعد عن ضبع شمالاً مسافة ثمانية أكيالٍ ونصف ، وعن جبال الغراميل غرباً ١٥ كيلاً تنساح بقربه أودية المعاشير (مُعَشَّرْ) إلى جهة الغراميل ، وأرضه رملية حمراء مستوية ، تتجه نَحْو منخفض سِنْفَان الْمَنْخَلي والرِّشِيدة والأرض إلى جهة الشمال تكثر بها الْحراج والأودية ، وتزين رقعتها شجيرات صغيرة ونباتات بريّة ، وتظهر معالم الأرض والجبال مثل جبال (حِسَّنْ) ومُحَيْطْ[٦] .

ويحسن أن نصف بعض المعالم بين وادي سُبَيْع وطريق الخرمة الى رنية ،

وتشمل هذه المعالم جبال تِيْنْ ، والغراميل ، وحَسَنْ وما حولها .

تين : علمٌ لا تدخله الألف واللام على لفظ التين الشجر المعروف أوله تاء مثناة مكسورة ، ثم ياء مثناه تحتية ساكنة ثم نون ـ : جبلٌ كبير بارز ، أسود أرضه ذات نبت طيب وفلاة واسعة صالحة . وقال ابن جنيدل في كتابه « عالية نجد »[٧] جبل أسود كبير يقع في أسفل وادي الخرمة ، جنوباً من ذُرَيْرَات ، وغرباً شمالياً من الغراميل ، يلي مطلع الشمس من بلدةالخرمة في بلاد قبيلة سبيع ، وكان قديماً في بلاد بني عامر وهو تابع لإمارة الخرمة .

وقال محمد بن عبد الله بن بليهد[٨] : تين واقع جنوبي منهل القُنْصُلِيَّة الواقعة في أسفل وادي الخرمة ، يبعد عنها مسافة نصف يوم ، شرقي بلد الخرمة على مسافة يوم أو أكثر ، معروف عند عامة أهل نجد بهذاالاسم .

وقال حمد الجاسر[٩] : جبل تين يقع شرق بلدة الخرمة بما يقارب ٤٥ كيلاً بقرب منهل القنصلية في الشمال الشرقي منه على نحو ١٠ أكيال غرب جبال حَوْضىٰ ، يفصل بينه وبينها نفود سبيع (رمل بني عبد الله بن كلاب قديماً) وهذا الجبل واقع بقرب خط الطول ٤٠ ¯/٤٢° وخط العرض ٠٠/٢٢° وقد وقعت بقربه معركة مشهورة سنة ١٢١٢هـ بين أمير مكة الشريف غالب بن مساعد وبين قبائل قحطان والدواسر تدعىٰ وقعة القنصلية . [وانظر العرب ٧/٧٩٤] .

والحقيقة أن تين يبعد عن الخرمة ٦٥ كيلاً وعن القنصلية ٢٠ كيلا .

قال الشاعر :

يَـاتِينْ يـاجَبَلُ الغَـرَامِ أَلَا تَـرى رَبْعٌ لَهُمْ سَمَرٌ بَسْفحِـكَ جَاءُوْا

وقال أحد شعراء الخرمة :

يَـاتِينْ يـاقِمَّةٌ فِي الْأُفْقِ شَـامِخَـةٌ قُصِّي عَلَيْنَا مِنَ الْأَخْبَارِ أَحْلَاهَا

وقال الشريف راجح بن عون الشَّنْبَرِيُّ في وصف معركة القنصلية[١٠] .

الله لَا يَسْقِي نَهَارٍ وَرَى تِـيـنْ يَوْمٍ غَدَيْنَا يَا شُجَيِّع به اقْطَاع
جِيْنَا (الدَّوَاسِرْ) مع فريقَ الْقَحَاطِيْنْ كِلْنَا لَهُمْ بالْمُدّ ، وأَوفَوْا لنا الصَّاع

وقال جَهَزُ بن شرَار المطيري في هذه الموقعة[١١] :

اخْوَانْ نُورَهْ شَافَوْا الْمَكْرهيهْ   رِكْبَوْا عَلَى قُبْ سْوَاةَ الشَّيَاهِينْ
مَاوَالْمُوْا لِلْعِزْوةِ الْعَبْدَلِيَّة   هَابِلْهُمْ الْيَوْم الّذِي مِنْ وَرَى تِينْ

وقال محسن بن زيد بن عجل الثوري :

لِيْ دِيْرَةٍ حُدُدَتْ من بَيْنْ وِدْيَانِ   فِيْهَا الْغَضَا وَالْعَرِيْنْ و(تِينْ) مَارِيَّهْ

وقال الشاعر الشعبي مَشْعَان الهُتَيْمي :

خِلِّي طَوَاني طَيَّةَ الثُّوبْ ابُوكُمْ   وَانَا طَوَيْتهْ طَيّ بِيرِ الْمَرَازِيْق
لِيْ صَاحْبٍ هُوْ يَمّ (تِينْ) وانَا يَمّ   يَمُّ الْقُرُوسَ اللِّي ثَمَرْهَا مَحَالِيْقْ

وقد تسلَّقْتُ الجبل إلى قمته المرتفعة ، فرأيت في أعلاه مكاناً دائريا فيه رجوم وأحجار وضعت على بعضها ، فيها فتحات تكشف المنطقة المحيطة به ، وفي أطرافها آثار نار ، ويُعَدُّ هذا المكان قديماً قلعة حصينة . . . أما أثر هذه النار فقيل لي أنها أوقدت أيّام غارات القبائل على بعضها .

وحينما اتجهت مع رفاقي إلى أحد أركانه برزت أمامنا الأعلام ، وانداحت الأرض ، وتعانقت الرؤى . . . ورأينا منظراً جميلًا ، حيث الأودية والأرض السهلة والأفق الواسع ، اذ يمور الغمام أمام نواظرنا وبين نهايته . . . واصبحت الشجيرات بيننا وبين الأرض وكأنها نباتات صغيرة .

وعلى بُعدٍ نرى جبال العاقر ونعمي (انظر «العرب» ٢٦/٧٥) ، وسَفِيرة إلى الجنوب الغربي ، والغراميل وحِسُّن مما يلي مطلع الشمس ومناهل السُّدَيْرِيَّةِ والقُنْصلية وجبال ذُرَيْراتٍ إلى الشمال الشرقي[١٢] وعلى بعد في الشمال الغربي جبال الإظْفَارةِ[١٣] وغُرَّبْ وبرام [عن برام انظر « العرب » ٢٥/٢٣٠] . وفي اسفل الجبل ملازم مياه تسمى (الرُّدْهَاء) ويقع شرقاً منه جبل تُوَيْن ـ تصغير تِين قال الشاعر :

نَوٌّ عَلَى مَثْنَاةْ نَجْدٍ يْنَزِّلْ   مِثْلَ الهضَابْ المِزْن تَشْفَقْ له العَيْنْ
نَوٌّ من القِبْلَهْ بْرُوقهْ تْشَاعَلْ   تَبْرِقْ مقادِيْمَهْ على تِيْن . . وتوَيْن

وتُوَيْنُ جبيل صغير، يبعد عن تين ثمانية أكيال إلى الشرق، بينهما جبل النُّصَيْلَة، قال الشاعر ابن مَزْيَد:

يَاتِينْ يَاللِّيْ عَنْكْ شَرْقَ النُّصِيْلَهْ وَحِسَّنْ وَرَاهَا ومن جنوبَ الْغَرَامِيْـلْ
ماشِفْتْ لي يَا تِينْ ذِيْكَ الْقَبِيْلَهْ آلأذْ. الأجْرَب صُلْبْ جَدِّيْ مَشاكِيْلْ
يَاتِينْ يَـا راَعِيْ الْعَلُوْمَ الجْمِيْلَهْ يَامَا نَطَحْنَا دُوْنْ صَفْحِكْ رَيَاجِيْلْ

والأرض بينه وبين جبال ضَبع، والغراميل. أرض مستوية خضراء، تسمى أرض معاشير، نِسْبة إلى أودية معشر، المتجهة نحو الشرق تكثر فيها نباتات الرِّمْث والنِّصِيّ ونباتات متنوعة بريّة تُزَيِّنُ رقعة الأرض، كَلَوْحةٍ فَنِّيَّةٍ يملأ عبيرها أجواء المنطقة رائحة عطرية شذية. وما أحلى وأجمل منظر الإبل المنتشرة في مراعيها!!!

والراعي وهو يتجوّل على راحلته متابعاً خلفاته وعشائره، في تجربة غنية بكل المعطيات الفنية والصور الرائعة التي تشكل في مضامينها تلك المرحلة الغارقة في براءة الحياة وعفويتها. وما هذا سوى جزء من تراثنا.

وفي جبلي تين والغراميل مَثَلٌ معروف يتناقله الكثير من أبناء المنطقة وهو (رِجْلٍ عَلَى الْغُرْمُوْلْ وَرِجْلٍ على تِيْنْ) ويقال هذا المثل عندما تكثر مشاغل الشخص ومشاكله، وتتعدد همومه.

وقد أكثر شعراء الخرمة ـ الشعبيون ـ من ذكر تين وما حوله من أودية:
قال الشاعر عجران بن شرفي[١٤]:

يابْن الإمَام[١٥]إنْ دِيْرَتي مِنْ وَرَى تِيْنْ وْفيهـا بني عَمٍّ تِضِـدٌ المعـادي
من حَدْ خَشْم الْعِرْق، لِلْحَزْم ويِمِيْنْ مْقَضِّبِيْنْ اطْرَافَها.... بالْحَدَادِي

وقال سعود بن نايف بن عون الرُّوَيْس الملقب بالْعَمَى ـ:

يَـاتِينْ يَـاتِـينْ يَـامَـالْ الهْمَـالِيْـل دَلِيلَةْ الـلِّي يْتُـوهْ مْنَ الـدُّرُوْبِ
مقَادِيٍ لْخَشْـمِ حِسَّنْ وَالْغَراميل دِيْـرَةْ شَبَيْـع مُـدَلَّهَةَ الْعُـزُوبِ
يـاجِبَّنـا لِـكْ لْيَـاجِيْنَـا مقـابيْـل ويَا بْعَضْنَا لك لِيَا رُحْنَا جْنُوبِ

وقال ثواب بن عَيَّاش الصُّمَيْلي .

أَوَصَفُكُمْ جِبَالٍ مَا تهَازِي جَبَلْنَا تِين من يَقْدَرْ يهيْزه
وفَرْخْ الحُرّ مَا سَموهْ بَازِي بِمْقْناص الرّبيع اللّي تحيزِه

وقال الحميدي بن مزيد :

مادامْ خَشْمَ العَدَامْ مُنَاجِرِ تِين أنابحْبَلِ الرَّجا في سَمْحْ الاقْبَالِ

وقال منيف بن خالد الروضاني :

عَهْدِي بْهم نَازْلِينٍ في طَرَفْ تِيِنْ وَالْيُوْمْ نَزْلَ الْوطَا ما عَادْ يِطْرُونهْ

وقال آخر :

أنا في الخَلِيْج وَصَلْبْ جَدِّي بْفَيْضَةْ تين بْعرقَ الْغَضَا مِدْهَالْ رَبْعِي وْجِدَّانِي

الغَرَامِيْل : جَمْعُ غُرْمُولٍ : ـ وهي هِضاب حمر عالية ، بالقرب من ضَبع بينهما ١٧ كيلاً . ذكرها ابن جنيدل في « عالية نجد » وقال[١٦] هضاب مذاريب حمر ، لأنها مرتكزة لها رؤوس محددة تقع في حدِّ رمل عِرْق سُبَيْع من الغرب ، صوب مطلع الشمس من جبل تين ، في أسفل بلاد قبيلة سُبَيع قال الشمَّاخ :

مُحَوَّيَيْنِ سَنَامٌ عَنْ يَمِينِهِما وَبِالشِّمَالِ مِشَانٌ فَالْغَرَامِيلُ

وقال فؤاد حمزة[١٧] بأنه جبل مرتفع كالسنان بالقرب من ضبع وقال ياقوت : هضابٌ حُمُرٌ وأورد بيت الشمَّاخ السابق .

قال كوير بن راشد الرُّوَيْبي :

لِيِّ دِيْرةٍ مابَيْنْ غَيٍّ وغُرَّبْ[١٨] بَيْنْ الْغَرَامِيْلَ الطُّوَالْ وْتِيْنْ
لَوْلَا السِّنْينَ الجِهْمْ مَابَانْ خَيْرْ وَلَا بَانْ عِدٍّ في الْعُدُودْ رِسِينْ

وأرض الغراميل سهلة مستوية ، حولها حزون ، وبجوار الغراميل شجيرات صغيرة . . وجدائر مرتكزة ، في أرض مستوية حمراء ، كأنما وضعت باليد تزيد على اثنتي عشرة كومةً من الحجارة الكبيرة ، وفي داخل بعضها غيران ـ جمع غار ـ وأرضها رملية مليئة بالضباب والجرابيع (اليرابيع) .

وجبل الغرمول يُرَى من بُعْدٍ كأنه علم مرتكز شمالاً منه جُبيلات بعضها كبير هي جزءٌ منه ، بينها عشرة أكيال ، وإلى الشرق في حقْفِ الرملة ضِلْعُ كُتَيْفَةَ وأقواز رُمْحَيْنْ . قال السديري :

رَاحْ النّذيرْ وْصَبّحْ النُّزْلْ بـاللّيْلْ وتكَـافَخَتْ فَزْعَـاتْهُمْ قَبْلَ الأدْابْ
وتَوافَقُوا بالْعْرِق . . حَدُّ الْغَرامِيْل مْتكَاظْمِينْ مِثْل (أبَازَيْدِ)و(ذْيَابْ)[١٩]

وقالت الشاعرة :

. . . . . . وُجُوْدِي عَلَى شُوْفَ الْغَرامِيِل وحُمْرَّهْ [العرب ٢٥/٢٣٢] .

حَسَن : قرن أسود عال ، يقع في طرف نفود سُبَيْع ، المعروف قَدِيْماً برمل عبد الله ابن ابي بكر بن كلاب ، وحَسَن - بدون تعريف ، يقع في الشمال الغربي من منهل وَرْشَة [العرب ٢٣/١٢١] وفي شرق هذا الجبل مكانان فيهما آثار للتعدين على خط ١٠ - ٢٢° و٥٠ - ٤٢° تقريباً شرق منهل القُنْصُلِيّة [العرب٢/٨٣٣] .

وذكر الهمداني في « صفة جزيرة العرب » عندما ذكر معادن اليمامة التي توطنتها عُقَيل بن كعب فقال : معدن الحسن والحسن قرن أسود مليح وهو معدن غزير وجاء في كتاب « الجوهرتين » : ومنها معدن الأحسن ، والحسن قرن أسود مليح ، وهو غزير ويعد من معادن اليمامة .

وسمّاه ياقوت : معدن الأحسن لبني كلاب .

وجاء في كتاب « بلاد العرب » للأصفهاني : ومعدن الأحسن لبني أبي بكر ابن كلاب ، وبها بحث معدن للذهب وهو طريق أيْمن اليمامة[٢٠] .

وجاء في مجلة «العرب » [٢٣/٦٩٨] حسن قرن اسود عال عنده آثار قديمة ، ويقع على جانب مجرى وادي الخرمة .

وحَسَن يبعد عن الخرمة مسافة ٨٢ كيلاً وعن جبل تِيْن ٢٣ كيلاً بينهما جبيلات جِسُّنْ بينه وبين الغراميل سنفان المُنْخَلى ويبعد عن الغراميل ١٧ كيلاً ، وبالقرب منه ضُليع المُبْنَىَ إلى جهة كُتَيْفان [عن كتيفان انظر العرب ٢٦/٨٠] .

جِسَّن : بكسر الحاء وتشديد السين مع فتحها بعدها نون مفردة : سلسلة جبال كثيرة تَمْتَدُّ من الشرق إلى الغرب تربتُهَا طيبة بها رِمْثٌ وأشجار سَمُرٍ وسَلَم وسَرْح . . . تبعد عن جبال حسن ٦ أكيال تغطي بعضها رمال العرق القريبة منه والتي تبعد عن حَسَن ٢٨ كيلاً إلى الشرق والشمال وفي جِسَّن أودية وجبال كثيرة مثل الشُّقَيْب والناصفة (جبل) وبينه وبين تين حزون وشعاب مثل أمهات العشر ، أرضها سوداء تميل إلى الصوّان الأبيض ، وفي جهات منها سبخة وتربة حجرية وتبعد جُسَّن عن جبل تين ١٨ كيلاً وإلى الغرب ضُليع البهم ، فيه مشاش ماءٍ لقبيلة القُرَيْشات من سَبيع وكذالك القنصلية والسديرية ، وتنداح الأرض في فرشة متساوية بها نتوءات رملية وطينية نتيجة مجرى وادي الخرمة وأشجار الرِّمث والغَضَاء .

قال الشاعر :

لِجِسَّن عُقُبْ شُوْفَ البَرَاعِيمْ[٢١] شَفْقَانْ ولا شِفْتْ أنا حُمْرهْ ذَرَفْ مَدْمَعْ العَيْنْ

وقال أحد شعراء سبيع يصف ركباً متجهينْ إلى أرض قومه :

إنْ كَانْ جِسَّنْ والْمَثَانِي لكُمْ دَرْبْ مُرُّوْا عَلَى الفَرْشَهْ وذِيـك النِّجِيَّهْ

الْقُنْصُلِّيه : عِدُّ ماءٍ يقع في أسفل وادي الخُرْمَةِ غرباً من عِرْقِ سُبَيْع ، شرقاً شماليا من الخرمة لقبيلة سبيع [عالية نجد ١٠٨٨] وفيها يقول جَهَزُ بن شَرار المُطَيْري شيخ قبيلة ميمون من مطير :

كَمْ ذَوْدِ مِصْلاَح نُحرِّكْ لَهَ آسْبَابْ وحِنَّا إلَى شَا اللهْ نْشَتِّتْ نِوُيِّهْ
بَلْكِنْ تَشْهِدْ لِيْ مَغَـاتِيرْ شَبَّابْ وكـاين إنْ سْبَيْـعْ بـالْقُنْصُلِيَّـة

والقنصليةُ تبعد عن جبل حَسَنْ ٢٠ كيلاً غربا منه وتبعد عن جبل تِيْنْ ٢٠ كيلاً كذلك إلى الشمال الشرقي ، قال ابن فاحس من شعراء الْقُرَيشَات :

يَـامْنِـيرْ أنـا فَـاطِـرِيْ وَنْيَـهْ تَـشْكِـي الْحَفَـا مِـنْ سمـارِيْهَـا
مِسْرَاحَـهـا الْيَـوْم مِـن رَنْيَـه وَالْـقُـنْـصُـلِيَّـة مَـماسِيْهَـا

وقالت إحدى الشاعرات تَتَوجد على زوجها :

فِي القُنْصُلِيَّةْ وفكْرِي يَمّ مَنْفُوحَهْ يَتْبَع هَوَا وَاحِدٍ عَنْ شَوْفْنَا سَالي

إلى أن قالت :

يَابِيْر كَـانِكْ لِهَمّ البِيْضْ مَفْتُـوحَهْ عِنْـدِي هُمُوم كَثِيـرهْ مَالَهَـا تَالي

وجاء في مجلة « العرب » ٦٩٨/٢٣ : من جبل حَسّن ترى الإبل التي تشرب على مورد القنصلية المعروفة وهي منه ناحية الشمال الغربية في الفرشة ، في بطن الوادي غرب عرق سبيع وشرق الحرة - والأصح - شمال شرق ، وسُمِّيت بهذا الاسم لانتشار نباتات صغيرة تسمى القُنصل يشبه الثمام ، والنَّصي يكثر في أرضها ، والقنصلية عدة رُسُوْسٍ وآبار قديمة مطوية بالحجر والأخشاب ، وقد قامت حكومتنا الرشيدة بحفر ثلاثة آبار كبيرة يردها أبناء البادية بسياراتهم وإبلهم ومواشيهم . وبالقرب منها بقايا قصر مبني من الطين قال الشاعر عبد الله بن جرفان :

شِبْـه وَضَحْـاً عَـلَى امّ قْصِيـرْ حَـايِـلٍ لِـلْعَـرَبْ مـشْـفَـاهْ

ويقع بينها وبين جبال حسّن ضُلَيْع اَلْبَهَم .

واشتهرت القنصلية بموقعة سنة ١٢١٢ هـ بين جيوش الأمير عبد العزيز بن محمد ومن معه من قبائل سبيع وقحطان والدواسر ، بقيادة هادي بن قَرْمَلَة ورُبَيِّع ابن زيد ، وبين أمير مكة الشريف غالب بن مساعد .

ووقفَ وخَيَّمَ عليها الملك عبد العزيز في رمضان عام ١٣٣٧ هـ بعد معركة تربة ، قادما من نجد بجيش عدده اثني عشر الف مقاتل ، فلقى وهو في الطريق بين ماء القنصلية والخرمة من قص عليه خبر الانتصار في تربة ، واستمر حتى وصل الخرمة ثم تربة وقال قولته المعروفة (كفىٰ الباغي جزاء بغيه)[٢٢] .

الخرمة - عبد الله بن سَعَد الحُضْبِي

الهوامش :

(★) أنظر « العرب » ٢٢٢/٢٥ و ٧١/٢٦ ـ .

(١) ذكره ياقوت وقال عن نصر : جبل فارد بين النباج والفقرة وذكر ابن بليهد أن هناك مواضع كثيرة باسم ضبع منها موضع قريب من حرة بني سليم والضبع أيضاً وادٍ قرب مكة .

(٢) فؤاد حمزة « في بلاد عسير » ص ٥٤

(٣) المصاليخ كأنه جمع مصلوخ : هضبتان حمراوان كبيرتان واقعتان شمالاً غربياً من بلدة رنية في بلاد قبيلة سبيع التابعة لإمارة رنية غير بعيدة عنها [عالية نجد ص١٢٠٢] وذكرها فؤاد حمزة فقال سلسلة المسلوخ (بالسين) إلى الشمال الغربي من رنية وهي تبعد عن مدينة رنية ١٦ كيلاً فيها غدير ماء يتخذه أهالي المنطقة منتزها تحيط به أرض سهلية مستوية وسميت بهذا الاسم لأن جبالها ينسلخ بعضها من بعض ، وتكون ملساء ، بجوارها طريق الخرمة الى رنية ، وحينما يجاوره القادم إلى رنية يرى أمامه من بعيد منظراً عجيبا هو أقرب ما يكون إلى منظر بلدة عظيمة ذات قلاع وأبراج ومآذن ومساجد ، وهو في الواقع مناظر الجبال والتلال التي تظهر في الأفق بأشكال بهيجة ، ودونها مبانٍ حديثة هي معالم مباني مدينة رنية الفيحاء . وعن جبال المنطقة مثل المصلوخ والورك والخثعمي والكور أنظر [في بلاد عسير ص ٤٦ ـ والعرب ٥٧٣/٤]

(٤) ديوان ابن شيحان ص ١١٣ .

(٥) « من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية » منديل الفهيد ٣ :٣٠

(٦) هناك جبل بهذا الاسم وأكثر منه ذكراً هو جبل بُخَيط ، في وسط عرق سُبَيْع ، مما يلي خلّ الشريفية ، بينه وبين مناهل الدويحي للقريشات بُرْقانْ الدُّوَيْحي ـ انظر العرب ٧٩/٢٦ .

(٧) « عالية نجد » سعد الجنيدل ص ٢٥٨

(٨) « صحيح الأخبار » لابن بليهد ٤٩/٢ (٩) «العرب» س ١٠ ص ١٥٧

(٩) « العرب » س ١٠ ص ١٥٧

(١٠) « تحفة المشتاق » لابن بسام أحداث عام ١٢١٢هـ

(١١) « صحيح الأخبار » لابن بليهد ١٠٦/٢ .

(١٢) ذُرَيْرَاتْ : واحدها ذُرَيْرَة مصغَّرة كأنه تصغير ذَرَّة ، هضيبات بجوارها عدة آبار ومناهل شمالاً شرقياً من جبل تين ، غرباً من كتيفان تبعد عن تين ٢٦ كيلاً .
قال عسكر النميري :

إلى ذاتَ أبوابٍ فحزم ذُرَيْرة   فبطْن عِنَانٍ من رُباً وحُزوْمِ

والآبار تبعد عن جبيلات ذريرة كيلين فقط إلى الجنوب ، وهي من آبار قبيلة القريشات عنها في الغرب بميل نحو الجنوب آبار الشريفية لبني ثور من سبيع ، وحول ذريرة أشجار مختلفة مثل الْعُشَر والرِّمْث والغضا .

(١٣) الإِظْفَارَةْ : جبل يبعد عن وادي سبيع ١٨ كيلاً إلى الشمال الغربي بينه وبين جبل برام عشرة أكيال . والاظفارة جنوباً من جبال الشهبان ، وأقرب القرى إليه قرية الْحُجَيْف ، أرضه طيبة فيها الغضا والرمث والأعشاب البرية المنوعة .

(١٤) عجران هو عجران بن ضيدان بن دُغَيِّم بن شَرَافي السبيعي ، رجل كريم ، وشاعر فارس ، من قبيلة آل عليّ من بني عمر، كفيف البصر، كان يعيش في نجد (العارض) وقتله عبد العزيز بن رشيد سنة ١٣١٩ في موقعة الصريف . وهو الذي قال فيه الشاعر فهد بن مخشوش ـ شاعر الصملة ـ في ذكره لأهل [العَشْر الْمُرَدَّف] .

السَّابِقَة مِنْهِنْ لِعَجْرَانِ الْعَمَى   غَدَا بْهَا عَـوْدٍ هَـرُوَجَـهْ ذلأَبِـلْ =

= لا يَثْنِي الـدَّلْهْ ، وَلاَ يَـذْبَـحْ الْمعـزْ ولا يَـذْبَح إلاّ مُنْ خـرُوُف وَحَـايِـلْ

وقد جرت بينه وبين الفارس الكبير راكان بن حثلين شيخ العجمان عدة مساجلات وقصائد . أنظر كتاب « من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية » لمنديل الفهيد الجزء الثالث ـ من أحفاده سعود بن عجران شيخ الجعادين والحنابشة من آل عليٍّ من بني عمر .

(١٥) المقصود به الإمام عبد الله بن فيصل آل سعود

(١٦) « معجم عالية نجد » ص ١٠١٥ ــ [العرب : ولكنه قال : ذكر الشماخ الغراميل مقرونة بسنام ومشان وهما في حمى الربذة بعيدان عن الغراميل التي تتحدث عنها الواقعة في بلاد عبد الله بن كلاب] .

(١٧) « في بلاد عسير » ص ٤٥

(١٨) غي : أنظر « العرب » ٢٠ / ٤٢٨ . وهي جبيلات سود واقعة في ناحية حزم الحِيَار الشمالية الشرقية شمال الحَرْمَة ، بالقرب منها جبيلات (غُرُبْ) ، تابع لإمارة الحرمة قال حيّان بن جبلة المحاربي :

أَلاَ إِنَّ جِـيْرَانَ الْـعَـشِـيَّـةِ رَابِـحٌ دَعَتْهُمْ دَوَاعٍ مِنْ هَـوَى وَمَنَـادِحُ
فَسَـارُوا لِغَيْثٍ فِـيـهِ أَغْيٌ وَغُـرُبٌ فَـذُو بَقَرٍ فَشَـابَـةٌ . . فَـالـذَّرَائِـحُ

انظر « عالية نجد » ص ١٠٢٧ .

وتسمى بنِي غي . . وهي سنفان بين الحمرة والسواد ، بين غُرُب وعرق سبيع تقع في جهة مطلع الشمس من غرّب . أما غُرُبْ فهي جبيلات تقع في الناحية الشرقية من سيارة الحِيَار ، بالقرب منها ضليعات الهراس ، وقرن عفر ، وأبا الغبيس وسيارة الظُلْمِيّة ، وهي شمال شرق مدينة الحرمة قال حمود أبو عليَّة :

حُطْ الـقُـرَيْـنْ وغُـرُب يْـسَـارْ تَـلْقَـى مْـدَلْهَـةَ الْخَـزِيْـن

وقال هُوَيْشل :ـ

قِـدْ عَقَّبَتْ ذِيْـكَ الْخُشُـومْ الْمِنِيْفَات خَلْتْ (حَضَنْ) وخشُومْ (غُرُبْ) وَرَاهَا

(١٩) «أبطال من الصحراء» ص ٩٢

(٢٠) ص ١٢٩ تحقيق حمد الجاسر ود / صالح العلي .

(٢١) البراعيم : جبيلات تقع بين المنثورة والفرشة ، في أسفل وادي الحرمة شمالاً من جبال ذُرَيْرَة . ذكرها ابن خميس في معجم جبال الجزيرة ص ٤٩٦ وقال تقع في طرف وادي الحرمة شماليه وهو جبل معروف عند أهل المنطقة ومشهور ، قال ذُو الرمة يهجو رُقَيْمًا الأسدي :

بِئْسَ الْمَنَـاخِ رَقَيْـعُ عِـنْـدَ أَخْبِـيَـةٍ مِثْـلَ الْكِـلَ عِنْـدَ أَطْرَافِ الْـبَرَاعِيم

العرب : قول ذي الرمة لا ينطبق على البراعيم المذكورة ، بل على أعلام صغار ، قريبة من أبان الأسود ، بمنطقة القصيم ، والمهجُوُ من بني أسد وبلادهم في القصيم . وتلك النواحي من شمال نجد ـ انظر « بلاد العرب » للغدة الاصبهاني ص ٦٧ .
وقال هذّال الغَزِيِّلي السبيعي :

سَـقَـى الله قُـوَيْـزَاتْ الْـبَرَاعِـيْـم مَـداهِـيْـل مَـنْ قَـلْـبِي يُحِـبُّـهْ
وَلِـيْـفِـي رَتَـعْ فِي مَـرْتَـعْ الـرِّيْـمْ شُـبُـوْبَـهْ غَضـا مَـعْ رِمْـثِ خُـبُـهْ

(٢٢) « ملحمة عيد الرياض » ـ بولس سلامة ص٣٨٦ .

الغَيْلُ: هو واقع في شمال شخير، وهو أرض واسعة فيها عيون ماء غزيرة جارية، عليها نخل كثير، وأكثر مايزرع عليها التبغ، وهو أجود مايكون، يرسل منها إلى عدن وإلى مصر وإلى الحجاز، يتغالىَ فيه أهلُ تلك الجهات لأنه مضرب المثل في الجودة، ويكون له إيراد عظيم، والْغَيْلُ منسوب إلى الشيخ عبد الرحيم بَاوَزِير، مولى الدعَامة بن عُمَر صاحب الغيل الأسفل، المسمى بغيل عمر، وغيل بَاسُودَان بن محمد صاحب عرف بن سالمْ المقبور بالحويب، قريباً من حورة ابن الشيخ عبدالله، فولى المحطة بالشحرابن عمر بن الشيخ يعقوب بن يوسف باوزير مقدم تربة المكلا، السابق ذكره في الحكاية رقم (١٦٤) من «الجوهر الشفاف» للخطيب مايعرف منه أن هذا الغيل كان موجوداً من قبل سنة ٧٤٣هـ، ويتأكد ذالك بأن وفاة الشيخ عبد الرحيم بن عمر بَاوزير كانت سنة ٧٤٧هـ، وقد اختطه قبل وفاته بزمان، وأول من بنى بالغيل الأسفل الشيخ عمر بن محمد بن سالم باوزير سنة ٧١٦هـ حسبما يأتي عند ذكره، وكان أمر الغيل لآل باوزير والعواثبة المَذْحِجيُّوْنَ. ينتمون إليهم بالخدمة ويذبُّون عنهم، وفي اوائل القرن التاسع استولت على بعض الأمر فرقة من العوَاثبة يقال لهم آل عمرَ باعمر، فغلبوا آل باوزير على بعض النهي والأمر، وكَوَّنُوا لهم دولةً أو شبهها، داموا عليها حتى انقرضوا بالسلطان عوض بن عمر القعيطي، ومرجع العواثب في النسب إلى عوثبان بن زاهر بن مراد بن مَذْحِج، وقد جرت بينهم وبين السلطان محمد بن عبدالله أخي بدر بُوطُوَيْرِقِ حوادث في سنة ٩١٩هـ وقتل منهم اثنين وثلاثين ظلماً، ثم ساكنهم في الغيل آل همام من يافع، فغلبوهم بسطوة عشائرهم على شيء من أمر الغيل.

وفي سنة ٩٤٣هـ ابتدأ السلطان بدر بعمارة حصن غَيْل باوزير، وقد أنجب الغيلُ كثيراً من العلماء، وجاء في ترجمة السيد علي بن أبي بكر المتوفَّى سنة ٨٩٥هـ

من «المشرع» أنه رحل إلى الشِّحْر والغيل، ومكث هناك أربع سنين، يقرأ على الفقهاء آل باهارون، وآل باعمار والفقيه محمد بن علي باعديلة، والعلامة إبراهيم ابن محمد باهرمز، والفقيه محمد بن أحمد باغشير وعبد الله بن محمد باغشير، والشيخ عبدالله بن عبد الرحمن باوزير انتهى.

وفي سنة ٩٠٣هـ توفي بها الفقيه العارف بالله محمد بن أحمد باجرفيل الدَّوْعَني، وقد أورد له سيدي الأستاذ الأَبَرُّ إجازة منه للشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر بافضل التِريْمِي، عدَّ فيها بعض مشايخه كالشيخ أبي بكر العدني بن عبدالله العيدروس عن شيخه عبدالله بن أحمد باهراوه، عن شيخه فضل بن عبدالله بافضل عن شيخه أبي بكر بن محمد بن عباد، ومن مشايخ باجرفيل الشيخ سعيد ابن عبدالله بابصيل، يروي عن أبي بكر بن عبدالله بن سالم، عن الشيخ محمد بن أبي بكر عباد، ومن مشايخه أيضاً الشيخ محمد بن مسعود باشكيل، عن ابن كبن، وعن عمر بن أبي بكر بانقيب، عن علي بن عمر باعفيف، ومن مشايخه ايضا الشيخ محمد بن عثمان باوزير وغيرهم، وفي الحكاية (٣٩٨) من «الجوهر» أن الفقيه أبا بكر باقتيل كان يقرأ تفسير القرآن على الشيخ عمر المحضار، بمسجد غيل باوزير، ولاتزال بِالْغَيْل حتى الآن ناس من آل باقتيل، ومن أهل الغيل الشيخ الجليل محمد بن أحمد باحميش كما ذكره السخاوي في «الضوء اللامع» إذْ كان ترجم له فيه، ولا يزال بها وبالشحر جماعة منهم، ولا بأس أن نَعُدَّ العلامة الكبير الشيخ محمد بن أحمد بافضل من علماء الغيل، لأنه ولد بِتَرِيْم سنة ٨٤٠هـ، ونشأ بالعيل المذكور، واشتغل في الفقه على باعديل، ثم دخل إلى عدن يقصد القاضي محمد بن أحمد باحميش، ولما مات جلس مجلسه، واقترن بامرأته، وكانت وفاته بعدن سنة ٩٠٣هـ، ومن أهل الغيل الفقيه الجليل محمد بن مسعود باشكيل السابق ذكره في مشايخ باجرفيل، وقد رحل إلى عدن، وبها كانت وفاته، ومنهم الفقيه أحمد بلرعبة تلميذ العلامة ابن حجر الْهَيْتَمِي، وله منه مكاتبات كثيرة نافعة لايزال مشايخنا يوصون بقوله من أثناء إحداهما: فبالله عليك ثم بالله عليك أن تجعل جُلَّ وقتِكَ ليلاً ونهاراً في البحث في الفقه، والتحقيق، والتأمل والتدقيق، مع نشره بين طالبيه وغيرهم، أو ماهذا معناه ومن «خلاصة الأثر» للمحبِّي أن آل

بامزروع وآل بامطرف قنازلة، وهم فخذ من كندة، وسيأتي لبعض القنازلة ذكرٌ في قرية الواسطة الواقعة في شمال العجز من أسفل حضرموت، وقد نجع آل بامطرف من رَيْدَة الصَّيْعَرِ إلى الهَجْرَيْن، وتفقروا وتركوا السلاح، إلَّا أنَّ آل مساعد على القول بأنهم منهم عادوا إلى حَمْلِهِ، كما يعرف مما سيأتي في الهَجْرَيْن، ثم افترقوا في البلدان، واختلطوا في الأعمال، حتى لقد كان جماعة منهم بمدودة، خواصون ونجارون، وأول من نجع من الهجرين إلى الغيل من آل بامطرف الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر وكان صاحب يسار، فاشترى بالغيل أطيانا كثيرة تسقى من معيان الحرث، الذي اشتراه أيضاً، ووقف جميع ذالك على البطن الأعلى ثم الأعلى من ذريته.

ولما استولى القعيطي على أموال آل عمر باعمر كان معيان الحرث من جملة ماأخذ فيها، وبانقطاع الماء أو قلته عن أوقاف الشيخ عبد الرحمن بامطرف كادت تتلاشى غلاله.

وفي سنة ١٠٧١هـ كان القاضي بالغيل أحد ذرية الشيخ عبد الرحمن بامطرف، وكان العلامة أحمد بن محمد مؤذن باجمال يصفه بالتهور في قبول لا هله(؟) وهو أول من تولى القضاء منهمَ ثم تولاه الفقيه محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن‌عبد الرحمن بن أبي بكر بامطرف، وكانت ولايته سنة ١١٠٠هـ، وممن تولاه منهم الشيخ بو بكر بن محمد بامطرف، وكانت ولايته بالمُكَلَّا سنة ١٢٦١هـ أيام النقيب صلاح بن محمد الكسادي، وله فتاوى موجودة لدى الشيخ عبد القادر بامطرف الموجود بالمكلا الآن، وهو والد الشيخ محمد بن عبد القادر بامطرف الكاتب الأول بإدارة المنشار بسيون وهو ولد نبيه، سهل الخلق، بعيد الغور، يحب المطالعة، ويعجبني منه أنه لم يقلد الأجانب في شيء من أزيائهم وعاداتهم، مع انقطاعه إليهم وشدة اختلاطه بهم، ولكنه متى وقف به الحال بين نصرة مظلوم ورضا وزير الدولة المحلية، اثَرَ الثاني تمكينا لمركزه بسيون، وقد رأى عَيْنَ الذِّئْبِ في المكر بين عمر محيرز ومصطفى رفعت، وهو يكره الرجوع إلى المكلا، إذ كان وزيرها اتهمه بتهمة برأه الله منها، وظهر له تحاملهم عليه، فحقدوها عليهم، ولم يبرح بكيد لدولة القعيطي بكل مافي وُسْعه، وكثير من أهل المكلا يجعلون الفشل

القعيطي في مسألة الحدود راجعا إلى تلقينه الكثيري الحجة، توفي الشيخ بو بكر ابن محمد بامطرف بالغيل سنة ١٢٨٤هـ، وممن تولى القضاء منهم الشيخ عوض بن سعيد بامطرف، تولاه، بالشحر في عهد آل بريك، وتوفي سنة ١٢٨٧هـ والقاضي الابتدائي في المكلا لهذا العهد هو من آل بامطرف، ومن أواخر علماء الغيل الشيخ محمد بن عمر بن بكران بن سلم، كان ركنا ركينا من أركان العلم، له وفادات إلى حضرموت، ثافَنَ فيها العلماء، وأخذ فيها عن مسند حضرموت بل اليمن بل الدنيا سيدنا الأستاذ الأبَرّ عيدروس بن عمر الحبشي، ولعل ذالك في حدود سنة ١٣١١هـ، وكان معه في تلك القَدْمَةِ ابنٌ له مُنَوَّرُ القلب، صافي السريرة، مستوقد الذكاء، يحفظ عدة من المتون على صغر سنة، ولكنه نفض شبابه فمات غَبْطَةً، مرجعهُ من حضرموت، ويقال: إن سبب موته انتهار قلبه مما رأى من الأشعة النورانية على غرر السادة الأجلاء بحضرموت، كالسادة عبدالله بن عمر بن سميط، وعيدروس بن عمر وعبدالله بن حسن إذ كان رآهم مجتمعين في حفل مشهود، فانشقت مرارته، فعظم عليه، وجد ابيه، والشيخ محمد بن عمر بن سلم هو مؤسس رباط الغيل، وكانت وفاته سنة ١٣٢٩هـ، وابنه أحمد الآن من مشاهير الرواق اليماني بالأزهر الشريف، وآل ابن سلم بيت علم وصلاح، منهم الشيخ علي بن سلم تلميذ سيدنا عبدالله باعلوي المتوفى سنة ٧٣١هـ، وفي الغيل المذكور جماعة من أعقاب السيد أبي نُمَيٍّ بن عبدالله بن شيخ بن علي المندرج بن فدعق بن محمد بن عبدالله بن امبارك بن عبدالله، وطب منهم الآن الفاضل السيد محسن بن جعفر بو نمي، فقيهٌ ذكي بحاثة، تولى القضاء بالمكلاء والغيل مرات، وهو الآن مدير رباط الغيل، وهو أفقه رجال الساحل، وعليه يتخرج من يرشحونه للقضاء، وفيهم كثرة ألا أنه لايعامل بمقتضى مايستحق، فإن مرتبه الشهري لايبلغ المئة الروبية، مع أن عائلاته تقارب الأربعين نفسا، غير أن الشيخ الفاضل سعيد القدال يعرف له فضله، ويسعى في ترقيته، ولقد صدق الذي يقول إنما يعرف ذَا الْفَضْلِ ذَوُوْهُ، وكان بالغيل جماعة من ذرية السيد عبد الرحمن بن محمد عيديد، لاأدري أيوجد الآن به أحد منهم أم لا.

النقعة: هي في شمال الغيل إلى جهة الغرب، والنقعة كما في «فتح الرحيم

الرحمن» للشيخ عمر بن عبد الرحمن صاحب الحمراء في عرف أهل اليمن مرادِفٌ للحوطة في اصطلاح أهل حضرموت، وأول من سكنها الشيخ أحمد بن محمد بن شعيد بن محمد باوزير، صاحب عرف، وآل باوزير أهل النقعة المذكورة من ذريته وممن كان يسكنها السيد محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن علوي بن محمد، صاحب مرباط العلوي، وبها كان موته وذفنه، وكان يكتفي لخرجه بثمرة شجرة واحدة بها من الليمون، وفي ذالك دلالة على حسن تربتها، وبركة عيشتها، وفي ديوان الشيخ عبد الصمد باكثير ذكرُ واقعةِ النقعة بين آل العمودي وآل كثير، وهي التي كان فيها قتل الشيخ عبد الرحمن بن عبدالله العمودي على يد السلطان عمر بن بدر أبو طويرق، وقد هنأه عبد الصمد بقصيدته المستهلة بقوله:

اللهُ أَكْبَرُ هَذَا الْفَوْزُ وَالظَّفَرُ فَتْحاً مُبِيْناً مَعَ التَأْيِيْدِ يَاعُمَرُ

وعلى اسم هذه النقعة كانت نقعة آل جنيد الواقعة شمالي حورة بالكسر، وفي حوادث سنة ٩١٧هـ من «تاريخ شنبل» أن العواثبة قطعوا بعض خريف النقعة وغيل باوزير وعطلوا الحرث.

ومن فضلاء النقعة العالم العامل المعمر الشيخ سالم بن محمد باوزير، ولد بها، وطلب بالشحر وحضرموت والحجاز ومصر والشام، وأقام مدة طويلة ينشر العلم بالشحر، ثم عاد إلى النقعة وبها توفي سنة ١٣١٨هـ عن مئة وستة عشر ربيعا تقريبا.

القارة: وبإزاء النقعة وشمال الغيل إلى جهة الشرق في غربي الحزم قرية يقال لها القارة، لايزال بها جماعة من العواثبة، وآل عمر باعمر، وآل بكير، منهم قاضي القضاة الآن الشيخ عبدالله بن عوض بكير، وهو رجل دَمِثُ الأخلاق، بعيد القعر مَرِفٌ، هَشٌّ بَشٌّ، وله ابن يسمى عبد الرحمن ذكي نبيه، له شعر جميل، وبالقارة المذكوره ناس من آل باعمروه، وآل باسويد، وآل بايمين، وآل بالجعد، وفيها عيون غزيرة، استأثر الغيل بنسبتها إليه لاشتهاره ونحوها، كما استأثر المخا بِبُنّ اليمن، لاشتهاره به من القديم، مع أنه لايوجد به شيء منه آلان، ويقال: إن القارة أقدم من الغيل، وأن الشيخ عبد الرحيم باوزير كان يجلب الأُكَرَةَ منها،

لبناء مسجده بالغيل، وفيها جامع منسوب للسيد علي بن عبدالله المغربي، يقال: إنه بناه في القرن الثامن، وكان أهلها من العوابثة وغيرهم في ليل حالك من الجهالة، فما زال المغربي المذكور ينشر فيهم دعوة الإسلام، ويعلمهم مبادئه، حتى انكشف عنهم ليل الجهل، إذ صادفت دعوته ثرىً طيباً ونفوساً سليمة وقد قال يزيد بن الطُّثْرِيَّةِ:

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْباً خَالِياً فَتَمَكَّنَا

الحزم وصداع: ـ هو أرض واسعة من أعمال غيل باوزير، كانت بها عينُ ماءٍ وشلة، فما زال الأمير عبدالله بن علي العولقي في علاجها حتى انبثقت ماءاً غزيراً، وفيه اليوم مِعْيَانانِ، وله جامع، ومن سكانه الشيخ الصالح المعمر عمر بادباه، يقال: إن سنه اليوم ينتهي إلى مئة وإحدى وثلاثين عاما، وفي حوالي سنة ١٢٦٠هـ كانت المنافسات قائمةً على قدم وساق، بحيدرآباد الدكن بين الأمير عمر ابن عوض القعيطي والأمير عبدالله بن علي العولقي، وفي جانبه الأمير غالب بن محسن الكثيري، وكلهم في خدمة الجيش الأصِفي، فاتفق العولقي وغالب بن محسن على تكوين دول لهم بحضرموت، وكان العولقي كثيرَ المال، كريم النفس، شجاع القلب، فطفق يرسل إلى حضرموت بكثير من الأموال، لمواصلة العلويين، ولبناء المساجد والسقايا، ومااشبه ذالك، ولما بدأ غالب بن محسن بشراء الغرف من أسافل حضرموت بدأ العولقي بشراء الحزم هذا، واختار القارة المعروفة هناك لبناء حصنه الحصين عليها، وهو المعروف بحصن صداع الذي يقول فيه شاعرهم:

سَلاَمْ أَلْفَيْنْ ياحِصْنٍ مَبْنِي فَوْقْ قَارَهْ بناكَ العولَقِي مـايُعَوِّلْ بـالْخَسارَهْ

ولما شعر القعيطي بذالك أرسل أولاده محمدا وعبدالله وعليًا وعوضًا إلى القطن من أرض حضرموت، وزودهم بالأموال الطائلة، وبعث معهم بعبدينِ دَاهِيَيْنْ محنكَيْنْ، يقال لأحدهما: الماس. وللآخر: عنبر، ووافق ذالك هوى ابن يافع، إلاَّ أنهم اختلفوا مع عبدَيْهِ في مخزن التموين، فأراد العبدان أن يكون بسيون، فامتنعت يافع خوفا من رسوخ قدم القعيطي فيها، وهم لايبغون بها بديلًا، ولما

أحَسَّ آل كثير بعد اللُّتَيَّا والَّتِي، وبعد هروج ومروج - مستوفاة بالأصل - بأنهم عاجزون عن مناهضة القعيطي، عقدُوا حِلْفاً ثلاثيًّا مع الكسادي الذي استمالوه إليهم، وكان هو والقعيطي على رأي، لأنهم يافعيون، ومن العولقي والكثيري، وكان ذالك في سنة ١٢٩٠هـ، وكانت للعولقي عدة مراكب شراعية، تمخر عباب البحر، وتنقل مايحتاجه من الهند إلى الحزم وصداع، وجرت بينهم حروب كثيرة كانت النهاية فيها - كما بالأصل - انهزام العولقي والكسادي وآل عمر باعمر، وتراجع آل كثير واستيلاء القعيطي على الغيل، وعلى الحزم وعلى صداع، وكان ذالك في سنة ١٢٩٣هـ، وسمعت من الثقات أن نفقات العولقي على الحزم وصداع بلغت ثمانية آلاف ألف روبية، وكان كثير الندم على ماكان في أيام حياته من ذالك، وتمنّى أن لو كانت في سبل الخيرات، وللعامة في تمنيه ذالك أشعار كثيرة، ومن يك وكلاؤه آل كثير فإنه جدير بمثل ذالك، وما أدري أكان ماانفقه ولده محسن بعد وفاته في حروب الحزم وصداع داخلاً في ذالك القدر، أم كان علاوة عليه، إلاَّ انه انتبه لآل كثير، واحْتاط منهم، ولذا لم يجد بينهم المال ولم يبلغوا الآمال، وينتمي نسب العولقي إلى ذي يزن الحميري، وقيل إلى معن بن زائدة الشيباني، وله أخبار عظيمة، ومناقب كريمة، وأنف حَمِيٌّ، وقدر سَمِيٌّ:

وَاللّهُ أَعْطَاهُ الْمَحَبَّةَ فِي الْوَرَى ... وَحَبَاهُ بِالْفَضْلِ الَّذِيْ لاَيُجْهَلُ
نَفْسٌ مُشَيَّعَةٌ وَرَأْيٌ مُحْصَدٌ ... وَيَدٌ مُؤَيَّدَةٌ وَرَأْيٌ فَيْصَلُ

إلى جُوْدٍ ضخم، ومجد فخم، وعقل راجح، وسيف طامح.

وَزَنُوا الْأَصَالَةَ مِنْ حِجَاهُ وَإِنَّمَا ... وَزَنُوْا بِهَا طَوْدًا مِنَ الْأَطْوَادِ
وَوَرَاءَ ذَاكَ الحِلْمِ لَيْثٌ خَفِيَّةٍ ... مِنْ دُوْنِ حَوْزَتِهِ وَحَيَّةُ وَادِيّ

ولم تكن الهزائم المشار إليها في الحزم وصداع إلاَّ بعد خمود ريح دولته بموته في حيدر آباد الداكن سنة ١٢١٤ :

مَضَى مِثْلَ مَايَمْضِي السِّنَانُ وَأَشْرَقَتْ ... بِهِ بَسْطَةٌ زَادَتْ عَلَى بَسْطَةِ الرُّمْحِ
فَتًى يَنْطَوِيْ الْحُسَّادُ مِنْ مَكْرُمَاتِهِ ... وَمِنْ مَجْدِهِ الْأَوْفَى عَلَى كَمَدٍ بَرْحِ

وقد وقع رداؤه على ولده محسن ، وكان على قذة أبيه جوداً ونجدة وشهامة ،

ولكنه لم يكن مثله ولا بقريب منه ، لا في العلم ولا في الدين ، فانطبق عليه قول لَيْلَى الأخيليَّة :

فَنِعْمَ فَتَى الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا ... وَفَوْقَ الْفَتَى لَوْ كَانَ لَيْسَ بِفَاجِرِ

وهذا البيت من الكلام الجزل ، الذي لا يملكه إلاَّ لَخْيُ بازلٍ فَحْلٍ ، فمجيئه من لسان هذه المرأة يفتح للنساء أبواب الفخر والاحتجاج على الرجال بمصاريعها ، فلقد أراد حَبِيْبٌ أنْ يتعلق به فانهار رجاه ، وأخطأته النجاة ، إذْ لم يَأتِ إلاَّ بِقَوْلِهِ :

إنَّ الطَّلاَقَةَ والنَّدَى خَيْرٌ لَهُمْ ... مِنْ عِفَّةٍ جُمِعَتْ عَلَيْكَ جُمُوسَا
لَوْ أَنَّ أَسْبَابَ الْعَفَافِ بِلاَ نَدًى ... نَفَعَتْ لَقَدْ نَفَعَتْ إِذًا إِبْلِيْسَا

وَقَوْله :

إنْ كَان بِالْوَرَعِ ابْتَنَى الْقَوْمُ الْعُلَى ... أَوْ بالتُّقَى صارَ الشَّرِيْفُ شَرِيْفَا
فَعَلاَم قُدِّمَ في هَوَزِانَ عَامِرٌ ... وَأُمِيْطَ عَلْقَمَةٌ وكَانَ عَفِيْفَا

ثم رأيت الْمُبَرِّدَ يقول في أواخر « الكامل » : لقد كانت الخنساء وليلى متقدمتين لأكثر الفحول ، وربما تتقدم المرأة في الصناعة ولكنه قليل ، والأغلب ما قال تعالى ﴿ أَوَمَنْ يُنَشَّأُ في الْحِلْيَةِ وَهُوَ في . . . . ﴾ الآية . لأنهن لا يُنَشَّأْنَ في الحلية .

وسمعت من غير واحد أن بَغِيًّا قالت لمحسن هذا : أتوجد مئة ألف روبية مجموعة معًا في مكان واحد ؟ فقال لها : نعم . فقالت : أما أنا فلا أُصدق بذالك ، وإن كان واقعا ، فإني أتمنى أن أراه ! فامر باحضار مئة ألف روبية ونثرها في بقعة واحدة ، ثم أمرها أن ترقص عليها ، لا أدري أبثيابها أم عريانة ، ثم سوغها إيّاها .

ومن محاسنه وَقْفُه لشحر الآتي ذكره بموضعه ، وقد أثَّرت على حياة محسن حادثة الهزيمة في الحزم والصداع ، لاسِيًّا وأن آل القعيطي احضروا سدة صداع إلى حيدر آباد ، ووضعوها في الطريق الواسعة ، فهات غبنا في سنة ١٢٩٤ عن ←

لِتَوَسُّمِ مواقع المواضع المذكورة فيه

ـ ٣ ـ

١٨ـ جُنبُجب : (١٠٦)

فأنيّ له سَلْمَى إذَا حَلَّ وأنْتَوَى بِحُلْوَانَ واحْتَلَّتْ بِمُزْجٍ وجُنْبُجُبِ

(.... جبجب : ماء بنواحي اليمامة ، وقال البكري : هو اسم ماء بيثرب ، ثم نقل عن ابنِ الأعرابي أنَّ جَنْبَجَبَ ـ بفتح الجيمَيْنِ ـ جبل ، واستدل ببيت الأحوص هذا) .

وأورد المحقق قبل هذا (٩٢) في شرح قول الأحوص : ـ

أمِنْ آل سَلْمَى الطارِقُ المُتَأوِّبُ إلَيَّ وبَيْش دُوْنَ سَلْمَى وَكَبْكَبُ

(... ورواه البكريُّ في « معجمه » : وبَيْشُ دُوْنَ سَلْمَى وجَنْبَجَبُ ، فعلق شيخنا العلامة محمود شاكر بقوله : وكأنه الصواب ، فإن ظاهرَ الشعر يدل على ←

→ ولد يقال له حسين ، لم يكن بدون أبيه في الشجاعة ، ولكنه مات بعده وشيكا بِسُمّ ، ـ حسبما يقال ـ دس إليه ، وبموته انقرضوا عن غير وارث ثابت ، فصارت نقودهم المقدرة بأكثر من عشرين ألف ألف روبية فضلا عما يناسبها من المجوهرات والعقارات الكثيرة طعمة لبيت المال :

وأَصْبَحُـــوا لاَتُـرى إلاَّ مَنَــازِلُهمْ قَفْرًا سوى الذكْرِ وَالآثَارِ إنْ ذُكِرُوا

وسبحان من لا يدوم إلاَّ ملكه ، وما هنا ليس إلاَّ نموذجًا لما في الأصل من أخبارهم الشيِّقة ، وكله دون ما يستحقون ، لأن خبر الأمير عبد الله بن علي من أكبر أخباره ، فلو أننا كتبنا كلما سمعناه عمن رآه لكان عجبًا .

(للبحث صلة)

→ أنه في ديار بني عامر بن صعصعة ، أو قريب منها ، وكبكب جبل خلفَ عرفات) .

١ ـ القول بأن جبجب ماء بنواحي اليمامة أورده ياقوت في « معجم البلدان » واستشهد بشعر الأحوص ، ثم أورد بعده : وقال الراجز :

يَـا دَارَ سَلْمَى بِـدِيَـارِ يَثْـرِبِ بِـجَبْـجَبٍ وعَـنْ يَمِـينِ جَبْـجَبِ

ولكن صاحب « تاج العروس » لما أورد قول صاحب « القاموس » : وجُبْجُبُ ـ بالضّم ـ ماءٌ قرب المدينة ـ استشهد بالرجَزِ ولكنه أضاف : ويترب ـ بالتاء الفوقية موضع باليمامة ، وكأن المصنف ظنه يثرب ، فلذا قال : بالمدينة ، وفيه نظر ـ إلى أن قال : وبقيع الجبجب موضع بالمدينة ، أو هو بالخاء في أوله ، كما ذكره السُّهَيلي ، وقال : إنه شجر عُرِفَ به هذا الموضع . انتهى .

وما أشار إليه صاحب « تاج العروس » من أن قول صاحب « القاموس » عن جبجب : ماءٌ قرب المدينة . وأن فيه نظرا ، أورد البكري في « معجم ما استعجم » ـ ١٣٨٨ ـ بعد الرجز : جبجب ماء بيترب ، ما يؤيده قال : إن يترب من اليمامة ، لأن العمالقة كانت من اليمامة إلى وبار ، ويترب هناك ، وكانت العماليق أيضا بالمدينة .

٢ ـ ولكن أيَّةُ صلة للأحوص وهو مدني بهذا الماء الذي في اليمامة ، وقد قرنه بمزج القريب من المدينة ، فينبغي أن يكون جبجب بقرب مزج ، هذا إذا كان الاسم صحيحا ولم يكن محرفا .

٣ ـ جبجب اسم يظهر أنه يطلق على مواضع ، ففي « معجم ما استعجم » ـ ٣٦٤و ٤١٩ و٦٣٩ نَجِدُ النابغة الجعدي قرنه بمواضع ـ في جنوب الجزيرة ولهذا قال البكري : جبجب وحبحب ماء لبني جعدة ـ كما ذكر البكري أيضا ـ أن جَبْجَبًا من عُكَاظ .

وإذن فالاسم لا يطلق على موضع واحد ، وليس بين أيدينا ما يرجح أن الشاعر قصد جبجب الذي في اليمامة ، بل إن بعده عن هذه البلاد ، وذكر الاسم مقرونا بمزج يدل على انه يقصد موضعا قريبا من المدينة .

٤ ـ ليس من المستبعد ان يكون لرواية البكري في « معجمه » : (وبيش دُوْنَ سَلْمَى وجبجب) وجها من الصحة ، ففي جنوب الجزيرة مواضع يطلق عليها هذا الاسم منها قرية من قرى ضمد في اقليم جازان ـ انظر « المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان » ١١٥ ـ كما ذكر الهمداني مواضع في اليمن ولكنها معرفة .

وَبِيشُ لا يزال بعض سكانه ينتسبون إلى بني هلال ، وهاؤلاء من بني عامر بن صعصعة ، وهذا مما يقوي رأي شيخنا العلامة ابو فهر ، وإن لم أدرك وَجْهَ تصويبِهِ .

١٩ ـ جَرِيبُ : (٩٧)

عَفَـا مَثْعَـرٌ مِنْ أَهْـلِهِ فَثَـقِيْبُ فَسَفْحُ اللِّوَى مِنْ سَائِـرٍ فَجَرِيْبُ
فَذُو السَّرْحِ أَقْوَى فَالْبَرَاقُ كَأَنَّهَا بِـحَـوْرَةَ لَمْ يَحْلُلْ بِهِـنَّ عَـرِيْبُ

(قال ابن الأعرابي : مثعر وادٍ بالفرع . وثقيب واد بالفرع أيضا ، وسائر : جبل في هذا الموضع « معجم ما استعجم » . . . وجريب : واد عظيم يصب في بطن الرمة من أرض نجد) .

ذو السرح : واد بين مكة والمدينة قرب مَلَلٍ . . . براق حَوْرة : موضع من ناحية القبلية .

٢٠ ـ الجريبان : (١٣٠) :

عَفَتْ عَرَفَاتٌ فَالْمَصَايِفُ مِنْ هِنْدِ فَأَوْحَشَ مَابَـيْنَ الْجَرِيْبَيْنِ فَالْمَهْـدِ

(الجريبان : الجريب واد بين أجَلَى والذَّنَائب وحبر (بتشديد الباء) تجيء أعاليه من قبل اليمن حين يلقى الرمة ، وهذا هوجريب نجد . والجريب الآخر بتهامة ، وهما جريبان انظر « معجم ما استعجم » والنهد : موضع يقال له عين النهد ، وهو بالفرع .) .

١ ـ لا أدري لِمَ لم يُعير المحققان الكريمان التباعد بين الجريب الذي اتفقا على أنه الموضع المراد بقول الشاعر وبين المواضع التي قرنه بها التفاتًا ؟ فأين جَرِيْبُ نَجْدٍ من أمكنة واقعة في الحجاز على مقربة من المدينة ؟

٢ - إذا صَحَت كلمة الجريب فلم لا تكون اسما لموضع قريب من مَثْعر وثقيب في نواحي الفُرْع ، وإن لم يرد له ذكر في كتب المتقدمين ، وما أكثر المواضع الواردة في الشعر القديم ولم يحدد المتقدمون أمكنتها . ومثال واحد من الأمثلة الكثيرة :

البزواء : وردت في شعر كُثَيِّر : - « ديوانه » - ٨٠ - :

يُقَبِّلْنَ بِالْبَزْوَاءِ وَالْجَيْشُ وَاقِفٌ مَزَادَ الرَّوَايَا يَصْطَبِبْنَ فِضَالَهَا
وَقَدْ قَابَلَتْ مِنْهَا ثِرًى مُسْتَجِيزَةٌ مَبَاضِعَ فِي وَجْهِ الضُّحَى فَثُعَالَهَا

والْبَزْوَاءُ هذه - كما عرفها المتقدمون - : أرض بيضاء مرتفعة ، من الساحل بين الجارِ وَوَدَّان - أي شمال مكة بينها وبين المدينة ، ولا تزال معروفة - انظر « ديوان كثيرعزة » - ٥٥٣ - تحقيق الدكتور إحسان عباس .

وهناك بَزْوَاءُ أُخْرَى وردتْ في الشعر القديم ، ولكنها تقع جنوب مكة ، ذكرها أبو دَهْبَلٍ الْجُمَحِيُّ في وصف ناقته وهو متوجِّهٌ إلى البِرْك :

خرَجْتُ بِهَا من بَطْنِ مكَّةَ بَعْدَمَا أَصَاتَ الْمُنَادِيْ لِلصَّلَاةِ وأَعْتَمَا
فَمَانَامَ مِنْ رَاعٍ وَلَا ارْتَدَّ سَامِرٌ مِنَ الْحَيِّ حَتَّى جَاوَزَتْ بِي أَلْمْلَمَا
ومَرَّتْ بِبَطْنِ اللَّيْثِ تَهْوِي كَأَنَّمَا تُبَادِرُ بِالْإِصْبَاحِ نَهْبًا مُقَسَّمَا
وَجَازَتْ عَلَى الْبَزْوَاءِ وَاللَّيْلُ كَاسِرٌ جَنَاحَيْهِ بِالْبَزْوَاءِ وَرْدًا وأَدْهَمَا
فَقُلْتُ لَهَا قَدْ بُعْتِ غَيْرَ ذَمِيْمَةٍ وأَصْبَحَ وَادِيْ الْبِرْكِ غَيْثًا مُدَيَّمَا

فَهَلْ يَصِحُّ الْقَوْلُ بأَنَّ مُرَادَ أَبَا دَهْبَلٍ الْبَزْوَاءُ التي حَدَّد المتقدمون موقعها وتلك شمال مكة ومراد أبي دَهْبَلٍ جَنُوبِيًا ، لأن المتقدمين لَمْ يُحَدِّدُوْا سوى الأولى ؟

٣ - اسم الْجَرِيْب لا تَخْتَصُّ بِمَوْضِعَيْنِ أَحَدُهُمَا بتهامَةَ والثاني في نَجْدٍ لكي نَقْصُرَ كلمة (الجرِيْبَيْنِ) عَلَيْهِمَا ، فقد سَمَّى الهمداني في « صفة جزيرة العرب » مواضع في اليمن غير جريب نَجْد ، - انظر الصفحات ١١٤ / ٢٢٩ / ٢٣٤ - ولا تزال هذه المواضع معروفة في زبيد ، وفي بلاد حَجُور من همدان ، وفي رَيْمَة ، وفي البيضا - كما أوضح الأكوع والمقحفي في مؤلفيهما عن بلدان اليمن .

٤ - أما قول الدكتور عادل : الجريب وادٍ بين أجَلَ والذَّنَائِب وحبر - بتشديد الباء -

تجيءُ أعاليه من قبل اليمن حتى يلقى الرُّمَة . فهو نَصُّ ما نقل البكريُّ في « معجم ما استعجم » عن يعقوب ـ ولعله ابن السِكيت ـ سوى ضبط (حبر) فلم يرد في الجملة . وفي هذا الضبط سبق قلم ، فالمشدد هو الراء وليس الباء . ووادي الجريب ليس محصورا بين أجَلَى والذُّنائب وحِبِرّ ـ وكلها هضبات لا تَزَال معروفة ، وإنما المقصود أنَّ فروع وادي الجَرِيْب تبتدئ من هذه الهضابُ وما حولها من الجهة الجنوبية الموالية لليمن ثم يَمْتدُّ الوادي صوب الشمال مسافات طويلة حتى يلتقي بوادي الرُّمَةِ ، لا أنه محصور (بين) تلك المُسَمَّيات ، فَأَجَلَى وحِبِرٌ والذُّنائب تقع كلها فيما خطي العرض ٣٠ ـ/٢٣° و٤٠ ـ/٢٥° وبقرب خطي الطول : ١٠ ـ/٤٢° ، و١٥ ـ/٤٢° ومن هُنَا تنحدر فروع وادي الجريب الممتد عبر عالية نجد من جنوبها إلى شمالها حتى يجتمع بوادي الرُّمَةِ بقرب خط العرض ٤٠ ـ/٢٥° ـ إذ هو أعظم روافد وادي الرُّمة .

٥ ـ وما كان للكلام المتقدم كله من مَحَلٍّ لولا ورود ما يستلزم ذكره ـ فقد أوضح البكريُّ الجريب الذي أراد الأحوص ، فقطع بذالك قول كل خطيب ، قال في رسم (ملل) من « معجم ما استعجم »وبالْفَرْشِ الجَرِيْبُ ، وهو بطْنُ وادٍ يقال له مثعر ، وهو ماءٌ لجهينة ، وذكره الأحوص فقال :

عفــا مَثعَــرٌ من اهْلِهِ فَثَقِيْـبُ فَسَفْحُ اللَّوَى مِنْ سَائـرٍ فَجرِيْبُ

ـ إلى أخر ماذكر وسيأتي الكلام على مثعر .

٢١ ـ الجمانان : (١٤١)

سيأتي شاهدها في (الريَّان) وهناك أشرت إلى أن الكلمة قد تكون مصحفة ، ومن أقرب الصور إليها (الحماتان) موضع ورد في شعر كُثَيِّر .

وقد حال من حزم الحماتَيْنِ دونهم وأعرض من وادي البليد شجون

والحماتان على ما ذكر ياقوت من نواحي المدينة ، ولكن يظهر مما أورده البكري في رسم الأشعر من « معجم ما استعجم » أنهما في نَخْلَى ـ قال : ومن أودية الأشعر الغورية نملى (الصواب نَخْلَى) تصب على ينبع ، وبأسفل نِملى (نخلى)

البلدة والبليد وقد ذكر كثير البليد ـ ثم أورد الشاهد من شعره مما يفهم منه أن الحماتين من بلاد ينبع .

٢٢ـ الجُمدُ : (١٠٩)

أَقْـوَتْ رُوَاوَةُ مِنْ أَسْمَاءَ فَـالسَّنَـدُ فالسُّهْبُ فَالْقَاعُ مِنْ عَيرَيْنِ فَالْجُمُدُ

(رُواوة : موضع في جبال مزينة قال ابن السكّيتِ : رُوَاوة والمنتضى وذو السلائل أودية بين الفرع والمدينة . والسند بلد معروف في البادية ، وقال الأديبي : ماء معروف لبني سعد . . . عيران : جبلان يقال لهما عير الوارد والآخر عير الصادر وهما متقاربان : قال عرام : هماعن يمينك ببطن العقيق وأنت تريد مكة .

والجمد : جبل لبني نصر بنجد) .

لماذا نذهب بَعيدًا إلى الجمد الذي هو من جبال بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، الذي قرنه الأصفهاني ـ صاحب « بلاد العرب » ـ ١٢ ـ بجبل بُسٌ الواقع شرق الحجاز مما يلي رُكْبَةَ . والشاعر قرنه بمواضع بقرب المدينة ، وقد كفانا اللغويون مشقة البحث عنه ، إذ أوضحوا أن الجَمَدَ ـ بالتحريك ـ ما ارتفع من الأرض . . . ومكان جمد صَلْبٌ مرتفع ، قال امرؤالقَيْس :

كَـأَنَّ الصّوارَ إذْ يُجَـاهِدْنَ غُـدْوَةً عَـلَى جَمَدٍ خَيْـلٌ تَجُولُ بـاجـلالِ

قال الأصمعي : الجَمَدُ المكانُ المرتفع الغليظ . والشاعر نَفْسُهُ لمح إلى هذا حين ذكر القاع من جبلي عير ـ أضاف الجمد منهما ، فكأنه قال : ما انخفض من أرض عَيْرَيْن ، وما ارتفع .

٢٣ـ ذات الجيش : (٢٠٥)

لِمَنْ رَبْعٌ بِذاتِ الجيشِ أمسى دارسًا خَلَقاً

(ذات الجيش : موضع قرب المدينة ، وهو وادٍ بين ذي الحليفة وبرقان ، وهو أحد منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، وإحدى مراحله عند منصرفه من غزاة بني المصطلق ، وهناك جَيَّش في ابتغاء عقد عائشة ـ رضي الله

عنها ـ ونزلت آية التَّيَمُّم) . انتهى وهو منقول من « معجم البلدان » والأصل من كلام الحازمي كما سيأتي .

١ ـ في هذا الكلام كلمتان مصحفتان :

أ ـ (برقان) وفي « معجم البلدان » : (برثان) والصواب : (تربان) وهذا التصحيف قديم .

فقد جاء في كتاب « الأماكن » أو « ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة » للحازمي ما نصه : باب بَرثان وبَرْتَان وتَرْبان وثرثار : أمّا الأول ـ بعد الباء المفتوحة راء ساكنة ، ثم ثاء مثلثة ـ: وادٍ بين مَلَلٍ وأولات الجيش ، عليه كان طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بَدْرٍ ، كذا قيَّده ابنُ الْفُرات في عدة مواضع ، وقد رأيت بخط أبي نُعَيْمٍ مَا يخالف هذا . وقد رأيت في النسخ اختلافا كثيرا في هذه الكلمة ، غير أن الاعتماد على ضبط ابن الفرات.إلى آخر ما قال وكرر تصحيف الاسم في (باب جيش ، وحُبْس) فقال : اولات الجيش قرب المدينة ، واد بين ذي الحليفة وبَرْثان ، وهو إحدى مراحل النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، وإحدى مراحله منصرفه من غزوة بني المصطلق ، وهناك حَبَسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في إبتغاء عِقد عائشة ـ رضي الله عنها ـ ونزلتْ آيةُ التَّيَمُّم ـ واستمر في الكلام .

ولكن اسم تربان ورد صحيحا في كثير من المؤلفات القديمة ككتاب « المغازي » للواقدي ـ ٢٠/٢٦/١١٧ ـ و «السيرة النبوية » لابن هشام ـ : ٦١٣/١ تحقيق السقا ومن معه . و« الطبقات » لابن سعد ـ ٣٨٣/٢١٧/٣ و « معجم البلدان » رسم تربان ـ . والموضع لا يزال معروفًا ويبعد عن المدينة نحو خمسة وعشرين كيلًا وأقصاه حيث يصب في ملل نحو ثلاثة وثلاثين كيلا .

ب ـ (جَيْش) والصواب (حُبِسَ) أي أقام للبحث عن العقد على غير ماءٍ كما جاء في الخبر عن عائشة : حتى إذا كُنّا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقدي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء ـ « عيون الأثر »: ١٠٣/٢ .

٢ ـ حَدَّدَ المتقدمون المسافة بين ذات الجيش وبين المدينة بما يتراوح بين اثني عشر ميلا وسبعة أميال ، وقد اتسع عمران المدينة في عهدنا فبلغ وادي العقيق الذي فيه ذو الحُلَيفة ، بل تجاوزه ـ بحيث تقلصت المسافة حتى أمكن القول بأن العمران بلغ ذات الجيش التي كان سيلها يفيض على مقربة من محل الاحرام ، وأعلاها يبعد عن محل الاحرام بنحو ثمانية عشر كيلا ، وذات الجيش من حرم المدينة وعدها بعض المتقدمين من العقيق لأنها تسيل فيه ـ ولزيادة التفصيل انظر « العرب » س٢٣ص١١٦ ـ

٣ ـ البيت : (لمن ربع . . .) نسبه صاحب « معجم البلدان » لجعفر بن الزبير ابن العوام .

٢٤ـ حَصير ، حَضِير : (١٥٥)

وَيُبْعِدُنَا صَرْفُ الزمانِ بِوَصْلِكُمْ لَيَالِيَ مَبْدَاكُم قَذُور حَصِيْرُ

(حَصِير : جبل في بلاد غطفان) .

وفي شرح قول الأحوص (١٦٩) :

لِغَانِيَةَ تَحُلُّ هِضَابَ خَاخ فَأَسْقُفَ فَالدَّوَافِعَ مِنْ حَصِير

(خاخ : مضى ذكره ـ ق : ١ هامش : ٦ ـ . . . والدوافع : جمع دافعة وهي التلعة من مسايل الماء تدفع ماءها في تلعة أخرى ، إذا جرى في صَبَبٍ وحُدُور ، فترى له مواضع قد انبسط فيها شيئًا واستدار . حصير : مضى ذكره انظر ق ٦٣ هامش٧ ـ أما حضير ـ وهي رواية « وفاء الوفاء » فقاع فيه آبار ومزارع يفيض عليها سيل النقيع ثم ينتهى الى مُزْج . خضير : و « معجم البلدان » ـ خاخ ـ خطأ) .

١ ـ لا شك أن صواب الاسم الذي قصده الأحوص هو : حضير ـ بالحاء المهملة بعدها ضاد معجمة ـ وقد أدرك هذا الدكتور السامرائي فقال معلقا على بيت الأحوص ـ ١٠٩ ـ حضير ، وفي « معجم ما استعجم » ـ حصير ـ بالصاد المهملة ـ وهو خطأ ، وذالك لأنّ الذي بالصاد حصن باليمن من أبنية ملوكهم

القدماء ، والصحيح ـ بالضاد المعجمة ـ كما في « وفاء الوفاء » ـ ١١٩٩ ـ للسمهودي ، وحضير : قاع فيه آبار ومزارع يفيض عليها سيل النَّقيع ، ثم ينتهي إلى مزج ـ انظر « معجم البلدان » .

٢ ـ ونص مافي « معجم البلدان » هو ما ذكر السمهودي ، وأصل الكلام للهجري ، فالسمهودي نقل عن الهجري ، أن حضير آخر النقيع وأول العقيق .

٣ ـ وحضير هذا : ورد مصحفا في « معجم ما استعجم » في رسم ـ النقيع ـ حيث ذكر أن سيل النقيع يفضي إلى قرار أملس وهي أرض بيضاء . . . ويليها أسفل منها حَضِير قاع يَفيض عليه سيل النَّقيعَ فيه آبار ومزارع ومرعى للمال ، إلى أن قال ـ : ويدفع على حضير الأئمة ـ أئمة ابن الزبير . . . ثم يفضي من حضير إلى غدير يقال له المزج لا يفارقه الماء ، وهو شق بين جبلين يمر به وادي العقيق فيحفره ، وهذا الجبل المنفلق الذي يمر به السيل يقال له أسقف ، ثم يفضي إلى غدير يقال له : رواوة ، انتهى ملخصا .

ويظهر أن البكري نقل هذا عن الهجري ، ولم يصرح بذلك ، لأن السمهودي نقل مثله عن الهجري نفسه .

٤ ـ وقد فرق الحازمي في كتاب « ما اتفق لفظه وافترق مسماه من أسماء المواضع » فقال: بَابُ حَضِيْر وَحَضِيْر . أَمَّا الأَوّلُ: بِفَتْحِ الحاءِ وكَسْرِ الصَّادِ المهمَلَة وآخِرُهُ رَاءٌ : حِصْنٌ باليَمَنِ مِنْ أَبْنِيَة مُلُوكِهم، وأَيْضًا جَبَلٌ فِي بِلَادِ غَطَفَانَ.

وأَمَّا الثَّاني : بالضَّادِ المعْجَمَة والبَاقي نَحْو الأوَّل ـ : قَاعٌ فِيه آبَارٌ وَمَزَارِعُ يَفِيضُ عَلَيْه سَيْلُ النَّقِيْع ، وبَيْنَ النَّقِيْع وبَيْنَ المدِيْنَة عِشْرُوْنَ فَرْسَخًا . انتهي .

وحضير ادنى النقع والمسافة بينه وبين المدينة أقل من عشرين فرسخاعلى ماذكر السمهودي . والخلاصة ما دام الشاعر مَدَنيا ومرابعه ومراتع لهوه وصباه حول المدينة ، ومنها أسقف المتصل بحضير ـ بالضاد المعجمة ـ كما سبقت الإشارة إلى ذالك في الكلام على أسقف ، فلماذا نذهب به الى جبل في بلاد غطفان ؟

٤ ـ ونصوص المتقدمين واضحة في تحديد حَضِيْر هذا ، فقد أوضح السمهودي في ←

رحـــلة الضياغــم

(فيضة عَبْدَه)

يتناقل العامة أخبارًا وحكايات وأشعارًا متوارثة ، ينسبونها إلى قوم متقدمين يقال لهم : الضياغم ـ على لفظ جمع ضيغم ـ يفهم منها انهم أنتقلوا من جنوب الجزيرة إلى شمالها في رحلة تعرف في المصطلح الشعبي بـ (فيضة الضياغم) . . . ومن ذلك قصيدة باللغة العامية تصف المناهل التي وردوها في طريق هجرتهم . . ومن اخبارهم المتناقلة ما يدور حول حروبهم في الأسياح (النِّبَاج) عند قصر مارد وحول دومة الجندل حول حصن مارد[1] .

ولا تعرف العامة عن الضياغم وتأريخهم أكثر مما ذكره الضياغم أنفسهم في بعض أشعارهم .

فهم من عَبِيدة من قحطان قال فارس بن شهوان :

يقول الْعَبِيذيِ والْعَبِيذي فَارِسْ مَشَايْلٍ من لبّـةَ الْقَلْب قـايْلَهْ

وقال عقيل بن راشد : عَبْدِيَّة والاصْل من آل ضَيْغَم . . الخ ←

→ « وفاء الوفاء » ـ ١٠٨٣ ـ وقبله البكريُّ بأنَّ سيل النقيع ينتهي إلى حضير ، وان العقيق يبتدئُ من حضير كما ذكر البكري في « معجم ما استعجم » ـ ١٣٣٦ ـ أن الأئمة ـ ائمة ابن الزبير ـ يفضي سيلها إلى حضير ، ومن حضير هذا يتجه وادي العقيق مغربا حتى يصل إلى المدينة فيجتمع بأوديتها في أسفلها ، وائمة ابن الزبير لا تزال معروفة وهي تقع جنوب المدينة بنحو خمسين كيلا . إذن حضير هذا في اعلا وادي العقيق الذي في أعلى المدينة . وقد قدر السمهودي المسافة بقوله « وفاء الوفاء » ـ ١٠٤٠ حَضير مزارع معروفة بقرب النقيع على ازيد من يوم من المدينة ، وأئمة ابن الزبير التي يفضي سيلها إلى حضير تبعد عن المدينة نحو ٥٠ كيلا ـ تقرب من تقدير السمهودي .

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

← وأصبحوا بعد ذالك معدودين في عَبْدَةَ من شَمَّر .

وهم فرقتان : آل شهوان ، وآل راشد ، وشيخ العموم : شهوان بن ضيغم !. وكان شهوان وراشد ابنين لضيغم ، فولد شهوان : عرارا وفارس ومحمدًا وولد راشد : عميرًا وعقيلا وحجابا وجميدان وحصنا (او سلطان)(٢)!

وكانوا ينزلون واديا من أودية الجنوب فيما يعرف اليوم ببلاد قحطان ، بمنطقة عسير ، ويحدد شاعرهم (شهوان) ذلك الوادي بقوله :

لنا منزل ما بين الأَفْلَاجُ والْحَسَا — وما بين صَنْعَا والسَّلِيْل وجُود

ولما كثر عددهم وقلّ الماء والخصب في الوادي رغبوا في الرحيل طلبا للسعة والماء ، ولم يكن ذلك بسبب حرب كما يؤكد شاعرهم . قال فارس :

والله مَاهُو شفّنا يوم زَاعْنَا — لا هو مِن بغض وضد طراد
شح المراعي والظما يوم ضدنا — والبِلّ تبَىَ المرعى وشرب براد(٣)

وفي طريق رحلتهم مَرُّوْا بالعديد من القرى والمناهل ، ونزلوا في ضيافة شيخ الدواسر عامر بن بدران بن زياد ، وينعته بعض الرواة بجد السدارا ، فأكرمهم وهالهم مارأوا من كرمه قال فارس :

فليل بضدّ والظّما مِرْكي لنا — لولا خَوَاوِير بهن جْلَادْ
وليل بِـ (خَمَا) و(خَمَا) شحيح مشاربه — عليه ناس بالشروب زهاد
تواقف المظهور والناس زيدوا — يبغون راي للنهاج سداد
صوّت عليهم محمي النار للعدا: — سيروا لعدًّ يذكرونه جاد
وردت عطاش (قرية) جاهلية — ميّاحها ما يسمعون مناد
وليلة وردنا العد (عد آل زايد) — لا قلت هوّن عن جمامه زاد
ضفنا وضيّفنا ابن بَدْرَان عامر — حييّت يا غمر فلاحه باد
شيخ ذبح بالحال عشرين فاطر — والاكباش مايعرف لهن عداد
وكثّر مَزَاهِبْنَا على كثر عدنا — وخليّ الجهال تشيل كل الزاد
فلا ظل إلا ظل غار من الصفا — ولا شيخ الا عامر بن زياد(٤) الخ

ثم نزلوا (وادي الرمة) وهناك وقع الاختلاف بين عرار بن شهوان وعمير بن راشد وأدّى ذالك إلى تفرق القبيلة وانقسامها ، وكان شهوان رأى في المنام انه يرزق ابنا يكون سببا في تفرق القبيلة وفي ذلك يقول عرار :

ياليت شهوان ماجاله عُيَال ولا جاله من الصِّيْبْ كُوْدْ بَنَاتْ
وياليتني من ورا الهند يوم جزا ما جعلت الرفاقة شتات(٥)

وبعد ذلك يتطور النزاع بينهما إلى حروب طويلة ، يتدخل فيها الباشا سلطان (مارد) ويُقتَل الباشا على يد حميدان بن راشد أخي عمير !
قال عمير :

شيخ لنا يمشي على مايضرّنا وهو بالْعَيَا من يوم شبّ وشابْ
حدا علينا الروم قطّاعة الثنا غادِي الجَدَا يسعى لنا بالذهاب

الى قوله :

تلاقى حميدان وسلطان مارد وتهايا لذا من كف ذاك صواب
وضربه حميدان بشلفا سنينة عرينية تودع الدروع خراب(٦)

وتنتهي تلك الأحداث بغرق (آل شهوان) في وادي الرمة جميعا ،عدا عرار ، وبعدها يضطر عرار إلى اللحاق بعمير وقومه ، غير انه لا يحتمل أن يكون مجرد فرد من اتباع عمير فيقتل نفسه بطريقة مأساوية ؟!
ذلك مايتناقله العامة من أخبار الضياغم !
أما الجانب التاريخي لقصة رحلة الضياغم فهو ما سنحاول في هذه الدراسة إلقاء بعض الضوء عليه !

مَنْ هُمُ الضَّيَاغِمُ ؟

يقول الشيخ حمد الجاسر : الضياغم (على لفظ جمع ضيغم) هؤلاء لهم أخبار وحكايات ، واشعار متوارثة ، عند العامة يفهم منها انهم انتقلوا من جنوب الجزيرة الى شمالها . . ولم ار فيما اطلعت عليه من المؤلفات شيئا من تحديد زمنهم ولكن يفهم مما سيأتي في بيان نسبهم عن كتاب « طرفة الاصحاب » أنهم كانوا إلى

آخر القرن السابع الهجري لا يزالون في الجنوب في بلاد مَذْحِج - أي ما يعرف الآن ببلاد قحطان بمنطقة إمارة بلاد عسير ! .

جاء في كتاب « طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب » للسلطان عمر بن يوسف ابن رسول المتوفى سنة ٦٩٤ هـ[٧] نسب آل منيف وهم آل ضيغم ، وآل راشد من جنب ، وهم المعروفون بالمعضة وهو منيف بن ضيغم بن منيف بن جابر بن علي بن عبد الرب بن ربيع بن سليمان بن عبد الرحمن بن روح بن مدرك بن عبد الحميد بن مدرك .

ويقال : إنهم من بكيل ، إلا أنهم حالفوا عَنْسًا من مَذْحج ، فسموًا جَنْباً

وقيل : إنهم من نزار من عنز بن وايل بن قاسط بن هنب بن افصا بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان دخلوا في نسب جنب لأن امهم عَبِيدة بنت مهلهل بن ربيعة التغلبي من تغلب وائل اخي عنز بن وائل تزوجها روح بَن مدرك من بعد معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث الجنبي وإخوتهم من امهم آل عايذ وآل راشد وبنوقيس وآل السفر . وآل الصلت ، واصحابهم يسمون الأبطن من ولد هذا معاوية الجنبي فنسبوا اليهم[٨] .

ووقفت على الكتاب بنفسي ولاحظت الآتي :

١ - أن ابن رسول رتَّبَ القبائل والجماعات التي ذكرها في كتابه على اساس تقارب انسابها فمثلا ذكر اشراف اليمن ثم ذكر اشراف الحجاز (آل قتادة) ثم اشراف جازان (السليمانيين) فالامراء الذرويين (اهل صبيا) . . . الخ وختم ذلك بقوله : انقضى نسب الاشراف كافة بالحجاز والمشرق ومابينهما من اعمال اليمن !

ولان ذلك منهجه في الكتاب فذكره للضياغم بين آل جحُاف وآل دعام ، وكلاهما من بكيل ، قد يدل على انه يرى نسبتهم إلى بكيل ؟ !

هذا عدا عبارة (وقيل إنهم من بكيل . . الخ) التي ذكرها الجاسر ولم اجدها في النسخة التي بين يدي!؟

[العرب : تختلف النسخ المخطوطة أمًا المطبوعة فكثيرة الخطأ ، وقد نشر حمد

الجاسر في « مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق » نقدا لها حين نشر المجمع ذالك الكتاب في الجزء الصادر في ربيع الاول سنة ١٣٧٠ - كانون ثاني ١٩٥١م - المجلد (٢٦) ص ٢٢٣ الى ٢٣٢].

٢ - بدأ الكلام عن نسب الضياغم بقوله : وهم آل ضيغم وآل راشد من جنب وهم المعروفون بالمغضد (ولعلها تصحيف المعضة كما اثبتها الجاسر وكما جاءت في « معجم البلدان » للمقحفي ثم ذكر نسب آل دعّام من بكيل ، وختم ذلك بقوله : انقضى نسب المعضد (المعضة) والله اعلم ؟ !

وعبارته هذه يفهم منها أن المعضد (المعضة) اسم شامل للضياغم وآل دعّام ، ولأنَّ آل دعام من بكيل فلابد أن يكون آل ضيغم أيضا منهم .

إلّا أن يكون اسم (المعضة) لا يعني الاتحاد في النسب ، وإنما يطلق على قبائل متفرقة كما في « معجم البلدان والقبائل اليمنية » .

٣ - كما أن تكرار بعض الأسماء مثل : حصن وطوق وغيرهما في آل ضيغم وآل دعام وآل جحاف قد يدعمّ ذالك وإن كانت الأسماء مشاعة بين الناس .

ورأيت المقحفي يذكر من بطون بكيل : مدرك بن باري بن سفيان بن أرحب ابن الدعام الاصغر بن مالك بن ربيعة بن الدعام الأكبر بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل(٩) .

ومن المحتمل ان يكون روح بن مدرك جَدُّ آل ضيغم هو روح بن مدرك بن عبد الحميد بن مدرك بن باري بن سفيان .. الخ النسب ؟!
ويظل هذا مجرد احتمال !!

ورأيته (المقحفي) أيضا يذكر روح بن فرا بن مدرك في نسب آل عمار من عنس مذحج وفيه انهم : بنو عمار بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوليد بن احمد ابن سيف بن عود بن عامر الاكبر بن سليمان بن ابي يزيد بن الخير بن احمد بن روح ابن فرا بن مدرك بن صعب بن مالك بن عنس بن مذحج(١٠) .

ولا أستبعد أن يكون هو روح المذكور في نسب آل ضيغم ، خصوصا أن ابن

رسول قد ذكر محالفتهم لعنس من مذحج ؟ !

كل ذلك محتمل ، والمهم أنْ نعرف أنَّ آل ضيغم من عَبيدة من جنب القحطانية وهم اسلاف عبدة البطن المعروف في قبيلة شمر .

زمن الرحلة :

يقول الجاسر : (ولم ار فيما اطلعت عليه من المؤلفات شيئا عن تحديد زمنهم)(١١) . وقد عثرت على عدة نصوص تحدد زمنهم بدقة !! . . .

يقول الخزرجي في كتاب « العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية » في حوادث سنة ٦٥٨ : (طلع السلطان من صنعاء في المحرم من السنة المذكورة ، وكان الأمير اسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول في (ذمرمر) فطلب من مولانا السلطان أن يجهزه إلى حضرموت فساعده إلى ذالك وزوّده فخرج الى الجوف فلقيه حصن بن محمد بن جحاف ، وعبد الله بن منصور بن ضيغم ، فطلبوا منه النصرة على آل راشد بن منيف ، فأجابهم فكانوا حلف مولانا السلطان فوقعت الحرب بينهم فقتل طوق بن حمدان في جماعة من آل راشد) .

وفي « غاية الأماني بأخبار القطر اليماني » نفس الحادثة وأضاف أن آل راشد حلفاء المظفر ؟ !

وفيه أن رفيق عبد الله بن منصور خضر (لا حصن) ولعله الصحيح لأن ابن رسول ذكر خضر بن محمد بن جحاف في الكلام على آل جحاف(١٢) .

والحادثة نفسها في كتاب « السمط الغالي الثمن » .

ونص آخر في كتاب « بهجة الزمن بأخبار اليمن » يذكر أن شهوان بن منصور العبيدي شارك في غزوة شبام وحضرموت سنة ٦٧٨ .

طريق الرحلة :

يقول ابو عبد الرحمن بن عقيل : هناك قصيدة دالية تشبه الشعر العامي في القرن التاسع ، اورد منها الشيخ سعد بن جنيدل مقتطفات ونسبها إلى فارس بن

شهوان الضيغمي وذكر انه يرسم بها طريق ارتحال قبيلته من بلادهم إلى نجد ، فلعل فارس هذا اخ لعرار[١٣] . ثم رأيت السويداء ينسبها لبني هلال[١٤] .

والقصيدة (في رأيي) لفارس أو لاحد آل ضيغم للأسباب التالية :

١ ـ في القصيدة ذكر لأحد شيوخ قبيلة الدواسر ، وهو عامر بن بدران ، وبما أن رحلة الضياغم كانت كما اسلفنا في اواخر القرن السابع فإن عامراً المذكور كان شيخ الدواسر في تلك الفترة !!

ولما كان ابنُ فضل الله العُمَري ذكر أن شيخ الدواسر في زمنه ـ النصف الاول من القرن السابع الهجري ـ هو رواء بن بدران[١٥] فان تقارب الاسمين والزمنين يؤكد أن القصيدة للضياغم وليست لبني هلال الذين رحلوا في القرن الرابع ؟!

٢ ـ كما أن خط سير الرحلة يبدأ من جنوب الجزيرة العربية حيث بلاد قحطان ، التي كانت تسكنها قبيلة الضياغم ، بينما كانت قبيلة بني هلال قبل رحيلهاتسكن كما يقول ابن خلدون في بسائط الطائف ما بينه وبين جبل غزوان[١٦] .

٣ ـ في القصيدة ذكر لبعض المواضع التي لم تعرف بأسمائها الواردة في القصيدة الا بعد زمن بني هلال فمثلا :

(الحصاة) . كانت تعرف قديما بِعَماية وذكرها بذالك الاسم ياقوت الحموي (٥٧٤-٦٢٦)

(الحدبا) . كانت تعرف قديما بحائل وذكرها أيضا ياقوت بهذا الاسم[١٧] .

وهذا يعنى أنها لم تعرف بهذه الأسماء الا بعد زمن بني هلال !

تاريخ آل ضيغم ووقائعهم في الجنوب :

تتحدث النصوص التاريخية والشعرية المنسوبة إلى آل ضيغم عن بعض الوقائع الحربية للضياغم ـ فيما بينهم ـ ومع القبائل والإمارات العربية الأخرى في زمنهم ، ومن ذلك :

وقعة (الخرمة) : والتي يظهر من اسمها انها وقعت قريبا من بلدة (الخُرمة) ضد إحدى القبائل العربية المجاورة ، ويبدو أن الغلبة فيها كانت للطرف الثاني ؟

وقعة أخرى : ذكرها شهوان وذكر بعض تفاصيلها ، فقد كانوا غزاة في حدود الستين فارسا ، كبيرهم ـ فيما يبدو ـ شهوان ، واغاروا على الطرف الثاني صباحا فهزموهم ، وانتقموا لهزيمتهم في الخرمة ؟!

قال شهوان :

غَـزَيْنَا غَـزْو قَـدْر سِتِّينْ فَـارِسْ وشِفْنَـا شُـوَيْفٍ في ذُوَابَـةْ رِيْـع
وقالُوا : ياشهوانْ قُمْ ارْقُبْ لَنَا ومثلك رَاعِي الـطَّيِّبَـاتْ يـطِيْـع
يوم اشرفَ المِرْقابْ راسي وْرُوسْهَا للجمـوع تـزَبّـرْ وللطَّيَـاسْ لَميـع
فقـالـوا يَـا شِهَـوَان ردهـاً سـالم عـلى العمر والا فـالجـواد قليع
فقلت : انها الدَّهْمَا جوادٍ بِنْ عامِرْ وزَوْدْهَا على جَرْيَ المهار جـزيْعْ
غدتْ بِي وابني وابن عمي ودِرْعَنَا والخامسْ منْ بَيْنَ الضلوعْ جضِيْع
ضَرْاب يام لحقت الرُكْبْ كلهم وأتـلاهم الـلي بـالسَّلْيْـلْ منيـع
وصبّحْتَهُمْ والعِلْمْ ما وصلْ حيّهم واخذنا قضا (الخُرْمَة) وفاه سريع

ويقول من قصيدة أخرى لها نفس المناسبة :

يَـاقَـانْصِـيْنَ الصيْـد انَـا دَليله من بـين سنامات الْعْلاّ ونْجَادْ
معـانيع مثـل الورع مـاشي يرده من الخيل شثنات الـوجيه عيـاد
فـلا يلحق الجـازي إلاَّ شبيهـه عـريضـة ملقى الابْهَـرَيْن سْنـاد
مـرفّعـة السَّيْقَـان قَبَّـا شمـرَّهْ تـزيـد عـلى المنقـور يـوم الـزاد
مـربّعـة الجِمْهَـات مـرداة غـارة إلى عرضت عقب الدعوث شداد
ثـارت بي واخوي وابني ودرعنـا مـع خامس بـين الضلوع مـداد
مع ذا لما عـرضـوهم مجـرّح مـكـاد فله عـنـدهـا مـكـاد
خيّالة اللّيْ ما يخلّيْ ابن عمّـه حـرٍ صيّـاد ولـيس يـصـاد

ولا سبيل لمعرفة الطرف الثاني في الوقعتين على وجه التحديد ، غير أني أرجح أن يكون لاشراف الحجاز صلة بهما بدليل قول شهوان في القصيدة الاولى :

عليها نقلنا غيظ الأشْرَافْ كلهم ولـو زَعْلَوْا سكان الحجاز جميع

ولا بالهدايا هَوْلَسَ القلب مرة ولا بـالسحوت المغنيـات نبيـع

اما زمن الوقعتين فهو بلا شك في القرن السابع حينما كان آل ضيغم لا يزالون يحلون بلادهم الاصلية المعروفة الآن ببلاد قحطان وذكر (بجاد) الذي هو جبل في الناحية الشرقية من تثليث[١٨] و(سنامات العلا) والذي يبدو ان المقصود به جبل (سنام) في نفس المنطقة[١٩] يدل على ذلك .

مقتل طوق بن حمدان (٦٥٨) :

وقد مر بنا ذكر هذه الوقعة ، وأنها لآل ضيغم بن مُنيف قوم شهوان ، وآل جحاف وبمساعدة الرسوليين على آل راشد بن منيف وفي تلك الوقعة قتل طوق في جماعة من آل راشد ولم ار لهذه الوقعة ذكرا في اشعار الضياغم برغم ثبوتها من الناحية التاريخية .

وتأريخ هذه الوقعة يفيد الآتي : إنَّ النزاعَ بين آل ضيغم وآل راشد بَدَأَ في وقت مبكر ، وحينها كانت القبيلة لا تزال في موطنها الأصلي في جنوب الجزيرة العربية ، وهذا بخلاف زعم الرواية العامية أن النزاع بينهما بدأ اثناء اقامتهم في وادي الرُّمَة ، وأن عرارًا كان المتسبب فيه ولذالك قال :

بـديت (بجـاد) ودمعي حشـاذْ وعيـوني بـالـدمـوع مغـرقـات
يـاليت شهـوان مـاجـالـه عبـال ولا جاله من الصّيْب كود بنات
ويـاليتني من وَرَا الهـنـد يـوم جـزا مـاجعلت الـرّفـاقـة شتـات

كما أن ذكر (بجاد) هنا يدل على أن القبيلة كانت آنَذَاكَ لا تزال في بلادها الأصلية وقد تقدم أن (بجادا) جبل في تلك الناحية .

من المحتمل أن يكون النزاع بين الفريقين وقع لأسباب أخرى غير التي ذكر الرواة ، ولعل ذلك قبل بروز دور عرار في القبيلة . لأن ابن رسول أغفل ذكر عرار في بيان نسب آل ضيغم ، وسبب هذا في اعتقادي أن عرارًا كان لا يزال حدثا في زمن تأليف الكتاب .

ولأن ابن رسول ألف كتابه (٦٥٦ـ٦٥٧)[٢٠] فإن السن المعقول لعرار زمن

تأليف الكتاب من (١٢ - ١٣) سنة ، لا أكثر لأن في أوصاف أمه له بعد ذلك انه ظهرت عليه علامات النجابة في سن مبكرة .

فيكون عرار قد ولد سنة ٦٤٤-٦٤٥ ولو صح ذالك لكانت تلك الوقعة حدثت وعرار في حدود الثالثة عشرة من عمره ومن غير المعقول أن يتسبب في النزاع بين القبيلة في تلك السن المبكرة ؟ !!

غزوة شبام وحضرموت ٦٧٨ :

وقد ذكر صاحب « بهجة الزمن بأخبار اليمن » أن شهوان بن منصور العبيدي شارك في هذه الغزوة !

رحلة واحدة ام رحلتان ؟

والسؤال الذي يفرض نفسه بعد ذالك : هل رحل الضياغم - آل ضيغم وآل راشد - معا تحت راية واحدة ؟

وهل استقروا بعد ذلك في موضع واحد ؟ !

في اعتقادي أنه لابُدَّ أن يكون لرحلة الضياغم مرحلتان إحداهما خاصة بآلِ ضيغم بن منيف ، والاخرى بآل راشد بن منيف !

فمن غير المعقول أن يكون بين الطرفين كل تلك العداوة والتي نتج عنها وقوع بعض المعارك بينهما ، وبعد كل ذالك تلتقي القبيلة بعد انقسامها ، هكذا ببساطة ، لترحل معا إلى شمال الجزيرة ؟ !

والظاهر أن انقسام القبيلة في تلك المرحلة المبكرة من تأريخ الضياغم نتج عنه اعتبار كل فرع منها قبيلة منفصلة ، لها شيخها الخاص ، وكيانها المستقل ، وبالتالي رحلت كل قبيلة تحت لواء شيخها الخاص ، وفي زمنين متفاوتين ، وإن كان متقاربا ولما وصلت الى منطقة نجد اختارت كل قبيلة موضعا يناسبها وهذا ما تثبته فعلا النصوص الشعرية والروايات العامية .

فعمير وقومه كانوا يحلون الأسياح (النِّبَّاج) قرب (قصر مارد) ومن هنا عرف ذالك الموضع عند الشعراء الشعبيين بديرة عمير !!

قال دهيسان الخمشي :[٢١]

دِيْـرة عْمَيِّرٍ مَـذْهَـلَ الغـانْمِـينِ فنجـال اشقـر والمـطاعم شمـامِ

وقال عرار نفسه يحدد بلاد عمير :

والقى عْمَيْرٍ بالعذيبة (العذيبات) موقف على شلش يسقى جمال الشرايف[٢٢]

والعذيبة (العذيبات) عدة آبار عذبة الماء ، في غربي القوارة ، ينسبها أهل القوارة إلى بني هلال ، كعادة العامة في نسبة كل ما هو قديم ومجهول الى بني هلال ، غير أنهم يستشهدون بالبيت السابق وهو لعرار بن شهوان الضيغمي[٢٣] .

بينما كان عرار ورهطه ينزلون وادي الرمة .

قال عرار :

لَعَل وادِي العِرْض مـادَبّة الحيَـا ولا بنيت فيـه الخيـام النـوايف

ولكن من رحل أوّلاً ؟

وما هو البعد الزمني بين الرحلتين ؟

هذان مما لا سبيل لمعرفتها إلا أن يشاء الله !!

احمد الفهد العريفي

الهوامش :

(١) «جمهرة أنساب الاسر» ١/٤٥٩
(٢) روايات من تغريبة بني هلال: ١٣١
(٣) «الالف سنة الغامضة»: ١/٣٢٦
(٤) «الالف سنة الغامضة» : ١/٣٢٦ و٣٢٧
(٥) روايات : ١٤٠ . (٦) روايات : ١٤٥ و١٤٧ .
(٧) وفي «الاعلام» ٥/٦٩ : انه توفي سنة ٦٩٦ وان اللذي توفي سنة ٦٩٤ هو ابوه .
(٨) «جمهرة أنساب الاسر» ١/٤٥٩ و ٤٦٠
(٩) «معجم المدن والقبائل اليمنية» ٢٠٨ و ٣٧١ وانظر «الاكليل» للهمداني .
(١٠) «معجم المدن والقبائل اليمنية» (ط٣) ٤٦٢
(١١) «جمهرة أنساب الاسر» ١/٤٥٩ ←

بنو خالد: فروعها وبلادها

(١)

[بعث الأخ محمد بن ناصر الهزاع الخالدي ببحث مفصل عن الأسر التي تنتسب إلى بني خالد ، ومنها ما لم يذكر في كتاب « جمهرة الأسر المتحضرة في نجد » ، وكثير منها تقيم في شرق المملكة وها هو نَصُّ ما بعث]

آل ابراهيم : في حريملاء .

منهم عبد العزيز بن محمد بن آل ابراهيم بن راشد بن محمد بن صالح ، تولى إمارة حريملاء ، وينوب عنه أخوه عبد الله ، وذلك على وقت الملك عبد العزيز آل سعود ـ رحمهم الله ـ .

آل ابراهيم : في العين بالقصيم . من الطويان من بني خالد .

آل اسماعيل :في الصّبّاخ من ضواحي بريدة وفي الغاط . من الدعوم من بني خالد . ←

→ (١٢) « غاية الاماني » ١/٤٤٨ (وقد لفتُّ نظر الدكتور عبد الله العثيمين إلى هذا ليشير إليه في الطبعة الجديدة من كتابه نشأة أمارة آل رشيد)

(١٣) « ديوان الشعر »: ١/٦٥ .

(١٤) «الالف سنة» : ١/٣٢٦ و ٣٢٧

(١٥) « مسالك الابصار »: ١١٦ . (١٦) « تاريخ ابن خلدون » .

(١٧) « عالية نجد » وانظر « معجم البلدان » لياقوت

(١٨) « معجم جبال الجزيرة » ١/٤٧٢ . (١٩) « العرب » ج ١و٢ ١٤٠٦ .

(٢٠) وذلك لان ابن رسول لم يذكر أن طوقا توفي كعادته في الاهتمام بذالك بل قال : واولد حمدان بن راشد ثلاثة : طوق وخلفّ ستة وبدر توفي وخلف ستة وصعب توفي وخلف اربعة . . ا لخ وهذا يعني حتما أن ابن رسول الف كتابه قبل وفاة طوق اي قبل سنة ٦٥٨ .

ولكن ابن رسول يذكر في نفس الكتاب المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين بقوله : وولي بعده ولده الامام ابومحمد عبد الله المستعصم بالله وهو آخر خلفاء بني العباس وهو الذي خرج عليه التتر وقتلوه واخذوا بغداد وذلك في شهر صفر سنة ٦٥٦؟

ولا داعي لاحتمال أن يكون ذالك من زيادة النساخين لأن ابن رسول كان موجوداً في تلك الفترة!! من هذا وذاك يظهر لنا أن ابن رسول الف كتابه في الفترة (٦٥٦/٦٥٧) لان وفاة طوق كانت في محرم من سنة ٦٥٨؟

(٢١) « من ادابنا الشعبية » ١/١٣٣

(٢٢) « خيار مايلتقط » ١/٢٣٦ . (٢٣) « بلاد القصيم » ٤/٥٦٢

← **ابـــل** : في الرَّاكَة ، من ضواحي الدمّام . منهم عمدة الرّاكَةِ عيسى بن جمعة بن حسن ابل . من الرازن من العمايِر ، من بني خالد .

ابلود : في عنَك : من العقل ، من العماير من بني خالد .

ال بداح : في الاحساء والهفوف . من الجبور من بني خالد .

ال بدين : في مدينة المبرز في الأحساء . من السحبان من بني خالد .

ال براك : في الأحساء وعنيزة . من آل حُميد ـ بضم الحاء ـ من بني خالد .

ال برجس : في الجوف والوشم . من القرشة من بني خالد .

ال بريكان : في عنيزة . منهم علماء ورجال أعمال بارزون . من الجفالي من الجناح من بني خالد .

ال بريـه : في عنيزة . من الخلف من آل جناح من بني خالد .

البقـــران : في أم الساهك . من الزبن من الصبيح من بني خالد .

ال بـلاع : في الرس ، استقروا بها منذ نهاية القرن العاشر ، حسب تاريخ عمارة الرس ، فيهم وجهاء ورجال اعمال واعيان منهم : صالح بن ناصر بن صالح بن ناصر بن عبد الله بن عثمان الملقب (البلاع) يجيد الشعر ، وقد تولى إمارة ينبع . من آل جناح من بني خالد .

البلهـان : في الجوف . من ذرية جحيدب بن سمحان ، منهم الدكتور عارف بن مفضي بن مسعر بن بلهان بن جحيدب بن سمحان بن ضويحي من الضويحي من القرشة من بني خالد .

ال بلهيد : في الجوف . منهم علماء وأدباء ووجهاء معروفون بالمنطقة ، ومنهم الشيخ حمود بن متروك بن عيد بن بلهيد بن حبيقان بن مفلح والاستاذ صالح بن متروك مدير تعليم البنات في الجوف . من المفلح من هويمل من آل علي من القرشة من بني خالد .

ال بليهـد : في القرائن والقصيم . فيهم علماء وأدباء ومؤرخون أبرزهم العلامة

عبد الله بن سليمان بن بليهد كان رئيس القضاة في مكة المكرمة ، توفي في الطائف عام ١٣٥٩ هـ ، والشيخ حمد السليمان البليهد قاضي البكيرية ، توفي عام ١٣٦٠ هـ ، والمؤرخ المعروف محمد بن عبد الله البليهد ، توفي عام ١٣٧٧ هـ ، وابنه الاستاذ عبد الله وكيل إمارة منطقة الرياض الآن . من الدعوم من بني خالد .

البنحسن (آل ابن حسن) : في الجبيل . من الرازن من العماير من بني خالد .

آل بنـــوى : في الرياض . من العمور من بني خالد .

البوضان : في قرية . من العمور من بني خالد .

آل بوعياش (آل ابو عياش) : في المبرز بالأحساء . من السحبان من بني خالد .

البوعينين (آل ابو عينين) : في الجبيل وقطر والبحرين ، وعدهم مؤلف « دليل الخليج » بأنهم قبيلة مستقلة من الصبيح ، من بني خالد .

آل بويت : في الأحساء . من السحبان من بني خالد .

البويدي : في عنك. اشتهروا بـ (القناهشة) من الحيا من الصبيح من بني خالد .

البيوض : في عنك من المخاصم من الصبيح من بني خالد .

آل تركي : في القصيم ، منهم الشيخ الورع محمد بن علي التركي المتوفى سنة ١٣٨٠ هـ ، والدكتور منصور التركي مدير جامعة الملك سعود في الرياض سابقا ، احد ابناء الشيخ ابراهيم التركي ساكن المدينة المنورة ، من الجناح بنوعم الفراج ، من بني خالد .

آل تميم : في الغاط وفي سدير . يكنون بآل تميمي ، كان منهم أمراء قرية الحصون فيما مضى ، وهم الآن في الرياض . من الدعوم من بني خالد .

الثامر : في عنك . من الظهيرات من الصبيح من بني خالد .

آل ثقبة : في القصب . منهم أمير القصب سنة ١١٧٥ سيف بن ثقبة الخالدي من الدعوم ، من بني خالد .

آل ثلاب : في عنك . منهم آل التركي وآل محمد من المهاشير من بني خالد .

آل ثنيان : في عنك . منهم آل سحيم وآل محمد ، من المهاشير من بني خالد .

آل ثواب : في عنك ، من آل كتم - ينطقها أهل الخليج (قتب) بالقاف والباء . من الصبيح من بني خالد .

آل ثويني : في بريدة . أبناء عم الطويان ، من الدعوم من بني خالد .

الثويني : في الجبيل . من الشاهين من العماير من بني خالد .

الجابر : في عنيزة والوشم . منهم الشاعر الشعبي عبد الله بن جابر ، اشتهر بالحِكَمْ ، توفي عام ١٢٩٢ هـ . من آل جناح ويرجعون للخويطر ، من بني خالد .

الجابر : في الجبيل والكويت ، من الشاهين من العماير من بني خالد .

آل جار الله : في اليمامة ، من الشبلة من بني خالد .

آل جبر : في عنيزة ، منهم الشيخ عبد الله بن جبر إمام [مسجد] في مكة المكرمة ، توفي عام ١٣٩٩ هـ من آل جناح من بني خالد .

الجبري : في عنيزة ، من آل جناح ، من بني خالد .

الجبور : بطن رئيس من بطون بني خالد ، أميرهم عاصر مؤلف كتاب « دليل الخليج » عبد المحسن بن بداح ، ويتفرع هذا البطن إلى فخوذ منها : العرافا ، وقريتهم الرئيسة الجشة في الأحساء .

الجبير : في عنك ، من العقل من العماير من بني خالد .

الجبير : في عنيزة ، من آل جناح من بني خالد .

الجبيري : في الجفارة ونواحي القويعية ، من الجبور من بني خالد .

الجراوا : واحدهم جُرَبْوِيَ ، في حوطة سدير وفي زميقة بالخرج وغيرها ، من الدعوم من بني خالد .

الجرثام : في عنك ، من الصبيح من بني خالد .

الجرجور : في عنك ، من الحسن من العماير من بني خالد .

الجريبة : ويلقبون بـ (الصاهود) ، في عنك من العمور من بني خالد .

الجريد : في الجوف ، ذرية صالح بن مصطفى من الضويحي من القرشة من بني خالد .

الجضعان : في الجوف ، من ذرية غطيغط . من سبيلة من المطر من بني خالد .

الجضعي : في الجفارة والقويعية ونواحيها ، من آل جناح من بني خالد .

الجفّالي : في عنيزة وفي غيرها من مدن المملكة . منهم صالح الجفالي ـ رحمه الله ـ وابناء اخيه ، كانوا من الاثرياء المقيمين في الحجاز كان لهم امتياز شركة كهرباء مكة المكرمة، ومنهم إبراهيم بن عبد الله الجفالي المتوفى ١٤٠٥هـ وإخوانه من آل جناح ومنهم البريكان، من بني خالد.

الجلاسى : في عنك وغيرها ، من الهدهود من الصبيح من بني خالد .

الجــلال : في النُّعيرية وقُرْية . من العركات من السحبان من بني خالد .

آل جمال : في الأحساء من السحبان من بني خالد .

آل جماز : في حريملاء وملهم . منهم وجهاء ورجال أعمال وأدباء واعيان من العرافا من الجبور من بني خالد .

آل جمعة : في القصب . من الدعوم من بني خالد .

الجمعة : في الجوف ، من ذرية مبارك بن فرقاص . من آل علي من القرشة من بني خالد .

آل جناحي : في الجفارة والقويعية : من آل جناح من بني خالد .

الجناحي : في عنيزة . منهم سليمان بن محمد الجناحي إمام مسجد الجــوز من آل جناح من بني خالد.

الجهبل : في النعيرية وقرية من العركات من السحبان من بني خالد .

الجمعة : في الجوف من ذرية هملان من آل علي من القرشة من بني خالد .

الجميعي : في القويعية بنو عم الشافي ، من الدعوم من بني خالد .

الجهمة : في الكلابية من قرى الأحساء ، من النهود من بني خالد .

آل جهيران : في عنك وغيرها . من الشباط من آل غرير من آل حُميد ـ بضم الحاء ـ منهم الشيخ خالد بن جهيران بن خويطر بن جهيران بن شباط . من بني خالد .

الجهيم : في الجوف . من ذرية غطيغط من سبيلة من المطر من بني خالد .

آل جناح : في عنيزة ونواحيها وفي القويعية وبريدة وغيرها من البطون الرئيسة في بني خالد ويتفرع إلى فخوذ منها المطرودي والتركي والخويطر وغيرهم نخوتهم (ضناهبس؟) ووسمهم الحيَّة .

الجودل : في الثقبة . من النهود ، من بني خالد .

آل جويد : في الأحساء والبحرين . من السحبان من بني خالد .

الجويعد : يعرفون بآل عبد الله . من العقل من العماير من بني خالد .

آل حامد : في ثرمداء ، ومنهم الشاهين . من آل حُميد ـ بضم الحاء ـ من بني خالد ، منهم حامد بن ناصر بن حامد بن ناصر بن حامد الأول ، كان من حفظة كتاب الله ويُعَدُّ أخر من عمل في (الكتاتيب) في ثرمداء ، تولى الإمامة والخطابة في جامعها بعد وفاة سليمان بن ماجد الخالدي ـ رحمهما الله ـ وذالك لمدة خمس سنوات ، وتوفي سنة ١٣٨٧ هـ

الحامد : في بريدة والصباخ والقصيعة . من الطويان من الدعوم من بني خالد .

آل حبيب : في عنيزة . من آل جناح من بني خالد .

الحجي : في قرية ، من السحبان من بني خالد .

آل حجيلان : في عنك . منهم المحمد العبد الله الضويحي والعقل . من المهاشير من بني خالد .

الحرفوش : في الجوف . من ذرية بركين بن فرقاص . من آل علي من القرشة من بني خالد .

الحزول : في عنك ، من المخاصم من الصبيح من بني خالد .

آل الحسن : في عنك ، أحد الفخوذ الرئيسة ، من العماير من بني خالد ، عاصر مؤلف كتاب « دليل الخليج » أميرهم فارس بن محمد ، وهو أمير هجرة الدّفي ، وهي الآن من الأحياء السكنية في الجبيل ، والآن خالد بن فارس بن محمد بن سعود بن سعود بن حسن بن غانم ، ونخوتهم (خيال العواجا حسني) ووسمهم المشعاب .

الحسن : في الدمام ، من الشاهين من العماير من بني خالد .

الحَشُون : في عنيزة ، فيهم علماء ورجال أعمال وأعيان من آل جناح من بني خالد .

الحسين : في عنك . من الحسن من العماير من بني خالد .

آل الحشاش : في الجوف . من ذرية سلامة بن سمحان . من آل ضويحي من القرشة من بني خالد .

الحفـــير : في أُشيقر والغاط وثادق والمجمعة . من الجبور من بني خالد .

آل حمد : في الدلم والخرج . من الشبلة من بني خالد .

آل حمد : في الزلفى والأرطاوية ، من الدعوم من بني خالد .

الحمـــد : في الجوف . ذرية سلامة بن سمحان ، ويتفرع إلى المفلخ والفلاح والمبارك . من آل ضويحي من القرشة من بني خالد .

الحمـــدان : في الجبيل والكويت . من الشاهين من العماير من بني خالد .

آل حمران : في الزلفى من الدعوم من بني خالد .

الحموان : في عنك . من المخاصم من الصبيح من بني خالد .

الحمود: في الجوف. ذرية خلف الدغداش. من سابل من المطر من بني خالد.

الحمود : في القويعية ونواحيها ، من آل جناح من بني خالد

الحميان : في الخُبَر والثُّقْبة . من الرازن من العماير من بني خالد .

آل حُميد : ـ بضم الحاء ـ أحد البطون الرئيسة في قبيلة بني خالد ، وفيهم رئاسة القبيلة بأكملها ، عاصر مؤلف كتاب « دليل الخليج » أميرهم براك بن طلمس السرداح ، والآن أمير شمل بني خالد الأمير خالد بن نايف العريعر ، ونخوتهم (هبس وهباس) والوسم (البُرْثُن) موطيٌ الحُبارَى ، واحيانا (المغزل) وعليه حلقة ، والنخوة تخص آل حُميد ، وهي عموما لجميع القبيلة ، وقد تحرف احيانا مثل : (يوخذ شق ويترك الشق الأخر) وهجرهم ومواردهم على ساحل البحر هي العباء ، وقد اشتروه شيوخ بني خالد مناصفة مع المهاشير ، من رجل يقال له سباع من بني خالد ، مقابل نخيل لهم تقع في الفريج قرب مدينة القطيف ويعرف باسم (القويع) ولكنه تردد في ذالك لأن منطقة العباء كبيرة ومفتوحة من البر إلى البحر ، ونخل القويع محدود بنخيل القطيف وأخيراً وافق على ذلك قائلا :

ابتاع سباع القويع ، بالعباء مقيال الضباع

ويتفرع آل حُميد إلى افخاذ منهم آل غرير وإليهم تنتسب أسرة العريعر وفخذ الراشد الحُميد وغيرهم .

آل حُمـيد : ـ بضم الحاء ـ في عنيزة . يعرفون بآل عثمان الآن . من آل حُميد ـ بضم الحاء ـ من بني خالد .

آل حُميد : ـ بضم الحاء ـ في الرياض . فيهم علماء وأدباء منهم فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد الحُميد رئيس مجلس القضاء الأعلى المتوفى سنة ١٤٠٢ ـ رحمه الله ـ وابنه الدكتور صالح بن عبد الله بن حُميد إمام وخطيب الحرم المكي الشريف من آل حُميد من بني خالد .

الحميدات : في قطر والبحرين : عدهم مؤلف كتاب « دليل الخليج » قبيلة مستقلة ، ولكن يعودون في الأصل إلى الصبيح من بني خالد .

آل حميدة : في عنك . من الحيا من الصبيح من بني خالد .

الحميدي : بالبدائع بالقصيم من الشائع من آل حُمَيد ـ بضم الحاء ـ من بني خالد .

الحميميدي : يعرفون الآن بـ (الحماميد) . في عنيزة من آل جناح من بني خالد .

الحنتوش: في عنَك والجبيل ورَحيمة. من المخاصم من الصبيح من بني خالد.

آل حنيشل : في بريدة . من آل خويطر من المطاريد من آل جناح من بني خالد .

آل حواس : في المذنب وعنيزة . من آل جناح من بني خالد .

الحويط : في عنك . من آل عقل من العماير من بني خالد .

آل حيدر : وينطق ايضا (الحيدري) في الغاط وفي الحصون وثادق والبير والزبير . منهم المعجل ، والخالد في ثادق ، والسلامة في الصّفَّرة ، والصالح في حريملاء . من الصالح من المقدام من بني خالد .

آل حيـه : وينطق البعض (آل حيا) بالألف ، وشهرتهم (القناهشة) . في عنك ، يقال انهم يعرفون بـ (العوران) أميرهم جربوع بن مرشد ممن عاصر مؤلف كتاب « دليل الخليج » وأميرهم الآن جربوع بن مرشد العوران ، ونخوتهم (العليا) ووسمهم (المغزل) وغيره ، من الصبيح بن بني خالد .

آل خالد : في الرياض وثادق . من الصالح من المقدام من بني خالد .

آل خريف : في عنيزة ثم بريدة . من الطويان من الدعوم من بني خالد .

الخشيمات : في قفار بمنطقة حائل . من أبرزهم أميرهم زيد الخشيم ، الذي عاصر قيام الدولة السعودية في دورها الثاني ، وهو شاعر شجاع طيب الذكر ، وله مآثر حسنة ، استقر في المنطقة في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري قادماً وعشيرته من الأحساء من آل حُميد من بني خالد .

الخُضَيْرِي : في القرائن ، منهم الشيخ سليمان بن محمد بن عبد العزيز بن سليمان

ابن محمد بن راشد الخضيري . من آل حُميد ـ بضم الحاء ـ من بني خالد .

آل الخطيب : في المبرز بالأحساء ، من المهاشير من بني خالد .

الخطيم : في الكويت . من الجبور من بني خالد .

الخــلاوَي :في عنك . من المخاصم من الصبيح من بني خالد .

آل خلف : في الشعراء ونواحي القويعية . من العرافا من الجبور من بني خالد .

الخلف : في عنيزة ، منهم ابراهيم السليمان الأصقه ، ويتفرعون إلى الاصقه والعلوش البرية . من آل جناح من بني خالد .

الخليف : في الجوف . من ذرية هويمل ويتفرعون إلى الزيد من آل علي من القرشة من بني خالد .

الخليفة : في الدمام والكويت . من الشاهين من العماير من بني خالد .

الخليفة : في الجوف ، من ذرية جخيدب بن سمحان . من آل ضويحي من القرشة من بني خالد .

الخنفر : في الجبيل ، ويعرفون بالسعيد . من الرازن من العماير من بني خالد .

الخنيفر : في الخفجي (الخفقي) والكويت . من الشبلة من بني خالد .

آل خويرات : في الأحساء . من السحبان من بني خالد .

آل خويطر : في عنيزة ، وفيهم علماء وأدباء ورجال دولة ، منهم الشيخ صالح ابن عبد الله بن سعد الحميد السعد الخويطر ، ومعالي الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الخويطر وزير المعارف . وهم فخذ رئيس من بطن الجناح ، وترجع لهم اكثر أسر عنيزة في انسابها . من آل جناح من بني خالد .

آل خويطر : في الأحساء . من المهاشير من بني خالد .

(للبحث صلة)

محمد بن ناصر الهزاع الخالدي

مطالعات في كتاب:

«التعريف بالأنساب، والتنويه بذوي الأحساب»

(٤)

١ ـ ص٢٤ السطر ٥: ازواجه الطاهرات القراب.

وشرح المحقق (القراب) شرحا لا صلة له بالكلمة الصحيحة الواردة في الأصل.

والصواب: ازواجه الطاهرات العراب.

٢ ـ ص٢٤ السطر ٦: بشريف نعمته، وتترجه.

وفسر المحقق: (تترجه: تعظم. قال في القاموس: الرج التحريك، وناقة رجاء عظيمة السنام... الخ).

والصواب: بشريف همته، وتتوجه.

٣ ـ ص٢٤ السطر ٨: فانه لايليق بذي فهم... الخ.

والصواب: ويستقيم الكلام: فان جهله لايليق بذي فهم.

٤ ـ ص٢٤ السطر ١١: في المال منساة في الأجل.

والصواب: في المال، ومنسأة في الأجل، كما الأصل.

٥ ـ ص٢٥ السطر ١: بينه وبينهم.

والصواب: بينه وبينه ـ إذ الضمير يعود إلى واحد.

٦ ـ ص٢٥ السطر ١٢: من غنم وأسد.

والصواب: من تميم وأسد.

٧ ـ ص٢٦ السطر ٢/٣: عدنان بن أَرَ بن اليسع.

والصواب: عدنان بن أُدِّ بن أُدَدِ بن اليسع ـ كما في الأصل.

٨ ــ ص٢٦ السطر ٣: بن جمل.

والصواب: بن حمل ــ بالحاء المهملة ــ.

٩ ــ ص٢٦ السطر ٤: نارج ناحور.

والصواب: تارخ بن ناحور.

١٠ ــ ص٢٦ السطر ٤: اركشد.

والصواب: ارفخشد.

١١ ــ ص٢٦ السطر ٥: ابن لمد بن المتوشلح بن أخبوخ.

والصواب: بن لمك بن المتوشلح بن أخنوخ.

١٢ ــ ص٢٦ السطر ٨: وقد اختلفت في أسماء.

والصواب: وقد اختلف في أسماء.

١٣ ــ ص٢٦ السطر ١١: كدت النسابون. وعلق في الحاشية: كدت: أي توقفت.

والصواب: كذب النسابون، وهو حديث نسب السيوطي في «الجامع الكبير» ــ ١/٦١٩ ــ روايته إلى ابن عساكر ــ عن ابن عباس، وقد أورده ابن سعد في «الطبقات» ــ ١/٣٦ ــ طبعة مصر بسنده عن ابن الكلبي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان بن أدد ثم يمسك ويقول: كذب النسابون، قال الله عز وجل: ﴿ وقرونا بين ذالك كثيرا ﴾ قال ابن عباس: لوشاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه لعلمه ــ انتهى.

١٤ ــ ص٢٦ السطر ٢: وهذا الامسال.

وفسر المحقق كلمة (الامسال) قائلا: المسل محركة خط من الارض ينقاد ومسيل الماء وجمعه أمسلة ومسل ومسلان ومسائل والمسألة طول الوجه في حسن.

والصواب: وهذا الامساك.

أي أن الرسول يمسك فلا يتجاوز من ذكر من الآباء بعد عدنان.

١٥ ــ ص٢٦ السطر ١٤: ولا استقاموا.

لعل الصواب (وقد استقاموا) الخ.

١٦ ــ ص٢٧ السطر ١: أولاد النبي.

ليست في الأصل وإنما من وضع المحقق.

١٧ ــ ص٢٧ السطر ٤: أسد بن نوفل.

والصواب: نوفل، مقحم في نسب خديجة خطأ.

١٨ ــ ص٢٧ السطر ٧: الخمرة . . . العيداق.

والصواب: الخمر . . . الغيداق ــ بالغين المعجمة.

١٩ ــ ص٢٧ السطر ٩: أولاد أعمامه: وأولاد العباس.

والصواب: فصل: وأولاد العباس.

٢٠ ــ ص٢٩ السطر ١: ابن المؤقق.

والصواب: ابن الموفق.

٢١ ــ ص٣٠ السطر ٢: قطر.

قطن. كذا في الأصل.

٢٢ ــ ص٣٢ السطر ٢: يعرفون بالرسيين، ومنهم جعفر بن محمد بن حسن. الخ.

والصواب: يعرفون بالرسيين، ومنهم الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم، وولد الهادي أحمد الناصر ملك صعدة، ومنهم الهادي أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن علي المختار بن الناصر بن الهادي، ومنهم جعفر بن محمد بن حسن الخ.

٢٣ ـ ص٣٢ السطر ٧/٦: زين العابدين، ومنهم يحيى بن عمر.

والصواب: زين العابدين، ومنهم علوي البصرة وهو علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن زين العابدين، ومنهم يحيى بن عمرو.

٢٤ أ ـ ص٣٢ السطر ٨: أبناء الحسين.

والصواب: ابنا الحسن، فهما اثنان الرضي والمرتضي.

٢٤ ب ـ ص٣٢ السطر ٩: القائم بأحكام الله

والصواب: الآمر بأحكام الله.

٢٥ ـ ص٣٢ السطر ٩: ابن معبد أبي تميم.

والصواب: ابن معد ابي تميم.

وانظر «النجوم الزاهرة» ـ ٥/١٧٠ ـ .

٢٦ ـ ص٣٢ السطر ١١: المهدية بن البلية المستورين.

والصواب: المهدية من الثلاثة المستورين.

٢٧ ـ ص٣٢ السطر ١٤: الفضل بن عامر بن عتبة.

والصواب: الفضل بن عباس بن عتبة.

٢٨ ـ ص٣٣ السطر ١: أم هاشم من بني سليمان.

والصواب: أم هاشم من بني سليم.

قال البلاذري في «أنساب الاشراف»: ١/٥٨ ـ هاشم وأمه عاتكة بنت مرة ابن هلال بن فالج بن ذكوان من بني سليم.

٢٩ ـ ص٣٣ السطر ٢: وأبو فضلة وضيفي وأبو ضيفي.

والصواب: وأبو نضلة وصيفي وأبو صيفي.

٣٠ ـ ص٣٣ السطر ٥: وعتاد.

والصواب: وعباد.

٣١ ـ ص٣٣ السطر ٦: اثاثة بن عبد المطلب.

والصواب: أثاثة بن عباد بن عبد المطلب.

٣٢ ـ ص٣٣ السطر ٧: ادريس بن عثمان بن شافع بن ظرب بن عمرو.

والصواب: ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع، ومن بني نوفل بن عبد مناف نافع بن ظرب بن عمرو.

٣٣ ـ ص٣٣ السطر ٨: لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وأخو مطعم بن جبير: ربيعة.

والصواب: لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ والمطعم بن عدي بن نوفل، الذى أجار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منصرفه من الطائف، وابنه جبير ابن مطعم من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإخوة مطعم بن جبير: ربيعة...

٣٤ ـ ص٣٣ السطر ٩: وصالح بنو عدي.

والصواب: وصالح بنو مطعم بن عدي.

٣٥ ـ ص٣٣ السطر ٩: وربيعة وبنيه أولاد يسمون العلات، لأن أمهم أسماء بنت مجيد.

والصواب: وربيعة وثلاثة أولاد يسمون الْعَبَلات، لأن أمهم اسمها عَبْلة بنت عبيد.

٣٦ ـ ص٣٣ السطر ١٠: من التراجم من تميم.

والصواب: من البراجم من تميم.

٣٧ ـ ص٣٣ السطر ١٣: وابات وخالد.

والصواب: وابان وخالد.

٣٨ ـ ص٣٣ السطر ١٣: ومحمد بن عبدالله وهو الشاعر العرجي بن عمرو ابن عثمان.

والصواب: ومنهم عبدالله وهو الشاعر العرجي بن عمر بن عمرو بن عثمان.

٣٩ ـ ص٣٣ السطر ١٦: أباة وعبد العزيز.

والصواب: أبان وعبد العزيز.

٤٠ ـ ص٣٣ السطر ١٦: بني عبد العزيز بن مروان بن محمد بن مروان.

والصواب: بن عبد العزيز بن مروان، ومحمد بن مروان.

٤١ ـ ص٣٣ السطر ١٩: ابن أبي المعيص بن أمية.

ولامحل لهذه الجملة فهي مكررة.

٤٢ ـ ص٣٤ السطر ٣: وأبو حزيفة.

والصواب: وأبو حذيفة.

٤٣ ـ ص٣٤ السطر ٤: مولاة العريص المعنى.

والصواب: مولاة الْغَرِيض المغني.

٤٤ ـ ص٣٤ السطر ٨: والعنباسيان اثنان هم حرب.

والصواب: والعنابس هم.

٤٥ ـ ص٣٤ السطر ٩: وسمو عنباسيين، والعنبس الأشد، فأولاد آمنة عشرة، أربعة الأعياص وستة هم العنباسيون.

والصواب: وسمو عنابس والعنبس الأسد.

فأولاد أمية عشرة أربعة الأعياص وستة العنابس.

٤٦ ـ ص٣٤ السطر ١٦: نفيل بن عبدا بن قصي.

والصواب: نفيل بن عبد بن قصي.

٤٧ ـ ص٣٤ السطر ١٩: ومن ولد مرة بنو تميم وبنو مخزوم.

والصواب: ومن ولد مرة: بنو تيم وبنو مخزوم.

٤٨ ـ ص٣٤/٣٥ السطر ١/١٠: فمن بني تميم أبو بكر الصديق.

والصواب: فمن بني تَيْم أبو بكر الصديق.

٤٩ ـ ص٣٥ السطر ١: سعد بن تميم.

والصواب: سعد بن تيم.

٥٠ ـ ص٣٥ السطر ٧: بن مرة. فصل: ومن بني مخزوم، زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

والصواب: بن مرة، فصل: ومن بني مخزوم أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم، وكان يسمى العدل لأنه كان يكسو الكعبة سنة وتكسوها قريش سنة فسموه العدل، وبنوه يعرفون ببني العدل، ومنهم هبيرة بن أبي وهب ابن عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم.

فصل: ومن بني مخزوم زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

٥١ ـ ص٣٦ السطر ٢: وهو المحبر.

والصواب: وهو المجبر ـ بالجيم ـ.

٥٢ ـ ص٣٦ السطر ٤: وهو اسن منه ... وسالم وقبيلة.

والصواب: وهو أسن منه ... وسالم وقيلة.

٥٣ ـ ص٣٦ السطر ٦: عبد عويج بن عدى.

والصواب: عُبيد بن عُويج بن عدي.

٥٤ ـ ص٣٦ السطر ٧: عثمان بن عبد الله وقدامة ابنا مظعون.

والصواب: عثمان وقدامة ابنا مظعون. ←

الشعر والشعراء
في «التعليقات والنوادر» للهجري
- ٩ -
٧٠ـ حُمَيْد بن ثور الهلالي

وقال حميد بن ثور الهلالي(١) :

١ - وَمَا خِلْتُنا إذْ لَيْسَ يَحْجِزُ بَيْنَنا ... وَبَيْنَ العِدَى إلَّا القُنِيُّ الخواطر

٢ - وَوَصْلُ الخُطَا بِالسَّيْفِ والسَّيْفِ بالخُطَا ... إذَا ظُنَّ أَنَّ السَّيْفَ ذُو السَّيفِ قَاصِرُ

٣ - وَقَدْ يَرْكَبُ الأَمْرَ الذي لَيس حالَه ... إذا ما أُضافَتْه إليه الضَّرائِرُ

(١) (١٧١م) وحميد بن ثور شاعر مخضرم أدرك الجاهلية وقضى الشطر الأكبر من حياته في الإسلام وتوفي - على الأرجح - في أيام عثمان - رضي الله عنه - على ما قال شيخنا الميمني في مقدمة ديوانه الذي حققه ونشرته دار الكتب المصرية ، والأبيات في ديوانه - ٨٨ - وقد فصل الهجري نسبه فقال : (حدثني شيخ من بني هلال وسألتُهُ عن نَسَبِ حميد بن ثور . وكانَ حدثني بعض مَن يعرِفُ نسبَهم انه أَثْبَجيٌّ مِنْ بَلْ أَثْبَج . فقال : لا ، هوَ حُميد بن ثورٍ بن عبد الله بن عَامِر بن أبي رَبيعَةَ بن نَهيك بن هلال بن عامِر . قال : والأَثْبَج بنُ عامِرٍ ، فَجد حميد : عبد الله ، والاثبجُ ابنا عامرٍ هذا المذكور أولاً . واحسبِ أنَّ الذي حدثني لما رأى دعوتَهمْ واحدةً بنو عبد الله وبنو الأثبج بن عبد الله نَسبَهُ إلى ذالك ، وكذا روى أبو محمد التوزي عن أبي عمرو بن العلا ونَسَبه كما كتبنا قبل . ولم يَذكِرِ الاثبج في نَسَبِهِ) - ٥٠م - وقال الوزير المغربيُّ في « أدب الخواص » - ١١٩ - : (قال حُمَيْدُ بنُ ثَوْرِ بن عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة بن نَهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وقال بعض النسابين في نسبه قولاً آخر ، وهذا أحبُ إليّ لأنني رأيت أبا علي الْهَجَريَّ يرويه عن شيوخه من الأعراب ، وكان الهجريُّ أعلَمَ المتأخرين =

← ٥٥ ـــ ص٣٦ السطر ٨ : ومنهم مؤذن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ واسمه أوس بن مغير بن أودان بن ربيعة .

والصواب : ومنهم مؤذن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أبو محذورة ، واسمه أوس بن معير بن لوذان بن ربيعة .

٥٦ ـــ ص٣٧ السطر ١ : وأبو محذورة مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والصواب : حذف هذه الجملة .

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

وله من كلمة اخرى :(٢) :

١ - كَأَنَّ الرَّبابَ الدُّهْمَ في سَرعَانِه عِشارٌ(٣) من الكَلْبِيَّةِ الجُونِ ظُلَّعُ
٢ - أَدَانِيه للأَمْواهِ مِنْ بَطْنِ بِيشَةٍ ولِلأَوْقِ والسِّيدَانِ والَمَيْن يَضْجَعُ(٤)
٣ - كأَنَّ اشْتِعالَ البَرْقِ في حَجَراتِه ضِرَامٌ شَرَى في أَيْكَةٍ يَتَشَيَّعُ(٥)
٤ - تَرَوَّى مِنَ البَحْرَيْنِ عُوذَ رَمِيَّةٍ كما اسْتَرْبَعَ البَزَّ القِطارُ المُطَبَّعُ

اسْتَرْبَع : احْتَمَل ، وزَيْدٌ مُسْتَرْبِعٌ بِقِرْنِه ، وبما قَوِيَ عليه ، والمُطَبَّع : المُثْقَلُ بالحِمْل .

٥ - أَلاَ مَـالعَيْنِي لاَ أَبَـا لأَبِيكُـما إِذَا ذُكِرَتْ لَيْلَى تُرِبُّ فَتَدْمَعُ

تُرِبُّ : تُدِيمُ البكاءَ ، وكلُّ مُرِبٍّ مُقِيمٌ .

٦ - وَمَا لِفُؤادِي كلَّما خَطَرَ الهَوَى على ذَاكَ فيمَا لا يُواتِيه يَطْمَعُ
٧ - أَجِـدُّ بِلَيْلى مِـدْحَـةً عَـرَبِيَّـةً كما حُبِّرَ البُرْدُ اليَماني المُسَبَّعُ
٨ - تُثِبْكَ بما أَسْدَيْتَ أَوْ تَرْجُ وَعْدَها وَمَا وَعْدُها فِيمَا خَلاَ مِنْكَ يَنْفَعُ
٩ - وَلَيْلَى أَرُوجِ الجَيْبِ مَيَّاعَةُ الصِّبَا أَبِيٌّ لِمَـا يَأْبَى الكـريمُ وتَرْفَـعُ
١٠ - مُشَرَّفَةُ الأَعْطَافِ مَهْضُومَةُ الحَشَا بها القَلْبُ لَوْ تَجْزِيه بالقَرْض مُولَعُ
١١ - ومَالِي بها عِلْمٌ سِوَى الظَّنِّ والَّذي إلى بَيْتِه تُزْجَى حَوَافِ وظُلَّعُ
١٢ - سِوَى أَنَّنِي قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّها هِيَ العَذْبُ والماءُ البَضَاعُ المُنَقَّعُ

= بالنسب ، وغير الهجري أيضاً يرويه عن أبي عمرو وغيره من الرواة :

رَعَـيْنَ المُـرَارَ الجَـوْنَ مِـنْ كُـلِّ بَـاطِـنٍ دَمِـيـثٍ جُمَـادَى كُـلَّهَـا والمُـحَـرَّمَـا
إلى الـنِّـيرِ والـلُّغْـبَـاءِ حَـتَّى تَـبَـدَّلَـتْ مَكَـانَ رَوَاغِيْهَـا الصَّـرِيْفَ المُسَـدَّمَـا

انتهى . ولم أر البيتين في ديوان الشاعر ولا مُستدركه .

(٢) (١٧٢م) والقصيدة في الديوان - ١٠٧ - نقلا عن « نوادر الهجري » .
(٣) في الهامش : (إبلُ كَلْبٍ سودٌ أشْبهُ السحاب) .
(٤) في الهامش : (يميلُ إليها . وضَجَع البرقُ : بَعُدَ)
(٥) تحت كلمة (يَتَشَيَّعُ) : (مِنْ شَاعَ)

شَرِبَ حتّى بَضَعَ ونَقَعَ ، وأبْضَعني الماءُ وأنْقَعني : مثلُ رَوِيتُ ، قال : الصوابُ : وأرْوَاني . والبَضَاع : المُرْوِي المَنْقِع بجر القاف لأنه يُرْوِي .

ولـــه[1] :

١ - إنَّ اللَّتَيْنِ لَقِيتَ يَوْمَ سُوَيْقَةٍ ... لَوْ تَلْمعانِ بِعَاقِلِ الأوْعَالِ
٢ - لأختَارَ سَهْلَ . . .[2] لحَزْنِ مكانِه ... وَلَظَلَّ يَطْمَعُ منهما بِوِصَالِ
٣ - أذْنَا لصَوتِهِمَا يُنازِعُ نفسَه ... تَنأى به وَيَهُمُّ بالإقْبالِ
٤ - سيّارتانِ إذا البُرُوقُ دَعَتْهُما ... حَلاَّلَتَانِ بهذِه الأمْيَالِ
٥ - تَعِدانِ مَوْعِدَةً وفيها قالَتا ... خُلْفٌ وتُمْسِكُ منهما بِحِبَالِ
٦ - والبُخْلُ خَيْرٌ ، مِنْ عَطَاءِ رَائِثٍ ... يَأْتِيكَ بعدَ تَبَرُّضٍ وسُؤالِ

ولـه أيضـاً[3]

١ - وكَائِنْ لَهَوْنا مِنْ رَبيعٍ مَسَرَّةٍ ... وصَيْفٍ لَهَوْناه قَصِيرٍ ظَهَائِرُهْ
٢ - بِجِزْعٍ تُغَنِّينا بِهِ مُسْتَظِلَّةٌ ... يُمائِرُها نَوْحًا به وتُمائِرُهْ
٣ - دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ وانْتَحى مِثْلَ صَوْتِها ... بِساقٍ تُغَنِّيهِ وَسَاقٌ يُحاوِرُهْ
٤ - أظَلُّ بأطْلالِ المَلِيحةِ بَعْدَنا ... دَرُوجُ السَّفَا تَأتَابُه وتُباكِرُهْ
٥ - فَلَوْ أنَّها كانتْ بَدَتْ يَوْمَ حَيَّةٍ ... لِمُنْعَطِفِ القَرْنَيْنِ وَعْرٍ مَطَامِرُهْ[4]
٦ - مِنْ الهَائِباتِ السَّهْلَ في مُشْمَخِرَّةٍ ... بِحَيْدٍ وعُولٍ يَأْمَنُ القَوْمَ فادِرُهْ
٧ - أتاهَا ولَوْ قامَ الرُّمَاةُ وسَاقَهُ ... جِبَالُ الصِّبَا حَتَّى تَحِينَ مقادِرُهْ
٨ - تَهادَى كَسَيْلِ الرَّكِّ يَجْرِي حَبَابُهُ ... بِبَطْحَاءِ ذي وَعْثٍ قَلِيلٍ نَهابِرُهْ

الرَّكُّ : المطرُ اللَّيِّنُ . والنَّهابِرُ : الحُفَرُ العِماقُ .

٩ - خَلُوبٌ لِألْبَابِ الرِّجَالِ بِدَلِّهَا ... حِمَاها حَرَامٌ أنْ تُحَلَّ مَحاجِرُهْ

المَحْجِرُ والحِمَى والحَرَمُ واحِدٌ ، والحَرَمُ لله تعالَى والباقِيانِ للنّاس .

---

(١) (١٧٣م) والأبيات في الديوان - ١٢٢ - نقلا عن الهجري .
(٢) كلمات غير واضحة في الأصل ، وقال الشيخ الميمني : لعله (لاختار سهلهما بحذف مكانه) .
(٣) (١٧٤م) والأبيات في الديوان - ٩٠ - نقلا عن الهجري .
(٤) في الهامش : (يعني وعلا . طمر : وثب) .

١٠ ـ إذا لَمْ يُحدِثْكَ الفتى عَنْ بَلائِه اتاك بِمَا يُبْلي الفتى مَنْ تُعاشِرُهْ
١١ ـ وزَايَلَ عِنْد الموتِ ماكان يَحْتوِي كَأَنْ لَمْ يَكُنْ تُلْقَى عليه شَراشِرُهْ

قال أبو علي : الشراشِرُ والمَخَمَّةُ : المحبَّة المفرِطَةُ على كلِّ شيء يحبه الإنسانُ .

وقال حميد[1]

أقولُ وَقَدْ حَالَ الأجارُعُ دُونَها وَغيبها عُلمانُهُ وَأَباهِرُهْ

وله[2]

١ ـ مَنازِلُ يَقْفُوهُنَّ كُلُّ عَشِيَّةٍ وَكُلَّ ضُحَى سَفْسَافُ مُورٍ وحَافِلُهْ

السَّفْسَافُ ترابٌ دقيقٌ ، والمُور مِثْلُه ، وقال :

وسَفَتْ عليها الرِّيح بَعْدكَ مُورَا

وقال :

تَسْفِي عَلَيْها الرِّيحُ مُورَ الدَّرِينْ

والمُورُ الرِّيحُ ، ودِقُّ التُّرَابِ .

٢ ـ فآنَسْتَ أَدْبارَ الحُمولِ كأَنَّها مَخارِفُ نَخْلٍ لَمْ تُكَمَّمْ حَوامِلُهْ
٣ ـ وقُلْنَ أَتَيْتَ اليومَ ما لَسْتَ خَافِيًا وبادَهْتَ أَمرًا كنتَ قِدْمًا تُحاوِلُهْ

بَداهةُ النَّظَر وفُجاءَة النَّظر ومُوَافاةُ النَّظر واحدٌ ، والبَدِيهة غير البَدَاهَة ، وابْتِسارُ الرأي غيرُ التَرْوِيَةِ فيه ، والبَداهَةُ من النَّظرِ والبَدِيهةُ من الرَّأي .

وله أيضا :[3]

١ ـ عَفَتْ المَنازِلَ بالسَّلِيلِ خَرِيقُ ومَغارِبٌ وَرَوَامِسٌ وشُروقُ

---

(١) (٩٧م)
(٢) (١٧٥م) وهي في الديوان عن الهجري .
(٣) (١٧٦م) وهي في الديوان عن الهجري .

٢ - وهِطَالُ أشْتِيةٍ يَعُـودُ عَلَيْهـا   هَبَواتُها وعَجاجُهـا المَزْعُـوقُ

ولـه أيضـا :[٤]

يَـرَوْنَـكَ فـاعْلَمَنَّ بِـذاكَ فيهـمْ   كأَجْرَبَ لأَطَهُ[٥] بالْقارِ طَالِ[٦]

للهلالي[١] حميد الجَمَال ، وهو أَحَدُ بَني الأَثْبَجِ بنِ نَهِيكٍ ، قال أنشدني هذا عُتْبِيٌّ أيضا :

١ - عَفَا السَّفْحُ مِنْ سَلْمَى فَيَغْنَى فَغُرَّبُ   فَبُـرقُ جَنَـاحٍ كُلُّهَا لُحْنَ تَـطْرَبُ

٢ - خَـرَائِدُ بِيْضٌ كَـالدُّمَى قُـطُفُ الْخُطَا   سُلَيْمَى وَهِنْـدٌ وَالـرَّبَـابُ وَزَيْنَبُ

٣ - وَسُعْـدَى الَّتِي قَـدْ أَقْصَـدَتْـكَ بِبَيْنِهَا   فَقَلْبُـكَ مِنْ وَجْـدٍ بِهَـا يَتَحَـوَّبُ

٤ - عَـقِـيْـلَـةُ أَتْـرَابٍ وَعُـوْنٍ كَـأَنَّها   بِـرَمَّانَ فِي رَأْدِ الْغَـزَالَـةِ رَبْـرَبُ

٥ - أَلاَهْـلِ لِـدَهْـرٍ قَـدْ تَسَلَّفَ مَـطْلَبُ   وَهَلْ لِصُدُوْعٍ مِنْ نَوَى الْحَيِّ مَشْعَبُ

٦ - جَرَى بِانْصِـدَاعِ الْبَيْنِ ظَبْيٌ فَـرَاعَنِيْ   وَمَـرَّ غُـرَابٌ حَقَّقَ الْبَـيْنَ يَنْعَبُ

٧ - وَفِيْ الْحَقِّ مَنْجَـاةٌ وَفِي الْيَـأْسِ رَاحَـةٌ   وَفِيْ الأَرْضِ عَنْ دَارِ الْمَذَلَّةِ مَذْهَبُ

٨ - جَفَـانِي الْغَـوَانِيْ إِذْ رَأَيْنَ مَفَـارِقِي   عَلاَهُنَّ صِبْغٌ وَاضِحُ اللَّوْنِ أَشْهَبُ

وانشدني[١] لحميد الجمال بن رور[١] الهلالي ، قال أنشدني ابن ضرغام السلمي من جعفر بن كلاب :

١ - قَوْمِي بَنُـوْ عَـامِـرٍ قَـوْمٌ أُشِـيْرُ بِهِمْ   وَالأَصْـلُ مُجْتَمِـعٌ وَالْفَـرْعُ مَنْشُـوْرُ

---

(٤) (١٧٦م) والبيت في الديوان عن الهجري .

(٥) فوق كلمة (لأطه): (لأطه قَلْبُ طلاه) .

(٦) في الهامش : (أخر فوائد شعر حميد الجمال)

(١) (١٠٢هـ) عُتْبِيٌّ هو - كما في (١٩٨هـ) بن محمد بن صُبَيح بن عمر بن عبد الرحمن بن علي بن الجهيم بن كُعيب بن جذِيمة بن مالك بن خفاف بن امرئِ القيس بن بُهْثة بن سُليم - وهو ابو السَّرِيّ ، ممن أكثر الهجريُّ الرواية عنه . ولم أر هذه المقطوعة في ديوان الشاعر ولا مستدركه .

(١) (٣٠٧هـ) أقرب منشد هو الخَلصيُّ عُبيد الله بن محمد الجعفريُّ ، وكلمة (رور) كذا في الأصل ، ولا شك أنها (ثور) ولم ترد الأبيات في الديوان . وورد البيتان الأخيران في المستدرك نقْلا عن كتاب «البرصان والعرجان» للجاحظ بلفظ :

انَّ أَبَـانَـا ابـوهـم غـير مُـنْـتَـحَـلٍ   إذْ جَـرَّبُـونـا وان الجَـدَّ منصـور

٢ ـ وَالْجَدُّ أَغْلَبُ أَعْيَا الْحَاسِدُوْنَ(؟) لـه ... حَـوْلاً وَلَيْسَ لِخَلْقِ اللهِ تَـغْـيِـيْرُ
٣ ـ وَنَحْنُ نَـاسٌ بِأَرْضٍ لاَحُصُوْنَ بِهَا ... إِلاَّ الأَسِـنَّـةُ وَالْجُـرْدُ الْمَغَـاوِيْـرُ
٤ ـ وَنَكَّـلَ النَّـاسَ عَنَّـا فِي مَنَـازِلِهِـمْ ... ضَرْبُ الرِّقَابِ الَّتِيْ فِيْهَا الْعَصَافِيْرُ
٥ ـ وَدَّ الْمُـلُوكُ بِـأَشْرَافٍ مُجَـدَّعَـةٍ ... وَأَنَّ أَعْيُـنَهُـمْ مَمْسُـوْحَـةٌ عُـوْرُ
٦ ـ أَنَّ أَبَـاهُـمْ أَبُـوْنَـا غَـيْرَ مُؤْتَـشَبٍ ... إِذَانُـسِبْـنَـا وَأَنَّ الْجَـدَّ مَنْـصُـوْرُ

وأنشدني(١) لحميد بن ثور الأنبجي :

١ ـ وَقَـائِلَةٍ أَنْ قَـدْ تَبَـدَّلْـتَ بَعْـدَنَـا ... وَغَـالَتْكَ عَنَّـا يَـاحُمَيْدُ الْغَـوَايِـلُ
٢ ـ فَـأَرْسَلْتُ إِنْ وَاللهِ مَـابِعْتُ وَصْلَكُمْ ... بِـوَصْلٍ وَلاَ رَاقَتْ بِعَيْنِي الْبَـدَايِلُ
٣ ـ تَجُمُّ عُـلاَلاَتُ الدُّمُـوْعِ لِـذِكْـرِكُمْ ... كَمَا جَمَّ بِالْمُتَّحِ الثِّمَادُ الضَّـواهِلُ
٤ ـ وَلٰكِنْ عَدَتْنِيْ عَنْـكِ أَشْيَـاءُ سَمَّجَتْ ... عَلَيْنَـا الْهَوَى وَاسْتَشْـرفَتْنَا الْقَبَـائِلُ

قال : وأنشدني(٢) الْعَمْرِيُّ لِحُمَيْدِ الجمّال الهلاليِّ يمدح عُمَرَ بن ليثٍ أحدَ بني جحش بن كعب بن عَمِيرَةَ بن خُفَافٍ ، والإضافة إلى عَمِيْرَةَ هذا عَمْرِيٌّ :

١ ـ أَثْنُـوْا بَنِيَّ عَـلى الَّـذِيْ اهْـدَى لَكُمْ ... جُـزُرًا وَلَمْ يُـرْجِعْكُمُ بِـدُيُـوْنِ
٢ ـ أَثْنُـوا بَنِيَّ عَـلَى الَّـذي أَعْـطَاكُـمُ ... يَـوْمَ الْقَـرِيِّ بِـرُمَّـةِ الْعُـرْجُـوْنِ
٣ ـ حَمْـرَاءَ مُشْـرِفَـةَ السَّنَـامِ كَـأَنَّهَا ... جَمَـلٌ يُقَـادُ بِهَـوْدَجٍ مَـظْعُـوْنِ
٤ ـ مَـاكَـانَ يُعْـطِي مِثْلَهَـا فِيْ مِثْلِهَـا ... إِلاَّ كَـرِيْـمُ الْخِيْـمِ أَوْ مَجْنُـوْنِ
٥ ـ جَـادَتْ بِهَـا يَـوْمَ الْقَـرِيِّ يَمِيْـنُـهُ ... كِلْتَـا يَـدَيْ عُمَـرَ الْغَـدَاةَ يَمِـيْنُ

---

(١) (١٩٣هـ) : لعلَّ المنشدَ الخَلَصي عبيد الله بن محمد الجعفري فهو أقرب مذكور . ولم ترد الأبيات في « ديوان حميد » ولا في المستدرك .

(٢) (٤٢٤م) لم يورد هذه الأبيات شيخنا الميمني في شعر حميد قائلا في المقدمة ص٤ : (وأراه متأخرا عن حُمَيْدِنا) . ولعل عمر بن ليث المدوح اختلط في ذهن شيخنا بِعَمْرو وبن اللَّيْث الصفَّار المتوفى سنة ٢٨٩ ـ كما في تاريخ ابن جرير وغيره ، وفرق بين الرجلين ، فالممدوح سُلَيْمِيٌّ عربي ، وذاك عجمي ، مع اختلافهما في الاسم والزمن . ويظهر أنَّ العَمْرِيَّ المُنْشِدَ مِنْ عَمِيْرة خُفَاف ، والهجري يروي عن غيره ـ كما مَرَّ في الكلام على شيوخه . وعن الاختلاف في نسبة هذه الأبيات وترجيح كونها لحميد انظر مستدرك شعره للدكتور رضوان محمد النجار ـ « مجلة معهد المخطوطات » ج ٢ المجلد ٣٠ ـ ص ٧١٧ .

٧١ - حنبل العصمي[١]

وأنْشَدتني لِلْعَصَمِيِّ ، واسمه حَنْبل ، وهامتْ إبله بِثُبَلَ ، وهو قُرْبَ نَبْطٍ ، وثُبَلُ مَهْيَمَةٌ :

١ - يَقُولُونَ لاَتَجْزَعْ وَلَسْتُ بِجَازِعٍ ... وَإنْ عَادَنِيْ مِنْ ذِكْرِهِنَّ مَلاَلُ
٢ - كَأَنَّ ذَكِيَّ الْمِسْكِ رِيْحُ مُرَاحِهَا ... إذَا ضَرَبَتْهُ دِيْمَةٌ وطِلاَلُ
٣ - يَظَلُّ فَقِيْرُ الْقَوْمِ يَحْسِبُ أنَّها ... لَهُ قَبْلَ إمْضَاءِ الْعَطَاءِ حَلاَلُ
٤ - لَقَدْ صَادَفَتْ بِالْجِزْعِ مِنْ ثُبْلَ طَاعِناً ... يُدَارِكُ طَعْناً كُلُّهُنَّ عِجَالُ
٥ - لَقَدْ كَانَ فِيْ سُلْوَانَ وَالْبُرَقِ الْعُلَى ... وَفِي السُّوْدِ عَنْ أَرْضِ الْهُيَامِ مَجَالُ
٦ - إذَا أُنْشِدَتْ قَالُوا مَخَاضٌ لِحَنْبَلٍ ... وَنَاشِدُهَا حَقٌّ لَهَا وَعِيَالُ
٧ - كَأَنَّ الَّذِيْ كَانَتْ لَهُ ثُمَّ فَارَقَتْ ... يُعَلُّ بِوَقْعِ النَّبْلِ بَعْدَ نِهَالِ
٨ - إذَا مَامَشَتْ مَشْيَ الْعَذَارَى تَمَايَلَتْ ... بِمَا بَيْنَ جَنَّاحٍ وَبَيْنَ طِحَالِ[٢]
٩ - اذا فاع بطن ... فيعة ... سقته قراح الماءِ غَيْرِ زُلاَلِ
١٠ - سواء على ..... اذا غدا ... بِعُلَّتِهِ ... بها ... و.. ال

وقال قبل ذالك[٣] : وثُبَلُ من غُرَانَ ، مَهْيَمَةٌ للإبل ، بِهَا هامت إبِلُ حَنبل الزُّهيري فرثاها - زُهير جُشَم - زيادة في مرثيَّتِهِ :

إذَا هَبَطَتْ فَرْشَا سَمِعْتَ عَجِيْبَةً ... لِقَنْعَةِ الأحبالِ[٤] غَيْرِ فِلاَلِ

٧٢ - ابو الحَوَاسِ الخُزَيمي

وأنشدني لأبِيْ الحواس الخزيمي ثم أحد بني عبد الله القتيل بن خُزَيمة بن مالك بن

---

(١) (٤٧٠هـ) والمنشدة أم قُرَيْدٍ الزُّهَيْرِيَّةُ - ممن تلقى عنهم الهجري ، وتقدم ذكرها في شيوخه وهي من قوم الشاعر فهو زهيري جُشميٌّ عَصَمِي نسبة إلى عَصِيمةَ ، قال الهجري (١٥٧هـ) : انشدني البُريدي لرفاعة بن درّاج العَصَمِي - إلى عَصِيمة . وكلُّ جُشَمِي ، مثل جَلِيحَة جلحي ، وحَنِيفة حَنَفي انتهى . وعَصِيْمَة هو ابنُ جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن « جمهرة النسب » لابن الكلبي - ولَمْ أرَ لهذا الشاعِر ذكرًا أضيفه . ويظهر انه زُهيري جشمي .

(٢) في الأصل تحت كلمة (طحال) : (واد) وتحت : جنَّاح : واد

(٣) (٣٧٩هـ) ولا ارْتباط لكلام الهجري بما قبله . وثبل وجناح وطحال سيأتي الكلام عنهم في قسم المواضع .

أهيب بن عبد الله بن قُنْفُذِ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بُهْثَةَ بن سليم(١) :

١ ـ طَرَقَتْكَ جُمْلُ وبَاطِلاً لَمْ تَطْرُقِ ... بَعْدَ الهُدُوِّ بِكَاذِبٍ لَمْ يَصْدُقِ
٢ ـ رَيَّا تَمَثَّلَ فِي المَنَامِ كَأَنَّهَا ... حَقٌّ بِلُقْيَتِنَا وَإِنْ لَمْ نَلْتَقِ
٣ ـ يَاجُمْلُ جَادَكِ مُسْتَهِلٌّ وَابِلٌ ... أَحْيَا الْبِلَادَ بِرَائِحٍ مُتَبَعِّقِ
٤ ـ زَجِلِ الْعَوَارِضِ تَسْتَدِيرُ لَهُ الصَّبَا ... أَعجَازُهُ نَضَدُ السَّحَابِ السُّبَّقِ
٥ ـ قَادَتْ سَحِيفَتُهُ أَمَامَ رِبَابِهِ ... ذُوْ هَيْدَبٍ فَرِدِ الرِّبَابِ وَرَيِّقِ
٦ ـ يُهْدَى لِكَامِلَةِ الْقَوَامِ يَزِينُهَا ... خَفَرُ الْحَيَاءِ وَشِيمَةٌ لَمْ تَنْزَقِ
٧ ـ تُخْفِي الإِزَارَ إِذَا مَشَتْ بِرَوَادِفٍ ... كَالرَّمْلِ تَحْتَ دَجَانٍ . . (٢) مُلْتَقِ
٨ ـ وكَأَنَّمَا تَكْسُو الوِشَاحَ وَجِيدَهَا ... أَدْمَاءُ مُرْتَعُهَا صَرِيمُ الأَبْرَقِ
٩ ـ وتُبِينُ عَنْ لَهِقٍ أَغَرَّ كَأَنَّهُ ... بِالظَّنِّ طَعْمُ مُدَامَةٍ لَمْ تُمْذَقِ
١٠ ـ تَكْسُو الخِمَارَ بِوَارِدٍ وَكَأَنَّهُ ... فِي السِّبِّ فَرْعُ وَدِيَّةٍ لم تَبْسُق(٣)
١١ ـ لَفَّاءُ يَدْرُجُ تَحْتَهَا مُتَسَبْسِبٌ ... رَيَّانُ فِي قَصَبٍ قَرِيبِ المَدْفَقِ
١٢ ـ صَبَرَتْ سُلَيْمُ يَوْمَ دَعْقَةِ عَامِرٍ ... صَبْرَ الْكِرَامِ وَيَالَهُ مِنْ مَدْعَقِ
١٣ ـ يَوْمَ الْتَقَوْا بِمُكَدَّمٍ فَتَعَاوَرُوا ... طَعْنَ الرِّمَاحِ وَبِالخِفَافِ الذُّلَّقِ
١٤ ـ مِنْ بَعْدِمَا جَمَعُوا الْمَاةَ(٤) وَأَقْبَلُوا ... بِالْيَعْمِلَاتِ وَبِالْعِتَاقِ السُّبَّقِ
١٥ ـ من كُلِّ طَامِحَةِ الْعِنَانِ طِمِرَّةٍ ... شَوْهَاءَ تَمْرَحُ فِي الْعِنَانِ الْمُعْلَقِ
١٦ ـ تَعْدُو بِكُلِّ مُجَرَّبٍ مِنْ عَامِرٍ ... نَهْدِ الْبَدَاهَةِ ثَامِلٍ كَالْخِرْنِقِ
١٧ ـ لَقِيَ الرَّدَى بِسُيُوفِنَا وَحِصَانُهُ ... فَتَجَدَّلَا بِمَقَامِ ضَنْكٍ ضَيِّقِ
١٨ ـ مِنْ ضَرْبَةٍ بِذُبَابِ غَضْبٍ بَاتِرٍ ... فِي كَفِّ أَغْيَدَ كَالسِّنَانِ مُمَشَّقِ
١٩ ـ حَتَّى تَجَدَّلَ مِنْ ذُؤَابَةِ عَامِرٍ ... مِئَةٌ بِكَفَّيْ حَاسِبٍ . . . . .(٥)

(للبحث صلة)

---

(١) (٢٩٢م) ولم أعرف عن هذا الشاعر شيئا وأقرب مذكور يرجع إليه ضمير (وأنشدني) هو أبو لاحق مدرك بن حُندج اللبيدي ممن روى عنهم الهجري .

(٢) كلمة غير واضحة .

(٣) في الهامش : (السِّبُّ ثوبٌ رقيق) (٤) لعلها : (المياه)

(٥) بياض في الأصل .

- ٧٢ -

٣٠٦ - بَابُ خُرْسِي ، وَحُوْشِي[(١)]

أَمَّاالْأَوَّلُ :- بِضَمِّ الْخَاءِ وَسُكُوْنِ الرَّاءِ ، بَعْدَهَا سِينٌ مُهْمَلَةٌ ثُمَّ يَاءٌ -: مُرَبَّعَةُ الْخُرْسِيِّ كَانَتْ مِنْ مَحَالِّ بَغْدَادَ تُنْسَبُ إِلَى الْخُرْسِيِّ صَاحِبِ شُرْطَةِ بَغْدَادَ[(٢)] .

وَأَمَّا الثَّانِي :- أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَضْمُوْمَةٌ بَعْدَهَا وَاوٌ سَاكِنَةٌ ثُمَّ شِينٌ مُعْجَمَةٌ فِي شِعْرِ الْعَجَّاجِ :

حَتَّى إِذَا مَاقَصَرَ الْعَشِيُّ عَنْهُ وَقَدْ قَابَلَهُ حُوْشِيُّ

قَالَ السِّيْرَافِيُّ : وَحُوْشِيٌّ رَمْلٌ بِالدَّهْنَاءِ[(٣)] .

٣٠٧ - بابُ خُرْجٍ ، وخَرْجٍ ، وحُرْجٍ ، وجُرْجٍ[(١)]

أَمَّا الْأَوَّلُ : - بِضَمِّ الْخَاءِ وَسُكُوْنِ الرَّاءِ - : وَادٍ فِي دِيَارِ تَمِيْمٍ ، وقِيل : عِنْد يَلْبَنَ قَال كُثَيِّرٌ :

إِلَى تَلَعَاتِ الْخُرْجِ غَيَّرَ رَسْمَهَا هَمَاهِمُ هَطَّالٌ مِنَ الدَّلْوِ مُدْجِنُ[(٢)]

---

(١) لَمْ أَرَ الْبَابَ فِي كِتَابِ نصرٍ .

(٢) زَادَ يَاقُوتُ : فِي أَيَّامِ الْمَنْصُوْرِ ، ذُكِرَتْ فِي (الْمُرَبَّعَةِ) وَقَالَ : مُرَبَّعَةُ الْخُرْسِيِّ - كَأَنَّهُ يُرَادُ بِهِ الْمَوْضِعُ الْمُرَبَّعُ والْخُرْسِيُّ نِسْبة إِلَى خُرَاسَانَ ، وهِيَ مَحَلَّةٌ فِي شَرْقِيِّ بَغْدَادَ ، فكَانَ الخُرْسِيُّ هَذا صَاحِبَ شُرْطَةِ بَغْدادَ ، وَأَظُنُّهُ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُوْرِ . انتهى .

(٣) نَقَلَ يَاقُوْتُ قَوْلَ السِّيْرَافِيِّ ورَجَزَ الْعَجَّاجِ - وَلَمْ يَزِدْ سِوَى الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ لِكَلِمَةِ (الْحُوْشِيِّ) وأَنَّهُ الْوَحْشِيُّ مِنَ الْكَلَامِ وَالنَّاسِ وَغَيْرِهِمَا ولَا أَسْتَبْعِدُ أَنْ يَكُوْنَ الْعَجَّاجُ أَرَادَ نَقًا مِنْ أَنْقِيَةِ الْحُوشِ مِنْ رِمَالِ يَبْرِيْنَ الْمُتَّصِلَةِ بِالدَّهْنَاءِ .

(١) نَصُّهُ عِنْدَ نصرٍ

(٢) الخُرْجُ - عِنْدَ نَصْرٍ : بِضَمِّ الْخَاءِ : وَادٍ فِي دِيَارِ تَمِيمٍ لِبَنِي كَعْبِ بْنِ الْعَنْبَرِ بِأَسَافِلِ الصَّمَّانِ ، وقِيْلَ : فِي دِيَارِ عَدِيِّ مِنَ الرِّبَابِ ، وَقِيْلَ : هُوَ عِنْدَ يَلْبَنَ . وَقَالَ يَاقُوتُ : الْخُرْجُ - بِلَفْظِ الْخُرْجِ وِعَاءُ الْمُسَافِرِ ، قَالَ =

وَأَمَّا الثَّانِي : - بِفَتْحِ الْخَاءِ : - مِنْ قُرَى الْيَمَامَةِ[٣] .
وَأَمَّا الثَّالِثُ : - أَوَّلُهُ حاءٌ مُهْمَلَةٌ مَضْمُوْمَةٌ وَالْبَاقِي نَحْوَ مَا قَبْلَهُ : غَدِيْرٌ فِي دِيَارِ فَزَارَةَ ، يُقَالُ لَهُ ابْنُ حُرْجٍ[٤] .
وَأَمَّا الرَّابِعُ : - أَوَّلُهُ جِيْمٌ مَضْمُوْمَةٌ وَالْبَاقِي نَحْوَ مَا قَبْلَهُ - : مِنْ نَواحِي فَارِسَ[٥] .

٣٠٨ - بَابُ خَرَّقَانَ ، وَجُرْفَار[١]

أَمَّا الْأَوَّلُ : - بَعْدَ الْخَاءِ الْمَفْتُوحَةِ رَاءٌ مُشَدَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ قَافٌ وآخِرُهُ نُوْنٌ - : مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبُو الْحَسَنِ الْخَرَقَانِيُّ ، كَانَ أَحَدَ الْعُبَّادِ الْمَذْكُورِيْنَ ، يُؤْثَرُ عَنْهُ كَرَامَاتٌ وَعَجَايِبُ ، وَأَيْضًا نَاحِيَةٌ مِنْ نَوَاحِي هَمَذَانَ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ قَزْوِيْنَ ، وَدِه خَرَّقَانَ مِنْ مُدُنِ أَذْرَبِيْجَانَ[٢] .

= الحازميُّ - ثُمَّ أَوْرَدَ كلامَهُ مَخْلُوطًا بِكَلامِ نصرٍ . والْخَرْجُ هذا - كَمَا حدَّثَهُ عُمَارَةُ بْنُ بلالِ بْن جَرِيْرٍ الشَّاعِرُ في قِبْلَةِ اللُّهَابَةِ الَّتي لَاتَزَالُ مَعْرُوفَةً في أسفل الصَّمَّانِ - وانظر قسم المِنْطَقَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ « المعجم الجغرافي » وَيَنْبَغِي مُلاحَظَة أَنَّ الخُرْج - بِضمِّ الخَاءِ - هُوَ الوَادِي الَّذِي لَا مَنْفَذَ لَهُ ، ولِهَذَا تَعَدَّدت المُسَمَّيَاتُ بِهِ .

(٣) وَكَذَا - عِنْدَ نصيرٍ وَأَضَافَ : وخَرْجُ بِجِبِنْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُوْنَ غَيْرَهُ - ولَعَلَّ بَجِبِنْ تحريف (هَجِيْن) كَمَا سَيَأْتِي في كَلَامِ يَاقُوْتٍ . قَالَ : الخَرْجُ - بفتح أوَّلِهِ وسُكُوْنِ ثانِيْهِ وآخِرُهُ جِيْمٌ : وَادٍ فِيْهِ قُرًى من أَرْضِ الْيَمَامَةِ ، لِبَنِي قيس بِنْ ثَعْلَبَةَ بن عُكَابَةَ بِنْ بَكْرِ بِنْ وَائِلٍ ، في طَرِيْقِ مَكَّةَ مِنَ الْبَصْرَةِ ، وَهُوَ مِنْ خَيرِ وَادٍ بِالْيَمَامَةِ أَرْضُهُ أَرْضُ زَرْعٍ ونَخِيلٍ قَلِيْلٍ ، قَالَ ذُوْ الرُّمَّةِ :

بِنَفْحَةٍ مِنْ خُزَامَى الْخَرْجِ هَيَّجَهَا ....

وَقَالَ جَرِيْرٌ: يَاحَبَّذَا الْخَرْجُ بَيْنَ الدَّامِ والأُدَمَى ... فَالرِّمْثُ مِنْ بُرْقَةِ الرَّوْحَانِ فَالغَرَفُ

وَقَالَ غَيْرُهُ: يَضْرِبْنَ بِالأَخْفَافِ قَاعَ الخَرْجِ ... وَهُنَّ فِي أُمْنِيَّةٍ وَهَرْجِ

الخَرْجُ الَّذِي فِي الْيَمَامَةِ لَيْسَ قَرْيَةً ، بَلْ وَاحَةٌ واسِعَةٌ ذَاتُ قُرًى كَثِيْرَةٍ وَعُيُونٍ غَزِيْرَةٍ ، وسُكَّانٍ كَثِيرِيْنَ ، وَشُهْرَتُهَا تُغْنِي عَنِ الاِسْتِرْسَالِ في وَصْفِهَا .

(٤) كما قَالَ نَصْرٌ

(٥) جُرْجُ عِنْدَ نَصْرٍ : بِجِيْمَيْنِ : ناحِيَةٌ مِنْ نَوَاحِي فَارِسَ ، اسْمٌ فارِسِيٌّ . وقَالَ يَاقُوْتُ : جُرْجُ بَلْدَةٌ مِنْ نَوَاحِي فَارِسَ .

(١) عِنْدَ نَصْرٍ في بَابِ الخَاءِ : بَابُ خُرْقَان ، وخَرْقَانَ ، وَجُرْفَار

(٢) خَرْقَانُ قَالَ نَصْرٌ : بِفَتْحِ الخَاءِ المُعْجَمَةِ وَالرَّاءِ المُشَدَّدةِ : صُقْعٌ بَيْنَ هَمَذَانَ وقَزْوِيْنَ ، وفي « معجم البُلْدَانِ » خَرَقَانُ - بالتَّحْرِيْكِ - قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى بِسْطَامَ عَلَى طَرِيْقِ اسْتَرَابَاذ ، بِهَا قَبْرُ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ ، لَهُ كَرَامَاتٌ وَقَدْ مَاتَ يَوْمَ عاشوراء سنة ٤٢٥ عَنْ ٧٣ سنة وَقَالَ السَّمْعَانِيُّ : خَرْقَانُ اسْم قَرْيَةٍ =

وَأَمَّا الثَّانِي : ـ أَوَّلُهُ جِيمٌ مَضْمُومَةٌ وَبَعْدَ الرَّاءِ الْمُشَدَّدةِ فَاءٌ وآخِرُهُ رَاءٌ ـ : مَدِيْنَةٌ بَحْرِيَّةٌ قُرْبَ عُمَانَ(٣) . .

٣٠٩ ـ بَابُ خَرِيْقٍ ، وَخِرْنِقٍ ، وخَرِيْقٍ(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ : ـ بِفَتْحِ الْخَاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ ـ : وَادٍ عِنْدَ يَنْبُعَ ، قَالَ كُثَيِّرٌ :

أَمِنْ أُمِّ عَمْـــرٍو بـالْخَــرِيْقِ دِيَـارُ ... نَعَمْ دَارِسَاتٌ قَـدْ عَفَـوْنَ قِفَـارُ
وَأُخْرَى بِذِي الْمَشْرُوحِ مِنْ بَطْنِ بِيْشَةٍ ... بِهَـا لِطَافِيْــلِ النَّعَـاجِ خُــوَارُ
تَـرَاهَا وَقَـدْ خَفَّ الْأَنِيْسُ كَـأَنَّمَا ... بِمُنْـدَفَـعِ الْخُــرْطُــوْمَتَــيْنِ إِزَارُ(٢)

وَأَمَّا الثَّانِي : ـ بِكَسْرِ الْخَاءِ بَعْدَهَا رَاءٌ سَاكِنَةٌ ثُمَّ نُوْنٌ مَكْسُوْرَةٌ ـ : مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْبَصْرَةِ(٣) .

= رَأَيْتُهَا ، ذَاتُ أَشْجَارٍ ومِيَاه جَارِيَةٍ وفَوَاكِهَ حَسَنَة . وَقَالَ الْحَازِمِيُّ : هُوَ خَرْقَانُ بِالتَّشْدِيْدِ . ثُمَّ ذَكَرَ خَرْقَانَ ، وخَرْقَانَ وقَالَ عن الأجِيْرَةِ : وأَصْلُهَا (دهْ نخيرجان) وَكَانَ نَخِيْرَجَانُ صاحبَ بَيْتِ مَالِ كِسْرَى .

(٣) نَصُّ كَلَامِ نَصْرٍ : وَقَالَ يَاقُوتُ : مَدِيْنَةٌ مُخْصِبَةٌ بِنَاحِيَةِ عُمَانَ ، وأكْثَرُ مَا سَمِعْتُهُمْ يُسَمُّوْنَهَا جُلْفَارَ ـ باللَّامِ ـ وقَالَ : جُلْفَار ـ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ والتَّشْدِيْدِ وَفاءٍ وَآخِرُهُ رَاءٌ : بَلَدٌ بِعُمَانَ عَامِرٌ ، كَثِيرُ الْغَنَمِ والْجُبْنِ والسَّمْنِ ، يُجْلَبُ مِنْهَا إِلَىٰ مَا يُجَاوِرُهَا مِنَ الْبُلْدَانِ انتهى . وتُعْرَفُ الآنَ جُلْفَارُ بِاسْم (رَأْسِ الْخَيْمَةِ) إِحْدَى الإِمَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدةِ ، ومَوْقِعُهَا يُبَيِّنُهَا لِمَا وصَفَهَا بِهِ يَاقُوت ـ انظر « العرب » س ٢٢/١٦٢ . وَزَادَ نَصْرٌ : خُرْقَانُ ـ بِضَمِّ الْخَاءِ وسُكُوْنِ الرَّاءِ ، مَدِيْنَةٌ بِخُرَاسَانَ ، ويُقَالُ لَهَا خُرْقَانَةُ أيضًا .

(١) عِنْدَ نَصْرٍ .

(٢) قَالَ نَصْرٌ : ـ بِفَتْحِ الْخَاءِ وكَسْرِ الرَّاءِ ، والْيَاءِ ـ : وَادٍ دُوْنَ الْجَارِ ، يَتَّصِلُ بِيَنْبُعَ . انتهى ، وَقَالَ يَاقُوتُ . : وادٍ عِنْدَ الْجَارِ مُتَّصِلٌ بِيَنْبُعَ ـ وَأَوْرَدَ شِعْرَ كُثَيِّرٍ ، وهُوَ في ديوانِه ـ ٤٢٦ ـ وَأَشَارَ المحقِّقُ إِلَى رِوَايَةِ (مِنْ بَطْنِ بَيْنَة) ورَجَّحَهَا لأنَّ بَيْنَةَ مِنَ الْمَوَاضِع الَّتِي فِي بِلَادِ الشَّاعِرِ بخلافِ بِيْشَةَ الْبَعِيْدَة عن تِلْكَ الْبِلَاد . وما أرَى الْخَرِيْقَ . إلَّا وصْفًا لاعَلَمًا وإنْ عُرِف بِهِ مواضِعُ كَثِيرَةٌ ، إِذ الْخَرِيْقُ هِيَ الْمُطْمَئِنُّ مِنَ الْأَرْضِ ـ كَمَا فِي كُتُبِ اللُّغَةِ .

(٣) عِنْدَ نَصْرٍ ـ خِرْنِقٌ بِكَسْرِ الْخَاءِ الْمُعجَمَةِ وسُكُوْنِ الرَّاءِ وَنُوْن ـ : مَكَانٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْبَصْرَةِ . وعِنْدَ يَاقُوتٍ : الْخِرْنِقُ مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ والْبَصْرَةِ بِهِ قُتِلَ بِشْرُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدٍ . انتهى وبِشْرٌ هَذَا قَتَلَتْهُ بَنُو أَسَدٍ فِي عَقَبَةِ قُلَابٍ وهو جَبَلٌ فِي بِلَادِهِمْ عَلَىٰ مَا فِي « معجم ما اسْتَعْجم » وَرَثَتْهُ زَوجَتُهُ واسْمُهَا الْخِرْنِقُ بِنْتُ هِفَّانَ بِشِعْرٍ أَوْرَدَه الْبَكْرِيُّ ويَاقُوتُ فِي مُعْجَمَيْهِمَا ـ رَسْم قُلَاب ـ وَلَا أَسْتَبْعِدُ الْخَلْطَ بَيْنَ اسْمِ الزَّوْجَةِ وَبَيْنَ اسْمِ الْمَوْضِعِ ، وأَنَّ أَحَدَ نَقَلَةِ الْخَبَرِ تَوَهَّمَ اسْمَ الرَّاثِيَةِ مَوْضِعًا ، وقَدْ يكونَ مَوضِعُ الْقَتْلِ شَرْقِيَّ بِلَادِ بَنِي أَسَدٍ حَيْثُ طَرِيْقُ الحجِّ الْعِرَاقِي الْكُوفِي . مما يَتَّصِلُ بِبِلَادِ رَبِيْعَةَ على أن ابن سعد في «الطبقات» ٧/٢٤١ ذكر في ترجمة توبة العنبري أن سليمان بن عبد الملك اذن له بحفر بئر بالبادية بالخرنق ، وبين الخرنق والبصرة ثلاث مراحل .

وَأَمَّا الثَّالِثُ ـ : أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ وَالْبَاقِي نَحْوَ الْأَوَّلِ ـ : مَدِينَةٌ بِإِرْمِينِيَّةَ[٤] .

٣١٠ ـ بَابُ خُشُبٍ ، وَخَشَبٍ ، وَخَسْتٍ[١]

أَمَّا الْأَوَّلُ : ـ بِضَمِّ الْخَاءِ وَالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ وَآخِرُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ـ : وَادٍ عَلَى مَسِيْرَةِ لَيْلَةٍ مِنَ الْمَدِيْنَةِ[٢] لَهُ ذِكْرٌ فِي الْحَدِيْثِ وَقَالَ كُثَيِّرٌ :

وَذَاخُشُبٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَلَّيْتُ   تَبَغًا بِهِ لَيْلًا عَلَى غَيْرِ مَوْعِدِ

وَأَمَّا الثَّانِي : ـ بِفَتْحِ الْخَاءِ وَالشِّيْنِ ـ : ذُوْ خَشَبٍ ، مِنْ مَخَالِيْفِ الْيَمَنِ[٣]

وَأَمَّا الثَّالِثُ : بَعْدَ الْخَاءِ الْمَفْتُوحَةِ سِينٌ مُهْمَلَةٌ سَاكِنَةٌ وَآخِرُهُ تَاءٌ فَوْقَهَا نُقْطَتَانِ ـ : نَاحِيَةٌ مِنْ بِلَادِ فَارِسَ ، قَرِيْبَةٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ[٤] .

---

(٤) كَقَوْلِ نَصْرٍ . وَلَمْ أَرَهُ عِنْدَ يَاقُوتٍ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ « المعجم » .

(١) بِنَصِّهِ فِي كِتَابِ نَصْرٍ

(٢) عِنْدَ نَصْرٍ : ذُوْ خُشُبٍ مَوْضِعٌ قُرْبَ الْمَدِيْنَةِ عَلَى لَيْلَةٍ ، وادٍ فِيْهِ عُيُوْنٌ ، وَمَوْضِعٌ بِالشَّامِ . انتهى وأضاف يَاقُوتُ عَلَى كَلَامِ الْحَازِمِيِّ : لَهُ ذِكْرٌ كَبِيرٌ فِي الْحدِيثِ وَالْمَغَازِي قَالَ كُثَيِّر : .... وتبغى بِهِ لَيْلَى ...
وَقَالَ قَوْمٌ : خُشُبُ جَبَلٌ ، والخُشُبُ مِنْ أَوْدِيَةِ الْعَالِيَةِ ـ وَهُوَ جَمْعُ أَخْشَبٍ وَهُوَ الخَشِنُ الْغَلِيظُ مِنَ الْجِبَالِ. وَيُقَالُ : هُوَ الَّذِي لا يُرْتَقَى فِيهِ .
وَقَالَ شَاعِرٌ :

أَبَتْ عَيْنِي بِـذِي خُشُـبٍ تَنَـامُ   وَأَبْـكَـتْـهَـا الْمَنَـازِلُ وَالْخِـيَـامُ

ـ ثم ثلاثة أَبْيَاتٍ بَعْدَهُ ـ أَمَّا بَيْتُ كُثَيِّرٍ فَقَبْلَهُ ـ كَمَا فِي دِيوانِهِ ٤٣٣ ـ فِي وَصْفِ نَاقَتِهِ ـ :

تَـظَلَّتْ بِأَكْنَافِ الْغُرَابَـاتِ تَبْتَغِي   مَـظِنَّتَهَا واسْتَمْـرَأَتْ كُـلَّ مُـرْتَـدِ

وجَاءَ فِي الشَّرْحِ : الْغُرَابَاتُ أَمْوَاهٌ لِخُزَاعَةَ أَسْفَلَ كُلَيَّةَ ـ وَنصُّ الْبَيْتِ :
وَذَاخُشُبٍ ..... وَتَبْغِي بِهِ لَيْلًا على غَيْرِ مَوْعِدِ
وَلَكِنَّ ذَا خُشُبٍ بَعِيدٌ عَنِ الْغُرَابَاتِ الَّتِي أَسْفَلِ كُلَيَّةَ ، ولهذا قُلْتُ فِي تعليقي ـ ٥٦٢ « ديوان كثيّر » أَنَّهُ قَصَدَ الغُرَابَاتَ الْوَارِدَةِ فِي « بِلَادِ الْعَرَبِ » ـ ٤٠٥ ـ : أَجْبُل سُوْدٌ بَيْنَ يَنْبُعَ والجَارِ . لأَنَّهُ ذكَرَ بَعْدَهَا ذَاخُشُبٍ ، وَذَكَرَ الْبُحَيْرَ بَعْدَهُ . فَذُو خُشُبٍ الْمَذْكُورُ هُنَا هُوَ مُجْتَمَعُ أَوْدِيَةِ الْمَدِيْنَةِ الواقِعِ غَرْبَهَا ـ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَوْضِعًا آخِرَ . فَالإِسْمُ يُطْلَقُ عَلَى عِدَّةِ مَواضِعَ .

(٣) نَصُّ كَلَامِ نَصْرٍ ، وَمِثْلُهُ يَاقُوت ، وعَلَّقَ الْقَاضِي الأكْوَعُ عَلَى كَلَامِهِ : الْخَشَبُ مِنْ أَرْحَبَ ، وذُوْ الخشَبِ بلدة فِي مِخْلافِ حَكَم .

(٤) كَكَلَامِ نَصْرٍ . وعِنْد يَاقُوت : قَرِيْبَةٌ مِنَ الْبَحْرِ ، وَمِثْلُهُ فِي « مَرَاصِد الاطِّلَاع » وَفِي « تَاجِ العروس » : بَيْنَ أَنْدرابَة وطَخَارِسْتَانَ
ـ وَذَكَرَ بَعْضَ مَنْ نُسِبَ إِلَيْهَا ـ وأَنْدَرَابة وطَخَارَسْتَانُ من خُرَاسَانَ ، وأَيْنَهَا وأَيْنَ بِلَادُ الْبَحْرَيْنِ .

المَحْوِي: قُراهُ وسكّانُه

المحوي: أوله ميم مفتوحة بعدها حاء مهملة مفتوحة ثم واو بعدها ياءٌ مثناة.

يطلق اسم (المحوي) على المنطقة الواقعة بين ثلاث حِرَار، حَرَّةِ بَني عَبدالله في الغرب، وحرة كُشُب في الشرق، وحرة الكُرَاع[1] المتفرعة من حرة كُشُبٍ في الشمال، وعِبْلَةُ رُكْبَةَ في الجنوب.

ولعله سمي بذلك لاحتوائه على سيول الأمطار المنحدرة من الحِرَار، وتجتمع معظم السيول في عدة سبخات منها سبخة حَاذَة، وسبخة أُمّ الغِيْرَان.

والمَحوي أرض واسعة، ذات منابت طيبةٍ، ومَرَاعٍ جيدة للإبل، تكثر فيه أشجار السَّمُرِ والسَّلَم والقتاد، وتكاد تغطي جميع أجزائه، وهو من عالية نجد، ومن بلاد بني عبدالله من مُطير، تابع إدارة إمارة المدينة المنورة عن طريق إمارة المهد.

اولاً: قُراهُ وسُكّانُه:

١ ـ (صُفَيْنَة) بلدة عامرة، ذات مرافق حكومية، فيها مركز إمارة، ومستوصف صحي، ومكتب بريد، ومدرسة ابتدائية للبنين، ومدرسة ابتدائية للبنات وهي بلدة زراعية قديمة فيها حاضرة من الْوَسَامَى والْعَوَارِض من مُطَيْر، تقع على حدِّ السهل (المحوي) من الحرة (حَرَّةِ بَني عَبْدِالله) وجنوب المهد بـ ٥٥ كيلاً، واقعة في الناحية الشمالية الغربية، شيخها حمودبن سعود الزِّيْر.

٢ ـ (حَاذَة) بلدة عامرة، ذات مرافق حكومية، فيها مركز إمارة، ومستوصف صحي، ومكتب بريد، ومدرسة ابتدائية للبنين، أول من اتخذها هجرة للعقَاليَةِ هو الشيخ شديد بن أحمد بن سعد العقيلي أمير العقالية من مطير آنذاك، انشئت قبل ٢٠٠ سنة[2]، وتقع جنوب صفينة على الطريق المؤدي للطائف، وهي على

حد السهل من الحرة، آخر بلاد قبيلة مطير من الجنوب، واقعة في الناحية الجنوبية الغربية.

٣ ـ (ٱلْمُوَيْهِيْة) بلدة عامرة، ذات مرافق حكومية، فيها مركز إمارة، ومستوصف صحي، ومدرسة للبنين، تقع جنوب حرة الكراع، وغرب حرة كشب، وجنوب شرق المهد بـ ٦٠ كيلاً، وشرق بلدة صفينة في الناحية الشمالية الشرقية، وسكانها العُضَيْلات من الصُّمبة من بني عبدالله من مُطَيْر.

٤ ـ (فيضة ٱلْمُوَيْة) تقع غرب الموية، قرية زراعية، فيها آبار ارتوازية، من بلاد العضيلات.

٥ ـ (الرِّقَابِيْة) هجرة، فيها مدرسة ابتدائية للبنين، ومدرسة ابتدائية للبنات، تقع شمال غرب فيضة الموية، سكانها العضيلات.

٦ ـ (عُنَيْزة) هجرة، تقع في جنوب وادي (السِّر) الذي يبدأ من حرة كُشْب ويتجه غرباً، ويصب في سبخة أُم الْغِيْرَان شرقاً، وهي جنوب غرب الرقابية، وسكانها العضيلات.

٧ ـ (الضُّبَيْعِيْة) هجرة، فيها مدرسة ابتدائية للبنين، شرق صفينة، وشمال غرب عنيزة، سكانها العضيلات.

٨ ـ (أُمُّ الْغِيْرَان) جمع غَار، وهو الكهف في الجبل: هضبة تقع في عبلة بيضاء، واقعة جنوب غرب هجرةُ عنيزة، وجنوب شرق صُفَينة، تأسست بالقرب منها هجرة باسم الهضبة فيها مدرسة ابتدائية للبنين، وسكانها العقالية من الهويملات من بني عبدالله من مطير.

ثانيا: اهم الجبال والهضاب:

١ ـ (السِّتَار) جبل أحمر معروف بهذا الاسم قديماً وحديثاً، يمر به حاج العراق القديم، جنوب شرق صفينة، وشرق هجرة أُم الغِيْرَان، وهو في بلاد بني سليم قديماً، واقع في الناحية الشرقيةَ.

٢ ـ (شِعْر) جبل أسود، يقع شمالاً من هضبة أُفَيْعية، ويقال (أُفَاعِيَة) وجنوب جبل الستار، وشرق بلدة حاذة بـ ٢٥ كيلاً، وشمال ركبة، وفي بلاد بني سليم قديماً، واقع في الناحية الجنوبية الشرقية.

٣ ـ (هِدَان) جبل اسود، ليست حوله جبال، شمال شرق حاذة، وجنوب شرق هضبة أُفَيْعَية، وشمال شرق أم الغيران بعشرة أكيال، واقع في الناحية الشرقية.

٤ ـ (ذُخْر) جبل أسود، جنوب شرق صفينة، وجنوب هجرة الضبعية، واقع في الناحية الشمالية.

٥ ـ (أنْيَاب) جبل أسود، يقع شرق هِدَان.

٦ ـ (اللّيْعَقُوب؟) جبل اسود، غرب هجرة أم الغيران.

٧ ـ (أُفيعية) هضبة ويقال (أُفاعية) جنوب جبل ذخر، وشمال وادي السر.

٨ ـ (الصِّدَار) هضبة شرق غرب أُفيعية.

٩ ـ (أم الغِيْرَان) هضبة تقع في عبلة بيضاء، شرق جبل (الليعقوب؟) تأسست بالقرب منها هجرة باسمها للعقالية من مطير.

عبدالعزيز بن سعد المطيري

الحواشي:

(١) حرة الكراع متفرعة من راس حرة كشب في الشمال، وتتجه نحو الغرب، وتنتهي في سبخة غرب بلدة صفينة، وهي جنوب المهد.

(٢) حاذة: قال لي الشيخ غازي بن عطالله بن بنش امير صفينة وشيخ جماعته، أن اول من اتخذ حاذة هجرة هو جدنا الشيخ شديد بن أحمد بن سعد العقيلي، وهو الجد الخامس له، فهو غازي بن عطالله بن مشحن بن بنش بن فالح بن شديد بن أحمد بن سعد العقيلي، والعقالية الآن ثلاثة أفخاذ: ذوو سعد، ذوو محمد، ذوو حسين. [العرب: حاذة. بلدة قديمة انظر كتاب «المناسك» ـ ٣٣٤ ـ فهي معروفة منذ أول العهد الإسلامي.

آل شافع علماء المخلاف وقضاته
مـــن الأشـــراف

كان الأستاذ محمد بن أحمد بن عيسى الْعَقِيلي ، نشر في مجلة « العرب » ـ ٧ ص ٤٧ ـ بحثاً عن أسرة (آل شافع في صبيا) ـ قال فيه : (آل شافع في صبيا بيت من بيوت السيادة والعلم ، يُجْمع مؤرخو المنطقة على اتصال نسبهم بالإمام محمد بن إدريس الشافعي من ولد المطلب بن عبد مناف من آل النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم ، الذين عرفهم علماء السنة والجماعة بأنهم أقاربه المؤمنون من بني هاشم والمطلب ابني عبد مناف ، كما ورد في الحديث بنو هاشم وبنو المطلب) الخ .

وقد كتب الأخ زين بن رشيد بن علي الشافعي من أسرة آل شافع بحثاً مطولاً بعنوان (التحقيق عن أسرة آل شافع علماء وقضاة صبيا) في منطقة جازان أفاض في الثناء على الاستاذ العقيلي ووصفه بالعلم وسعة الاطلاع .

كما تحدث عن أسرته آل شافع الذين انتقلوا من قرية أبي دُنْقُور بوادي صبيا مع أسرة الخواجية عام ٩٥٨ هـ إلى قرية السلامة العليا ، ومنهم من سكن صبيا الشرقية ومن سكن صبيا القديمة ومن سكن قرية الحسيني وغيرها .

وقال عن نسب الأسرة ما ملخصه : إن علماء النسب في المخلاف السليماني كشيخ الاسلام عبد الرحمن بن أحمد الْبَهكَليّ ، والشيخ الحسن بن أحمد عاكش الضَّمَدِي ، ومؤلف كتاب « الجواهر اللطاف بهامات أشراف صبيا والمخلاف » القاضي محمد حيدر النِّعْمِي ، نسبوا أسرة آل شافع في صبيا إلى شافع بن القاسم من ولد غانم بن حازم ثم إلى يحيى بن داود بن أبي الطيب من الأشراف السليمانيين .

وأشار إلى أن تشابه الأسماء وتماثلها في شافع بن القاسم هذا وفي شافع بن السائب الصحابي القرشي جَد الإمام الشافعي ـ الذي نسب الأستاذ العقيلي الأسرة إليه وهي منسوبة إلى الأول ، والخطأ نشأ بسبب الاتفاق بين الاسمين .

وكرر القول بأن آل شافع في صبيا يقال لهم الأشراف الشوافعة ، وهم في المخلاف السليماني في منطقة جازان في صبيا وغيرها من المدن والقرى ، كقرية الحسيني وفي وادي ضمد وفي وادي بَيْش ، وينتمون إلى غانم بن حازم من ولد يحيى بن داود بن أبي الطيب بن سليمان بن عبد الله بن صالح بن موسى الجون بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - .

ثم فصل فروع هذه الأسرة ، وأطال الحديث عنها بما لا يتسع المجال لنشره . وبعث مع ما كتب مشجرات ونقولاً من كتب لإثبات ما ذكر .

و « العـــرب » تشكر الكاتب الكريم لما أبداه من حرص نحو إبراز ما لتلك الأسرة التي عرف منها من العلماء الذين عُرِفُوا في ذلك الجزء الحبيب من الوطن بالإسهام بجهدهم وبآثارهم النافعة ، وبأخلاقهم الحميدة ، مع إخوانهم من علماء المنطقة .

التمم (التماما) من حرب

كتب إلى « العـــرب » الأخ عبد الله بن محمد التميمي يرغب إضافة إلى ما ورد في ص ٧١ من كتاب « جمهرة انساب الأسر المتحضرة في نجد » عن اسرته الكريمة مايلي : وهم من ولد محمد قبيلة حرب ، أنتقل أجدادهم من وادي الحَمْض شمال المدينة المنورة قبل ما يقارب مئتي سنة إلى مدينة عنيزة ، ومنهم من انتقل الى الرياض وإلى الخُبر في المنطقة الشرقية .

الحَمَادين ليسوا من الصعران

لقد اطلعت مؤخراً على ما كتبه الأخ عبد الله بن ضاوي بن بادي الهذلي المطيري عن جماعته الصعران وأفخاذها في مجلة « العـــرب » ج ١١ ، ١٢ [س ٢٤ الجماديان ١٤١٠ هـ ص ٨١٨ الى ٨١٩] وهذا عمل يشكر عليه الأخ عبد الله ، وحيث أن الانسان غير معصوم من الخطاء والنسيان فقد لاحظتُ على الأخ عبد الله في مقاله الملاحظة التالية عسى أن يتقبلها بصدر رحب .

لقد ذكر أن الحمادين من أفخاذ الصُّعْرَان وهذا ليس بصحيح بل إن الحمادين

إخوان الصعران من الأم والأب وجميعهم أولاد علي من بُرَيْةٍ من مطير .

وللحمادين مشيخة مستقلة وديار يقطنونها ، وينقسمون إلى سبعة أفخاذ وهم :
١ ـ المسعد . ٢ ـ الثعلة ـ ٣ ـ الراشد ـ ٤ ـ الجلايلة ـ ٥ ـ العرايف ـ ٦ ـ الوسون ـ ٧ ـ العلمة . وأمير الحمادين الشيخ قاسي محمد بن مليح الحميداني .

وبلادهـــــم

١ ـ (أُمّ الْخَشَبْ) وتقع في المنطقة الجنوبية الشرقية من القصيم ، لا تبعد عن المذنب أكثر من ٢٠ كيلا الى جهة الشرق منه .
٢ ـ (أم دَبَّاب) وتقع قريبة من قرية (أُمّ الخشب) وأُمُّ دَبَّابٍ هذه تقع الى الشرق من المذنب على بعد حوالى ٢٥ كيلا منه ، وهي في لغف نفود السِّرِّ ، في شرقيه من جهة (الْمُسْتَوِي) .
٣ ـ (أُمُّ طُلَيْحَة) تقع في أقصى الجنوب الشرقي للقصيم تقع بين قريتي (أُمّ حَزّم) و (أم دَبَّاب) في رمال صعافيق الى الغرب من الْمُسْتَوِي .
٤ ـ (أُمُّ عُشَر) وتقع في آخر وادي الباطن من الغرب ملاصقة للدهناء من الشرق .
٥ ـ (أم أُثَيْلَة) وتقع في نفود السِّرِّ للجنوب الغربي من الزُّلْفِي .
٦ ـ (الثَّامْرِيَّة) وتقع في الجنوب الشرقي من منطقة القَصيم على بعد ثمانين كيلاً من بُرَيدة في جهة الشرق من المذنب .

وقد قابلت الشيخ هزاع بن مشاري بن بُصَيِّص أمير الصُّعْران في منزله بمدينة حفر الباطن عام ١٤٠٥ هـ وأخبرني بعدما سألتهُ عن الحمادين هل هم من الصعران جماعته أم لا ، فقال : إن الحمادين أخوة لنا من الأم والأب ، وصادق على قول الشيخ هزاع بعض أعيان الصعران الذين كانوا موجودين في مجلسه .

وفي عام ١٤١٠ هـ مررتُ بمدينة الْحَفَرِ مرة أخرى ، وقابلت الشيخ قاسي بن محمد بن مُلَيِّح الحميداني أمير الحمادين في منزله ، وسألتهُ عن جماعته الحمادين هل هم من الصعران أم بطن مستقل في بُرَيْهٍ من مُطَيْر ، فقال مشكوراً : الحمادين

والصعران أخوان من الأم والأب ويطلق عليهم جميعاً أولاد علي ، وذكر لي أفخاذ الحمادين وبلادهم ، وقال : إن الحمادين والصعران أخوان الصُّعَبَة من بَني عَبدِ اللّه بن مطير من الأم فقط ، وجميعهم وسَّامة الهلال[1] في قبيلة مطير .

وفي الختام أُوْرِدُ هذه الأبيات التي قالها الشاعر حُنَيْف بن سُعَيْدان وهو من فخذ ذوي سعدون من الصعران ، يصف وقعةً اشترك بها الحمادين مع قومه الصُّعْرَان كشاهد آخر بأن الحمادين ليسوا من أفخاذ الصعران كما ذكرهم الأخ عبد الله في مقاله . . . يقول حنيف :

جَوْنَا وجِيْنَاهُمْ مَعَ الْحَزْم[2] الاَشْمَرْ سبع سَبْحَاتٍ ورَبْعنَا سَبْحَتَيْنْ
تَنَاطَحُوا مِثْلَ الرَّعَدْ يَوْمْ هَجَّرْ بِالْمَاطْلي والرُّوْمِ والْمَارتِيْن[3]
بَـايْمَـانٍ فِتْخَان الْعَيَـالَ الْمصطَّرْ الْلِّي لُكَبَّات الْعَدَا مِحْتِسِيْنْ
في رأْيِ مِنْ يرْوي شِبَاةَ الْمُعَطَّرْ مَاجِدْ وَلَدْ سالِمْ فَعُوْلِهْ تِبِيْنْ
والاَّ وَلَدْ هَذَّال[4] بالحَرْبْ يصْبِرْ لَيَاحَلَّ بْتَالِي الْخَيْلْ طَارَ الْيَقِيْنْ
أمَّا ابن تركي كلِّ الاَكْوَانِ مَاغَرْ دِرْعٍ لنا يَوْمْ الْمَلاَقَا ضِمِيْنْ
ويْمْنَى الْحُمَيْدِي تَنْثُرَ الدَّمَّ الْحَمَرْ وأبو عَمَّاش الِّي فْعُوْلِهْ تِبِيْنْ
نِعِمٍ بْرَبْعِي وَالْحَمَادِيْنْ عَسْكَرْ وجَرْمَان في جَمْعِهْ قَسَا مَايْلِيْنْ

الحواشي :

(١) وسم للإبل علامة توضع على الإبل للتعرف عليها وعلى أصحابها بطريقة الكي تشبه الهلال .
(٢) الحزم هي الأرض الصلبة المستوية الخالية من الأشجار والجبال .
(٣) أسماء أنواع السلاح القديم برصاصة واحدة .
(٤) الشيخ نائف بن هذال بن بُصَيِّص أمير الصُّعران آنذاك .

عبد العزيز بن سعد المطيري

حـول الأشـراف

لاحظ الأخ الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله آل محمود ـ وكيل المحاكم الشرعية في قطر ـ أنه ورد في كتاب « جمهرة أنساب الاسر المتحضرة في نجد » عَـدُّ [آل صقر] الذين في ليلى من بلاد الأَفْلاَج في الأشراف قال : (وقد أبلغني بعض الأشراف من آل حامد أهل الأَفْلاَج بعدم صحة ذلك) .

ونسبة أولئك للاشراف نقلاً عن كتاب « دليل الخليج » [القسم الجغرافي] رسم (ليلى) ص ٣٤٦ ـ الطبعة الثانية .

وكتب إليّ أحدهم بأنهم يُعرَفون الآن بلقب الشغاثرة .

ولا شك أن ما ذكر فضيلة الشيخ عبد الرحمن هو الصواب .

الجُمَيْلات

كتب الأخ فهد بن سعد النتيفات معلقا على ما جاء في كتاب « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » ص ١١٢ : [من إشارة إلى أنها من جرم قضاعة] يقول الأخ : إن الجُمَيْلات (جميلة) من البجايدة من الجني من الحامد من الطريف من السلامة (السلقا) من العمارات من بشر بن عنّاز بن وائل من عنزة ، على ما ذكر صاحب « التحفة النبهانية » و « كنز الأنساب » و « أصدق الدلائل » .

ثم أورد شعراً منه قول شاعرهم فيصل الجميلي :

أول وانا لي مقدمٍ في القبيله ... أنخَـى وتَسْمَعْني مَنَاعِيرْ وَايِلْ
جميلةٍ تسقي عِدَاها مْنَ الْكَدَرْ ... وهي شُرْبها عذبٍ من الما زلايل

وأورد شواهد من الشعر العامي لشعراء متأخرين تؤيد ماذكر .

والواقع أن نسب الجميلات كنسب غيرهم من القبائل الأخرى التي اختلطت بغيرها . ومن هنا اختلف في نسبها ، وقدتكون انتسبت في آخر الوقت إلى بني وائل ، ولا يمكن الجزم بصحة انتسابها لا إلى هؤلاء ولا إلى غيرهم في هذا الوقت الذي ضاعت فيه أصول الأنساب .

ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي

كتب الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد علي حنطور ـ مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية في جامعة الأزهر بالمنصورة ـ ملاحظات حول ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي ما هو نصها :

١ ـ ص٢٠: رحلة العبدري : هو محمد بن محمد علي العبدري الحيحي نسبة إلى حاحة على غير قياس قبيلة من البربر .

التقييد : هي بلد وليست قبيلة ، وينظر مصادرتاريخ الجزيرة العربية ج ٢ ص ٣٧٤ ، ومجلة « العـرب » ج ٩س٦ص٧٤٦ ، وفضلا عن ذالك فإن العبدري ينتهي نسبه إلى جده الأعلى عبد الدار بن قصي القرشي ، فهو عربي من البطون التي استقرت في مدينة بَلَنْسِيَة وليس بَرْبَرِيًا ، وينظر في هذا : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ـ د . زكي محمد حسن ـ ص ١٣٢ ، « الرحلة والرحالة المسلمون » د . احمد رمضان أحمد ص ٣٧٤ .

---

٢ ـ ص ٢٥ : رحلة الهشتوكي . هو أحمد بن محمد بن داود بن يعزى الجزولي نسباً الهشتوكي شهرة المتوفى سنة ١٠٩٦ .

التقييد : الراجح أنه حج سنة ١٠٩٦ .أما حياته فقد كانت بين سنتي ١٠٥٧ هـ ، ١١٢٧ هـ وهذا يتمشى مع مضمون الرحلة . ينظر : مصادر تاريخ الجزيرة العربية ج ٢ص٣٧٤ وص ٤٠٤ .

٣ ـ ص ٢٧ : رحلة المتالي الزبادي . هو عبد المجيد بن علي الحسني الإدريسي الفاسي المتوفى سنة ١١٦٣ ، واسم رحلته « بلوغ المرام بالرحلة إلى البيت الحرام » وكان حج سنة ١١٤٨ ، وضمن رحلته هذا قصيدة سماها « اتحاف المسكين الناسك لبيان المراحل والمناسك » .

التقييد : القصيدة هي رائية في ٢٩ بيتا جمعت مراحل الرحلة من مصر إلى مكة مع مناسك الحج ، وعليها شرح وضعه أحد تلامذة الزبادي اسمه : اتحاف المسكين الناسك لبيان المراحل والمناسك ، فليس هذا اسما للقصيدة وانما اسم شرح لأحد تلامذته ، ينظر : مصادر تاريخ الجزيرة العربية ج٢ص ٣٥٢ مع ملاحظة الاختلاف في سنتي الحج والوفاة ، وينظر السابق أيضاً ص ٣٥٢ وص ٣٧٥ .

٤ ـ ص ٣٠ : « التحفة اليمنية في الأخبار الحجازية » .

التقييد : « النفحة اليمنية في الأخبار الحجازية » .

■ معاني القرآن

كان مما نشر من المصادر الأولى لتفسير القرآن الكريم «معاني القرآن» للفرّاء يحيى بن زياد المتوفى سنة ٢٠٧هـ طبع سنة ١٩٧٢/١٩٥٥ بمصر بتحقيق محمد علي النجار وعلي النجدي وغيرهما، و«مجاز القرآن» لأبي عُبيدة مَعْمَرِ بن المثنّى المتوفى سنة ٢١٠هـ طبع بمصر سنة ١٩٦٢ بتحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين. و«معاني القرآن» للزجاج: إبراهيم بن السَّرِي المتوفى سنة ٣١١هـ نشر في بيروت سنة ١٩٨٨ بتحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، وللدكتور حاتم صالح الضامن استدراكات وتصحيحات حول هذه الطبعة في «العرب» س ٢٥ ص ٤٨٧ ـ ٤٩٧، و«معاني القرآن» للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المتوفى سنة ٢١٥هـ ولكلمة (معاني) في تلك الكتب معنى غير المتبادر إلى الذهن هو بالأعراب الصق منه بإيضاح الكلمات، مع ورود هذا بقلة. وكتاب الأخفش هذا نشر مرتين بتحقيق باحثين فاضلين، في فترة قصيرة من الزمن، المرة الأولى في الكويت عام ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) بتحقيق الدكتور فائز فارس، والثانية في القاهرة سنة ١٤١١هـ (١٩٩٠م) بتحقيق الدكتورة هُدَى محمود قراعة التي أوضحت في مقدمة تحقيقها ـ ٣٦ ـ أنها في عام ١٩٧٥م قامت بنسخ مخطوطة الكتاب، وبدأتْ في تحقيقه على مهل، ثم فوجئت بعد ذالك بأن الكتاب قد طبع بالكويت بتحقيق الدكتور فايز فارس، وبعد أن رجعت إليه وجدت اختلافا عما قامَتْ بتحقيقه عن نسخة الأصل، فقابلت بين المطبوع وبين عملها ـ وقالت: (فتأكَّد لي أنني لابُدَّ من إكمال عملي في التحقيق ونشره، فقد كانت في المطبوع عيوب، وعليه مآخِذ، لابُدَّ من التنويه عنها لأن فيها تشويها لنصِّ عالم جليل). ثم شرعتْ في بيان عيوب الطبع في عشر صفحات ـ ٣٧ إلى ٤٨ ـ ووجهت للمحقق وأستاذه كلمة تأنيب تستدعي تخمير الوجه: (على استحياء وخجل، أتساءل: هل عرف أستاذك بفعلتك هذه؟ لاأعتقد. هل سبقك إلى هذا أحد؟ أترك الإجابة لكل باحث محقق).

حقًا لقد كان الجهد الذي بذلته الدكتورة في سبيل تحقيق هذا الكتاب جُهْدًا مُتَمَيِّزًا بالدِّقة، وبسعة الاطِّلاع على المصادر التي بها تمكنت من إقامة النص وإيضاحه وتقديمه أقرب مايكون ـ أو أصح مايمكن لمثلها ـ أن يقدم كأصله، ولا غرابة في هذا فشيخها وموجهها هو أستاذنا الجليل الشيخ محمود شاكر، الذي أهدت إليه عملها، شاكرَة وُمِشيدَة بما بذل لها من رعاية وتوجيه ونَعَتَتْهُ بحقٍّ بـ (شيخ المحققين).

ومع صغر حجم الكتاب بحيث لم تزد صفحات مخطوطة الأصل على ٣٧٦ إلاَّ أنه جاء مطبوعا في مجلدين، بلغت صفحاتها ٩٠٦ للأصل منها ٥٩٧ والباقي ٣٠٩ أفرغت المحققة الدكتورة جهدها فخدمت الكتاب بما ملأ فراغ تلك الصفحات، مقدمة وفهارس مفصلة، ويبدو أنها ـ منحها الله القوة ـ ذات سعة في وقتها فلم تكتف بإيراد أسماء الشعراء في فهرس الأعلام، بل أفردت لهم فهرسا خاصًا، ومع أنها وصفتْ فهرسَ الأعلام ـ ٨١٨ ـ بأنه (فهرس لجميع الأعلام التي وردت بالنص) فقد فاتها ذكر أسماء المواضع، وهي من الأعلام، مع كثرة ماورد منها في الكتاب، وها هو على سبيل المثال لا الحصر ثلاثة وخمسون علما: أَبَانَانِ: ١٤٢ ـ أُحُد: ٢٥٥ ـ الأُخْدُود: ٥٧٥ ـ أَذْرِعات: ١٧٧ ـ إِرَم: ٥٧٨ ـ الأَمْرَار: ٣٤١ ـ الأندِرين: ٧٨ ـ بطحاء ذي قار: ٤٣٢ ـ البَعوضة: ٨٣ ـ بَكّة: ٢٢٧ ـ البيت الحرام: ٢٨٩ ـ تكريت: ٤٤٧ ـ تُوضح: ١٨٨ ـ ثرمداء: ٣٢ ـ ثهلان: ٢٥٥/٢٣٦ ـ جُرْثم: ١٧٩ ـ جُلاَجِل: ١٨١/٣٣ ـ الحجاز: ٥٩١/٤١٧/٣٠١/٧٣/٥٨/١٨ ـ الحِجْر: ٣١٣ ـ حَجْر اليمامة: ٣١٣ ـ الحطيم: ٤١٤ ـ حوران: ٢٨٦ ـ الدَّوّ: ١٠٠ ـ الدَّيْرَان: ٢٧٥ ـ ذُو الفَقَارة: ١٤١ ـ ذُوقار: ٤٣٢ ـ السِّيْدَان: ١٦٢ ـ طَيْبة: ١٩٤ ـ عانات: ٢٧٧ ـ العتكان: ٤٩٨ ـ عرفات: ١٧٧ ـ عكاظ: ٤٤١ ـ فَلْج: ١٣٠/٩١ ـ فيد: ٤٩٨ ـ قُتَائدة: ١٤٤ ـ القريَّات: ٤٩٨ ـ كبكب: ٦٨ ـ الكَرَم: ٤٩٨ ـ الكعبة: ٢٨٩/٢٨٨ ـ اللِّوَى: ٤٢٣ ـ المدينة: ٨٨ ـ مصر: ١٠٦/١٠٥ ـ مقام إبراهيم: ٢٢٧ ـ المقراة: ١٨٨ ـ نجد: ٥٩٣ ـ نجران: ١٤١ ـ النقا: ١٨١ ـ واسط: ٣٣ ـ هجر: ١٤١ ـ هَراة: ٣٥٤/٢٦٧ ـ

يثرب: ٧٧ ــ اليمامة: ٣١٣/٣٩٤.

ويلاحظ أن بعض محققي المخطوطات في الأيام الأخيرة صاروا يهملون فهرسة أسماء المواضع، كالأستاذ عبد السلام هارون في (فهارس تهذيب اللغة) ومفهرسي كتاب «الجيم» و«حواشي ابن بَرِّي» في مجمع اللغة، وأرى هذا نقصًا في العمل.

وعُنيت المحققة الفاضلة بضبط كلمات النَّصِّ بالحركات، وَحَسنًا فَعَلَتْ فكثير من عباراته لاتتضح بدون الضَّبْط، وقد ينشأ عن عدم إتقان الطباعة في هذا خَطَأٌ، وإن كان يسيرا إلَّا أنه قد يُخِلُّ بالمعنى، ومن هذَا: (أَسَد السَّرَاة) ــ ٢٨ ــ وعلى السين فتحة، والصواب إسكانها (أسْد السراة) سكان السراة من الأسْدِ (الأَزْدِ) للتفريق بينهم وبين إخوانهم من (أسْدِ عُمَان) و(أَسْدِ شَنُوءَة) قال في «الإيناس» ــ ٥٧ نشر دار اليمامة ــ: (الأَزْد ويقال الأَسْد بوزن العَقْل وهو الأفصح إلَّا أن الأول أكثر). و(عدي بن زيد العَبَّادي) ــ ٣٢٦ ــ والعين مفتوحة والباء مفتوحة مشددة، والصواب (العِبَادي) بكسر العين وتخفيف الباء، نسبة للعباد ــ كما نَصَّ على هذا علماء اللغة.

أما (مُضَرَّس) ــ ٢٠٠ ــ والرُّبيع ــ ٣٠٥ ــ بضم الراء في الأخير وفتحها في الأول فلعله (تطبيع) كما في (مُخَيِّس بن أَرْطَأَة) بفتح الياء والمعروف كسرها ــ وضم همزة (ارطاة) ووضع همزة أخرى على الألف والصواب فتح الهمزة الأولى وتسهيل الألف بدون همز.

وقفة تساؤل:

لقد كان موقف المحققة الكريمة حيت تصدَّتْ لتحقيق هذا الكتاب حين اتضح لها من مطبوعته الأولى مااتضح من خلل وأخطإ موقفا جديرًا بالتقدير، وحقًا ماقالت ــ ٣٧ ــ: (ليس من حق أي محقق أن يتصرف في نَصٍّ قديم من نصوص كتب التراث، فيكفينا أن نقول: إن هذا من كتب التراث ليحفظ كما هو).

فهل يتفق هذا مع إضافة شيء إلى ذالك التراث مما ليس منه، أيًّا كان ذالك المضاف، كما يفعل بعض محققي المؤلفات القديمة، بإضافة اسماء وشعراء لم يذكروا في الأصل إلى نصوصه ــ كما فعل الأستاذ إبراهيم الأبياري في عمله في كتاب

«الجيم» انظر «العرب» س٢٤ ص٣٢٩/٤٦٢/٦٣٠ ـ وسارت الدكتورة هُدَى على ذالك النهج في هذا الكتاب حيث قالت ـ ٥١ ـ: (وضعْتُ أسماء الشعراء والرجاز الذين لم ترد نسبة الشواهد إليهم في النص بين معقوفين) وهكذا فعلتْ، أَتُرىَ الأستاذ الأبياري أعرف بالشعراء من صاحب كتاب «الجيم» أو أن الأخفش بحاجة إلى إضافة مايكمل عمله؟!

إن أكثر الشواهد الشعرية التي لم يُسَمَّ قائِلُوهَا في كتب متقدمي العلماء مما اختلف في نِسْبتها، ولهذا نجد في تلك الكتب أشعارًا منسوبة إلى قائليها، وأخرى بدون نسبة، وما ذالك إلاَّ من قبيل التثبت وخشية الوقوع في الخطاء، فمثلا نجد الأخفش يقول في كتابه هذا ـ ٨٨ في حَمْلِ الكلام على أحد المذكورَيْن ـ ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيْئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيْئًا﴾ سورة النساء: ١٢٢ ـ فحمله على الأخِرِ، وقال الشاعِرُ:

أَمَّا الْوَسَامَةُ أَوْ حُسْنُ النِّسَاءِ فَقَدْ أُوْتِيْتَ مِنْهُ لَوانَّ العَقْـلَ مُحْتَنِكُ

وقال:

رَمَـانِي بِدَاءٍ كُنْتُ مِنْـهُ وَوَالِدِي بَرِيْئًا وَمِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي

وقال الآخر:

نَحْنُ بِمَـا عِنْـدَنَـا وَأَنْتَ بِمَـا عِنْـدَكَ راضٍ والـرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

وهٰذَا مِثْلُ قول البُرْجُمِيِّ:

فَمَنْ يَـكُ أَمْسَى بِالْمَـدِيْنَـةِ دَارُهُ فَـإِنِّي وَقَـيَّـارًا بِهَـا لَـغَـرِيْـبُ

فَأَنْتَ تَرَاهُ نَسَبَ البيتَ الأخير إلى قائله، ولم ينسب البيتين قبله، فجاءت المحققة الفاضلة فقالت عن الأول: (لم أهتد إلى تخريج الشاهد) وأضافت في الأصل بعد كلمة وقال: [ابن أحمر] وأشارت في الهامش إلى الاختلاف في قائله بين ابن أحمر والأزرق بن طرفة بن العَمَرَّد، وأضافت إلى كلمة (وقال الآخر) في البيت الثالث: (عمرو بن امريْ القيس) وقالت في الحاشية: (سيبويه: ١/٧٤/٧٥ ـ مخرجا، ونسب فيه إلى قيس بن الخطيم، وصحح نسبه الأستاذ

عبد السلام هارون إلى عمرو بن امرئ القيس).

ثم عادت ـ ٩٠ ـ فعلقت على بيت من القصيدة التي ورد فيها البيت الذي نسبته إلى عمرو بن امرئ القيس بقولها: (وقد نسبه سيبويه إلى رجل من الأنصار، ونسبه الأعلم إلى قيس بن الخطيم، وفي هامش سيبويه وهامش الطبري إلى عمرو بن امرئ القيس، وكذا في الخزانة). كذا قالت ولم تنسبه في الأصل ـ كعادتها ـ إلى أحد، ولايتسع المجال لإيراد أمثلة أخرى يختلف المتقدمون في نسبة شعر فتأتي المحققة فتنسبه إلى أحد من اختلف في نسبته إليه، فتجمع في فعلها هذا بين أمرين لا أعتقد أن من لديه غيرة على التراث العربي يرضى بهما، أو يطمئن إليهما هما: الإضافة إلى الأصل، والجزم بصحة مالايزال بحاجة إلى التثبت، ولها عن هذا مندوحة بإضافة جميع ماتراه تعليقا منفصلا عن أصل الكتاب الذي تقضي الأمانة العلمية تقديمه كما وضعه مؤلفه، إذ التساهل بإدخال أية كلمة تؤثر في المعنى، فضلا عن كونه يفتح الباب للعبث بِتُراثِ الأمة ـ فإنه يحمل على عدم الثقة لمحقق نفسه متى اتَّضَح أنَّ ماأُدْخِل غير صحيح، فقد يقال: بان مثل هذا وقع من بعض متقدمي العلماء، ففي «الكامل» لِلْمُبَرِّدِ وفي «النوادر» لأبي زيد إضافات ليست من كلام المؤلفين، ولكن إنْ صحَّ هذا فإن ذالك من قبيل الشروح، وفَرْقٌ بين عمل المحقق في عصرنا وبين عمل الشارح، ومن لنا بمحققين بمنزلة تلاميذ أبي زَيْدٍ الأنصاري وتلاميذ المُبَرِّد في العلم، والقول بان وضع الإضافة بين قَوْسَيْنِ يُمَيِّزُها عن كلام صاحب الأصل ليس صحيحا دائما فكثيرا ماتوضع الزيادات الموجودة في بعض النسخ ـ وهي من الأصل ـ بين أقواس، وقد توضع الكلمة الساقطة عند الكتابة مما لايتم المعنى إلا بوضعه، وما كل قارئ لكتاب محقق يُعْنَى بما ورد في المقدمة من اصطلاحات، ومن هنا فقد يلمح أحد القراء شعرًا منسوبا إلى شاعر مما ألحق بالأصل وهو يجهل ذالك فينسب ذالك الشعر ـ كما قرأ ـ ويسنده للمؤلف، والمؤلف لم ينسبه إلى ذالك الشاعر.

ومجمل القول أنَّ إدخال زيادات في كلام المتقدمين لايتفق مع الأمانة العلمية التي تقضي بعدم التصرف بنصوصهم إلا في مقام شرحها أو التعليق عليها بطريقة تلقي التبعة على الشارح أو المعلق، ولاتوهم أن ما أُضيف من النّص الأصلي.

العنوان
حي الورود . شارع حمد الجاسر هـ ٤٦٢١١٢٢
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ١٧ ريالاً

ج ١١ ، ١٢ س ٢٦ الجماديان سنة ١٤١٢ هـ - تشرين ٢/كانون ١ (نوفمبر/ ديسمبر) ١٩٩١ م

أوهام في فهارس المخطوطات تحول دون الاهتمام بهــا

لكثير من واضعي فهارس الكتب العذْرُ في عدم إدراكهم لكثير من المعلومات المتعلقة بما يصفون منها ، فجلُّهم - إن لم يكن كلهم - لم يكن أثناء عمله مُتَّجِهًا اتجاهًا تامًّا لما يقوم به من عمل بَلْ قد يمارسه بعد فراغه مما يراه أهم منه وأولى ، مما صرف فيه نشاطه واتجاهه التام ، هكذا أدركت بعض الإخوة الذين قاموا بترتيب فهارس المؤلفات المصورة في (معهد المخطوطات) يضاف إلى هذا أن الصورة نفسها للكتاب قد تخفى فيها بعض المعالم التي تَبْدُو في الأصل واضحة في تمييزه .

ولا يقتصر هذا الأمر على اؤلئك الإخوة ، بل يشمل كثيرين ممن عُنُوا بهذا الجانب الثقافي قديماً ، فالمفهرس - وإن كان ينقل أكثر ما ينقل عن فهارس موضوعة ، وعن معنيين بهذا الشأن ممن يتصل بهم ، إلَّا أنه بحكم اتجاهه للدراسة والبحث يحاول الاستقصاء وأن يكون ما يقدم محلًّا للثقة والاعتماد ، مع كل هذا يقع في كتابه كثير من الهفوات التي لم يدركها من جاء بعده من واصفي الكتب . فيقعون فيما وقع فيه ، بل ليس من المبالغة القول بأن جُلَّ أخطاءِ مفهرسي الكتب في عصرنا ناشئٌ عن اعتماد بعضهم على بعض ، وعن الرجوع في كثير من الأحيان إلى (بروكلمان) وأمثاله .

وليس المقام مقام تَفصيلِ مَا هُوَ من هذا القبيل ، ولكن لا بُدَّ من الإشارة إلى شيء منه بإيجاز .

١ـ « تاريخ المستبصر » ليس لابن المجاور الدمشقي المعروف بل لرحالة فارسي مجهول :

(١) قام رحالة فارسي يُدْعى ابن المجاور واسم أبيه محمد بن مسعود بن علي النيسابوري ، فألف كتابًا عُرِفَ بـ « تاريخ المستبصر » وصف فيه مشاهداته أثناء رحلة قام بها من الدُّنَيْلِ سنة ٦١٨ إلى الحجاز فاليمن ، وتحدث عن أهم المدن التي زارها كجدة ومكة وعدن وزَبيد وغيرها ، وعُرِفَ هذا الكتاب بالاسم عند بعض مؤرخي اليمن كالخزرجي والعيدروس وغيرهما . فوردت منه إشارات موجزة في بعض مؤلفاتهم . وَوُجِدتْ له مخطوطة وحيدة في مكتبة (أياصوفيا) في اسطنبول ، تاريخ نسخها ٢٨ ذي القعدة سنة ١٠٠٣ هـ رقمها في المكتبة (٣٠٨٠) كتب في طرتها : (تأليف الشيخ المسند المحدث المؤرخ . . . يوسف ابن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي) فما كان من (بروكلمان) حين وصف الكتاب إلاَّ أنْ نسبه إلى هذا الشيخ المحدِّثِ ، اعتماداً على ما كتب في طرته ، بدون تثبت أو تمحيص أو استدلال بحداثة الكتابة على عدم الوثوق بها . ـ فما دامت جملة (قال ابن المجاور) تتكرر في الكتاب فليكن ابن المجاور المعروف ، مع أنَّ المعروفين بابن المجاور من العلماء عَدِيْدُون[١] .

ثم جاء أستاذنا خير الدين الزركلي ـ رحمه اللّه ـ فنسب الكتاب إلى ابن المجاور المحدث الدمشقي (٦٠١/٦٩٠ هـ) حين ترجمه في « الأعلام » وتواطأ على ذالك كل من وصف الكتاب ، حتى جاء المستشرق المعروف (أوسكارلوف جرين) فنشر الكتاب منسوباً إلى ابن المجاور الدمشقي ، وأُعيد تصوير طبعة المستشرق ، فانتشر حتى أصبح بعضهم يكابر في صحة النسبة ، ما دامتْ صادرة عن عالمين جليلين الزركلي و (لوفجرين) ولو فتح صفحات الكتاب أحدُ المعنيين بالبحث والتثبت لأدرك لِأَوّلِ وَهْلَةٍ أن مؤلف الكتاب لا يمت إلى ابن المجاور الدمشقي بأية صلة ، وكنت قد لاحظت هذا قبل نشره بزمن ، ثم أدركه ونَبَّه عليه الأمير عبد القادر الحسني حين قرظ الكتاب في مجلة (المجمع العلمي العربي) بدمشق .

٢ ـ ليس المؤلف التلمساني بل عالم أندلسي قبله بثلاثة قرون :

وها أنا اتصفح نسخة من « فهرس المخطوطات المصورة » التي أكرمني بها (معهد المخطوطات) وهي من منشوراته سنة ١٩٨٨[٢] ـ فأقرأ ـ ص ٦٥٧ : (وصف مكة والمدينة وبيت المقدس : تأليف محمد بن أبي بكر التلمساني ، نسخة كتبت سنة ٦٧٦ بقلم أندلسي واضح ، بخط المؤلف) فأتذكر أنني كنت صورت الرسالة من مكتبة (الأسكوريال) وعُنِيْتُ بدراستها ، ونشرتها في مجلة « العرب »[٣] واتضح لي خطأ (بروكلمان) حين نسبها لأبي بكر بن محمد التلمساني ، فهذا هو ناسخ الرسالة وما معها من الرسائل ، كما اتضح لي أن مؤلفها من أهل القرن الرابع الهجري ـ لا السابع ـ فقد صرح باسم أمير مكة أثناء وجوده فيها ، وأنه (جعفر وهو أبو الحسن الذي كانت إمارته في منتصف القرن الرابع إلى سنة ٣٨٤) كما ذكر أن الخزاعي حدثه بأخبار تتعلق بتاريخ مكة ، والخزاعي هذا أحد رواة كتاب « أخبار مكة » للأزرقي وهو في الغالب محمد بن نافع ، وكان حيًّا سنة ٣٥٠ وترجح لَدَيَّ أن مؤلف تلك الرسالة هو الْبَلْدِي ـ باسكان اللام ـ الأندلسي سعد بن محمد بن سعد ـ رحل إلى المشرق سنة خمسين وثلاث مئة ، وأخذ عن علماء مكة ومنهم محمد بن نافع الخزاعي حين دخلها سنة[٤] ٣٥١ ـ وقد توفي الخزاعي سنة[٥] ٣٩٧ .

٣ ـ إنه مختصر عبد الحق الإشبيلي (٥١٠/٥٨١ هـ) :

وعُنِيت منذ أكثر من ثلاثين عاماً بالبحث عن كتاب الرشاطي « اقتباس الأنوار ، والتماس الأزهار ، في أنساب الصحابة ورواة الأخبار » لاشتغالي بجمع ما يتعلق بأبي علي هارون بن زكريا الهجَري من معلومات[٦] ، وكتاب الرشاطي هذا يُعَدُّ ذخيرة عن الهجري بما نقله عنه في الأنساب . ويعجب الباحث حقًّا حين يتلمس أنباء علماء الجزيرة الأقدمين ـ كالهجري والهمداني ـ في المؤلفات الأندلسية ، مما لا يجد له أثراً في المؤلفات المشرقية ، ويزدادُ عجبه حين يعلم أن الهجري والهمداني وهما متعاصران في آخر القرن الثالث وأول القرن الرابع ـ عُرِفَا بين علماء الأندلس قبل أن يُعْرَفَا لدى علماء المشرق بزمن ، واستفاد أولئك

بعلمهم ، بينما كان هاؤلا عالة في ذالك بالتَّلَقِّي عنهم .

وأثناء زيارتي لمعهد المخطوطات في القاهرة في شهر شوال سنة ١٤١١ هـ علمت بوجود مختصرين لكتاب الرشاطي ، ها هو وصفهما . كما ورد في « فهرس المخطوطات المصورة » التاريخ ـ(٧) وضع الأستاذ فؤاد سيد أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية (مختصر اقتباس الأنوار . . . للرشاطي : عبد الله بن علي ابن عبدالله اللخمي المتوفى سنة ٤٦٦ اختصار الحافظ ابي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الاشبيلي (كشف الظنون : ١/١٣٤) فيه نقص من أوله وفي اثنائه ومن آخره .

وينتهي إلى اليماني واليمنيّ وبه خروم في مواضع بخط اندلسي في ٢٢٥ ورقة). صديقنا الأستاذ فؤاد ـ رحمه الله ـ له العذر كلُّ العذر حين يكتب ما يكتب عن وصف هذه الكتب كما يبدو منها ، وقَدْ أَمَدَّ الباحثَ بما استطاع إمداده به ، مما يتعلق ببغيته ومن منحك ما يقدر عليه لم يبخل عليك ، وهنا وقفات حول هذا التعريف بهذه المخطوطة : الأولى : أن الرشاطي لم يُتَوَفَّ سنة ٤٦٦ ـ بل هذه سنة ولادته ، ولعل من المناسب الاستطراد بذكر طرف من ترجمته كما وردت في مختصر عبد الحق الاشبيلي لكتابه « اقتباس الأزهار » قال في رسم (الرشاطي) ما نصه : قال أبو محمد الرشاطي : هذه نسبتنا التي اشتهرنا بها ، وذلك أنَّ أحد أجدادي كانت به شامة كبيرة هي التي تعرف بالوردة وتسميها العجم (روشه) وكان له في صغره خادم عجمية ، تحضنه وتكفله ، فكانت عندما تحدثه وتلاعبه تقول له : (رشطانه) وكثر ذالك منها حتى غلب عليه وقيل له الرشاطي ، وهذه الشين ليست بخالصة ، بَيْنَ بَيْنَ الشين والزاي والجيم ، فهي تكتب بذالك غَيرأن الذي توارثنا كَتْبُهَا بالشين ، وأنا عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن خلف ابن أحمد بن عمر اللخمي ثم الرشاطي ، مولدي بـ (أوريوله) إحدى مدن (تُدْمَير) وقد ذكرتها في حرف الهمزة ـ ولدت صبيحة يوم السبت لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ست وستين وأربع مئة ، وكتب هذا في شوال سنة سبع وعشرين وخمس مئة ، نشأتُ بـ (الْمَرِيَّة) نقلت إليها من ستة أعوام وأنا الآن بها بأهلي وولدي ، عنيت في شبيبتي بقراءة الأدب ، ثم مِلْتُ إلى طلب الحديث ،

وأخذت عن الفقيه الحافظ قاضي القضاة ، أبي علي حسين بن محمد بن مَيْسَرة الصدفي ، وعن الإمام الحافظ أبي على الحسن بن محمد الْغَسَّاني ـ رحمهما الله ـ وهما أَجَلُّ من كان بعصرهما في هذا الشأن ، وأخذتُ عن جماعة غيرهما ،واستجزت من علم اللغة بالمكاتبة فجمعت كثيراً ، والحمد لله الهادي للإسلام ، الموفق لخدمة حديث محمد نبيه عليه أفضل التحية وأفضل السلام) . انتهى وقد نقلته بطوله لعل فيه ما يحسم الخلاف في نسبة (الرشاطي) معنى ولفظا ، وهو خلاف امتد منذ ظن بعضهم أن (رشاطة) بلدة في العدوة[٨] ، وتأثر به ابن خلكان فلم يقنعه قول الرشاطي نفسه[٩] ، وكرره صاحب « تاج العروس »[١٠] ووصفه صاحبنا الأستاذ الباحث عبد القادر زمامة بأنه (بَيِّنٌ الأئمة قديم شهير) .

ويبقى الحديث عن كتابه وعن مؤلفاته الأخرى ، وذالك ما أُرْجِئُهُ لوقت آخر .

أما تاريخ وفاته فقد قتل شهيدًا اثناء استيلاء الأسبان على المريّة في صبيحة الجمعة عشرين جمادى سنة ٥٤٣ (ثلاث وأربعين وخمس مئة)[١١] .

الوقفة الثانية : ليس اسم مؤلف المختصر (عبد الله) بل (عبد الحق) ولكن كتابةَ الكلمة في الأصل لم يتضح منها سوى (عبد) وكلمة (الحق) بالخط المغربي قد تشتبه على من ليس لديه مِرَانٌ ومعرفة بكلمة (الله) وفي أثناء الكتاب ورد الاسم صريحاً (قال عبد الحق) ومن أمثلة ذالك :

١ ـ في رسم (اليعمري) في كنانة وفي ربيعة بن نزار ـ ثم تحدث عن الذي في كنانة ـ وقال بعد ذالك : (قال عبد الحق : لم يذكر الذي في ربيعة بن نزار ، أو لعله سقط من هذه النسخة ، وهو يعمر بن مالك ـ إلى أن قال ـ : وهم عندنا بالأندلس ، أفادنيه شيخ من شيوخهم العالمين بهم وبأنسابهم) ثم ذكر اسم الشيخ ونسبه .

٢ ـ على كلمة (القسي) : (كذا وقع في هذه النسخة التي كانت عندي القسي والقس ، أظنه موضع تنسب اليه الثياب القسية) وفي الهامش بخط قديم يظهر

أنه خط العيني محمود المؤرخ العالم المشهور صاحب المخطوطة : (القائل أظنه عبد الحق) . وقد يجد الباحث نصوصًا أخرى تؤيد الاعتقاد والجزم بأن مؤلف هذا المختصر هو عبد الحق الإشبيلي .

الوقفة الثالثة : لا يُدَاخِلِ من اطلع على ما كتب في طرة الجزء الأول من هذه المخطوطة وفي خاتمتها شَكٌّ أن مختصرها هو (الامام المحدث أبو محمد عبد الحق ابن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي) وفي الخاتمة وصف بـ (الحافظ الزاهد أبي محمد الإشبيلي) وهو العالم الأندلسي الشهير المعروف بابن الخراط (٥١٠/٥٨١هـ) صاحب كتاب « الأحكام الشرعية » فقد نَصَّ مترجموه على انه اختصر « أنساب الرشاطي » بل قال الغبريني ، في « عنوان الدراية » عن هذاالمختصر (هو أحسن من الأصل)[١٢] ولعل حُسْنَهُ ناشِئٌ عن خُلُوِّهِ مما وقع في أصل الرشاطي من إيراد بعض الأخبار التي اتخذ منها بعض معاصريه مَدْخَلاً لنقده[١٣] - وهي مما يتورع بعضهم من إيرادها .

الوقفة الرابعة : هذه المخطوطة الأزهرية من مختصر عبد الحق الإشْبيلي لأنساب الرشاطي - جليلة القدرِ ، بِمَا وضع في هوامشها من إضافات وتصحيحات ، ثم هي كانت من كتب أحد أجلة العلماء ، ولَعله هو الذي علق تلك الإضافات أو بعضها ، ففيها ما تتشابه كتابته بكتابة الأصل بالخط المغربي - إنَّ صاحبها هو العالم المصري الشهير العيني محمود بن أحمد بن موسى (٧٦٢/ ٨٥٥هـ) وقد كتب في طرتها : (وقفه مُسَطِّرُه محمود العَيْنِي الحنفي ، وشرطه في كتاب الوقف ومقره مدرسته) وكان قد أنشأ مدرسة مجاورة لمنزله قرب الجامع الأزهر ، أوقف عليها كتباً كثيرة ، كما ذكر السخاوي[١٤] ، ويبدُوْ أَنَّ بعضَ التعليقات التي في هوامش المخطوطة منقولة من أصل كتاب الرشاطي ومن أمثلتها : (لم يذكر الْمَعْولِي ومَعْولَةَ - بفتح الميم - بن شُمْس - بضم الشين - بن عمرو) وساق النسب إلى الأزد إلى أن قال : (والنسب هذا منقول من كتاب . . . للرشاطي) ومنها (الغامدي : أنشد في الكبير : .

تلافَيْتُ شرًّا كَانَ بَـيْنَ عَشِيْرَتِي ... فَسَمَّانِيَ الْقَيْلُ الْحَضُورِيُّ غَامِـدًا

وفي (الغوثي) - بعد نَقْلٍ عن ابن دُرَيْد ختم بكلمة (عن الكبير) وفي (القضاعي) الحديث عن الكبير : من روايته . . .) وقد يختم النقل بحرف (ك) أو (أصل).

الوقفة الخامسة : جاء في وصف الجزء الثاني من هذه المخطوطة[١٥] : (وينتهي إلى اسم اليماني واليمني ، وبه خروم في مواضع ، بخط أندلسي في ٢٢٥) .

هذا الجزء الموصوف يقع في (١٢٧) ورقة - لا (٢٢٥) وحرصت على تتبع اتصال الصفحات فلم تقع عيني بينها كلها على (خروم) . ولعل السرعة مني أو من الصديق الأستاذ فؤاد - رحمه الله - كانت السبب في عدم إدراك الحقيقة .

الوقفة السادسة : ذِكْرُ المُفَهْرِس صاحِبَ « كشف الظنون » يُوْهِم أنه هو الذي نسب المُخْتَصَرَ إلى مَنْ سَمَّاهُ ، وهٰذا غير صحيح ، فصاحب « الكشف » لم يذكر سوى مختصر البلبيسي « القبس » الآتي ذكره .

٤ - هو « مجمع الأنساب » وليس « القبس » :

ولِعنايَتِي بما له صلة بكتاب الرشاطي « اقتباس الانوار » تطلعت إلى معرفة شيء عن مختصره للبلبيسي إسماعيل بن إبراهيم الكناني الحنفي (٧٢٨/ ٨٠٢ هـ) حين قرأت إشارتي ابن حجر والسخاوي عنه[١٦] ، ورأيت صاحب « تاج العروس » يعده بين الكتب التي استمدَّ منها كتابه وسماه « مجمع الأنساب » لأبي الفداء إسماعيل بن إبراهيم البلبيسي الحنفي[١٧] جمع فيه بين كتابي الرشاطي وابن الأثير ، ولكن العلامة المحقق الشيخ عبد الرحمن اليماني في حواشيه على كتاب « الأنساب » للسمعاني يسميه « القبس »[١٨] فكان ان رأيت في « فهرس المخطوطات المصورة » الذي وضعه الدكتور لطفي عبد البديع ما نصه[١٩] : (٤٥٠ - مختصر أنساب الرشاطي ، لإسماعيل بن إبراهيم البلبيسي . . . وأضاف اليه زيادات ابن الأثير على أنساب السمعاني وسماه « القبس » أوله : الحمد لله الذي خلق صنف البشر ، نسخة بخط المؤلف تشتمل على ثلاثة أجزاء) ثم وصف الثلاثة وأضاف : (ومنه نسخة أخرى كتبت

بخط مغربي حديث في القرن التاسع ـ دار الكتب المصرية ٧١٦٥ ح ـ ٩٧ق بها نقص من الآخر) .

غير أنني فُوْجِئْتُ ـ بعد الاطلاع على مصورتي النسختين ـ بأنها لِكِتَابَيْنِ متغايِرِيْنِ ليس كتاب « القبس » أحدهما ، أولهما هو ما سماه صاحب « تاج العروس » بكتاب « مجمع الأنساب » للبلبيسي ، وهو الذي ذكره الشيخ اليماني ، وعول عليه كثيراً في تحقيق أنساب السمعاني ، وكنت قد اطلعت على أصله في (مكتبة رئيس الكتاب) في اصطنبول وصورتْ لي منه نسخة حاولت نقل ما فيها عن الهجري مما نقله البلبيسي عن أنساب الرشاطي ، ورأيته في مواضع يصرح بكتاب له آخر سماه « القبس » و « المختصر » مما يحمل على الجزم بأن ما ورد في وصف مُصَوَّرته في « فهرس المخطوطات المصورة » غير صحيح ، ولو أنَّ الدكتور الفاضل الذي أعَدَّ الفهرس سار في قراءة المقدمة ـ التي وقف عند إيراد الحمدلة منها ـ حتى ينهيها لا تَّضَح له ذلك فقد جاء فيها : (وبعد : فإني لَمَّا اختصرتُ كتاب أبي محمد الرشاطي ، واستعنت على ضبط بعض الأسماء وأكثر الأنساب بكتاب « اللباب » لأبي الحسن بن الأثير الجزري ـ رحمهما الله ـ وجدتُّهما قد اجتمعا على تراجم ، وانفرد كل منهما بأُخَرَ ، وإذا اجتمعًا على ترجمة تارة يتفقان على من سُمِّيَ فيها ، وتارة يختلفان ، فيذكر هذا واحِدًا فأكثر ، ويذكر هذا رجلًا آخر ، ويزيد هذا وينقص هذا وكل من الكتابين يحتاج إليه ، ويعول في هذا الفن عليه ، فأحببت ان أجمع بينهما [ليستغنى الناظر في] هذا الكتاب عن النظر في كتابين كبيرين حجمهما)، ثم تنتهي الصفحة ويليها جذاذات[٢٠] وصفحات لا تتصَّل بها ، فالكتاب يتخلله نقص في كثير من المواضع ، وهذه النسخة هي مسودته ، وقد اتضح مما نقلته أنه أُلِّفَ للجمع بين كتابي الرشاطي وابن الأثير ، وليس مختصر الأول المعروف باسم « القبس » والذي تكرر ذكره في هذه المصورة ومن أمثلة ذلك : .

١ ـ في رسم (. . . . . .)[٢١] ومنهم حلحلة بن البراء بن عُميرة بن وبرة بن ثعلبة ابن غنم بن سُرَيّ بن ثعلبة بن أُنيف ، الذي رفع أبو عمر نسبه وقال : الأنصاري من بني عمرو بن عوف ، وهو وَهْمٌ بَيَّنَ ابنُ الكلبي أنه بالحلف ـ إلى أن قال :

(ذكرته في « القبس » في البلوي) .

٢ - وفي رسم (البجلي) قال : (هذا موضع هذه النسبة ، وليس هو موضع المنسوب فإنه مشهور بالسُّلَمِي ، ذكره الرشاطي والسمعاني ، وتبعهما ابن الأثير ، ذكروه هنا فتبعتهم هنا ، وذكرته في « المختصر » هناك والله أعلم) .

٣ - وفي رسم (القُرشيّ) قاف مضمومة وراء مفتوحة وشين معجمة في كتابه : تُبَيَّضُ هذه الترجمة من (المختصر) ان شاء الله .

٤ - وفي (المرهبي) : (يكمل من مختصر الرشاطي في هذا الباب) .

٥ - وفي (المقري) : (ثم يكتب المَقري - بفتح الميم - ينقل من (المختصر) من البلدان ثم يكتب (المقعد) ويعني بكلمة (من البلدان) أن النسبة في كتاب الرشاطي لِلْبُلْدَانِ ترد آخر الباب بعد انتهاء النسبة إلى القبائل .

٦ - في (المليحي) : (تكتب هذه الترجمة الى آخرها من (المختصر) ثم يكتب : واستدرك ابن الاثير هذه الترجمة على السمعاني) .

٧ - وفي (النجاشي) : (يكمل من « المختصر » ان شاء الله) .

ويبدو أنَّ هذه (المسودة) في المرحلة الأولى من تأليف الكتاب فضلاً عمّا في كثير من أوراقها من تقديم أو تأخير قد لا يكون للمؤلف يَدٌ فيه ، إلاَّ أن الاضطرابَ في ترتيب بعض المواد - وهو من عمل المصنف - فيها كثير فمن الأول : .

١ - رسم (الأخباري) ورد بعد (البغدادي) في ورقات ثلاث من حرف الألف .

٢ - (الصباغ) بعدها في الصفحة المقابلة (الشهرستاني) وفي الصفحةالتي تليها (الشهيدي) أي بإدخال ورقة من حرف الشين في حرف الصاد .

٣ - بعد (السبخي) في صفحة أخرى (باب الزاي والكاف) ثم في الصفحة التي بعدها (باب السين والألف) .

٤ - يلي (الزغنداني) رسم (الزماني) وما بين حرفي العين والميم بعد الزاي أُخِّرَ إلى آخر حرف الزاي فوقع اضطراب في مواد حرف الزاي غير هذا .

أما عدم ترتيب المواد فمنه : .

١ - بعد (العكاظي) كتب المؤلف في الهامش : (يتلوه إن شاء الله في الكراس العاشر العكاسي ، والصفحة التي بعد هذه لا يُعَوَّل عليها ، ونقلت صورتها في حرف العين والصاد في محلها على الصواب) .

٢ - (الخريمي) كتب بعدها : (تقدمت سياقته فينقل إلى هنا إن شاء الله) .

٣ - وكثير من التراجم ناقصة ، يبدأ المؤلف بكتابتها ثم يقول (تكمل الترجمة منهما) أو (من عندهما) يقصد كتابي الرشاطي وابن الأثير ، تكرر هذا في كثير من الصفحات وانظر (الهاشمي ، الهذلي ، الهمداني ، الهلالي) أو (النوفلي ، النهدي ، النضيري ، الوهبيلي ، اليمامي) أو يقول : (تكمل إن شاء الله في المبيضة) كما في (الزهري ، الهجيمي ، السلمي ، الخزاعي) وقد يأتي محل الترجمة فيكتفي بقول لا يفيد فيها شيئًا ، كقوله : (الهجري : تذكر هنا ترجمة أبي علي زكريا بن هارون[٢٢] الهجري إن شاء الله تعالى) ثم لم يزدْ .

ليس المفهرس مطالبا بأن يذكر كل ما يتعلق بوصف المخطوطة مما تقدمت الإشارة إلى بعضه ، ولكن مما لا يتمارى فيه اثنان أنه لا بُدَّ من التنبيه عما فيها من نقص ، وعدم الاكتفاء بذكر عدد ورق كل جزء ففي أول الكتاب نقص انخرمت منه بقية خطبته ، ومواد أخرى من حرف الهمزة الممدودة كـ (ألأدمي) و (الآجري) وما بقي من حرف الهمزة كـ (الأبناوي) و (الأبهري) مضطرب وغير مرتب الورق ، وفي مواضع أخرى من النسخة نقص لا يتسع المجال لتفصيله .

ليس من المستبعد وجود نسخةأخرى من كتاب البلبيسي هذا ، فرجوع صاحب « التاج » إليه يفتح الأمل في ذلك ، ومع رداءة هذه النسخة من حيث اضطراب التأليف فيها ، قبل اضطراب ورقها ، وكثرة ما فيها من الإضافات التي كتبت في جُذاذات صغيرة ووضعت في غير مواضعها إلَّا أنَّ من مميزاتها أنها مسودة المؤلف أنهى كتابة الجزء الأول المنتهي بـ (الخيلاني) في شهر شوال سنة ٧٩٦ وأكمل الكتاب سنة سبع وتسعين وسبع مئة ، أي قبل وفاته بخمس سنين ، وهو في كتابه هذا لا يقف عندَ حَدِّ الجمع بين الكتابين ، بل يضيف أشياء كثيرة من

المؤلفات في هذا العلم ،وقد يضيف معلومات ذات صلة به ، ففي كلامه على (القسحَمِي) قال : (ومن ولده مالك بن سويد بن أحْزَه بن قسحم ، له صحبة وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشريد . . . وذكرت هذا في الجزء الذي جمعته في الأسماء التي غيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي رسم (الزرندي) تَرْجَم العالم المدنيٌّ علي بن يوسف بن الحسن الحنفي المتوفى سنة ٧٧٢ هـ وعَدَّهُ شيخاً له .

وأراني تمادَيْتُ في الاستطراد دفعاً للسأم الناشئ عن جفاف الموضوع .

٥ ـ المختصر عالم مغربي بعد البلبيسي بأكثر من ثلاثة قرون :

ويأتي الحديث عن النسخة الأخرى التي خَالَهَا الدكتور المفهرس كتاب « القبس » فيما تقدم من وصفه .

إن أقلّ ما يُلِمُّ به ٱلْمَعْنِيُّ بوصف المخطوطات المتشابهة ، المقارنةُ بينها بمطابقة بعض الصفحات ، ويبدُو أنَّ الدكتور الفاضل لم يكلف نفسه عناء مثل تلك المطابقة أو المقابلة ، أو لم يقرأ من إحدى النسختين صفحةً ليبحث عما يقابلها في الأخرى ، ولو فعل لأعياه ذالك ، ومن ثَمَّ أدرك تغايُرَهُمَا ، واتضح له اختلافهما ، فالنسخة الأولى من كتاب مرتب على الحروف الهجائية حسب ترتيب (المشارقة) والثانية : رُتِّبَتْ الحروف فيها على الطريقة المغربية ، والأولى في ثلاثة أجزاء تزيد صفحاتها على تسع مئة صفحة ، والأخرى لا يتجاوز عدد أوراقها تُسُعَ وَرَقِ تلك ، وفي هذا ما يستلزم البحث عن أسباب هذا الاختلاف .

إنَّ النسخة الأخرى من كتاب آخر ليس من تأليف البلبيسي ، ومؤلفه عالم مغربي، متأخر عن عهد البلبيسي ـ القرن الثامن ـ بل حتى عن القرن التاسع الذي قرر الدكتور المفهرس أن النسخة من مخطوطاته (كتبت بخط مغربي حديث في القرن التاسع) .

١ ـ قد يكون المفهرس الكريم اعتمد فيما قال على ما قرره آخَرُ قبله ، ولعل هذا الأخير هو الذي عبث حين كتب في طرة الأصل ـ مخطوطة دار الكتب ـ اسم

الكتاب هكذا (قبس الأنوار ، مختصر اقتباس الأنوار) ومن ثَمَّ نُسِبَ الكتاب للبلبيسي ، وقد أُلِّف بعده ففي رسم (الثقفي) نقل عن « فتح الباري » للحافظ أحمد بن علي بن حجرٍ العسقلاني (٧٧٣/٨٥٢هـ) وابن حَجَر توفي بعد البلبيسي بنصف قرن من الزمان .

٢ ـ الكتاب مغربيٌّ النِّجار تأليفًا وكتابةً واقتناء ، إنه أحد مختصرات كتاب الرشاطي وهو مرتب كأصله على الحروف بحسب ترتيبها المغربي (أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ي) .

وكان الكتاب في المغرب إلى ما قبل ١٣٥ عاماً حيث كتب في طرته (الحمد لله وحده اشترى كاتبه هذا المجلد من سيدي عبد السلام صحبة شيخنا الحمزوي المكي العمري الشرقي بثلاثة مثاقيل بمحروسة مراكش الحمراء في 19 رجب 1276 . . .) .

وكتب أيضاً : (هذا المجلد لعله اختصار . . . الفاسي دفين البقيع المتوفى سنة 1166 . .) .

ومن نصوص الكتاب ما يدل صراحةً على تأخر عَصرِ مُؤَلِّفِهِ إلى ما بعد القرن الحادي عشر ففي رسم (الأندلسي) ما نصه : (قُلْتُ : وقد جمع زبدةَ تواريخها شيخ شيوخنا الفقيه الأَجَلُّ الأمثلُ أبو العباس سيدي احمد المقري في أربع مجلدات وسماه «الغصن الرطيب») وفي رسم (المصمودي) ما نصه : (قلت : وذكر شيخ شيوخنا الحافظ أبو العباس احمد بن محمد المقري في « نفح الطيب » بعد أن ذكر التعريف[٢٣] به وقال : كان العلامة يحيى بن يحيى الليثي معظماً عند الأمراء يُكْنَى عندهم بعفيف الأندلس) انتهى ومعروف أن صاحب « نفح الطيب » توفي سنة ١٠٤١هـ وقد وصفه بأنه شيخ شيوخه فهو لم يدركه ، وإنَّما أدرك تلاميذه الذين عاشوا في القرن الثاني عشر .

وفي الكلام على (الشافعي) قال : (قلت : ولقد زرته مِراراً وحدثني الشيخ الكامل العارف الرباني صاحب الفتوحات العلية والاشارات السنية أبو العباس سيدي احمد المدعو بوشاسا عند انصرافي من عند تربة سيدي الشافعي . .) .

٣ـ أكاد أجزم بأن المؤلف هو الذي وردت الإشارة في طرة المخطوطة إلى أنه (الفاسي المتوفى سنة ١١٦٦) ولو تمكن أحد القراء من قراءة الكلام المتصل بهذه الإشارة مما لم يتضح في التصوير لزادنا به معرفة، فكتاب الرشاطي معروف لدى علماء فاس إلى عصرنا الحاضر، حيث لا تزال الخزانة العامة للمخطوطات في جامعة القرويين بفاس تحتفظ بقطعة منه في ١٩٨ ورقة. وفي تونس قطعة أُخرى تحدثتُ عنها في إحدى رحلاتي(٢٤)، ويُسْتَشَفُّ مما تحدث به المؤلف عن مدينة فاس انه من أهلها فبعد ذكره لما يتصف به أهل (التِّبِتِ) من السعادة والسرور وأنه لا يزال الإنسان في تلك البلاد ضاحكاً مسروراً لاتعرض له الأحزان قال: (وهذه البلدة على عكس أهل المغرب خصوصاً فاس... فلا تزايلهم الهموم والأحزان في كل زمان وأوان، فلا يتمّ لهم سرور، مدى الأعمار والدهور، ولقد قال الفقيه القاضي الجليل العلامة النبيل أبو محمد عبد الله بن غازي:

فَاسٌ لَعَمْرِي هِيَ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا ... لَوْ لَمْ يَكُ القَلْبُ فِيْهَا ضَيِّقًا حَرَجَا
مَنْ يَنْــجُ (ولم يتضح الكــلام في التصــويــر....] في مَائِهَــا مُــزِجَــا

اما ابن غازي هذا الذي ورد ذكره فلا استبعد انه (ابو عبد الله محمد بن غازي) وما وقع في المخطوطة سَبْقُ قَلَمٍ وابن غازي هذا هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد (٨٤١/٩١٩هـ) ولد في مكناس الزيتون، ثم انتقل إلى فاس سنة ٨٩١ واستقر بها حتى توفي، وهو عالم مؤرخ فقيه مالكي، له مؤلفات ذكرها الأستاذ عبد الله كنون في ترجمة خاصة به من سلسلة الرسائل التي ترجم فيها مشاهير العلماء بعنوان (من ذكريات مشاهير المغرب)(٢٥) كما ترجمه الأستاذ خير الدين الزركلي في «الأعلام».

٦ ـ ليس ديوان رُؤبة بل ديوان أبيه الْعَجّاج:

وجاء في «فهرس المخطوطات المصورة» تصنيف فؤاد سيد ما نصه(٢٦):
(٥٢٣ ـ شرح ديوان رؤبة بن العجاج: رواية محمد بن حبيب البصري، عن ابن الأعرابي عن أنيف، عن صاحب الديوان، تاليف أبي سعيد الضرير اللغوي، نسخة كتبت بالمدينة المنورة سنة ١٢٨٩ هـ عن نسخة مكتبة الفاتح،

صححت على ابن أخي الأصمعي (دار الكتب ٥١٩ أدب ، ١٣٧ ق) .

لَمْ يَتَوَانَ الإِخْوَةُ الأَحِبَّةُ في (معهد المخطوطات) في إكرامي بمصورة مخطوطة يحمل ظاهرها اسم « ديوان رؤبة » ولكنها لا تتفق في وصفها مع كل ما ورد في الفهرس إلاَّ بهذه الصفات : .

١ ـ ورقها ١٣٧ وكذا في الفهرس .
٢ ـ مخطوطة سنة ١٢٨٩ هـ ـ في خامس جمادى الأولى .
٣ ـ نقلت عن نسخة صححت على ابن أخي الاصمعي .
٤ ـ عن نسخة (في كتب خانة السلطان محمد الفاتح بمحروسة القسطنطينية) .

ومـا عـداها فهي تخالِفُها ، فليس الكتاب « شرح ديوان رؤبة بن العجاج » رواية محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي ، وليس تأليف أبي سعيد الضرير اللغوي .

إنه ديوان العجَّاج أبي رؤبة ، فكيف نشأ الخطأ في نِسْبته إلى رؤبة؟ يبدو أن الناسخ كتب خطأ : (هذا ديوان رؤبة العجاج مع شرحه) ثم أدرك خطأه فأضاف كلمة (أبي) وسط حرف نون الديوان وكلمة (عبد الله) قبل كلمة العجاج ، فبدا الاسم في طرة المخطوطة (هذا ديوان أبي رؤبة عبد الله العجاج مع شرحه) ثم كلام عن أصل المخطوطة وجملة يفهم منها أن الكتاب مضاف إلى دار الكتب المصرية في عهد متقدم :(مشترى من قومسيون حصر الأملاك بالضبطية ومضافة في ٢٣ يونية سنة ٨٣ ـ ١٨٦٤٢ نمرة ١٧ ٥ أدب) ثم ختم يظهر أنه ختم دار الكتب القديم .

وأول النسخة بعد البسملة والصلاة على النبي محمد وآله وصحبه :(قال العجاج واسمه عبد الله بن رؤبة بن لبيد ـ ثم سياق النسب إلى عدنان ـ وإنما سمي العجاج لبيت قاله في أرجوزة له حيث يقول : حتى يَعجُّ ثخنا من عَجْعَجَا ، حدثنا الأصمعي أنه لقب بذالك ، قال يمدح عمر بن عبيد الله بن مَعْمَرٍ وكان عبد الملك رحمه الله تعالى وجَّهه إلى أبي فُدَيْكِ الحَروريِ فقتله وأصحابه :

قَـدْ جَـبَر الـدِّيْنَ الإِلَـهُ فجَـبَرْ وعَـوَّر الـرَّحْمنُ مَنْ وَلَّى الْعَـوَرْ

قال الأصمعي : في قوله : قد جبر ـ واستمر في شرح البيت .

وآخرها ـ الورقة الـ ١٣٦ ـ في شرح البيت : .

كِـلاَهُمَـا مُـقْتَـمِسٌ مَـغْتُـوْتُ   واللَّيْـلُ فَـوْقَ الْمَـاءِ مُسْتَمِـيْتُ

(والمقتمس المُتَوارِي في الماء ، والمغْتُوتُ المغيَّبُ فيه ، يقال : غَتَتُّهُ في الماء ، ومُسْتميتٌ شديد دائم اهـ. تَمَّ رجز العجاج بحمد الله وحسن توفيقه بقلم العبد العاجز الحقير عبد الرحمن بن عبد الله البغدادي نقلا عن نسخة قد صححت على ابن أخي الأصمعي ، موجودة في كتبخانة السلطان محمد الفاتح بمحروسة القسطنطينية في اليوم الخامس من جمادى الأولى سنة تسعة وثمانين بعد المائتين والألف وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين) .

أما بقية أوصاف المخطوطة الواردة في كلام الْمُفَهْرِس ، فلم أَدْرِ من اين أتي بها ، إذْ لا وجود لها في المخطوطة و« ديوان العجاج » قام الدكتور عزة حسن بتحقيقه مع الرجوع إلى مخطوطات من أجودها المخطوطة التي كانت موجودة في خزانة كتب السلطان محمد الفاتح . ثم نقلت الى دار الكتب السليمانية في اصطنبول ، وعنها نُسِخَتْ المخطوطة التي تقدم الحديث عنها وقد رجع إليها المحقِّق ، ودعاها (مخطوطة البغدادي) وقد نشرت وزارة الثقافة السورية هذا الديوان المحقق .

وأما « ديوان رؤبة » فقد حققه المستشرق الألماني (وليم بن الورد البروسي) في « مجموع أشعارالعرب » وطبع في ليبسغ سنة ١٩٠٣م ونشر مُصَوَّراً في (بيروت) سنة ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

حمد الجاسـر

الحواشي :

(١) عن ابن المجاور، انظر «العرب» س٢٢ ص ٣٨٢

(٢) الجزء الاول : تصنيف فؤاد سيد أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية سابقاً .

(٣) س ٨ ص ٣٢٤ ـ ج ذي القعدة سنة ١٣٩٣ هـ (كانون أول سنة ١٩٧٤ م) .

(٤) عن الخزاعي هذا انظر «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» ج٢ ص٣٧٩ .

(٥) «الصلة» لابن بشكوال ج١ ص٢٠٧ و «معجم البلدان» رسم (بلدة) .

←

بارق: نَسَبُها وبلادها

تقع قبيلة بارقٍ في الأغوار الغربية عن بلاد بني شِهْرٍ، من بني الْحَجْر، وتبعد عن مدينة أبها عاصمة المنطقة بمئة وأربعين كيلاً، في الاتجاه الغربي الشمالي، وهي من القبائل الأَزْديَّة القديمة، بالمنطقة التهامية، التي هجرت مواقعها في سبإ أيام انهيار سَدِّ مَأْرِب، ويقول النسابة محمد بن أحمد الأشعري في كتابه «التعريف بالأنساب» عند ذكره لنسب بني عدي: نسب بني عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر وهم: ألمع وبارق، فأما بَارِقُ فهو ماءٌ بالسَّرَاة، فمن نزلهُ أيام سيل العرم فهو بارقيٌّ، ونزله سعد بن عدي بن حارثة وابْنَا أخيه مالك وشبيب ابنَا عمرو بن عدِي، فسموا بارقاً وذكره أيضاً الحمويُّ نقلاً عن مؤرِّجٍ السدوسي، قال: بارق ←

→ (٦) وعنه ألفت كتابا دعوته «أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع» سنة ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧م) .

(٧) الجزء الثاني ص ١٣٣ .

(٨) «معجم البلدان» رسم (رشاطة) .

(٩) «وفيات الأعيان» ١٠٧/٣ . (١٠) ـ مادة (رشط) .

(١١) «العرب» : س١٧ ص ٤٧١ . (١٢) ـ ص ٤٢ .

(١٣) كابن عطية : عبد الحق الغرناطي (٥٤٢/٤٨١) صاحب التفسير، ولكن الرشاطي رد عليه .

(١٤) «الضوء اللامع» ج١٠ ص١٣١ .

(١٥) «فهرس المخطوطات المصورة» ج٢ ص١٣٤ .

(١٦) «إنباء الغُمر، بأَنْباءِ العُمر» ج٢ ص ١١٧ : (وله تأليف في الفرائض، واختصر «الأنساب» للرشاطي، وتذكرة فيها فنون كثيرة) وفي «الضوء اللامع» ج٢ ص ٢٨٦ ـ قال: (واختصر الانساب للرشاطي مع زيادات من ابن الاثير وغيره) .

(١٧) مقدمة «تاج العروس» ص ٤ ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٠٤ هـ .

(١٨) الجزء الأول ـ المقدمة ـ ٥ ـ وقد تحدث عنه ايضا في مقدمة «الإكمال» لابن ماكولا .

(١٩) القسم الأول ـ ص ٢٣٤ ـ .

(٢٠) جمع جذاذة ، وريقات صغيرة يستعملها الناسخ لكتابة ما يريد استدراكه من نقص فيها كتب أو اضافة ويسميها بعضهم (طيارات) لعدم ارتباطها بورق الكتابة المكون في الغالب من كراريس منصلة الورق .

(٢١) في ورقة وضعت في غير موضعها ككثير من ورق المصورة، وقد يكون موضعها (الأنيفي) .

(٢٢) الهجري هو : أبو علي هارون بن زكريا ـ لا كما ورد هنا ـ كما أوضحت هذا فيما ألفته عن كتابه «التعليقات والنوادر» .

(٢٣) يقصد يحيا بن يحيا الليثي المحدث المعروف .

(٢٤) انظر «العرب» س١٧ ص ٤٧٣ ـ و «رحلات حمد الجاسر» ـ ص ١٠٨ ـ.

(٢٥) وهي الرسالة الثانية عشرة. (٢٦) ـ ج١ ص ٤٨٩ .

← جبل نزله سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو بن مزيقيا بن عامر بن ماء السماء بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، ولم يَرِدِ اسمُ السراة في رواية مؤرج السدوسي، وهو أقدم من طَرَق باب التأليف في الأنساب، ولايبعد أنَّ بارقاً نزلتْ مع قبائل الأزد بالسراة حول جبل أو ماء على سطح السراة، ثم هبطتْ إلى جبال تهامة، وهي جبال لا تقل أهمية عن جبال السراة، فربما بقيتْ هذه النسبة ملازمة لهذه القبيلة العريقة.

ومن الملاحظ أن قبيلة بارقٍ في هذا العصر تقع في الأغوار الغربية عن قبيلة بني شِهْرٍ الْحَجْرِيَّة، ويحيطها من الشرق جبلا أُثْرُبٍ ورَيْمان، ومن الغرب جبل قَتَرْوي ـ بفتح القاف والتاء وإسكان الراء وكسْر الواو، آخره ياء ـ وهي من الجبال المتناهية في الارتفاع، وبعضها آهل بالسكان، وكانت لهذه القبيلة شهرة ذائعة في الفتوحات الإسلامية فمن مشاهيرها عرفجة بن هرثمة البارقي ولّاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه قتال أَهْلِ عُمَان، ثم ولّاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على بَجِيْلَة، ثم صرفه عنهم، وبعثه رئيساً على غزو بارق من الأزد إلى العراق، مدداً للمثنّى بن حارثة، ومنهم حُمَيْضَة بن النعمان البارقي، وقد تَجَمَّع عليه جمع كبير من المرتدين من الأزد وبجيلة وخثعم، فبعث إليه عثمان بن أبي العاص عامل الطائف ـ رضي الله عنه ـ جيشاً بقيادة عثمان بن أبي ربيعة، فهزم تلك الجموع من المرتدين، وتفرقوا عن حميضة، فهرب في البلاد فقال في ذلك عثمان بن أبي ربيعة رضي الله عنه:

فَضَضْنَا جَمْعَهُمْ وَالنَّقْعُ كَابٍ ... وَقَدْ تُعْدِي عَلَى الْغَدْرِ الْفُتُوْقُ
وأَبْرَقَ بَارِقٌ لِمَّا الْتَقَيْنَا ... فَعَادَتْ خُلَّبَا تِلْكَ الْبُرُوْقُ

ويظهر أن حُمَيْضة بن النعمان البارقي عاد إلى الإسلام، وحسن إسلامه، حيث نرى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعثه مع سعد بن أبي وقاص إلى العراق، أول سنة أربع عشرة، ذكره الطبري أيضاً وَعَدَّه العسقلاني من الصحابة في «الإصابة» ومن مشاهير بارق أبو عبدالله علي بن عبدالله بن عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد البارقي الأزدي،

هكذا ساق نسبه السمعاني في كتابه «الأنساب» وقال أبو حاتم: علي بن عبدالله البارقي.. بارق.. جبل نزله الأزد فنسب إليه، وهو من رهط محمد بن واسع، يروي عن ابن عمر رضي الله عنهما، وروى عنه قتادة ويعلى بن عطاء، ومنهم عمرو بن نَعْجة اليشكري البارقي ذكره السمعاني، روى عن علي رضي الله عنه، ومنهم عروة بن الجعد بن أبي الجعد البارقي صحابي رضي الله عنه، ومنهم حبان ابن إياس البارقي الأزدي، ومنهم أبو النضر عاصم بن هلال البارقي، إمام مسجد أيوب السختياني ذكره السمعاني وغيره، ومنهم الشاعر سُراقَةُ بن مِرداس ابن أسماء بن خالد بن عدي بن عمرو بن سعد بن ثعلبة بن كنانة بن بارق، ذكره الأشعري في كتاب «الأنساب» ومنهم شجنة بن صُريم بن الحارث بن مالك بن أنمار بن بارق، ومنهم مُعَقِّرُ بن حمار بن شجنة بن مازن بن كنانة بن ثعلبة بن بارق.

ومن مشاهير بارق: أم الخير بنت الحريش البارقية، وفدتْ على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وكانت من أصحاب علي رضي الله عنه، وهي ممن حضرَ صِفِّيْـنَ، وكان تحرض جيش علي وهي على جمل تهدر كالفحل، في كلام بليغ أورده ابن عبدربه في «العقد الفريد» وغيره، وقد دار بينها وبين معاوية نقاشٌ بليغ في شأن تحريضها على قتاله، فأفحمته ببلاغتها، وكان من بين الوفود على رسول الله صلّى الله عليه وسلّ وفد بارق، فَدَعَاهُمْ إلى الإسلام فأسلموا، وكتب لهم صلّى الله عليه وسلّم كتاباً نصه: «هذا الكتاب من محمد رسول الله لبارق، لا تُجَزُّ ثمارهم، ولا ترعى بلادهم في مَرْبَعٍ ولا بِمَصِيْف، إلا بمسألة من بارق، ومن مرَّ بهم من المسلمين، في عرك أو جدب، فله ضيافة ثلاثة أيام، فإذا أَيْنَعَتْ ثمارهم فلابْنِ السبيل اللقاط بوسع بطنه من غير أن يقتثِمَ، شهد أبو عبيدة بن الجراح وحذيفة بن اليمان وكتب أُبَـيُّ بنُ كعب» قال: الجدب، أن لا يكون مرعى والعرك أَنْ تُخَلِّيْ إبلك في الحمض خاصة، فتأكل منه حاجتها.. ويقتثم.. يحمل معه انتهى.

وينطوي تحت مسمى هذه القبيلة في الوقت الحاضر عدة عمائر كبار هي:

البشعـــة

في الأعراف القبلية العربية المعاصرة

البشعة وسيلةٌ تهدف إلى إظهار الحقيقة في شأن أمر من الأمور ، عندما يتعذَّر إظهارها بوسيلة أخرى، وتتمثل في تعريض من يكون محلاً لها للنّار. وتُفْتَرض البشعة تدخُّلاً من القوى الغيبية للمعاونة في إظهار الحقيقة بجعل النار تحدث للمبتلى أذًى إن كان مُذْنِباً، ولا تحدث له أذى إن كان بريْئاً.

وتشكل البشعة، على هذا النحو، صورة من صور ما يعرف بالابتلاءات (Ordalies) وهي الوسائل التي تفترض تدخُّلاً من القوى الغيبية للمعاونة في كشف الحقيقة، ومن الشائع في المجتمعات القبلية القديمة والمعاصرة الاستعانة بهذه الوسائل. بل إن استخدام هذه الوسائل لم يَقْتَصر على المجتمعات القبلية، فقد مارسَتْها أيضاً بعضُ المجتَمعات المدنيَّة القديمة.

وللابتلاء صور متنوعة لا تكاد تَقَعُ تَحْتَ حصرٍ . ومن أكثرها شيوعاً استخدام النَّار أو الماء . فمن الشائع مثلاً إلزام المُبْتَلَى بغمس يده في ماءٍ أو زيت مُغْلى لالْتِقَاط شيء يُلْقى به في قعْر الإناء. أو إلزامه بأن يحمل في يده أو يُلْصِق على بطنه ←

→ (١) حميضَة: وهم رأس بارق وقبيلةُ الكبرى، ويبدو أنهم من سلالة حميضة بن النعمان البارقي، رئيس المرتدين من بارق بعد وفاة الرسول صلّى الله عليه وسلّم ولكنه حَسُنَ إسلامه بَعْدُ . (٢) آل سباعي. (٣) آل موسى بن علي. (٤) آل حجري. (٥) آل سالم. (٦) آل جبلي. (٧) آل عرام. (٨) آل صعبان. (٩) المهاملة. (١٠) آل ريان.

ولهذه القبيلة بطون وأفخاذ عديدة بسطناها في كتاب «الأنساب» الخاص بقبائل المنطقة.

ابها : هاشم بن سعيد بن علي النعمي.

شَيْئاً مُحْمًى في النار، أو الْخوض أو الغطس في ماء بركة أو نَهْرٍ.

فمن صور الابتلاء عند (الجوكون) ـ في شمال نيجيريا ـ أن يُطْلَب إلى المُبْتَلى الْتِقَاط حلقة من حديد في إناء به ماء يَغْلي، فإذا كان بريْئاً لم يخف والتقط الحلقة دون أن يلحقه أذى. ومن صوره عندهم أيضاً أن يوضع قَدْر من الحَطَب في إناء صغير ويُشْعَل الحَطَب، ثم يوضع الإناء فوق معدة المُبْتَلَى. فإن التصق الإناء ببطنه عُدَّ مذنباً. أما إن سقط على الأرض في الحال دَلَّ ذالك على براءته، كذلك كان غَمْس اليد في ماء يغلي أو وضع النار على راحة اليد من أكثر أساليب الابتلاء شيوعاً عند الجالّونج (في الهند). ولدى بعض الأقوام في شمال الكمرون يتم الابتلاء بدخول المُبْتَلَى عارياً في بركة مقدَّسة، ويفوهه بصيغة اليمين، بينما ينْهال عليه الماء. فإن كان كاذباً أخذته رعْشَة لا يقوى على التحكم فيها.

وقد عرفت القبائل العربية بدورها عِدّة وسائل غيبية تستهدف كشف الحقيقة بالنسبة لأمر من الأمور عندما يتعذر كشفها بوسيلة أخرى.

من هذه الوسائل ما يُعْرف بلُقْمَة الخانوق التي يجرى بها العرف لدى بعض قبائل اليمن. فعندما يُتَّهم (لقمان، ص ٦٩) عدد من الأشخاص بالسرقة يُحْضر متخصص رغيفاً يكتب عليه بعض الأيات والتعاويذ، ثم يُقَدِّم لكل منهم لقمةً ليلوكها ويبتلعها. فمن يبتلعها منهم يعد بريئاً، أما من تقف في حَلْقه ويشعر بالاختناق فيُعَد مُذْنباً.

ومنها استخدام حجر مصقول يسمى (العقيق) يحمل قوى سحرية عن طريق الشعوذة والطلاسم بحيث يقف المتهم أمام الحجر، ويضع يده فوقه، فإذا ما ارتفع الحجر مع يده عُدّ مذنباً، وإذا لم يرتفع وظل في مكانه عد بريئاً: (هو لفريتز، ص ١٠٤).

ومنها ابتلاء الماء حيث يأخذ المبشِّع إبريقاً من نحاس، ويجعل الحضور ومعهم المتهم في حَلْقَة ثم يشرع في التعزيم على الإناء. قالوا: فيتحرك الإناء من نفسه ـ فإن كان المتهم مجرماً وقف الإناء عنده، وإن كان بريئاً وقف عند المبشع: (شقير، ص ٣٩٩).

غير أن أكثر هذه الوسائل شيوعاً وأعظمها أهمية هو الابتلاء عن طريق النار، وهو ماجرت العادة بتسميته البشعة، وهي موضوع بحثنا الحالي. وسوف يتناول حديثنا عن البشعة المسائل التالية:

أولاً ــ حالات الالتجاء إلى البشعة.
ثانياً ــ كيفية الالتجاء إلى المبشِّع.
ثالثاً ــ المُبشِّع. رابعاً ــ إجراءات البشعة.
خامساً ــ تفسير البشعة. سادساً ــ مدى انتشار البشعة ومصيرها.

اولاً ــ حالات الالتجاء إلى البشعة:

البشعة إجراء استثنائي تدفع إليه الضرورة عندما تثور الشبهات حول ارتكاب أحد الأشخاص جريمة من الجرائم، دون أن يتوافر ضده دليل كاف لإدانته أو عندما تتعارض الأدلة فيما بينها تعارضاً لا يقبل التدقيق.

ومن الجرائم التي يكثر فيها الاستعانة بالبشعة جرائم القتل والعرض والسرقة. فقد يُعْثَر على قتيل دون أن يُعْرَف له قاتل، فتتجه شكوك أقارب القتيل إلى رجل بعينه دون أن يتوفر لديهم دليل ضده. ولقطع دابر هذه الشكوك نفياً أو إيجاباً يُطْلَب إلى المشتبه في أمره الخضوع لإجراءات البشعة. كذلك الحال في جرائم العرض، فقد ينال رجل من عرض آخر بأن يَنْسب إلى ابنته أنها مُسَافِحَةٌ أو إلى زوجته أنها زانية، وعندئذ يُطْلَب إليه الكشف عن اسم العشيق، فإذا فعل أُخْضع العشيق للبشعة لمعرفة براءته من إدانته[٣]. بل قد يستعان بالبشعة عندما تثور مجرد شائعات لا يُعرف مصدرها حول امرأة بارتكابها السفاح أو الزنا. وفي هذه الحالة قد يَعْمِد وليّ المرأة إلى إخضاعها للبشعة، حيث يصحب ربّ البيت المرأة المتهمة، خفية إلى المبشِّع الذي يجري عليها ابتلاء النار. وإذا أتت نتيجة الابتلاء في غير صالح المرأة عَمَد وليّها في الغالب إلى قَتْلِها (شلحد، ص ٢٦٥).

غير أن الالتجاء إلى البشعة وإن كان يحدث أغلب ما يحدث في حالة الجرائم، فهو ليس مقصوراً عليها. فمن الممكن الاستعانة بها أيضاً في أمور مدنية إذا اقْتضى الأمر ذالك. كما هو الحال مثلاً بالنسبة لإثبات النسب.

تدلنا على ذالك القضية التالية التي وقعت حوادثها في قبيلة (الرولة) في الربع الأول من القرن الحالي (موسيل، ص ٢٣٦):

فقد طلّق الشيخ فهد بن هزاع بن شعلان زوجته وقبل أن يمضي وقت طويل تزوجها الشيخ خلف الأذن. وبعد حوالي سنة ولدت غلاماً أسمته (طرّاد) عاش حتى بلغه أشده في خيمة أبيه، لكن عندما حان وقت زواجه تشاحن مع أبيه وانتقل إلى خيمة أخرى. وكان ذالك بسبب أن جاريته العجوز أبلغته بأنه ليس ابن خلف الأذن، وإنما ابن فهد الذي كان قد أصبح في هذه الأثناء أمير الرولة. وبالطبع بدا الأمير فهد لطراد أعظم بكثير من شيخ صغير مثل خلف الأذن، ولهذا توجه إليه في الحال وقدّم نفسه إليه باعتباره ابنه. واعترف فهد (بطراد) ابناً له دون أن يُولي الأمر اهتماماً كبيراً ، ودون إجراء تحريات مطوّلة، حيث أنه لم يكن على وِفاق مع خلف. وطلب فهد إلى أخيه النوري أن يُزوِّج طراد من ابنته. لكن عندما أبلغ نوري ابنته بهذا الاقتراح أقسمت أنها لن توافق أبداً على هذا الزواج. وعندما علم فهد بذالك قال للنوري: إما أن تحضر ابنتك بنفسك إلى خيمة الحجرة وإما أن أحضرها بنفسي دون موافقتك. ولذا أمر النوري الجواري بإعداد الحجرة وبإحضار ابنته إليها عند غروب الشمس. وقد تم ذالك غير أن الفتاة باتفاق مسبق مع أخيها وبحيلة جازت على طرّاد تمكنت من الهرب في نفس الليلة. وفي اليوم التالي حضر خلف الأذن وزوجته أم طراد لزيارة فهد. وأقسم الاثنان أن خلف هو الأب الحقيقي لطراد لأن أم طرّاد بعد زواجها من خلف جاءتها العدة ثلاث مرات متتاليات. غير أن طرّاداً ناشد فهداً أن يحمي ابنه وأن لا يُصَدِّق يميناً كاذبة. وفي نهاية الأمر أعلن فهد أن على خلف أن يَمْثُل أمام المحكمة في (العلا). وامتثل خلف للأمر وتوجه إلى القاضي وعرض عليه قضيته وطلب إصدار حكمه فيها، فقام القاضي بإخضاعه للبشعة التي كشفت عن صِدْق يمين خلف وأنه الأب الحقيقي لطرّاد.

ورغم أن من الممكن الاستعانة بالبشعة في كل الأمور التي تَخْفَى فيها الحقيقة بغض النظر عن مدى أهميتها، ففي الحياة العملية يقتصر الالتجاء إليها على المسائل الخطيرة، لما تسببه من ضياع وقت وجهد ومال.

ثانياً ـ كيفية الالتجاء إلى المبشّع :

قد يتخذ المبادرة في شأن الالتجاء إلى المبشّع أحدُ الطرفين المتخاصمين، وقد تصدر المبادرة من القاضي الذي ينظر الخصومة.

فقد يبادر الطرف المجني عليه في جريمة إلى مطالبة الشخص الذي تثور حوله الشكوك بارتكاب هذه الجريمة بالخضوع للبشعة. كما هو الحال بالنسبة لوليّ دم القتيل الذي تتجه ظنونه إلى رجل معين بوصفه القاتل. وكما هو الحال بالنسبة لوليّ المرأة التي تُتّهم بعلاقة غير مشروعة برجل معين في مواجهة هذا الرجل. ورغم أن هذا هو الوضع الغالب فقد يحدث في بعض الأحيان أن تكون المبادرة من الرجل نفسه التي تثور حوله الشكوك. ويحدث ذالك بخاصة عندما يخشى انتقاماً وشيكاً من قبل المجني عليه، وعندما يكون على يقين من براءته. فلكي يتجنب انتقام المجني عليه يُبدي استعداده للخضوع للبشعة، وإذا حدث مثل هذا العرض لم يَجُزْ للطرف الآخر رفضه.

وإذا كان الالتجاء إلى البشعة يتم في الأعم الأغلب بناءًا على طلب من أحد الطرفين المعنيّين، فقد يحدث الالتجاء إليها بناءًا على إحالة من القاضي الذي ينظر الدعوى، فقد يتعذر على القاضي التوصل إلى معرفة الحقيقة في شأنها لعدم وجود أدلة كافية للحكم بالبراءة أو الإدانة، فلا يجد بدآ من إحالة القضية إلى المبشع. يقول بوركاردت (١٨٣١م، ص ١٢٢) مثلاً أنه في جالة وجود دعوى تنطوي على صعوبات تعجز الفطنة البشرية عن حلّها (كما لو تعارضت شهادة شاهدين لكل منهما بوضع ثقة بنفس القدر تعارضاً مباشرآ) يرسل القاضي الطرفين المتعارضين إلى المبشع الذي يخضعهما للابتلاء. ويقول أبو حسان (١٩٧٤م، ص ١٤٤) أنه قد يلجأ المدعى والمتهم إلى طريق التقاضي ولا يتمكن المدعي من إثبات دعواه، فللقاضي من تلقاء نفسه أو بناءًا على طلب المدعي تكليف المتهم باليمين أو الخضوع للبشعة. وقرار القاضي ملزم للطرفين. فأن أحْجَم المتهم عن تنفيذ ما قرره القاضي اعْتُبِرَ ذالك بمثابة اعتراف منه بدعوى المدعي.

وعندما يتفق الطرفان، المدعي والمدعى عليه، على الاستعانة بالبشعة لحسم

موضوع الخصومة بينهما يجري العرف بضرورة اختيارهما طرفاً ثالثاً محايداً، يقع على عاتقه واجب ملاحظة أن كلا من الطرفين يتصرف في مواجهة الآخر على النحو المتّفق عليه. وفي العادة يتولى الطرف الذي يسعى إلى الانتقام أو إلى إصلاح الضرر اختيار المبشِّع حيث أنه الطرف المطلوب إرضاؤه.

وإذا كانت القاعدة العامة هي أن المدعى عليه نفسه هو الذي يخضع للابتلاء فإن العرف يجري بإمكان حلول شخص آخر محله. وفي هذه الحالة تتخذ إجراءات البشعة في مواجهته بوصفه نائباً عن المدعى عليه. ولا يكون ذالك بطبيعة الحال إلا في حالات استثنائية وعند وجود ما يقتضيه.

فلدى قبائل شرق الأردن (أبو حسان، ص ١١٥) لابد من توافر بعض الشروط لإمكان حلول شخص آخر محل المدعى عليه. فلابد من وجود رابطة قرابة بين المدعى عليه ومن ينوب عنه، ولابد من موافقة المدعي على هذه النيابة، ولابد أخيراً أن تكون هناك ضرورة تقتضي ذالك، كأن يكون المدعى عليه طفلاً أو انثى. ولابد للنائب أن يحيط المبشِّع علماً بالنيابة، وأنه على علم بعلاقة المدعى عليه بالقضية، وعليه أن يردد أمامه أقوالاً مثل: (أنا حاط فلان، أي المدعى عليه، في بطني وأبشع عنه).

وقد حدث أن توفي رجل من عشيرة الربايعة وشَكَّ أهله في أن تكون زوجته دسَّت له السُّم فاجتمعت عشيرة الزوج مع عشيرة الزوجة واتفق الطرفان على أن يذهب أخو الزوجة إلى المبشِّع ويتبشّع نيابة عن أخته. وأجريت البشعة فعلاً على أخي الزوجة وأسفرت عن براءة الزوجة.

ثالثاً ــ المبَشِّع:

يُعد المبشّع في العرف القبلي قاضياً، فعن طريقه تُحْسَم القضايا العسرة، سواء منها القضايا التي عُرضت بالفعل على أحد القضاة وعجز عن أن يجد لها حلاً لتعارض الأدلة والقضايا التي لم يَسْبِق عرضها على أحد القضاة لعدم وجود دليل أصلاً. بل إن المبشّع لا يُعَد في نظر القبليين مجرد قاض عادي بل هو أعظم القضاة أو كبيرهم.

ومهنة المبشِّع مهنة وراثية تحتكرها قبائل معينة، وداخل القبيلة عشيرة معينة. وثمة قبائل وعشائر معروفة في المناطق القبلية المختلفة لا يكون المبشعون إلا من أبنائها. وهي قبائل وعشائر اكتسبت هذا الامتياز منذ أقدم العصور وأقرت لها به القبائل الأخرى.

يقول شقير (١٩١٦م، ص ٣٩٩) مثلاً أنه لا يوجد في شبه جزيرة سيناء كلها سوى مبشع واحد هو الشيخ عامر عياد من قبيلة العيايدة. ويقول كينيت (١٩٢٥م، ص ١٠٨) أنه لا يوجد في سيناء كلها سوى مبشع واحد هو الشيخ حمدان من قبيلة العيايدة، وهو يمارس اختصاصه في طول سيناء وعرضها. وهناك خبير مماثل في قبيلة عمران شرق العقبة وآخر بالقرب من المدينة.

ويقول أبو حسان (١٩٧٤م ، ص ١١٧) أن هناك عائلات مشهورة بإجراء عملية البشعة من أشهرها عائلة الدِّبْر من عشيرة العمران بالقرب من مدينة العقبة، وعائلة السلامات من عشائر النجادات بالقرب من القُديرة، وعائلة العيادي وتقيم في سيناء ، وعشيرة بَلِيٍّ وكانت مشهورة فيما مَضى لكن لا يوجد لها ذِكْر في الوقت الحالي.

وعن الوضع في حضرموت يقول الشاطري (١٩٨٣م، ص ٣٤٣) أن عملية البشعة يقوم بها حَكم معروف من بعض أفخاذ القبائل كآل عبدالودود الكثيريِّيْنَ يتوارثونها واحداً بعد واحد.

وتنتقل مهنة المبشع داخل الأسرة التي تحتكرها، عن طريق الوراثة حيث يخلف الابن الأكبر أباه، على شريطة أن يكون الابن الأكبر مستوفياً الشروط اللازمة لممارسة هذه المهنة وإلا انتقلت إلى أحد إخوته الآخرين.

ولما كان للبشعة في معتقد القبليين جانِبٌ روحي أو ديني، جرت العادة بأن يكون المبشِّع من رجال الدين.

يقول شلحد (١٩٧١م ، ص ١٩٠) عن قبائل شرق الأردن وفلسطين : إن المبشِّع ينتمي في الأغلب إلى إحدى الطرق الصوفية. والطرق التي تتمتع بالحظوة لدى البدو هي الطرق الأربع التالية: طريقة أحمد الرفاعي، وأحمد الدسوقي،

وعبدالقادر الجيلاني، وأحمد البدوي . ويضيف شلحد أن انتماء المبشّع إلى إحدى الطرق الصوفية يبدو أمراً طبيعياً في ابتلاء من هذا النوع . إذ أن تدخل رجل دين أمر لاغنى عنه لكي لا يتعرض الشخص البريء لأي أذى من جرّاء لمسه للحديد المتقد. ويقول أبو حسان (ص ١١٧) : إن البدو يعتبرون المبشّع من الصالحين الأتقياء ويؤمنون بصحة أقواله وصدق تنبؤاته.

ويمتد اختصاص المبشّع عادة عَبْر مساحة شاسعة من الأرض تتجاوز بكثير المساحة التي يمارس فيها القضاة الآخرون اختصاصهم. ويتوقف ذالك إلى حد بعيد على مدى شهرة المبشّع. فالمبشّع المشهور قد يأتيه المتخاصمون من جهات بعيدة للغاية. ففي شبه جزيرة سيناء لم يكن سوى مبشّع واحد يقصده المتنازعون من كل جهة فيها، بل كانوا يأتونه حتى من خارج سيناء. وفي بعض النواحي القبلية في اليمن (لقمان، ص ٦٨) يُرْسَل المتهم إلى بعض النواحي في حضرموت وخاصة في وادي عرفة، حيث يجري الاحتفال بإقامة البشعة تحت إشراف المبشّع المتخصص.

وتنعقد جلسة البشعة في العادة في بيت المبشّع أو على مقربة منه. فالخصوم ومن يصحبهم من أقاربهم هم الذين ينتقلون إلى حيث يقيم المبشّع مهما طال السفر . ومع ذالك فليس ثمة ما يمنع من عقد جلسة البشعة في مكان آخر إذا كان هناك ما يقتضي ذالك ، ففي حضرموت (الشاطري، ص ٣٤٣) قد ينتقل المبشّع إلى المحل الذي وقعت فيه الجناية لمعرفة المتهم بها، وفي هذه الحالة يكون انتقال المبشّع على حساب طالب البشعة.

ويحصل المبشّع ـ شأنه في هذا شأن القضاة القبليين الآخرين ـ على أجرة مقابل قيامه بمهمته. ففي أوائل القرن الماضي (بوركاردت، ص ١٢٢) كان المبشّع يحصل على أربعين قرشاً أو على ناقة سن سنتين. وفي أوائل القرن الحالي (كينيت، ص ١٠٩) كان المبشّع في سيناء يحصل على خمس جنيهات يدفعها الطرف الخاسر . ولدى بدو بير سبع (العارف، ص ١١٩) كان على كلٍ من طرفيْ الخصومة إيداع مبلغ خمس جنيهات تحت حساب أجرة المبشّع ، وكان يَحْتَفِظ بالمبلغ

الذي دفعه من خسر الدعوى ويَردُ المبلغ الأخر إلى صاحبه. وإذا اتّهم رجلٌ بجنايتين كان عليه إيداع أجر مضاعف، بينما إذا اتهم عشرة رجال بجناية واحدة فلا يحصل المبشّع إلا على خمس جنيهات. ولدى بدو شرق الأردن (شلحد، ص ١٩١) يدفع كل من طرفي الخصومة أجرة المبشّع مقدماً وكاملة. وبعد الفصل في الخصومة يرد المبشّع لمن كسب الدعوى المبلغ الذي دفعه، فمصاريف البشعة يتحملها الطرف الخاسر. ورغم أن هذه هي القاعدة العامة، ففي حالة الاتهام بالقتل، يتحمل المدعى عليه كل المصروفات، حتى ولو ثبتت في النهاية براءته.

ومن واجبات المبشّع استضافة الخصوم ومن معهم عندما يأتون إليه، فيقدِّم لهم ما يلزم من قهوة وطعام. ولا شك أن جزءًا قل أو كبر مما يحصل عليه المبشّع من أجر يذهب في قرى الخصوم وصحبهم. ومع ذالك يبدو أن ما يتبقى للمبشّع ليس بالقليل. الأمر الذي جعل المبشّعين من أكثر الناس ثراءًا في قومهم، إن لم يكونوا أكثرهم ثراء على الإطلاق.

رابعا ــ إجراءات البشعة :

تنعقد جلسة البشعة ـ كما سبق القول ـ في بيت المبشّع أو أمام خيمته وقد تنعقد في مكان آخر عند الاقتضاء، وتتّسم جلسة البشعة بالعلانية فهي تنعقد على مرأى ومسمع من الناس، فهي لا تنطوي على شيء من السرية أو الخفاء. ولا يقتصر جمهور الجلسة على الطرفين المتخاصمين وأقاربهما، بل إن لكل من يريد الحق في حضور الجلسة ومتابعة اجراءاتها.

وتبدأ الإجراءات بأن يستمع المبشّع إلى عَرْض لموضوع القضية من جانب كل من الطرفين، حيث يقوم كل منهما بشرح الاتفاق الذي تم بينهما بكل جزئياته. وهنا يأتي دور الشاهد أو الحكم الذي اختاره الطرفان لكي يتحقق من أقوالهما ولكي ينهي أي نزاع بخصوص الاتفاق. ثم يقوم المبشّع بتلاوة تفاصيل الاتفاق لكي يُقْنِع الحاضرين بأنه على وعي تام بعناصر الموضوع محل النزاع.

وفي هذه المرحلة يبذل المبشّع كل مافي وسعه لحث الطرفين على عدم المضي في إجراءات البشعة. فيشير إلى أنه من الأفضل لهما، قبل لَحْسِ النار، التوصل إلى

اتفاق ودي، ومن الأفضل للمتهم الاعتراف إذا كان مذنباً حقيقة. وإذا توصل الطرفان إلى اتّفاق ودي قبل وضع الطاس في النار، لم يكن من حق المبشّع الحصول على أية أتعاب. ورغم أن المبشّع في سعيه إلى حمل الطرفين على الصلح يعمل ضد مصالحه المادية فإن محاولاته هذه تتسم بالجدية.

وإذا فشل المبشّع في حَمْلِ المتخاصمين على تسوية النزاع وديًا طلب إلى كل منهما أن يُقَدم كفيلاً يضمن تنفيذ الحكم الذي سوف تُسْفِر عنه البشعة. ويتعهد كفيل المدعي بامتناع المدعي عن مباشرة الانتقام من المدعى عليه إذا أسفرت البشعة عن إدانته، ويتعهد كفيل المتهم بأداء ما يفرضه العرف عليه إذا جاءت النتيجة في غير صالحه.

ثم يشرع المبشّع في إجراءات البشعة. ورغم أن البشعة تتمثل، في كل القبائل العربية، في إخضاع المتهم أو المدعى عليه لابتلاء النار فإن تفاصيل هذا الابتلاء قد تختلف من جهة إلى أخرى. فقد انتقلت إلينا عدة روايات في وصف إجراءات البشعة، من أزمنة مختلفة ومن جهات متباينة. ويتّضح من هذه الروايات أن إجراءات البشعة قد تختلف من مكان إلى آخر، وربما من زمن إلى آخر.

يقول بوركاردت (١٨٣١م ، ص ١٢٢) مثلاً في وصف إجراءات البشعة لدى قبائل عنزة، إن لكل قبيلة من قبائل عنزة الرئيسة قاضياً رئيسياً يسمى المبشّع تختص محكمته بالفصل في كل القضايا العسرة. وعندما تفشل محاولات هذا القاضي في إجراء صلح بين الطرفين، يأمر بإعداد نار أمامه ثم يأخذ ملعقة طويلة من الحديد (وهي التي يستخدمها العرب في تحميص البن) وبعد أن يجعلها تسْخَن إلى درجة الاحمرار، يسحبها ويَلْحَس بلسانه طرفها الأعلى من جانبه، ويعيدها إلى النار . ثم يطلب إلى المتهم أن يغسل فمه أولاً بالماء ثم يلحس الملعقة على نحو ما فعل هو. وإذا لم يُصَب لسان المتهم بأذى عُدَّ بريئاً، أما إذا أصيب لسانه من جرّاء الحديد المحمي فإنه يخسر الدعوى.

ويصف شقير (ص ٣٩٩) إجراءات البشعة لدى بدو سيناء في أوائل القرن الحالي فيقول : أن المُبشّع يحمي إناء نحاس كطاسة البن على النار ويمسحها بكفه

ثلاث مرات ثم يأمر المتهم فيغسل لسانه بالماء ويريه شاهدين. ثم يتناول الطاس المحماة من المبشّع فيلحسها ثلاث مرات بلسانه، ثم يغسله بالماء ويريه المبشع والشاهدين. فإذا رأوا أثر النار على لسانه، حكم المبشّع بالدعوى لخصمه، وإلا حَكم له.

ويصف توماس (ص ١٢١) إجراءات البشعة لدى بعض قبائل عُمان بقوله: تتم عملية طقوس النار بين صلاة الصبح وصلاة الظهر فيجتمع أطراف النزاع أمام نار مشتعلة، ويقوم المبشع بإدخال سكين أو خنجر في النار، ثم تمضي فترة من الوقت يُطْلب بعدها من المتهم أن يخرج لسانه، ويقوم المبشّع فيمسكه بمنديل بإحدى يديه، ويسحب النصل الملتهب باليد الأخرى ليضعه أولاً على لسانه هو لاكتساب البركة، ثم يحز بطرف النَصْل لسان المتهم وَخْزَتَين، إحداهما من الجانب المفرطح للنصل والأخرى من الجانب الآخر. والمفروض بعد هذه العملية أن يكون المتهم قادراً على أن يبصق فوراً إذا كان غير مذنب. ولابد أن تمضي ساعتان قبل فحص اللسان. فإذا ظهرت بوادر ورم أو حرق في اللسان أو إذا تأثرت غدة المتهم كان ذالك دليلاً على أنه مذنب، أما إذا لم تظهر مثل هذه الأعراض عُدّ المتهم بريئاً.

ويقول لقهان (ص ٦٨ ، ٦٩) في وصف إجراءات البشعة في جنوب الجزيرة العربية: بعد أن يجتمع المتَّهَمون حول نار مشتعلة يضع المبشّع سكاكين بين الجمرات حتى تحمرّ ثم يفْتَح المتهم فمه ويُخْرج لسانه فيقبض عليها المبشّع بطرفي إبهامه وسبابته بقطعة من القماش ويسحب السكين من النار، ويقربها من شفتيه ثم يضعها جانبياً على طرف اللسان الممدودة. وبعد انقضاء ساعتين يُفْحَص اللسان، فإذا وجدوه متورماً أو محترقاً أو إذا ظهر أن غدة عنقه قد تأثرت أعْلِن أن المتّهم مذنب.

فكما هو واضح تختلف إجراءات البشعة في سيناء وشمال الجزيرة العربية، عنها في جنوب الجزيرة في مسألة على جانب كبير من الأهمية حيث أن المتهم هو الذي يقوم بنفسه بلحس أداة البشعة في سيناء وشمال الجزيرة، بينما يقوم المبشّع بتلحيس المتهم هذه الأداة في جنوب الجزيرة.

وبالإضافة إلى الروايات السابقة وهي سماعية، لدينا لحسن الحظ روايات لشاهدي عيان إحداهما لضابط إنجليزي (كينيت) كان حاكماً لسيناء في الربع الأول من القرن الحالي، والثانية لضابط عربي (عارف العارف) كان ضابطاً لشرطة دائرة بير سبع لمدة عشر سنين في منتصف القرن الحالي. ولأهمية هاتين الشهادتين، في التعرف على طبيعة البشعة، سوف نوردهما بالتفصيل ولنبدأ برواية حاكم سيناء الانجليزي.

يقول كينيت (ص ١٠٨ ومابعدها): كانت القضية التي كنت فيها شاهد عيان تتعلق بعربي من جنوب فلسطين، كان قد اتهمه عربي آخر من خان يونس بقتل ابنه، الذي عُثر عليه ميتاً في الصحراء. وكان الطبيب الحكومي قد قام بفحص جثته ولم يجد أثراً لاستخدام العنف. ومع ذالك كانت هناك ظروف تثير قدراً من الارتياب في المتهم، الذي اتهمه أبو الصبي بخنقه. وعارض المتهم محتجاً ببراءته وتحدى الآخر أن يؤيد اتهامه بدليل.

ورغم عدم وجود أي دليل أصر الأب على اتهامه وهدّد بالانتقام. وأخيراً وافق المتهم، على مضض على ما يبدو على الخضوع للبشعة، ووافق الآخر على أنه إذا جاءت نتيجة البشعة في صالح المتهم فسوف يتنازل عن دعواه. وتم اتخاذ الترتيبات اللازمة وقدم شيخ البشعة من موطنه في وسط سيناء إلى العريش لمقابلة المتنازعين في منتصف الطريق، وجاء لزيارتي ودعاني إلى الحضور في أي وقت أو مكان مناسب. وتحدد للاجتماع مابعد العصر في ظل شجرة مجاورة للمكاتب الحكومية. وكانت هناك نار فحم متقدة وجماعة تتراوح بين خمسة عشر وعشرين من المشاهدين جلسوا القُرْفُصَاءَ على هيئة نصف دائرة حول النار ومعهم المُتَّهِمُ والمُتَّهَمُ وشاهدُهما والشاهدان المختاران من قبل الشيخ نفسه. وفي وسط الجماعة وعلى بعد خطوتين أو ثلاث من باقي المجتمعين جلس الشيخ، يذكي نار الفحم التي وضعت عليها الملعقة بأصابع الفحم المكومة حولها.

وفجأة توقف طنين النقاش عندما قام أحد الحاضرين بمحاولة أخيرة للصلح بين الخصمين، ودعا المتّهم إلى قبول نوع من التسوية. غير أن هذه المحاولة باءت

بالفشل لأن المتُّهم نفسه أعلن أنه لن يتهرب من الإبتلاء في هذه المرحلة من الإجراءات، وكان يبدو عليه عدم الاكتراث وأخرج سيجارة وأشعلها من اصبع فحم على حافة النار.

وبعد بضع دقائق أعلن شيخ البشعة أن الملعقة سخنت سخونة كافية، وطلب إلى المتهم أن يأتي ويركع خلف كتفه الأيسر.

ثم تلى الشيخ «بسم الله الرحمن الرحيم» ودعا دعاءًا بصوت خفيض شاركه فيه كل الحاضرين. ثم أعطى المتُّهم إناءً صغيراً من الماء وتمضمض المتهم وبصق بصوت عالٍ، ثم فحص الشهود الثلاثة فمه وشفتيه ولسانه فحصاً دقيقاً. ثم قبض الشيخ بيده اليمنى على يد الملعقة وسحبها من النار ونفض بيده الأخرى الرماد من على قعرها المقلوب وقدمها حمراء متقدة إلى المتهم عند ساعده الأيسر.

وبِلحظة قصيرة شحب لون المتهم، ثم استجمع قواه وأخرج لسانه وهو قابض بشدة على سيفه بكلتى يديه، ولحس الملعقة الساخنة وعندما عاد لسانه إلى فمه، كانت علامة الرماد السوداء تُرى بوضوح. وصاح الجمهور (ثاني)، وفي فزع وتردد، هذه المرة، حمل المتهم نفسه على الاستجابة. وللمرة الثالثة انحنى إلى الأمام، وبصورة متهورة هذه المرة، ولحس الملعقة، بينما مال المشاهدون إلى الأمام متلهفين لمشاهدة الابتلاء.

وناول الشيخ إناءَ الماء للمتهم الذي تراخت قبضته العصبية على سيفه، وبعد أن مضمض فمه مرة ثانية، أعاد المتهم الماء إلى الشيخ، وبصق على الأرض. وصَبَّ الشيخ بعض الماء على الملعقة وأزال صوت الغليان والبخار أيَّ شكوك حول درجة حرارتها. وصَبّ الشيخ الماء ثلاث مرات في بطن الملعقة، وفي المرتين الأولين تبخر تماماً وفي المرة الثالثة بقى الماء. ثم صب مزيداً من الماء عند الجانب المقعر الذي يشبه الفنجان عند مقبض الملعقة وتبخر الماء المغلي ثانية، وعندما بردت الملعقة تماماً دعا الشيخ شاهديه والشاهد الذي اختاره المتخاصمان وأمر الأربعة المتُّهم بإخراج لسانه. وبثقة بالغة بالنفس استجاب وكان من الواضح للجميع أن لسانه كان سليماً وطبيعياً تماماً. وأعلن الشيخ (نظيف). وردد

الشهود (نظيف) وذهبت جماعة من المشاهدين، كنت أحدهم، ليفحصوا عن قرب لسان المتهم وفمه. وبالفحص عن قرب تبين وجود أثر ضئيل للغاية لبقعة سوداء في وسط لسانه وفيما عدا ذالك كان اللسان سليماً وعادياً من كل الوجوه.

وأطفأ الشيخ ناره وطرح ملعقته جانباً ونهض المشاهدون وراحوا لأشغالهم، بينما تقدم شخص أو اثنان لتهنئة المتهم ببراءته.

وفي وصف إجراءات البشعة يقول العارف (ص ١٢١): إن المبشع يستخدم في إجراء البشعة طاسا هو عبارة عن مغرفة قطرها حوالي أربع بوصات في نهاية ذراع طويلة من الحديد. وعندما يجتمع الناس حول خيمة المبشع توقد نار في الخلاء، وعندما تتقد توضع فيها الطاس، وتظل الطاس في النار إلى أن يقتنع المبشع والشاهد والجمهور بأنها صارت متوقدة. عندئذ يعطي الْمُبَشِّع المتهم قدراً من الماء يمضمض به فمه ثم يبصقه على الأرض. ثم يُخْرِج المتهم لسانه لفحصه للتأكد من عدم وجود شيء به ومن أنه في حالة طبيعية. ويسحب المبشع الطاس من النار ويُشْهِد الناس على أنها متقدة. ولكي يُظْهِر أن النار لن تؤذيه لأنه غير متهم ومن ثم غير مذنب، يلحس الطاس بلسانه أو يلمسها بذراعه العاري. ثم يعيدها إلى النار لتستعيد ما فقدته من سخونة، ثم يأمر المتهم بإخراج لسانه، ويضع الطاس لحظة على اللسان، ويفحص المبشع اللسان فإذا وجده مصاباً أعلن أن المتهم مذنب، وإذا لم يجد به أذى أعلن أن المتهم بريء. ويفحص الشاهد لسان المتهم ثم يُعْلَن الحكم للجمهور.

وهنا أيضاً نلاحظ اختلافاً جوهرياً فيما يتعلق بإجراءات البشعة بين رواية كنيت ورواية العارف. فطبقاً لرواية كنيت يقف المبشِّع موقفاً سلبياً حيث يقتصر دوره على الإمساك بالملعقة أو الطاس ويقوم المتهم بلحسها، بينما طبقاً لرواية العارف يقوم المبشِّع بدور إيجابي حيث يتولى بنفسه وضع الطاس على لسان المتهم.

وكان من المفروض أن تكون نتيجة البشعة حاسمة ونهائية نظراً لطبيعتها الغيبية في نظر البدو ولا شك أن الأمر كان كذالك في الأصل، لكن نظراً لفقدانها، بمرور

الوقت وازدياد الوعي ـ هذا الطابع ـ أجاز العرف في بعض القبائل استئناف الحكم الذي أسفرت عنه البشعة إلى مبشع آخر أكثر شهرة.

فيقول أبو حسان (ص ١١٧) مثلاً عن أحد المبشعين المشهورين في الأردن (علي الدِّبْر) أن البدو المتنازعين كانوا يقصدونه من جميع أنحاء البلاد العربية، وأنه كان ـ بالإضافة إلى عمله المعتاد في إجراء البشعة ـ مرجعاً استئنافياً للمبشعين الآخرين سواء كانوا من الأردن أم من خارجه، كما يقول أن عائلة العيادي وتسكن سيناء مشهورة في إجراء البشعة. ويُعْتبر مبشِّع هذه العائلة مبشعاً عاديًّا، ومرجعاً استئنافياً للمبشّعين الآخرين.

خامسا ـ تفسير البشعة:

نظرة القبليين إلى البشعة تختلف بطبيعة الحال عن نظرة الآخرين. فالقبليون ينظرون إلى البشعة باعتبارها إجراء غيبياً يفترض تدخلاً من قوى روحية، أما غير القبليين الذين أُتيحت لهم فرصة دراسة البشعة فيفسرونها تفسيرات مغايرة. فثمة نظرية تقليدية وأخرى علمية في تفسير البشعة وسوف نتحدث عن كل من هاتين النظريتين في شيء من التفصيل:

(أ) **النظرية التقليدية**: يعتقد القبليون في الطابع الغيبي للبشعة اعتقاداً جازماً. وفيما مضى كانوا يرون فيها ـ على ما يبدو ـ نوعاً من الكهانة، كما كانوا يرون في النار نوعاً من الكائنات الخارقة.

يقول بوركاردت (ص ١١٢) مثلاً أن العرب ينسبون نجاة المتهم البريء من الأذى لا إلى الله القدير حامي البراءة وإنما إلى الشيطان. ويقول توماس (ص ١٢٢) : إنه سأل بعض رجال قبيلة القرا، في ظفَار عن وجه العدالة في البشعة فرد عليه أحدهم قائلاً (والله إن هذه حقيقة فالنار لاتضر البريْء).

وفي بعض المجتمعات الأخرى يعتقد البدو في أن الله سبحانه وتعالى والملائكة وراء نتيجة البشعة.

فيقول العبادي (ص ٦٢ ، ٦٣) مثلاً إن (البشعة كانت معروفة في الجزيرة

العربية، كوسيلة خارقة للطبيعة لكشف هَوِيّة الفاعل، الذي لا يكون معلوماً للفريق المتضرر، وقد كانت مؤثرة للغاية في الجو الاجتماعي للعشائر الأردنية، خصوصاً في الجنوب. وهي تتضمن أيضاً مظهراً روحياً لاعتقادهم أنه يمكن من خلالها مناشدة الله سبحانه وتعالى، والملائكة، بالإضافة إلى المخلوقات الخارقة للطبيعة).

ويصف أبو حسان (ص ١١٦) الأقوال والأفعال التي يأتيها المبشع وصفاً يذكر بأقوال وأفعال الكاهن في العصر الجاهلي وذالك إذ يقول: (إن المبشع يخلق حوله جواً من الرعب والخوف، فحين يصله الطرفان يبدأ بإعلامهما عن الطريق التي سلكها كل منهما، والمتاعب التي واجهتهما أثناء قدومهما إليه وهكذا، ثم يقوم بإشعال نار كثيفة يخرج منها الدخان، واضعاً وسطها (يد المحماسة) التي تستعمل في البشعة فتبدو حمراء كأنها الجمر، وبعدها يأخذ المبشع بإرشاد الحاضرين وتخويفهم من نتيجة الأعمال الشريرة، مبيناً مزايا الصلح وأعمال الخير، وهو يتحرك حركات شبه بهلوانية، آخذاً بالتنبؤ لطبيعة الخلاف بين الطرفين وأسبابه، وعن عشائرهما وديرتهما وكل ما تعلق بالنزاع منذ البداية حتى الوصول إليه).

(ب) النظرية العلمية: اختلفت الآراء في تفسير البشعة ومن الممكن رد هذه الآراء إلى نظريتين تقوم الأولى على أساس أن للمبشع دوراً حاسماً في توجيه نتيجة البشعة حسب ما يعتقده شخصياً في كون المتهم بريئاً أم مذنباً. وتستند الثانية إلى أن نتيجة البشعة تتوقف على رد فعل المتهم. ونتناول كلا من هاتين النظريتين في شيء من التفصيل:

١ ــ نتيجة البشعة تتوقف على إرادة المبشع:

يعتقد بعض الذين درسوا البشعة عن قرب ووضعوها تحت ملاحظاتهم لفترة طويلة من الزمن أن المُبشِّع نفسه هو العامل الحاسم في توجيه نتيجة البشعة هذه الوجهة أو تلك وذالك عن طريق تقصير أو إطالة مدة ملامسة الطاس للسان المتهم تبعاً لما يعتقده من براءة أو إدانة[٤]. فإذا كان المبشع يعتقد في براءة المتهم لمس لسانه بالطاس لمساً سريعاً، وإذا كان يعتقد على العكس أنه مذنب أطال مدة

اللمس بعض الشيء. ويفترض هذا الرأي بطبيعة الحال أمرين: الأول أن المبشع هو الذي يقوم بنفسه بوضع الطاس على لسان المتهم كما هو الحال في بعض القبائل العربية، ومن ثم فإن هذا الرأي لا يصلح تفسيراً للبشعة لدى القبائل التي يقف فيها المبشع موقفاً سلبياً والتي يقوم فيها المتهم بنفسه بلحس الطاس. وهو يفترض ثانياً أن يكون المبشع قد كوّن عقيدته في شأن براءة المتهم أو إدانته قبل أن يضع الطاس على لسانه فيقصر المدة في الأولى ويطيلها في الثانية. وقد نتساءل عن كيفية تكوين المبشع عقيدته في شأن براءة المتهم أو إدانته. ومن الممكن الإجابة على هذا التساؤل بالقول بأن المبشع يكوِّن عقيدته تلك عن طريق الفراسة أي عن طريق ملاحظة تعبيرات وجه المتهم ودراسة حركاته، فالرجل الذي يعتقد أنه بريء يكون أكثر هدوءاً وأقل توتراً من ذالك الذي يعرف أنه مذنب في الحقيقة.

وذكر العارف (ص ١٢٢) وسيلة أخرى يمكن للمبشع عن طريقها معرفة الحقيقة، وهي اتخاذ جواسيس في القبائل المختلفة يبلغونه بما يقع فيها من جرائم وحقيقة الأمر بالنسبة لها. وفي ذالك يقول العارف : إن المبشعين رجال أثرياء وعندما تقع جريمة في مجال نفوذه يعلم بها، فرغم أن المفروض في المبشع أن يكون ذهنه صفحة بيضاء عندما يمثل الخصوم أمامه، وأنه لا يعلم عن القضية المعروضة عليه شيئاً سوى ما يذكره الخصمان والشاهد أمامه من تفصيلات، فإنه في الواقع يكون على دراية مُسْبَقَة بكل الظروف قبل أن تُعْرض عليه القضية رسمياً. فالمبشع بما له من ثروة يمكنه أن يستخدم جيشاً صغيراً من الجواسيس بحيث تكون له عيون في كل القبائل، ينقلون إليه الأخبار أولاً بأول بحيث أنه عندما يتقدم إليه الخصمان بصورة رسمية يكون على بيِّنة مما إذا كان المتهم بريئاً أم مذنباً.

٢ ــ نتيجة البشعة تتوقف على رد فعل المتهم:

يرى بعض الذين كتبوا عن البشعة أن نتيجتها تتوقف على رد فعل المتهم تبعاً لما إذا كان بريئاً في الواقع أم مذنباً.

فيقول شقير (ص ٣٩٩) مثلاً (وقالوا لم يذكر من الذين قالوا: العرب أنفسهم الذين استقى منهم هذه المعلومة أم من ؟ ــ في تعليل ذالك أن المتهم إن كان مجرماً

جفَّ ريقهُ وأثرت النار في لسانه وإلا فلا).

ويقول كينيت (ص ١١٣): إذ سُلِّم بثقة العرب في قدرة الشيخ على كشف الحقيقة فإن ثمة تعليلاً لهذه العملية يبدو واضحاً. فمن البديهي أن الرجل المذنب إذا وُوْجِهَ بالبشعة وبأن الحقيقة سوف تظهر قد يعترف قبل إجراء البشعة بالفعل. وحتى إذا أراد الخداع فمن المؤكد أنه سوف يواجه الطاس بلسان جاف وحلق شائط وفزع ظاهر من إمكانية المحاكمة التي تجري في مواجهته، وعلى العكس سوف يواجه الرجل البريء ابتلاءه مغتبطاً وهو يعلم أنه بريء وعلى يقين من أن الشيخ لا يمكن أن يخطيءَ في قراره). ويضيف كينيت أنه (ينبغي أن نتذكر أن الشيخ يمسك بالطاس الطويلة وأن المتهم ينحني ويلحسها، فمن المستحيل للشيخ أن يمسك بها في مواجهة اللسان مدة أطول في حالة منها في حالة أخرى. ثم أن أي تغيير في درجة حرارة الطاس سوف يكتشفه الشهود في الحال).

بميزة هذا الرأي أن بإمكانِهِ تفسير النتيجة التي تسفر عنها البشعة لدى القبائل التي يقف فيها المبشع موقفاً سلبياً.

سادسا ــ مدى شيوع البشعة ومصيرها:

ليس ثمة شك في أن البشعة من النظم العريقة في تاريخ القبائل العربية والدليل على ذالك أنها كانت معروفة في جميع أرجاء الجزيرة العربية. فقد كانت معروفة لدى قبائل عَنَزَةَ الرئيسية. وفي ذالك يقول بوركاردت (١٨٣١م، ص ١٢٢): (لكل من قبائل عنزة الرئيسية كبير قضاة يسمى المبشع، تعرض على محكمته كل القضايا العسرة). كذلك كانت البشعة معروفة لدى قبائل شرق الأردن وفي الحجاز وفي سيناء (لازالت)، وفي عُمان وفي حضرموت.

غير أن البشعة أخذت طريقها نحو الاختفاء، ولم تعد تمارس في الوقت الحاضر إلا في مناطق محدودة كما هو الحال في سيناء، وفي حضرموت.

وقد تعاونت على القضاء على البشعة أسباب عدة نسرد بعضاً منها فيما يلي:

١ ــ الدعوة الإصلاحية في نجد والحجاز: وقفت الدعوة الإصلاحية من البشعة

موقفاً معادياً ، واعتبرتها إحدى الممارسات المخالفة لتعاليم الإسلام . وحظر دعاتها على القبائل التي خضعت لنفوذهم ممارسة هذه العادة التي كانوا يعدونها من العادات الوثنية، حيث أنها تنطوي في نظرهم على نوع من الشرك . ومن الشواهد على تأثير الدعوة الإصلاحية في هذا الخصوص ما ذكره بوركاردت (ص ٢٩٠) حيث يقول (وقيل أن عرب مُطَيْر الذين يعيشون بين المدِيْنة ونجد كانوا يمارسون هذه العادة (البشعة) فيما مضى، لكنهم أُجْبِرُوْا على التّخلي عنها بمقتضى أوامر صَرِيحة من الزَّعيم الوهابي)(٥).

٢ ــ حَظْر الإلتجاء إليها في الدول العربية الحديثة : استمرت القبائل البدوية، في بعض البلاد العربية، في ممارسة البشعة إلى عهد غير بعيد . ثم صدرت تشريعات تحظر استخدامها . من ذالك مثلاً ما حدث في الأردن . فقد أصدرت حكومة الأردن (العبادي، ص ٦٣) قانوناً في سنة ١٩٧٣م يمنع الالتجاء إلى البشعة منعاً باتاً . ورغم إلغاء البشعة رسمياً فإن البدو وخاصة أولئك الذين يعيشون في جنوب الأردن وعشائر بئر السبع قد واصلوا اللجوء إليها حتى وقت متأخر (١٩٧٦م) . واضطرت (أبو حسان، ١١٧) العائلات التي اشتهرت بالبشعة إلى تغيير اختصاصها . فاتجه أفرادها إلى التخصص في أمور لها علاقة بالبشعة مثل إجراء عملية التنقيط وقص الأثر.

٣ ــ جهود فردية : من العوامل التي أدت إلى إقلاع البدو عن ممارسة البشعة الجهود التي كان يبذلها بعض الأفراد من علماء الدين وغيرهم ممن كانوا يرون فيها إجراء فظاً غير إنساني أو ممن كانوا يعتقدون أنها غير عادلة وتنطوي على استغلال لسذاجة البدو.

من قبيل ذالك ماذكره العارف (ص ١٢٣) من أنه عندما أتى مبشع بَلِيٍّ ليقيم في وادي عربة فيدخل بذالك في منافسة مع مبشع العيادي، أرسل إليه من يخبره بأنه إما أن يغادر البلد وإما أن يأتي للإقامة في بير السبع التي يوجد بها مركز الشرطة الذي كان قائداً له . وأنه أصدر أمراً بضرورة الحصول على إذن كتابي منه قبل إجراء البشعة وكان السبب في ذالك رغبته في الاقلال من الالتجاء إلى البشعة

لبدائيتها ولكون نتائجها غير مقنعة وكان كلما جاءته قضية كان يقول للبدو : إن أردتم البشعة فلا مانع لكنه كان يوضّح لهم ما تسببه من ضياع وقت وجهد ومال، وكان يحثهم على عمل تسوية ودية فيما بينهم. وذكر أنه استطاع أن يقلل عدد مرات البشعة من مرة يومياً إلى ثلاثين مرة في السنة الأولى، ثم إلى ١٥ في السنة الثانية، ثم إلى خمسة في السنة الثالثة. وأن البشعة كانت قد اختفت عملاً من بير السبع عندما ترك المنطقة.

ويقول الشاطري (ص ٣٤٣) في وصفه موقف البدو ورجال الدين من البشعة: (والغريب أنهم يؤكدون بأنها لا تخطيء أبداً، بينما رجال الشرع والفضل يستبشعونها).

ورغم أن البشعة لم تعد في الوقت الحاضر تمارس في كثير من الجهات التي كانت تمارس فيها في الماضي القريب أو البعيد، فمازالت تحتفظ بأهميتها في بعض الجهات وذالك حتى وقتنا الحاضر . فلا زالت قبائل سيناء مثلاً تستعين بها في القضايا التي لا تتوافر لها وسائل الاثبات العادية(٦). لذالك لابد أنها مازالت تمارس لدى القبائل التي تعيش في عزلة نسبية في جنوب الجزيرة العربية والتي لم تتأثر بظروف الحياة الحديثة.

د. محمود سلام زناني ـ كلية الحقوق ـ جامعة اسيوط

الهوامش :

(١) انظر كتابنا (تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية) جـ ١ ، ص ٤١٦ ومابعدها.

(٢) من الشعوب القديمة التي عرفت الابتلاء البابليون والأشوريون والعبريون والفرس والهندوس. ومن صور الابتلاء عند الهندوس الابتلاء بالماء والابتلاء بالنار. يقول البيروني (ص ٢٨٠) في وصف الابتلاء بالماء عندهم (إن المتهم يجاء به إلى نهر شديد الجري عميق القرار أو إلى بئر بعيدة القعر كثيرة الماء. فيقول للماء أنت من أطهار الملائكة، عارف بالسر والعلانية، فاقتلني إن كنت كاذباً واحرسني إن كنت صادقاً، ويحتوشه خمسة نفر ويلقونه فيه. فإن كان صادقاً لم يغرق فيه ولم يمت). ويصف البيروني الابتلاء باستخدام سائل مغلي فيقول: (يؤخذ سمن ودهن حُلّ بالسوية ويغليان في قِدْر ، ويطرح فيها بعلامة الإدراك وردة يكون ذبولها واحتراقها تلك العلامة. وإذا بلغ غايته طرح في تلك القِدْر قطعة ذهب ويؤمر المنكر بإخراجها بيده، فإنه كان محقاً أخرجها. كذلك كان الابتلاء بالنار معروفاً عند الهندوس، وفي وصفه يقول البيروني: (تحمى زبرة من حديد إلى حد تكاد تذوب، وتوضع بالكلبتين على كف المنكر ، ليس بينها وبين =

الجلد سوى ورقة عريضة من أوراق النبات، تحتها حبّات أرز في قشورها متفرقة ويؤمر بحملها سبع خطوات. ثم يرمى بها على الأرض). انظر في الابتلاء لدى الشعوب القديمة كتابنا «تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية» جـ٢ ، ص٣٠٣ ومابعدها.

(٣) يقول العارف (ص ١٠٨) في وصف موقف بدو بئر سبع في هذا الخصوص: إذا نُسب إلى رجل اتهامه أنثى بالفاحشة، سئل عما إذا كان هذا الاتهام صدر منه أم لم يصدر. فإذا أقر بصدوره وفشل في اثباته صار مرتكباً لجريمة. . . وإذا أنكر فعليه أن يقسم يميناً بذالك، ويخضع للبشعة. . وإذا ذكر اسم الرجل الذي واقع المرأة. ذهب أقاربها إلى هذا الرجل أو إلى أقاربه ودعوه إلى المناشد. وإذا أنكر الرجل أية علاقة بالمرأة كان عليه الخضوع للبشعة. وإذا أسفرت البشعة عن إدانته قتل أو ألزم دَفْع دية باهظة. وإذا دلت البشعة على براءته كان له مطالبة من اتهمه بتعويض يحدده المناشد (القضاة).

(٤) يبدو أن إرادة المبشع (المُبْتلي) كانت تلعب دوراً حاسماً في توجيه نتيجة الابتلاء هذه الوجهة أو تلك تبعاً لاعتقاده في براءة المتهم أو إدانته في العديد من صور الابتلاء وسواء في المجتمعات القبلية أم لدى الشعوب القديمة. فمن صور الابتلاء الشائعة الابتلاء عن طريق إلزام المبتلى بابتلاع عقار سام. فإذا كان المتهم مذنباً قتله السم وإلا كان بريئاً. ويشرف على إجراء الابتلاء عادة أحد السحرة أو الكهنة وباستطاعة الساحر أو الكاهن أن يتدخل في كيفية إجراء الابتلاء حتى تأتي نتيجة متفقة مع ما يعتقده من براءة أو إدانة المتهم. فإن كان مقتنعاً ببراءته قلل من مقدار المادة السامة، أو تركها بعض الوقت حتى ترسب في قعر الإناء.

(٥) وقد جرى بعض الرحالة وبعض المؤرخين على إطلاق اسم (الوهابية) على اتباع الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهم لا يرضون بهذه التسمية.

(٦) فقد نشرت جريدة «الأخبار» القاهرية بتاريخ ١٩٨٨/١٠/٢٩م تحقيقاً صحفياً بعنوان (قضاة لا يتبعون وزارة العدل) عن جلسة صلح بين قبيلتي النخامشة والعوامرة من قبائل سيناء لإنهاء خلاف بينهما بدأ منذ ثمانين عاماً حول حدود الأرض بينهما. وقد جاء في هذا التحقيق أن الصراع بين القبيلتين التهب بحدوث واقعة تعتبر أكبر جرائم الصحراء وذلك عندما تجرأ شاب من إحدى القبيلتين واستحم في عين ماء على مرأى من بدوية من القبيلة الأخرى على بعد أكثر من كيلو ونصف. وأصدر القضاة قراراتهم فيما يتعلق بالدماء التي سالت بين القبيلتين. وفيما يتعلق بواقعة الاستحمام أمام المرأة البدوية أصدروا قرارهم بتطبيق حكم البشعة على أن الشاب لم يكن يقصد الاستحمام أمامها.

المصادر :

(١) أبو حسّان (محمد): تراث البدو القضائي، عمّان، دائرة الثقافة والفنون ١٩٧٤م.

(٢) البيروني: (مقولات الهند، نشر ساشاو، ليبزج ١٩٢٥م.

(٣) توماس (برترام): البلاد السعيدة، ترجمة محمد أمين عبدالله، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٨١م.

(٤) زناتي (د. محمود سلام): تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية، جـ١، القاهرة، دار النهضة العربية ١٩٧١م.

(٥) الشاطري (محمد أحمد بن عمر): أدوار التاريخ الحضرمي، جدّة، عالم المعرفة، الطبعة الثانية ١٩٨٣م.

(٦) شقير (نعوم): تاريخ سيناء والعرب، مصر، ١٩١٦م.

(٧) العبادي (أحمد عويدي): القضاء عند العشائر الأردنية، عمّان، دار البشير ١٩٨٢م.

(٨) لقمان (حمزة علي): أساطير من تاريخ اليمن، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمنى.

٢٥ ـ حفيرٌ : (١٦٠)

وكيف تُرَجّي الْوَصْلَ مِنْهَا وأَصْبَحَتْ ذُرَى وَرِقَانٍ دُوْنَهَا وَحَفِيْرُ

(وَرِقَانُ مِنْ جِبالِ تِهامَة ، . . وجَفِير « التاج » تحريف ، فجفير قَرْيَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ لبني عَامِرِ بْنِ عَبْد الْقَيْسِ ، أَمَّا حَفِيْرٌ فَموضِعٌ بين مكة والْمَدِيْنَةِ) .

١ ـ بنو عامر من عبد القيس ، ولعل كلمة (بن) سَبْقُ قَلَمٍ ، فهم بنو عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لُكَيْـزِ بن أفصى بن عبد القيس ـ «معجم ما استعجم» ـ ٨٢ ـ.

٢ ـ تعريف حَفِير ورد عن صاحب « معجم البلدان » ونَصُّهُ : الْحَفير والحَفَرُ موضعان بين مكة والمدينة ـ ثم ذكر مواضع أخرى غير مُعَرَّفة ، وجاء صاحب كتاب « المغانم المطابـة» فقال : حَفِير ـ كأمير فعيل من الحفر ـ : اسم موضع بين مكة والمدينة ، وحَفَرٌ موضع آخر بجنبهِ . وجاء السمهوديُّ في « وفاء الوفاء » فأضاف : والمعروف بالحفر اليوم منزل الاشراف من آل زيان وبه آبار ومزارع. ←

= (٩) هولفريتز (هانز) : اليمن من الباب الخلفي ، تعريب خيري جماد ، بيروت ، المكتب التجاري ١٩٦١م .

(10) Burchardt (John Lewis):
Notes on the Bedouins and the Wahabys. First ed. London 1831, New ed. U.S.R. 1967.

(11) Chelhod (Joseph):
Le Droit dans la Société bedouine, Paris, Marcel Riviere et Cie, 1971.

(12) El-Aref (Aref):
Bedouin love, Law and Legend, First ed. Jerusalem 1944, New ed. New York, Ams Press 1974.

(13) Kennett
Bedouin Justice. Laws and Customs among the Egyptian Beduins, First ed. 1925, new ed. London, Frank Cross and Co. 1968.

(14) Musil (Alois):
The manners and customs of the Ruala bedouins in the Middle Euphrates, New York, American Geographical Society, 1929.

← انتهى والحفر هذا بقرب حَرَّة كشب ـ كما يفهم من كلام الهجري وكما في « زهرة المقول » ـ ٤٠ ـ لابن شدقم ، وما أرى الموضع الذي بقربه هو مراد الشاعر لبعده عن وَرِقان .

٣ ـ لا أستبعد أن يكون الشاعر أراد الحُفَير الذي قال عنه صاحب « معجم البلدان » : الحُفَيْرُ ـ بالتصغير ـ منزل بين ذِي الحُلَيْفَةِ ومَلَل . يسلكه الحاج . وحدد صاحب « المناسك » بعده عن ذي الحُلَيْفَةِ بستة أميال ـ أي ما يقرب من عشرين كيلا من المدينة، وهذا الموضع بقرب جبل وَرِقان . وضرورة الشعر تحمل الشاعر على تغيير بنية الكلمة . وقد يكون اسم هذا الموضع في الأصل مكبرا فصغّر ، وعرف ايضا باسم الحفيرة ، ورد ذكرها في حدود الحرم المدني في « وفاء الوفاء » .

٣٦ ـ حَـوْرَةُ : (٩٧)

عَـفَـا مَـشْـعَــرٌ مِـنْ أَهْـلِهِ فَـثَـقَـيْـبُ   فَسَفْـحُ اللِّوَى مِنْ سَائِـرٍ فَجَـرِيْـبُ
فَـذُو السَّرْحِ أَقْـوَى فَـالْـبِرَاقُ كَـأَنَّهَا   بِـحَــوْرَةَ لَـمْ يَحْـلُلْ بِهِـنَّ عَـرِيْــبُ

(... بِرَاقُ حَوْرَةَ : مَوْضِعٌ مِنْ نَاحِيَةِ القَبَلِيَّةِ) .

١ ـ تقدم تعريف البراق .

٢ ـ أما حورة فصحيح أنها موضع من ناحية الْقَبَلِيَّة ، فهي وادٍ من أودية القبلية كما نقل الزمخشري عن الشريف عُلَيٍّ بن وهاس ، وأوفى الكلام على وادي حورة البكري في « معجم ما استعجم » فذكر أنه من أودية الأشعر . ولا مخالفة بين هذا القول وبين قول السيد عُلَيّ ، فالقبلية كما عرفها علي هذا هي سراة فيما بين المدينة وينبع ، ماسال منها إلى يَنْبُع سمي بالْغور ، وما سال منها إلى أودية المدينة سمي بالقبلية ، وجبل الأشعر في هذه السراة ، ويسمى الآن (الفِقْرة) بعض سيوله تتجه شرقاً صوب أودية المدينة ، وبعضها ينحدر غربًا نحو الغور فالبحر .

٣ ـ وحورة وادٍ لا يزال معروفاً وبجواره وادٍ آخر يسمى حُوَيْرة ـ تصغير حورة ـ

وذكر البكري الواديين باسم حورتين ، وهما لا يزالان معروفين . يتجهان مشرقين حتى يصبّان في وادٍ يدعى وادي الْجَفْر ، بقرب الْفَرْش (فَرْش مَلَل) على نحو أربعين كيلاً غرب المدينة ، ثم يصب الجفرُ في وادي مَلَل ، ووادي ملل من روافد وادي إضَم الوادي المشهور الذي تجتمع فيه سيول أودية المدينة ، ويتجه مغرباً نحو البحر ، وهذا من أعظم الأودية التي تجتمع فيها أودية السراة الشمالية فيما بين الْعُلا والعِيْص ، ويدعى وادي الحمض .

٤ ـ أما أسفل وادي حورة ، فيقع بقرب خط الطول : ١/٣٩° ، وخط العرض : ٢٠/٢٤° .

٢٧ـ خاخ : (٨٨)

وَلَهـا مَـرْبَـعٌ بِـبُـرْقَـةِ خَـاخٍ وَمَـصِـيْـفٌ بِـالْـقَصْرِ قَصْرِ قُـبَـاءِ

(. . . خاخ : موضعٌ بين الحرمين يقال له روضَةُ خَاخٍ ، بقرب حمراء الأَسدِ من المدينة . .) .

لهذا الموضع صلةٌ بسبب نزول الآية الكريمة الأولى من سُوْرَةِ (الْمُمْتَحِنَةِ) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَتَّخِذُوْا عَدُوِّيْ وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء ﴾ وورد ذكره في الحديث النبوي الشريف ، ولهذا فالعناية بتحديده لا تقف عند كون الشاعر الأحوص تغنى بذكره تسع مرات إن لم تزد ـ ٨٨/١١٠/١١٧/ ١٣١/١٦٩/١٨٤/ ٢٠٠/٢٥٤ ـ صَحِيْحٌ أنه بين الحرمين ، ولكن ما أكثر المواضع التي بينهما ، وأنه بقرب حمراء الأَسَد القريبة من المدينة ، ولكن حمراء الأسد أصبحت مجهولةً الآن .

ويحسن إيراد الخبر المتصل بالآية الكريمة الذي ورد فيه ذكر الموضع ، روى البخاريُّ في صحيحه عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والزُّبَيْرَ والْمِقْدَادَ قال : «انطلقوا حتى تأتوا روضَة خَاخٍ ، فَإِنَّ بها ظعينةً معها كتابٌ فخذوه منها » فذهبنا تعادى بنا خيلُنا حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالظعينة ، وساق بقية الحديث وفيه : أن حاطب بن أبي بَلْتَعَةَ كتب إلى

أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نزول الآية - انظر « فتح الباري » - ٨ص ٦٣٣ .

وخاخ : كما يتضح من كلام المتقدمين كالهجري - فيما نقل عنه السمهودي والبكري في « معجم ماستعجم » و ياقوت في « معجم البلدان » : ضاحيةٌ من ضواحي المدينة الجنوبية ، على ضفاف أعلى العقيق ذاتُ قُصورٍ وبساتين ، متصلة بِحِمىَ النَّقيع الذي حماه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان يسكنها أناس من العلويين وغيرهم ، وفي هذا الموضع روضة ، وفيه واد من روافد العقيق ، وقد ذكر الواقدي أن روضة خاخ على بريد من المدينة . . . على ما نقل السمهودي عنه في « وفاء الوفاء » - ١١٩٨ - . ومعروف أن البريد أربعة فراسخ ، والفرسخ ثلاثة أميال أي أن المسافة بين خاخ وبين المدينة اثنا عشر ميلاً .

وقد ورد في المغازي « للواقدي - ص ٧٩٩ - : أن المرأة التي حملت كتاب حاطب سلكت عن يسار المحجة في الفلوق ، حتى لقيت الطريق بالعقيق ، وفي « المغازي » أيضا - ٧٩٨ - : (فخرجا فأدركاها بالخَليقة) والخليقة هذه بينها وبين المدينة اثنا عشر ميلاً ، على ما ذكر الفيروزأبادي في « المغانم » - ١٣٣ - ويظهر أن الخليقة هذه في روضة خاخ ، قال السمهودي : ولقرب خاخ من خليقة عبد الله بن أبي أحمد ،جاء في رواية ابن إسحاق : فأدركوها بالخليقة ، وذكر في موضع آخر أن الخليقة بها مزارع وقصور ونخيل وانهاعلى اثني عشر ميلًا من المدينة « وفاء الوفاء »- ١٢٠٢ .

ونقل عن الهجري أسماء الأودية التي تسيل في العقيق فعد منها ذَا الغُصْن ثم شَوْطَى ثم خاخا ثم الناصفة « وفاء الوفا »- ١٠٦٨ - ولا يزال اسم خاخ يطلق على أحد روافد العقيق التي تأتيه من الشرق بين رُواوة والغصن، وهذان الرافدان لا يزالان معروفين . إلا أن تلك الضاحية التي طالما تغنى بها شعراء المدينة لبهجتها ، ونضارة أرضها ، وعمرانها ، مُنِيَتَ بالجفاف كغيرها من ضواحي المدينة الخصبة ، فغارت آبارها وزالت نضرتها ، وهجرها سكانها في عهد

متقدم ، كما يتضح هذا من الخبر الطريف الذي نقله ياقوت في « معجم البلدان » رسم (خاخ) عن إحدى فتيات المدينة الماجنات التي غُنِّيَتْ بشعرٍ فيه ذكر خاخ فقالت : قد أكثر الشعراء في خاخ ووصفه ، وأَقْسَمْتُ أن تذهب لترى الموضع ، ولكنها حين أبصرته ، وقد اقشعرت أرضه وذهبت بهجته أقسمت أن لا تغادره حتى تُؤْتَى بشاعر يهجوه غير أن مولاها أرضاها حين كرر الاسم (خاخ ـ خاخ ـ خاخ ـ خاخ ـ أخ ـ تفو) ثم تفل عليه .

٢٨ ذُو خُشُب : (١٦٧)

النَّـاخِسِـينَ بِمَـرْوَانٍ بِـذِي خُشُبٍ   وَالْمُقْحِمِـينَ عَـلَى عُثْمَـانَ فِي الـدَّارِ

(. . . وذو خُشُبٍ : وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة ، وذكر في « القضاة » : بفتح الخاء والشين خطأ لأن ذَا خَشَب من مخاليف اليمن وليس ذالك هو المقصود) . يؤخذ على هذا :

١ ـ في أي جهة من جهات المدينة يقع هذا الوادي؟!

٢ ـ المفهوم أن « القضاة » اسم كتاب وقد اتضح أن المحقق الفاضل يقصد « اخبار القضاة » و « أخبار القضاة » لم يرد في مصادره باسمه وإنما تحت اسم وكيع ، وقد ورد خطأ أيضا « القضاة » ثم إن الإحالة إلى هذا الكتاب وهوواقع في ثلاثة أجزاء غير واضحة ، ففي أي جزء وفي أية صفحة ، لا شكَّ أن المقصود ما ورد في كتاب « أخبار القضاة » ـ ج ١٣٨/١ ـ حيث ورد شعر الأحوص ، وفيه : (بذي خَشَب) وعلى الخاء والشين فتحتان ، ولكن كيف ننسب هذا الضبط إلى الكتاب ، وقد يكون من فعل محققه ، حيث لم تضبط الكلمة بالنَّص ، ووضع الحركات لا يصح أن ينسب إلى الكتاب أو مؤلفه .

٣ ـ الجزم بِأَنَّ ذَا خَشَب من مخاليف اليمن ، ومصدر هذا ما جاء في « معجم البلدان » يؤخذ عليه أن كل ما جاء في « المعجم » لا ينبغي الجزم به ، فالهمدانيُّ وهو أوسع معرفةً وأقدم من مؤلف « المعجم » لم يذكر هذا المخلاف ، كما أن القاضي إسماعيل بن علي الأكوع في كتابه « البلدان اليمانية عند ياقوت » اكتفى

بالقول : الخَشَبُ من أَرْحَب ، وذِي خَشَبٍ بلدة في مخلاف حَكَمٍ ، كذا قال ، وإذَنْ فَأَيْنَ المخلاف !

٤ ـ إن وادي ذي خُشُبٍ هو الذي تفضي إليه سيول أودية المدينة بعد أن تجوز وادي إضَمٍ ، وهو واقع في الشمال الغربي من المدينة على طريق الشام ، يخترقه طريق السكة الحديد بين محطتي الْحفيرة وبُوَاطٍ ، بقرب خط الطول ١٥ ـ/٣٩° وخط العرض ٤٥ ـ/٢٤° ، حيث يلتقي وادي مَلَل بذي خُشُبٍ المعروف الآن باسم وادي الْحَمْض ، فقد قال السمهودي في « وفاء الوفاء » ـ ص ١٠٨١ ـ ما خلاصته : سيول العالية تجتمع مع العقيق بِزُغَابَةَ ، أعلى وادِي إضَمٍ ، وتُسَمَّى زغابةُ مُجْتَمَعَ السيول ، ثم تنحدر في أدنى الغابة ، ثم تلتقي بوادي نقمي ووادي نعمان ، ثم يلقاها وادي مَلَلٍ بذي خُشُبٍ ، وظَلْمٌ والجنينة .... وكان في ذي خشب قصر لمروان بن الحكم ومنازل لغيره ، وبه نزل بنو أمية لما أخرجوا من المدينة قبل وقعة الحرة « وفاء الوفاء » ـ ص ١٢٠١ ـ وقد أُطلق على هذا الوادي في القرن التاسع ومابعده ـ وقد يكون قبل هذا ـ اسم وادي القرى ـ غلطًا ـ كما يفهم من « وفاء الوفاء » ومن رحلتي القطبي المكي ، والخياري المدني ، ففي الاول ـ ١٣٠٥ أهل المدينة اليوم يسمون القرى التي بوادي ذي خُشُبٍ وادي القرى ، وقد أصبح اسم (خشب) يطلق على سلسلة من الجبال المحيطة بذلك الوادي ، تدعى (أُبو خَشَب) ويشاهدها المسافر بعد أن يدع جبل أُحُدٍ على يمينه رَأْي العين .

٥ ـ واسم وادي ذي خُشُبٍ لا يختص بالوادي الذي تجتمع فيه سيول المدينة ، بل هناك وادٍ آخر في عرض شمام المعروف الآن باسم (عرض القويعية) قال فيه الشاعر النُّمَيْرِيُّ :

فَلَمَّا بَــدَتْ عَـرْوَا وَأَجْــزَاعُ مَـأْسَــلٍ ... وَذُو خُـشُـبٍ كَـادَ الْـفُـؤَادُ يَطِـيـرُ

« نوادر الهجري » ـ ٨٢ م ـ

وذو خشب هذا بقرب مأسل وعروا المكانين المعروفين . انظر كتاب « باهلة القبيلة المفترى عليها » ـ ص ١٣٢ ـ

وقد يكون هناك مسميات أخرى غير ما تقدم ، ولكن مراد الأحوص هو الأول .

٢٩ ـ الخَيْفُ : (١٩٢)

وقَدْ وَعَدَتْكَ الْخَيْفَ ذَا الشَّرْيِ مِنْ مِنىً وَتِلْكَ الْمُنَى لَوْ أَنَّنَا نَسْتَطِيْعُهَا

(الخيف : اسم يقع مضافًا إلى مواضع كثيرة ، وأشهرُهَا خَيْفُ مِنَى وهو خيف بني كنانة ، والشَّرْيُ : شجر الحنظل واحدته شَرْيَةٌ ، يعني أنه ممتلأ(؟) بالنبات) . وقد أوضح معناه اللغوي بقوله : النَّعْفُ ما انْحَدَرَ من غِلَظِ الجبل وارتفع عن مجرى السيل ، ومثله الخيف ـ ص ١٣٤ حاشية ـ .

الملاحظ هنا : ـ

١ ـ أنَّ خَيْفَ مِنَى ليس خيفَ بني كِنَانة كما ذكر المحقق استناداً إلى ما في « معجم ما استعجم » ـ ، فأقدم مؤرخي مكة الأزرقي والفاكهي وهما من أهل القرن الثالث الهجري أوضحا هذا فقال الأزرقي في « أخبار مكة » ـ ص ١٦٢ ـ : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له في حجته : أين منزلك غداً ؟ ، قال : « نحن نازلون غدًا إنْ شاء الله بخيف بني كنانة» يعني الْمُحَصَّبَ حيث تقاسمت قريش على الكفر ، وذالك أن بني كنانة حَالَفَتْ قريشاً على بني هاشم أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ـ إلى آخر الخبر ـ .

وقال الفاكهي في « أخبار مكة » ـ ٤/١٣ ـ : الْمُحَصَّبُ ما بَيْنَ شِعْبِ الصُّفِيِّ إلى حائط مُقَيْصِرَةَ ، وفيما بين حائط خَرْمَانَ إلى الثَّنِيَّة التي تُسْلَكُ إلى الْجِعْرَانَةِ وهي ثنية أُذَاخِرَ ، وكان يسمى الْمُحَصَّبَ وحائطَ خرمان ، خَيْفُ كنانةَ ثم أورد الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد أن ينفر مِنْ مِنَى قال : « نحن نازلون غداً إنْ شاء الله بالمحصب بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر » فنصُّ الفاكهي واضح في التغاير بين خَيْفِ منى وبين خيف كنانة ، وزاد ذالك إيضاحاً بايراد نصوص لا يتسع المقام لذكرها . والْمُحَصَّبُ هو المكان المعروف الان بالأبطح في أعلى مكة .

٢ ـ أما خيف مِنَى ـ عند الإطلاق ـ فهو سفح الجبل الغربي منه الذي فيه مسجد الخيف ، وقد يكون هناك قديما في هذا الخيف أو غيره من خيوف منى عين جارية تسقي أرْضا ذات شَرْيٍ . ـ بطيخ وغيره ـ والشاعر يألف الاجتماع بمحبوبته في الأمكنة المؤنسة المبهجة لا سفوح الجبال الخالية من ٱلأنيس ،

٣ ـ الخيف : وان كان معناه اللغوي ما أوضحه المحقق ، ولكنه كان يطلق في الحجاز في العهد القديم على عين الماء الجارية المأهولة ، فَيَقُولُونَ عَنْ عُيُوْنٍ يَنْبُعَ ـ وهي قُرَى : خَيْفُ سُوَيْقَةَ ، وَخَيْفُ البُثْنَةِ ، وخَيْفُ عَلِيٍّ ـ وهكَذَا ، وَمِثْلُ هَذَا وَرَدَ في كِتَابِ « جَمْهَرَةِ نَسَبِ قُرَيْشٍ » لِلزُّبَيْرِ بِنْ بَكَّارٍ ـ ص ٧٧ ـ : إذ أَوْرَدَ شعراً لعبد الملك بن يحيى في عينه التي يدعى خَيْفُها منكوب ، واسمها عين الرضا ، وكان يقال لخيفها محبوب :

وَجَدْنا بحمْدِ الله مَاءً وَمَزْرَعًا ... وَعَيْناً رَوَاءً بالمَسَاحِي تفَجَّرُ
فعينُ الرّضا عَمَّا قَلِيلٍ غَزِيْرَةٌ ... وَسَاكِنُ مَحْبُوبٍ يُحَيَّى ويُنْشَرُ

وفي كتاب الزبير هذا ـ فيما لم ينشر منه : وقال محرز بن جعفر ، مولى أبي هريرة ، في خيفي محمد بن عبد العزيز بتيدد من الخاصرة : ـ

ألاهل إلى ظل الخواصر بالِضُّحَى ... سبيل ومشي بين خيفي محمد
حننت إلى أهلي فلما أتيتهم ... طربت إلى ماء وظل بِتَيْدد

وأورد الهجريُّ من قصيدة طويلة لبشَّارٍ الحرثي :

أَحَبُّ إليَ نَفْسي وَأَعْجَبُ سَاكِناً ... وأَجْدَرُ يوماً أَنْ يَكُونَ به الأَهْلُ
مِنَ الْخَيْفِ والْعِبْدان وَالزَّيْمَةِ الَّتي ... يُحَاطُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُغْلَقُ بِالقُفْلِ

« أبو علي الهجري » ـ ٣٨٧ ـ ومثل ذالك ما ورد في « وفاء الوفاء » رسم البُغَيْبِغَةِ : قال محمد بن يحيى : عمل عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ البُغَيْبِغَات وهي عيون ، منها عين يقال لها خيف الأراك ، ومنها عين يقال لها خيف ليلى ، ومنهاعين يقال لها خيف نسطاس ـ إلى آخر الخبر ـ وهذه في ينبع .

فالخيف في كل ما تقدم لا يراد به المعنى اللغوي ، وإنما يقصد به العيون الجارية وهي غالبا ما تجري في سفوح الجبال .

وما دام الشاعر وصف الخيف بالشَّرْيِ فلعله يقصد أنَّ المكان ذَا نَباتٍ ، والشَّرْيُ ليس خاصًّا بالحنظَل ، فأهل تهامة فيها حول مكة الآن يسمون البطِّيْخَ شَرْيًا ، وهذا له أصل في اللغة ، قال أبو حنيفة : يقال لمثل ما كان من شجر القِثَّاءِ والْبِطِّيْخِ شَرْيٌ ، كما يقال لشجر الحنظل « لسان العرب » ـ شريٌ ـ .

٣٠ ـ دَارِيْن : (٢٥٦)

كَـأَنَّ فَارَةَ مِسْـكٍ فُضَّ خاتَمُهَـا صَهْبَاءَ طَيِّبَةٌ مِنْ مِسْـكِ دَارِيْنَا

(. . . ودارين : فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند) .

١ ـ هذا صحيح ، ولكن قد ينصرف ذهن القارئ إلى أنَّ المراد بـ (البحرين) هي البلاد المعروفة الآن بهذا الاسم ، وهي الجزر الواقعة في الخليج العربي ، وكانت تعرف قديما باسم (أوال) وهي معدودة من بلاد البحرين الممتدة من عمان جنوبا حتى البصرة شمالاً ، وتشمل الإمارات العربية وقطر والبحرين والكويت والقسم الشرقي من المملكة العربية السعودية المعروف باسم (المنطقة الشرقية) من الدهناء غربا ، حتى ساحل البحر شرقا ، وقد انحسر اسم البحرين حتى انحصر في تلك المنطقة الضيقة، الواقعة في البحر ، جزيرة المنامة ، وجزيرة المحرق ، وما يلحق بهما من الجزر الصغيرة . وانصرف الذهن إلى المسمَّى الحديث للبحرين كما وقع من مؤلفي «المعجم الكبير» الذي أصدره (مجمع اللغة العربية) في القاهرة ، وبينهم مشاهير العلماء ، فلم يذكروا فيه (البحرين) التي قل أن يَخْلُوَ مؤلف في اللغة أو التاريخ أو تحديد الأماكن من ذكر تلك البلاد التي كانت قاعدتها الأحساء التي انشأها القرامطة بعد تخريب مدينة هجر سنة ٣١٤ ـ «العبر» لابن خلدون ـ ٤/٨٩/٩٢ الطبعة الأولى ، وقد أوفيت الكلام عن البحرين في « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » قسم المنطقة الشرقية (البحرين قديما) ـ في أربعة أجزاء ـ من حيث تحديد الأمكنة .

٢ ـ دَارِيْنُ فُرْضَةٌ لا تزال معروفة في الطرف الجنوبي الشرقي من جزيرة تَارُوْت ، ومع أن اسم (تاروت) ، يشمل كل الجزيرة إلا أن اسم دارين أشهر وأذكر في كتب التاريخ ، وقد أصبحت دارِيْنُ بلدة كثيرة السكان لقربها من آبار النفط بمنطقة الظهران ، والجزيرة كان يربطها بالقطيف مخاضة ذات ماء ضحضاح ، منها يعبر إلى الجزيرة من القطيف وقت الجزر ، ومنها عبر العلاء بن الحضرمي بالجيش لمحاربة أهل دارين ، وهَوَّل من لم يعرف طبيعة الموقع ذالك العبور ، وقد ردمت المخاضة الآن بالبناء فأصبحت طريقا وصل بين الجزيرة وبين مدينة القطيف ـ وانظر للتوسع في معرفة ما يتعلق بدارين «المعجم الجغرافي» وعن موقع المخاضة انظر المصور الجغرافي ص ٨٦٤ .

٣١ ـ دَوْقَةُ . لا : دُوْمَة: (٧٦) و (٢٧٢)

وكـادَتْ قُبَيْـلَ الصُّبْحِ تَنْبِـذُ رَحْلَهَـا بِـدُوْمَـةَ مـن لَغْطِ الْـقَـطَا الْمُتَبَـلِّدِ

أوضح المحققان أن هذا البيت ومعه آخر لأبي دَهْبلٍ الجمحي لا للأحوص ، كما ذكر البكريُّ ، ولكنهما لم يلاحظا خطأ آخر للبكري إذ أورد الشعر في رسم (دَوْمَة الْجَنْدِل) بحيث صحفت ـ (دوقة) الى (دومة) ويؤيد هذا أن قبل هذا البيت:

فـما جَـعَلَتْ مَـابَـيْنَ مـكَّـةَ نَـاقَتِي إلَى الْبِـرْكِ إلاَّ نَـوْمَـةَ الْمُتَـهَـجِّـدِ

والواقع أن اسم دَوْقَةَ لغرابته كثيراً ما يصحف مثل اسم رَنْيَةَ ـ بعد الراء نون فياء مهموزة وقد تخفف ثم هاء .

ودَوْقَةُ هذه في تِهامة ، وقد مر ذكرها في قصيدة أبي دَهْبل التي وصف فيها رحلته إلى تهامة فقال بعد أن ذكر (عِلْيَبَ) . :

ومَـرَّتْ عـلى أَشْـطَانِ دَوْقَـةَ بِـالضُّحَى فَـما حَـدَرَتْ لِلْمَـاءِ عَيْنًـا وَلاَ فَـمَا

ثم ذكر بعد هذا (البِرْكَ) . ووادي دَوْقَةَ بين عِلْيَبَ شمالاً والْبِرْكِ جنوباً ، واسم دوقة يطلق على وادٍ طويل ، يمتد من الجنوب نحو الشمال محاذيًا لوادي حَلْيٍ شرقَهُ ، حتى يجتمع به مع وادي بَقَرة ، وبعد اجتماع الأودية الثلاثة تتجه غرباً

قبيلة الحَجْر

في كتابي «عسير» و «بلاد عسير»

لا تزال كثير من الحقائق التاريخية في أغلب مناطق بلادنا في حاجة إلى بحث عميق ، ومراجعة مستفيضة، وتصحيح لما سجل من معلومات حولها : وأحاول في هذه النبذة المختصرة أنْ أُرَاجِع ما كتب عن رجال الْحَجْرِ في كتاب «عسير» لمحمود شاكر ، وكتاب «في بلاد عسير» لفؤاد حمزة .

لاشك أن المؤلفَيْن الفاضلين قد بذلاَ جهدهما ، وهما مشكوران على كل حال رغم ما ورد في ثنايا الكتابين من أخطاء ، ونحن نتلمس لهما الْعُذْرَ في ذالك ، لبعدهما عن الأرض التي تكلما عنهاوالقبائل التي ذكراها ، وأكاد أجزم أنهما اعتمادا على الرواية في تسجيل ما ورد في الكتابين (وما آفة الأخبار إلاَّ رُوَاتها) . ←

→ حتى تفيض في البحر بقرب خط الطول ١٥ ̄ / ٤٥° ، وخط العرض ٤٥ ̄ / ١٨° ، وامتداد وادي دَوْقة من ٣٠ ̄ / ١٨° ، إلى ٤٥ ̄ / ١٨° عرضاً وبقرب ٥٠ ̄ / ٤١° طولاً ، والوادي يقع شمال وادي الْحَسَبة (الأحسبة) وفيه قرى منها : مسيلم ومشرف ودوقة ، ومتسعُ الوادي يقع بقرب خط العرض : ٣٥ ̄ / ١٩° ، وخط الطول : ٥٨ ̄ / ٤٠° ، أما قرية دوقة فإنها تقع بقرب خط العرض : ٤٥ ̄ / ١٩° ، وخط الطول : ٥٨ ̄ / ٤٠° ، ووادي دوقة مأهول بالسكان ومشهور بزراعة الدُّخْن الجيد ، وقاعدة الوادي دوقة تبعدعن القنفذة بنحو سبعين كيلاً شمالاً ، وعن مدينة الليث بنحو تسعين كيلاً جنوبا ـ جريدة « المدينة » ٤ محرم ١٤١١ هـ ، ع ٨٤٧٢ ـ .

وكان سكان دوقة في أول القرن الرابع الهجري (الْعُبَيْدِيِّيْنَ) من بقايا جُرْهُمَ ، على ما ذكر الهمداني في « صفحة جزيرة العرب » ـ ٣٤١ ـ طبع دار اليمامة . وذكر ياقوت في « معجم البلدان » أنها كانت لغامد وسكانها الآن منهم ومن غيرهم .

(للبحث صلة) حمد الجاسر

→ وإذَا كنا قد عذرنا المؤلفينِ الكريمينِ وأمثالهما ممن تطرق لمثل هذا الموضوع باذلين الجُهد كله في وقت شَحَّتْ فيه المصادر ، وصعبت فيه الاتصالات ، فإننا لا نعذر شباب اليومِ ممن مكنت لهم الفُرص ، وفتحت أبواب العالم على مصاريعها من أن يحقق ويصحح ويدون .

أولا : كتاب « عسير» لمحمود شاكر :

وهو يحمل الرقم (١) في سلسلة «شبه جزيرة العرب» وقد طبع مراراً بنفس المحتوى والترتيب ، كان آخرها على ما أعلم طبعة عام ١٤٠١ هـ تحت إشراف وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية ، وهي لا تختلف عن ماسبقها من طبعات في شيء .

بين يديَّ طبعة المكتب الإسلامي بدمشق عام [١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦ م] وقد تحدث المؤلف عن رجال الْحَجْرِ في الفصل الرابع من الباب الثاني من صفحة ٩٧ إلى صفحة ١٠١ .

١ ـ قال المؤلف ص ٩٧ : (ويقصد برجال الْحَجْرِ خمس قبائل هي : بَالْأَحْمَر ـ وبَالْأَسْمَرِ ـ وبنوشِهْرٍ ـ وبنو عَمْرٍو ـ وبَالْقَرْنِ ـ) انتهى .

قلت : الصحيح أن رجال الحجر أربع قبائل هي بَالْأَحْمَرِ[١] وبَالْأَسْمَرِ وبنو شِهْرٍ وبنو عَمْرٍو على التوالي من الجنوب إلى الشمال أبناء الْحَجْرِ بن الْهِنْوِ بن الأزد .

أما قبيلة بَلْقَرْن وإن كانت أزديَّةً على الصحيح إلاَّ أنها تعود في عبد الله بن الأزد[٢] : أبناء عمومة للحَجْرِ بن الهنو بن الأزد .

٢ ـ عند تقدير المؤلف لعدد السكان ـ ص ١١٠ ـ لم يذكر بلقرن ضمن قبائل رجال الحجر وهو الصحيح .

٣ ـ عند الحديث عن بَلْأَسْمَر ذكر أن من أَهَمِّ أوديتهم (وادي يعا) والصحيح (عيا) بالعين المهملة ثم المثناة التحتية ثم ألف ، ولعلها من الأغلاط المطبعية الكثيرة التي وردت في الكتاب .

٤ ـ ذكر المؤلف أن وادي تَنُوْمَةَ من أشهر أودية بني شِهْرٍ ويتجه شرقاً ليرفد

واديَ تَرْجٍ وهذا صحيح إلاَّ أنه اضاف قوله (أما وادي تَنُوْمَةَ فترفده عدة أودية منها سدوان ونحْيَان ومَنعا وغيرها من الروافد) ص ٩٨ والصحيح : أن الأودية السابقة ترفد وادي تَرْجِسَ الكبير ، المؤدي إلى تَرْج على اختلاف في اتجاهاتها ومصابِّها . أما وادي تنومة فَيُرْفَدُ بفروع صغيرة لعل أهمها وادي الغر المنحدر من عقبة القامة ، ثم تفيض جميعاً في وادي ترجس فترج[٣] .

٥ - ذكر المؤلف من مرتفعات البلاد (تللحصن)[٤] في جنوب غرب النماص ص ٩٨ . ولا أعرف في المنطقة جبالاً بهذا الاسم وفي تهامة غرب الجبال السابقة أُخبَرَ بثلاثة جبال تربان ، ونهو ، وريمان .

قلت : تربان وريمان معلومان أمَّا نهو فلا أعرف جبلاً بهذا الاسم ، ولم أجده فيما تحت يدي من مصادر . وهناك جبل تَهْوِي - بتاء مفتوحة فهاء ساكنة ثم واو مكسورة فياء - يقع في تهامة شمال وادي خاط ،ولعله المقصود .

٦ - عند الحديث عن قبائل بني شِهْرٍ - ص ٩٨ ، ٩٩ - : لم يتوسع الكاتب في ذالك ، وأشار إلى بعضها سواء في السراة أو تهامة ، كما أنه لم يتبع في ذالك منهجاً واضحاً يعتمده عند ذكر القبائل من حيث مواضعها وأماكنها أو نسبها أو اتجاهاتها الاجتماعية ومنها الأحلاف . فقد مزج بين هذه جميعاً باختصار .

٧ - من قبائل بني شِهْرٍ قال : (ب - بنو القيم) ص ٩٨ والصحيح (بنو التَّيم) بالتاء لا بالقاف ولعله تطبيع .

٨ - قال المؤلف : (أما تَنُوْمَةُ فقد أصبحت مركز الإمارة عامة وهي مدينة تاريخية وقريبة من بلدة النماص وإلى الجنوب منها بحيث يمكن أن ترى منه) ص ٩٩ .

قلت : في هذا الكلام خلط غير يسير فموقع تنومة الحقيقي في باحة من الأرض ، بين عقبة آل زخران شمالاً وعقبة الدهناء جنوباً ، وما صاقبهما شرقاً وغرباً من الأرض السهلة ، ثم تجوز في مساحتها فأطلقت على أماكن واسعة شمال عقبة آل زخران من بلاد الشَّعْفَيْن ، ومركزه السبت الذي عرف بسبت ابني

العريف ثم سبت تنومة . وهي مدينة تاريخية دون شكٍّ ، ذكرها الهمداني في « صفة جزيرة العرب » في أكثر من موضع ومن ذالك قوله : (تنومة وادٍ فيه ستون قريةً أسفله لبني يسار ، وأعلاه لبلحارث بن شِهْرٍ)[٥] . وقد كانت في أيام الحكم العثماني الأخيرة ناحية تتبع (قائمقامية قضاء النَّماص)[٦]. وفي الوقت الحالي بها إمارة تراجع إمارة منطقة عسير ، وكذلك الحال في النِّمَاص وفي السَّرْوِ ، وحلباء ، ولم تكن فيها أعلم مركز الإمارة عامة كما أشار الكاتب .

وقد ذكر المؤلف أن تنومة قريبة من بلدة النماص وإلى الجنوب منها ، وهذا صحيح إلاَّ أنه لا يمكن أن ترى من بلدة النماص ، فهناك مسافة لا تقل عن خمسة أكيال تحول بين النماص وجبال الظهارة وعقبة القامة ، حيث يمكن أن تشاهد تنومة من بعض المواقع .

٩ - في ص ١٠٠ ، ذكر المؤلف قبيلة بَلْقَرْن على أنها خامسة القبائل الْحَجْرِيَّةِ وقد نبهت إلى عدم صحة هذا سابقاً .

١٠ - في ص ١٠١ رسم المؤلف خريطة توضح بلاد رجال الْحَجْرِ ، وقد ضمنها بعض المعلومات المغلوطة التي نبهنا إليها سابقاً فليلاحظ .

ثانيا : كتاب « في بلاد عسير » فؤاد حمزة :

١ - معي الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ نشر مكتبة النصر الحديثة وفي الفصل السادس من الكتاب تحدث المؤلف رحمه الله عن قبيلة رجال الْحَجْرِ بشكل مجمل ، إلاَّ أنه اتخذ في ذالك تقسيماً لم أره عند غيره ، بل هو غلط من الأغلاط الكبيرة ، حيث أفرد لقبيلة بني شِهْرٍ شرحاً على أنها ليست من رجال الْحَجْرِ .

يقول ص ١٥٧ : (يطلق اسم رجال الحجر على ثلاث قبائل تقطن السروات الواقعة بين بلاد عسير وشهران جنوباً ، وبلاد بني شِهْرٍ وبَالقَرْنِ شمالاً - وشهران شرقاً وقبائل محائل وبارق غرباً ، والقبائل الثلاث هي : بَالْأَحْمَرَ وبَالْأَسْمر وبنو عَمْرٍو) .

وفي ص ١٦٠ يقول : (قبيلة بني شهر من أهم القبائل العربية على السراة ،

ويحدُّها من الشمال : غامد وزهران وبَالْقَرْن ، ومن الجنوب : رجال الْحَجْرِ) هكذا .

قلت : والمعلوم قطعاً بلا جدال أن قبائل رجال الْحَجْرِ تضم بَلْأحْمَرِ وبَلْأسْمَرِ وبَنِي شِهْرٍ وبني عَمْرٍو ، والحديث في إثبات ذالك ضربٌ من اللهو ، بل إن قبيلة بني شِهْرٍ تكاد تكون الأسس لقبائل رجال الْحَجْرِ الأخرى . يقول الهمداني : فأول بلاد رجال الْحَجْرِ من يمانيها عِبْلٌ وادٍ فيه الْجَبل ساكنه بنو مالك بن شهر ، وباحان به القرى والزرع وساكنه بنو مالك وبنو ثعلبة وبنو نازلة من بني مالك بن شهر بن الحَجْرِ ، وأبوب وادٍ لبني الأسمر من شهر) ثم يقول : (سدوانُ وادٍ فيه قرية يقال لها رحب لبني مالك بن شهر)[٧] .

فهنا نجد تصريحاً بأن بلاد بَلأحْمَرَ وبَلأسْمَرِ تعود في مالك بن شِهْرٍ ، والأسمر بن شِهْرٍ علماً أن بني ثعلبة وبني نازلة في قبيلة بَلأحْمَرِ الآن كما أن في عبارة الهمداني تصريحاً بأن مالك هو ابن شهر بن الحجر . وتكاد تجمع كتب الأنساب على أن بني شِهْرٍ من الحجر ، ولا أرى داعياً لاستعراض ذالك لشيوعه .

٢ - يقول المؤلف ص ١٥٧ أيضاً : (وهنالك من يقول أن اسم رجال الْحَجْرِ لا يشمل غير قبيلتي بَالأحْمَرِ وبَالأسْمَر ، وأن بني عَمْرٍو ينسبون إلى الشلاوة وغيرهم) .

وفي الجزء الذي تحدث فيه عن قبيلة بني عَمْرٍو لم يذكر إلاَّ هذه القبيلة إلى الشرق من ديار بالأحمر وبالأسمر) ص ١٦٠ - وهو غلط كبير أيضاً فقبيلة بني عَمْرٍو إحدى القبائل الأربع التي تُكَوِّنُ القبيلة الأُمَّ (رجال الْحَجْرِ) كما أن ديارها تبعد عن بالأحمر وبالأسمر بمسافة كبيرة هي عرض بلاد بني شِهْرٍ من الجنوب إلى الشمال ، ولا تقع إلى الشرق من ديار بَالأسْمَرِ إطلاقاً ، وقوله : إن بني عمرو ينسبون في الشلاوة وَهْمٌ من الكاتب ، لعل مصدره عدم التحقيق والاكتفاء بالسؤال .

ملاحظــــة : يوجد فرع من قبيلة بلحارث المجاورة للطائف في شرق بلاد الْحَجْرِ وأغلبه بادية رُحَّلٌ في وادي تَرج يقول محمد بن منصور بن هاشم آل سرور في

كتابه « قبائل الطائف وأشراف الحجاز » : (وهناك قسم من قبيلة بني الحارث نزحوا واستوطنوا وادي تَرْج أحد روافد وادي بِيْشَة ، ولايزالون هناك إلى الآن ، ولهذا النزوج سبب وهو أنه حدثَتْ حَرْبٌ بين بني خالد المعروفين الآن بالشلاَوَى من بني الحارث وقد حدثت هذه الحرب بين الشيخ نجم بن صالح ، والشيخ بريمان الحنيش ، وكان من نتيجتها نزوح قوم نجم بن صالح إلى وادي تَرْج) .

وعن سبب تسميتهم بالشلاوىَ يقول : (بعد أن انتهت الحرب بين الطرفين ونزح قسم منهم إلى تَرْج سأل شخصٌ عن البقية الباقية من بني خالد ، فأجابه شخص منهم : لم يبق سوى شِلْوَةِ حَرْب ،ومن هذه الكلمة تحول اسم بني خالد إلى اسم الشلاوَى)[٨] ثم عدد المؤلف بطونهم فكانت أربعة عشر بطنا .

وزيادة في الإيضاح ، فإنه يوجد قسم من بني عَمْرٍو البدو يقال لهم بلحارث كما يرى الأستاذ عمر غرامة العمري مستدلاً بقول الشاعر الشعبي :

وأَحْمَرْ وأَسْمَرْ ثُمَّ شِهْرِي وعَمْرِيْ   وصُلبْ بَلْحَارِثْ تَرَاهُمْ عَمَارِيَه[٩]

إلاَّ أن الاستاذ عوض محمد ظافر العَمْرِي لا يتفق مع هذا الرأي في كتابه «أدب وتاريخ من بني عَمْرٍو » فقد ناقش الموضوع من زوايا مختلفة مستنداً على بعض التراث الشعبي ، وشكك في البيت السابق ، ويرى أن بلحارث ليسوا من رجال الْحَجْرِ[١٠] ، وهو يتفق في هذا مع ماسجله الاستاذ محمد بن منصور آل سرور في كتابه ونوهت عنه سابقا ويُعَضِّدُ هذا القول مابعثه أحد أبناء بلحارث من ترج إلى مجلة « العرب » س ٢٥ ص ٤١٤ ، يفيد فيه أن الحلافات ينتسبون إلى عجل بن الحارث ، ويقطنون وادي ترج ، وهو بهذا يجعلهم قبيلة مستقلة عن شمران أوغيرها .

وأعترف أن الموضوع شائك ، ويحتاج إلى بحث أوسع ، ومصادر قديمة تؤكد الحقيقة المجهولة ، مع ميلي إلى أنَّ بَلْحَارث (مدار البحث) قبيلة مستقلة بذاتها عن رجال الْحَجْرِ ، واذا كان لهم بعض الأملاك أو العلاقات الوطيدة مع بني عَمْرٍو أو غيرهم من رجال الْحَجْرِ فلطبيعة الجوار ، والظروف التي تمر بها المناطق الأهلة بالسكان ، مما يحتاج معه إلى أحلاف وإمارات ، وإذا ما أخذنا بأن

بلحارث قبيلة مستقلة بأنسابها فهناك نقطة أحب أن أنوه بها وأطلب البحث فيها من المهتمين وأبناء المنطقة وهي : إلى أي قبائل العرب ينتمي هذا الفرع ؟ إلى الحارث بن عبد الله بن يشكر الأزدي ـ أم إلى الحارث بن كعب بن عبد الله الأزدي ، أم إلى الحارث بن كعب ساكن نجران وما حولها ، أم إلى الحارث بن ربيعة كما ذكر الهمداني(١١) ، أم إلى غير هاؤلاء جميعاً، وهو موضوع جدير بالدراسة والتقصي .

٣ ـ كثرت الأغلاط المطبعية في الكتاب عند ذكر الأعلام ، وفي مايهم موضوعنا فقد بدأت مع ذكر أسماء القرى في بلاد رجال الحجر ابتداء من قبيلة بَالأَحْمَر ، وقد حصر المؤلف عدد القرى بثلاثين قرية ، والصحيح أنها أكثر من ذالك ، حيث جاوزت المئة فيما أحصاه مؤلف « بلاد رجال الحجر » وفيما هو مسجل لدى إمارات المنطقة .

وما سبق ينطبق أيضا على ماذكر بخصوص قبيلة بَالأَسْمَر ، فقد ذكر المؤلف من قراها في السراة وتهامة ثلاثاً وأربعون قرية فقط ، بصيغة الإحاطة ، علما أنها جاوزت الثلاث مئة قرية في مؤلف « بلاد رجال الحجر » إلاَّ أن بعضها صغير ويتبع قرى أخرى .

٤ ـ بعض التصحيحات عن قبيلة بني شهر : ص ١٦٠ ومابعدها :

أ ـ يقول المؤلف (ويحدها شمالاً غامد وزهران وبَالْقَرْن) والصحيح أن بلاد غامد وزهران بعيدة عن بلاد بني شِهْرٍ وبينهما مساحة كبيرة من الأرض تقطنها قبائل من بَلْقَرْن وخَثْعَمْ وشِمْران .

ب ـ يقول المؤلف (ومن الجنوب: رجال الحجر) ـ وقد سبق تبيان غلطه هذا وأن القبيلة جزء من رجال الحجر ، وعلى هذا تكون قبيلة بالأسمر في حدودها الجنوبية .

ج ـ النحاص : والصحيح النماص بالميم . ولعله تطبيع .

د ـ قال المؤلف (وكانت القبيلة وقتاً ما تابعة للسيد محمد على الإدريسي) قلت : كان مستوى التبعية ارتجاليًا لعدم وجود القوة السياسية الكافية لإرغام كافة القبيلة على الولاء له أو لغيره وذلك بسبب الظروف التي مرت بها بلادنا في كل مكان .

هـ - قسم المؤلف القبيلة حسب الأحلاف أولاً إلى سلامان وبني أثلة ، وعزا ذالك إلى الإدريسي . والصحيح أن سلامان وبني أثلة موجودان قبل الإدريسي بمئات السنين ، وإن كنت لا أستبعد أن الإدريسي حاول أن يستغل العصبية التي توفرت في تلك الفترة فَأَجَّجَها - وكبار المسنين في المنطقة يتداولون مثل هذا الكلام .

ثم ذكر المؤلف أن هذا التقسيم (قد أُلغِيَ . . . وعادت التقسيمات إلى ما كانت عليه من قبل تبعا للعنعنات التي ورثتها القبيلة) .

وعدد الأقسام فكانت كما يلي :

١ - شهرة الأمين أو الكلاثمة :

الصحيح شِهْر ثَرامِينَ ، ولا داعي لقوله (أو الكلاثمة) لأن الكلاثمة بطن من قسم شهر ثرامين كالبطون الاخرى وليس قسماً مستقلاً .

٢ - العوامر : وينضوي تحتها من البطون :

بنوسعد : (بنو مشهور - كنانة) .

بنو عبد : (دحيم [آل بهيش . آل النهي . آل القرى] - بلحصين - بنولام) .

علما أن بعض سكان هذه البطون تبعد عن القسم الأصلي وتجاور قسماً آخر ، وهذا ما جعل المؤلف يخطِئُ عند ذكره الأفخاذ التابعة للقسم ، كما أنه لم يفرق بين القرية والقبيلة .

٣ - بلحارث . والبطون التي ذكرها المؤلف في هذا القسم قريبة من الصواب على اختلاف في ذلك .

٤ - بنو التيم . البطون التي ذكرها المؤلف هنا صحيحة .

وقد حاول الأستاذ فؤاد حمزة - رحمه الله - أن يذكر بعض الأتباع لهذه الأقسام الأربعة في تهامة . ولا يوجد فيما أعلم حاليا من يستطيع ربط القبائل الشهرية في تهامة بأخواتها في السراة نسباً ، اللهم إلّا فيما قل مثل (الأفاقة) ؟ التابعين لبني مشهور ، أما الأغلبية فهو ارتباط حلف ومعاضدة على ما يبدو - انتشرت بالتساوي من الأقسام كافّة ، والمثل المحليُّ يقول : (كُلُّ حَزِّيٍّ لَهُ تِهَامِيٌّ) يدل على شيء من

هذا القبيل ، والْحَزِّيُّ هو ساكن السراة .

تعقيب : قال المؤلف قبل ذكره قبائل بني شِهْرٍ ، أو ما يسمى بالمحلية (الأرباع جمع رَبع لأن كل جزء يعد ربع القبيلة) قال : إن التقسيم الذي بينه سابقاً وقد بُنِيَ على الأحلاف إلى سلامان وبني أُثْلَة ، قد أُلْغِي ، وعادت التقسيمات إلى ما كانت عليه من قبل تبعا للعنعنات التي ورثتها القبيلة .

والصحيح - أن التقسيم لم يبق على عنعنات ، بل هو تقسيم نسب ، كما أنه لم يترك سابقا حتى تعود إليه القبيلة مرة أخرى ، وقد كان أفراد (الجهادية) المنتدبين من القبيلة يخرجون حسب النسب ، معتمدين في ذالك على كثافة هذا البطن السكانية أو عدمه - لأن الحرب كانت تهم القبيلة كافَّةً ، وتقابل فيها معتدياً خارج بلادها ، أما إذا كانت الحرب داخل القبيلة فإننا سرعان ما نجد العصبية والحمية الجاهلية ، إما إلى سلامان وإما إلى بني أثلة ، ونحمد الله كثيراً على أن هذه الأمور المنكرة قد زالت وإلى الأبد إن شاء الله تعالى .

و- قال المؤلف ص ١٦٢ : (وللقبيلة فريقان آخران يتبعانها) وذكر (١) شهر الشام ويتبعها بنو ثابت ، وبنو الأوس وأهل القبل . (٢) قبيلة ثريان .

قلت : إذا كنا قد قسمنا القبيلة حسب الحلف والتعصب ثم رأينا أقسامها الأربعة حسب النسب فإنه بالإمكان تقسيمها حسب المواقع والأماكن (جغرافية الأرض) وهذا التقسيم يمزج بين القسمين السابقين ، فلا تتضح معه الأصول العرقية ، أو الولاءات القبلية ، وهو أمر عرض عند أغلب قبائل الحجاز والسروات ، مثل ربيعة اليمن وربيعة الشام ، إشارة إلى الشمال والجنوب فقط ، وقد وُجِدَ أيضاً شهر الشام وشهر اليمن - عمرو الشام وعمرو اليمن وكذالك هذيل الشام وهذيل اليمن المجاورين لمكة .

وبالنسبة لقبيلة بني شِهْرٍ فكل ما كان شمالاً عن مركز القبيلة في النِّماص فهو من شهر الشام وما كان جنوبياً فهو من شهر اليمن - وتبعا لذالك فكل بطن يسكن بقعة من الأرض بل كل قرية لها مما يواليها أما إلى الشام أو إلى اليمن .

وسبب ذيوع شهر الشام وماضم من أفخاذ ذكرها المؤلف - كونه على أطراف

القبيلة الشمالية ، وهذه الأفخاذ هي في الأصل من أرباع القبيلة ، وتعود إليها نسباً . وقد وجدوا في هذه البقعة من أرض رجال الْحَجْرِ لسبب طبيعي ، وهو التمدد والتكاثر الذي حصل في فترة سابقة ، مما أدى إلى انفصال أرضهم نسبيا عن بطونهم ، ولا غضاضة بل هو شيء مألوف ، أن تجد قرية تبعد مسافات ليست بالقليلة تتبع قبيلتها وترتبط بها ، رغم وجود قبيلة أو بطن مجاور لها ومدار ذالك النسب .

وقد ساعد في استقلالية أفخاذ شهر الشام (بنو ثابت وبنو أوس والقبائل) كثرة قراهم وتقاربها ـ حتى ظنها بعض الدارسين قسماً مستقلاً بذاته داخل القبيلة ومن هاؤلاء الأستاذ عمر غرامة الْعَمْرِي الذي جعل بني شهر السراة خمسة أقسام(١٢) هم :

١ ـ بنو التيم . ٢ ـ بلحارث . ٣ ـ شهر ثرامين . ٤ ـ شهر الشام . ٥ ـ العوامر .

والصحيح ماذكرنا أن عشائر شهر الشام تتبع بطونها كمايلي :

١ ـ بنو ثابت ، يعودون في آل بُرَيَّاع وبالتالي في شهر ثرامين ، ولا أستبعد أن هذا القسم قد دخله بعض العشائر حِلْفاً ، ولا زال الموضوع يحتاج إلى دراسة أوسع .

٢ ـ بنو الأوس ـ وتلفظ محليا بتسهيل الهمزة (بنو يُوسْ) وهم يعودون في بَلْحَارث .

٣ ـ أهل القبل وهم (بنوهاشم) العائدون في بني بكر، من شهر ثرامين .

وعليه فلا يوجد في قبيلة بني شهر السراة إلاَّ الأقسام الأَربعة التي ذكرناها فيما سبق ، وما عرف من تفريعات أخرى فلأسباب جغرافية أو حلفية أو غيرهما .

قبيلة ثربان : هم من تهامة بني شهر ، ولكثرة قراهم التي تجاوز الثلاثين فقد عدهم المؤلف فريقاً بَنَى عليه تقسيمه الذي رأيناه سابقاً . والصحيح أنهم كغيرهم من عشائر القبيلة القاطنة في سفوح السراة الغربية (تسمى محليا الصُّدْر) وفي تهامة ويعودون للقبيلة الأم نسباً وحلفاً في تفريعات عديدة . والمهم أن هذا المزج في التقسيم بَعُدَ عن الصواب ، لعدم تبيان المنهج الذي سار عليه المؤلف .

ز ـ أفاد المؤلف أن قرى القبيلة تزيد على المئة وذكر منها (١٠٣) المتور(؟) أغلبها أخطاء لعل بعضها مطبعي .

قلت : عدد قرى القبيلة في تهامة والسراة يجاوز أربعة أضعاف العدد الذي دونه المؤلف ، وسأراجع هنا بعض القرى التي ذكرها فقط وأرى أنها تحتاج إلى تصويب .

١ ـ التهامي ـ يوجد في قبيلة بالاحمر قرية تسمى آل تمام ولا أعرف في بني شهر قرية بهذا الاسم .

٢ ـ السنظوف ـ الصحيح الشنظوف بالشين المعجمة .

٣ ـ النصاب ـ الصحيح الأنصاب وتلفظ محليا (لَنْصَاب) .

٤ ـ الصمدة ـ يوجد أماكن عديدة بهذا اللفظ (ليست قرى) إلاّ أنني لا أعرف قرية بهذا الاسم ، ولعلها (الصدة) .

٥ ـ سدومة ـ لا أعرفها ولعلها (آل سودة) .

٦ ـ خصيري ـ الصحيح آل خضير .

٧ ـ آل حفس ـ لعلها آل حلس .

٨ ـ ربع هزاع ـ لا أعرفها قرية بهذا الاسم ، والاسم يدل على أنه علم على عائلة ، فالربع هم الأهل أو الأصحاب .

٩ ـ ما ولد على ـ ؟

١٠ ـ السوق ـ ليست اسم علم على قرية ، بل اسم لأيِّ مكان يقام فيه السوق ويعتاده السكان .

١١ ـ القرعة (بالقاف) ـ الصحيح الفرعة بالموحدة ويوجد أكثر من قرية بهذا الاسم مثل فرعة قريش ، فرعة نحيان ، وتعرف بالفرعة ، فرعة سلامان .

١٢ ـ آل محمد ـ؟ ربما آل يحمد .

١٣ ـ حبى (بالموحدة التحتية) الصحيح آل حيي بالمثناة من قرى بني مشهور .

١٤ ـ القلت ـ الصحيح آل انفلت .

١٥ ـ مجاوب ـ آل مجادب وتلفظ محليا (آل ميادب) .

١٦ ـ محذل (بالمعجمة) ـ الصحيح آل محدل (بالمهملة) .

١٧ ـ العامسة ـ الصحيح العامشة (بالمعجمة) .
١٨ ـ العرف (بالموحدة) ـ الصحيح العرق بالمثناة .
١٩ ـ اللهبة ـ؟ ربما لحبى .
٢٠ ـ الميغى (بالغين) ـ الصحيح الميفى (بالفاء) .
٢١ ـ منعا المجدل ـ لا أعرف قرية بهذا الاسم ويوجد مرتفع من الأرض شمال تنومة يسمى (منعاء) يضم بعض القرى .
٢٢ ـ الطرف (بالراء) ـ من قرى بالاسمر . بالواو ـ الطوف ـ من قرى تهامة بني شهر .
٢٣ ـ شرى ـ؟ ٢٤ ـ الحلاة ـ ذو الحلاه .
٢٥ ـ جرادة ـ آل بن جرادة ، (وتلفظ محليا آل بن يرادة) .
٢٦ ـ آل ذخران ـ آل زخران . ٢٧ ـ عصيين ـ ؟
٢٨ ـ الأحض ـ الصحيح الدحض .
٢٩ ـ قويس (بالمثناة) ـ الصحيح آل فويس (بالموحدة) .
٣٠ ـ الدهمان ـ آل دهمان . ٣١ ـ العوصا ـ العوصاء .
٣٢ ـ جار ـ في بني عمرو آل جاره (الجاره) . وفي العوامر من بني شهر آل جبار .
٣٣ ـ فيلته ـ الصحيح آل فليتة . ٣٤ ـ الدهنا ـ الدهناء .
٣٥ ـ الفذال ـ (بالفاء) ـ القذال (بالقاف) .
٣٦ ـ عطية ـ لا أذكر قرية بهذا الاسم ، مع وجود قرية تسمى آل عطيفة . واخرى آل عظية (بالمعجمة) لعل أحدهما المقصود .
٣٧ ـ مجيرة ـ لعل المقصود آل جميرة (وتلفظ محليا بقلب الجيم ياء آل يميرة) .
٣٨ ـ الشبرقة ـ توجد قرية الشبارق لكنها من قرى بني عمرو .
٣٩ ـ الحباوة ـ؟ من قرى تهامة (الحبوة) .
٤٠ ـ أريامة ـ الرجامة (وتلفظ محليا الريامة) .
٤١ ـ لجج ـ؟ لا أعرف قرية في بني شهر بهذا الاسم . ولكنه يوجد قرية في بالاحمر تسمى لجم أحببت ذكرها للعلم .

وبعد : فمهما يكن فالمؤلف معذور مشكور على جهده ـ إلاّ أن لي رجاء أخيرا

من تاريخ الدولة السعودية الأولى
في المؤلفات اليمنية

- ٣ -

سنة ١٢١١هـ : وفيها سَار حَجُّ اليمن مع أميرهم محمد بن حسين الكِبْسِيِّ، وعدلوا عن طريقهم المعتادة، وساروا نحو الساحل، وسألوا الإمام كتاباً إلى حمود ابن محمد أبو مسمار، وكان يومئذ مُتَوَلِّياً أَمْرَ الديار الساحلية قائماً بأبِـي عَرِيش، ←

→ وهو أن يعرض الكتاب ، فيما لو قدر له الطبع مرةأخرى على أحد المحققين المتخصصين ليجلو كثيراً مما ران على محتواه بشكل عام ، والله الموفق والمعين .

الرياض : محمد بن ظافر بن عساف

الهوامش :

(١) أختلف في رسم الكلمات التي يدخل عليها حرف الباء بمعنى (بني) ففي بني الأحمر مثلاً كتبت بالأحمر مرة ومرة باللحمر وأخرى بللحمر وأراها بلاحمر ومثلها بلاسمر وماشابهها بحذف همزة التعريف فقط ، وقد وجدت قديماً يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

لما رأى بدراً تسيل جلاهه ... بكتيبة خضراء من بَلْخَزْرج

يعني بني الخزرج . (ج[٤] «سيرة ابن هشام» ص ٢٣) .

وورد عند الهمداني بلحارث في بني الحارث أنظر مثلاً ص ٢٥٤ ـ « صفة جزيرة العرب» .

(٢) على ما ورد في كتاب «نسب عدنان وقحطان» للمبرد ص ٤٦ وكتاب « نسب معد واليمن الكبير» ج[٢] ص ١٨٩ لابن الكلبي وغيرهما وفي « قمع المتجري على أولاد الشيخ بكري» لعاكش قرن بني علك بن عدنان بن عبد الله بن (الأزد) .

(٣) أنظر تفصيل ذالك في فصل «الأودية في السراة» من كتاب «بلاد رجال الحجر» لعمر غرامة الْعَمْري . ص ١٣ ومابعدها .

(٤) رسمها هكذا بتشديد اللام الثانية مع سكون الحاء المهملة ثم الصاد المهملة أيضاً .

(٥) «صفة جزيرة العرب» ـ ص ٢٦١ (٦) انظر الوثيقة الدالة على ذلك ص ٨٤٣.

(٧) «صفة جزيرة العرب» ـ ص ٢٦١

(٨) «قبائل الطائف وأشراف الحجاز» ـ ص ١٥٤، ١٥٥ ـ .

(٩) «بلاد رجال الحجر» ـ ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

(١٠) «أدب وتاريخ من بني عمرو» ـ ص ٣٧ ـ ومابعدها .

(١١) «صفة جزيرة العرب» ـ ص ٢٦٢ ـ .

(١٢) «بلاد رجال الحجر» ـ ص ١٠٢ ـ .

← ولما واجهوه [ألقَوْ إليه كتاب] الإمام، فأَجَلَّهُ، ووجَّه به يحيى بن حيدر، فسار معهم إلى مُتَوَلّي صَبْيَا منصور بن ناصر، يأمره أن يُسَيِّرَهُمْ في الحفظ فَأَجَلَّه منصور ووجه معهم يحيى بن حَيْدر بكتاب من منصور، إلى أمير دَرْبِ بنِـي شُعْبَةَ عَرَار - بمهملات - ابن شار - بمُعْجَمة فألف فراء - فسار إليه وهو بالشُّقَيْقِ، فتلقَّاهم عَرَارُ هنالِك في أربعة عشر فارِساً، وبعث بهم مع عَبْد من عبيده تحت الحفظ، وبلَغ بهم حَلْيَ بْن يعقوب، كلُّ ذالك خوفاً من جماعة الْمُوْهِبَةِ أن يستبيحوهم، وكان قدْ فَشا الأَمْرُ، وسارت الدعوةُ شرقاً وغَرباً، ونَمَى أَمْرُ عبدالعزيز بالحجاز، وشهران، وآل تاجر، والجحادِرة وبني سَعْد، والأَكْلُب، وآل السيَّار، وقد قدَّمْنَا ماكان من قبائل الأكلب وآل السيَّار مع صاحب اليمن في عام ست وتسعين، وكَيْفَ آلَ أمرُ حجاج اليمن معهم، وأنهم عدلوا عن سلوكِ تلك الديار إلى تهامة الحجاز خوفاً منهم وفَصَّلْنَاهُ.

سنة ١٢١١هـ : - وفي هذا العام - أو الذي قبله - مالَ أبو نُقْطَةَ مُتَوَلِّي عَسِير إلى داعي عبدالعزيز، فأجابَه، وحَرَّضَ النَّاسَ على الطاعة، والدخولِ مع الجماعة، وأقام شرع الفتنة، وشرع شعار المِحْنَةِ، وصال وجال، على القبائل في جميع الأحوال، ولم يُبَاشِرْ محادداً، ولا تَعَدَّى حَدًّا خلاً أنه كان يبعث بالرسائل إلى سائر القبائل مُرْعِباً لهم، وواعِداً بالخير، مُمَنِّياً بالغنَى والظفر بالمشتهى النفساني، مُحَرِّضاً على الإجابة، وكان قَدْ شارَفَ على شَيْءٍ مـمَّا تناقله النجديُّون عن فضلائهم، - وسيأتي بعد هذا العام صِفَةُ الدرس الذي كان يُمْليه على القوم، صباح كل يوم، وسننقله بألفاظه، لِيُعْرَفَ حُسْنُ المسلك، وهو دُعَاءُ حَقٍّ، إنْ لم يُرِدْ به باطلاً والله المستعان.

إضافة:

١ ــ أبو نقطة هو محمد بن عامر، أما أخوه عبدالوهاب صاحب المواقف المشهورة في مناصرة الدعوة فإنه لم يتولَّ الإمارة إلا بعد وفاة أخيه محمد سنة ١٢١٥هـ.

٢ ــ قام أبو نقطة بنَشر الدعوة الإصلاحيَّة للرجوع إلى تعاليم الدين الصحيحة المستقاة من منابعها الصافية كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وماكان عليه السلف الصالح، لا لإثارة فتنة ولا لمناصرة باطِل، والمؤرخ اليمني كعادة أمثاله من المؤرخين المتزلفين بما يكتبون إلى حكامِهم.

سنة ١٢١٢هـ : ـ وفي هذا العام انْشَرَحَ صَدْرُ أبي نُقْطَةَ صاحبُ عَسِيْر بسلوك طريقة عبدالعزيز النجديّ، ووقَرَ في صدره مادعاه إليه، بعد أنْ عَرَفَ أحواله، وقصد دياره، وكان مهضومَ الجَنَاب في قومه، فمازال يَعِدُهُ الخَيْرَ والولايةَ على دياره، ثم بدا له أنْ يَبْعَثَهُ عليهم، فطلبه إليه، فسار عن اخْتيارٍ، وقد كانت بينهم وبين عبدالعزيز مَلاَحِمُ يُجَهِّزُ عليهم فيها سالمَ بنَ شُكْبان، وابن قَرْملة، ورُبَيِّعٌ وابن قفلة، وكانت عسيرُ تجمع قبائلها فتُصَاولهم، وجرت بينهم وبين قبائلِ شَهْرَانَ ورُفَيْدَة وعَبِيْدَةَ عداواتٌ وتَخَطُّفَات، وآل أمرُهُمْ معه إلى الدخولِ في فريقٍ يسيرٍ من عسير، إلى حضرة عبدالعزيز، فبايعه أبُو نُقْطة، ورَغِبَ في اتِّباعه، وعاد بقومه إلى محله، ولم تكنِ الأيْدِي قد تَغَلَّبَتْ على شيْءٍ من بلادِ عَسِير، فلذا كانوا مجبورين، مُصَانةٌ أموالهم ودماؤهم.

وسأله كتاباً فيه تعليم الناس أمْرَ الاعتقاد، وما الذي يدفع عنهم الإلْحاد، وقد نقلنا ذالك برمته، وإن كنا لم نطلع على أصل مكتوبه، غير أنه كان يَصل إلينا عالم من أؤلئك فيخبرون أنَّ أبَا نَقْطَةَ كان يَقْعُدُ عند صباح كل يوم، فتحضر القبائلُ والرؤساء، والفقهاء، وأهْلُ الأعمال، فيسمعون منه ماكان يتلوه عليهم مَن الْوِرْدِ الذي يسمونه الدرس، ويتحفظه السامع فلم يبق في دياره كبير ولا صغير، رجل وامرأة حُرٌّ أو عَبْدٌ إلا وحفظه وعرضه عليه، وسارع بقلبه الفارغ إليه، وهذا لفظه: **بسم الله الرحمن الرحيم، اعلموا رحمكم الله تعالى أن هذه المقدمة والأربع القواعد.**

[ثم ساق نص رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب «القواعد الأربع في التوحيد» ـ إلى ص ٣٣٤].

إضافة:

١ ـ (رُبَيِّع وابن قفلة) كذا في إحدى المخطوطتين، وفي الثانية (رُبَيِّع بن قفلة) ورُبَيِّع هو ابن زيد.

٢ ـ تقدمت الإشارة إلى أن عبدالوهاب بن عامر (أبو نقطة) لم يَلِ إمارة عسير إلى سنة ١٢١٥ ـ على ماذكر مؤرخو بلاد عسير، والمؤرخ اليمني يَبْدُو أنه غير دقيق في تحديد السنوات.

٣ ـ لإدراك حقيقة تأثر بلاد عسير وتهامة بالدعوة الإصلاحية يحسن الرجوع إلى مؤلف الدكتور عبدالله أبو داهش «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب».

سنة ١٢١٢هـ : ـ وفيها انعقدَ الصُّلْحُ بين غالب وبين الشيخ عبدالعزيز أنه لاّ يَتَعدَّى مَنْ وَرَدَ مِنْ نَجْدٍ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِراً فاشْتَرَطَ عليهم الإتاوة، تُحْمَلُ إليه في كل عام، حَجَّ أولادُه أوْ لَمْ يَحُجُّوا، وتحكَّم في ذالك، وطلب ثلاثين أَلْفَ مَحْبُوب ذَهَباً، فأنكر عليه عبدالعزيز ذالك المطلوب، وأبى، ومازال البريد يروح ويَغْدُوْ في ذالك، حتى استقرَّ على خمسة عشر ألف محبوب، فكانت تُحْمَلُ إليهِ في كل عام، وربما حج سعود، ولاقى غالبَ بْنَ مساعد، وأعطاه ذَالك، وزاده هَدَاياً وتُحفاً، ودام ذالك حتى كان ما فصلناه لك عام سبع عشرة وسيأتي قريباً.

إضافة:

جرى بين الشريف غالب وبين الدولة السعودية في ذالك العهد كثير من المناوشات فصلها ابن عبدالشكور في كتابه عن الأشراف، ثم نقلها دحلان في «خلاصة الكلام» وذكر بعضها صاحب «عنوان المجد».

سنة ١٢١٢هـ : وفيها وصلتِ الأخبارُ بصلاح طريق حاجِّ اليمن، بسبب صاحب نَجْدٍ، واشتهر بين الناس أَنَّ أَهْلَ الْحجاز تَشرَّعوا، وتَرَكُوْا كثيراً من منكراتهم، ولزموا الأمانة، وتظهروا بالديانة، وأقاموا الصلاة، وآتَوُا الزكاة، وهجروا الزنا والربا، وكانوا من قبلُ لا يدينون دين الحق، يتحدث عنهم الحاجُّ بكل مكروه ذي اعوجاج.

إضافة:

وصف أهل الحجاز عامَّةً بتلك الصفات فيه مجازفة، وظلم، وعدم إنصاف، فهم كغيرهم فيهم.. وفيهم..

سنة ١٢١٢هـ : ـ وفي آخرها ـ أو في آخر التي بعدها ـ سار الأميرُ رُبَيِّعُ كبيرُ سَنْحَان الشام، وشُرَيْفٍ، قاصداً لِوَادِعَة الحجازِ قبيلة تَنْتسب إلى نَجْرانَ، متوسطة بين قراض(؟) والعُجْمان وبني قطابز(؟) والرئيس بها يومئذ علي بن مسفر، فبغته الخبر بِمَسير الأميرِ رُبَيِّعٍ داعيةِ عبدالعزيز إليه، ووردتْ بعد هذا كُتُبٌ منه، يطلب منه الدخولَ في الدين، ويرميه بعَمل المشركين، فأهمل الجواب، وتنكَّبَ عن الصواب، فَفَاجأتْهُ العيون مفصحة بما قَدْ توجه إليه من الجنود الواسعة، فاستدعَى العُجْمَان وآلَ مُرَّةَ، وسائرَ القبائل المحاددين له و[أكثر] هذه

القبائل في بيوت الشعر ، يتّبعون الغيث، فتثاقلوا عنه، فخرج في جماعة يسيرة، فاستنجد ببني مالك، واستصرخ في كليب(؟) فكانت قد وصلت رسلُهُ أولاً إلى مقدَّر بن منصر بن جعفر، وولد أخيه شاغب بن محمد بن منصر ، وهما كَبِيرا قبيلة مالك، فخِذٌ مِنْ سحّار ، فأجاباه بالإعانة على شروط لا يحتملها، وبعث إلى رئيس كليب حسين بن قاسم، فأحال أمره على الحسين بن علي، متولّي صَعْدَة، فقصده علي بن مسفر ، وبثّ عليه ماقد بلغه عن مسير الأمير رُبَيِّع إليه، وأفصح له بما قاد من الجنود بين يديه، فأجابه إلى السير معه، وسار في ألف مقاتل من سحار، وخرج بهم قاصداً بلاد وادِعة، مما تحوزه ولاية علي بن مسفر، طمعاً في حفظها وتنفيراً لمن قصدها، وكان علي بن مسفر قد سار قاصِداً لِدِياره قبل مسيرة الحسين بن علي، خوفاً من هجوم النجديين عليها، فوصل إليه الحسين بن علي فيمن صحبه من جيش سحار، فأنزلهم بالبيوت المنيعة، والحصون الرفيعة، وأجْرى لهم الأرزاقَ مُتَحبِّباً لوصول الأمير رُبَيِّع ففاجأه بجيش جرار، قد ملأ بالنجود النُّجودَ والأغوار، فبرز القوم للمصافّ، ورتَّبُوا البيوت والدروب، فزحف الأمير رُبَيِّعٌ بجيشه فانكسر مركزُ علي بن مسفر، وفرَّ بمن معه إلى البيوت والمعاقل، فانحصروا بها أياماً، ثم بعثوا إلى الأمير رُبَيِّع يسألونه المسالَمَة، فأبى إلا أنْ يتسلموا إلى أيدي المسلمين، في سلاحهم وكراعهم، وينزلوا على حكمه، فقالوا: على أن تعاهِدَ ٱلْأَغْذَرَ وَٱلْأَخْدَاعَ، فعاهدهم على ذالك فخرجوا إليه، فقضى برجوع الحسين بن علي إلى دياره، ويترك علي بن مسفر على حكمه واختياره، فكان ذالك، ورجع الحسين بن علي في جيش سحار، لم يَقْضُوا بعضاً من الأوطار، ولا وَقَعُوا على شيْءٍ من الانتصار ، فلما ولّى دعا علي بن مسفر إليه، وطلب منه المعاهدة لعبدالعزيز، والدخُولَ تحت طاعته، وقال له: والله إنْ عُدتَّ إلى ما حدَّثْتَ به نفسك من قبلُ لأَقْطَعَنَّ رأسَك بسيفي هذا، وسلَّهُ بين يديه، فطلب منه المُهْلَةَ حتى يُشاوِرَ عُقَلَاء قومه، فأسعفه، فانخزل مناجِياً لهم، فأَذْعَنُوا بالطاعة، ومتابعةِ الجماعة، فعادَ إليه مُعَاهِداً، فألزمه وقومه مَحْوَ الاعتقاد في المقبورين وَمَشاهِدِهم، وإخلاصَ العبادة لله تعالى، والدعاءَ له وحده، وأن يجمع الناسَ على الصلاةِ في وقتها، فإنْ تخلّفَ مُتَخَلِّفٌ إلا لِعُذْرٍ نَكَّلَهُ وأَدَّبَهُ بالمال، وأمره

بنو خالد: فروعها وبلادها

- ٢ -

آل داغر: في القرائن من آل بلهيد من الدعوم من بني خالد.

آل دايل: في قرية المقدام والهفوف بالأحساء . يعدون من أعيان ووجهاء البلد، منهم رجال أعمال ومنهم العمدة عبدالله بن فراج بن وحير بن فراج بن وحير بن عبدالمحسن بن العاصي بن محمد بن دايل الخالدي، وهم أمراء فخذ السحبان من السحبان من بني خالد.

الدُبيخي: - بضم الدال المهملة - في القصيم وبريدة والقويع، منهم أمير القويع، وفيهم علماء وأعيان كرئيس النواب في الدمام من الخويطر من الجناح من بني خالد. ←

→ بإجابة عبدالعزيز إلى الجهاد، والسمع والطاعة في المَنْشَطِ والْمَكْرَهِ، وسَوْقِ الرُّبُعِ من الزكاة إلى مُصَدِّقِهِ، فأذْعَنَ لذالك، فتحوّل عنه إلى محل غير بعيد، وأرسَلَ جماعة يحلقون رؤوس أصحابه، ويأمرونهم بالغسل، وتطهير الأبدان من لوث الشرك، ففعلوا، فسار عنهم غيرَ بعيد، وبعث عيوناً عليهم، فعادُوا فأَخْبَرُوهُ بما يريد، ثم لم ينشب أن جاءه خبر علي بن مسفر بأنه قد حادَ، وَأَلْحَدَ، فعاد ثانيةً، وأرسل إلى مشهور بن كعبان: اني مؤمرك على أولئك، ومنفذٌ حكمك على علي بن مسفر في جميع المسالك، وكان مشهور في أقصى حدود وَادِعَة، فطمحتْ نفسُهُ لذالك، فسار إليه وقد أرعد وأبرق، وألهب بالخوف وادِعَةَ فأحْرَقَ وأغْرَق، ومازال مُفَاشِلاً لهم، غير أنهم كانوا إلى طاعة علي بن مسفر أرغب، فحذروه الخلاف، واجتمعوا به، وسألوه طلبَ البقاء على الرياسة بتجديد العهد مع رُبَيِّعٍ، وتكذيب النَّاقِل إليه، واستقرَّ بِذالك الأمر، حتى كان عام خمس عشرة، وقصده رُبَيِّعٌ لَـمَّا تواترت عنده الأخبار بأنه قد عَافَنَ، ونقض العهد، فسار إليه - وسيمر بك ماكان من أمره -.

(للبحث صلة)

آل دحيم: في حريملاء . من آل ذيب من الصالح من المقدام من بني خالد.

آل دخيل : في البرة وغيرها. من الماجد من الصبيح من بني خالد.

الدخيل : في المريديسية من الدعوم من بني خالد.

الدرع : في الجوف، ويتفرعون إلى الراشد والمرشد. من آل جناح من بني خالد.

آل درعان : في الجوف من ذرية مبارك بن فرقاص، منهم أسد كبيريت، ودخيل، وصنيتان ويرأسهم الآن صالح بن عبدالله الدرعان. من العلي القرشة من بني خالد.

الدعمي : في بريدة. من الدعوم من بني خالد.

الدعــوم : أحد البطون الرئيسة من بني خالد وأشهر الفخوذ التي تنتمي لهذا البطن هم: البلهيد والسيايرة وفيهم إمارة هذا البطن ونخوتهم هبس وهباس ووسمهم المغزل وأحياناً البرثن وغيره.

آل دعيــج : في قرية الجشة بالأحساء وهم من أعيان البلد والعمدة منهم. من الجبور من بني خالد.

الدعيــرم : في الجفارة والقويعية. من آل جناح من بني خالد.

الدعيفـس : في عنك. من المخاصم من الصبيح من بني خالد.

الدغيــم : في عنك. من الصبيح من بني خالد.

الدفــاع : في عنيزة، فيهم أدباء وعلماء ورجال أعمال وأعيان. من الصيخان من آل جناح من بني خالد .

الدلاها : في عنك ـ واحدهم (دليهي). من المخاصم من الصبيح من بني خالد .

الدماشـا : في عنيزة ـ واحدهم (دمشي). من الخويطر من آل جناح من بني خالد.

آل دمـخ : في نعجان بالخرج. من الشبلة من بني خالد.

آل دندس بن دايس: في الجوف. من آل مطر من بني خالد.

آل دوغان : في الأحساء ، منهم الزبير ، وذالك لأن زبير بن سالم بن علي بن دوغان. من المهاشير من بني خالد.

آل دوغـــان : في الجوف. من آل علي من بني خالد .

آل ذراع : في عنك . فيهم رجال أعمال ومنهم الشيخ سعود بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن محمد بن سعود بن سعود الحسن، ممن رجعت إليهم عند كتابة هذا البحث . من الحسن من العماير من بني خالد.

الـذواودة : في المنطقة الشرقية والجسرة والحد بالبحرين ورأس الرمان. من الفخوذ الرئيسة عاصر أميرهم عبدالله بن عيسى مؤلف كتاب «دليل الخليج» وأميرهم في البحرين الآن الشيخ محمد بن هلال بن عبدالله بن عيسى الذَّوَّاوِدَة، يشتركون مع الحسن من العماير في نخوتهم ووسمهم. من العماير من بني خالد.

الذهـــلان : في الرياض. منهم عالم ومفتي نجد في زمانه الشيخ عبدالله بن ذهلان - رحمه الله - وهم بيت علم. من السحبان من بني خالد.

آل ذيـــب : في حريملاء والصفرة والرياض. قدم جدهم من الأحساء في أوائل القرن الثالث عشر الهجري إلى حريملاء ، ومنها تفرقوا ، وينقسمون إلى الدحيم والمهنا ، ومنهم الشيخ ناصر بن حمد بن ناصر بن محمد بن حمد بن عبدالله الملقب أبو ذيب. من الصالح من المقدام من بني خالد.

آل راون : في عنك والكويت. يعرفون أحياناً بـ (الخزور) أميرهم الذي عاصر مؤلف كتاب «دليل الخليج» عدوان بن ناصر ، والآن عبدالله بن ناصر بن عدوان ابن ناصر ووسمهم مطرق على حلقة. فخذ رئيسي من العماير من بني خالد.

آل راشـــد : في القرائن. بنو عم للعمار في القرائن، قدموا جميعاً في منتصف القرن الثاني عشر الهجري من النقرة بالأحساء إلى القصب ولم يستقروا بها ، ثم إلى القرائن، ومنهم الشيخ سعد بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن راشد. من آل غرير من آل حُميد - بضم الحاء - من بني خالد .

آل راشد (الحُميد) : في بريدة وفي الرياض. يعرفون بالراشد الحُميد شهرة لهم، منهم وجهاء ورجال أعمال بارزين، ويتفرعون إلى أسر عديدة وهم أصحاب مزارع الدغمانيات المشهورة بالقصيم ، استقروا في بريدة منذ منتصف القرن الثاني عشر ويعدون الآن فخذاً مستقلاً منهم أمير الصباخ في بريدة فهد بن عبدالله الراشد. من آل حُميد - بضم الحاء - من بني خالد .

الربـــدي : بنو عم المكتوم. في بريدة والرياض وغيرهما. يتفرعون إلى آل إبراهيم وآل عبدالله وآل عبدالرحمن أبناء محمد بن عبدالرحمن الربدى ، انتقل إبراهيم وعبدالرحمن من عنيزة إلى بريدة ولحق بهم بعد ذالك ذرية عبدالله وهم من أشهر الأسر في بريدة، فيهم وجهاء ورجال أعمال وأعيان ويعدون من أغنى أسر بريدة في الماضي. من آل جناح من بني خالد.

الربيعــي : في عنيزة. منهم الشاعر عبدالرحمن الربيعي المتوفى سنة ١٤٠١هـ. من آل جناح من بني خالد.

آل ربيـــق : في رغبة ــ كانوا أمراءَهَا إلى وقت قريب. أبناء عم العريض ، فيهم وجهاء ورجال أعمال، وآخر من تولى إمارة رغبة ناصر بن عبدالعزيز بن عبدالله ابن حمد بن سليمان بن محمد الربيق وذالك في عهد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - من آل حُميد - بضم الحاء - من بني خالد.

الرثيـــع : في عنك . من الدلاة من المخاصم من الصبيح من بني خالد .

آل رجــاء : في دارين من المهاشير من بني خالد.

آل رحمــة : في القصب وشقراء . ويعرفون بـ(الرحيمي)، منهم الطبيب الشعبي إبراهيم بن محمد بن عبدالعزيز الرحيمي. من السيايرة من الدعوم من بني خالد.

الرحيـــل : في عنك. من الظهيرات من الصبيح من بني خالد .

الـــرزق : في حرمة ثم الغاط وكذلك في منطقة الحوطة الحريق منهم التاجر المعروف أحمد بن محمد بن حسين بن رزق آل رزق. من الدعوم من بني خالد.

الرشـــود : في عنك . من النهود من بني خالد .

الرشيـــد : في رغبة والصفرة والدرعية والبير، من المقدام من بني خالد.

الرشيـد : في نعجان ومنفوحة. من الشبلة من بني خالد.

الرغــوان : في عنك. من الزبن من الصبيح من بني خالد.

الرفيعـــي : في البصر وبريدة. من الجناح من بني خالد.

الرقيعـــي : ـ بالتصغير ـ من رقيع . في القصيعة وبريدة. من آل جناح من بني خالد.

الرميـــح : في الثقبة. من الشاهين من العماير من بني خالد.

الروضـان : في حائل والرياض من الدعوم من بني خالد.

الريـــس : في عنيزة. منهم مؤذن الجامع الكبير في عنيزة، توارثوا هذه المهنة الجليلة أبًا عن جد قرنا من الزمان حتى الآن، منهم محمد السليمان المتوفى سنة ١٣٤٤هـ. من الفياض من آل جناح من بني خالد.

الزايـد : في الجوف. من ذرية مطيلق بن مصطفى، ويتفرعون إلى طريف وطويرف ومطرف وفهد من الضويحي من القرشة من بني خالد.

الزبـن : في عنك والداهنة وجلاجل والكويت وغيرها. منهم علماء وأدباء من الدكتور عبدالله بن محمد بن سليمان بن عبدالله بن محمد بن زبن رجل علم ، واسع الاطّلاع في العلوم الشرعية، وأميرهم الذي عاصر مؤلف كتاب «دليل الخليج» سلطان بن منصور ، والآن عسّاف بن مسلط الشعلان، ونخوتهم العليا ووسمهم قضاب السيف. من الصبيح من بني خالد.

الزبيـر : في الأحساء. من آل دوغان من المهاشير من بني خالد.

الزحـام : في الكويت. من الدعوم من بني خالد.

الزرقـا : في الرس. من آل جناح من بني خالد.

الزريـق : في الكلابية. من النهود من بني خالد.

الزقـم : في عنك. من الظهيرات من الصبيح من بني خالد.

آل زمـام : في عنك. من الحسن من العماير من بني خالد.

الزنقاحـي : في الخفجي - الخفقي - والكويت. من الشبلة من بني خالد.

آل زيـاد : في المزاحمية. منهم رجال أعمال واعيان. من الجبور من بني خالد.

الزيـاد : في الجوف. من ذرية بركين بن فرقاص. من آل علي من القرشة من بني خالد.

الزيتـون : في عنك. هم أمراء الظهيرات وأميرهم الذي عاصر مؤلف كتاب «دليل الخليج» زيتون بن شديد والآن شويش بن سلطان بن زيتون بن شديد بن علي الشويش. من الظهيرات من الصبيح من بني خالد.

الزيـدان : في الجوف. من ذرية مطيلق بن مصطفى ومنه رشيد ويتفرع إلى العبدالرحمن والعبدالعزيز والعبدالرزاق. من الضويحي من القرشة من بني خالد.

الزيـن : في عنيزة. من آل جناح من بني خالد.

آل سابل : في الجوف. فخذ من المطر ومن ذرية خلف الدغداش بن سابل الحمود والمحمد من آل مطر من بني خالد.

السـادي : في عنيزة. من آل جناح من بني خالد.

آل سالم : في الشماسية، وقبل ذالك كانوا في النبقية، وقد جاءوا إليها من النبهانية فيهم رجال أعمال واعيان. من الدعوم من بني خالد.

آل سالم : في القرائن والرياض. منهم الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن سالم من آل بلهيد من الدعوم من بني خالد.

آل سالم : في عنك. منهم العامر والناصر. من المهاشير من بني خالد.

ابن سالم : في الكويت. من العفراوي من الدعوم من بني خالد.

السالمـي : في عنك. من الحسن من العماير من بني خالد.

السبيعـي : استقرت أسرة السبيعي في شقراء والقرائن وجلاجل، فيهم علماء وأدباء ورجال أعمال منهم مدير مالية شقراء سابقاً وابنه، والآن الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن سعد بن عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد الملقب بـ (السبيعي) بن علي بن فاضل. من الفاضل من آل غرير من آل حُميد - بضم الحاء - من بني خالد.

آل سبيلة : في الجوف. فخذ رئيس من المطر ، ومن ذرية سبيلة المطر الغطيغط واللاحم والدايس. من المطر من بني خالد.

آل سحبان : فخذ من بني خالد يوجد معظمهم بالأحساء ، وقد انتشروا بالمنطقة وبقربهم فخذ المقدام المعروف وأمراء السحبان الدايل ووسمهم ونخوتهم تابع آل حُميد.

آل سحـوب : في عنيزة، منهم الذهلان. من السحبان من بني خالد.

آل سحيـم : في الجوف. من القرشة من بني خالد.

السحيـم : في البصر وبريدة. من آل جناح من بني خالد.

السحيـم : في الجبيل، ويعرفون بـ (العتاتبة). من الرازن من العماير من بني خالد.

آل سريـع : في عنك. من المهاشير من بني خالد.

آل سُعـال : - بضم السين - في اليمامة بالخرج . من الشبلة من بني خالد.

آل سعدون : في عنيزة والأحساء . من الْـجُبُور من بني خالد.

السعـود : في عنك. من الحسن من العماير من بني خالد.

السعيـد : في العذار بمنطقة الدلم . من الشبلة من بني خالد.

السُعيـــد : ـ بضم السين ـ على لفظ التصغير . في عنيزة . من آل الخويطر من آل جناح من بني خالد .

السعيـدان : في الجوف . من ذرية هويمل ويتفرعون إلى الراشد والمرشد ومن عقبهم البحيران . من آل علي من القرشة من بني خالد .

السلامـــة : في الصفرة . من الحيدر من الصالح من المقدام من بني خالد .

السلمــان : في الخفجي (الخفقي)، ويعرفون بـ (المعنجل) . من السحبان من بني خالد .

آل سليمان : في اليمامة ونعجان بمنطقة الخرج . من الشبلة من بني خالد .

السليمــان : من أهل قصيبا، وكانوا يسمون قبل ذالك الحبيل، ويعرفون الآن بـ (المهنا) وكانوا أمراءَهَا إلى وقت قريب وهم بنو عم المنيف من الدعوم من بني خالد .

السليمــان : في الجوف من ذرية هفيل بن سمحان من الضويحي من القرشة من بني خالد .

السليـــم : في قرية . من العمور من بني خالد .

السمنــان : في عنيزة . منهم الشيخ محمد بن سلطان بن صالح بن سليمان الملقب بـ (سمنان) . من الصيخان من آل جناح من بني خالد .

السنـــان : في الجبيل . من الشاهين من العماير من بني خالد .

السنتلــي : في عيون الجواء بالقصيم وحفر الباطن وعرعر والرياض . فيهم وجهاء ورجال أعمال منهم الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله بن عثمان بن محمد بن عثمان بن جاسر بن عبدالله بن رشيد السنتلي، من آل حُميد من بني خالد .

السوادي : في الكلابية . من النهود من بني خالد .

السويـــد : في عنك . من العقل من العماير من بني خالد .

السويـد : في عنك والكويت، وهم الفهد والمطلق والمبارك. من المهاشير من بني خالد.

آل سويـل : في عنيزة. فيهم علماء وأدباء ورجال أعمال بارزين. من الخويطر من آل جناح من بني خالد.

آل سويكـت : في الخرج. من المهاشير من بني خالد.

السياسـب : توجد أسر من المقدام تعرف بهذا الاسم في الأحساء وتوجد محلة تحمل اسمهم الآن وهي من أقدم الأحياء بمدينة المبرز، حيث كانت المبرز والرقيقة من منازل بني خالد المعروفة بالأحساء.

السيايرة : اسم فخذ من الدعوم، ويوجد أسر بهذا الاسم في مختلف أنحاء المملكة، وخاصة في القصب والحريق وضرما والمزاحمية وحايل والقصيم، فيهم علماء وأدباء ورجال أعمال وفيهم الإمارة، ومن أبرز أمرائهم أمير القصب الشاعر الشجاع المشهور جبر بن سيار بن حزمي الخالدي المتوفى سنة ١١٢٠هـ، وخلّف ثلاثة عشر ولداً. من الدعوم من بني خالد.

السيـف : في المجمعة والخيس. من آل حُميد - بضم الحاء - من بني خالد.

الشـادخ : في الجوف. من ذرية عيسى من آل علي من القرشة من بني خالد.

الشافـي : في الجفارة والقويعية بنو عم الجميعي من الدعوم من بني خالد.

الشامـان : في عنك. من الثبوت من بني خالد.

الشـاوي : في عنك. من الحسن من العماير من بني خالد.

الشاهيـن : في الجبيل. من الرازن من العماير من بني خالد.

آل شاهيـن : في عنك. من العقل من العماير من بني خالد، من الفخوذ الرئيسة، منهم الشيخ عامر بن ليل بن مناحي بن مشاري بن شجينة بن مغامس ابن مشاري بن مناحي بن شجينة وجدهم شجينة الأول، اشترى جزيرة (جنه) - بالجيم وتنطقها العامة بـ (القاف) اشتراها من المهاشير، ونخوتهم مع العقل

ووسمهم زائد مع المشعاب حلقة.

آل شاهين : في ثرمداء . منهم الشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن عبدالرحمن بن ناصر ابن شاهين توفي عام ١٤٠٦هـ من آل حامد من آل حُميد ـ بضم الحاء ـ من بني خالد.

آل شاهين : في عنك والكويت وهم آل مصارع وآل نهار . من المهاشير من بني خالد.

آل شايع : في الخبراء بالقصيم ورياض الخبرا والسحابين والرس يتفرعون إلى عدة أسر ، فيهم علماء وأدباء ووجهاء ورجال أعمال بارزين منهم الشيخ ناصر بن عبدالرحمن بن إبراهيم بن عبدالرحمن الشايع من آل حُميد ـ بضم الحاء ـ من بني خالد.

آل شباط : في الأحساء والدمام والخبر . فيهم رجال علم وأدباء منهم عبدالله بن أحمد بن شباط ووالده في التعليم في (الكتاتيب) في الأحساء وأعضاء في هيئة النظر ، والأديب المعاصر عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن أحمد الشباط . من آل غرير من آل حُميد ـ بضم الحاء ـ من بني خالد .

الشبلة : فخذ من قبيلة بني خالد مواطنهم في المنطقة الوسطى الخرج ونواحيها والمنطقة الشرقية، وأميرهم بالخفجي (الخفقي) ابن فجري ويتبعون آل حُميد في الوسم والنخوة.

آل شبيب : في القصب. منهم الشاعر المعروف والمحامي البارع عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن شبيب. من آل حُميد ـ بضم الحاء ـ من بني خالد.

الشحيت : في عنك. من آل كثم من الصبيح من بني خالد.

آل شِدّي : ـ بكسر الشين المعجمة والدال المهملة مشددة ـ. في حريملاء والرياض والدلم بمنطقة الخرج وعنك. فيهم علماء وأدباء ورجال أعمال بارزين منهم الشيخ أحمد بن محمد بن عبدالله بن أحمد الشِّدِّيّ. من بني خالد.

الشرهــان : في الرياض. من الجبور من بني خالد.

آل شريــش : في الهفوف وثرمداء سابقاً. من الجبور من بني خالد.

الشطـــي : في عنك. من آل كتم من الصبيح من بني خالد.

الشعابـا : ـ واحدهم شعيبي ـ بضم الشين، وهم غير الشعيبي العقلا. في البصر بمنطقة بريدة. من المحيميد من آل جناح من بني خالد.

آل شعلان : في القصب وثرمداء وعنك وغيرها. فيهم أدباء وعلماء ورجال أعمال منهم عثمان بن عبدالكريم بن محمد الشعلان الذي استضافه الملك عبدالعزيز في الخريجية بثرمداء عند مروره بالمنطقة حيث كان يعد أحد أغنياء ووجهاء المنطقة في ذالك الوقت توفي سنة ١٣٥٥هـ ، ومنهم الآن عمدة أم الساهك حمد بن خالد الشعلان. من الزبن من الصبيح من بني خالد.

الشعيفان : في عنك، منهم الحمد والفالح. من المهاشير من بني خالد.

الشفـق : في الجوف. من ذرية الشمردل بن دايس ويتفرعون إلى العايد والوطبان. من سبيلة من المطر من بني خالد.

آل شقـري : في الرياض، فيهم رجال أعمال بارزين. من الجبور من بني خالد.

الشكـور : في الجبيل. من الرازن من العماير من بني خالد.

الشميطـــي : في عنك. من الشبلة من بني خالد.

الشنيفـي : في الخيس والمجمعة. منهم الأستاذ سليمان بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن سليمان من آل حُميد ـ بضم الحاء ـ من بني خالد.

آل شوشـان : في عنيزة. من الدعوم من بني خالد.

الشوشـان : في الجوف. من ذرية جخيدب بن سمحان. من الضويحي من القرشة من بني خالد.

الشويـش : في الجوف. من ذرية جخيدب بن سمحان. من الضويحي من القرشة من بني خالد.

لعالم حضرموت ومؤرخها عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف
(١٣٠٠/١٣٧٥هـ)

ـ ٤ ـ

الشِّحْر : لها عدة إطلاقات :

الأول : أنها اسم لكل ما شمله حضرموت السابق ذكره أوائل الكتاب .

الثاني : أنها اسم لساحل المِشْقَاص بأسره ، فما كان منه لبني ظنه فهو داخل في حد حضرموت ، وما كان منه . . . كبد يعوت فهو شحر المهرة.

الثالث : أنها اسم لجميع ما بين عدن وعُمَان كما ذكره ياقوت عن الأصمعي ، وكثير من يقول : إن ظَفَار هي قاعدة بلاد الشحر ، وفي الأصل بسط ذالك .

الرابع : اختصاص الاسم بالمدينة اليوم لكن نقل السيد أحمد بن حسن الحداد عن الباب السابع من «نخبة الدهر» أن لحضرموت فُرْضَتَيْنِ على ساحل البحر ، يقال لأحدهما : شرمة وهي الآتي ذكرها ، وللأخرى الشحر ، ولم تكن بمدينة ، وإنما كانوا ينزلون بها في خِصَاص حتى بنى بها الملك المظفر صاحب اليمن في زماننا هذا مدينة حصينة بعد سنة سبعين وست مئة انتهى . وفي «صبح الأعشى» ـ ٥/١٦ ـ : والشحر قال ياقوت الحموي : هي بليدة صغيرة ولم يزد على ذالك ، ←

→ **الشويـش** : في عنك. منهم شويش بن سلطان بن زيتون بن شديد بن علي الشويش لديه معرفة واطلاع واسع. من الظهيرات من الصبيح من بني خالد.

الشويعـر : تقيم أسرة الشويعر في الرياض والطائف وحائل وجدهم الشاعر الشعبي حميدان الشويعر . من السيايرة من الدعوم من بني خالد.

آل شهـوان : في عنيزة. من الخويطر من آل جناح من بني خالد.

آل شهيـل : في المبرز بالأحساء . من النهود من بني خالد.

(للبحث صلة) **محمد بن ناصر الهزاع**

→ والذي يظهر أن لها إقليما ينسب إليها . انتهى ، وما استظهره هو الواقع ولاسيما في الأعراف القديمة ، وكانت وفاة ياقوت في سنة ٦٢٦ أي قبيل أن يجعلها المظفر مدينةً بمدة ليست بالطويلة ، وما جاء في «صبح الأعشى» عن ياقوت لعله من غير مادة ـ الشحر ـ مما فيها من «معجمه»؟ فقد أطال القول عن الشِّحْرِ وقال : هو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، وإليه ينسب العنبر الشِّحْري ، لأنه يوجد في سواحله ، وهناك عدة مدن يتناولها هذا الاسم ، وإلى الشحر ينسب جماعة منهم محمد بن خُوَيٍّ بن معاذ الشِّحْرِي . انتهى باختصار ، وللشحر ذكرٌ في شعر سُرَاقَةَ بن مرداس البارقي ، وذالك أنه أُخِذَ أَسِيْراً يوم جَبَّانَةِ السَّبِيْع ، فَقُدِّمَ في الأَسْرَى فقال كما عند الطبري وغيره :

امْنُنْ عَلَيَّ الْيَومَ يَاخَيْرَ مَعَدّ
وَخَيْرَ مَنْ حَلَّ بِشِحْرٍ والْجَنَدْ
وخير من لَبَّى وصَلَّى وَسَجَدْ

فعفا عنه المختار في قصة طويلة تشهد لاستيلائه على الشحر ، وكانت دولة الشحر لكندة إلى سنة ٥٧٥ ، حيث هجم عليها الزنجيلي ، ثم تولاها آل فارس المختلف في نسبهم ، فقيل إلى الأنصار وهو أبعدها ، وقيل إلى كندة وهو اوسطها ، وقيل إلى المهرة وهو الذي رجحته ودللت عليه ، وفي سنة ٦١٦ انقض ابن مَهْدِي وهو من صنائع آل رسول اليمانيين على آل فارس وأخرجهم من الشحر ، وفي سنة ٦٢١ تولى عليها عبد الرحمن بن راشد ، وكان يُؤَدي الخراج للملوك . . . فعزل نور الدين الرسولي برجل من الغز وأضاف إليه نقيبا ، فقتل الغزي ، واستولى على البلاد ، وكان عبد الرحمن بن راشد في ضيافته بتعز ، فاستدعاه وخلع عليه ، وأمره أن يسير إلى الشحر ، فضبطها وبقيت تحت حكمه إلى سنة ٦٧٨ حيث دخلت الشحر وحضرموت تحت حكم المظفر الرسولي ، ولكنه أبقى عبد الرحمن بن راشد عليها نائبا حتى توفي في سنة ٦٦٤ ، ودفن بين تربة الشيخ سعد الظفاري وتربة عمرو ، وقبره مشهور بها ، وخلفه أخوه راشد ابن شجعنة فبقي عليها إلى سنة ٦٧٧ فتغير عليه المظفر ، واعتقله بزبيد إلى أن

مات ، وفي سنة ٦٦٧ وصل المظفر بنفسه إلى الشحر فعمرها ، حسبما تقدم ، ثم لم يزل حكامها من أسرته تحت أمر آل رسول حتى ضعف أمرهم ، وصار النفوذ بحضرموت لآل يماني ، وفي سنة ٨١٢ استولى دوبس بن راصع على الشحر ، ثم عادت لآل فارس حتى انتزعها منهم آل كثير ، في سنة ٨٦٧ ، وهي أول دولتهم بها ، ثم استردها آل فارس منهم في سنة ٨٩٤ ، ثم استرجعها آل كثير في سنة ٩٠١ ، ومازالت في أيديهم على مناوشات بينهم وبين أمراء العشائر حتى استولى الإمام المتوكل على الله على حضرموت وعليها ، في سنة ١٠٧٠ وقال السيد أحمد ابن حسن الحداد : كان خروج الإمام أحمد بن حسن سنة ١٠٧٢ ، وأقام بجيشه في حضرموت نصف شهر ، ثم عاد طريق البحر من بندر الشحر ، واستخلف السلطان بدر بن عمر الكثيري ، وترك عنده جملة من عسكره اليزيدية ، واستمر أمرهم نحو خمسين سنة إلى خروج يافع من الجبل سنة ١١١٧ انتهى . وقال السيد محمد بن اسماعيل الكبسي في كتابه «المسالك اليمنية» : وفي سنة ١٠٦٤ خطب بدر بن عمر الكثيري للإمام فقبض عليه ابن اخيه بدر بن عبد الله ، فهمَّ الإمام بالتجهيز ، وأمر بحشد الجنود إلى بني أرض (؟) ومنعت بلاد الرصاص ويافع والعوالق والجرش والواحدي والفضلي عن المرور فيها ، فجدَّ الإمام في جهادهم ، واجتمع لأولاد إخوته زهاء عشرة آلاف راجل وألف عنان ، واشتد القتال بينهم وبين حسين الرصاصي حتى قتل ، وانهزم أخوه صالح إلى البيضاء، وانتهب العسكر جميع مافي مخيمهم ، وكان محمد بن الحسين لم يشهد الوقعة ولكنه حضر بعدها فتقدم إلى يافع يوم الاثنين ١٩ جمادي الآخرة من السنة إلى ذيل جبل العر، فاستولى على الجبل ، وعادوا إلى عند الإمام ، ولم انتهى خبر هذا النصر العظيم إلى بدر بن عبد الله الكثيري أطلق عمه ، وخطب للإمام ، فأرسل الإمام صالح بن حسين الجوفي إلى حضرموت ، فألفَى الأمر على حقيقته ، فوجه بدر بن عمر إلى ظفار والياً عليها ، وفي سنة ١٠٦٨ غدر بدر بن عبد الله بعمه بدر بن عمر وأخرجه عن ظفار، فقدم على الإمام فأكرمه ، وفي جمادى الأولى من سنة ١٠٦٩ اختار الصفي احمد بن حسن لفتح حضرموت والشحر وظفار ، وفي شعبان توجه الصفي إلى وادي السِّرِّ بمخلاف خولان ، ثم إلى نحوان ورغوان ، ثم إلى مأرب

وحبان ، ثم دخل أطراف بلاد العوالق ، فوصل بلدة واسط ، ثم سار إلى وادي خَجْرٍ ، ثم تجرد منها تجرد الحسام ، وكان سلطان حضرموت قدَّمَ عساكره إلى أعلا عقبة حجر فانهزموا من أحمد بن الحسن ، وبانهزامهم من بعدهم وهذا المحل يقال له رَيْدَة بامَسْدوس ، ثم تقدم إلى الهَجْرَيْنِ ، ثم التقوا بعسكر سلطان حضرموت فهزموهم ، واستولوا على حضرموت وعاد الصفي إلى حضرة الإمام بضوران في أُبَّهَةٍ فاخرة، ودولة قاهرة ، وفتح قريب، ونصر عجيب انتهى باختصار ، وإنما استوفيته مع عدم ملاءمته للايجاز لأن فيه ماليس في الأصل، على أن في الأصل ما ليس فيه ، فليضم إلى كل ما نقص .

أما استيلاء يافع على الشحر وحضرموت فكما ذكر السيد أحمد بن حسن الحداد كان في سنة ١١١٧ ، وقد سبق في المُكَلَّا أن الشيخ محمد بن صالح هرهرة أمير ذالك الجيش أقام بالشحر ثلاثة أشهر جبى فيها منها خمسة وثلاثين ألف ريال (٣٥٠٠٠) وكان من يافع طائفة يقال لهم آل عياش سكن رئيسهم بحصن الشحر ، الذي كان يقال له المصبح ، فأطلق عليه من ذالك اليوم حصن ابن عياش ، وما زالت يافع على الشحر حتى أخذها الإمام المهدي بالهرة(؟) ومعهم الأمير سعيد بن علي بن مطران ، وحصل النداء بالشحر أنَّ الناس في أمان المهدي ، واشترط يافع لأنفسهم أن يغادروا الشحرَ بسلاحهم بعد ثمانية أيام ، فخرجوا منها إلى حضرموت ، وأنضموا إلى عسكر عمر بن جعفر ، وفي سنة ١١١٨ وصل السلطان عمر بن جعفر من اليمن إلى الشحر ، وسلمه النقيب والعسكر حصن الشحر ، ونادى بالأمان ، ثم كتب للعسكر بحضرموت : أن سيدي الإمام المهدي وجهني إلى حضرموت ، فإن كنتم في الطاعة سلمتم الناس من الضرر ، وإلاَّ فنحن واصلون بالجيش المنصور ، وهو مؤلف من ثلاث مئة من حاشد وبكيل ، ونحو مئة من سائر عسكر الإمام ، ونحو مئة من الحجاز ، ونحو مئة وخمسين أخلاط من الخلق ، وكان السلطان عيسى على سيون ، وحضرموت ، فانهزم ثم تغلبت يافع على عمر بن جعفر ، وعاد الأمر إليهم بالشحر إلى ان اختلفوا ، فغلبهم آل بريه وكانوا ولوا رئيسهم بعض الأمر بالنيابة عنهم ، فلما اختلفوا استبد عليهم واصل آل بريك من . . . وهم إما من بقايا بني ناعب الآتي

ذكرهم في التعريف ببوادي عَمْد ، وإما من بني جبر قبيلة من يافع يسكنون جبلا في سَرْو حِمْيَرَ ، يقال له ذُوْ ناخب كما في « صفة جزيرة العرب » لابن الحائك الهمداني ، وأول ما ابتدأ آل بريك المصالحة بين الحموم والتحالف معهم حتى قربوا الناس، وعاملوهم بالإحسان حتى أحبوهم، وأول أمير لهم هو ناجي بن عمر، وكانت إليه المالية في أيام نفوذ يافع، لأنهم تنازعوها، وكادوا أن يقتتلوا عليها، ولما استقل شيئا فشيئا على حساب اختلافهم وتفرق آرائهم، أفاقوا فناوشهم، ولكنه انتصر عليهم لأنهم كانوا متحاسدِيْنَ، ولما مات ناجي بن عمر في سنة ١١٩٣ ، خلفه ولده علي بن ناجي بن عمر بن بريك، فخالفه محسن بن جابر بن همام، وأنضم إليه آل عمر باعمر، فجهز عليهم علي ناجي، وأجلى آل همام إلى المكلا وآل عمر باعمر إلى الريدة، واستنجد آل همام بعبد الرب بن صلاح الكسادي، ولكنه انهزم هو وإياهم، كما سبق في المكلا، وفي أيام على ناجي هذا ظهر أن القاضي سعيد بن عمر بن طاهر كان يعمل الأسحار، فاغرقه في بالوعة الأقذار، وكان آخر العهد به، ولما مات على ناجي سنة ١١٢٢ خلفه أخوه حسين ابن ناجي، ثم ولده ناجي بن على بن ناجي، وفي أيامه جاءت الوهابية في خمس وعشرين سفينة تحت قيادة ابن قملة بامر الملك عبد العزيز بن سعود آل سعود الذي استفحل سلطانه ، لذالك العهد فافتتح نَجْداً. . . . والعروض والقطيف والحجاز وغيرها، وكان اكثر فتوحه على يد القائد العظيم ابنه سعود المتوفى سنة ١٢٢٩ ، فامتثلت البلاد، ولم يُؤْذِ واحِداً في حال ولا مال، ولم يهلكوا حرثا ولا نسلا، وإنما أخربوا القباب، وابعد التوابيت، وقد قررت في الأصل ماذكره ابن قاسم العبادي من حرمة التوابيت، وأما القباب فإن كانت في مسبلة فحرام والافَلاَ (؟) بشرطه ولم يعترضهم آل بريك ، وأقاموا بالشحر أربعين يوما، ثم ركبوا سفائنهم وعادوا لِطِيِّتِهِمْ، وفي سنة ١٢٢٧ نشب الشر ما بين الكسادي صاحب المكلا وآل بريك، وامتدت المناوشات بينهم زمانا طويلا في البحر والبر ، وفي سنة ١٢٤٠، توفي ناجي بن علي، وكان خادما للدين، شديد الغيرة على شعائره، لا يخرج عن رأي الإمام الحبيب حسن بن صالح البحر في ذلك، حتى لقد أمره أَنْ لأيُمَكِّنَ أحداً من البادية يدخل الشحرَ ليمتار إلاَّ بعد أن يحلف اليمين على أن

لا يقصر في الصلاة، فحصل بذلك نفع عظيم، وصلاح كبير، حتى جاء العواثبة في قطار لهم، فلما أرادوا أن يدخلوا من سدة الشّحْر، عرضوهم على العهد، فأبوا، وصرفوا وجوه إبلهم إلى الغيل عند رفاقهم آل عمر باعمر، وارتجزوا بقول شاعرهم :

قُولُوا لِنَاجِي بن عَلِي كلين يؤخَذْ له ويلاه ماراس بن عَوْثَبْ غَلَبْ مَابَايْعَاهِدْ عَلَى الصَّلَاةْ

فاختلفوا في تفسير هذا فقوم يحملونه على العناد والمجاهرة بالفساد، وآخرون يحملونه على ان الداعي إلى الصلاة من الدين، والسائق لها من الضمير، فلا تحتاج إلى عهد ولا إلى يمين، ولما مات ناجي بن علي خلفه ولده علي ناجي الثاني، وفي سنة ١٢٦٧، كانت حادثة مرير، وحاصلها أن آل كثير أغاروا على الشحر بعسكر مَجْرٍ، وجاءتهم نجدة من الأتراك في البحر، من مكة المشرفة، على رأسها شيخ العلويين السيد اسحق بن عقيل بن يحيى، مؤلفة تلك النجدة من نحو خمس مئة جندي، بعدتهم وعتادهم فبلغت العساكر البحرية والبرية نحوا من خمسة آلاف، إلّا أنه لم يصحبها رفيق من التوفيق، فكان عاقبتها الانهزام الشائن، والفشل الشابل - كما هو مفصل بالأصل - وبعضهم يعلل ذالك الانهزام بخيانة من سيبان الموجودين بكثرة في الجيش الكثيري، لأنهم كانوا في طليعة الجيش المرابط بمرير، فلما هاجمتهم فرقة من عسكر الكسادي جاءت من المكلا لمساعدة آل بريك انهزموا وذهبوا بها . . . وأكثروا من الأراجيف ، فخلعوا قلوب الجيش الكثيري، وملؤا صدورهم رعبا، فركب كل منهم رأسه وذهبوا عَبَادِيْدَ لا يلوي واحدهم على شيء قط وعادت النجدة التركية إلى اسطولها الراسي بشرمة، لأن مرسى الشحر كان مكشوفا، وكان البحر هائجا، والوقت خريفا، وتفرق الجيش الكثيري أَيْدِي سبا، وعاد بخيبة الرجاء، ولم يبق بالمعسكر في اليوم الثاني نافخ ضَرَم، وكان من نتيجة ذالك الفشل أن السلطان عبد المجيد العثماني أقال السيد اسحق من مشيخة العلويين بمكة، وأبدله بالسيد محمد بن محمد السقاف، وفي سنة ١٢٨٣ جهز السلطان غالب بن محسن الكثيري على الشحر، فاستولى عليها وهرب علي ناجي بمن معه وماقدر عليه في خمس من السفن، أعدها لذالك من يوم علم بالغزو، وكان هربه إلى المكلا فلم يمكنه الكسادي من النزول بها، معتذرا

بأنه لا يصلح سيفان في جَفِيْرٍ، فأبحر إلى شبم، وأقام عند الشيخ فريد بن محسن العولقي عاماً ثم ركب إلى عدن وعاد منها إلى الشحر، وكان عليها الأمير عبد الله ابن عمر القعيطي، بعد جلاء غالب بن محسن عنها، فأكرم وفادته، وتخفى به حتى لقد دخل بين البحار الذين حملوه من القارب إلى الساحل، وأحسن مثواه، إلاَّ أن فكرة الإمارة عادت تتحرك في صدره، فعزم إلى الأستانة، ليستنجد بالخليفة العثماني على الكسادي بالمكلا، وعلى القعيطي بالشحر، فسافر إلى عدن، ثم خرج إلى لَحْج وبها فاجأته المنية، وعاد كثير من أعقابه إلى الشحر، ولا يزال بها ناس منهم إلى اليوم. أما غالب بن محسن فلو قنع بالشحر كما أشار عليه المخلصون لأوشك أن تطول بها مدته، لكنه طمع في أخْذِ المكلا من الكسادي، فانكسر دونها، وفي آخر الحجة من نفس السنة التي أخذ فيها الشحرَ اعني سنة ١٢٨٣ جهز القعيطي بمساعدة الكسادي على الشحر، وافتتحها بأسرع وقت، وتفرق عسكر السلطان غالب شَذَرَ مَذَر، ولولا أن أحدَ عبيده وهو صنقور سليمان وكان من أصل القوة والأيْد احتمله على ظهره لذهب مع شفرات يافع، فما نجي إلاَّ بجريعة الذقن، وخيط الرقبة، وفي رجب من سنة ١٢٨٤، استأنف السلطان غالب بن محسن التجهيز على الشحر، إذ بقى قلبه بحسرة عليها، ودخل أكثر جيشه من كوة فتحوها في سور البلد، فانحصروا وانقطع عليهم خط الرجعة، وأصْلَتْهُم يافع ومن لفهم من عسكر القعيطي ناراً حامية، فأثخنوا فيهم قتلا، وخرج الباقون لايلوي آخرهم على أولهم، ورسخت اقدام القعيطي بالشحر، وجلس عليها الأمير عبد الله بن عمر القعيطي كما عرف ماسبق، وبعد وفاته في سنة ١٣٠٦ خلفه عليه ولده حسين بن عبدالله لأن اكثر إقامة السلطان عوض بن عمر كانت بحيدر آباد الدكن في خدمة النظام الآصفي، ثم نزغ الشيطان بين السلطان عوض واولاد اخيه عبد الله، وهما منصور وحسين، وجرى بينهم ما فصلناه بالأصل، وكانت النهاية تحكيم المنصب السيد احمد بن سالم بن سقاف، فحكم بأن لا حظَّ لهم في الإمارة، وتم جلاؤهم عن الشحر والغيل، بمساعدة الحكومة الإنقليزية في سنة ١٣٢٠، ومن العجب أن التحكيم كان خاصاً بما بينهم من الدعاوي المالية، ومع ذالك فقد كان الحكم شامِلًا للإمارة، واستتب الامر

للسلطان عوض بن عمر القعيطي فَحْل حَضْرموت وطلّاع نجادها ومزلزل أوتادها :

مُـدَبِّرُ مُلْكٍ أَيُّ رَأْيَيْـهِ صَـارَعُـوْا بِهِ الْخَطْبَ رَدَّ الخَطْبَ يُدْمَى وَيُكْلَمُ
وَظَـلاَّمُ أَعْدَاءٍ إذا بُـدِئَ اعْتَـدَى بِمُوْجَرَةٍ يَـرْفَضُّ مِنْ وَقْعِهَا الـدَّمُ
وَلَـوْ بَلَغَ الْجَـانِي أَقَـاصِيَ حِلْمِـهِ لأَعْقَبَ بَعْـدَ الْحِلْمِ مِنْهُ التَّحَلُّمُ

وقد أطلقنا عليه لقب السلطان لأنه به حقيق في اتساع ملكه ، وامتداد نفوذه ، وفي الأصل بسط الكلام عمن يسمى سلطانا ومن لا يسمى ، ونزيد هنا قول الإمام الرازي في تفسير قوله ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ وهو أنَّ من ملك بلداً صغيراً لا يحسن فيه أَنْ يقال فيه جلس على العرش ، وإنما يحسن ذالك فيمن ملك البلاد الشاسعة والأقطار الواسعة ، فالعرش والكرسي لا يكونان إلاَّ عند عظمة الملك انتهى . وهو لا يخرج عما هناك ، وللسلطان عوض محاسن جمة ، ومناقب مُهمة ، وقد حج في سنة ١٣١٧ وأظهر من التواضع والخضوع ما يدل على قوة دين وصحة إيمان ، وأكرمه الشريف عَوْنٌ الرَّفِيقُ وأعاد له الزيارة ، فأدركته عنده نوبة صرْعٍ ، فانزعج القعيطي ، وظنها القاضية حتى هدأه أصحاب الشريف ، وقالوا له : إنما هي عادةتعتاده من زمن قديم ، وقدم للشريف هدايا طائلة ، ومع قرب سفره طلبوا منه معونة لإجراء سكة الحديد بين الشام والمدينة ، فدفع لهم ثلاثين ألف روبية ، فأرجعوها إليه استقلالاً لها ، فركب إلى المدينة ثم إلى الشام ، وكان آخر العهد ، وسلمت الثلاثون ألف ، وقد سبق في حجر أنه تعلق بأستار للكعبة وتاب من كل سيئة إلاَّ من فتح حَجْر وحضرموت . توفي بالهند آخر سنة ١٣٢٨ ، ورثاه شيخنا العلامة أبو بكر بن شهاب بقصيدة حُمَيْنِيَّة ، ولكنها مؤثرة ووقع رداءه على ولده السلطان غالب بن عوض وكان شهما كريما لَيِّنَ الجانب ، دمث الشمائل ، وديع القلب ، شريف الطبع ، وافر الحرمة ، سعيد الحظ ، ميمون النقيبة ، مبسوط الكف ، ينطبق عليه قول الطائي :

فَتًى سِيطَ حُبُّ الْمَكْرُمَاتِ بِلَحْمِهِ وَخَـامَـرَهُ حَقُّ السَّمَـاحِ وَبَـاطِلُهْ

وقول البحـــتري :

تَغْطُرُسُ جَوْدٍ لَمْ تُمَلِّكْهُ وَقْفَةً فَيَخْتَارَ فِيهَا لِلصَّنِيعَةِ مَوْضِعَا

وقوله :

إِلَى مُسْرِفٍ فِي الْجُودِ لَوْأَنَّ حَاتِماً لَدَيْهِ لأَمْسَى حَاتِمٌ وَهْوَ عَاذِلُهْ

وقول ابن الخطيب :

وَدَعَوْهُ مِنْ فَرْطِ السَّمَاحِ مُبَذِّرَا

وفي أيامه كانت حادثة الحموم في ٢٧ ربيع الثاني من سنة ١٣٢٧ وحاصلها : أنهم كانوا يخيفون السابلة ، والحكومة القعيطية تتوقى شرهم ، وتدفع لهم مواساة سنوية ، يعتادونها من أيام آل بريك ، وفي ذالك العهد انعقد الصلح بين الحموم والحكومة القعيطية ، بدراهِمَ بذلتها لهم الحكومة ، لا يستهان بها ، على العادة الجارية بينهم في ذالك ، فبينا هم غارُّوْنَ هاجمتهم سيبان ، وكان لها عندهم ثار ، فقتلت منهم عددا ليس بالقليل ، فاتهموا الحكومة بمساعدتهم ، وظفروا بجماعة من يافع فقتلوهم ، فما زال ناصر أحمد بريك أمير الشحر يومئذ يداريهم ويستميلهم ، ويظهر لهم أن قتلهم ليافع لم يُثِرْ حِفَاظَهُ حتى اجتمع منهم بالشحر نحو من أربع مئة فألقى عليهم القبض أجمعين ، وقتل سبعة وعشرين من رؤسائهم ، منهم سالم بن علي بن مجنح الملقب حبريش ، وحيمد بن عمرو بالمفرخ الغرابي ، ومرضوح بن عوض اليميني ، وغيرهم وأظهروا من الثبات ساعة القتل ما أبقى لهم جميل الأُحْدُوثَة ، ومات في حبس القعيطي منهم مئة وسبعة ، وأطلق بعد ذالك سراح الباقين ، ولكن بعدما وَهَنَ جانبهم ، ونخرت عيدانهم إلاَّ أن علي بن حبريش لم يزل يجمع جراميزه ، لأخذ الثأر ، ودار على حصون آل كثير ، فلم يجد عندهم منفعة ، وإلاَّ فقد كانت بينهم وبين بعضهم أحلاف ، وبعد أن مضى لهذه الحادثة سبع سنين ، هجم على الدبس فنهبها واستباحها ، وقتل جماعة من عسكر القعيطي ، وأسر ثمانية عشر منهم ، ولم يقتل من أصحابه إلاَّ أربعة فقط ، وطفق يتجاذب الحبال مع الدولة القعيطية ، حتى استعانوا عليه بالطائرات الانقليزية ، فأضرت بمكانه الواقع على مقربة من غيل ابن يمين ، ولم يخضع مع ذالك . وفي نحو سنة ١٣٥٨ كمن ولده في جماعة من الحموم بالمكان المسمى

حرو ، فجاءتهم ثلة من العساكر القعيطية ، في سيارات يتقدمهم يافعي شجاع ، يقال له محمد محسن السعدي ، فتبادلوا الرصاص لكن كانت يافع أثبت وأنفذ سلاحا ، فاستأصلوهم قتلا ، فانكسف بال علي بن حبريش ، واستولى عليه الفراش (؟) ومات غبنًا .

وكان أهل الشحر يلاقون عناء من قلة الماء فأجراه إليهم من قبالةُ فاستراحوا بذلك ، وفي أيامه انعقدت بينه وبين سلاطين آل كثير صاحب سيون وصاحب تريم المعاهدة المشهورة ذات الإحدى عشر مادة ، وقد اعترفوا في المادة الأولى منها بانسحاب حكم الحماية الانقليزية عليهم ، وكانت بيني وبين السلطان غالب هذا مودة قوية ومكاتبات ممتعة ذكرت بعضها في الأصل ، ولي عليه عهود موثقة بالنصر على كل من عاداني ، وبالإعفاء من الرسوم عن ستين طردا في كل عام ، وبمرتب سنوي زهيد ، ومع ذالك فقد كان وزيره المرحوم السيد حسين بن حامد المحضار يراوغني فيها ، ويمانع العمل بها ، ولما توفي أرسلت إلى عند ولده السيد أبو بكر بن حسين أطالبه بإجرائها وتنفيذ ما فيها ، فلم يردها إلي رأسا وظنها النسخة الوحيدة ولكن كانت عندي صورتها بإمضاء السلطان غالب ، والسيد حسين وشهادة السيد محمد بن عبد الله بن هادون بن احمد المحضار ، والامير علي بن صلاح ، وطالما ذكرت فيهاالعلامة السلطان صالح بن غالب فقلت له أمام الملإ : أهذه المعاهدات صحيحة معمول بها أم تعتبر لاغية؟ فأجاب بصحتها والتزام تنفيذها . وكان ذالك برأي وسمع من وزيره المكرم الفاضل سيف بن علي آل بوعلي ، وقد تقدمت إلى السلطان صالح في سنة ١٣٥٥ بقصيدة تزيد عن مئة وعشرين بيتا لم تُعَدْ فيها قافية ، وأنشدتها له مرات بحورة في سنة ١٣٦٠ ، وأخرى بمنزلي في سنة ١٣٦٥ منها :

وَبَينَ يَدَيْنَا شِرْعَةٌ لَا تَزِيدُهَا تَجَارِيبُ ذِي عَقْلٍ وَلَا عَقْدُ مُؤْتَمِرْ
هِيَ الْقُدوَةُ الْمُثلَى الْعُلِيُّ مَنَارُهَا أَتَتْنَا بِهَا غُرُّ الْأَحَادِيثِ والسُّوَرْ
وَحَسْبُكَ بِالْإِفْرَنجِ فَالْخُطَّةُ الَّتِي بِهَا الْمَشْيُ فِيْهَا يَحْكُمُونَ بِهِ اسْتَمَرّ
مُدَوَّنَةٌ فِي الأَصْلِ مِنْ قَوْلِ مَالِكٍ وَسَائِلْ تَجِدْهَا فِي التَّوَارِيخِ والسِّيَرْ
وَلكِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالدِّيْنِ دَاهَنُوْا وَبَاعُوا حُقُوْقَ الله بِالْمَاءِ وَالشَّجَرْ

مطالعات في كتاب:

« التعريف بالأنساب ، والتنويه لذوي الأحساب »

(٥)

٥٧ ــ ص٣٧ السطر ١: وله من الولد سعد وعمرو وعبد العزيز.

والصواب: ولسهم بن عمرو بن هصيص من الولد: سعد وسعيد ورئاب.

٥٨ ــ ص٣٧ السطر ١: ورباب بن ميمون من قولك رأيت الشيء أي أصلحته.

والصواب: ورئاب من قولك: رأبْت الشيء أي أصلحته.

٥٩ ــ ص٣٧ السطر ٣: قيس بن دياب بن سهم.

والصواب: قيس بن عدي بن سهم.

٦٠ ــ ص٣٧ السطر ٣: يقال لهم الغياط. ←

→ فَلَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ مَنْ نَهَى عَنْ قَبِيْحَةٍ   وَلَا مَنْ بِمَعْرُوْفٍ عَلَى مَكره أَمَرْ
إِذَا انْتُهِكَ الإِسْلَامُ أَغْضَى زَعِيْمُهُمْ   وَإِنْ أُخِذَتْ شَاةٌ لَهُ اهْتَاجَ وَاسْتَعَرْ
فَمَا شَأْنُهُمْ إِلَّا التَّصَنُّعُ والرِّيَا   وَأَعْجَبُ مَاتَلْقَى النِّفَاقَ لَدَى مُضَرْ
نِفَاقٌ وَأَخْلَاقٌ دِقَاقٌ وَذِلَّةٌ   بِهَا شَوَّه الإِدْبَارُ أَيَّامَنَا الْأُخَرْ
تَوَلَّى الْوَفَا وَالصِّدْقُ فَانْدَكَّ مَجْدُهُمْ   وَراحَتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَكْرُمَةٍ هَدَرْ
يَقُولُونَ مَالَا يَعْمَلُوْنَ تَصَنُّعًا   سَوَاسِيَةٌ مَنْ قَالَ شِعْرًا وَمَنْ نَثَرْ
وَقَدْ كَانَتِ الآبَاءُ مِنْ قُنَّةِ الْعُلَى   بشأو حَتَّى فِي وَجْهِ كُلِّ مَنِ افْتَخَرْ
تَزِلُّ الْوُعُوْلُ الْعُصْمُ عَنْ قَذَفَاتِهِمْ   وَكَمْ مِنْ عُقَابٍ فِي مَراقِيهِمُ انْكَسَرْ
مَضَوْا شُهَدَاءَ الْحَقِّ فِي نُصْرَةِ الْهُدَى   وَمَا بَرَحُوا فِي هِجْرَةٍ وَعَلَى سَفَرْ
وَمِنْ آلِ قَحْطَانٍ رِجَالٌ عَلَى الْوَفَا   مَضَوْا بِسَلامٍ ذِكْرُهُمْ طَابَ وَاشْتَهَرْ
إِذَا عَاهَدُوْا وَفَّوُا الْعُهُوْد وَإِنْ دُعُوْا   أَجَابُوا وَلَوْ كَانَ الظَّلَامُ قَدِ اعْتَكَرْ

(للحديث صلة)

→ والصواب: يقال لهم الغياطل.

٦١ ـ ص٣٧ السطر ٩: فأولاده حسيل وعويض، فأما أولاد حسل.

والصواب: فأولاده حسل ومعيص وعويص، فمن أولاد حسل. الخ.

٦٢ ـ ص٣٧ السطر ١٣: بن أبي هم.

والصواب: بن أبي رهم.

٦٣ ـ ص٣٨ السطر ٢: ومنهم القنان بن جحير بن زيد بن مقيص بن حسل.

والصواب: ومنهم ضباب بن حجير بن عبد بن معيص بن حسل.

٦٤ ـ ص٣٨ السطر ٣: حبيب بن خزيمة بن نصر بن مالك بن حسل.

والصواب: حُبَيِّب بن جذيمة بن مالك بن حسل.

٦٥ ـ ص٣٨ السطر ٣/٤: وولد غالب عمرا وقيسا وتيما.

والصواب: وولد غالب [بن فهر لؤيا] وعمرا وقيسا وتيما.

٦٦ ـ ص٣٨ السطر ٤: وثعلبة وكثيرا ووهبا.

والصواب: وثعلبة وكبيرا ودهرا.

٦٧ ـ ص٣٨ السطر ٥: بن جابر بن كثير، وزهل.

والصواب: بن جابر بن كبير، وذهل.

٦٨ ـ ص٣٨ السطر ٦: وأما خزيمة بن لؤي فمنهم عايد ومعاش الشاعر.

والصواب: وأما خزيمة بن لؤي فمنهم عائذ، ومقّاس الشاعر.

٦٩ ـ ص٣٨ السطر ٨: بن مالك، وولد محارب.

والصواب: بن مالك، ومنهم سهل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن مالك بن الحارث وولد محارب.

٧٠ ـ ص٣٨ السطر ١٠ : بن مرداس بن كثير.

والصواب: بن مرداس بن كبير.

٧١ ـ ص٣٨ السطر ١١ : بن النضر، وهو قرشي.

والصواب: بن النضر، وهو قريش.

٧٢ ـ ص٣٨ السطر ١٢ : وبنو تيم، وبنو كعب.

والصواب: وبنو تيم، وبنو مخزوم، وبنو كعب.

٧٣ ـ ص٣٩ السطر ٣ : مخزوم بن نقظة.

والصواب: مخزوم بن يقظة.

٧٤ ـ ص٣٩ السطر ٤ : قريش الظواهر، فهو.

والصواب: قريش الظواهر، فهم.

٧٥ ـ ص٣٩ السطر ٧ : يتحمسون في أديانهم أي يشتهرون.

والصواب: يتحمسون في أديانهم أي يشتدون.

٧٦ ـ ص٣٩ السطر ٧ : كانوا لايقسطون.

والصواب: كانوا لايَقِطون. من الأقِط.

٧٧ ـ ص٣٩ السطر ٨ : قريش وهو ولد النظر.

والصواب: قريش هم ولد النضر.

٧٨ ـ ص٣٩ السطر ٨ : وقيل: إن قريشا ولد فهر بن مالك، وقيل: جماع لانه لايوجد قرشي ينسب إلى أب فوق فهر، وقيل: جماع قريش كلها. الخ.

والصواب: وقيل: إن قريشا ولد فهر بن مالك، لأنه لايوجد قرشي ينسب إلى أب فوق فهر، وقيل: جماع قريش كلها. الخ.

٧٩ ـ ص٣٩ السطر ١٠ : النضر ولد مالكا ويخلد، القول الأول والصحيح.

والصواب: النضر أولد مالكا ويخلد، والقول الأول هو الصحيح.

٨٠ ــ ص٣٩ السطر ١١: يدخل ولد أسدة.

والصواب: فدخل ولد أسدة.

٨١ ــ ص٣٩ السطر ١٢: فولد كنانة عبد مناف . . . ومخزمة وجزولا . . . وجدالا.

والصواب: فولد كنانة: عبد مناة . . . ومجربة وجرولا . . . وحدالا.

٨٢ ــ ص٣٩ السطر ١٣: فولد عبد مناف.

والصواب: فولد عبد مناة.

٨٣ ــ ص٣٩ السطر ١٥: عبدا مناة فولد منهما مخرمة.

والصواب: عبد مناة فولد منها مجربة.

٨٤ ــ ص٤٠ السطر ٢: كما يغالى في النسب إلى يمريمرى.

والصواب: كما يقال في النسب إلى نَمِرٍ نَمَرِيٌّ.

٨٥ ــ ص٤٠ السطر ٣: الطفيل عامر بن واثلة بن عبدالله بن حمس.

والصواب: أبو الطفيل عامر بن واثلة بن عبدالله بن عمير بن جابر بن حميس.

٨٦ ــ ص٤٠ السطر ٣: واثلة بن الأسقع عبد العزى بن نفيل.

والصواب: واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل.

٨٧ ــ ص٤٠ السطر ٥: الشداخ ــ بضم الشين وفتح الدال ــ بن عوف.

والصواب: الشداخ ــ بضم الشين وفتح الدال ــ يعمر بن عوف.

٨٨ ــ ص٤٠ السطر ٧: الضمرى بن قصان.

والصواب: الضمري بن قصاف.

٨٩ ــ ص٤٠ السطر ٨: غفار بن عليل.

والصواب: غِفَار بن مُلَيْل.

٩٠ ـ ص٤٠ السطر ١١: يعمر بن حليس.

والصواب: يعمر بن حَلْبَس.

٩١ ـ ص٤١ السطر ١: ومن ولد عمرة بن عبد مناة . . . بن الأعود.

والصواب: ومن ولد مرة بن عبد مناة . . . بن الأعور.

٩٢ ـ ص٤١ السطر ٢: علقمة بن محرز.

والصواب: علقمة بن مُجَزِّز.

٩٣ ـ ص٤١ السطر ٢: ومن عبد مناة بن حبيب والحارث.

والصواب: ومن عبد مناة: حبيب والحارث.

٩٤ ـ ص٤١ السطر ٤: خزيمة بن عامر.

والصواب: خزيمة بن عمرو.

٩٥ ـ ص٤١ السطر ٦: وحمل بن شق.

والصواب: وحَمَل بن شق.

٩٦ ـ ص٤١ السطر ٧: بن مالك ومنهم القايمان وهو حذيفة بن عدى.

والصواب: بن مالك بن كنانة، ومنهم القلمس وهو حذيفة بن عبد.

٩٧ ـ ص٤١ السطر ٨: ومنهم القلمس بن فقيم، فكان يحارب.

والصواب: ومنهم القلمس بن أمية بن عوف بن قلع بن حذيفة بن عبد بن فقيم، فكان يحارب.

٩٨ ـ ص٤١ السطر ٩: وينسئ شهرا.

والصواب: وينسأ شهرا.

٩٩ ـ ص٤١ السطر ٩: ومنهم ربيعة بن خدمان بن خالد بن علقمَة.

والصواب: ومنهم ربيعة بن مُكَدَّم بن حُذْبَانَ بن جَذِيمة بن علقمة.

١٠٠ ــ ص٤١ السطر ٩: مشهر بن قمهور.

وفي المخطوطة: شهر بن قمهور.

١٠١ ــ ص٤٢ السطر ١: عوف بن أمته.

والصواب: عوف بن أمية.

١٠٢ ــ ص٤٢ السطر ٢: ومالك ومجدج، وتكررت مجدج، السطر الثالث.

والصواب: ومالك ومخدج ــ بالخاء المعجمة ثم الدال المهملة ثم جيم ــ.

١٠٣ ــ ص٤٢ السطر ٦: والذى عن حلف القارة.

والصواب: والذي عقد حلف القارة.

١٠٤ ــ ص٤٢ السطر ٧: والذى عقد حلف الباقين أخوة مالك.

والصواب: والذي عقد حلف الباقين أخوه مالك.

١٠٥ ــ ص٤٢ السطر ١٢/١١: وثعلبة والحارث وسعد ومالك.

والصواب: وثعلبة فولد ثعلبة الحارث وسعدا ومالك.

١٠٦ ــ ص٤٢ السطر ١٢: فمن ولد الحارث بن ثعلبة يهدأ ــ بالياء المنقوطة ــ وبن أسفن بن سعد بن الحرب بن جهم الاسيد بن جحوان.

والصواب: فمن ولد الحارث بن ثعلبة. بهد ــ بالباء المنقوطة من أسفل ــ بن سعد بن الحارث بن جهم الأشتر بن جحوان.

١٠٧ ــ ص٤٢ السطر ١٣: والصيداء، عبدالله بن عمرو.

والصواب: والصيداء وعبدالله ابنا عمرو.

١٠٨ ــ ص٤٣ السطر ١: نكرة وخزيمة ونوفل ومقشر.

والصواب: نكرة وجذيمة ونوفل ومعشر.

١٠٩ ــ ص٤٣ السطر ٢ : نصلة بن الأسيد.

والصواب: نضلة بن الأشتر.

١١٠ ــ ص٤٣ السطر ٤ : حميرى بن ماشرة.

والصواب: حميري بن ناشرة.

١١١ ــ ص٤٣ السطر ٥ : بن هندى بن سقي بن غفار بن كعب بن ثعلبة.

والصواب: بن هندى بن سفيان بن عصاب بن كعب [بن عمرو بن مالك] بن ثعلبة.

١١٢ ــ ص٤٣ السطر ٧: زيد بن مخالد.

والصواب: زيد بن مجالد.

١١٣ ــ ص٤٤ السطر ٢ : صاحب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عبس ابن رياب.

والصواب: صاحب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عبدالله بن جحش ابن رئاب.

١١٤ ــ ص٤٤ السطر ٣: وأمه زينب بنت جحش.

والصواب: ومنهم زينب بنت جحش.

فهي أخت عبدالله وليست أما له.

١١٥ ــ ص٤٤ السطر ٣: أبو أحمد وعبدالله.

والصواب: أبو أحمد وعبيد الله.

١١٦ ــ ص٤٤ السطر ٥: ومن بني غاضرة بن حسين بن حربة بن أوس.

والصواب: ومن بني غاضرة: [زر] بن حُبيّش بن حباشة بن أوس.

١١٧ ــ ص٤٤ السطر ٦: جمال بن نصر.

والصواب: حبال بن نصر.

١١٨ ـ ص٤٤ السطر ٨: القليب والمسلح.

والصواب: القُليب والمليح.

١١٩ ـ ص٤٥ السطر ٢: الحديدى بن مازن بن كاهل.

والصواب: الحدي بن مازن بن كاهل.

١٢٠ ـ ص٤٥ السطر ٦: ابن المعوم بن خزيمة.

والصواب: ابن المقوم بن خزيمة.

١٢١ ـ ص٤٥ السطر ٧: فولد مليح يشيع

والصواب: فولد مليح يَيْثَع.

١٢٢ ـ ص٤٥ السطر ٩:

أبا حكم بن الهون الا مذحجا وقد حلت سيحا من جزيمة أبلجا

والصواب:

أبي حكم بن الهون إلا تمذحجا وقد خلت شيخا من خزيمة أبلجا

١٢٣ ـ ص٤٥ السطر ١٢: ربيعة بن عمرو.

والصواب: ربيعة بن عمير.

١٢٤ ـ ص٤٥ السطر ١٢: بن عابد يتبع بن مليح.

والصواب: بن عابد بن ييثع بن مليح.

١٢٥ ـ ص٤٥ السطر ١٣: كليم غير غضل.

والصواب: كلهم غير عضل.

١٢٦ ـ ص٤٦ السطر ٢: والقارة ابنا يتبع.

والصواب: والقارة ابنا يَيْثَع.

١٢٧ ــ ص٤٦ السطر ٤: وهو من الاضطراب.

والصواب: وهو الاضطراب.

١٢٨ ــ ص٤٦ السطر ٥: وعمرو هرمة.

والصواب: وعمرا وهرمة.

١٢٩ ــ ص٤٦ السطر ٥: تميما وحرسا ومنعة فضاعة وجهاما وعيبا وقادن وتهملا.

والصواب: تيما وجريبا ومنعة وخناعة وجهاما وغنما.

١٣٠ ــ ص٤٦ السطر ٦: شمخ بن قادن بن مخزوم.

والصواب: شمخ بن فار بن مخزوم.

١٣١ ــ ص٤٦ السطر ٧: أبو بكر كبير بن ثابت.

والصواب: أبو كبير بن ثابت.

١٣٢ ــ ص٤٦ السطر ٨: بن عبد كعب.

والصواب: بن عبد بن كعب.

١٣٣ ــ ص٤٦ السطر ٨: ومنهم ربعي بن حبيب بن سويد بن رباح.

والصواب: ومنهم صخر الغي بن حبيب بن سويد بن رياح.

١٣٤ ــ ص٤٦ السطر ٩: خويلد بن زيد بن مخزوم.

والصواب: خويلد بن [خالد بن] محرث بن زيد بن مخزوم.

١٣٥ ــ ص٤٦ السطر ١٠: غيرة بن عارية بن كعب بن طانجة.

والصواب: عترة بن عادية بن كعب بن طابخة.

١٣٦ ــ ص٤٧ السطر ١: ومنهم حبابة بن سعد بن هذيل.

والصواب: ومنهم خناعة بن سعد بن هذيل.

١٣٧ ــ ص٤٧ السطر ١: خناعة وهمان وضعة وعرف ورهم ورِيب وحريث وحوية وجهام.

والصواب: خناعة ودهمان، ومنعة، وعوف، ورهم، وريث، وجريب، وجؤية، ودهام.

١٣٨ ــ ص٤٧ السطر ٢: وبصمها في جمهر.

والصواب: وبضمها في جُمَيْر.

١٣٩ ــ ص٤٧ السطر ٣: وبنو وهمان، وبنو غازية.

والصواب: وبنو دهمان، وبنو عادية.

١٤٠ ــ ص٤٧ السطر ٤: وعمرا وخميسا.

والصواب: وعمرا وحميسا.

١٤١ ــ ص٤٧ السطر ٥: فولد عبد مناة تميما . . . وثورا المحل، والمحل جبل نسب اليه ثور فقيل ثور المحل.

والصواب: فولد عبد مناة تيما . . . وثور أَطْحَل، وأَطْحَلُ جَبَلٌ نسب إليه ثور فقيل: ثور أطحل.

١٤٢ ــ ص٤٧ السطر ٨: وهي فرقة تجمع فيها القداح.

والصواب: وهي خرقة تجمع فيها القداح.

١٤٣ ــ ص٤٧ السطر ٨: غمسوا يديهم.

والصواب: غمسوا أيديهم.

١٤٤ ــ ص٤٨ السطر ٣: جساس ــ بالجيم بالتخفيف ــ بن سبه بن ربيع ابن ربيع بن عمرو

والصواب: جسّاس ــ بالجيم بالتخفيف ــ بن نشبة بن ربيع بن عمرو.

١٤٥ ـ ص٤٨ السطر ٤: واخوته هشام ومسعود بن حارثة.

والصواب: واخوته هشام، ومسعود، وأد، بنو عقبة بن بهيش بن مسعود بن حارثة.

١٤٦ ـ ص٤٨ السطر ٧: شفيان بن سعد بن مسرة.

والصواب: سفيان بن سعيد بن مسروق.

١٤٧ ـ ص٤٩ السطر ١: بن موهبة بن بني عبدالله.

والصواب: بن موهبة بن أبي بن عبدالله.

١٤٨ ـ ص٤٩ السطر ١: نضر بن الحرث.

والصواب: نصر بن الحارث.

١٤٩ ـ ص٤٩ السطر ٣: إلى رأض الديلم، وزيهم مثل زى العرب.

والصواب: إلى أرض الديلم، وفي الديلم قوم معترفون بهذا النسب، ومعتزلون لأجناس الديلم، وزيهم مثل زيّ العرب.

١٥٠ ـ ص٤٩ السطر ٤: وقيل سعد لاعقب له.

والصواب: وقيل سعيد لا عقب له.

١٥١ ـ ص٤٩ السطر ٦: منهم الغمر بن عمرو.

والصواب: ومنهم ضرار بن عمرو.

١٥٢ ـ ص٤٩ السطر ٧: كعب بن تحالة بن ذهل بن عمالك.

والصواب: كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك.

١٥٣ ـ ص٤٩ السطر ٩: على جبل سليمان.

والصواب: على خيل سليمان.

١٥٤ ـ ص٥٠ السطر ٢: عثمان وأويس. ←

آل مُعَمَّر تَميميو النّسب

إشارة لما كتبه الشيخ عبدالرحمن التويجري عن نسب أسرتنا آل مُعَمَّرٍ في كتابه المسمى: «الإفادات عن مافي تراجم علماء نجد لابن بسام من التنبيهات» والذي نسب فيه آل مُعَمَّرٍ أهلِ العُيَيْنَةِ وقراها لبني وائل لا لبني تميم نقلاً كما ذكر عن ابن لعبون ونص ما قاله التويجري هو: (قال ابن لَعْبُون في تاريخه المخطوط في الأنساب، وفيه زيادة ونقص عن المطبوع في أم القرى في ذكر بني وائل: إن بعض بني خالد الذين انْحدروا من بِيشة وأرض الحجاز أنهم من بني وائل، وفي تاريخه المطبوع أن بني خالد من عامر بن صعصعة كما يأتي بيان ذالك في ذكرهم، ثم قال في تاريخه المخطوط في الأنساب: وأما بنو وائل ساكِنُوْ ملهم فالظاهر أنها لم تَخْلُ منهم جيلاً بعد جيلٍ، وقد جاورهم فيها غيرهم وآخر من ذُكِرَ من رؤسائهم آل عطاء المنتسبون إلى وائل وعامر السِّمِينْ، ويفتخرون أنهم من بني عبدالحميد بن مدرك كما قال عامر السِّمِين الشاعر: ←

→ والصواب: عثمان وأوس.

١٥٥ ــ ص٥٠ السطر ٢: بن قادن بن حلاوة.

والصواب: بن مازن بن خلاوة.

١٥٦ ــ ص٥٠ السطر ٣: هرمة بن الأصم.

والصواب: هُذْمَة بن لاطم.

١٥٧ ــ ص٥٠ السطر ٤: رباح بن العوام.

والصواب: رياح بن العوام.

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

إنّا من بني عبدالحميد بن مدرك أهل الضرب في الهامات والنسب العالي

وكان أجداد المعامرة من ساكني مَلْهَم، وذُكِر لنا أن حسن بن طوق بن سيف اشترى برقة المسماة بالعُيَيْنَةِ والجُبَيْلَةَ من آل يزيد، أهل الْوَصِيل والنُّعْمِيَّة، وارتحل من ملْهَمَ، وسكنها، وتداولت الولاية ذريته من بعده، ونزل عليهم قبائل من الناس، وامتدت نواحيها، وعظم شأنها وآخر من تمت عمارتها معه وعظم شأنه أعظم ملوك نجد في زمانه عبدالله بن محمد بن حمد بن عبدالله بن راجح بن حمد ابن حسن بن طوق بن سيف المُعَمَّرِي، إلى أن وقع فيها الوباء العظيم الذي أهلك أكثر أهلها وذلك في سنة ١١٣٨هـ ثمان وثلاثين ومئة وألف، ومات الشيخ الرئيس عبدالله بن محمد المذكور في تلك السنة، وكان نساب أهل زماننا القريب ينسبهم إلى عبدالحميد بن مدرك، منهم رُمَيزان بن غَشَّام[١] صاحب روضة سُدَيْرٍ، قال في معرض مكاتباته لحمد بن عبدالله جد عبدالله بن محمد المذكور:

أزْكَى بني عبدالحميد وغيرهم والضدّ من خوفه يظل مُوْجَلِ
حمد بن عبدالله أمنّا ضايْفَ الخلا إن عض كَالُوب الزمان الْمُمْجِلِ
ياما سَطا وعطا وياما قد وطا بمهند صافي الحديد مجندل
براس الذي كر بنفسه مايق إذا ذل رَعَيْدِيْدَ الرجال الزُّمَّلِ[٢]

وإنما نسبتهم ههنا لأن بعض المصنفين في الأنساب ذكر أن عبدالحميد بن مدرك من بني وائل، فعلى هذا يكونون منهم انتهى)[٣].

ولبني خالد وبني وائل رصيدٌ ضخم من المفاخر، ونسب كريم يشرف من ينتسب إليهم ويدعوه للاعتزاز والتمسك به، ولكن الانتساب لقبيلة معينة أو نسبة أسر من غيرها إليها ليس بالتمنيٍّ أو الرغبة أو الاعتماد على نصوص ضعيفة محدّدة، وتحميلها فوق ما لا تحتمل، وتجاهل بقية الشواهد والنصوص الأخرى.

ومن هذا المنطلق فإنَّ نسب أسرتنا آل مُعَمَّرٍ لبني خالد، أو بني وائل أَمْرٌ مجانبٌ للصواب، ومنافٍ للحقيقة، ولا يمكن ترديده أو النقاش فيه مع وجود آلِ مُعَمَّرٍ المعنيين بنسبهم، والمأمونين عليه، فهم يرجعون في النسب للعناقر من بني سعد من تميم.

وقد توارثت الأجيال المعمرية نسبَها التميميَّ بالتواتر والمشافهة خلفاً عن سَلَفٍ، وعُرِفَ هذا النسب واشتهر.

ومع أن ما استدل به الشيخ التويجري في نسبتنا إلى بيته الوائلي الكبير العريق لا يعنينا من بعيد أو قريب، سيَّما وأنه لم يتصل بنا أو يطلب أن ننسب أنفسنا بل أعطى لنفسه الحقَّ في تحقيق نسبنا، وكأننا أسرة أو بطن منقرض لم يعد له ذكر إلا في كتب التاريخ والأنساب.

إنَّ اتِّبَاعَ هذا المنهج يتنافَى بشكل صريح مع منهج البحث العلمي الجادّ، الأمر الذي أدَّى إلى وقوع الشيخ الفاضل في الخطإ ومجانبة الصواب، معتمداً على استدلالات ضعيفة، واستقراءات خاطئة لا يعول عليها.

ومع أن مناقشة تلك الاستدلالات من حيث قوتها وضعفها أمْرٌ غير ذي بالٍ في تحقيق نسب آل معمر المعنيين فلا يمكن البحث في أدلة إيجاد بديل نظري، لواقعٍ فعليٍّ محسوس متواتر.

إلَّا أنني سأناقش شواهد الشيخ تلك لبيان ضعف الاستشهاد بها، أو حتى الاستئناس بها فيما ذهب إليه في نسب آل معمر وذلك فيما يلي:

١ ـ إذا تأملنا الأبيات السابقة التي مدح فيها رميزان الأمير حمد بن معمر يتضح أنه ليس في الأبيات ما يدل على أن آل معمر من بني عبدالحميد بن مدرك وأنهم وَائِلِيُّو النَّسب بل إن عبدالحميد الذي ذكر في البيت الأول إن ثبتت صحته ماهو إلا أحد أجداد آل معمر تميمي النسب، وليس له علاقة بوائل. وإذا أردنا أن نحمل بيت رُمَيْزَان على أنه ينسب آل معمر إلى (عبدالحميد بن مدرك الوائلي) مع أن رُمَيْزَان ليس حجة في النسب، والبيت المذكور ليس فيه من قريب أو بعيد ما يدل على هذا المعنى كما أسلفنا، فمن بابٍ أَوْلَى الأخذ برأيه في نسب بني خالد، حيث ذكر أنهم يرجعون في النسب إلى خالد بن الوليد (رضي الله عنه) وذلك في بيته التالي:

أولاد بـلاع ذوابـة خـالـد ابن الـوليد أزكى سـلام زارها

الأمر الذي ينفي تلقائياً نسبة بني خالد لبني وائل، والذي ذكر التويجري أن ابن لعبون قال به في نسخة مخطوطة اطلع عليها، ونقل عنها وهي نسخة منفردة يشك في ما ورد فيها من معلومات عن الأنساب. وقد علق الشيخ حمد الجاسر على كتاب ابن لعبون في الأنساب بقوله: (ويظهر أن كتاب ابن لعبون المتعلق بالأنساب داخله تحوير وتغيير، قد يكون بعد وفاته... وأن ماجاء في ذلك الكتاب من أنه (بقلمه) يحتاج إلى تَثَبُّتٍ)[٤].

وحتى لو ثبتت عن ابن لعبون فإنه لا يعول عليها لأن ابن لعبون قد تناقض في نسب بني خالد فحيناً ينسبهم إلى عامر بن صعصعة وحيناً إلى طيء (خالد الحجاز) وحيناً لبني وائل حسب النسخة التي ذكر التويجري أنه اطلع عليها.

٢ ــ ربط[٥] الشيخ التويجري في تبنيه لهذا الرأي الخاطئْ نتيجة لتشابه الأسماء بين أسرة آل مُعَمَّرٍ التميميين المعنيين في هذا المقال، وبين بطن من بني خالد الحجاز يُدْعَى الْمَعَامِرَةَ ذكرهم القلقشندي في كتابه «نهاية الأرب» قال: والمعامرة بطن من بني خالد الحجاز. وهؤلاء الذين ذكرهم القلقشندي من ذريتهم الآن العمرو والغفيص أهل الْمُرَيْدِيْسِيَّة وبُرَيْدَة[٦]. وهم غير آل مُعَمَّرٍ التميميين، ولا ينتمون لهم بالنسب، إنما هو مجرد توافق في الاسم دون الأصل.

إن منشأ وَهْمِ الشيخ التويجري وابن لعبون في نسبتهما آل مُعَمَّرٍ لبني وائل نتيجة تفسير خاطئْ لشطر البيت السابق قد يكون مرده أن آل مُعَمَّرٍ التميميين نزلوا وملكوا بلداناً كانت في الأصل مواطن شهيرة لقبائل وأسر وائلية النسب، مِثْل مَلْهَم والْعُيَيْنَةَ وسَدُوْس والْجُبَيْلَة وما حول هذه البلاد، فاعتقدا أن آل مُعَمَّرٍ منهم ونَسَبَاهُمْ لوائل.

ثم إن الشيخ التويجري في نبذته المخطوطة عن نسب آل معمر قال: (لو كانوا ــ يقصد آل معمر ــ من بني سعد كما ذكر إبراهيم بن صالح لأنكر رؤساء المعامرة ما ذكره رميزان حيث نسبهم إلى غير قبيلتهم) فالشيخ التويجري يزعم أن آل معمر لم ينكروا نسبهم لبني وائل، وإذا كان قد ثبت أنه بلغ أسلافنا آل معمر أنهم نُسِبُوْا لبني وائل فليس لدى الشيخ الفاضل دليلٌ يثبت أنهم أَقَرُّوْا ذالك النسب الوائلي ولم ينكروه.

وَمَعَ توارث الأجيال المُعَمَّرِيَّة لنسبها التميمي وتَثَبُّتِهَا منه وشيوع هذا النسب بين أهالي المنطقة، والمهتمين بالأنساب فيها، سأورد بعض النصوص الصريحة التي نسبت آل مُعَمَّرٍ لقبيلتهم تميم:

أ) ذكر هذا النسب الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن ناصر بن الأمير عثمان بن معمر المتوفى عام ١٢٤٤هـ في نبذته عن نسب آل معمر حيث أوضح أنهم من العناقر من بني تميم(٧).

ب) ما ذكره المؤرخ النجدي الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى عن نسب آل معمر إذ قال: (والمعامِرَةُ من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم)(٨).

جـ) ذكر نسب آل معمر أيضاً مؤلف كتاب «لمع الشهاب» حين تطرق للجوء الشيخ محمد بن عبدالوهاب للعيينة قال: (فالتجأ إلى عثمان بن معمر التميمي، حاكم العيينة) وأكّد مؤلف الكتاب نسبَ آل معمر لبني تميم في ثلاثة مواضع في كتابه المذكور(٩).

د) عندما تحدث لوريمر عن بلدة سدوس قال: (بها ١٦٠ منزلاً أي ٨٠ لآل معمر قسم من بني تميم)(١٠).

هذا ما أحببت التنويه عنه خيفةَ أن يتوهم أَحَدُ القراء صحةَ ما ذكره التويجري ونسبه لابن لعبون في كتابه الآنف الذكر عن نسب أسرتنا آل مُعَمَّرٍ، فيأخذ به، ويجانب الصواب. وعين الصواب ما قال به الشيخ العالم عبدالله بن بسام في كتابه «علماء نجد» عند ترجمته لجدنا الشيخ حمد بن ناصر بن معمر من أن آل مُعَمَّرٍ تميميُّو النسب. وأحب أن أنوه إلى ماذكرته سابقاً عن الْبَيْتَيْنِ الكريمين بني خالد وبني وائل وشرف الانتساب إليهما. وإنما غرض مقالتنا هذه هو إعلام بالحقيقة وتأكيداً لواقع ليس إلا.

وفي نهاية هذه المقالة أُحِبُّ أن أعقب على ما أورده التويجري ناقلاً عن ابن لعبون بخصوص آل معمر في ملاحظتين:

الأولى: قوله: (وآخر من تمت عمارتها - يقصد العيينة - معه وعظم شأنه أعظم

ملوك نجد في زمانه عبدالله بن محمد. . .) والمعروف أن العيينة بعد الوباء الذي اجتاحها، وأفنى غالب أهلها وتوفي فيه أميرها عبدالله بن معمر عام ١١٣٨هـ كما تقدم ـ بقيتْ واستمرتْ عامرة بعد ذالك، بل ذات شأن ودور رئيسي ومؤثر في نجد، وحافظت على هذا الدور الريادي قريباً من ٣٥ عاماً بعد وفاة الأمير عبدالله، وكان يحكمها خلال هذه المدة ثلاثة من أحفادِه هم الأمير محمد بن حمد ابن عبدالله بن معمر وأخوه الأمير المشهور عثمان بن معمر وابن عمهما الأمير مشاري بن إبراهيم بن عبدالله بن معمر، وإمارة الجميع بين عامي ١١٣٩هـ و١١٧٣هـ. وبعد العام الأخير بدأت العيينة في العد التنازلي. . . ولم تكن آخر عمارتها في عهد الأمير عبدالله بن معمر رحمه الله كما ذكر.

الثانية:حينما أورد ابن لعبون سلسلة نسب الأميرعبدالله بن محمد بن معمر المتوفى عام ١١٣٨هـ قال: (عبدالله بن محمد بن حمد بن عبدالله بن راجح بن حمد بن حسن بن طوق بن سيف المعمري) فذكر ابن لعبون أن اسم الجد الثالث للأمير عبدالله هو راجح.

أما ابن بشر في كتابه عنوان المجد في تاريخ نجد[١١] فذكر أن الجد الثالث للأمير عبدالله هو محمد وماذكره ابن بشر يتفق مع ما يقول به كبار السن من أسرتنا آل مُعَمَّرٍ، من أن الجد الثالث للأمير عبدالله محمد وليس راجحاً. وربما يكون راجح لقباً له.

هذا ما رغبت التنويه عنه. والله تعالى أعلم.

عبدالمحسن بن محمد بن عبدالعزيز آل معمر

الهوامش :

(١) هو الأمير والشاعر والفارس رميزان بن غشام التميمي أمير روضة سدير قتل عام ١٠٧٩هـ وكانت تربطه مع الأمير حمد بن معمر علاقة طيبة وحينما حوصر رميزان في قريته (أم حمار) عام ١٠٥٢هـ سار إليه حمد بن معمر على رأس قوة من أهل العيينة وأخرجه منها.

(٢) رعيديد: أوردها الشيخ عبدالرحمن التويجري (رعديد) في نبذة مخطوطة له عن نسب آل معمر كتبت عام ١٣٩٢هـ.

(٣) «الإفادات عن ما في تراجم علماء نجد لابن بسام من التنبيهات» تأليف عبدالرحمن عبدالله التويجري ص ٦٠-٦٢ الطبعة الأولى ١٤١١هـ مطبعة سفير ـ الرياض.

الشعر والشعراء

في التعليقات والنوادر للهجري

ـ ١٠ ـ

٧٣ ـ خارجة بن فليح المللي المزني

قال(١): وأنشدني أبو الحسن إبراهيم بن يوسف بن عيسى بن محمد بن جعفر ابن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر لخارجة بن فليح المللي وهو مزني في محمد بن جعفر جده المذكور هاهنا:

١ ـ ألَا هَلْ مِنَ البَيْنِ المُشِتِّ مُجِيرُ؟ ... وَهَلْ لِلَّيَالِي السَّالِفَاتِ عُكُوْرُ؟
٢ ـ لَقَدْ صَدَعَتْ بَيْنَ القرينين بَغْتَةً ... نَوَى يَوْمَ جَرْعَاءِ الرِّيَاضِ هَجُوْرُ
٣ ـ فَفِي كَبِدِيْ يَالَيْلَ مِنْ فَجْعَةِ النَّوَى ... نَوَائِبُ وَحْي بَيْنَهُنَّ فُطُوْرُ
٤ ـ يُمِيْتُ المُنَى شَوْقِي مِرَاراً وَلِلْهَوَى ... بِشَوْقِي مِنْ أَحْدَاثِهِنَّ نُشُوْرُ

---

(١) (١٢١هـ) وخارجة هذا أوضح الهجري أنه مزني، ورأيت في بعض الكتب أنه من موالي أسلم، ولكنني أرى صحة قول الهجري، لأن وادي ملل متصل ببلاد مزينة وليس في بلاد أسلم والشاعر عاش في أول العهد العباسي كما يتّضح من مدحه للزبيريين ومنهم بكار بن عبدالله الزبيري الذي تولى إمارة المدينة ثلاث عشرة سنة في عهد هارون الرشيد وتوفي سنة ١٩٥ هـ ـ «جهرة نسب قريش» ـ وللأستاذ عبدالعزيز الرفاعي مؤلف عن خارجة بن فليح هذا حاول أن يجمع فيه شعره ويتحدث عن حياته .

= (٤) مجلة «العرب» ص ٥٩٣ ج ٧ ، ٨ س ١٦ محرم وصفر عام ١٤٠٢هـ .
(٥) يوجد هذا الربط في النبذة المخطوطة للشيخ عبدالرحمن التويجري عن نسب آل معمر حيث قال : (وماذكره ابن لعبون يؤيد ماذكره صاحب «نهاية الأرب» من أنهم أي آل معمر من بني خالد).
(٦) «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» حمد الجاسر ص ٦٢٤ جـ ٢ ط ٢ ١٤٠٩هـ .
(٧) النبذة المشار إليها تقع في خمس ورقات بخط الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن معمر المتوفى في البحرين عام ١٢٤٤هـ رحمه الله .
(٨) «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد» تأليف إبراهيم بن صالح بن عيسى ص ٣٥ نشر (دار اليمامة).
(٩) «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب» ص ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٧ لحسن الريكي مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز.
(١٠) لوريمر «دليل الخليج الجغرافي» ص ٢٣٩ .
(١١) «عنوان المجد»: تأليف عثمان بن بشر جـ ١ ص ١٠١ طبعة ٣ عام ١٣٨٥هـ مطابع القصيم الرياض وصفحة ٥٨ من النسخة المخطوطة منه بالمتحف البريطاني تحت رقم RO ٧٧١٨ .

٥ ـ غَرِيْبٌ عِدَاوِيٌّ يَكَادُ فُؤَادُهُ   إِلَى أَهْلِ جِلْسِيِّ الْبِلَادِ يَطِيْرُ
٦ ـ غَرِيْبٌ لَهُ قَلْبٌ يَحِنُّ صَبَابَةً   وَعَيْنٌ بِأَسْرَابِ الدُّمُوْعِ دَرُوْرُ
٧ ـ وَإِنِّي لِعَيْنٍ أَسْعَدَتْنِي بِدَمْعِهَا   وَقَلْبٍ مَرَاهُ شَوْقُهُ لَشَكُورُ
٨ ـ وَلِي رَوْعَةٌ عِنْدَ الْإِيَابِ وَزَفْرَةٌ   لَهَا تَحْتَ أَحْنَاءِ الضُّلُوْعِ سَعِيْرُ
٩ ـ خَلِيْلَيَّ مَا لِلَّيْلِ بَاتَتْ نُجُوْمُهُ   رَوَاكِدَ مَا يُسْرَى بِهَا فَتَغُوْرُ
١٠ ـ أَظُنُّ اللَّيَالِي زِدْنَ طُوْلاً عَلَى امْرِئٍ   يَطُوْلُ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَهْوَ قَصِيْرُ
١١ ـ سَقَى هَضَبَاتِ الْفَرْشِ كُلُّ مُجَلْجِلٍ   لَهُ نَضَدٌ مِن مُزْنِهِ وَصَبِيْرُ
١٢ ـ وَعَادَ بِأَرْضِ الْجَعفَرِيِّيْنَ رَائِحٌ   هَزِيْمٌ، وَمُنْهَلُّ الْغَمَامِ بَكُوْرُ
١٣ ـ هُنَاكَ بَنُو الطَّيَّارِ فِي الْغُرَفِ الْعُلَى   وُجُوْهٌ عَلَيْهَا نَضْرَةٌ وَسُرُوْرُ
١٤ ـ لَهُمْ غُرَرٌ تَحْتَ الدُّجَا جَعْفَرِيَّةٌ   لَهَا تَحْتَ جِلْبَابِ الظَّلَامِ زُهُوْرُ
١٥ ـ تُرَى أَرْضُهِمْ مِنْ وَقْعِ أَقْدَامِهِمْ بِهَا   وَمَسِّ الْجِبَاهِ السَّاجِدَاتِ طَهُوْرُ
١٦ ـ لَهُمْ نَسَبٌ لَوْ يُسْتَلَانُ بِحَقِّهِ   ذُرَى الصَّخْرِ ظَلَّتْ صُمُّهُنَّ تَمُوْرُ
١٧ ـ دَعَوْتَ لِنَكْبَاتِ الزمانِ مُحَمَّداً   وَقَدْ هِيْضَ عَظْمُ الْجُوْدِ فَهْوَ كَسِيْرُ
١٨ ـ فَلَبَّى وَأَنْشَا مُزْنَةً مِنْ نَوَالِهِ   لَهَا عَارِضٌ جَمُّ السِّجَالِ مَطِيْرُ
١٩ ـ لَهُ شِيَمٌ فِيْهَا أَنَاةٌ وَنَايِلٌ   عَتِيْدٌ وَفِيْهَا لِلنَّكِيْرِ نَكِيْرُ
٢٠ ـ تَلَاقَتْ عَلَيْهِ بِالْمَكَارِمِ مِنْهُمُ   بُطُوْنٌ نَفَتْ عَنْهُ الْقَذَى وظُهُوْرُ
٢١ ـ تَلَاقَتْ عَلَيْهِ أُمَّهَاتٌ حَوَاصِنٌ   ... فِي ... الْكِرَامِ فُخُوْرُ
٢٢ ـ يَمَانِيَّةُ الْأَنْسَابِ أَوْ مُضَرِيَّةٌ   تَخَيَّرَهَا مِنْ سَالِفِيْهِ عَشِيْرُ
٢٣ ـ مُلِكْنَ بعَقْدِ الْخَاطِبِيْنَ وَإِنَّمَا   دَعَاهُنَّ مَجْدٌ ثَاقِبٌ وَمُهُوْرُ
٢٤ ـ بِعَلْيَاءَ تَجْرِي الشَّمْسُ دُوْنَ فُرُوْعِهَا   وَيَقْصُرُ عَنْهَا الطَّرْفُ وَهْوَ حَسِيْرُ
٢٥ ـ بِحَيْثُ اسْتَوَى نَجْمُ السَّمَاءِ وَبَدْرُهَا   هُنَاكَ لَهُمْ مَجْدٌ أَشَمُّ فَخُوْرُ
٢٦ ـ فَتًى عَلِقَتْ كَفِّي بِأَسْبَابِهِ الَّتِي   أَغَارَ قُوَاهَا بِالسَّمَاحِ مُغِيْرُ
٢٧ ـ هُنَاكَ لَهُ بَيْنَ النَّبِيِّ وَجَعْفَرٍ   وَبَيْنَ عَلِيٍّ مَعْقِلٌ وَمَصِيْرُ
٢٨ ـ وَرِثْتَ يَمِيْنَ الْجُوْدِ جُوْدِ ابْنِ جَعْفَرٍ   فَأَنْتَ لَهُ فِي الْغَابِرِيْنَ نَظِيْرُ
٢٩ ـ وَحَرَّمْتَ (لَا) يَاابْنَ النَّبِي فَلَفْظُهَا   لِبَاغِي النَّدى عِبْءٌ عَلَيْكَ كَبِيْرُ

المللي[1]:

١ - وَلَقَدْ قَالَتْ لِأَتْرَابٍ لَهَا ... كَالْمَهَا يَلْعَبْنَ فِي حُجْرَتِهَا
٢ - خُذْنَ عَنِّي الظِّلَّ لَا يُفْزِعُنِي ... وَمَضَتْ تَسْعَى إِلَى قُبَّتِهَا
٣ - بِنْتُ عَشْرٍ لَمْ تُعَانِقْ رَجُلًا ... صُوَرُ الْبَدْرِ عَلَى صُورَتِهَا
٤ - وَلَقَدْ قَبَّلْتُ فَاهَا قُبْلَةً ... كِدْتُ أَلْقَى اللهَ مِنْ لَذَّتِهَا
٥ - لَمْ تُعَانِقْ رَجُلًا فِيمَا مَضَى ... طَفْلَةٌ غَيْدَاءُ فِي كِلَّتِهَا
٦ - لَمْ يَطِشْ سَهْمٌ لَهَا قَطُّ وَمَنْ ... تَرْمِهِ لَمْ يَنْجُ مِنْ رَمْيَتِهَا

الخارجي: (محمد بن بشير)

٧٤ ـ خالِدُ بْنُ زُهير الْهُذَلِيُّ

وأنشد أبو سليمان[1] لخالد جواب أبي ذؤيب من كلمته:

١ - فَلَا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ قَدْ سَنَنْتَهَا ... فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا
٢ - أَلَمْ تَتَنَقَّثْهَا ابْنَ قَيْسِ بْنِ مَالِكٍ ... وَأَنْتَ صَفِيُّ نَفْسِهِ وَسَجِيرُهَا

التَّنَقُّثُ: الاسْتِمالة والعطف، ومعنى ذالك أنت افْتَلَتَّها ممن كان قبلك، فلا تجزع أنِ افْتَلَتُّهَا أنَا مِنْكَ، وَأَنْكَرَ التَّنَقُّذَ ـ بالذال ـ ورواه غيره أيضاً: بالثاء كما روى.

٧٥ ـ خُثَيْمُ بن لُمَيٍّ الْحَرَشِيُّ

قال[1]: وأنشدني أبو يزيد الْمُجَرِّيُّ لِخُثَيْمِ بن لُمَيٍّ، وكلاهما حَرَشِيَّانِ، ودفن أهلَهُ وولَدَه:

١ - أَقُولُ وَالرَّجْلُ فِيهَا الْمُحْلُ قَدْ خَدِرَتْ ... كَأَنَّمَا حَزَّهَا ... بِمِنْشَارِ
٢ - مَنْ ذَا أُنَادِي إِذَا نَامَتْ وَقَدْ لَحِقَتْ ... أَحِبَّتِي بِالأ... يَا ابْنَ بَشَّارِ

---

(١) (٤٨٤م) والمللي نسبة إلى ملل ـ الموضع الذي تقدم نسبة خارجة بن فُلَيْحٍ الْمَزني إليه، وأراه هو ولهذا ألحقت القطعة بشعره.

(١) (١٨١هـ) أبو سليمان الهذليُّ تقدم ذكره في شيوخ الهجريِّ من هُذَيْل، وهو من أكثر من روى عنه لغةً وشِعراً، ولم أهتد لمعرفة اسمه. =

٣ ـ . . . وَلَّى سَوْفَ يَخْلُفُهُمْ عَلَيْكَ وَالصَّبْرُ مَنْجَاةٌ مِنَ النَّارِ
٤ ـ وَكَيْفَ أَصْبِرُ مَعْ عَيْنٍ مُفَجَّعَةٍ تَعْصِي إِذَا نَظَرَتْ فِي عَرْصَةِ الدَّارِ
٥ ـ وَلاَ تَرَى مِنْ صَدِيقٍ كَانَ يَسْكُنُهَا خَلْفاً فَفِي كُلِّ يَوْمٍ دَمْعُهَا جَارِ

٧٦ ــ خِداش بن زهير العامريُّ

قال وأنشدني لِخِدَاشِ بن زُهَيْر[١]:

١ ـ فِي لَيْلَةٍ مُتَوَاكِلٍ أَضْيَافُهَا وَعِيَالُهَا كَثُرتُهَا بِعِيَالِي
٢ ـ بِغَرَانَ أَوْ وَادِي الْقُرَى عَبِثَتْ بِهِمْ نَكْبَاءُ بَيْنَ صَبًا وَبَيْنَ شَمَالِ

٧٧ ــ أَبُو خِرَاشٍ : (خويلد بن مُرَّة) الـهُذَلِيُّ

وأَنْشَدَنِي الْعَتِيْرِيُّ[١] لِأَبِي خِرَاشٍ يَرْثُو رجلاً من قومه، قتله جميلُ بنُ مَعْمَرٍ يوم فتح مكة[٢]:

١ ـ فَجَّعَ أَضْيَافِي جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ بِذِي نَجَدٍ تَأْوِي إِلَيْهِ الْأَرَامِلُ
٢ ـ طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ لَيْسَ بِجَيْدَرٍ إِذَا رَاحَ واسْتَرْخَتْ عَلَيْهِ الْحَمَائِلُ

= خالدُ بن زُهير ابْنَ عَمِّ لأبي ذؤيب وابن اخته، كان بعثه إلى امرأة كان يهواها فمالت إلى خالد وتركت أبا ذؤيب فقال أبو ذؤيب قصيدة في ذالك («شرح أشعار هذيل» ١/٢٠٧ إلى ٢١٢) فأجابه خالد بقصيدة وردت في الكتاب ومنها هذان البيتان مع اختلاف في بعض الألفاظ (انظر المصدر السابق ص ٢١٣).

(١) (٨٣هـ) قال الرشاطي في «اقتباس الأنوار»: الْمُجرُ في أسد بن خزيمة، وفي عامر بن صعصعة، . . والذي في بني عامر: الْمُجْر بن الْحُرَيْش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، . . الْمُجرُ من الإجرار. . ثم نقل عن الهجري شعراً في نساء بني الْمُجرِّ بن الحريش، في شعر قشير.

(١) (٣٣٩هـ) وأقرب راوٍ هو الأزرقي، وخِدَاش من شعراء الجاهلية المعروفين، حضر حَرْب الفِجَار، وهو من بني عامر بن صَعْصَعَة (خداش بن زُهير بن ربيعة بن عمرو ــ فارس الضحياء ــ بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

(١) (٢٨١م) والعتيري هو نجدة بن عبدالأعلى ممن روى عنهم الهجري، وهو من صاهلة هذيل، عاترة بطن منهم (١٣٩هـ) وأبو خِرَاشٍ ــ خويلد بن مُرَّة، من بني قِرْد بن عَمْرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل، من مشاهير شعراء هذيل، صحابي، توفي في عهد عمر بن الخطاب، والقصيدة في «شرح اشعار الهذليين» في ١٢ بيتاً مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) قال الأستاذ صبحي البصام في مجلة «مجمع اللغة العربية بدمشق» المجلد الـ ٥٨ ص ١٣٧٠ الصواب: =

٣ - إِلَى بَيْتِهِ يَأْوِي الْغَرِيْبُ إِذَا شَتَا وَمُهْتَلِكٌ بَادِي الدَّرِيْسَيْنِ عَائِلُ
٤ - تَرَوَّحَ مَقْرُوْراً وَرَاحَتْ عَشِيَّةٌ لَهَا حَدَبٌ تَحْتَثُّهُ فَيُوَائِلُ
٥ - تَكَادُ يَدَاهُ تُسْلِمَانِ دَرِيْسَهُ مِنَ الْقُرِّ لَمَّا اسْتَقْبَلَتْهُ الشَّمَائِلُ
٦ - فَأُقْسِمُ لَوْ لاَقَيْتُهُ غَيْرَ مُوْثَقٍ لآبَكَ بِالْجِزْعِ الضِّبَاعُ النَّعَائِلُ
٧ - لَكَانَ جَمِيْلُ أَسْوَأَ الْقَوْمِ تَلَّةً وَلَكِنْ قِرْنَ الظَّهْرِ لِلْمَرْءِ شَاغِلُ
٨ - فَمَا بَالُ أَهْلِ الدَّارِ لَمْ يَتَصَدَّعُوا وَقَدْ خَفَّ مِنْهَا اللَّوْذَعِيُّ الْحُلاَحِلُ
٩ - وَلَمْ أَنْسَ أَيَّاماً لَنَا وَلَيَالِياً بِنَخْلَةَ إِذْ نَلْقَى بِهَا مَنْ نُحَاوِلُ
١٠ - فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ أَيامَ مَالِكٍ(٣) وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرِّقَابِ السَّلاَسِلُ
١١ - وَصَارَ الْفَتَى كَالْكَهْلِ لَيْسَ بِقَائِلٍ سِوَى الْحَقِّ شَيْئاً وَاسْتَرَاحَ الْعَوَاذِلُ

٧٨ ـ الخزعلي السنبسي الطائي

أنشدني(١) مالك بنُ خَنْبَش بنِ اللُّدَيْدِ الْخُمَيْرِيُّ لِلْخَزْعَلِيِّ بَطْنٍ مِنْ سِنْبِسَ صاحب ليل الْعَمْرِيَّة من عَمْرو بن جُوَيْنٍ:

١ - وَلَيْلَى بَنِي عَمْرٍو ذَكَرْتُ وَرُبَّمَا ذَكَرْتُ عَلَى الْأَشْغَالِ لَيْلَى بَنِي عَمْرِو
٢ - إِنِ الْقَوْمُ خَاضُوا فِي الْأَحَادِيْثِ أَوْلَهَوْا سَهَا دُوْنَ مَاقَالُوْا عَلاَنِيَةً صَدْرِي

= قتل في معركة حنين، والمقتول رجل عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام، وفي «سيرة ابن هشام» ٢/٤٧٢ و «الأغاني» ٢١/٢١٠ وغيرهما مايدل على وهم الهجري. انتهى. وفي «شرح اشعار الهذليين» - ١٢٢١ -: قال أبو خراش في قتل زُهَيْر بن الْعَجْوَةِ أخي بني عمرو بن الحارث وكان قتلهم جميل بن مَعْمَرٍ يوم حنين، وجده مربوط في أناس أخذهم أصحاب النبي ﷺ، وضَرَبَ عنقه الخ.

(٣) كذا في الأصل، (أيام مالك) والصواب: (يا أم مالك) كما في «شرح أشعار الهذليين».

(١) (٣٩١هـ) وسِنْبِسُ وجُوَيْنٌ بطنان من طَيِّءٍ مشهوران قال الهجري (٣٨٠م) بطون سِنْبِس: جرير ورَبيع وجُوَيْن وعقدة، فصائل جرير بن سنبس: خَزْعل - معجم الخاء والزاي - وعُبَيد وجابر وصفارة وقُرْط وسواءة الخ.

(للبحث صلة)

ما اتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي [٥٤٨/٥٨٤هـ]

— ٧٣ —

٣١١ - بَابُ خَفَّانَ ، وَحِفَان(١)

أَمَّا ٱلْأَوَّلُ : - بَعْدَ الْخَاءِ ٱلْمَفْتُوحَةِ فاءٌ مُشَدَّدَةٌ - : مَوْضِعٌ قُرْبَ ٱلْكُوفَةِ يَسْلُكُهُ الْحَاجُّ أَحْيَاناً(٢).

وَأَمَّا الثَّانِي : - أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَكْسُورَةٌ ، وَالْفَاءُ مُخَفَّفَةٌ - :

قَالَ ابْنُ ٱلْأَعْرَابِيِّ : بَلَدٌ(٣) .

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ فِي حَرْفِ الْجِيمِ : (بَابُ الْجِفَارِ وَحُفَار ، وخُفَّانَ وجِفان) .

(٢) قَالَ نَصْرٌ - بَعْدَ ضَبْطِ الاسْمِ : أَرْضٌ قُرْبَ الْكُوفَةِ ، مَوْصُوفَةٌ بِكَثْرَةِ الأُسْدِ ، قَالَ عامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ الْكِنَانِيُّ : -

لَيْثٌ بِخَفَّان خَادِرٍ . . . .

وَقَالَ فِي « معجم البلدان » : خَفَّانُ مَأْسَدَةٌ قِيلَ : هِيَ فَوْقَ الْقَادِسِيَّةِ ، وقَالَ السُّكُونِيُّ : خَفَّانُ مِنْ وَرَاءِ النُّسُوخ(؟) عَلَىٰ مِيلَيْنِ أو ثَلاثَةٍ ، عَيْنٌ عَلَيْهَا قَرْيَةٌ تُعْرَف بِخَفَّانَ ، فَمَنْ خَرَجَ مِنْهَا يُرِيْدُ وَاسِطاً فِي الطَّفِّ خَرَجَ إِلَى نَجْرَانَ ثم إِلَىٰ عَبْدِيْنِيَا وجُنْبُلاء ثم قَنَاطِر بَنِي دَارَا وتَلِّ نخارٍ ، ثم إِلَىٰ وَاسِط ، وقَالَ السُّكَّرِيُّ : خَفَّانُ وخَفِيَّةُ أَجَمَتَانِ قَرِيْبَتَانِ مِنْ مَسْجِد سَعْدٍ - انتهى ملخصاً .

(٣) نَصُّ مَا فِي كِتَابِ نَصْرٍ وَمِثْلُهُ فِي « مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ » مَعَ شاهِدٍ مِنْ قَوْلِ الأَخْطَلِ :

لَيَالِيَ لا يُجْدِي الْقَطا لِفِرَاخِهِ بِذِيْ أَبْهَرٍ مَاءً وَلاَ بِحِفَانِ

يُجْدِيْ : يَحْمِلُ - والْبَيْتُ فِي «شعر الأخطل » - ٢٣٦ تحقيق صالحاني - وَلاَ أَسْتَبْعِدُ كَوْنَ الْمَوْضِعِ فِي الْجَزِيْرَةِ الْفُراتِيَّةِ كَكَثِيْرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يذكُرُهَا الأَخْطَلُ وتِلْكَ بِلادُهُ .

وَزَادَ نَصْرٌ :

١ - الْجِفَارُ - بِكَسْرِ الْجِيْمِ وآخِرُهُ راءٌ ؛ : مَوْضِعٌ بَيْنَ مِصْرَ والشَّام وأيضاً : بَيْنَ الْبَصْرَةِ والكُوفَةِ ، وَقِيْلَ : ماءٌ لِتَمِيْم . وتَقَدَّمَ الكَلاَمُ عَلَيْهِ فِي بَابِهِ عِنْدَ الحازمي - وَهُوَ الْبَابُ (١٩٨) . وانظر فاتحة س ٢٧ من «العرب»

٢ - حُفَارُ - قَالَ نَصْرٌ : بِضَمِّ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ - : مِنْ بِلاَدِ الْيَمَنِ أَوْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تِهامَةَ - تَقَدَّمَ فِي الْبَابِ الْمَذْكُوْرِ .

٣١٢ - بابُ خُفَافٍ ، وَجُفَافٍ[1]

أَمَّا ٱلأَوَّلُ : - بِضَمِّ الْخَاءِ : - مِنْ مِيَاهِ عَمْرِو بْنِ كِلَابٍ بِحِمَى ضَرِيَّةَ[2].

وَأَمَّا الثَّانِي - : وأَوَّلُهُ جِيمٌ مَضْمُومَةٌ - : صُقْعٌ مِنْ بِلَادِ بَنِي أَسَدٍ ، وَالثَّعْلَبِيَّةُ مِنْ هذا الصُّقْعِ[3].

٣١٣ - بابُ خَلٍّ ، وَجُلٍّ[1]

أَمَّا ٱلأَوَّلُ : - بِفَتْحِ الْخَاءِ - : مَوْضِعٌ حِجَازِيٌّ[2] .

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ في حَرْفِ الجِيمِ : (بَابُ جُفَافٍ وخُفَافٍ وجِفَافٍ .

(٢) وَزَادَ نَصْرٌ : وَهُوَ بِسُرَّةِ وَضَحِ الْحِمَى ، وَجَمَعَ يَاقُوتُ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ وزَادَ - بَعْدَ ٱلْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ قَالَ الرَّاعِي :

رَعَتْ مِنْ خُفَافٍ حِينَ نَقَّ عُبَابُه ... وَحَلَ الرَّوَايَا كُلُّ أَسْحَمَ مَاطِرِ

ولكن يُلَاحَظُ أَنَّ صَاحِبَ «بِلَادِ الْعَرَبِ» قَالَ وَهُوَ يَذْكُرُ مِيَاهَ بَنِي جَعْفَرٍ من كلاب ب - ٩٣ - : وعَمُودُ الكَوْدِ ، وَهُوَ جَرُورٌ أَنْكَدُ وَخُفَافٌ مُوَيْهَةٌ لَهُمْ . انتهى وبِلَادُ بني جَعْفَرٍ هي الدَّاخِلَةُ في حِمَى ضَرِيَّةَ بِخِلَافِ بِلَادِ بَنِي عَمْرِو بْنِ كِلَابٍ فَهِيَ مُرْتَفِعَةٌ عَنْهُ .

(٣) هُوَ قَوْلُ نَصْرٍ . وَبِهِ قَالَ يَاقُوتُ : الثَّعْلَبِيَّةُ الَّتِي بِقُرْبِ الكُوفَةِ ، وأَوْرَدَ لابْنِ مُقْبِلٍ :

مِنْهَا بِنَعْفِ جُرَادٍ فَالْقَبَائِضِ مِنْ ... وَادِي جُفَافٍ مَرَأً، دُنْيَا، ومُسْتَمَعُ

أَرَادَ : مَرْأَى دُنْيَا فَخَفَّفَ . وقَالَ نَصْرٌ : وجُفَافُ أيضا مَاءٌ لِبَنِي جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ في دِيَارِهِمْ ، وقَالَ جَرِيرٌ :

وَمَا أَبْصَرَ النَّارَ الَّتِي وضَحتْ لَهُ ... وَرَاءَ جُفَافِ الطَّيْرِ إِلَّا تَمَادِيَا

قَالَ السُّكَّرِيُّ : جُفافُ أَرْضٍ لأَسَدٍ وحَنْظَلَةَ واسِعَةٌ ، فِيهَا أَمَاكِنُ يكونُ الطَّيرُ فِيهَا ، قَالَ وكَانَ عُمَارَةُ بن عَقِيلِ بن بِلَالِ بْنِ جَرِيرٍ يقول : وَرَاءَ حِفَافِ الطَّيْرِ بالْحَاءِ المهملة إلى آخر ما سَيَاتِي مِنْ كَلَامِهِ بَعْدَ هَذَا ، والْقَوْلُ بِأَنَّ الثَّعْلَبِيَّةَ مِنْ جُفَافٍ يُوضِحُ الْمَوْقِعَ وأَنَّهُ فِي غَرْبِيِّ الْحَزْنِ فِيمَا يُعْرَفُ الآنَ بِاسْمِ التَّيْسِيَّةِ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ الدَّهْنَاءِ ، إِذِ الثَّعْلَبِيَّةُ لَا تَزَالُ مَعْرُوفَةً هُنَاكَ (بِقُرْبِ خطِّ الطُّول : ١٥ /٤٣° وَخطِّ الْعَرْضِ : ١٦ /٢٨°) ويُوشِكُ اسْمُ الْبِدْعِ أَنْ يَطْغَى عَلَى (الثَّعْلَبِيَّةِ) الآن .

ومِمَّا زَادَ نَصْرٌ :

حِفَاف قائِلًا : وَأَمَّا بِكَسْرِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ : مَوْضِعٌ ، جَمْعُ حِفَّةٍ . وَأَوْرَدَ يَاقُوتُ قَوْلَ جَرِيرٍ الْمُتَقَدِّمِ في رَسْمِ جُفَافٍ ، وأَضَافَ : وَكَانَ عُمَارَةُ يَقُولُ : وَرَاءَ حِفَافِ الطَّيْرِ قَالَ : هٰذِهِ أَمَاكِنُ تُسَمَّى الأَحِفَّةُ فَاخْتَارَ مِنْهَا مَكَانًا فَسَمَّاهُ حِفَافًا ، ثُمَّ سَاقَ كَلَامَ نَصْرٍ بِنَصِّهِ بِدُونِ زِيَادَةٍ .

(١) عِنْدَ نَصْرٍ في حرفِ الجيمِ : (بَابُ الْجُلِّ والْخَلِّ) .

(٢) نَصُّ كَلامِ نَصْرٍ ، وأَوْضَحَ ياقُوتُ في «المعجم» ٱلْمَعْنَى اللُّغَوِيَّ لِلْخَلِّ ، وَمِنْهُ : الطَّرِيقُ في الرَّمْلِ وَذَكَرَ بِمَا =

وَأَمَّا الثَّانِي ـ : أَوَّلُهُ جِيْمٌ مَضْمُومَةٌ ـ : مَوْضِعٌ فِيْ الْبَادِيَةِ عَلَىٰ جَادَّةِ طَرِيْقِ الْقَادِسِيَّةِ إِلَىٰ زُبَالَة ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَرْعَا سِتَّةَ عَشَرَ مِيْلًا وَلَهُ ذِكْرٌ فِي الشِّعْرِ(٣).

٣١٤ ـ بَابُ خُمْرَانَ ، وَحُمْرَانَ ، وَحِمَّزَانَ ، وجُمْدَانَ(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ : ـ بِضَمِّ الْخَاءِ ـ : مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ ، يُذْكَرُ مَعَ نَيْسَابُور ، وَطُوْسَ ، وَأَبِيْوَرْدَ ، وَنَسَا فِي الْفُتُوْحِ ، وهٰذِهِ الْبِلَادُ فَتَحَهَا عَبْدُ اللهِ بنُ عَامِرٍ عَنْوَةً حَتَّىٰ انْتَهى إِلَىٰ سَرَخْسَ ، وَيُقَالُ : فَتح بَعْضَ هٰذِهِ الْبِلَادِ صُلْحاً ، وَذَالِكَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِيْنَ .

وَأَمَّا الثَّانِي : ـ أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَضْمُوْمَةٌ ـ : قَصْرُ حُمْرانَ فِي الْبَادِيَةِ بَيْنَ الْعَقَبَةِ وَالْقَاعِ بِقُرْبِ الْجَادَّةِ(٣).

= يُسَمَّى بِالْحَلِّ مَوَاضِعَ فِي جِهَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ ، ومِنْهَا مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ والْمَدِيْنَةِ، قُرْبَ مَرْجِحَ وَمَرْجِحُ وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي خَبَرِ الهِجْرَةِ فِي «السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ» ـ ١/٤٩١ ـ : ثُمَّ اسْتَبْطَنَ بِهِمَا مَدْلَجَةَ مَجَاحٍ ، ثُمَّ سَلَكَ مَرْجِحِ مَجَاحٍ ، ثُمَّ تَبَطَّنَ بِهِمَا مَرْجِحَ مِنْ ذِي الْغَضَوَيْنِ ـ الخ ـ فَهُوَ مِنْ رَوَافِدَ وَادِي مَجَاحٍ أَحَدِ أَوْدِيَةِ الْفُرْعِ الْمَعْرُوْفَةِ الآنَ ـ وانظر «الْعرب» س١ ص ٥٩٠ ـ

(٣) قَالَ نَصْرٌ : ـ الجُلُّ ـ بِضَمِّ الجِيْمِ ـ: عَلَى سِتَّةَ عَشَرَ مِيْلًا مِنَ الْقَرْعَا ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرُّمَّانَتَيْنِ عَلَى جَادَّةِ طَرِيْقِ مَنْ يَسْلُكُ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ إِلَىٰ زُبَالَة . انتهى. وَقَالَ فِي «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ» : الجُلُّ . . بِالضَّمِ وَتَشْدِيْدِ اللَّامِ ـ : وَهُوَ قَرِيْبٌ مِنَ السُّلْمَانِ ، ثُمَّ خَلَطَ الْقَوْلَيْنِ وَنَسَبَهُمَا لِلْحَازِمِيِّ وَلَمْ يَزِدْ ـ وقَدْ وَرَدَ الاسْمُ فِي الأَصْلِ مِن كِتَابِ الْحَازِمِيِّ (جُدُل) ولكِنَّ وُرُوْدَ النَّصِ عِنْدَ نَصْرٍ وفي «معجم البلدان» وعَدَمَ ذِكْرِ (جُدُل) فِي مَوْضِعِهِ مِنْ «معجم الْبُلْدَانْ» اتَّضَحَ أَنَّ الصَّوَابَ مَا فِي الْمَخْطُوْطِةِ الأُخْرَى . والجُلُّ لَا يَزَالُ مَعْرُوفاً يَقَعُ غَرْبَ جَنُوبِ السُّلْمَانِ فِي مِنْطقةِ الْحَجَرَةِ (بِقُرْبِ خَطِّ الطُّولِ : ٥٨ ˉ/٤٣° وخَطِّ الْعَرْضِ : ٢٢ ˉ/٣٠°) كَانَ مِنْ مَنَازِلِ طَرِيْقِ الحجِّ الْكُوْفِيِّ .

(١) عِنْدَ نَصْرٍ: (بَابُ جُمْرَانَ ، وخُمْرَانَ ، وحُمْرَانَ ، وحِمْزَانَ ، وجُمْدَانَ) .

(٢) قَالَ نَصْرٌ : خُمْرَانُ ـ بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ـ مِن بِلَادِ خُرَاسَانَ ، فَتَحَ ابْنُ عامِرٍ أَبْرَشَهْرَ وما حَوْلَهَا طُوْسَ وأَبِيْوَرْدَ وخُمْرَانَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَرَخْسَ ، وذَالِكَ سَنَةَ إِحْدَى وثلاثِيْنَ . إنتهىٰ وأوْرَدَ يَاقُوتُ نَصَّ كَلَامِ الْحَازِمِيِّ غَيْرَ مَنْسُوبٍ .

(٣) عِنْدَ نَصْرٍ بَعْدَ كَلِمَةِ (الْقَاعِ): يَطَؤُهُ طَرِيْقُ الْحَاجِّ مِنَ الْكُوْفَةِ، أَوْ مُتَيَاسِرٌ عَنْهُ قَلِيْلًا. وسَاقَ يَاقُوتُ كَلَامَ نَصْرٍ ، واسْتَشْهَدَ بِقَوْلِ رَبِيْعَةَ بْنِ مَقْرُوْمٍ الضَّبِّيِّ :

أَمِنْ آلِ هِنْـدٍ عَـرَفْتَ الـرُّسُوْمَـا ... بِحُمْـرَانَ قَفْـرًا أَبَـتْ أَنْ تَـرِيْمَـا =

وَمَاءٌ فِي دِيَارِ الرِّبَابِ[٤]
وَأَيْضاً مَوْضِعٌ بِالرَّقَّةِ[٥] .

وَأَمَّا الثَّالِثُ : ـ بِكَسْرِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْمِيمِ الْمُشَدَّدَةِ بَعْدَهَا زَايٌ ـ : قَرْيَةٌ بِنَجْرَانَ الْيَمَنِ[٦] .

وَأَمَّا الرَّابِعُ : ـ أَوَّلُهُ جِيمٌ مَضْمُوْمَةٌ وَبَعْدَ الْمِيمِ السَّاكِنَةِ دَالٌ مُهْمَلَةٌ ـ : جَبَلٌ بَيْنَ يَنْبُعَ وَالْعِيصِ ، عَلَى لَيْلَةٍ مِنَ الْمَدِيْنَةِ وَفِي الْحَدِيْثِ : مَرَّ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ عَلَى جُمْدَانَ فَقَالَ : « هٰذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُوْنَ »[٧] الحديث .

وَأَيْضاً وادٍ بَيْنَ ثَنِيَّةِ غَزَالٍ وَأَمَجٍ[٨] .

= وَأَضَافَ : وقَصْرُ حُمْرَانَ : قَرْيَةٌ قُرْبَ الْمَعْشُوْقِ بَيْنَهَا وبَيْنَ تَكْرِيْتَ ، وحُمْرَانُ أَيْضًا ماءٌ في دِيَارِ الرِّبَابِ، ثُمَّ أَوْرَدَ خَبَرَ مَالِكِ بن الرَّيْبِ الْمَازِنِيِّ وَقَوْلَهُ :

سَرَتْ فِي دُجَى لَيْلٍ فَأَصْبَحَ دُوْنَهَا ... مَفَاوِزُ حُمْرَانِ الشُّرَيْفِ فَغُرَّبِ
تُطَالِعُ مِنْ وَادِي الْكُلَابِ كَأَنَّهَا ... وَقَدْ أَنْجَدَتْ مِنْهُ فَرِيْدَةُ رَبْرَبِ

وَقَدْ خَلَطَ يَاقُوتُ بَيْنَ حُمْرَانَ ـ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ـ وجُمْرَانَ ـ بِالْجِيمِ ـ فَشِعْرُ رَبِيْعَة ومَالِكٍ يَنْطَبِقُ عَلَى جُمْرَانَ ـ بِالْجِيمِ ـ كَمَا أَوْرَدَهُ هُنَاكَ وَهُوَ الَّذِي فِي بِلَادِ الرِّبَابِ فَرِيْعَةٌ مِنْ ضَبَّةَ ذات الصَّلَةِ بِالرِّبَابِ ، وَمَالِكٌ أَضَافَ جُمْرَانَ إلى الشُّرَيْف وغُرَّب ، والثَّلَاثَة الْمَوَاضِعِ مُتَقَارِبَة وَلَا تَزَالُ مَعْرُوْفَةً . والعَقَبَةُ والقاعُ لَا يَزَالان مَعْرُوفَيْنِ شرق بَلْدَةِ رَفْحا (فيما بَيْنَ خَطَّي الْعَرض ٤٥ـ/٢٩° و١٠ـ/٣٠° وبِقُرْب خَطِّ الطُّوْل : ١٠ـ/٤٣°)
وقَصْرُ حُمْرَانَ غَيْرُ مَعْرُوْفٍ هُنَاك عَلَى ما أعلم .

(٤) وَكَذَا عِنْدَ نَصْرٍ ، وَتَقَدَّمَ قَوْلُ يَاقُوْتٍ، وَتَوَاطأَ الثَّلاثَةُ على تَصْحِيْفِ هٰذَا الاسْمِ ، وهُوَ جُمْرَانُ ـ بِالْجِيمِ ـ كَمَا سَيَأْتِي فِي زِيَادَاتِ نَصْرٍ .

(٥) هُوَ قَوْلُ نَصْرٍ ولَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ، يَاقُوتُ .

(٦) كَقَوْلِ نَصْرٍ ، وقَوْلُ يَاقُوْتٍ : حِمِّانُ ـ بِكَسْرَتَيْنِ وتَشْدِيْدِ الزَّاي وأَلِفٍ وَنُوْنٍ ، ـ : قَرْيَةٌ بِنَجْرَانَ الْيَمَنِ : انتهى وَلَا تُعْرَفُ الآن هٰذِهِ الْقَرْيَة .

(٧) لَمْ يَرِدِ الْحَدِيْثُ فِي كَلَامِ نَصْرٍ . وَفِي «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ» ـ عَنْ جُمْدَان ـ : فَأَمَّا الْحَدِيْثِ فَقَدْ صَحَّفَهُ يَزِيْدُ بْنُ هَارُوْنَ فَجَعَلَ بَعْدَ الْجِيْمِ نُوْنًا ، وَصَحَّفَهُ بَعْضُ رُوَاةِ مُسْلِمٍ فَقَالَ حُمْرَان ـ بِالْحَاءِ والرَّاءِ ـ وَهُوَ مِنْ مَنَازِلِ أَسْلَمَ بَيْنَ قُدَيْدٍ وَعُسْفَانَ ـ ثُمَّ كَلَامُ الْحَازِمِيِّ مَنْسُوباً إِلَيْهِ ، وَذَكَرَهُ الأَزْهَرِيُّ بِاسْمِ بُجْدَانَ ، وَفِي شِعْرِ كُثَيِّرٍ :

أَقَامَ عَلَى جُمْدَانَ يَوْمًا ولَيْلَةً ... فَجُمْدَانُ مِنْهُ مَائِلٌ مُتَقَاصِرُ

قَدْ يَكُوْنُ بَيْنَ يَنْبُعَ والعِيصِ جَبَلٌ يُسَمَّى جُمْدَانَ . ولكِنَّ جُمْدَانَ الْوَارِدَ فِي الْحَدِيْثِ لَا يَزَالُ مَعْرُوْفاً حَيْثُ مَرَّ

وادعة القبيلة القحطانية العريقة الأصل

بعث الأخ محمد بن مهاوش بن مسفر الوادعي من ظهران الجنوب مقالاً مطولاً عن قبيلة وادعة القبيلة العريقة الأصل، التي لاتزال تحل منازلها القديمة في جنوب المملكة، وقد رجع الكاتب الفاضل محمد الوادعي إلى كثير من المؤلفات العربية القديمة والحديثة في الأدب والتاريخ والأنساب، إلاَّ أنَّ استيعاب ماورد في تلك الكتب يحتاج إلى عمق دراسة، وإلى تحقيق في كثير من الآراء والأقوال المتعلقة بتاريخ تلك القبيلة الكريمة، ولا يتّسع مجال مجلة «العرب» لنشر ما كتب به الأخ ابن مهاوش الوادعي لتعمقه في البحث في التاريخ القديم وهذا مما يحتاج إلى تثبُّت، وتحقيق من المختصين بعلم التاريخ.

←

= بِهِ الرَّسُولُ صَلَّ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . يَسِيْرُ فِي طَرِيْقِ مَكَّةَ ، يَبْعُدُ عَنْهَا شَمالاً اقلّ مِنْ مِئَةِ كِيْلٍ لِلْمُتَّجِهِ أَلَى الْمَدِيْنَةِ . يُشَاهَدُ عَلَى الْيَسَارِ مِنَ الطريق الْقَدِيم الْمَارّ بعسفان ، وعَلَى اليَمْين من الطَّرِيْقِ الْمَارّ بجدّة بَيْنَ وَادِي خُلَيْص وَبَيْنَ البَحْرِ ، لَهُ قِمَّتَانِ مُرْتَفِعَتَانِ يَتَخَيَّلُهُمَا الرَّائِي جَبَلَيْنِ .

وقَدْ يَكُوْنُ اسْمُ الْجَبَل تُوَسِّعَ فِيْهِ فَشَمَلَ الوَادِيَ الَّذِيْ بِقُرْبِهِ فَغَزَالُ تُعْرَفُ الآن بِاسْمِ الثَّنِيَّةِ (ثَنِيَّةُ غَزالٍ قَدِيمًا)، وَأَمَجُ هُوَ وَادِي خُلَيْصٍ ، ولِكُلِّ جِزْءٍ مِنْ وادي أَمَجٍ اسْمٌ ، فَقَدْ يَكُون أُطْلِقَ عَلَى الجِزْءِ الْوَاقِعِ فِي سُفُوْحِ جُمْدَان هَذا الاسم .

(٨) زَادَ نَصْرٌ : مِنْ أَعْرَاضِ الْمَدِيْنَةِ . ولَكِنْ هَذَا غَيْرُ صَحِيْحٍ ، فَجُمْدَانُ وَمَاحَوْلَهُ مِنْ أَعْرَاضِ مَكَّةَ .

وَمِمَّا زَادَ نَصْرٌ :
جُمْرَانُ ، قَائِلاً : وَأَمَّا بِضَمِّ الْجِيْم : جَبَلٌ أَسْوَدُ بَيْنَ الْيَمَامَةِ وَفَيْدَ ، مِنْ دِيَارِ بَنِي تَمِيْم ، أَوْبَنِي نُمَيْر انتهى .
وَقَالَ يَاقُوتُ : جُمْرَانُ ـ بالضمِّ ثُمَّ السُّكُوْنِ ـ ثُمَّ مَا اوْرَدَ فِي حُمْرَانَ ، وأَضَافَ قَوْلَ نَصْرٍ مَنْسُوْباً إِلَيْهِ ، وزَادَ : وَقَالَ أَبُو زِيَادٍ : جُمْرَانُ جَبَلٌ مَرَّتْ بِهِ بَنُو حَنِيْفَةَ مُنْهَزِمِيْنَ يَوْمَ النَّشْنَاشِ فِي وَقْعَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ بَنِي عُقَيْلٍ فَقَالَ شاعِرُهُمْ :

وَلَــوْ سُئِلَتْ عَنَّــا حَنِيْفَــةُ خَبَّــرَتْ   بِمَــا لَقِيَتْ مِنَّا بِجُمْــرَانَ صِيْدُهَــا

وَكَأَنَّهُ ـ رَحِمَهُ الله ـ لَمْ تَتَّضِحْ لَهُ صِحَّةُ الاسْمِ إِذْ كَرَّرَ شِعْرَ رَبِيْعَةَ بْنِ مَقْرُوْمٍ وَمَالِكِ بْنِ الرَّيْبِ فِي رسم (جُمْرَانَ) و (حُمْرَانَ) ولَكِنْ مِمَّا لا شَكَّ فِيْهِ أَنَّ جُمْرَانَ ـ بِالْجِيْم ـ جَبَلٌ أَسْوَدَ فِيْهِ مَاءٌ بِهَذَا الاسْمِ وَهُوَ الْوَارِدُ فِي الشَّوَاهِدِ الشِّعْرِيَّةِ الَّتِي أَوْرَدَهَا ، وَهُوَ وَاقِعٌ فِي مِنْطَقَةِ السِّرِّ ، غَرْبَ الصَّفْرَاءِ ، شَمَالَ هِجْرَةِ عَرْجَةَ ، فِي الْجَنُوْبِ الشَّرقِيِّ مِنْ جَبَلِ غُرْبٍ ، بِقُرْبِ مَاءِ النَّشَّاسِ ، والْمَوَاضِعُ الثَّلاثَةُ تَتَرَآى (جُمْرَانُ بِقُرْبِ خط الطول: ١٦¯/٤٤° الْعَرْضِ : ٥٠¯/٢٤° .

وتكتفي المجلة بإيراد بعض مافي مقال الأخ الوادعي:

١ ـ أشار الكاتب الكريم إلى الاختلاف باسم (وادعة) إذْ ورد في بعض المؤلفات (وداعة) بتقديم الدال على الألِف، وقال: إن هذا ناجم عن تصحيف، وأن الصحيح تقديم الألف على الدال (وَادِعة) واستدل بما ورد في «الاشتقاق» لابن دريد و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم وغيرهما.

٢ ـ ذكر أن وادعة في الجاهلية كانت تسمى عُصَارة المسك، وأحال إلى كتاب «الاكليل» للهمداني ج ١٠ ص ٨٠ تحقيق محب الدين الخطيب.

والمسك كما هو معروف من أذكى ماعرف عند العرب من الأطياب وأشهرها.

٣ ـ ونقل أن عمر بن الخطاب سأل عَمْرَو بْنَ مَعْدِيْ كَرِب: أيُّ العرب أبغض إليك أن تلقاه؟ قال: وادعة من همدان، وأحال إلى كتاب «مروج الذهب» للمسعودي ج ٢ ص ٣٣٤ .

ومعروفة منزلة عَمْرِو بنِ مَعْدِيْ كَرِبَ في الشجاعة وكونه يصف قبيلة (وادِعة) بهذه الصفة مما يدل على شجاعتها وقوتها.

٤ ـ أشار إلى الاختلاف بين علماء النسب في نسب وادعة فهل هي من الأزد أم من همدان؟ وأورد نسبها نقلاً عن بعض أولئك العلماء كهشام بن الكلبي وابن عبدالْبَرّ وابن حزم، وأنها من الأزد منسوبة إلى وادعة بن عمرو ـ وهو مُزَيْقِيَاء ـ ابن عامر وهو ماء السماء وساق النسب إلى مازن بن الأزد.

وأشار إلى أن وادعة بن عمرو هذا وَبَنُوهُ أبوهم عَمْرَو بن عامر، الذي خرج هو وولده من بلاد سَبَإٍ، فسكنوا مع قبيلة همدان.

وأورد نص كلام ابن حزم في ذالك، وهو صريح بنسبتهم إلى وادعة بن عمرو، ثم دخولهم في همدان حيث قالوا: نحن بنو وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشج وساق النسب إلى حاشد بن جُشَمٍ، من هَمْدَانَ، كما ورد في كتاب ابن حزم «جمهرة أنساب العرب» ص ٣٣١، ٣٩٤ ـ كما استدل بقول ابن الكلبي وابن عبدالبر على ذالك.

وعاد في موضع آخر يقرر نسبة وادعة بن عمرو بن عامر إلى حاشد همدان موضحاً موقف الهمداني صاحب «الإكليل» والعلامة في النسب من هذه المسألة، وأنه أنحى باللائمة على الذين ذكروا أن وادعة ـ من الأزد ـ وأَتْهَمَهُمْ بالغباء، ووقف على مواطن هذا الخلط واجتهد في تقويمه على الوجه الصحيح، وأكَّدَ أن وادعة ينحدر من سلالة همدانية عريقة، ويعلل الخلط الذي وقع في نسبه عند نسبته إلى الأزد فيقول: إن سعدا وحربا وربيعة أبناء عبد ود بن وادعة أمهم أم عشب ابنة عدي بن ثعلبة بن كنانة بن بارق ـ وهو سعد ـ بن عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر مزيقياء، وهذه الولادة التي جرَّتْ وادعةَ إلى قولهم: نحن من الأزد من ولد عمرو بن عامر ماء السماء ـ وفي الجزء الثاني من «الاكليل» يعلل هذا الخلط إلى تضاهي الأسماء ـ «الاكليل» ج ١٠ ص ٩٢ تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع.

ثم أضاف الأخ محمد بن مهاوش الوادعي: وأيا ماكان الأمر فقد أجمع جمهرة من علماء الأنساب، والمؤرخين إلى أن وادعة من همدان، ويؤيد ذالك أن الوادِعِيِّينَ في الوقائع والأيام المشهورة، والمعارك الحربية المعروفة، إبَّان العصر الجاهلي، وكذالك في عصر الفتوحات الإسلامية، كانوا ينضوون تحت لواءِ همدان ـ ومنهم من تزعم همدان، مثل الأجدع بن مالك الوادعي، الذي قاد همدان إلى النصر المؤزر في يوم الرَّزْمِ، حتى أن فَرْوَةَ بنَ مُسَيْكٍ الْمُرَادِيَّ حينما وَفَدَ على النبي ﷺ وسأله عن أحداث الرَّزْمِ قال ﷺ لفروة بن مسيك: «كرهت يومكم ويوم همدان» والوادعيون كانوا يشكلون العمود الفقريَّ لجيش همدان في ذالك اليوم، وتسلموا زمام القيادة، وأشار إليهم الرسول ﷺ في حديثه لفروة بن مسيك المرادي بقوله: «ويوم همدان» وعمرو بن مَعْدِي كَرِبَ حينما سأله عمر بن الخطاب أجابه قائلاً: وادعة من همدان، ولم يقل وادعة من الأزد، وحينما نُظِّمَتِ الدواوين في الدولة الإسلامية كان رجال وادعة في عداد همدان، وكان سكناهم معهم في الأقطار التي فتحها المسلمون ففي الكوفة كانت همدان تنزل في الخُطَّةِ الرابعة من خطط الكوفة، مجاورةً لحلفائها من مَذْحِجَ وحِمْيَرَ. ومن خلال مطالعة خريطة ماسينيون للمحلة الشمالية الغربية من الكوفة حيث نزلت بطون همدان نجد أنَّ

قبيلة وادعة نزلت مابين جَبَّانَةِ السَّبِيْع من الشرق وبنو عمومتهم من ناعِطٍ غرباً، ويجاورهم من الناحية الشمالية نِهْمٌ وشاكر «خطط الكوفة» لماسنيون ص ١١ / ١٤ .

وحينما كتب أبو عبيدة عامر بن الجراح إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يعلمه بما صنع المنذر بن أبي حَمْضَةَ الوادعي حينما كان على بعض ثغور الروم، وظفر بالعدوّ وقسم الْفَيْءَ في أصحابه، أعطى صاحب الفرس العتيق سهمَيْنِ وصاحبَ البرذون سهما فلما قرأ عمر كتابه قال: (لله دَرُّ الهمداني، هبلت الوادعيَّ أُمُّهُ !! لقد أَذْكَرَتْ به، أَجْرُوْهَا سُنَّةً، فهي إلى اليوم سُنَّةٌ جارِيَةٌ) «الإصابة» لابن حجر ج ٣ ص ٥٠٣ .

كل هذه الدلائل تشير إلى أن وادعة من همدان.

٥ ــ أشار الأخ الوادعي إلى قصة (الملطوم) وصلتها بعمرو بن عامر ، وأن وادعة هو ابنه وهو الذي لطمه، معتمداً في ذالك على ماورد في جاشية على شرح «ديوان ابن المقرب» ــ ص ٢٢٣ ــ.

كما أشار إلى صلة بعض قبيلة الدواسر من سكان الوادي بالملطوم وأضاف: وبالمناسبة فإن من أبناء قبيلة وادعة التي تقطن منطقة بلاد وادعة ظهران الجنوب وماحولها من المناطق، حين يُسْأَلُ عن أصله ينتسب على الفور قائلاً: نحن من أبناء الملطوم، وقال: والحقيقة التي تجدر الإشارة إليها أن أبناء زايد الدواسر هم وأبناء قبيلة وادعة أبناء رجل واحد، هو وادعة بن عمرو بن عامر سواء نُسِبَ إلى الأزد أو إلى هَمْدَان.

هذا ملخص ماكتب به الأخ محمد بن مهاوش بن مسفر الوادعي.

سبيع (الحدارية)

أما بعد : فهذه كلمة مختصَرة عن قبيلة سبيع الحدارية ، دفعني لكتابتها وقوع بعض الكُتَّاب في بعض الأخطاء عند كتابتهم عنها سواءً في الكتب أو في المجلات . أما عن سبيع أهل الوِدْيَان (أهل الْخُرْمَة وَرَنْيَةَ) فقد كتب عنها بعض الإخوة ما فيه كفاية إن شاء الله[١] وكتابتنا تتضمن :

اولاً : المقصود بسبيع الحدارية هم أهل العارض فهم بادية العارض ومساكنهم الدهناء وجزء من الصَّمان ، وما حول الرياض ، والعُرَمَة ونواحي رُمَاح ، أما أشهر بلدانهم المأهولة فهي رُمَاح ، والرُّمْحِيَّة ، والغَيْلَانة ، وحفر الْعَتْك (العتْش) والمُزَيْرِع ، وشَوْيَةٌ ، والجِسْيُ ، والضُّبَيْعَةُ، وحُزْوَا، والحَاير، والخَزْم، والحُفيـرَةُ. والعَيْطَلِيَّةُ[٢] .

وعند أهل نجد أن من كان في جهات الحجاز غرباً فهو مُسَنِّدٌ ومن كان شرقاً فهو مُحَدِّر ، وذالك لارتفاع الجهات الغربية ، وسُبَيْعُ أهل العارض يُسمّون سبيع أهل الوديان (سبيع عَلَا) .

ثانيا : سبيع الحدارية قسمان :

١ ـ بنو عمر : وهم قسمان أ ـ الصعبة (صاد فعين فباء فهاء) وينقسمون إلى أربعة أفخاذ : ١ ـ الجمالين ومنهم آل بُلَيْدان ذكرتهم لأن بعض الكتاب كما فعل المغيري وغيره جعلهم فخذاً مستقلاً وهم من الجمالين وكاتب هذه السطور من آل بليدان. ٢ ـ آل علي ٣ ـ الْمَدَارِيَّة ٤ ـ العِزَّة (الأَعِزَّة)

ب ـ الخضران (بالخاء والضاد فراء فَمَدٌّ فنون) وهم أيضاً أربعة أفخاذ .

١ ـ الصملة (ص م ل هـ). ٢ ـ الجبور .

٣ ـ النبطة (ن ب طـ هـ). ٤ ـ العرينات .

٢ ـ بنو عامر وهم سبعة افخاذ :

١ ـ العيادِيْنُ (ع ي ا د ي ن) .

٢ ـ الضُّعَفَة (ض ع ف هـ) .

٣ ـ عجمان الرُّخم .

٤ ـ القدَعَة (ق د ع هـ) ومنهم آل زُرَيِّر وقد عدهم البعض فخذاً مُسْتَقِلاًّ وهذا خطأ .

٥ ـ الصيافا (ص ي ا ف) وهم غير الصيافا أمراء النُّبطة ، وقد خلط بعض الكُتَّاب بينهما .

٦ ـ آل حميد .

٧ ـ القواودة (ق و ا و د هـ) أمراء الحريق سابقاً، ومنهم آل ذَوّاد أهل الحريق الآن.

ثالثاً : كل بني عمر وبني عامر في العارض إلاّ بعض المدارية وبعض آل علي وبعض الصملة ، وقليل من آل حميد من نواحي الْخُرْمَةِ والغَرِيْف في وديان سُبَيْع .

ومع سُبَيْع الحدارية قليل من الْقُرَيْشَات. وبيوت قليلة من بعض سبيع.

رابعاً : فخذ مَلِيح ـ وهم غير الملوح ـ فمليح من (الرّوَبَة) ولكنهم قَدِيمون في العارض ، بل لعلهم أقدم سبيع في العارض . ويعدُّهُم البعضُ من الصملة أو من الخضران ، وكل ذالك خطأ ، وإنما هم يسيرون مع الصملة فقط ، ويُوَادُوْنَهُم ، ومن مشاهير مليح في هذا العصر الشيخ زيد بن ناصر المليحي .

وحاضرة سبيع في العارض كثيرون ولعل الله أن يُهَيِّيءَ فرصة أخرى للكلام عنهم .

الرياض ـ عيد بن مدعج آل بليدان السبيعي

الحواشي :

(١) وأحسنها كتاباتُ الأخِ الأستاذ فهيد بن عبد الله بن تركي السبيعي ، من رُنْيَة .

(٢) وهذا تحديد مواقع القرى المذكورة : رماح البلدة المشهورة تقع شمال شرقي الرياض بحوالي (١٢٠ كِيْلاً) وفيها آبار مشهورة إذ كانت مورداً للبادية وأكثر آبارها للجهالين من سُبيع واسم رماح قديم ذكره جرير في شعره إذ قال :

يكلفني فؤادي من هواه ... ضعائن يجتزعن على رماح

وذكرها ياقوت والبكري وغيرهما . وقد عمرت في عهد الملك عبد العزيز وفيها جل سبيع الحدارية وغيرهم ممن يجاورهم .

الرُّمْحية : للجبور من الخضران من بني عمر من سبيع ، تقع غرب رماح بحوالي (١٧كيلاً) .

الغيلانة : آبار قديمة على شعيب الشامة قبل مصبه في فيضة خُرَيْم وقد أقيمت قرية الغيلانة شمالي الشعيب =

العطيان وسكانها

لقد اطلعت على مؤلفكم «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ـ القسم الثاني ـ ص ٦٠٠، فرأيت فيه: (العطيان: في ضواحي حوطة بني تميم قرية بهذا الاسم وسكانها الآن من آل مرشد من بني تميم) وهذا ليس بصحيح فهي ضاحية من ضواحي حوطة بني تميم، ولكن سكانها هم: قبيلة آل داود من بني هاجر من عَبيدة من قحطان وإمارة العطيان لهم منذ عهد المغفور له الملك عبدالعزيز رحمه الله حتى الآن. ويسكنها أُسَرٌ من قبائل أخرى: ←

= شرق الأبار والغيلانة قديمة ذكرها الأصفهاني في «بلاد العرب» ص٣٠٦ . والبلدة للمدارية من الصمعة من بني عمر من سبيع وأميرها ابن براك .

حفر العتك (العتش) وهو حفر بني سعد قديماً واسمه الصحيح حفر العتك بالكاف أما الآن فينطق بالشين وهو بحذاء العرمة من الدهناء ذكره الأصفهاني ص ٣٠٨ وذكره غيره . وهو شمال الرياض بحوالي (١٥٠ كيلاً) والحفر للخضران من بني عمر .

المزيرع : قرية شرق رماح بحوالي (١١كيلاً) على جانب شعيب رماح الشمالي وهي للزمعان من آل أبو اثنين من الجهالين من سبيع .

شَوْيَةُ : قرية في الدهناء مما يلي الصمان تقع شمال رماح قرابة (٩٠كيلاً) وهي للعرينات ، وسُميت باسم أمراء العرينات آل شَوْيَة ، وأميرها وُلَيْد بن فهد بن شَوْيَة .

الحسي : قرية في منطقة ثادق قرب الصُفرُات ، وهي للعرينات أيضاً . انظر معجم اليمامة (١/٣٢٤) .

الضُبَيْعَة : في منطقة الخرج بقرب الدلم ، وهي لعجمان الرخم من بني عامر ، وأمراؤها آل هُدَيْهد .

حُزْوَا : قرية في الدهناء لبني عامر وأميرها العُمَاني أمير بني عامر وتسمىٰ أحياناً العمانية نسبة لأهلها .

الحاير: بلدة عامرة ذات نخيل وتعرف بحاير سبيع وهي للعزة من بني عمر وتقع جنوب الرياض بحوالي (٣٠كيلاً) وكانت البلدة في الوادي (وادي حَنيفة) ولكن الآن عمرت البلدة على ظهر الجبل المواجه للقرية من الشمال وهي بلدة عامرة لذالك فيها أخلاط كثيرون غير سبيع . انظر معجم اليمامة ١/٢٨٧ .

الحزم: قرية في منطقة الخرج قرب بلدة الضبيعة وهي لآل حميد من بني عامر أميرها ابن زبار .

الحفيِّرة : بلدة لبعض آل علي من بني عمر بقرب حفر العتش (العتك) .

العَيْطَلِيَّة : شمال قرية شوية بحوالي (١٠ اكيال) لآل أبو اثنين من الجهالين وأميرها فيصل بن عبيد أبو اثنين .

معجم أسماء العرب

لا تُعْنَى مجلة «العرب» ـ في الغالب ـ بالحديث عن المؤلفات الحديثة، إذْ هَدَفُهَا كما هو واضح في كل جزء من أجزائها الاهتمامُ بالتراث العربي، فكراً وتاريخاً وجغرافيةً وأدباً قديماً ، إلاَّ أنَّ هذا الكتاب «معجم أسماء العرب» ذو صلة عميقة بما تعنى به المجلة.

لهذا فالحديث عنه ـ بل التوسع في ذالك ما أمكن ـ داخلٌ ضمن أهداف المجلة، إنه وإن كان حديثَ التأليف، فإنه عميق الجذور في الثقافة العربية والفكر العربي والتاريخ العربي.

ولقد أفضل عليَّ شيخُ الأدباء وأديب الشيوخ، الشيخ حمد بن إبراهيم الحُقَيْلُ بنسخة من هذا الكتاب، وهو قسم من مجموعة مؤلفات صدرت بعنوان (موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب) تحوي: ـ

١ ـ هذا الكتاب في مجلدين.
٢ ـ «سجل أسماء العرب» في أربعة مجلدات.
٣ ـ «دليل أعلام عمان»
٤ ـ «منهج البحث في أسماء العرب».

وقد لفت انتباهي شيخُنا أبو عبدالكريم إلى اهمية هذا الكتاب، وأنه جدير بالمطالعة، فكان هذا من الحوافز التي دفعتني إلى إلقاء نظرات في فترات غير متواصلة، على صفحات من مجلديه الضخمين اللذين يقعان في (١٩٠٠) من ←

→ آل خميس من بني زيد.
وآل ادريس من عائذ قحطان وهم عدد قليل.

أرجو قبول ملاحظتي هذه ولكي يجري التعديل في الطبعة الجديدة بمشيئة الله .

خالد بن إبراهيم بن محمد ال داود

←الصفحات، فقويتْ في نفسي الرغبةُ لمشاركة الإخوة الأجلة من الأساتذة الذين أسهموا بتأليفه وترتيبه وهم لا يقلون عن (٩٥) بين مشرف على التأليف، ولجان علمية، وخبراء في التحرير واللغات، ومحررين، ومستعملين للحاسب الآلي، ومنسِّقين للمعلومات، ومُعِدِّيْنَ للطباعة، ومعاونين لكل أولئك.

وفوق جهد هاؤلاء عناية السلطان قابوس الممثلة بأن يبرز هذا الكتاب بخير صورة تَنْسيقاً وطباعة بل قبل كل هذا: صحة معلومات.

لقد صدر هذا الكتاب بمقدمة للشيخ محمد بن الزبير مستشار جلالة السلطان قابوس، والمشرف العام على الموسوعة، أشار فيها إلى أن المكلفين بالإشراف عليها والعمل فيها، يدركون أنهم يبنون على غير مثال، ويمضون في طريق غير مطروق، ولكنهم أدركوا مدى الحاجة الماسَّةِ على المستَويَيْـنِ الفرديِّ والقومي، لمثل هذه الموسوعة، فحرصوا على أن تكون تجارب الآخرين التي تمت في لغات مختلفة، في ضوء حصيلتهم الراهنة من المعرفة الإنسانية والوعي الحضاريِّ.

وأشار الأستاذ ابنُ الزبير إلى أن «سجل أسماء العرب» يحتوي على جميع الأسماء التي ظهرت في العيِّنة التي تَمَّ جمعها ميدانيًا، وارتكز عليها العمل في المشروع، وأنه أضخم سجل معروف في العربية، وغيرها من اللغات، يضم عشرات الألوف من الأسماء في أربعة مجلدات، يقترن كل اسم بجذره اللغوي أو بمعناه.

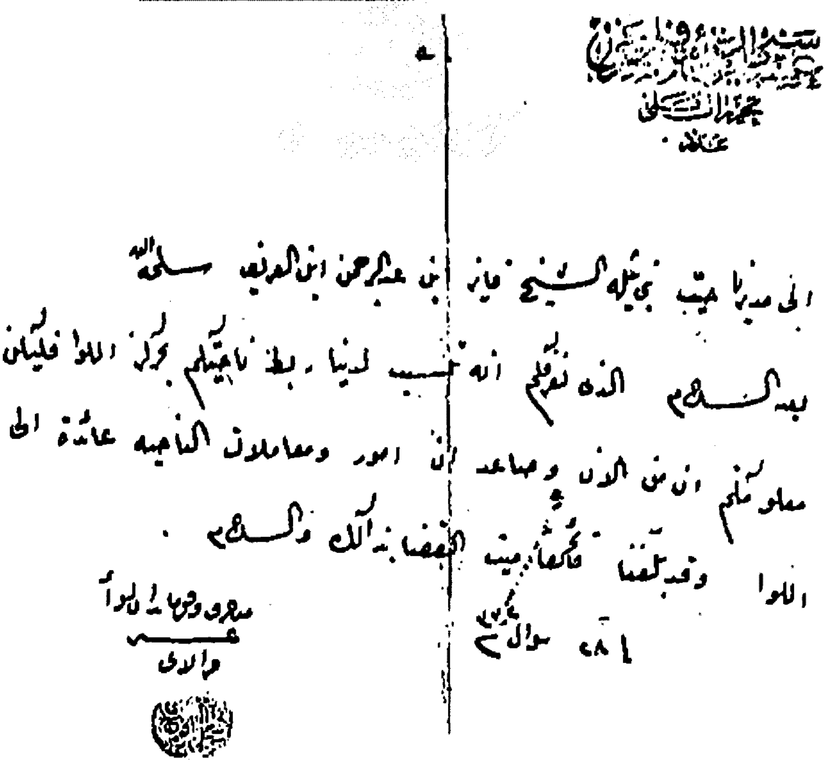
وتضم الموسوعة «دليل أعلام عُمَانَ» في المجلد السابع من بين مجلداتها الثمانية، وهو يمثل إضافة حقيقيَّةً للثقافة العربية والإسلامية في عُمَانَ.

أما المجلد الثامن وهو «منهج البحث في أسماء العرب» فهو عن الجهد العلمي الكبير، الذي قام به فريق البحث ومستشاروه وخبراؤه ومراجعوه، وهو يتناول دراسة أسماء العرب وأهميتها، وأصول دراسة أسماء الأعلام في التراث اللغويِّ العربي، وعلم أسماء الأعلام في ضوء الدراسات الحديثة الأوربية المقارنة لأسماء الأعلام، كما يتناول نُظُمَ التسمية التي يشملها البحث من خلال منهج مقارن لهذه النظم في الأقطار العربية.

ولم يَفُتِ الأستاذ المشرف ابن الزبير ملاحظة أنَّ كل أمر في أوَّلِهِ لابُدَّ أنْ يَعْتَوِرَهُ النقصُ والخلل والخطأ ، ولهذا فقد رغب من مُنْعِمِي النظر في صفحات هذه الموسوعة إتاحة فرصة التَّصْوِيب والإضافة في طبعاتها القادمة إن شاء الله .

وهذا من أقوى الحوافز التي دفعتني لمطالعة هذا الكتاب الضخم الفخم، إدراكاً مني لأهمية موضوعه، وتقديراً للجهد العظيم الذي بذل في سبيل تأليفه، وتعبيراً عن العرفان بالجميل لصاحب اليد الأولى الطُّوْلَى في كل ذالك وهو السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان لاتجاهه لجانب من جوانب الثقافة العربية جديرٌ بالإحياء والاهتمام .

وتحية حُبٍّ وتقدير لهاؤلاء الإخوة الذين أسهم كل واحد منهم بما يستطيع من جهد وعمل، كان من أثره هذه النتيجة الطيبة التي قد أرى بمواصلة الحديث عنها ما يُعَبِّرُ عن كُلِّ ذالك .


الى مدير ناحية بيشة الشيخ فايز ابن عبدالرحمن ابن العريفه سلمه الله
بعد السلام الذي نعلمكم انه تسبب لدينا ربط ناحية تنومه بلواء عسير فلما كان
معلومكم ان من الان وصاعد ان امور ومعاملات الناحيه عائدة الى
اللوا وقد بلغناكم ... بذلك والسلام .

صورة لوثيقة توضح ربط تنومة بقضاء النماص في أمور معاملاتها

فهارس السنة السادسة والعشرين

١ ـ الكتاب والمعلقون
٢ ـ الموضوعات العامة
٣ ـ الأعلام
٤ ـ الأسر والقبائل والجماعات
٥ ـ الكتب والصحف والمجلات
٦ ـ المواضع .

اولاً : الكتاب والمعلقون

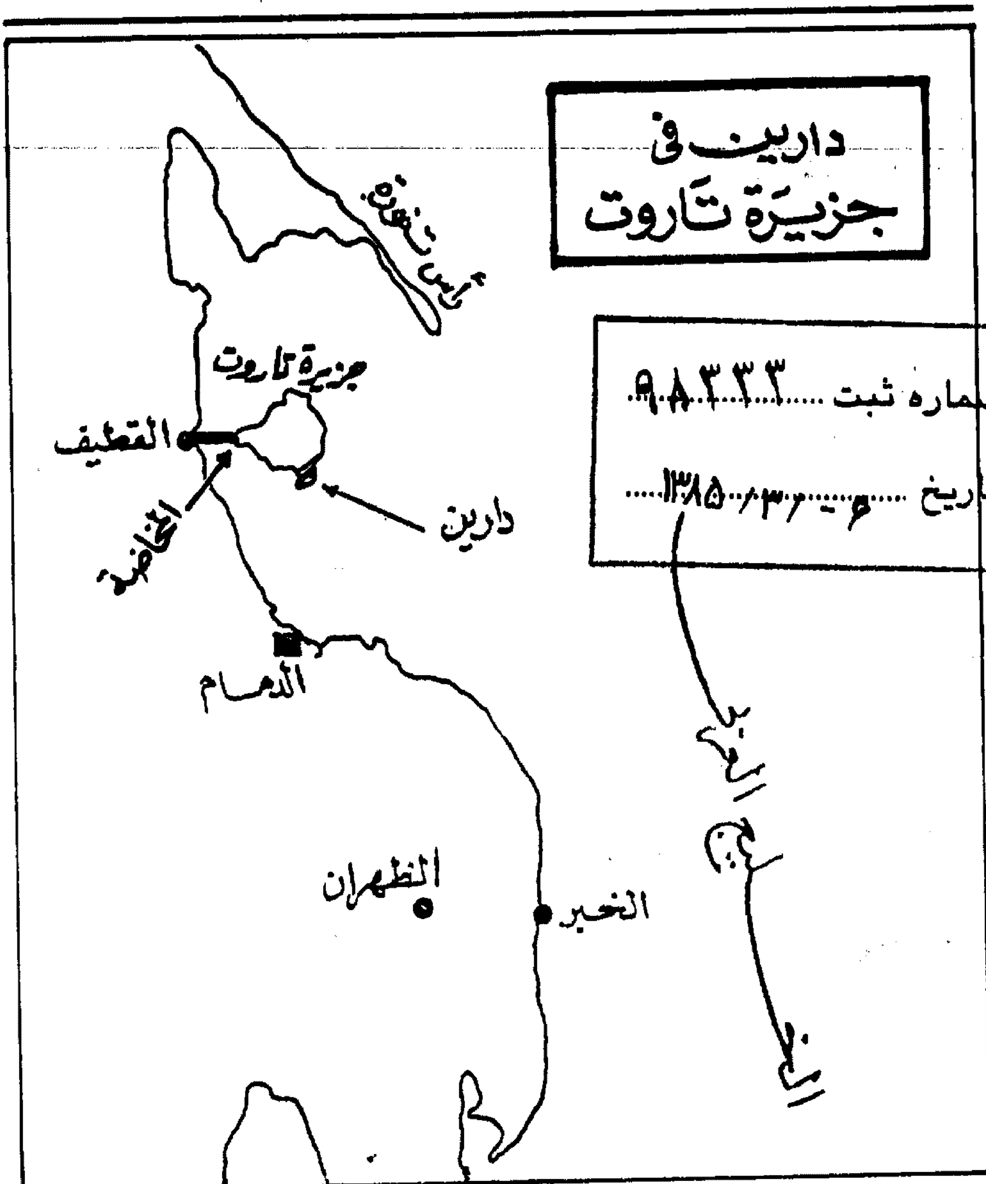
ثانيا: الموضوعات العامة

ثالثاً : الاعـــلام

رابعاً : الاسر والقبائل والجماعات

خامساً : الكتب والصحف والمجلات

سادساً: المواضع



المصور الجغرافي لدارين موضحاً به موقع المخاضة بين تاروت والقطيف.